سيد قطب

من الميلاد إلى الاستشهاد

الدكتور
صلاح عبد الفتاح الخالدي

دمشق — بيروت

سيد قطب

من الميلاد إلى الاستشهاد

الدكتور

صلاح عبد الفتاح الخالدي

دار القلم

دمشق

الدار الشامية

بيروت

الطّبعة الثانية
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ .

[سورة الأحزاب : آية ٢٣]

يَا شَهِيدًا رَفَعَ ٱللَّهُ بِهِ   جَبْهَةَ الحَقِّ عَلى طولِ المَدَى

سَوْفَ تَبْقى في الحَنايا عَلَمًا   حادِيًا لِلرَّكْبِ رَمْزًا لِلْفِدى

ما نَسِينا أَنْتَ قَدْ عَلَّمْتَنا   بَسْمَةَ المُؤْمِنِ في وَجْهِ الرَّدى

غالَكَ الحِقْدُ بِلَيْلٍ حالِكٍ   كُنْتَ فِيهِ البَدْرَ يَهْدي لِلْهُدى

نَسِيَ الفُجّارُ في نَشْوَتِهِمْ   أَنَّ نُورَ ٱلحَقِّ لا لَنْ يُخْمَدا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستهديه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسِنا، وسيئاتِ أعمالِنا، منْ يهدِ الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلل فلا هادي له. وأشهدُ أن لا إلـه إلَّا الله، وحدَه لا شريك له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صلواتُ الله وسلامه عليه.

أما بعـد:

فإنَّ سيِّد قطب شخصيةٌ عجيبةٌ فريـدة، إنه مفكـرٌ رائد، وداعيـةٌ مجاهـد، وإمامٌ شهيد!

لقد عاشَ سيِّد قطب حياةً حافلةً بالعَطاء، قاربتْ على الستين عاماً. تبوَّأ فيها قمةَ الأدب والفكـر، وسلكَ فيها طـريق العمـل الإسلاميّ الحـركيّ، وصـارَ فيهـا من قـادةِ الإخوان المسلمين. وقادَ فيها التنظيمَ الإخوانيَّ الجديـد، في مطلع الستّينيّـات ــ بإذْن من المرشد العام حسـن الهضيبـي رحمه الله ــ.

واكْتوى في حياتِه الإسلامية الجادَّة بنارِ المحنة، وقدَّم ملحمةً بطوليَّة رائعـة، في العمـلِ والـدعـوة، وفي الصبـرِ والثبـات، وفي الجهـادِ والمـواجهـة، وفي الاستعـلاءِ والتحدّي.

وختمَ الله له حياتَه بخاتمةٍ سعيدة، يتمنّاها كـلُّ مسلم صادق جـاد، حيث جاءتْـهُ الشهادة، تسعى إليه في سجْنه، فابتسم لهـا ابتسامـةَ السَّعادة والـرضـا، وكان الشهيـدَ السعيدَ، الذي لقيَ اللَّهَ حامِلاً أسمى وأشرف وسامٍ، وسامِ الشهادة في سبيـل الله ــ إن شاء الله ــ.

وبعـدَ استشهـاده دبَّت الحيـاةُ في أفكـاره وآرائـه، وازدادَ إعجـاب النـاسِ بـه، وإقبالُهم على كتبه ومؤلفاته، واقتداؤُهم به في مواقفه الدعوية والجهادية.

وكثيرٌ من هؤلاء المُعجبين والمتأثِّرين والباحثين لا يعرفونَ إلَّا القليل عن حياةِ الرائدِ المجاهد سيِّد قطب، وبخاصةٍ حياتَه الأدبية الأولى!

معظمُ هؤلاء لا يعرفونَ سيِّدَ قطب إلَّا بعد عام ١٩٥١م، عندما بدأ يخطو في طريقِه إلى «الإخوان المسلمين»، وقد جاوزَ الخامسةَ والأربعين من عمره. فماذا عن حياتِه الطويلةِ قبلَ هذه المرحلة؟

معظمُ هؤلاء لا يعرفون سيِّدَ قطب إلَّا من خلالِ مؤلفاته وكتبه! ولكن ماذا عن مراحلِ حياتِه الأدبية؟ وماذا عن مراحل حياته الإسلامية؟ وماذا عن مسيرةِ حياتِه ومشاهدها في هاتيْن المرحلتيْن؟.

إنهم لا يعرفون من ذلك إلَّا «نُتَفاً» متفرقة، وأخباراً متناثرة، لا يربطُها رابط، ولا يجمعُ بينها جامع!! وبعضُها غيرُ دقيقٍ ولا صحيح!!

وكثُرت الكتاباتُ عن سيِّد قطب وحياتِه وفكرِه، سواءٌ كانت مقالاتٍ في الصحف والمجلات، أو كانت كتباً ومؤلَّفات.

ومن أهمِّ الكتب التي كُتبتْ عنه:

* العالم الرباني الشهيد سيِّد قطب. للعشماوي أحمد سليمان، رحمه الله.
* سيِّد قطب أو ثورة الفكر الإسلامي. لمحمد علي قطب.
* رائد الفكر الإسلامي المعاصر الشهيد سيِّد قطب. للأستاذ يوسف العظم.
* سيِّد قطب حياته وأدبه. للأستاذ عبد الباقي محمد حسين.
* سيِّد قطب الأديب الناقد. للدكتور عبد الله الخباص.
* سيِّد قطب من القرية إلى حبل المشنقة. لعادل حمودة.

وأجودُ هذه الكتب، ما كتبهُ الأستاذان عبد الباقي محمد حسين وعبد الله الخباص!.

وقد سمعتُ أنَّ الأستاذ «سالم البهنساوي» قد كتبَ كتاباً هذا العام ـ ١٩٨٩م ـ سمّاه «سيِّد قطب بين العاطفية والموضوعية» وقد حاولتُ الحصولَ عليه، لكني لم أستطع حتى الآن! فلا أحكمُ له ولا عليه حتى أراه!! ولكن يبدو أنَّه يتكلمُ فيه عن

أفكارِ سيِّد قطب التي ثارَ حولَها جدلٌ ونقاش بيْن العاملين للإسلام ـ مثل الحاكمية والجاهلية والتكفير ـ لأن الأستاذَ البهنساويَّ سبق وأن عرضَ هذا في كتابيْه «الحكم وقضية تكفير المسلم» و«أضواء على معالم في الطريق».

وقد نشر الصحفيُّ «سامي جوهر» رحمه الله محضرَ التحقيق، الذي أجْراهُ مع سيِّد قطب في السجن الحربي، النائبُ العام «صلاح نصار»، ومحضرَ محاكمةِ الفريق «فؤاد الدجوي» لسيِّد قطب.

ونشرتْ مجلةُ «المسلمون» إقرارَ سيِّد قطب، الذي كتبه بخط يده، في السجن الحربي في نهاية عام ١٩٦٥م، واعترفَ فيه بتفاصيلِ علاقته مع الإخوان المسلمين، وعمله مع «التنظيم الإخواني الجديد»!

ثم نشرت الدارُ الناشرةُ هذا الإقرار تحت عنوان: «لماذا أعدموني؟».

وفي الإقرارِ والتحقيقِ والمحاكمةِ معلوماتٌ ودلالاتٌ وفوائدُ جمَّة!.

وما هذه الكتاباتُ عن سيِّد قطب إلَّا البداية! وسوفَ تتلوها دراساتٌ كثيرة عن أفكارِ وآراءِ الشهيد.

إن سيِّدَ قطب شخصيةٌ حيةٌ متحركة، وعاش حياتَه بحركةٍ متواصلة، وقدَّمَ فكراً دعوياً حركيّاً حيّاً مؤثِّراً، وأثارتْ أفكارُه وآراؤه قضايا غيرَ مُجْمَع عليها، أثارتْ وتثيرُ ـ وستبقى تثير ـ الكثيرَ من النقاش والجدال، والأخذِ والردّ!.

ولقد أحببتُ أَنْ أُقَدِّمَ للباحثينَ والقارئينَ والمتأثِّرينَ بسيِّد قطب، معلوماتٍ عنه، وأخباراً عن حياتِه، لتكونَ مرجعاً يرجعون إليه ـ إن شاء الله ـ إذا أرادوا أن يتعرَّفوا على حياةِ هذا المفكر الرائد والداعية المجاهِد!.

ولِأَصْلِ هذا الكتاب قصة، أَرى نفسي ملْزَماً بتقديمِها للقراء بإيجاز:

في عام ١٩٧٨م ـ ١٤٠٨هـ، كنتُ أبحثُ عن موضوعٍ لرسالةِ الماجستير في التفسيرِ وعلوم القرآن، أُقدِّمه إلى «قسمِ الكتاب والسنّة» في كليةِ أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

ووفقني الله ـ ولله الحمد ـ إلى موضوع «سيِّد قطب والتصوير الفني في

القرآن» ـ بمشورةِ أُستاذي المشرف الدكتور أحمد حسن فرحات ـ جزاهُ الله خير الجزاء ـ .

وصِرْتُ أبحثُ في بطونِ الصحفِ والمجلات القديمة، عن أخبارٍ ومعلوماتٍ تتحدث عن سيِّد قطب، ووقفْتُ على مجموعةٍ كبيرةٍ من مقالاته، في الصحف والمجلات القديمة، مثل مجلات: الرسالة، والثقافة، والكتاب، والكاتب المصري، والأسبوع، والبلاغ الأسبوعي، والعالم العربي . .

فدرسْتُها، واستخرجْتُ منها مادةً جيدة، ومعلوماتٍ قيّمة.

وحرصْتُ على مقابلةِ شقيقهِ المفكر الأستاذ محمد قطب، فكان كريماً معي، إذْ قدَّم لي كلَّ ما سألتُه عنه من معلوماتٍ عن الشهيد ـ فجزاه الله خير الجزاء ـ .

كما قابلْتُ في مكة الأستاذَ «أحمد عبد الغفور عطار» فقدَّم لي معلوماتٍ طيبةً عن سيِّد قطب، كما قدَّم لي أعدادَ مجلته «كلمة الحق»، والتي نشرَ فيها أخباراً هامَّةً عن سيِّد قطب ـ جزاه الله خير الجزاء ـ.

وكتبتُ رسالةَ الماجستير من قسميْن: القسم الأول عن سيِّد قطب، والقسم الثاني عن «التصوير الفني في القرآن».

وكانتْ مناقشةُ الرسالة بقاعةِ كلية الشريعة بالرياض مساءَ الأربعاء ١٨/٤/١٤٠٠هـ.

وكانتْ لجنةُ المناقشة مكونةً من:

ـ الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات.

ـ والأستاذ محمد قطب.

ـ والأستاذ محمد الراوي ـ رئيس قسم التفسير بالكلية ـ .

وكانتْ مناقشةً حافلة، حضرَها جمعٌ غفير، وضاقَتْ القاعةُ بالجالسينَ والواقفين ـ والحمد لله ـ .

وقد شهد الأستاذُ المناقشُ محمد قطب، للرسالةِ ولصاحِبِها شهادةً أَعتزُّ بها أَيَّما اعتزاز!:

قال في ورقةِ ملاحظاتِه عن القسم الأول، الخاصِّ بحياةِ سيِّد قطب: «ممتاز. . من أنضج الدِّراسات وأدقِّها وأوفاها وأَشملها، وصاحبُها كاتبُ تراجم ممتاز. وعنده صبرٌ على التنقيب، والتجميع، واستخلاص الدلالات، وإيجادِ الروابط بينها، وتجميع خيوطِ الشخصيةِ منها، وإبرازِ الشخصيةِ واضحةَ السّمات. . وكان يمكنُ أن يكونَ هذا القسمُ وحدَه، رسالةَ ماجستير مستقلّة!».

وقال في المناقشة بصوتِه: «فأمّا القسمُ الأول، فهو: دقيقٌ، محبَّب، ممتازٌ في طريقةِ العرض. وبصرْفِ النظر عن الشخص الذي تناولَتْهُ الدراسة، فإنني أتكلمُ عن كاتبِ هذه الرسالة.

فأقول: إنَّ له قدرةً غيرَ عاديّة في ترجمةِ حياةِ الناس، لو أنهُ استخدَمَها فيما بعد في ميادين أخرى، فإنها موهبةٌ تستحقُّ أَنْ تُسَجَّل، وتستحقُّ أَنْ يُهَنَّأَ عليها!.

له قدرةٌ على الصبرِ على تجميعِ مُفرداتِ المادَّة، التي يستخرجُ منها دراستَه للشخصية. له قدرةٌ على تعمُّقِ الحادث، لا يمرُّ به مروراً سريعاً، ولو كانَ حادثاً صغيراً في صورتِه، لكنه يتعمَّقُ دلالتَه، ليستخرجَ منه خيْطاً من خيوط الصورةِ التي يرسمُها!

له صبرٌ على تمحيصِ الوقائع. له قدرةٌ على تجميعِ الخيوط!

إن بعضَ الناسِ قد يوفَّقُ في تجميعِ نقاطٍ، وفي تعمُّقِها واستجلائِها، ولكنَّه لا يوفَّقُ في تجميعِها، ليتكوَّنَ منها صورةٌ حية، صورةٌ شاخصة، صورةٌ معبِّرة.

المزيَّةُ أو الموهبةُ التي وُهِبَها كاتبُ الرسالة، هي: قدرتُه على تجميعِ الشخصية من مفرداتها المتناثرة، وإذا علمْنا أنه جمعَ هذه المفردات، من صحفٍ متعدِّدة، تغطّي حوالَيْ عشرينَ عاماً أو أكثر، وأَن بعضَها أصبحَ مجهولاً اليوم، لأنه لم يَعُدْ يصدر. . وعَنَّى نَفْسَه أن يبحثَ عن هذه الصحف، وأن يبحثَ عن مقالاتِ أو قصائدِ سيِّد فيها، وهو جُهْدٌ ضخم جداً، أعتقدُ لو أنهُ تقدَّم به وحدَه لنيْلِ درجةِ الماجستير، لنالَها، وكانَ مستحِقّاً فيها لتقديرٍ عظيم!.

أقول: إنَّه في هذا القسم كانَ موهوباً، وكان مقْتَدِراً، وأَبْدى موهبةً مبكِّرة، تبشِّرُ - إن شاء الله - بمزيد من الإنتاج في هذا الطريق، تكون - بإذن الله - مباركَةً وطيِّبَة!!».

إنَّني أَعتزُّ بهذه الشهادةِ العظيمةِ من الأستاذِ المفكِّر محمد قطب، والتي سجَّلَها بقلمه، ونطَقَها بلسانِه، وأحمدُ الله على نِعَمِه وأفْضالِه، فهذا من فضلِ الله ربّي عليّ، فلَهُ وحدَه الفضلُ والمنَّة.

ولقد حرصْتُ على الالتزامِ بهذه الصفات التي وَصَفني بها الأستاذ محمد قطب، في إعدادِ هذا الكتابِ أيْضاً، وأَرجو أن أكونَ قد أَصبْتُ في ذلك، وَوُفِّقْتُ فيه ـ إن شاء الله ـ .

وبعدَ المناقشة طلَبَتْ مني «مكتبةُ الأقصى» في عمان طباعةَ القسم الأول من رسالةِ الماجستير، فطبعْتُهُ تحتَ عنوان «سيِّد قطب الشهيد الحي» واستقبَلَه القراءُ استقبالاً جيّداً ـ ولله الحمد ـ .

ثم حصلْتُ على الدكتوراة عام ١٩٨٤م في التفسير وعلوم القرآن، وكان موضوعُها: «في ظلال القرآن: دراسة وتقويم». ثم طبعْتُ الرسالةَ في ثلاثةِ كتب: مدخل إلى ظلال القرآن. والمنهج الحركي في ظلال القرآن. وفي ظلال القرآن في الميزان.

وأخرجْتُ مقالاتِ سيِّد قطب عن أمريكا في كتاب «أمريكا من الداخل بمنظار سيِّد قطب». كما أخرجْتُ القسمَ الثاني من رسالة الماجستير في كتاب «نظرية التصوير الفني عند سيِّد قطب».

ثم انصرفْتُ إلى إخراجِ سلسلة «من كنوز القرآن».

وفي هذه المرحلةِ التي زَادَتْ على عشر سنوات: ١٩٧٨ ـ ١٩٨٩م، كنتُ أجمعُ ما أقْدِرُ عليه من معلوماتٍ عن حياةِ سيِّد قطب، من كتبٍ أو مقالات.

فلما نظرْتُ فيها في هذا العام، وجدتُها كثيرةً وغزيرةً ومفيدة.

ونظرْتُ في كتابي الأوَّل «سيِّد قطب الشهيد الحي» فوجدْتُه قد استنفدَ أغراضَه، وأن الزمنَ قد تجاوزه!!

بل أقولُها باعتراف ـ وما أُبرىءُ نفسي ـ لقد وجدْتُ أخطاء تاريخية، وقعْتُ فيها في كتابِ «سيِّد قطب الشهيد الحي»، منها أخطاءٌ في تاريخ ولادتِه، وتاريخِ تخرُّجِه،

وتاريخِ سفره إلى أَمريكا، وتاريخِ عودته منها، وتاريخِ انضمامه إلى الإخوَان المسلمين، والأعمالِ التي أَوْكَلوها إليه . . وغيرِ ذلك!

أعترفُ الآن بذلك، وأُقرِّرُ أنَّ عُذري هو أَنها غيرُ متعمَّدَة، وأَنني نقلْتُها عن غيري من الكاتِبين، وتابعْتُهم على ما وقَعوا هُمْ به من أخطاء ـ وبخاصَّةٍ الأستاذَ يوسف العظم في كتابه «رائد الفكر الإسلامي المعاصر الشهيد سيِّد قطب» ـ . ومع ذلكَ أعتذرُ للقراء الكرام عن وجودِ هذه الأخطاءِ التاريخية في «الشهيد الحي» وأستغفرُ اللّهَ من ذلك. ونحنُ نعلمُ أن النقصَ والخطأَ من سِماتِ البشر.

أمامَ هذا كلِّه، رأيْتُ المصلحةَ تدعو إلى إخراجِ كتابٍ جديدٍ عن حياة سيِّد قطب، يتلافى الأخطاءَ الموجودة في سابقِه «سيِّد قطب الشهيد الحي»، ويُضيفُ إليه المعلوماتِ الكثيرةَ والغزيرةَ التي حصلْتُ عليها في هذه السنوات.

وقد رأيْتُ أن أجعلَ هذا الكتاب في تمهيدٍ وثلاثةِ أقسام:

● **التمهيدُ**: عن نشأةِ سيِّد قطب: تحدثْتُ فيه عن قريتِه، وأصْلِه، وأُسرته، ووالده، ووالدته، وإخوته، وصورته.

● **القسم الأول**: مع سيِّد قطب في مسيرة حياتِهِ الأدبية. عرضْتُ من هذه الحياةِ عشرةَ مشاهد: حياتُه في القرية. دراستُه في القاهرة. وظيفتُه في وزارة المعارف. مقالاتُه في الصحف والمجلات. صِلاتُه بالأدباء والمفكرين. صِلتُه بعباس محمود العقاد. معاركُه الأدبية والنقدية. إيفادُه إلى أمريكا. رحلةُ ضياعه. والمرأةُ في حياته.

● **القسم الثاني**: مع سيِّد قطب في مسيرةِ حياته الإسلامية.

ومهَّدْتُ له بتمهيد، بيَّنْتُ فيه النقلةَ البعيدة التي نقلَهُ الله إليها، ثم تكلمْتُ عن المراحلِ الثلاثِ لحياتِه الإسلامية.

ثم عرضتُ من حياتِه الإسلامية سبعةَ مشاهد: سيِّد قطب مع رجال الثورة. سيِّد قطب في طريقه إلى الإخوان المسلمين. سيِّد قطب مع الإخوان المسلمين. محنتُه الأولى في السجن. قيادتُه للتنظيم الإخواني الجديد. محنتُه الثانية في السجن. ومحاكمتُه واستشهاده.

● **القسم الثالث**: عرضْتُ فيه لصفاتِ سيِّد قطب وتراثِه.

وقد رأيتُ أنْ أجعلَ عنوانَ الكتاب «**سيِّد قطب: من الميلاد إلى الاستشهاد**»، باعتباره يتحدَّث عن مسيرة حياة سيِّد قطب.

وإني لأسارعُ فأقول: إن هذا الكتابَ تفصيلٌ لمسيرةِ حياة سيِّد قطب، وترجمةٌ لشخصيته، وتسجيلٌ لوقائع حياته. وليس دراسةً لأفكاره وآرائه، ووضْعاً لها في الميزان، وبيان ما لها وما عليها. فقد حاولْتُ ذلك في كتابي «في ظلال القرآن في الميزان».

وإنني إذ أقدِّمُ هذا الكتابَ للقراء الكرام، لأَرجو منهم أن يمنّوا عليَّ بدعوةٍ صالحةٍ بظهر الغيب، وأن يتكرَّموا عليَّ بتصحيحِ ما يجدونه في الكتاب من أخطاء، أو إضافةِ ما سَقَط منه من أخبارٍ ومعلومات، معَ رجاءِ أن تكون موثَّقةً توثيقاً علميّاً، ليصحَّ اعتمادُها.

وأن يرسلوا هذه المعلومات، على عنواني المُثبت أدناه، لأتمكَّنَ من إضافتها في طبعة قادمة ـ إن شاء الله ـ!

وإنّني إذْ أكتبُ هذه المقدمة في الذكرى الثالثة والعشرين، لاستشهاد هذا المفكر الرائد، والداعيةِ المجاهد، والإمامِ الشهيد، لأرجو أن يكونَ هذا الكتاب، ممّا يليقُ بمكانةِ سيِّد ومنزلتِه بيننا، وأن يكونَ تحيةَ إكْبارٍ وإعْزازٍ منّي له، في مستَقَرِّه في عالَم الخلود! ـ إن شاء الله ـ.

وأسألُ اللَّهَ أن يتقبَّلَ هذا الجهد، وأن يجعلَهُ في ميزان الحسنات يومَ القيامة.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الثلاثاء ١٧/١/١٤١٠هـ
٢٩/٨/١٩٨٩م

الدكتور
صلاح عبد الفتاح الخالدي
صويلح ص. ب: ٦٦٩

سَيِّد قطب [٧] في سطور

هو سيِّد قطب إبراهيم حسين شاذلي.

وُلِد في قرية «موشَة»، إحدى قرى محافظةِ أَسيوط.

وكانت ولادتُه في ٩/١٠/١٩٠٦م.

عاش طفولَتَه وصِباه في قريته، وتلقّى فيها دراستَه الابتدائية.

سافرَ إلى القاهرة عام ١٩٢٠م، وأقامَ عند خالِه «أحمد حسين عثمان»، وعن طريقه تعرَّف على حزبِ الوفد، وعلى «عباس محمود العقاد».

التحق بمدرسة المعلِّمين الأَوَّليَّة، ونال منها إجازة «الكفاءة» للتعليم الأَوَّلي. ثم التحق بتجهيزيَّة دار العلوم.

دخل كلية «دار العلوم» عام ١٩٢٩م، وتخرَّج منها عام ١٩٣٣م، يحملُ شهادةَ «البكالوريوس» في الآداب.

عمِلَ مُدرِّساً في مدارس وزارة المعارف، حوالي ست سنوات.

انتقل إلى وزارةِ المعارف، وشَغل عدةَ وظائف فيها، في مراقبة الثقافة، وفي التفتيش.

أوفدتْهُ وزارة المعارف إلى أمريكا، في بعثة تربوية ميدانية، للاطلاع على مناهج التربية والتعليم هناك، وأقام في أمريكا سنتين. وعاد عام ١٩٥٠م.

اختلفَ مع كبار موظَّفي وزارة المعارف، وقدَّم استقالَته من الوزارة بعد قيام الثورة بشهور، بعد خدمةٍ قاربتْ تسعةَ عشر عاماً.

انتظم في شبابه مع حزب الوفد، وبقيَ فيه حتى عام ١٩٤٢م، وكَتب في صحفِ ومجلّات الحزب مقالات وأبحاثاً كثيرة، ونَشر فيها قصائدَ عديدةَ.

بقي بعد ذلك أكثرَ من عشرِ سنوات بدون انتماءٍ فعليٍّ لأيِّ حزب أو جماعةٍ أو تنظيم، إلى أَنْ وجَدَ ضالَّته في «جماعةِ الإخوان المسلمين»، التي انتظم فيها عمليّاً عام ١٩٥٣م، وأمضى بقيةَ عمره معها.

كانت اهتماماتُه في شبابِه أدبيةً نقدية، ومارَسَ وظيفةَ النقد سنواتٍ عديدة، وكَتبَ العديدَ من المقالاتِ النقدية، كما نشر كُتُباً نقديَّةً أيضاً.

نَظَمَ قصائدَ شعرية رفيعة، ونشر ديواناً، ضمَّنه بعض تلك القصائد.

أقبل في «الأربعينيّات» على القرآن الكريم، يدرسُه دراسةً أدبيّة نقدية، وفكَّر في إصْدار «مكتبة القرآن الجديدة». ثم صار يدرسُ الإسلامَ دراسَة فكريّة نظريّة، وأصدر عدةَ كُتُب في ذلك.

نقلهُ القرآنُ نقلةً جديدة، حيث قاد خطواتِه إلى طريقِ الدعوة والعمل والمجاهَدة. فسار في هذه الطريق، وقدَّم للدُّعاة بعض معالمها. ودرسَ القرآن أثناءَ هذا السير، وقدَّم تلك الدراسةَ في تفسيره «في ظلال القرآن».

بَشَّرَ بالثورة، ودعا إليها في عهد الملكية، وساعَدَ في التمهيد والتخطيط لها. ولمّا قامتْ، عمل مَعَ رجالِها في أول عهدها. ولمّا وقَفَ على أهدافهم التي تتعارضُ مع أهدافه الإسلامية، فاصَلَهُم وفارقَهُم وابتعد عنهم.

كان من أوائلِ ضَحايا بطشِ وتنكيلِ رجالِ الثورة بجماعة الإخوان المسلمين، حيثُ أصَابه من ذلك ما أصابَه!

حَكَمَتْ عليه محكمةُ «الثورة» بخمسةَ عشر عاماً، قضى معظمَها في مستشفى سجن «ليمان طُرَّة»، لإصابتِهِ بأمراضٍ كثيرة في رئتَيْه وصدره ومعدته وأمعائه!

أُفرِجَ عنه عام ١٩٦٤م بعفوٍ صحي، بعد تدخُّلِ الرئيس العراقي «عبد السلام عارف».

لم يعِشْ خارجَ السجن إلّا شهوراً، حيث أُعيد إليه مع العشرات من الإخوان

المسلمين، في صيف عام ١٩٦٥م، بتهمةِ التآمر لقلب نظام الحكم.

أشرفَ على التنظيمِ الحركيِّ الجديد للإخوان المسلمين، بموافقة الأستاذ «حسن الهضيبي»، المرشد العام للإخوان المسلمين. وكان هو الموجِّه الفكري والتربوي له.

عُذِّب في محنته الثانية عام ١٩٦٥م عذاباً رهيباً، تقشعرُّ من هوله الأبدان. وحُوكم محاكَمةً جائرة ظالمة، أصدر بعدها الفريق «فؤاد الدجوي» حكماً بالإعدام، على سيِّد قطب واثنيْن من إخوانه.

استاءَ كثيرون في العالم الإسلامي من الحكم بإعدامه، وبخاصة العلماء والمفكِّرين والدعاة. وحاولوا التوسُّط لدى «جمال عبد الناصر» ليخفِّف الحكم.

ولكن «عبد الناصر» رفض كل تلك الوساطات، وصادَقَ على ذلك الحكم، وأَمَرَ بالمسارعة في تنفيذه!

نَفَّذَ زبانيةُ السجن الحربي الحكمَ في الشهيد سيِّد قطب، قبلَ بزوغ فجر يوم الاثنين ٢٩/٨/١٩٦٦م وفق ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ.

عاش سيِّد قطب تسعةً وخمسين عاماً، وعشرةَ أشهر، وعشرين يوماً، وقدَّر الله الحكيم له نهايةً سعيدة. حيث كَتَبَ له الموتَ شهيداً في سبيله ــ إن شاء الله ــ.

كتبَ اللّهُ لفكره الإسلاميِّ الحركيِّ القبول بعد استشهاده، واحتلَّ سيِّد قطب مكانةً عاليةً سامية، عند العلماء والدُّعاة والعاملين للإسلام.

ترك سيِّد قطب تسعةً وعشرين كتاباً في الأدب والنقد والفكر الإسلامي، على رأسها تفسيرُه «في ظلال القرآن»، الذي اعْتُبِرَ به مفسِّراً مجدِّداً ورائداً للفكر الإسلامي الأصيل[1].

* * *

(١) سوف نقوم بتوثيق هذه المعلومات في الفصول القادمة ــ إن شاء الله ــ.

تواريخ في حياة سيِّد قطب[٧]

نُقدِّمُ فيما يلي أهمَّ التواريخِ في حياة سيِّد قطب، التي وَقَفَ عليها الباحثون والدارسون، وسوف «نُوَثِّقُها» في المباحث التفصيلية القادمة بإذن الله.

وُلد في قرية «موشة» في ٩/١٠/١٩٠٦م.

دخلَ المدرسةَ الابتدائيةَ في القرية عام ١٩١٢. وتخرَّج منها حاملاً الشهادة الابتدائية عام ١٩١٨م.

انقطعَ عن الدراسة عامَيْن، بسبب قيامِ ثورة ١٩١٩م.

سافرَ إلى القاهرة، وهو في الرابعة عشرة من عمره، للدراسة فيها، عام ١٩٢٠م، وأقامَ عندَ خالِه «أحمد حسين عثمان» في حيِّ «الزيتون».

الْتحقَ بمدرسةِ المعلِّمين الأوليَّة في القاهرة، وكان اسمُها «مدرسة عبد العزيز» عام ١٩٢٢م، ودرَسَ فيها ثلاثَ سنوات، وتخرَّج منها، حاملاً إجازةَ «الكفاءة» للتعليم الأوَّليِّ.

وبسببِ تفوُّقِه في تلك الدراسة، التحق بمدرسةٍ ثانويةٍ، وهي «تجهيزيَّةُ دارِ العلومِ»، وكان لا يدخلُها إلَّا الطَلَبةُ المتفوِّقون، وكانت تُعِدُّ الطلبة للالتحاق بكليةِ دار العلوم. وكان التحاقُه فيها عام ١٩٢٥م.

التحقَ بكليةِ دار العلوم عام ١٩٢٩م، وتخرَّج فيها عام ١٩٣٣م، حاملاً شهادةَ البكالوريوس في الآداب.

عُيِّنَ مُدَرِّساً في وزارة المعارف، بتاريخ ٢/١٢/١٩٣٣م، وأوَّلُ راتب استلمه كان ستةَ جنيهات.

كـانَتْ أول وظيفـةٍ لـه في مـدرسـةِ «الـداووديّـة» في القـاهـرة، بتـاريـخ ١٩٣٣/١٢/٢م، وبقي فيها عامَيْن.

نقلتْه الوزارة ليعمل مدرِّساً في مدرسـةِ دمياط الابتـدائية، بتـاريخ ١٩٣٥/٩/١. ولكنَّ جوَّ «دمياط» لم يلائم صحَّته، فسعى لينتقل منها.

نقلتْهُ الوزارةُ إلى مدرسة بني سويف في ١٩٣٥/١٢/١م.

نقلتْـهُ الوزارةُ إلى مـدرسة «حَلْوان» الابتـدائية، بتـاريـخ ١٩٣٦/١١/١م، حيثُ بقي فيها أكثرَ من ثلاث سنوات.

استـأجـرَ بَيْتـاً جميـلاً في حَلْوان، منـذ ذلـك التـاريـخ، وبقي فيـه طيلة عمـره، هو وعائلته ــ أخوه وأَخَـواتُه ــ ، وعنـوانه: «٤٢ شـارع حيدر ـ حلوان». ثم اشتـراه من مالكه وتملَّكهُ.

نُقِلَ إلى وزارة المعارف بتاريخ ١٩٤٠/٣/١م، ليعمـل بوظيفـةِ «محرِّر عـربـي» في مراقبةِ الثقافة فيها.

نُقِلَ إلى إدارة الترجمة والإحصاء في الوزارة، بتاريخ ١٩٤٠/٤/١٧م.

عُيِّنَ مفتِّشـاً بالتعليم الابتـدائي في الوزارة، بتـاريخ ١٩٤٤/٧/١م، إثْـرَ مشكلةٍ بينه وبين السيِّد «أحمد نجيب الهلالي»، وزير المعارف، كادَ سيِّد قـطب يستقيلُ على إثرها، لولا تدخُّلُ الدكتور طه حسين، الذي كان مستشاراً في الوزارة.

أمضى تسعـةَ أشهر في التفتيش على المـدارس في الصعيد والـدِّلْتـا، وعـاد إلى الإدارة العامة للثقافة في الوزارة، في «أبريـل» ــ نيسان ــ ١٩٤٥م. وكـان رئيسُه فيهـا «أحمد أمين».

أَلَّفَ أولَ كتابٍ إسلامي ــ وهو كتاب «التصوير الفني في القرآن» ــ في «أبريـل» ــ نيسان ــ ١٩٤٥م.

بدأ يبتعدُ عن «عباس محمود العقاد» منذ عام ١٩٤٦م.

سافرَ في الباخرة إلى أمريكا، في مهمَّـةٍ ميدانيَّـة، للاطـلاع على مناهـج التعليم هناك، وكان سفرُهُ في ١٩٤٨/١١/٣م.

عادَ من أمريكا بعدَ أقلَّ من سنتيْن على وصوله إليها، حيثُ وصل بالطائرة إلى القاهرة بتاريخ ٢٠/٨/١٩٥٠م.

عُيِّن في وزارةِ المعارف بعد عودته، بوظيفةِ «مراقب مساعد» بمكتبِ وزير المعارف وقتها ــ إسماعيل القبَّاني ــ.

نُقِلَ إلى منطقةِ «القاهرة الجنوبية» في ٢٢/١٠/١٩٥١م.

أُعيد إلى وظيفتِهِ الأولى، «مراقب مساعد» في مكتب الوزير، للبحوث الفنيةِ والمشروعات، بتاريخ ١٧/٥/١٩٥٢م.

بعدَ الخلافَاتِ المستمرَّة بينه وبين كبارِ رجال الوزارة، بسبب وقوفهم في وجهه، ورفْضِهم لآرائه الإصلاحية ذات الصبغة الإسلامية، قدَّم استقالته إلى وزير المعارف ــ إسماعيل القباني ــ بتاريخ ١٨/١٠/١٩٥٢م.

وبما أنهُ التحق في الوظيفة في ٢/١٢/١٩٣٣م، فإنه يستحق أن يُحالَ إلى التقاعُد، بعد خدمةِ عشرين سنة كاملة، أي في ٢/١٢/١٩٥٣م.

وقد ضحَّى بوظيفته، وسنواتِ خدمته، التي بلغت ثمانية عشر عاماً وأحد عشر شهراً، ولو انتظرَ سنةً وشهراً لنال راتباً تقاعديّاً دائماً.

عزَّ على وزير المعارف «إسماعيل القباني»، تقديمُ سيِّد قطب استقالتَه، وحاولَ عدةَ مرات أن يُقنعهُ بالعُدول عنها، لكنّ «سيِّد» أصرَّ عليها. وأخيراً رفعَها الوزير إلى مجلس الوزراء، ونَسَّبَ بأن تُضافَ إلى خدمته المدةُ القانونية المتبقية، ليستحقَّ الراتبَ التقاعدي.

لكنَّ مجلس الوزراء ــ المُكَوَّن من رجال الثورة، والذي كان برئاسة جمال عبد الناصر ــ وافق على قبول الاستقالة من تاريخِ تقديمها بتاريخ ١٨/١٠/١٩٥٢م، ليَحْرم سيِّد قطب من التقاعُد، وكانت موافقتُهُ عليها بتاريخ ١٣/١/١٩٥٤م.

كان الاعتقالُ الأول لسيِّد قطب في مطلع عام ١٩٥٤م، وبقيَ معتقلاً ــ مع قيادات الإخوان المسلمين ــ ثلاثة أشهر.

اعتُقِل الاعتقالَ الثاني، بعد مسرحيَّةِ حادث «المنشيَّة» في ٢٦/١٠/١٩٥٤م،

مع الألوف من «الإخوان المسلمين»، الذين اتُّهموا بمحاولةِ اغتيالِ «جمال عبد الناصر».

قُدِّم سيِّد قطب للمحاكمة عام ١٩٥٥م، وحَكَمت عليه المحكمةُ بالسجن خمسةَ عشر عاماً.

توسَّطَ الرئيسُ العراقي «عبد السلام عارف» لدى جمال عبد الناصر، للإفراج عن سيِّد قطب، وأُفرجَ عنه بعفوٍ صحّيّ عام ١٩٦٤م.

أعلن عبد الناصر ـ من موسكو ـ عن اكتشاف مؤامرةٍ، دبَّرها الإخوان المسلمون بقيادة سيِّد قطب، لاغتياله وقلْبِ نظام الحكم، وأُعيد اعتقال سيِّد قطب في ١٩٦٥/٨/٩م.

بدأ التحقيقُ مع سيِّد قطب في السجن الحربيّ في ١٩٦٥/١٢/١٩م، واستمرَّ ثلاثة أيام.

بدأتْ محاكمةُ سيِّد قطب في ١٩٦٦/٤/١٢م، وكان قاضي المحكمة هو الفريق «محمد فؤاد الدجوي».

أصدرَ الدجويُّ حكمَ الإعدام على سيِّد قطب في ١٩٦٦/٨/٢١م.

تمَّ تنفيذُ حكْمِ الإعدام فيه ـ وفي أخَوَيْهِ: محمد يوسف هواش، وعبد الفتاح إسماعيل ـ في سرعةٍ فائقة، بعد أسبوع من إصدار حكم الإعدام، وهذا لم يحدث في تاريخ المحاكم من قبل؛ حيث كان التنفيذ ليلةَ الاثنين ١٩٦٦/٨/٢٩م.

* * *

تمهيد

نشأة سيد قطب

" قـــريـــته "

قلنـا إنَّ ولادة سيِّد قـطب، كانت في قـريةِ «مـوشة»[1]، إحـدى قـرى محـافـظةِ أسيوط، في صعيدِ مصر.

وتُسمّى بلدَ «الشيخ عبد الفتاح»، لأنه أحدُ أوليائها، وله مقامٌ بارز فيها[2].

ومعـظمُ سكانِ القـرية من المسلمين، لكنْ يسكنُ معهم بعض النصـارى، ولهم ديرٌ أثريٌّ قديم، يقعُ في حضْن الجبل، ويبتعدُ عن القريةِ خمسةَ كيلومترات.

وهو ديرٌ قديم، ذَكَرهُ المؤرخُ المقريزيُّ في كتابه «الخطط المقريزية» وسماهُ «ديرَ موشة»[3].

وللنصارى كنيسةٌ في القرية[4].

موقـع القـرية

تقعُ القرية بين جبلين صغيريْن، يُحيطانِ بها وبأراضيها الزراعية.

وبمـا أنَّ القريـةَ تقعُ أيضـاً على جانب نهـر النيـل، وبمـا أنـه يمـرُّ من أراضيهـا الـزراعية، فقـد امتازتْ بـالعديـد من البساتينِ التي تُـزرع فيها مختلفُ أنـواعِ الخضار والفواكه، وكانت تلكَ البساتين أكبرَ من عدد الأيدي العاملة فيها[5].

---

(١) بعضهم يكتبها «موشة» بالتاء المربوطة. وبعضهم يكتبها «موشا» بالألف.

(٢) طفل من القرية: ٨٦.

(٣) الخطط المقريزية ٣: ٤١٧.

(٤) طفل من القرية: ١٤٤ و ١٨٤. والأطياف الأربعة: ٨٥.

(٥) طفل من القرية: ١٨٢.

ثلاثة مواسم زراعية في القرية

وتمرُّ القريةُ كلَّ عام بثلاثةِ مواسم زراعيـة، يفرحُ فيهـا أهالي القـرية، ويتـأثَّرون ـ صِغـاراً وكباراً ـ بمـا تـوحيـه إلى نفـوسهم من إيحـاءات، وتُقـدِّم لهم من إشـارات ولفتات.

والمواسمُ الثلاثة هي: موسمُ اللَّوْقِ، وموسم الحَصاد، وموسمُ جَنْيِ القطن.

أما موسما الحصاد وجني القطن، فهما معـروفان للقـارىء. لكنَّ موسم «اللَّوْق» يحتاج إلى توضيح.

إن اللَّوْقَ يحـدثُ عنـد فيضـانِ نهـر النيـل في الصيف، فيغمـرُ كـلَّ الأراضي الزراعية، ويرتفعُ المـاءُ فيها إلى متـر أو متريْن أو أكثـر، وتكونُ القـرى كأنهـا جُزُرٌ في وسْطِ البحر، لا يتنقلُ الناس بينَها إلا بصِغارِ المراكب وخِفافِ القوارب.

وكـان منظرُ الميـاهِ تغمرُ الأراضي من الجبـل للجبـل، مؤثِّـراً في نفـوس أهـالي القرية، حتى لقدْ سمعَ سيِّدُ قطب ـ وهو صغير ـ أحدَ الأهالي يُودِّع المياه العـائدةَ إلى مجرى النيل، حيث وَصفَ النيل ـ بعفويَّة فطريَّة ـ قائـلاً: «مَسْكين. خَلاصْ هَمَـدْ!» وكأنَّ الرجلَ يتحدثُ عن إنسانٍ حيّ، تربطهُ به آصرةُ القربى، وصلةُ العائلة[١].

وكان سيِّد قطب في طفولته، يفرحُ لمنظر المياه الجميل، وكان أكثرَ فرحاً عندمـا يرى مدرستَهُ تتحولُ إلى شبْه جزيرة، يُحيطُ بها المـاءُ من ثلاثِ جهـات، وتبقى الجهةُ الرابعة مَمَرّاً برّياً يصلُها بالقرية.

وبعدَ انحسار الماء، يخرجُ المزارعونَ والعمال لزَرْع الأراضي.

وكـان «سيِّد قـطب» يخرجُ إلى مـزارعِ والدِه الـواسعة. لا ليـزرعَ ويحرث، بـل ليلهوَ لهوَ الأطفال، ويستمتعَ بما يراه من مناظرِ الجَمال.

لقد كان عالَمُ الحقل الذي دَرَجَ فيه سيِّد، عالَماً جميلاً سَاحراً، واسعاً ممتداً.

---

(١) طفل من القرية: ١٨١ ـ ١٨٢.

بيوت القرية وبساتينها وأشجارها

أما بيوت القرية، وممراتُها وأزقّتُها، فلم تكن تخلو من الأشجارِ الباسقة الجميلة.

وبيتُ العائلة الذي عاش فيه سيِّد، فيه أشجارٌ بديعة، منها نخلتان شاهقتان، تهزُّهما الريح، فتأتيان بحركة عجيبة متناسقة، تؤثِّر في نفسية الطفل سيِّد وإحساسِه وفؤاده[1].

والمدرسة التي درسَ فيها سيِّد، فيها شجرتان ظليلتان، وفيها أزهارٌ جميلة، منها زهرة «دقن الباشا» المعطَّرة، التي لا مثيل لها في القرية[2].

كانت قريتُهُ «موشة» ثريةً، معروفةً بالثراءِ والرقيِّ والنظافة، بالقياس إلى القُرى الأخرى المجاورة.

ورغمَ سَعَة أراضي القرية الزراعية «فلم تكنْ الملكياتُ الكبيرة ــ التي تُشبه الإقطاع ــ معهودةً فيها، فأكبرُ ملْكيَّة زراعية لم تكن تتجاوزُ المائتي فدان، وقلَّ أن يكون في القرية فردٌ أو بيت، لا يملكُ قطعةَ أرض، صغيرةً أو كبيرة»[3].

العلاقات الاجتماعية بين أهل القرية

والفوارقُ الاجتماعيةُ بين أهالي القرية كانت شبهَ معدومة، حيث حلَّ محلَّها الودُّ والمساعدة، فعاشَ الأهالي فيما بينهم، بِلا حِقْد طبقي، أو استعباد الآخرين.

لم يكنْ هناك خدمٌ في القرية، بالمعنى المعروف في المدينةِ أو بعضِ القرى والضِّياع الأُخرى، حيث كان الخادمُ يهبط إلى منزلة الرقيق.

كان الخادمُ في القرية «إنساناً فقيراً محتاجاً إلى العمل، لكنَّه لا ينطق كلمةَ «سيِّدي» المقيتة، بل يستعيض عنها بكلمةِ «عمّي» لصاحب البيت، وامرأةِ عمي

(١) الأطياف الأربعة: ١١٥.
(٢) طفل من القرية: ٤١.
(٣) المرجع السابق: ١٨٢.

لسيدته. ثم هو يعمل في الدار أو في الحقلِ وفي تـربيةِ المـواشي، طوالَ اليـوم، فإذا جنَّ الليل عاد إلى بيتهِ، كما يعودُ أيُّ سيِّد»[1].

مستوى المعيشة في القرية

أما مستوى المعيشةِ في القرية فهو مستوى معقول ــ بالقياس إلى القرى الأُخرى ــ، ودرجتُـه متوسـطةٌ من حيث أصناف وألـوان الـطعـام، من الحبـوب واللحـوم والخضـار والفواكه.

كان لكلِّ أسرة في القريـة بيتٌ مملوك، صغيراً كـان أو كبيراً، والأكـواخُ الطينيـة لم تكن معروفةً فيها، إذ أنَّ معظمَ بيوتِها مبنيةٌ بالطّوب الأحمر، وبعضُها من اللَّبِن.

ومعظمُ البيوت يتكوَّن من طابقَيْن أو ثلاثة. وقد يصلُ إلى أربعةِ طوابق، وندرَ أن يتألف البيت من طابقٍ واحد[1].

مصير بيتهم في القرية

وأما بيتُ العائلةِ، الذي عاش فيه سيِّد طفولتَه وصِباه، فقد كان فسيحاً جميلاً. وصفَهُ سيِّد كما وصفَهُ إخوتُه الأطياف[2].

ولكنَّ هـذا البيت، لم يستمرّ مِلكـاً للعائلة، فقـد اضطُرَّ والـدُه إلى بيعِـه، تحت ضغطِ الدَّيْن والحاجة، وكان المشتري أحدَ أقباطِ القريـة. وقد تهـدَّمَ البيتُ بعد مـوتِ المشتري، لأن ورثَته أهملوه ولم يعتنوا بـه[3].

وكـان وَقْعُ بيـعِ البيتِ شديـداً، على نفوسِ جميـعِ أفـرادِ العـائلة، فهـو بيتُهم الأليف، الذي نشأ فيه الجدُّ والأب والأم والأولاد، وللجميع فيه ذكرياتٌ وأحلام!

* * *

---

(١) طفل من القرية: ١٨٣.

(٢) انظر وصف سيِّد للبيت في «طفل من القريـة»: ٢٠٤ ــ ٢٠٥. ووصف محمد لـه في «الأطياف الأربعة»: ١١٥ ــ ١١٦. ووصف أمينة له في «الأطياف»: ٨٩ ــ ٩٠.

(٣) الأطياف الأربعة: ٨٥.

«أصــــله»

أصـله هنـدي

اختلفَ الـذينَ كتبوا عن حيـاةِ سيِّد قـطب، في تحديـدِ أصْله. هل هـو مصـريُّ الأصل، أم هِندي؟

فمنهم من نفى كونه هنديَّ الأصل، ورجّح أنه مصريٌّ صميم.

لكن كثيرين أثبتوا أنه هندي الأصـل واعتمدوا في ذلـك، على كلامِ سيِّـد قطب نفسه.

فعندما قابله السيِّد «أبو الحسن علي الحَسَنيّ الندْوي» في مصـر، عام ١٩٥١م، أخبره بأنـه يرغبُ في زيـارةِ الهند، ونقـل الندْويُّ كـلامَه لـه بالحـرف: «وأمّا البـاعثُ الطبعي، فلأنَّ جدَّنا السادس كان هندياً، وهو «الفقيرُ عبدُ الله» ولا تزال السَّحنة الهنديةُ موروثَةً في أُسرتنا»[١].

محمد قطب ينفي هذا

ورغم أن سيِّد قطب قدَّم الدليلَ على أن العائلة جـاءت من الهند، حيث ذكـرَ اسمَ الجدِّ السادس القادمِ من هناك، إلَّا أن شقيقه الأستاذ محمـد قطب نفى هـذه الحكايـة ـ عندما قابلْتُه في منزله في مكة المكرمـة ـ وقال: إنَّهـا مجرَّدُ ظنّ، مبعثُـه أنَّ تقاطيـعَ وجوه العائلة قريبةُ الشَّبـه بتقاطيـعِ وجوه أهـل الهند، فقـالوا: لعـلَّ أحدَ أجـدادِهم قد

(١) مذكرات سـائح في الشـرق العربـي، للنـدوي: ١٥٣. وورد الاسم في الكتاب «عبيـد الله» وهو تصحيف. والصحيح أنه «عبد الله» كما أخبرني الأستاذ محمد قطب.

هاجر من الهنـد. وحمل كـلامَ شقيقِه للنَّـدْوي، على أنه من بـاب المجاملةِ والـدعابـة فقط.

وأنـا أميلُ إلى الأخْـذِ بكلام سيِّـد، لأنه حـدَّد اسمَ الجدِّ القـادم من الهند، ومَنْ حفظَ حجَّةٌ على مَنْ لم يحفظ!

علماً بأن نَسَبَهُ الحقيقيَّ هو الإسلام، لأن جنسيةَ المسلم عقيدتُه!.

* * *

«أُسْــرتــه»

مركز الأسرة في القرية

حدَّثَنا سيِّد قطب عن أسرتهِ، وعن مركزِها المرموق في القرية:

«نشأ في أسرةٍ ليستْ عظيمة الثراء، ولكنها ظـاهرةُ الامتيـاز، كانت في وقتٍ من الأوقات عظيمةَ الثروة، ولكنها توزعتْ وتضاءلتْ بالميراث، وبقيَ لوالِدِه قدرٌ لا بأس به منها، ولكنه كان يتناقصُ دائماً.

كان والدُه قد صارَ عميدَ الأسرة المكلَّفَ حِفْظَ اسمِها ومركزها، في الوقت الذي لم ينلْهُ من الميـراث إلَّا نصيبٌ محـدود، لا ينهَضُ بمـا كـانتْ تنهضُ بـه ثـروةُ الأسـرة مجتمعة، على حين لا يستطيعُ أن يُنْقِصَ شيئاً من تكاليف المظهر في الريف»[١].

أُسـرة والـدته

أما مركزُ أُسرةِ والدته، فيحدِّثُنا عنه قائلاً:

«وكانتْ والدتُه من أسرةٍ مماثلة أو أعرق. وقد وقع لها ما وَقَعَ لأسرةِ الوالد، حرفاً بحرف. ولكنه زاد عليهـا، أن اثنيْن من أخوالِـه كانـا قد أُوفِـدا إلى الأزهر من القـرية، شأنَ غالبيةِ الأُسر الريفية الثرية. فأنشأ هذا في الأسرةِ شيئاً من الرقيِّ العلميِّ، بجـانب الوجاهَة الريفية.

يضافُ إلى هذا كلِّه، أن جدَّه لوالدتِه كان قد قَضى شطراً من حياته في القاهرة.

(١) طفل من القرية: ٢١.

هو وزوجتُه، حتى إذا عادَ إلى القرية، أنشأ فيها بيْتاً يقربُ من بيوتِ العاصمة، على قدْرِ الإمكان، في نظامِه وتنسيقِه وتقاليدِه ومستواه.

في هذه البيئة نشأ. وكلُّ ما حولَه يشعرُه أنه مِنْ وسطٍ آخر، غيرِ وسط القرية»[1].

الدَّور الاجتماعي للأسرة

جمعتْ أُسرتُه في القريةِ بيْنَ الوجاهةِ الريفيَّة والرُّقيِّ العلميّ.

وكانَ أهلُ القرية ينظرونَ لوالِدِه ــ عميدِ الأسرة ــ بعيْنِ الإكبارِ والإجلال، حيثُ احتلَّ مركزاً مرموقاً عندهم.

وبعضُ أهلِ القرية يأتونَ إلى الأسرة، يحيطونَ بها كخَدَم وأعوان.

والعمَّالُ «الأغرابُ» القادِمون للعمل في مزارع القرية، يفضِّلون العملَ في مزارع الأسرة.

وموظَّفو الدولة الذين يعمَلون في مزارعها، يتردَّدون على الأسرةِ باستمرار.

والحفلاتُ التي تُحييها الأسرةُ دائماً، يحضُرها أهل القرية، والولائمُ الكبيرةُ التي تُقامُ في المواسم، ويُتْلى فيها القرآن، تتكرَّر عند الأسرةِ أكثر من مرةٍ في السنة.

* * *

(١) طفل من القرية: ٢١ ــ ٢٢.

« والـــــده »

والدُه هو الحاج قطب إبراهيم، ويمكنُ أن نتعرَّفَ عليه، من خلالِ مـا كتبه عنـه الإخوة في كتابهم المشتَرَك «الأطياف الأربعة».

والده عميد الأسرة

كان والدُه «عميداً» للأسرة، حيث ورثَ هذا المنصبَ عن أبيـه. وهذه الـوَجاهـةُ تتطلَّبُ منه أن ينفقَ الكثير لكيْ يحافظَ على منزلة الأسرة، وكان ما بين يديْه من المال، لا يكفي لتلكَ التكاليفِ والنفقات، لذلك كـان يضطرُّ لبيـعِ بعضِ قطع الأراضي التي ورثها، وصار يبيعُها قطعةً قطعة كلَّما وقع في ضائقة ماليـة، وما وجـدت الأسرةُ لنفسهـا في النهاية قطعةَ أرض تـزرعُها! ولقـد اضطرَّ الـوالدُ في نهـايةِ المـطاف، إلى بيعِ بيتِ العائلة الكبير!

وكان وقعُ البيعِ شديداً على والدته، وعلى نفسِه الصغيرة أيضاً، وعلى إخوته.

وكانت أمُّهُ تُعِدُّه ليعيدَ لـلأسرة مـا فُقِدَ منهـا بالبيـع. ولذلـك أرسلتْه إلى القـاهرة ليتعلَّم ثم يحصلَ على وظيفة، ويدَّخر ما يكفي من المال، ليشتري ما باعَه أبوه[1].

من سجايا والده الطيبة

كان والده كـريماً مِضْيـافاً، ينفقُ الكثيـرَ على أولاده وأهلِ بيتـه، لا يبخلُ عليهم بشيء، وكان أسبق الجميع في إحضار أحدثِ أصناف الخضار والفواكه إليهم[2].

(١) انظر «طفل من القرية»: ٢٠١ ــ ٢٠٨.

(٢) المرجع السابق: ١٢٩.

كان عند والدِه عددٌ من الخدم. لم يكونـوا خدَمـاً بالمعنى المعـروف، بل كـانوا خَدَماً من نوعٍ خاص، وهم فقراءُ من أهلِ القرية، يعملون عنـد العائلةِ مُقـابل «أَكْلَةٍ» أو بعضِ المـلابس أو بعضِ الـوقـود والتبن والحـطب، أو بعضِ الحبـوب في نهـايـة الموسم.

وكـان والدُه يـرفضُ أن يكونَ هؤلاءِ الخـدمُ أذلّاءَ أمامَـه، ولا يقبلُ أن يخـاطِبـوه بكلمـة «سيِّدي» التي تنضـحُ بالـذل، ويطلب أن ينـاديه الصغـارُ بلقب «عمّي الحـاج» والكبارُ بلقب «الحاج»[1].

وكان والدُه يكرمُ العمّال «الأَغراب» الذين يعملون في أرضه. وكان يـطعمُهم من نفسِ طعام العائلة. وطالبهُ هؤلاء مرةً بأن يـأكلوا على حسابهم مقـابِلَ زيـادة أُجرتهم، فمنحهُم الزيادَة واستمرَّ يقدِّم الطعامَ لهم[2].

ومن مظاهرِ كرمِ والدِه، الولائمُ العديدة التي يُعدُّها في بيته سنويّاً، وبخاصة في العيدَيْن وعاشـوراء ونصف شعبان وذكـرى الإسراء والمعـراج. وكان يجتمـعُ في البيت القراءُ يقرءون القرآن، وبعد الختمة يقدِّمُ للقراء والحضور، أجودَ أصنافِ الـطعام، في الإفطار والغداء والعشاء[3].

اهتمامات والده السياسية

كان والدُه متنوِّراً، عنده إلمامٌ بنواحي المعرفة والثقافة. وعنده وعْيٌ سياسي!

كان من قرّاء الصحف، مشتركاً في صحيفـةِ الحزبِ الـوطني اليوميـة: «اللواء». وكان عضواً في لجنةِ الحزب الوطنيِّ في القرية. وكان والدُه حزبيّاً نشيطاً، حيث جعـلَ من بيته مركَزاً سياسياً، وميداناً للتثقيف الجماهيري، يَفِدُ إليه أهلُ القرية لقراءةِ جريـدة «اللواء»، والاطلاع على آخرِ الأخبارِ العالمية والمحلية[4].

---

(١) طفل من القرية: ٨٠.

(٢) المرجع السابق: ١٩٢ ــ ١٩٦.

(٣) المرجع السابق: ٧٥ ــ ٧٩.

(٤) المرجع السابق: ١٤٥ ــ ١٤٧.

وكانَ لوالـدِه دورٌ في التحَّضير لثـورة ١٩١٩م في القريـة، فقد عَقَـدَ اجتماعـاتٍ عديدةً علنيَّة ــ وبعضُها كان سرياً ــ في البيت، وتدارَسَ المجتمعون فيها خطَّةَ الثورة، وأساليبَها في القرية(١).

إسلاميات والده

كانتْ علاقةُ والدِه بالله قويّةً متينة، فقد كان متديِّناً، محافظاً على الصلاة، وغالِبـاً يؤديها جماعةً في المسجد، وكان كثيراً مـا يصطحب طفلَه «سيِّـد» معه للمسجـد. ولما كبرَ سيِّد ونـاهزَ العـاشرة من عمـره صارَ يـذهبُ للمسجد، ويحـرصُ على أداءِ الصلاة جماعةً فيه(٢).

وقد أدّى فريضـةَ الحج، ومعـروفٌ بين الناس بلقب «الحـاج»، وهذا دليـلٌ على قوةِ عقيدتِه، وحرصـهِ على نيل مـرضاة ربـه، إذ ما كـان يؤدي فريضـةَ الحج في ذلـك الزمان إلّا القليلُ من الأغنياء، الذينَ عَمَرَ اللَّهُ قلوبَهم بالإيمان.

وكانَ يُكثر من الصـدقة في سبيـل الله، على الفقراء والمسـاكين، ومنهم مَنْ كانَ يجلسُ معـه في البيت، يأخذُ نصيبَه من الطعام.

ومن مظاهرِ تديُّنِه والتزامِه بإسلامه، حفلاتُ «ختم القـرآن» التي كان يعقـدُها في بيته باستمرار، وبخاصةٍ في شهر رمضان.

لم تفارق الآخرةُ حسَّه، فكانت هي المسيطرة على حركاته وأعماله، وقـد أهدى «سيِّد» له كتابَ «مشاهد القيامة في القرآن» وقال له فيه: «لقد طبعتَ في حسّي ــ وأنـا طفل صغير ــ مخافةَ اليوم الآخر، لم تَعِظْني أو تزجُـرْني، ولكنك كنت تعيشُ أمـامي، واليومُ الآخر في حسابك، وذكراه في ضميرِك، وعلى لسـانك. كنت تعلِّلُ تشـدُّدَك في الحق الذي عليك، وتسامُحَك في الحق الذي لك، بـأنك تخشى اليـومَ الآخر. وكنتَ

---

(١) طفل من القرية: ١٤٥ ــ ١٤٦.

(٢) المرجع السابق: ١٢٠.

تعفـو عن الإساءةِ، وأنت قـادرٌ على ردِّها، لتكـونَ كفارةً لـك في اليوم الآخـر. وكنت تجودُ أحْياناً بما هو ضرورةٌ لك، لتجدَه ذُخْراً في اليوم الآخر.

وإن صورَتَكَ المطبوعـة في مخيِّلتي، ونحنُ نفرَغُ كـلَّ مساء من طعـامِ العَشاء، فتقرأُ الفاتحةَ وتتوجَّهُ بها إلى روحِ أبوَيْكَ في الـدارِ الآخرة، ونحنُ أطفـالُك الصغـار، نتمتمُ مثلَكَ بآياتٍ منها متفرِّقات، قبل أن نُجيدَ حِفْظَها كاملات» [1].

* * *

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن: ٥.. باختصار.

«والدته»

والدةُ سيد قطب من أسرة مرموقة في القرية، عاشتْ مع والدها فترةً في القاهرة، قبل أن يعودَ بالأسرة إلى القرية، ويستقرَّ فيها.

كان لها إخوةٌ أربعة، اثنان منهم دَرَسا في الأزهر الشريف، فجمعت الأسرةُ بذلك بين الوَجاهة العلميَّة والوجاهة الدينيَّة.

أحدُ أخوالِه هو «أحمد حسين عثمان» الذي درسَ في الأزهر، واستقرَّ في القاهرة ـ في حيٍّ «الزيتون» ـ واشتغَل في الصحافة، وكان يكتبُ باسم «أحمد الموشي» نسبةً إلى القرية «موشة»، وكان منتمياً إلى حزب الوفد.

وقد أقامَ «سيد» عنده، عندما قَدِم للدراسة في القاهرة(١).

تديُّنُها

كانت والدتُه امرأةً مؤمنةً متديِّنة، متَّصفةً بصفات المؤمنات.

فرغمَ أن أملاكَ الأسرة بيعتْ عن آخرها، إلا أَنها لم تجزع، بل صَبَرتْ واحتسبتْ، وعاشتْ على الأمل والثقة واليقين.

كانت كريمةً، كثيرةَ الصدقة في سبيل الله، تقومُ بنفسها بإعداد الطعام للعمّال في المزارع، وللقرّاء الذين يأتون للقراءة في البيت، وتُجْهِدُ نفسها في هذا كله، وهي راضيةُ النفس، لأنها تتقربُ إلى الله بهذا العمل(٢).

---

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب عندما قابلته في مكة.

(٢) طفل من القرية: ١٩٢.

كانت تحبُّ سماع القرآن، وتتأثرُ بذلك. وقد أخبَرَنا سيِّد عن ذلك عندما أهداها كتابَه الإسلاميَّ الأوَّل: «التصوير الفني في القرآن» حيث قال:

«لطالما تسمَّعْتِ مِنْ وراءِ «الشّيش» في القرية، للقـرّاء يرتِّلون في دارنـا القرآن، طـوال شهر رمضـان. وأنا ــ معـك ــ أحاولُ أن ألغـو كالأطفـال، فتردُّني منـك إشـارةٌ حـازمة، وهمسـةٌ حاسمـة، فأنصتُ معـك إلى الترتيـل، وتَشربُ نفسي مـوسيقاه، وإن لم أفهم بعدُ معناه.

وحينمـا نشأتُ بين يـديك، بعثتِ بـي إلى المـدرسةِ الأوَّليـة في القريـة، وأُولى أمـانيكِ أن يفتـحَ الله عليَّ فأحفظَ القـرآن، وأن يرزقني الصـوتَ الـرخيم، فـأرتِّله لـك كل آن.

ولقد رحلتِ عنّي ــ يا أمّاه ــ وآخرُ صـورِكِ الشاخصـة في خيالي، جلستُـكِ في الدارِ أمام المذياع، تستمعين لِلتَّرتيل الجميل، ويبدو في قسمات وجهِك النبيـل، أنكِ تُدرِكين ــ بقلبِك الكبير وحسِّك البصير ــ مراميه وخفاياه»[١].

اهتمامها بسيد

كانتْ والدتُه هي الزوجةَ الثانية لأبيه، حيث سبقَ أن تـزوجَ امرأة قبلَهـا، أنجبتْ له ولداً ــ وهو أخٌ غيرُ شقيق لسيِّد ــ.

وكان «سيِّد» أوَّلَ مـولودٍ ذكـر لها، ولـذلك اعتنتْ بـه عنايـةً فائقـة، حيث جعلتْهُ محطَّ آمالِها، وبنَتْ شخصيَّتَه على الإيمانِ والعزةِ والكرامة وتحمُّلِ المسؤولية.

كانت تريـدُ منه أن يكـونَ رجلاً حتى قَبْـلَ أوانه[٢]. لـذلك كـان يهربُ من كـل مـظاهر الـطفولـة، حتى في طفولتـه، ويعزو السببَ إلى «الكبـرياء التي أودعْتِنِيهـا منـذُ الطفولة، فجعلَتْني أهربُ من كل مظاهرِ الطفولة»[٣].

---

(١) التصوير الفني في القرآن: ٥.

(٢) انظر حديثها له في «طفل من القرية»: ٢٠١ ــ ٢٠٨.

(٣) الأطياف الأربعة: ١٦٦.

وقد توفيَتْ أمُّهُ بعدما استقرتْ معه في القاهرة، وكانت وفاتُها عام ١٩٤٠م[١].

وقد رثاها سيِّد رثاءً حاراً، وبيَّن في رثائِه بعضَ ما غرسَتْه في نفسه:

«أمّاه..

منْ ذا الذي يقصُّ عليَّ أقاصيصَ طفولتي، كأنها حادثُ الأمس القريب، ويصوِّر لي أيامي الأولى، فيعيدُ لها الحياة، ويبعثُها مرةً أخرى في الوجود؟.

لقد كنتِ تُصَوِّرينَني لنفسي كأنما أنا نسيجٌ فريد، منذُ ما كنتُ في المهْد صبيّاً. وكنتِ تُحدِّثينني عن آمالكِ، التي شهدَ مولدُها مولدي، فينسربُ في خاطري أنني عظيم، وأنني مطالَبٌ بتكاليف هذه العظمة، التي هي من نسيجِ خيالك، ووحي جنانك. فمن يوسوس إليَّ بعد اليوم بهذه الخيالات الساحرة، ومن ذا يوحي إليَّ بعد اليوم بتلك الحوافز القاهرة؟»[٢].

* * *

(١) الأطياف الأربعة: ١٦٨.

(٢) المرجع السابق: ١٦٧.

« إخـوتـه »

تـزوجَ والدُ سيِّـد قطب زوجتيْن. أنجبت الأولى ولـداً، أشـار لـه سيِّـد في عـدةِ مواضعَ من كتابه «طفل من القرية»[1].

أمـا الثانيـة ــ أمُّ سيِّد ــ فقـد أنجبتْ خمسةَ أولاد: ابنيْن وثـلاثَ بنـات. وهم: نفيسة، وسيِّد، وأمينة، ومحمد، وحميدة.

« نفيســة »

هي المولودةُ الأولى. وتكبَرُ سيِّد بثلاثة أعوام[2].

وقد أشارَ لها سيِّد في كتابه «طفل من القرية»، بدون ذكْر اسمِها[3].

وليس لها اشتراكٌ في الأعمال الأدبية، كباقي إخوتها «الأطياف الأربعة».

نفيسة الممتحنة الصابرة

وقد تزوجتْ «نفيسة» من السيد «بكر شافع».

ونالها نصيبٌ من المحنة، كباقي هذه الأسرة المجاهدة، حيث سُجنتْ وعُذِّبت، كمـا سُجن ولداهـا وعُذِّبـا، وتمَّ تعذيبُ ولـدها «رفعت»، الـطالبِ في كليـة الهنـدسـة بجامعة القاهرة، تعذيباً رهيباً، بتهمةِ قيامهِ بـدور الوسيط، بين خـاله «سيِّـد» وبين باقي

---

(١) طفل من القرية: ٣٣، ١٥٦، ٢٠٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٠٢.

(٣) المرجع السابق: ٢٠٤.

قيادة التنظيم الإخواني، وأرادوا منه أن يشهدَ ضدَّ خاله، وأن يعترف بما لم يحصل، ولكنه ثبتَ وصبر واحتسب، ولم يحتمل جسدُه التعذيبَ الشديد، ففاضتْ روحُه الطاهرة، ولقي اللّهَ شهيداً في السجن الحربي.

وفُجعت «نفيسة» في ابنها «رفعت»، لكنها صَبرت واحتسبتْ.

وقد عَذَّبوا ابنَها الثاني «عزمي»، الطالب في كلية «الطب» وقتها، وكادَ يَموت في السجن[1].

وقد تخرَّجَ «عزمي» بعد ذلك في الجامعة، حاملاً شهادة «البكالوريوس» في الطب.

« أمينة »

هي المولودةُ الثالثة. وكانت تصغر «سيِّد»[2].

ولأمينةَ اهتماماتٌ أدبية، ومشارَكات في أعمالٍ أدبية، حيث شاركتْ إخوتَها في كتابهم المشترك «الأطياف الأربعة» وعرَّف علَيها «سيِّد» في الكتاب قائلاً: «تلكَ الفتاةُ الهادئةُ «أمينة»، إنها ساربةٌ في الماضي، لا تكادُ منه تعود، إنها شاعرة، ثروتُها من التصوُّرات، أجزلُ من ثروتِها في التعبير. إنها مستغرقةٌ في حُلْم: بالمستقبل الذي لا تملك، وبالماضي الذي لن يعود»[3].

وكانت مشاركتُها في كتاب «الأطياف الأربعة» بأقاصيصَ قصيرة لها.

قصتان لأمينة

و «أمينة» تكتبُ في القصة، وفي الشعر.

ففي القصة أصدرتْ مجموعتيْن:

الأولى: «في تيار الحياة». حيث ضمَّتْ اثنتيْ عشرةَ أُقصوصة، وقد أهدتْها إلى

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر، لجابر رزق: ١١٥.

(٢) طفل من القرية: ٢٠٢.

(٣) الأطياف الأربعة: ٨.

شقيقيْها سيِّد ومحمد. وقالتْ لهما في ذلك إهداء: «يا شقيقيَّ الحبيبيْن: إليكُما أهدي هذه الأقاصيص. إن في بعضِها صرخـاتٍ في التيه. قبـلَ أن تبدو لعينيَّ معـالمُ الطريقِ المأمون. وفي بعضِها الآخر خطواتٌ متعثِّرة، في منحنيـاتِ الطريق الـطويل. فتقبَّـلاها مني. ريثَما أتحسسُ المعالم والسمات، وأُدربُ قدميَّ على مشاقِّ الصعود»[1].

وقد تعرفتْ «أمينة» بعد ذلك على الطريق، ودرَّبَتْ قـدميْها على مشـاقِّ صعوده، فصعدتْه بخُـطاً واثقة، وتحملتْ مشاقَّه وأهوالَه، وأخذتْ نصيبَها من السِّجن والتعـذيبِ والمحنةِ والابتلاء، فصبرتْ واحتسبتْ، وخرجتْ من السجن أقوى إيماناً من قبل.

الثانية: مجموعةُ «في الطريق». ويظهرُ فيها توجُّهُها وتصوُّرها الإسلاميُّ واضحاً. حيث قـالتْ هي عن ذلك: «ومن ثم كـانتْ مجموعـةُ أَقاصيصي الثـانيـة «في الـطريق» محاولةً أوَّلية، لإيجادِ قصةٍ نظيفة، تأخذُ طابعاً إنسانياً، يُلَوِّن أحاسيسَه الإسلامُ والوجودُ الإيماني في داخله»[2].

وقد اختارَ شقيقُهـا «محمد» إحـدى أقاصيص هـذه المجموعـة ــ وهي أقصوصـةُ «المصير» ــ نموذَجاً للقصةِ الإسلامية القصيرة، في كتابه «منهج الفن الإسلامي».

وقال عن «أمينة»، في تعليله لذلك الاختيار: «هل أحتـاجُ أن أعتذرَ للقُـراء، عن اختيارِ نماذجَ فنية لأشخاصٍ، تـربطني بهم صلةُ القـربـى القريبـة، صلةُ الأُخوَّة؟ لقـد جرى «العرفُ» على الاستنكافِ من هذا الأمر. ولكني لا أجدُ حـرجاً من مخـالفةِ هـذا العرفِ في مجال الفن.

فقـد رأى النقادُ ــ قبلي ــ أن هـذه الكاتبـةَ، يتمثـلُ فيهـا ــ وربمـا لأول مـرة ــ محاولةُ التعبير بالقصةِ عن الحياةِ من خلال التصـور الإسلامي»[3].

---

(١) في تيار الحياة: ٣.
(٢) رسائل إلى شهيد، لأمينة قطب: ٩ ــ ١٠.
(٣) منهج الفن الإسلامي: ٣٢٦.

زوج أمينة الشهيد السنانيري

وقد خُطبَت «أمينةُ» لأحد الإخوان المسلمين المسجونين منذ عام ١٩٥٤م. وهو «كمال السنانيري». وكانت تزورُهُ من القاهرة إلى حيث يقيم في سجن «قنا». وقد أشفقَ السنانيريُّ عليها، وعرضَ عليها فسخَ الخطوبة، ولكنها بقيتْ وفيةً له، وردَّتْ عليه بأول قصيدةٍ شعرية تنظمُها[1]. ولعلَّ خِطبتها له من أطولِ الخُطوبات فترة.

وبعد الإفراج عن «كمال السنانيري» في مطلعِ السبعينيّات تزوجتْه عام ١٩٧٣م، وقد جاوزت الخمسين من عمرها.

وكان المجاهدُ «كمال السنانيري» في مقدمةِ المعتقلين عام ١٩٨١م، لما اعْتَقَل الساداتُ الآلافَ من أبناء الشعب المصري.

وعُذِّب «كمال السنانيري» في السجنِ تعذيباً رهيباً، ولقيَ اللّهَ شهيداً، تحتَ سِياط التعذيب، وفاضتْ روحُه الطاهرة إلى ربِّها في الثامن من تشرين ثاني عام ١٩٨١م.

اللواء سمير عيد يكشف حقيقة قتل السنانيري

وأشاع الظالمون الجلادون، أن «كمال السنانيري» قد انتَحر في زنزانته في السجن، وأنهم وجدوه منتحراً ميْتاً[2]!

ولم يصدِّق الناسُ هذه الأكذوبة، عن ذلك المجاهدِ الشهيد، واتهموهم بقتلهِ وإزهاقِ روحه.

وأخيراً ظهرت الحقيقة! وعلى لسان أحدِ ضباط الشرطة:

فقد قال اللواءُ المتقاعد «سمير عيد» ـ أحدُ ضباط الشرطة ـ لجريدة «الحقيقة» ـ العدد الثاني عشر بتاريخ ٢٧/٨/١٩٨٨م:

«إن كمال السنانيري لم يَنتحر كما قالوا، وإنما قَتلوه. وكان «حسن أبو باشا»

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في تقديمها.

(٢) مجلة «المجتمع» الكويتية. عدد: ٥٥١. تاريخ ٧ نوفمبر ١٩٨١. صفحة: ٢٣.

ـ وزيرُ الداخلية يومَها ـ موجوداً في ذلك اليوم بالسجن، ولم تُثبتْ دفاترُ السجن دخولَه كعادتها. وكانت هناك خطة لقتْله، تتضمن عدمَ الإبلاغ عن الحادثِ إلا في اليوم التالي، كما حدث بعد ذلك»[1].

ديوان شعر لأمينة

وقد تأثرتْ «أمينة» لاستشهاد زوجها المجاهد السنانيري، وبكتْه بدموعها، ورثتْه بقصائدها. ونظَمتْ في رثائِه أكثرَ من عشرين قصيدة. جمعتْها في أول ديوان لها، «رسائل إلى شهيد»[2]

كما رثتْ «أمينة» شقيقَها الشهيد «سيِّد» في أكثرَ من قصيدة، في ذكرى استشهادِه التي تتكررُ كلَّ عام[3].

« محمَّد »

بقي «سيِّد» هو الولد الوحيد لأمِّه ما يزيدُ على ثلاثةَ عشر عاماً. إلى أن وُلِدَ شقيقُه «محمد» وكانتْ ولادتُه في شهر «أبريل» ـ نيسان ـ عام ١٩١٩م[4].

وبعدما أكملَ «محمد» الدراسةَ الثانوية، كان يرغبُ في الالتحاق بكليةِ الآداب، لدراسةِ اللغة العربية وآدابها، ولكنه التحقَ بقسم اللغةِ الإنجليزية، بناءً على رغبةِ شقيقه «سيِّد»[5]، حيثُ تخرَّجَ من كليةِ الآداب بجامعة القاهرة، حاملاً شهادةَ «الليسانس» مع دبلوم في التربية وعلم النفس.

والتحقَ بوظيفةٍ في وزارة التربية والتعليم.

---

(١) مجلة «لواء الإسلام»: السنة ٤٣. العدد الثامن: ربيع الآخر ١٤٠٩هـ وفق نوفمبر ١٩٨٨م. صفحة: ٦٤. نقلاً عن مجلة «الحقيقة» عدد: ١٢. تاريخ ٢٧/٨/٨٨: صفحة ٣.

(٢) نشرته دار الفرقان في عمان. وصدرت طبعته الأولى عام ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م.

(٣) منها قصيدة «خواطر إلى سيِّد: في الذكرى الحادية والعشرين لاستشهاده»: المجتمع: عدد: ٨٣٨ تاريخ ١٣/١٠/٨٧. وقصيدة في الذكرى الثانية والعشرين لاستشهاده في المجتمع. عدد: ٨٨٣ تاريخ ٢٠/٩/١٩٨٨م.

(٤) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٥) مقدمة «سخريات صغيرة»، لمحمد قطب: ٤.

نصيب محمد من المحنة

وقعَ على «محمد» قسطٌ كبيرٌ من المحنة والابتلاء. حيث أُدخلَ سجون الطغاة مرتيْن:

الأولى: عام ١٩٥٤م مع آلافِ المعتقلين من الإخوان المسلمين، ولكنه لم يَصدرْ عليه حكمٌ، فبقي موقوفاً سنواتٍ عديدة، ثم أُفرج عنه.

الثانية: وهي الأكثرُ ألماً ومشقةً وعذاباً، وذلك عام ١٩٦٥م، إذ كانَ أولَّ من اعتُقل في تلك الأحداث. وكان اعتقالُه يوم ١٩٦٥/٨/٢م، ثم قَدَّم شقيقُه «سيِّد» رسالةَ احتجاج، للمباحث العامة المصرية ــ وللضابط أحمد راسخ على وجه الخصوص ــ على اعتقال «محمد» وعدمِ معرفتهم بمكانه. وقال لهم: إن الشرطةَ البريطانيةَ لما اعتقلتْ المفكرَ الإنجليزي «برتراند رسل»، أَخبرتْ أهلَه بمكانه، و«رسل» مفكر، و«محمد» مفكر. فردّوا على رسالتِهِ باعتقالِه أيضاً بعد سبعة أيام[1].

وقد عُذِّب «محمد» في السجن تعذيباً رهيباً، حتى أُشيعَ أنه قُتل تحت التعذيب. ولمّا عرف الناسُ أن الأمرَ إشاعة، وأنه حيٌّ في سجنه، أطلقوا عليه لَقبَ «الشهيد الحي» من باب التندُّر.

ولم يُحاكَم «محمد» ولم يَصدر عليه حكم. ولكنه بقي موقوفاً في السجن حوالي سبعَ سنوات. إلى أن أُفرج عنه في مطلع «السبعينيات».

«محمد» مدرِّس في الجامعة السعودية

بعد الإفراج عن «محمد» تعاقدتْ معه جامعةُ الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة ــ جامعةُ أمِّ القرى حالياً ــ فعملَ مدرساً فيها منذ عام ١٩٧٢م وحتى الآن.

وقد تزوجَ «محمد» بعد الإفراج عنه، وبعدما جاوز الخمسين من عمره. وله عدةُ أولاد، أكبرهم «أسامة».

---

(١) الموتى يتكلمون، لسامي جوهر: ١٢٠ ــ ١٢١.

محمد تتلمذ على شقيقه

تتلمذ «سيِّد» أدبياً على «عباس العقاد» بينما تتلمذ «محمد» على الكاتب الساخر «إبراهيم عبد القادر المازني» من حيث الأدب، حيث كان أَحبَّ إليه من باقي الأُدباء المعاصرين[1].

والأستاذُ الحقيقي لمحمد هو شقيقُه سيِّد، حيث ترك لمساتِه واضحة على شخصيته.

وقد أهدى محمد أولَ مؤلَّف مطبوع ـ وهو كتاب «سخريات صغيرة» ـ إلى شقيقه سيِّد. ومما جاء في الإهداء قوله: «إلى أخي الذي علَّمني كيف أقرأ، وكيف أكتب، وحَباني برعايته، منذُ طفولتي، فكان لي والِداً وأخاً وصديقاً. إليه أهدي هذا الكتاب، لعلي أستطيع أن أَفِيَ بشيء من الدَّيْن العظيم»[2].

نتاج محمد العلمي

لمحمد قطب نتاجٌ أدبيٌّ، منذ زمنٍ طويل، حيث مارس كتابة المقالة منذ بداية اهتماماتِه الأدبية، وقد نشرَ بعضَ مقالاته في المجلاتِ الأدبيةِ المَشهورة، مثل «الرسالة» و«الثقافة».

كما نظَم محمد في شبابه الشعر، ونشر كثيراً من قصائده في «الرسالة» و«الثقافة» أيضاً. وقد توقَّف عن نظم الشعر بعد ذلك.

ثم اتجه محمد نحو الفكر الإسلامي، وراح يُعدُّ أبحاثاً وكتباً إسلامية، وقد أصدر عدداً من الكتب الإسلامية الهادفة الرصينة:

١ ـ الإنسان بين المادية والإسلام. وهو أولُ كتاب إسلامي له، نشره عام ١٩٥١م. وقد اعتبرهُ الأصل لعدد من كتبه الإسلامية التي تلتْه.

٢ ـ شبهاتٌ حول الإسلام.

٣ ـ في النفس والمجتمع.

---

(١) مقدمة سخريات صغيرة، لمحمد قطب: ٥.

(٢) المرجع السابق: ٣.

٤ ــ قبسات من الرسول.
٥ ــ معركة التقاليد.
٦ ــ منهج التربية الإسلامية: الجزء الأول.
٧ ــ منهج الفن الإسلامي.
٨ ــ التطور والثبات في حياة البشرية.
٩ ــ دراسات في النفس الإنسانية.
١٠ ــ جاهلية القرن العشرين.
١١ ــ هل نحن مسلمون؟.

وبعد الإفراج عنه، واستقرارِه في الجامعة أصدرَ عدداً من الكتب الإسلامية، وهي من أنضج كتبه وهي:

١ ــ دراسات قرآنية.
٢ ــ منهج التربية الإسلامية: الجزء الثاني.
٣ ــ واقعنا المعاصر.
٤ ــ مفاهيم ينبغي أن تصحح.
٥ ــ مذاهب فكرية معاصرة.

كما أنه أعلن عن بحوث أخرى تحت الإعداد، منها:
المستشرقون والإسلام.
كيف نكتب التاريخ الإسلامي.

ويُعتبرُ الأستاذ محمد قطب الآن في طليعةِ الدعاة الإسلاميين، والمفكرين الحركيّين. وقد شارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية، داخل البلاد الإسلامية وخارجها، وقدَّم العديدَ من الأبحاث الإسلامية، وألقى الكثير من المحاضرات الإسلامية القيمة.

بصيرة لسيِّد في شقيقه محمد

لسيِّد بصيرةٌ نافذةٌ في شقيقه محمد، حيثُ كان يُعدُّه ليخلُفَه من بعده، وعندما نَشَرَ ديوانَه «الشاطىء المجهول» أهداهُ لشقيقه محمّد. ومما جاء في إهدائه قولُه:

أخي ذلك اللفظُ الذي في حروفِه رموزٌ وألغازٌ لشتّى العواطِفِ
أخي ذلك اللحنُ الذي في رنينِه ترانيمُ إخلاص، ورَيّا تآلُفِ
أخي أنتَ نفسي حينما أنت صورةٌ لآماليَ القُصوى التي لم تشارِفِ
تمنيتُ ما أعيا المقاديرَ، إنما وجدتُكَ رَمزاً للأماني الصوادِفِ
فأنت عزائي في حياةٍ قصيرة وأنت امتِدادي في الحياة وخالِفي
تَخِذْتُكَ لي ابْناً، ثم خِدْناً، فيا تُرى أعيشُ لألْقى منكَ إحساسَ عاطِفِ[1]

وقد تحققتْ أمنية سيِّد في شقيقه، فمدَّ الله في عمره، وخَلَف «سيِّد»، واعتُبر امتداداً له في حياتِه، وخالفاً في آرائه وأفكاره.

«حميدة»

حميدةُ هي صغرى الأطيافِ الأربعة، وقد عَرَّف بها سيِّد فقال: «تلك الصبيةُ الناشئة ـ حميدة ـ إنها موفوزةُ الحسِّ أبداً، متفزِّعة من شبح مجهول، إنها تعبدُ الحياةَ وتخشاها، إنها تتلفتُ في ذعر، كلما تفرسَّتْ في المجهول»[2].

ولحميدةَ اهتماماتٌ أدبية، حيث كانت تكتبُ الخواطر، وشاركت إخوتها في كتاب «الأطياف الأربعة».

ثم صارت لها اهتماماتٌ إسلامية، عندما توجهَّت الأسرة كلُّها للعمل الإسلامي. ونشرتْ مقالاتٍ إسلاميةً في مجلَّتَيْ «المسلمون» و«الإخوان المسلمون» وغيرهما.

وبعد محنةِ الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م، قامتْ حميدةُ ـ مع مجموعة من الأخوات المسلمات المجاهدات ـ برعايةِ أُسر وعائلاتِ الإخوان المعتقلين، وكانت الساعدَ الأيمنَ للمجاهدة «زينب الغزالي»، كما كانت حلقةَ الوصْل بين التنظيمِ الإخواني خارجَ السجن، وبين شقيقِها السجين «سيِّد». تحمل تعليماتِه وتوصياتِه لقادة التنظيم.

(١) ديوان «الشاطئ المجهول»: ٢.
(٢) الأطياف الأربعة: ٧. لسنا مع «سيِّد» في قوله عن أخته «إنها تعبد الحياة» لأنَّ العبادة لا تكون إلاَّ لله. وقد قالها قبل التزامه الإسلامي.

وكان نصيبُها من الابتلاء والتعذيب في محنـة الإخوان عـام ١٩٦٥م كبيراً، حيث عُذِّبت تعذيبـاً لا يكادُ يـوصَف. وهي الوحيـدةُ التي حُكم عليها بـالسجن من آل قطب ـ فشقيقُها سيِّد حكم عليـه بالإعـدام ـ حيث حَكَمَ عليها القـاضي العسكري «محمـد فؤاد الـدجوي» بـالسجن عشر سنـوات مع الأشغـال الشاقـة. قضتْ منها ستَّ سنـوات وأربعـةَ أشهـر، بين السجنِ الحـربـي وسجنِ القنـاطـر[١]. ثم أُفـرج عنهـا في بـدايـةِ السبعينيات.

وقد تزوجت الدكتور حمدي مسعود، وتقيمُ معه في فرنسا.

* * *

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر، لرزق: ١١٥.

ملامح صورته

قد يرسمُ الشخصُ في مخيِّلتـه، صورةً شـاخصةً متخيَّلة للشخص من العـظماء، ويظنُّ أن هذه الصورةَ المتخيَّلة تنطبقُ على صاحبها تماماً. وهـو يتخيَّل تلكَ الصـورة، بعدما يسمعُ عن صاحبها، أو يقرأُ له، أو يقرأُ عنه.

وكثيـراً ما يفـاجَأُ هـذا الشخصُ بعدمِ انـطباقِ الصـورة على شخصيةِ صـاحبها، عندما يشاهدُه ويقابلُه.

وسيِّد قطب في ملامحِ صورته من هذا النوع.

فالذين لم يسبقْ لهم أن شاهَدوه، وقرأوا مقالاتِه النقدية، وتابعوا معاركَه الأدبية، وتعرَّفوا على أسلوبه في الكتابة، قد يـرسمون لـه صورةً خـاصة. يتخيَّلونـه فيها ضخمَ الجثة، كبيرَ الأطراف.

والذين شاهدوه فوجِئوا بالمقارنة بين صـورتِه المتخيَّلة عنـدهم، وصفتِه العمليـة التي خلَقَهُ اللَّهُ عليها!

من هؤلاء الأديبُ علي الطنطاوي، الذي دَخَلَ في معركةٍ حادة ضدَّ سيِّـد قطب، مُدافعاً عن الرافعي، خاضَها وهو في دمشق، فلما ذهبَ إلى القاهرة، وتقـابَل مـع سيِّد قـطب في مكتبِ رئيس تحريـر مجلة الرسـالة «أحمـد حسن الـزيـات»، شُـدِهَ وبُهت، وقـال: «وأُقسمُ أَني شُدهت، وكنت أرتقبُ أن يكـونَ هذا الشـابُّ أيَّ إنسـان إلاّ سيِّـد قطب، وكنت أستطيعُ أن أتخيلَ سيِّد قطب على ألفِ صورة إلا هذه الصـورة، وازددتُ يقيناً أن مِن الخطأ البيِّن أن نحكمَ على شخصِ الكـاتب من كتابتـه، أو نعرف الشـاعر من شعره».

كما فوجىءَ به في نفس الجلسة مرةً أخرى، عندما أهداه كتابَه «التصوير الفني في القرآن» وقال: «لم أتخيَّلْ سيِّد قطب إلا مقارعاً محارباً ، ولم أعرفْه إلا كاتباً مجادِلاً مناضلاً، يهاجمُ مهاجِماً ومدافِعاً ومحايِداً»(١).

ومن الذينَ فوجئوا به عندما شاهَدوه، «أبو الحسن النَّدْوي» حيث قال: «كنت أتخيَّله أديباً في العَقْد الرابع من عمره، فارعَ القامة، عريضَ ما بين المنكبين، قويَّ البنية»(٢).

ومن الذين فوجِئوا به أيضاً، رئيسُ وزارء مصر «محمد محمود باشا»:

فقد روى الأستاذُ يوسف العظم، في كتابه عن سيِّد قطب ــ ولم يخبرنا عن مصدر روايتِه ــ أنَّ رئيسَ الوزارء «محمد محمود» أعلن أنه سيضربُ بيدٍ من حديد، كلَّ مَنْ تسوِّل له نفسُه الإخلالَ بالأمن، أو إشاعة الفوضَى، أو النيلَ من الحكام.

فردَّ سيِّد قطب عليه قائلاً: «يا صاحبَ اليدِ الحديديّة. إنك لو بحثتَ عن يدِك الحديدية تلك، لوجدْتَها قد صَدِئت واهترأت».

فغضبَ رئيسُ الوزارء لقسوةِ الكلمة، واستدعى سيِّد لمقابلته، فذهب سيِّد إليه.

ولما دخلَ مكتبه، بُهِتَ رئيسُ الوزراء، لما رأى من حداثةِ سِنِّه، وقال له: أنت الذي كتبْتَ هذه المقالة!

قال سيِّد: نعم.

فقال: ولماذا كتبتَها بهذه اللهجةِ العنيفة؟

قال سيِّد: هذا ما أؤمنُ به.

فأُعجبَ رئيس الوزراء به، وقال له: اذهب يا بنيَّ، واكتب كما تشاء(٣).

---

(١) مجلة «الرسالة». السنة الثالثة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٤٨. ديسمبر ١٩٤٥. صفحة: ١٣١٣.

(٢) مذكرات سائح في الشرق العربي، للندْوي: ٩٧.

(٣) رائد الفكر الإسلامي، ليوسف العظم: ٢٠٥ ــ ٢٠٦.

صـورتـه

كان سيِّد قطب رجلاً أسمرَ اللون، لوَّحَتْ بشرتَه شمس الصعيد الحارقة. كما كان متوسطَ الطول، معتدلَ الجسم، لا هو بالسمين ولا بالنحيف.

وقد كانَ ضعيفَ البُنية، ناحلَ البدن، حيث أَنهكت جسدَه الأمراضُ التي صاحبتْه منذ صغره، وقد تَركتْ هذه الأمراضُ آثارَها واضحةً على بدنه.

وقد كان لمحنته التي طالت أثرٌ على تدهورِ صحته، حيث غُيِّب في السجون، وقَضى الوقتَ الطويل على أرضيةِ الزنازين الباردة، وحُرم من أشعة الشمس الدافئة.

قال محمد علي قطب عن وصْفِه وصحته: «وجدته يشكو كثيراً من الأمراض، ولا طاقةَ للبدنِ أبداً ـ مهما كان قوياً ـ أنْ يحتملَ النفسَ الكبيرة:

وإذا كانت النفوسُ كِبارا تعبتْ في مُرادِها الأجسامُ

لقد وجدتُه وقد نالتْ منه الأيام، فبدتْ آثارُها على وجهه تَفَضُّناً، وفي جبهته أخاديدَ عميقة، وفي عينيْه حُمرة، وفي شعره الأسودِ القاتم شيباً»(١).

إن أسلوبَ سيِّد في الكتابة ـ الحادَّ العنيف ـ لا يدلُّ على مظهره: لقد وجدَهُ علي الطنطاوي ـ على حدِّ قوله ـ «لطيفاً هادئاً، تبدو عليه سيما المسالمة والموادعةِ والإيناس»(٢).

ولذلك يفاجَأُ مَنْ يراه، ولا يكادُ يصدِّق أنَّ هذا الشخصَ الهادىءَ المسالمَ، هو نفسه الذي تصدُرُ عنه المقالاتُ والكتب «ولا يظهرُ بادىءَ ذي بدء، أنهُ هو صاحبُ الأسلوبِ القوي في الموضوعات الدينية» كما قال عنه أبو الحسن الندوي.

وتزولُ الغرابة والمفاجَأَةُ، عندما نعلم أن العبرةَ ليست بضآلةِ الجسم أو ضخامته، بل العبرةُ بالروح، التي يحملُها الكاتبُ بين جنبيْه. ولا شك بأن جسمَ سيِّد الصغيرِ الناحل، قد ضمَّ بين جوانحه روحاً ثائرة، صدرتْ عنها تلك المؤلفات، التي زلزلتْ عُروش الطغيان، ورسمتْ معالم الطريق للمجاهدين!!

---

(١) سيِّد قطب، لمحمد علي قطب: ٢١. وهو كاتب من «صيدا» في لبنان، وليس الأستاذ محمد قطب كما يُظنّ.

(٢) مجلة «الرسالة»: السنة الثالثة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٤٨: ١٢/٣/ ٩٤٥: (صفحة: ١٣١٣).

القسم الأول

مع سيِّد قطب
في مسيرة حياته الأدبيَّة

(١)

حياة سيِّد قطب في القرية

عاشَ سيِّد قطب طفولته وصِباه، في قريتِه «موشة»، ولم يغادرْها إلى القـاهرة إلّا بعدَ الخامسةَ عشرة من عمره.

وكـان أثرُ القـرية على نفسيتـه كبيراً، ويـظهرُ ذلـك من كثرةِ ذِكْـره لها، وإشـادتِه بمحاسنِها وجمالِها، بـل إنه ألَّف كتـابَه «طفـل من القريـة» وبيَّن فيه كثيـراً من مزايـاها وجمالها.

حياته في الأسرة

عاش سيِّد قطب وسطَ أسرةٍ متآلفة متجـانسة، عـلاقةُ أفـرادها تقـومُ على المحبة والمودة.

فنشأَ في هذه الأسرة، على المعاني الإسلامية والقيم الدينية.

لقد كان لِوالديْه أثرُ كبير على تربيتِه وتنشِئتِه، حيث تَرَكَا لمساتِهما التـربويـة على الكثيـرِ من جـوانبِ شخصيتِـه، وغَـرَسـا فيـه الكثيـرَ من المعـاني والحقـائقِ، والقيمِ والمبادىء.

غَـرَسا في نفسـه الإيمانَ والـطهرَ والعفـاف. فوالـدُه كان صـالحاً ملتـزماً، يـرتادُ المسـاجد للصـلاة، ويؤدي الحقوق لأصحـابها، ويسيـر في حيـاتـه وتفكيـرُه في اليـوم الآخر، ويقرأُ الفاتحةَ قبـل أن يأوي إلى فـراشه. ووالـدتُه كـانت محافِـظةً على دينها، مؤديةً لفرائض الإسلام، متصلةً بالقرآن. تنصتُ لقراءته من القرّاء بتفاعل واهتمام.

وأثَّرتْ هذه التـربيةُ في نفسـه، فنشأَ على تعـاليمِ الإسلام، وكـان حريصـاً على ارتياد المساجد وأداءِ الصلوات فيها، وهـو طفل صغيـر، وكان يجلس في دروس العلم

في المساجد كالكبار، ويسمعُ تلك الدروس التي يلقيها علماء الأزهر، ويتفاعل معها، ويناقش المدرِّس أحياناً فيها.

وغَرَسا في نفسه محبةَ المساكين، ونصرة المستضعَفين، ودفعَ الظلم عن المظلومين، فقد كانَ يرى تعامُلَ والدِهِ الطيبِ مع العمّال الأغراب، حيث كان يقدِّم لهم الطعامَ والشراب كما يقدِّمه لأفراد عائلته، ويعطيهم من الأجر أكثرَ مما يعطيه لأمثالهم، أصحاب الأراضي الآخرون.

وكان يرى والدتَه وهي تتقرَّبُ إلى اللَّهِ بقيامِها على طعامِهم بنفسها. كما تتصدَّقُ على الفقراء والمساكين في القرية.

أثَّرت هذه المعاني في نفسه، فوقفَ نفسَه لخدمةِ الآخرين، ودفْعِ الظلمِ عنهم ونُصرتِهم. فالعُمال الأغراب عند والده، كان محامياً لهم. يأخذُ لَهم من بيتِه زيادةً على استحقاقاتهم، رغْمَ إكرام والده لهم.

وكان يصادقُهُم ويجالسُهم، فاطَّلع على أحوالهم، وعرف الكثير عنهم، عرفَ خصائصَ حياتهم، وطبيعةَ أكلهم، وموردَ دَخلهم. عرف هذا وهو طفل صغير، فترَك في نفسه أثَراً واضحاً، أخبرَنا عنه قائلاً: «وعَلِمَ أشياءَ وأشياء، لم يتبيَّنْ عُمقَ آثارها في نفسه، وقسوةَ وقْعِها على حسِّه، إلاّ وهو يسترجعُها الآن في الحين بعد الحين، فيشعرُ في قرارة نفسه بالخجل، ويحسُّ لنفسه ولشعبِه بالازدراء. إنه سارق، سارق لهؤلاءِ الغُرْبِ، وأمثالِهم من الملايينِ الكثيرة التي تُنبتُ الذهب بالوادي، وتجوع... هذا هو الشعورُ الذي ظل يُعاوِده أبداً، كلَّما جلس يتناول طعاماً دَسِماً، أو فاكهةً لذيذة، أو حلوى أنيقة، أو يتمتعُ بأيسر مباهج الحياة بين ملايين المحرومين»[1].

وغَرَسا في نفسه الإباءَ والعزة والمروءة. ولهذا خاطَب أُمَّه قائلاً: «الكبرياءُ التي أَودعْتِنِيها منذ الطفولة، فجعلْتِنِي أهربُ من كلِّ مظاهر الطفولة»[2].

ويقول لأمِّه في رثائه لها: «لقد كنتِ تصوِّرينَني لنفسي، كأنما أَنا نسيجٌ فريد،

---

(١) طفل من القرية: ١٩٦ ــ ١٩٧.

(٢) الأطياف الأربعة: ١٦٦.

منذ ما كنتُ في المهد صبياً، وكنتِ تحدِّثينَني عن آمالِك، التي شهد مولدُها مولـدي، فينسربُ في خاطري أنني عظيم، وأنني مطالَبٌ بتكاليفِ هذه العظمة!»[1].

انتظامه في الدراسة

لمّا ناهزَ السادسةَ من عمره ـ سنة ١٩١٢م ـ أرسلهُ أهلُه للدراسة في المدرسة. ولم يتحمَّسْ لـلأمر. لأنـه كـان يفضِّـلُ أن يبقى في الـدار، يلعبُ مـع أختيْـه ولِـداتِـه الصغار.

وألبسوهُ زيّاً خاصاً، متَميِّزاً عن باقي الطلاب، مبالغةً في ترغيبه وتدليله[2].

وبما أنه من أسرةٍ معروفة، وابنُ وجْهٍ بارز من وجوه القرية، فقد تم وضْعُه رأسـاً في السنـة الرابعـة، رغم أنـه لا يقـرأ ولا يكتب، وهـذا هـو اليـوم الأول لـدخـولـه في المدرسة! ولكن هذا هو العرفُ السائـدُ في المدرسـة، وتوزيـعِ الطلاب على سنـوات الدراسة فيها، حيث كان يَخضعُ هذا لِعمْرِ الطالب وحجْمِه وجسمِه، وأسرتِه وأهلِه!

ولكن المـديـر «أَنسَ من والـده شيئـاً من التنـوُّر والمعـرفـة، فـرأى أنْ يحــادثَـه بصـراحة، وأنْ يبيِّن لـه أنَّ من مصلحـةِ الـطفـل أن يبـدأ من السنـة التحضيـريـة، مـع الأطفال، ليستفيدَ ويسيرَ في خطواته طبيعياً، فاقتنع». وانتظمَ سيِّد في السنة التحضيرية التي تُحضِّر الطلاب للسنة الأولى الابتدائية[3].

وفي اليوم الأوّل لدراسته، حدَثَ أمـرٌ مخيف، جعلَهُ يهرب من المـدرسة، حيث زارها مدرسُ الرياضة، وكان ضابطاً سابقاً في الجيش، وأشاع الطلابُ إشـاعاتٍ حـول قسوته وضرْبه للطلاب، فخاف سيِّد منه، وهرب من المدرسة[4].

وبقي منقطعاً عن الدراسة حوالي شهر ونصف. وحزنتْ أمُّه على ذلــك كثيـراً،

---

(١) الأطياف الأربعة: ١٦٧.
(٢) طفل من القرية: ٢٢.
(٣) المرجع السابق: ٢٤ ـ ٢٥.
(٤) المرجع السابق: ٢٧.

وصار أخوه لأبيه يتهكَّمُ عليه، مما أوجد في نفسه أثراً كبيـراً. فعادَ للمـدرسة، وانتـظم فيها بجد والتزام[1].

محنة سيِّد بين المدرسة والكُتّاب

دخل سيِّد قطب «السنة التحضيرية»، التي تُعِدُّ الطالبَ للصفِّ الأول الابتـدائي. والذي كان يُدَرِّس طُلابَ السنة التحضيرية، هو «العم إبراهيم» فَرّاش المدرسة!

وتضايقَ الطفلُ سيِّد من المدرس «الفراش»، ووضَعَـه المديـر مع الصف الأول، باعتبارِه مستمعاً، بينما قَيْدُه في السنة التحضيرية.

وكان يُدَرسه شبهَ دروس خصوصية ناظرُ المدرسة ـ مـديرهـا ـ والمدرسُ الآخـر ـ وهما الهيئةُ التدريبية في المدرسة! ـ.

وبينما كان سيِّد في السنة الثانية الابتدائية، استغنت الوزارة عن الشيخِ صـاحب «الكُتّاب» لتحفيظ القرآن في القرية، وعَيَّنتْ مدرِّساً آخرَ مكانه.

وأطلقَ شيخُ الكُتّاب الإشاعاتِ في القـرية، بـأن الوزارةَ تـريد محـاربة القـرآن، ولهذا فصَلوه من التدريس. ودعا آباءَ الطلاب، إلى إرسالِ أولادهم إليـه في الكُتّاب، وإخراجهم من المدرسة.

واتصلَ شيخُ الكُتّاب بوالدِ سيِّد، ودعاهُ إلى إلحاقِ ابنه سيِّد في الكُتّاب، ليحفظ القرآن، ويحافظَ على دينه.

ومع قناعة والده بالمدرسة وتدريسِها، إلاّ أنه «كانَ خجولاً ومجاملاً، فلم يـود أن يجـرحَ شعـورَ «سيِّـدنـا» ـ ابنِ سيـده ـ ووعـدَه بـأن يكـون الـطفـلُ في الصبـاح في الكُتّـاب»[2].

ووقع الخلافُ في المنزل، فأُمُّ سيد ترفضُ إرسالَه إلى الكُتّاب، وتريـد بقاءَه في

---

(١) طفل من القرية: ٣٣.

(٢) المرجع السابق: ٣٧ ـ ٣٨.

المدرسة، ليتخرَّج ويصبحَ مدرِّساً ويحققَ لها آمالَها. وأصرَّ والده على إرساله إلى الكُتّاب، لأنه وعَدَ الشيخ، ولا يجوز أن يرجع في وعده له!!

وذهب سيِّد في صباح اليوم التالي إلى الكتّاب، وحزن على فراق المدرسة، ورغم أن الشيخَ احتَفَى به وأكرَمَه، إلاّ أنه تضايق كثيراً من أوضاع كُتّابه، ومستواه المتدنّي في كل شيء، وانتظرَ انتهاءَ اليوم بفارغ الصبر.

ولما عادَ إلى بيتِه، كان صمَّم على أن يلتحقَ بالمدرسة، ولا يعودَ إلى الكُتّاب، مهما كان الأمر! وأخبر أمَّه بتصميمه فأيدتْه!!!

وفي الصباح ذهبَ إلى المدرسة. وأخبرَ الناظرَ بالأمر، ورجاهُ أن يتدخلَ عند والده، ليعودَ إلى المدرسة، ويترك كُتّاب الشيخ.

وتدخلَ الناظر لدى والده، ونجحتْ وساطته عنده، وتركَ سيد الكُتّاب، وعاد إلى مدرسته.

ومنذ ذلك اليوم، ازدادت المدرسةُ رفعةً عنده، وتحوَّل إلى داعية لها، بل «تزعَّمَ» فريقَ المدرسة، ضدَّ فريق الكتّاب[1].

سيِّد يحفظ القرآن

وبما أنه زعيمُ فريقِ المدرسة ضدَّ فريق الكُتّاب، وهو في السنة الثانية الابتدائية، وعمرُه لا يتجاوزُ ثماني سنوات، فعليه أن يفنِّدَ دعاياتِ فريق الكتّاب.

إنهم يزعمونَ أنَّ المدرسةَ تحارب القرآن، وأن الكُتّاب يُحَفِّظه لطلاّبه، وهم فخورون بذلك.

استقرَّ رأي سيِّد على أن يسابقَهم فيما اختصوا به، وهو حفظُ القرآن، ودعا طلابَ المدرسة إلى الإقبال على حفظ سورٍ من القرآن.

وأقبلَ سيِّد على حفظ القرآن، وهو في السنة الثانية الابتدائية، وعمرُه حوالي

---

(١) انظر الموضوع في «طفل من القرية»: ٣٤ ــ ٤٠.

ثماني سنوات: «إذن، فلْيُوجِّه همَّه إلى حفظ القـرآن حتى يهدم هذه الحجـة الكبرى. وإنـه ليرهقُ نفسـه وصحَّتَه المـرهقة، ويسهـرُ إلى منتصف الليل، ليعيـدَ في كل ليلة، جميعَ ما سبق له حفظُه من القرآن. وذلك بجانب الدروس الأخـرى. فما يكتمـلُ العام حتى يكون قد حفظَ ثلثَ القرآن، حفظاً جيداً، يباهي به مَنْ يتحداه»[1].

استمرَّ سيِّد على خُطته في حفظ القـرآن، بهمَّةٍ وتصميم، حيث كـان يحفظ كلَّ عام عشرةَ أجزاء.

وبعد ثلاثِ سنوات، أتمَّ حِفْظَ القرآن كاملاً، وكان يتحدّى مَنْ يواجهه، ويُـطالبهُ أن يمتحنَ حِفظه، وأن «يُسَمِّعَ» له ما شاء من السور والآيات[2].

وكان إتمامُهُ حِفْظَ القرآن، وهـو في حوالي السنـة العاشـرة من عمره، وكـان في السنة الرابعة الابتدائية.

كـان حفظُه القـرآنَ تحدِّيـاً للكُتّاب ولشيخِه وطلاّبـه، وإبطالاً لـدعـايـاتهم ضـدَّ المدرسة، وانتصاراً للمدرسة، ودعايةً لها.

وإن الإنسان ليعجب من همةِ سيِّد وعصاميته وجديَّته، حتى وهو طفـل صغير في السنة الثانية الابتدائية!!

تربيته في البيت:

كانت تربيةُ سيِّد في البيت تـربيةً سليمـةً قويمـة، على أحسنِ الطرقِ والـوسائـلِ والأساليب.

لم يكن الضربُ وسيلةً من وسائلِ تلك التربية، ولا يَذكرُ أن أباه ضَرَبهُ أو ضربَ أحدَ إخوته: «كان قد نشأَ نشأةً معيَّنة، ليس الضربُ إحدى وسائلِ التربية فيها»[3].

---

(١) طفل من القرية: ٤١.

(٢) المرجع السابق: ٤١ ــ ٤٣.

(٣) المرجع السابق: ٢٨.

كما أن العلاقات والروابط بين الإخوة في الأسرة، كانت تقوم على المودة والمحبة، وليس على النزاع أو الضرب!

ومرةً غضب من أخيه الأكبر ــ غير الشقيق ــ عندما أساءَ له وتهكَّمَ عليه «فجرُؤَ على ما لم يجرؤْ عليه قطُّ من قبلُ ومن بعد، وما تنكرُه تقاليدُ الأسرة كلَّ الإنكار. جرُؤ على أن يقذف أخاه هذا بغطاء «القُلَّة» في وجهه، ثم يلوذُ بالفرار!»[1].

وكان أهله حريصين على أخلاقه واستقامته، فلم يتركوه يلعب في الشوارع: «ولم يكن يُترَكُ ليلعبَ في الشوارع، ويجوبَ طرقاتِها كالأطفال، حفْظاً لملابسه النظيفة من القذارة، وحمايةً له من التلوُّث بأخلاقِ أولادِ القرية، وألفاظِهم البذيئة»[2].

اعتداده بنفسه

نشأ سيد في الأسرةِ على معاني العزةِ والكرامة والأَنَفة، فكان ــ منذُ صغره ــ يحبُّ مواقفَ الرجولة والعزة، ويرفضُ مواقفَ الذلِّ والجبن، وكان يملكُ حساسيَّةً بالغة وحِسّاً مرهفاً.

فعندما هرب من المدرسة في اليومِ الأوّل لذهابه إليها، خوفاً من «ضابط الجمباز»: «أدركَ ما في فعلته هذه من غضاضة ــ وكان على صِغر سنه يدركُ هذه الغضاضة ــ فلم يستطع أن يواجِهَ أهلَ البيت بفعلته ــ لا خوفاً، فقد كان آمِناً من الضرب ــ ولكن حياءً من الفعلةِ التي لم تكن تَليق»[3].

وكان مُعتدّاً بنفسه، يرفضُ أيَّ خدْش لكبريائه، وإيذاءٍ لشخصيته، يتحدّى الخَطَر، ويقتحمُ الهول، ويتصنَّعُ الشجاعة!

فعندما كان في الحادية عشرة من عمره، كان يسهرُ مع أمِّه عند أقاربه في مكانٍ بعيدٍ في القرية، فاحتاجتْ أمُّه إلى غرض من البيت، وتطوَّع سيِّد «بشهامة الرجال»

---

(١) طفل من القرية: ٣٣.

(٢) المرجع السابق: ٢٨.

(٣) المرجع السابق: ٢٩.

لإحضاره. ولم تأمنْ أن يـذهبَ وحده «فـآذى التخوفُ كبـرياءَه، وأصـرَّ على أن يذهبَ ويعود. وكان طريقٌ قصير يوصِل إلى البيت، لكن فيه منزلٌ مهجور مخيف، يعتقدُ كثيرٌ من أهل القرية، أنه مسكونٌ بالجنِّ والعفاريت، وكان الـرجال يتخـوَّفون من المـرورِ به ليلاً، فحذَّرتْهُ أمه منه ــ وكـان هـذا التحذيـرُ كافيـاً لأن يقتحمَ الطَريقَ القصيـر في هذا الوقت المتأخر ــ وعندما يصلُ المكـانَ المخيفَ المظلم يحسُّ بـرهبةٍ وخـوف، ويشعلُ أعوادَ الثِّقاب، ويحسُّ بحركاتٍ مزعجة وسْطَ الظلام، ويظنُّهـا عفاريت، ويـزدادُ خوفـاً ورعباً، ويتسمَّر مكانَه هَلِعاً، ويواصِلُ إشعال الأعواد، ويرسلُ الله له أحدَ الرجال لينقذَه من هذا الخطر. ولما سألَه عن سببِ وجــوده «عاودتْهُ شجاعتُه المصـطَنَعَة، فقـال: أنا لستُ خائفاً، فـأنا لا أُصـدِّق ما يُقـال عن العفاريت، ولقـد كنتُ واقفاً أبحث عن هـذه العفاريت التي يقولون عنها!»(١)

سيد يرتاد المساجد ويناقش الوعاظ

نشأ سيِّد على الشعور بالرُّجولة منذُ صغَـره، كما نشـأ على التديُّن والعبـادة، فكانَ يتصرفُ تصرفَ الرجال، وهو صبـيٌّ في العاشرة من عمره، فيحافظُ على أداءِ الصلوات في المسجد جماعة، كالـرجال، ويسهـرُ حتى العاشـرة مساءً مـع الرجـال، كالـرجال، ويسيرُ في شوارعِ القرية ليلاً، كالـرجال: «وكـان يجتازُ شـوارعَ القريـة بعدَ العشـاء ــ فلقَدْ أخذَ يُصلي في المساجد تشبُّهاً بالرجال ــ ومنذُ أن بلغَ العاشـرة كان في وهْمِـه قد صارَ رجلاً مسؤولاً ذا أهمية خاصة، فما يليقُ أن يتركَ الصلاة الجامعةَ مـع الرجـال! ــ كما بدأ يسهرُ ويتأخرُ في السهر، حتى لَيصلَ في بعضِ الأحيان إلى السـاعةِ العـاشرة. ألَيْسَ رجلاً؟ فلِمَ لا يسهرُ كما يسهرُ الرجال؟»(٢).

إذا مـا حضـرَ واعظٌ إلى المسجـدِ ليعظَ النـاسَ، كــان سيِّـد يجلسُ ليستمـعَ الموعظة، ويفكرُ في ما يسمع، وأحياناً يقفُ ليناقش الـواعظَ ــ وهو الـطفل الصغيـر ــ بجرأةٍ وشجاعة!

---

(١) انظر تفاصيل الحادثة في «طفل من القرية»: ١٢١ ــ ١٢٣.
(٢) المرجع السابق: ١٢٠.

وقد أشارَ إلى حضورِهِ درسَ «عالمٍ أزهري» قَدِم إلى القرية ليعلِّم القرويّين الأمّيّين من تفسيرِ «الكشاف» للزمخشري. «وهذا الدرسُ لا يتجاوزُ أن يجلسَ الشيخ، ويلتفَّ حولَه القرويّون الأمّيّون، فيسحبَ من صدره «ملزمة» من تفسير الزمخشري، ويروحَ يتلوهُ عليهم، وهو يصفِّقُ بيديْه بين آنٍ وآخرَ، ويقول: مفهوم؟ فيجيبَ بعضُهم: مفهوم. ويمضي يصبُّ عليهم ما في الزمخشري من بلاغةٍ ونحوٍ وصرفٍ وتأويلات، لا يدْرون منها شيئاً.

وكان الطفلُ يَحْضُرُ هذه الدروسَ كي يصيرَ رجلًا!

وفي ليلة كان الشيخُ يقرأُ تفسيرَ سورة الكهف، ومرَّ بقوله تعالى: ﴿ذلِكَ ما كُنّا نَبْغِ، فَارْتَدّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً﴾.

ولما كانَ الطفلُ حريصاً على محصولِهِ من النحو، فقد لَفَتَ نظرَهُ أنَّ كلَمَةَ «نبغِ» محذوفةٌ حرفِ العلة بلا مبرّرٍ ظاهر.

فرفع أصبعه كما يصنعُ في المدرسة، وقال: يا سيدَنا الشيخ، لماذا حُذِفت الياءُ في «نبغِ» بدون جازم؟

ورفعَ الشيخُ رأسَهُ بلا اهتمام، ثم مضى يقول ــ وكأنه يستمرُّ في التلاوة ــ «يا سيدي: حُذفت الياءُ اعْتباطاً للتسهيل» ومضى لا يَلْوي على شيء، ولا يلتفتُ إلى الطفل الصغير»(١).

أستاذ سيِّد في المدرسة

أساتذةُ سيِّد في المدرسة أثَّروا فيه كثيراً، وحرصوا على غرْس المعاني الروحية والأخلاقية في نفسه، ونفوس الطلاب الآخرين.

ومن الأساتذةِ الذين ربَّوا سيِّد، وأثَّروا فيه وفي غيره من الطلاب، ناظرُ المدرسة الشاب، الذي كان «شديدَ العناية بتربية التلاميذ، التربية الخلقية والروحية، وعدمِ الوقوف بهم عند حدود المعلومات المدرسيَّة الجافة»(٢).

---

(١) طفل من القرية: ٥٢ ــ ٥٣.

(٢) المرجع السابق: ١١٣.

وكان سيِّد «يثقُ بهذا الناظر، ويحبُّه، ويصدِّقه، ويتأثَّر به..»[1].

وقد حرص ذلك الناظر على محاربةِ الخُرافات في نفوس الطلاب، فقامَ معهم بعدةِ تجاربَ عملية ميدانية في الليل، أبطل فيها خرافة العفاريت[2].

وكانَ الناظرُ الشابُّ المربي، محِبّاً لسيِّد، معجَباً به، وبذكائهِ وجديتِه واهتمامِه، وكان سيِّد متفوِّقاً في الدراسة، وبخاصة دروس اللغة العربية.. «عند ذلك وجده أهلاً لأن يعيرَه كتابيْن عظيميْن، وجد فيهما الصبيُّ طرازاً آخر، غيرَ ما تحوي مكتبتُه العظيمة من شتى الثقافات!

أحدُهما ديوان رجل يُسمى «ثابت الجرجاوي» والآخر كتابٌ تاريخي لمحمد بك الخضري في مقدمته صورة «عباس الثاني»[3].

وقد تأثَّر سيِّد بالكتابيْن، واحتفظ بما فيهما بطريقةٍ عجيبة، تدلُّ على جدّيَّتِه وجَلَدِه وعصاميَّتِه وهمَّتِه.

ثقافة سيِّد ومكتبته في القرية

نشأ سيِّد على محبةِ المطالعة والقراءة، والتزوُّد من المعرفة والثقافة.

وعُرِفَ بهذا بين أهل القرية، وفي أوساط مثقفيها، فناظِرُ المدرسة يُعجبُ بهذه الموهبة فيه، ويُعيره كتابيْن ـ كما قلناـ وبما أنه لا بد أن يعيدَهما إلى صاحبهما، فلا بد أن يحتفظَ بهما: «جَمَعَ من جميعِ كرّاساته في السنواتِ الماضية الأوراقَ البيضاء منها، فصارت له كراسةٌ ضخمةٌ من الورق الأبيض. أما المداد والقلم فموجودان. وأخذ ـ في صبرٍ ودَأب عجيبيْن ـ ينقل الديوان بيْتاً بيْتاً إلى هذه الكراسة، وينقل مقدّمة كتاب التاريخ الأثرية»[4].

وكان يترددُ على القرية بائعُ كتب، هو «العم صالح» وكان سيِّد «زبوناً ممتازاً عند

(١) طفل من القرية: ١١٤.
(٢) انظر هذه التجارب في طفل من القرية: ١١٣ ـ ١٢٣.
(٣) المرجع السابق: ١٤٧ وما بعدها.
(٤) المرجع السابق: ١٤٩.

«عم صالح» يعرفه جيّداً، ويحتفظُ له بأجودِ الكتب، وأكثرِها خطراً، فما كـان صاحبنـا ليبخـل على الكتب بالمـال، مهما ارتفـع السعر، حتى ولـو بلغ ثمنُ الصفقة الـواحدة خمسةَ قروش!»[(١)].

وكـان يوفِّـر «مصروفَـه» اليومي، ويجمعُـه، بانتـظار قدوم «عم صـالـح» بكتبـه، فيشتري منها بمصروفِه، فإذا نفدَ المصروفُ استعانَ بوالده فأعطاه ما يشتري به.

وإذا أُعجبَ بالكتاب ولم يَقْـدر على شرائـه، استعارهُ من «عم صـالح» استعـارةً خارجية، وبعد قراءته يردُّه له، ويوصيهِ أن يُحضرَه له في المرة القادمة ليشتريه.

فإذا ما غادر بائعُ الكتب القرية، حصلتْ «حركةٌ ثقافيـة» فيها «فهـذه الكتبُ التي اشتراها القراء، كانت تظلُّ تُتَبادَلُ بينهم فترةً أخرى، حتى تتم قراءتُها للجميع»[(٢)].

اشتَهَرَ سيِّد «بالكتب وبالقـراءة في أوساطِ المثقفين بـالقريـة، فارتفـعَ في أعينهم درجات، وأخذ الجميـعُ يتنبَّؤن له بـالمستقبل الـزاهر. . مـاذا؟ أليس على صِغَره يقتني مكتبةً ضخمة، يبلغ من ضخامتِها أن تملأ صفيحةً كاملة؟»[(٣)].

وضع كتُبه في صفيحةٍ من الصفيح، حفـظاً للكتب وعنايـةً بها، ونصحـه بذلـك «عم صالح» نفسه. وزادتْ كتبه في هذه الصفيحة. حتى بلغت خمسةً وعشرين كتـاباً: «والحق أنه كان عاشقاً لهذه المكتبةِ الفريدة من نوعها في القرية، بمـا تحويـه من شتّى ألوان الثقافة»[(٤)].

كـان من كتب مكتبتـه: قصص أبـي زيـد، والـزيـر سـالم، وكليب، وديـاب بن غانم، والزناتي خليفة، والبردة، وسيرة إبراهيم الدسوقي، والسيد البدوي، وعبد القادر الجيلاني، ودلائل الخيرات، ودعاء نصف شعبان.

كمـا كان فيهـا بعضُ الكتب البوليسيـة مثل: شـرلوك هـولمـز، وسنكلر، واللص الشريف[(٥)].

---

(١) طفل من القرية: ١٢٩.
(٢) المرجع السابق: ١٣٠.
(٣) المرجع السابق: ١٣١.
(٤) المرجع السابق: ١٣١.
(٥) المرجع السابق: ١٢٧ ـ ١٢٨.

سيِّد الطفل يكشف البخت والطالع

«كان في مكتبته كتابان: كتابُ أبي مَعْشَر الفَلَكي. وكتاب شمهورش في السحر. ولكلٍ منهما قصة ساعدت على نشر شهرته وإذاعتِها»[(١)].

والكتابان يَستخدمُهما «المشايخ»، الذين يمارسون كتابة الحُجُب والرُّقى والتمائم والتعاويذ. ويكتبون من كتاب «شمهورش» خاصة، عباراتٍ لجلْبِ المحبة والسعادة وغيرها.

وصارَ الطفلُ سيِّد يمارسُ ما يمارسه «المشايخ الكبار» في هذه المجالات، ويأخذُ ما يأخذُ من هذيْن الكتابيْن.

«تسامعَ نساءُ القرية وشبانُها بالكتابيْن، فأقبل الجميعُ على صاحِبنا إقبالاً منقطعَ النظير، وذلك لأسبابٍ كثيرة!

منها: أنه لا يتناولُ أَجْراً على الخَدَمات التي يقوم بها لهؤلاء.

ومنها: أنه صبيٌّ يدخلُ البيوت، وتقابلُه النسوةُ والفتياتُ بلا تحرُّج، ودون أن يثيرَ وجودُه بينهن تساؤلاً، كالذي يثيرُه وجودُ من يتعاطوْن هذه الأعمال من الكبار.

ومنها: أن السيدةَ أو الفتاةَ، لا تتحرّجُ أن تفضيَ برغباتِها وأسرارِها ومخاوِفها، لصبي لم يبلغ الحُلُم، ولا تدعو سنُّه إلى الخجل منه!

كان يحضرُ من المدرسة فيجدُ كثيراً من التَّوْصيات بطلبِهِ من عدةِ بيوت، وبعضُها كان يرسل رسولاً يترقبُه ليُحضرَ به، وبخاصةٍ بعد أَنْ عرفَ الجميعُ أنه «مشغول» بالكثير من هذه الدعوات.

والحقُّ أنه كان يحسُّ بنشوةٍ عجيبة، والطلباتُ تتوالى عليه، والأبوابُ جميعُها تُفتح له. ولقد كان صغيراً لم تَثُرْ في نفسه نوازعُ الجنسِ بعد، وتربيتُه المنزلية تجعلُ في نفسه كثيراً من الحشمةِ والحياء، حتى لو ثارتْ بعضُ هذه النوازع!»[(٢)].

---

(١) طفل من القرية: ١٣٩.

(٢) المرجع السابق: ١٤١ وما بعدها.

سيِّد الطفل يدافع عن الفضيلة والأدب

لما كان سيِّد طالباً في مدرسة القرية، أَوْجَدت الوزارةُ فيها نظامَ التعليم المختلط، حيث التحقَ بالمدرسة سبعُ طالباتٍ صغيراتٍ، لا يتجاوَزْن العاشرةَ من أعمارهن[1].

«ومع أنهنَّ لا يمتزْنَ بشيء عن بقيةِ بنات القرية، فإن وجودهنَّ في المدرسة قد أَوْجَد فيها جوّاً غريباً، وأشاعَ فيها عطراً خاصاً. ذلك الجوّ هُو مزيجٌ من الحساسيةِ الحادّة، والرغبةِ المكبوتة في محادثةِ هذا الجنسِ الغريب في المدرسة، ومن الحياءِ القرويِّ الساذج، والحذرِ من تجاوُزِ الحَدّ، فيقَع المتجاوزُ تحتَ طائلةِ العقاب المدرسي والمنزلي على السواء»[2].

ولكن بعضَ طلابِ المدرسة المشاغبين، صاروا يُعاكسون الطالباتِ ويُغازلونهن، بعد الانصراف من المدرسة، ويُحْرِجونهن ويُضَيِّقون عليهن، ببعضِ الكلماتِ والحركاتِ والأصواتِ النابية العابثة.

«أما هو، فإن حياءَهُ الشديد، وتقاليدَه العائلية، قد أمسكتْ به بعيداً عن هذه الحركات. ولكن هذا لم يكن معناه أنه أقلُّ رغبةً من الآخرين في لفْتِ النظر إليه. إنما كانتْ وسيلتُه إلى ذلك مما يتفقُ مع نشأته، فأخذَ جانبَ المدافعِ عن كرامةِ البناتِ، حيثما وُجِّهَ لهن اعتداء!

ومع هذا فقد راعهُ أن يكسب الموقعةَ بلا نضال. لقد كان في البيت ذاتَ يوم، فما راعَهُ إلاَّ البناتُ السبعةُ يطرقْنَ الباب، ويسألْنَ عن شقيقتِهِ الصغيرةِ للّعبِ معها داخلَ الدار!

.. لقد أحسَّ في نفسه نشوةً لم يشعر بمثلِها قط. لقد أدركَ أنه هو المقصودُ بهذه الزيارة، لا أختُه الصغيرة»[3].

---

(١) تعليم مختلط، في قرية، من قرى الصعيد، في مطلع هذا القرن العشرين، هذا دليل على التخطيط العجيب من الغربيين وأعوانهم، في محاربة القيم الإسلامية!!

(٢) طفل من القرية: ٥٣.

(٣) المرجع السابق: ٥٤.

حبّه الأول في القرية

أحبَّ سيِّد وهو صبيٌّ في المرحلةِ الابتدائية، وكانت الفتاةُ التي أحبَّها طالبةً في نفس المدرسةِ الابتدائية، وكانت تربطُها به رابطةٌ بعيدة، حيث كانت مصاهرةٌ بين عائلتِها وعائلتِه، فهي ابنةُ عمِّ زوجةِ عمّه.

«كانت خمريةَ اللون، ذاتَ طابعٍ خاصٍ، غير مكرَّر في الوجوه. ولم تكن حسبَ مقاييس القرية جميلة، فليست بيضاءَ البشرة، وليس أنفُها دقيقاً بالقدَر المطلوب، وليس فمُها كذلك «خاتم سليمان».. ولكنها هي وحدَها من بين بناتِ المدرسة، بل من بين بناتِ القرية جميعاً، كانت تبدو في نظرِهِ جميلة، وكان سرُّ جمالِها عنده أنها ذاتُ طابع خاص! وإنْ لم يدركْ في ذلكَ الحين معنى الطابع الخاص.

وعندما غادرَ القرية إلى القاهرة، ظلَّ هذا الوجهُ يخايلُ له، ويرسم نماذجَ الجمال في نظره. حتى عادَ بعدَ ثلاثةِ أعوام، وقد تغيرتْ حياتُه، وتغيرتْ ثقافتُه، وغيَّرَ عالمه.. إلاَّ أن السؤال الأولَ الذي توجَّهَ به في حذَر والْتواء، كان عن مصير الطفلة، التي فتنتْه أولَ مرة!!

وعلمَ أنها تزوجتْ، وأنها تزوجتْ في جهةٍ نائيةٍ عن القرية.

ورأى نفسَهُ في حاجةٍ لأَنْ ينسحبَ من الجمع، ورأى عينيه تتغرغران بالدموع!!!»(١)

سيِّد مثقِّف للآخرين

كان والد سيِّد سياسياً نشيطاً في القرية، حيث كان عضواً في لجنةِ الحزب الوطني، ومشْتركاً في جريدتِه اليومية «جريدة اللواء» وكان الوطنيون ــ ومنهم ناظرُ المدرسة الشاب الذي أحبّه سيِّد ــ يأتون إلى المنزل، ويعقدون فيه اجتماعاتِهم الوطنية.

---

(١) طفل من القرية: ٥٥.

«في هذه الاجتماعاتِ كانتْ تدورُ أحاديث، يحضرُ بعضَها الصبي، وبعضُها كان سرّياً لا يعلَمُ عنه أحدٌ شيئاً. وكان يسمعُ اسمَ «أفندينا عباس» واسمَ الشيخ عبد العزيز جاويش، واسم محمد فريد...»(1).

وبما أن والدَه كان سياسياً متنوِّراً، فقد كانَ أهلُ القرية يأتون إلى منزله، ليطَّلعوا على أحدثِ الأخبار والأحداث. وكان والده يقرأُ عليهم جريدةَ الحزب «اللواء».

«وشيئاً فشيئاً أخذ سيِّد يشاركُ الكبارَ فيما يخوضون فيه، ولا سيما أنه كان قد وصلَ إلى السنةِ الرابعةِ الأولية.

وكان كثيراً ما يتولّى بدلاً عن والده قراءةَ الجريدةِ للجمعِ الحاشد، الذي يحضُر لاستماعِها في منزلهم»(2).

مشاركة سيِّد في ثورة ١٩١٩م

كان الجوُّ في القرية قبيل عام ١٩١٩م مشحوناً، وكان بيتُ أسرة سيِّد مركزاً لِلقاءات عديدة، يعقدُها وجوهُ القرية مع والده، وكانت تدورُ بينهم أحاديثُ هامسة، وكان سيِّد يراقب ما يجري في المنزل بعينٍ فاحصة «وكان يبدو أن هناكَ شعوراً معيَّناً يختمر، يذكرُ الآن ذلك، ويدركُ أنه وهو طفل كان يتوقع في حسه ـ مع هؤلاء الرجال ـ شيئاً غامِضاً، لا يدري ما هو، ولا كيف يقع، ولكن شيئاً ما سيحدث والسلام!!

وكانت الاجتماعاتُ السرية التي تُعقد في منزله، والأبوابُ مغلَقَة، والأصواتُ تجري همساً، كانت هذه الاجتماعاتُ تُلْقي في روعِه هذا الشيءَ الغامضَ الذي لا يَدْريه!»(3).

ووقعتْ ثورةُ الشعب سنة ١٩١٩م.

وجمعَ ناظر المدرسةِ الطلاب «وألقى عليهم خطبةً وطنية ناريّة. وقال لهم: إن

(1) طفل من القرية: ١٤٦.
(2) المرجع السابق: ١٤٦ ـ ١٤٧.
(3) المرجع السابق: ١٤٦.

المـدرسة ستُغْلَق إلى أجـلٍ غيرِ مسمّى، لأنـه هو وزمـلاؤُه ذاهبونَ للعمـل في الثورة، فهذا واجبُ كلِّ إنسان».

وشاركَ سيِّد في القرية بالثورة، وصار ينظُمُ كلاماً ويُعِدُّ خُطَباً، ويُلقيها على أهـل القرية في المجامع والمساجد: «ووقعت المعجزةُ التي كان يتشَكَّـك فيها تـارة، ويؤمن بها تارة: وقعتْ على يدِه هو، فانطلق في حماسةِ الثـورة وفورتِهـا، يكتب هو الخـطبَ ويضمِّنُهـا أبياتـاً من الشِّعْر ـ يحسبهـا موزونـةً وهي متهالكـة ـ ويُلقيها في المجـامـعِ والمساجد، حيث نفخت الثـورةُ المقدَّسـة في الجميع، فصـاروا يستمعونَ لكـل هاتفٍ بالثورة، ولو كان طِفْلاً صغيراً مثلَه لم يكد يتجاوز العاشرة»[1].

سفر سيِّد للقاهرة

أَمْضَى سيِّد في المدرسةِ ستَّ سنوات.

دخلَها عام ١٩١٢م، وهو في السادسةِ من عمره. والتحق في السنـةِ التجهيزيـة، التي تجهِّزُ الطلاّبَ للسنةِ الأولى الابتدائية.

وأكمَل فيها الدراسةَ الابتدائية، عندما أنهى السنةَ الرابعة الابتدائية.

ولكنه كان صغيـراً، وعمرُه لا يؤهِّلُه لـلالتحاق بمـدرسةِ المعلمين الأوليـة، التي تُخَرِّج المعلمين.

«وكم كان عزيزاً على المدرِّسين أن يفرِّطوا فيه، وهو حجتُهم الأولى على نجاحِ المدرسةِ في تحفيظ القرآن.

وما كان أسرعَ ما احتالوا لذلك، فقيَّدوا اسمَه في السنـة الرابعـة بعد مُضِيِّ شهـرٍ من العام التالي، على أنه مُسْتَجِدّ.

وهكذا عاد إلى المدرسة الحبيبةِ، ليقضي بين جدرانها عاماً آخر»[2].

وتخرَّج من المدرسة عام ١٩١٨م.

---

(١) طفل من القرية: ١٥١.

(٢) المرجع السابق: ٤٥.

لكنه انقطع عن الدراسة سنتين، بسبب ثورة سنة ١٩١٩م.

وبعدما هـدأَت الأمورُ واستقـرَّت الأحوال، رتَّبت الأسـرةُ سفرَ سيِّـد إلى القاهـرة لإكمال دراستِه فيها.

إن أمَّه كانت «تُعِـدُّه للرحيل، للسفـرِ إلى القاهـرة، عند خـاله ليتعلَّم، فلقـد بدَأَ يراهق، وغادَرَ مدرسةَ القرية منذ عاميْن، ولولا الثورةُ وانقطاعُ المواصـلات، واضطرابُ الأحوال، لسافَرَ منذ ذلك الحين.

ولكن، ها هي ذي الحالةُ تهدأ، وساعِدُهُ هو يشتدّ، والمهمةُ التي جُنِّدَ من أجلها تستعجِلُه، فلْيسافرْ على بركةِ الله!»[1].

وسافر عام ١٩٢٠م إلى القاهـرة لإكمال دراستـه فيها، وأقـامَ عند خـاله «أحمـد حسين عثمان» الذي كان يُقيم في حيِّ «الزيتون» في القاهرة.

وكان خالُه من خرّيجي الأزهر، واشتغل بـالصحافـة والتدريس، وكـان يكتب في الصحف بتوقيع «أحمد الموشي» نسبةً إلى قريته «موشة».

وكان خالُه منتمياً لحزب الوفد، وصديقاً لعباس محمود العقاد، وكانا يسكنان في منطقتيْن متجاورتيْن، فأحمد المـوشي يسكن في حي «الزيتـون» وعباس العقـاد يسكن في حي «مصر الجديدة»[2].

* * *

---

(١) طفل من القرية: ٢١٧.

(٢) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢)
دراسته في القاهرة

سيِّد في مدرسة المعلمين الأولية

سافر سيِّد للقاهـرة عند خـاله «أحمـد حسين عثمان» عـام ١٩٢٠م، وانقطعَ عن الدراسةِ أكثرَ من سنة.

وفي عام ١٩٢٢م، التحقَ بمدرسةِ المعلِّمين الأوَّليَّة، وكـان لا يلتحقُ بها إلّا مَنْ تجاوزَ الخامسةَ عشرة من عمره[١].

والمدرسةُ التي التحقَ بها كانت تُسمَّى «مدرسة عبد العزيـز» ومدةُ الـدراسة فيهـا ثلاثُ سنوات[٢].

وقد تخرَّج منها سيِّد عـام ١٩٢٤م. حامـلاً «إجازةَ الكفـاءةِ للتعليم الأوَّليّ» وهي الشهادةُ التي تمنحُها لخرّيجيها.

والدراسةُ فيها تعادلُ الدراسةَ الإعداديةَ أو المتوسطةَ في هذه الأيام.

وكان حاملو «الكفاءة» يعمَلون مُدرِّسين في المـدارس التابعـة لوزارةِ المعـارف. ولو أرادَ سيِّد أن يكون مُدرِّساً لتمَّ له ذلك، وعندها يحصلُ على راتبٍ حكـومي ودَخْلٍ ثابت ــ وبذلك يحقِّقُ أمنيةَ أمهِ التي أعدته لذلـك، ليعيدَ لـلأسرةِ أراضيهـا التي باعَهـا والده تحت ضغط الحاجة ــ.

---

(١) طفل من القرية: ٤٤.

(٢) سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٥٤، من مقابلـة لعبد البـاقي مع محمـد إبراهيم جبـر، زميل سيِّـد في الدراسة في تلك المدرسة وقتها.

ولكنه وجد في نفسهِ رغبة للاستزادة من العلم والدِّراسة، وطُموحاً إلى ما هو أَعْلى وأسمى. فآثرَ تَرْكَ التفكيرِ في الوظيفة، وصمَّمَ على الاستمرار في الدراسة!

سيِّد في «تَجهيزية دار العلوم»

كان الطلابُ المتفوِّقونَ في مدرسةِ المعلِّمين الأوليّة، يسمحُ لهم بمواصلةِ الدراسة والتعليم، عن طريقِ الالتحاق بتجهيزية دار العلوم.

وبما أن سيِّداً كان من المتفوِّقين، فقد التحقَ بتلك المدرسةِ التجهيزية، عام ١٩٢٥م، وكانت تابعةً لكلية دار العلوم.

ومدةُ الدراسة فيها أربعُ سنوات، تكادُ تعادلُ الدراسةَ الثانوية الآن.

وقد عرَّفَ السيّد محمد عبد الجواد في «تقويم دار العلوم» بهذه التجهيزية، ومنهاجِ الدراسة فيها وموادِّها، ونقدِّمُ ذلك للقارىء، ليقفَ على الموضوعاتِ التي دَرَسها سيِّد في دراسته الثانوية.

قال محمد عبد الجواد، عن التجهيزية: إنها كانت «تُعِدُّ الطلبةَ للدخول بمدرسة دار العلوم. وتجري الدراسةُ بها على غرارِ القسم الأدبي بالمدارس الثانوية، إلاّ فيما يتعلَّق بدراسةِ اللغاتِ والترجمة، فَيُستبدلُ بها علومُ الدينِ الإِسلامي والخطُّ، وعلمُ الحياة، وعلمُ نظام الحكومات»[1].

أما برنامجُ الدراسة الأسبوعي فيها، فهو كما يلي:

---

(١) سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٥٤ ــ ٥٥ نقلاً عن تقويم دار العلوم، لمحمد عبد الجواد.

أسماء المواد	حصص الأسبوع			
	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
اللغة العربية	٨	٨	٩	٩
الفقه	٥	٥	—	—
الدين الإسلامي	٢	٢	—	—
القرآن والتفسير والحديث	—	—	٥	٥
علم الحياة «بيولوجيا»	—	—	٣	٣
التاريخ والجغرافيا	٤	٤	٦	٦
نظام الحكومات	—	—	٢	٢
الرياضيات	٨	٨	٤	٤
العلوم الطبيعية	٢	٢	٢	٢
الرسم	٢	٢	٢	٢
الرياضة البدنية	١	١	١	١
مجموع حصص الأسبوع	٣٤	٣٤	٣٤	٣٤

سيِّد في كلية دار العلوم

تخرَّجَ سيِّد من تجهيزية دار العلوم عام ١٩٢٩م.

والتحقَ بكليةِ دار العلوم في نهايةِ نفس العام، وبقي فيها أربعَ سنوات، وتخرَّج منها صيفَ عام ١٩٣٣م، حاملاً معه شهادة «الإجازة العاليـة» ـ الليسانس ـ في اللغـةِ العربية وآدابِها.

وقد درَسَ سيِّد في كليةِ دار العلوم: «العلومَ الشرعية، والعربيـة، والمنطقَ وعلمَ الكلام والفلسفة، واللغة العبرية، واللغة السريانية، ومقارنتها باللغة العربية، والتاريخَ، والاقتصادَ السياسي، وغيرَ ذلك».

«إلى جانب هذا كانت الكليةُ تصرفُ لطلّابها ـ غير الكتب الـدراسية المقـررة ـ كتباً أدبيةً ولغويةً أخرى، قديمـةً وحديثـةً، لـمَنْ أراد أن يستزيـدَ من المعرفـة، من مثل

«الأمالي» و «العقد الفريد» و «الكامل» للمبرد، و «القاموس المحيط» و «فقه اللغة» للثعالبي»[1].

سيِّد غير راضٍ عن منهاج الدراسة

لم يكن سيِّد راضياً عن منهاجِ الدراسة في كليةِ دار العلوم، رغم تنوُّعِ الموادِّ الدراسية، وتركيزها على علوم الدين والأدب واللغة. وكانتْ عينُه على «كلية الآداب» التابعةِ لجامعة القاهرة، وكان يتوقَّعُ أنها أفضلُ وأحسنُ في منهاجِها من كليةِ دار العلوم.

قال للدكتور طه حسين، عندما نَقَدَ كتابَه «مستقبل الثقافة في مصر» الذي صدر في الثلاثينيات:

«لقد كنتُ وأنا طالب، شديدَ الحَنَق على دار العلوم، شديدَ النقمةِ على تقصيرِها في حقِّ الثقافات الأدبية. وكنت أتخيَّلُ أنَّ هناك على الضفة الأخرى للنيل [يعني كلية الآداب في جامعة القاهرة]، وفي مدرَّجاتِ الجامعاتِ عالَماً آخر، من الثقافةِ الواسعة. وكان هذا التخيُّل يزيدُ نقمتي على المدرسة، التي لا تلبّي حاجةَ نفسي. ومضتْ أيام، واختلطتُ بأبناءِ الضفةِ الأخرى، وقرأت ما يكتبون، فالحقُّ أقول لكَ يا دكتور [يقصِد طه حسين] لقد علمتُ أنني ظالمٌ لنفسي ولمعهدي، وقد هدأت ثورتي، وزالتْ حدَّتُها»[2].

وكان من أسبابِ عدمِ رضاه عن منهاجِ الدراسة في دار العلوم، تقصيرُها في تدريسِ اللُّغاتِ الأجنبية، ولذلك قالَ للدكتور طه حسين: «لا يحسَبُ أحدٌ أننا راضون كلَّ الرِّضا عن ثقافةِ دار العلوم، فلا ريْبَ أنَّ جهلَ المدرِّسِ باللغة الأجنبية، يقصُّ أجنحته عن التحليق، وعن متابعةِ آخرِ البحوثِ العلميةِ والنفسيةِ لتجديدِ نفسِهِ ومعلوماته».

«لا ريْبَ كذلك أن دراسةَ الأدب ناقصةٌ في هذه المدرسة، ومثلُها دراسةُ التربية وعلم النفس»[3].

---

(١) سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٥٥، نقلاً عن «خطى مشيناها»، لعباس خضر.

(٢) نقد كتاب «مستقبل الثقافة في مصر»: ٦٥. (٣) المرجع السابق: ٦٣.

سيِّد الطالب في الكلية يقترح تغيير منهاجها

لم يكتفِ سيِّد بإعلانِ عدمِ رضاه عن مناهجِ الدراسةِ في الكلية، وإنما خَطا خطوةً إيجابيةً عملية، وكانت خطوةً عجيبة حقاً. لقد قدَّم وهو طالبٌ في الكلية مذكِّرةً لإدارتها، يقترحُ فيها تغييرَ منهاج الدراسة فيها!

قال للدكتور طه حسين: «ولقد سبقَ لي أن صرحتُ بها وأنا طالبٌ في المدرسةِ منذ ست سنوات، وقد قدمْتُ بها اقتراحات، ضمنْتُها برامجَ كاملةً للدِراسة في المدرسة، إلى صاحبِ العزَّةِ ناظرِها، واقترحْتُ أن تكونَ المدرسة تجهيزيةً خاصة، تُدرَّسُ بها اللغةُ الإنجليزية منذُ أولِ سنة، وتتوسَّعُ في دراسةِ العربيةِ وعلومِ الدين، فتهيِّىء بذلك للقسم العالي، على أن تستمرَّ دراسةُ الإنجليزيةِ في هذا القسم، ويُتَوَسَّعُ في دراسةِ اللغة العبرية وفي علومِ التربية، ويُخْلَقُ درسُ النقدِ الفني بجانبِ تاريخ أدبِ اللغة الذي يُدَرَّسُ الآن، وتزادُ سنواتُ الدراسة بالقسم العالي إلى ستِ سَنَوات، تنتهي بتقديمِ رسالة، ويَستقلُّ مجلسُ إدارتها بتسيير نظامها»[1].

والذي يثيرُ الانتباهَ والإعجابَ معاً، أن يفكرَ وهو طالب بتغيير منهاجِ الدراسة، وأن يضعَ المنهاجَ المقترحَ الذي يراه أنسبَ وأصلح. والأهمُّ من كل هذا هو أن يقدمَ اقتراحَه هذا بمذكرةٍ صريحة إلى إدارة الكلية، بجرأةٍ وشجاعةٍ وإقدام.

سيِّد يدير النقاشات الأدبية

لم يكنْ سيِّد في الكلية مجردَ طالبٍ عادي، كما هو شأنُ معظمِ الطلاب، وإنما كان كلُّه حيويةً ونشاطاً وبحثاً واطلاعاً.

كان معروفاً بين الطلابِ بآرائه النقدية، وكان يقدِّمُ رأيَهُ في موضوعاتِ الأدبِ والنقد والشعرِ، بصراحةٍ وشجاعةٍ وحِدَّة.

وكثيراً ما كان يديرُ النقاشاتِ الأدبية والنقدية في الكلية، وينقسمُ الطلابُ فيها إلى قسميْن أو أكثر، وكان يتزعمُ القسمَ الذي يرى رأيهُ في مواجهةِ القسمِ الآخر، وكانت النقاشاتُ والمعاركُ الأدبيةُ حادَّةً عنيفةً قاسية.

---

(١) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر: ٦٤.

ومن الأمثلةِ على تلك النقـاشـات، انتقـادُهُ لأدب مصطفى صـادق الـرافعي، وهجومُه عليه، وتحدّيه للطلاب الذين يُؤيِّدون الرافعي، ويُعجَبون بأدبـه، ومنهم محمد سعيد العريان ومحمود شاكر.

قال محمد رفيق اللبابيدي ـ من فلسطين ـ معلِّقاً على المعـركة بين سيِّد قطب وبين محمود شاكر، حول أدب الرافعي في مجلة الرسالة:

«أنا أعرفُ رأيَ الأخ قطب في الرافعي من قبل، وأعرفُ أنـه رأي غيرُ تقليـدي. فلقـد كنتُ في دارِ العلوم، وكانتْ حلقـةُ الإخوانِ تضم قـطباً، وكنـا دائماً على طَـرَفَيْ نقيض، فجماعةٌ منّا مع الـرافعي، وأُخرى عليـه. وكان ـ على مـا أذكر ـ الأخُ قـطب لسانَها»[1].

سيِّد يخالف أساتذته

ولم يقفْ خلافُه في الرأيِ مع الآخرين عندَ زملائه الطلاب، بل شملَ أساتذته. فقد كانَ يخـالفُهم في الرأي بشـأنِ بعضِ المسائـلِ الأدبيةِ والنقـدية، يخـالفهم بأدبٍ واحترام وتقدير.

ومنَ الأمثلةِ على ذلك، رأيُه في «أحمد شوقي» وحكمُه على شعره، ونقدُه الحادُّ له.

فلما ألقى محاضـرةً في مدرج «كليـةِ دار العلوم» ـ وهو طـالب في الكلية ـ عن «مهمة الشاعر في الحياة»، أوردَ بعض الأبيات الشعرية لأحمد شـوقي، ونقَدَهـا بعلميّةٍ وموضوعيةٍ، وبيَّن ما يأخذُه على أحمد شوقي فيها، بصراحةٍ وجرأةٍ وشجاعة.

وقد استدركَ على حكمـه على شعر شـوقي أستاذُه «محمـد مهدي عـلاّم» وقال: «ولا أترددُ هنا في أن أعلنَ أنـه قاسٍ على «شـوقي» قسوةً لا أغفـرُها لـه. لقد نقَّبَ في شعرِ شوقي، حتى أخرجَ منه سقطات، لا يسْلَمُ منها فحلٌ من فحول الشعـراء، في أيِّ عصر، أو في أيةِ أمة. وليس ذلك من الإنصـاف، لأن لشوقي كنـوزاً عظيمـةً من الشعر

---

(١) مجلة «الرسالة»، السنة السادسة. المجلد الثاني. عدد: ٢٦١. صفحة: ١١٠٥.

الخالد، كان جديراً بالمحاضر أن يضَعَها في كفة، وتلكَ السقطاتِ في كفَّةٍ أخرى. ولستُ أشكُّ في أنه إنْ فَعَلَ، رجَّحَ كفةَ الحسنات ترجيحاً»(١).

ولم يسكت سيِّد على استدراكِ أستاذِه، ولم يُسَلِّمْ بانتقادِه له، فردَّ عليه قائلاً: «مع احترامي الكثير لما ذكَره أستاذي عن شوقي. إني أميلُ إلى أَنْ أُقرر: أنني فيما ذكرتُه في محاضرتي، لم أكنْ بصددِ إصْدارِ حُكْم على «شوقي» وإنما اخترتُ أمثلةً من شِعْره، وإذا كنتُ قاسياً في تعليقي، فتلكَ قسوةٌ على المثالِ الذي اخترتُه، لا قسوةٌ على شوقي نفسه.

وإنْ كان رأيي في «شوقي» كلِّه، بعد دراسةٍ كاملةٍ لكلِّ ما أنتجَه، لا يختلفُ كثيراً عن تعليقي على الأمثلةِ المختارة.

وبهذه المناسبة، أَعِدُ بأنْ أكتبَ نتيجةَ دراستي لشوقي في محاضرةٍ أو كتابٍ آخر، يتَّسعُ للبحث والدراسة والاستقصاء، ويكونُ رأيي إذ ذاكَ مؤيَّداً بكل ما أنتجهُ شوقي، بلا استثناء.

وأنا أعودُ، فأشكرُ لأستاذي الفاضل، أَنْ حَفَزَني إلى إخراج مبحث جديد».(٢)

قال هذا الكلام عام ١٩٣٢م، وهو طالب في السنة الثالثة في الكلية!.

تقدير أساتذته له

كان أساتذتُه في الكلية يقدِّرونَه، وكانوا معجَبين به وبعلمِه وهمَّتِه وشخصيَّتِه، رغم أنه كان يخالفُهم في بعض الآراء والمسائل والقضايا الفكرية والأدبية.

ومن إعجابِهم به وتقديرِهم له، موافقتُهم على أن يلقيَ المحاضراتِ الأدبيةَ على مدرج الكلية، ويستمعُ لها الطلاب والأساتذة، ويقدِّمه فيها هؤلاء الأساتذة.

ففي عام ١٩٣٢م، وهو طالبٌ في السنة الثالثة، رُتِّبَتْ له محاضرةٌ أدبيةٌ نقدية

---

(١) مهمة الشاعر في الحياة. تقديم محمد مهدي علام: ١٠.

(٢) مهمة الشاعر في الحياة: ١١.

بعنوان، «مهمة الشاعر في الحياة، وشعر الجيل الحاضر»، وقدَّمه فيها أستاذُه «محمد مهدي علّام»، وقال في التعقيب عليها:

«ولئنْ كنتُ قدْ قدَّمْتُ المحاضرَ «سيِّد قطب» بأنه طالب، يسرني أن يكونَ أحدَ تلاميذي، فإنني أقولُ اليوم ــ وقد سمعتُ محاضرتَه ــ إنَّه لو لم يكن لي تلميذٌ سواه، لكفاني ذلك سروراً، وقَناعة، واطمئناناً إلى أنني سأُحَمِّلُ أمانَةَ العلم والأدب، مَنْ لا أَشكُّ في حسْنِ قيامِه عليها.

يعجبني في كاتبِ هذه المحاضرة، جرأتُه الحازمة، التي لمْ تَسْفُهْ، فتصبحَ تهوُّراً، ولم تَذِلَّ فتغدو جبْناً، وإنَّ هذه الجرأةَ الرشيدة التي دعَتْهُ إلى الاستقلال برأيه في بحثه ــ حتى ولو خالَفَنا في بعض ما نعتقِدُه من الآراء الأدبية ــ لهي التي تجعلُه أحبَّ إلى قلوبنا.

وقصارى القراء، أن أقول لهم: إنني أَعُدُّ «سيِّد قطب» مفخرةً من مفاخر «دار العلوم»، وإذا قلتُ «دارَ العلوم» فقد عنيتُ دارَ الحكمة والأدب»[1].

من أعز أصدقائه في الكلية

كان لسيِّد وهو طالبٌ في الكلية أصدقاءُ كثيرون، بعضُهم استمرت صداقتُه معه، وصلتُه الوثيقةُ به، حتى بعدَ التخرُّج، والدخولِ في معتركِ الحياة.

من هؤلاء الأصدقاء «سعد اللَّبَّان»، «رئيسُ جماعةِ دار العلوم»، ووزيرُ التربية والتعليم في أول حكومة بعد الثورة.

ومنهم «محمد إبراهيم جبر»، المدرسُ ثم المديرُ في مدارس التربية والتعليم، الذي كان سيِّد يراسِلُه وهو في أمريكا.

لكنَّ من أعزِّ أصدقائه، وأخلصِ أصفيائه رجلين:

الأول: «فايد العمروسي» وهو أديب، وشاعر مبدِع، وكاتبٌ ومؤرِّخ.

ولما طبعَ سيِّدُ أولَ ديوانِ شعْرٍ له «الشاطىء المجهول» عرَّف به فايد العمروسي،

(١) مهمة الشاعر في الحياة: ٩ ــ ١٠ باختصار.

وحلَّله تحليلاً جيداً، في مجلةِ دار العلوم[1].

وقد نشرَ «فايد» سلسلةً من كتب التاريخ وأعلام المسلمين وأبطالِهم، بأسلوبٍ رشيق مؤثِّر، للناشئة من الفتيان والفتيات.

الثاني: هو «عبد العزيز عتيق»، هو أديب وشاعر، وكاتب وناقد.

ولما ألَّف عتيق أولَ ديوانِ شعر له «ديوان عتيق» عام ١٩٣٣م، كتبَ له سيِّد قطب مقدمةً جيدة، عرَّف فيها بالشاعر، واتجاهاتِ شعره، وشاعريَّته، وبيَّن فيها أنهُ أعرفُ الناس بشخصيةِ صاحب الديوان، وبتصرفاتِه في الحياة، وبأفكاره وخواطره ودراستِه[2].

وقد تخصصَ «عبد العزيز عتيق» في الأدب والنقد، وحصلَ على درجة «الدكتوراة» في الأدب، وعمل أستاذاً للأدب والنقد في جامعة بيروت العربية، وأصدرَ عدة كتب في الأدب والنقد والبلاغة، لطلبة الجامعة.

وقد تُوفيَ هذان الأديبان بعد منتصفِ السبعينيّات، وكم كنتُ حريصاً على الالتقاءِ بهما، للوقوفِ على ما عندهما من أخبارٍ عن سيِّد قطب، وحديثٍ عن حياتِه وشخصيته ومواهبه وأعماله، لكنَّ «الأجل» كان أسبقَ مني إليهما!!

من نشاطاته في الكلية

لم تكن اهتماماتُ سيِّد، وهو طالب في الكلية، اهتماماتٍ أدبيةً أو ثقافية فقط، فقد كان له نشاطٌ بارزٌ في المجالَيْن السياسيِّ والاجتماعي، ولا ننسى أنه كان عضواً في حزب الوفد، وأنه كانَ يكتبُ المقالاتِ في الصحف والمجلات.

ونشيرُ إلى واحدٍ من نشاطاته السياسية والاجتماعية في تلك الفترة:

فعندما افْتُتِحَ «بيتُ المغرب» في مصر، وعُيِّنَ «المَكّيُّ الناصِري» أولَ مدير له، وكان هذا عام ١٩٣٨م. قال سيِّد قطب: «ولقدْ كان لي من قبلُ حظُّ معرفةِ الرجل

---

(١) مجلة «دار العلوم». السنة الأولى. العدد الرابع. صفحات: ٢٢٠ ـ ٢٢٥.

(٢) مجلة «الرسالة». السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٧. صفحة: ١٠٨٦.

الوطني العامل، الذي يشرفُ اليوم على بيتِ المغرب، بأقسامه الثلاثة، إذْ كان يدرسُ بمصر عام ١٩٢٩م، وكانتْ وجهتُنا إذْ ذاك مع نخبةٍ من أكرمِ الإخوان المصريّين والشرقيّين أن نؤلِّفَ جمعيةً للطلبة من هؤلاء وهؤلاء، تُمَكِّنُ من الروابط بين الجميع، وتعملُ للمستقبل في توثيق العلاقات، وتسهِّلُ للطلبة الشرقيين وسائلَ العلوم والراحة في مصر. وكان الأستاذُ المكيُّ الناصري أشدَّ المتحمّسين للفكرة، وكنا نجتمعُ ـ غالباً ـ في داره، للمباحثات في تحقيق هذا الأمل الكريم»[1].

سيِّد يشارك في تأسيس جماعة «دار العلوم»

تداعى جماعةٌ من طلابِ كليةِ دار العلوم، إلى تأسيسِ جمعيةٍ من خرّيجي الكلية، بهدفِ الدفاعِ عن اللغةِ العربية وآدابِها وعلومِها، والوقوفِ في وجْهِ أعدائِها. وكان في مقدِّمة القائمين على الدعوة، زميلان صديقان لسيِّد، هما «سعد اللبان» و «محمد إبراهيم جبر». وكان سيِّدُ من بين المشاركين في الدعوة إلى تأسيس الجماعة.

وتأسست الجماعةُ باسم «جماعة دار العلومَ» عام **١٩٣٣م** ـ نفس السنة التي تخرَّج فيها ـ. وأصدرت الجماعةُ مجلة هي مجلة «دار العلوم»، وكانت فصليةً ـ تصدرُ أربعَ مرات في السنة ـ وصدرت المجلةُ أربعَ عشْرةَ سنة كاملة ـ منذ ١٩٣٤م إلى ١٩٤٧م ـ وقد نشرَ فيها سيِّد مجموعةً من مقالاتِه الأدبيةِ والنقديةِ والفنية والاجتماعية. من أشهرها وأكبرِها حجماً، مقالُه عن «نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر» للدكتور طه حسين، والذي أصدره في كتابٍ مستقلٍ بعد ذلك.

«ومن الواضح أن سيِّدَ قطب كان عضواً في الجماعة، ومشاركاً في كلِّ نشاطاتها، كأي «دَرْعَمِيٍّ» عادي ـ نسبة إلى دار العلوم ـ ولم يكنْ من النخبةِ القائدة، إذ كان الأدب والنقد يملآن عليه حياته، ويُشغلان كلَّ وقته»[2].

---

(١) مجلة «الرسالة». السنة السادسة. المجلد الثاني. عدد: ٢٨٢. صفحة: ١٩٣٧. .

(٢) صحيفة «اللواء» الأردنية. عدد: ٧٠٠. تاريخ ١٩٨٧/١٠/٨. صفحة: ١٩. نقلاً عن مجلة «الهلال» المصرية. أكتوبر ١٩٨٦م. مقال الطاهر أحمد مكي «ثلاث رسائل لم تنشر للشهيد سيِّد قطب».

ولم ينسَ جماعةَ دار العلوم، حتى وهو في أمريكا، كان يفكِّرُ فيها، ولذلك بعثَ رسالةً إلى زميله «محمد إبراهيم جبر» يطلبُ منه فيها إخبارَه عن أحوال الجماعة. قال له فيها: «أنا أعرفُ أنك أنت لا يهمُّكَ لشخصِكَ شيء، ولكن للجماعة طرفاً آخر، ومصالح عامة.

ثم ما هي أحوالُ الجماعة اليوم؟ من هم أعضاءُ مجلسِ إدارتِها؟ كيف تسيرُ الأمورُ داخلَها وخارجَها. كلُّ أولئك من حقي أن أعرف عنه شيئاً»[1].

* * *

(١) المرجع السابق «اللواء» صفحة: ٣١.

(٣)

وظيفته في وزارة المعارف

سيِّد مدرس في المدارس

تخرَّجَ سيِّد من كليةِ دار العلوم في صيف عام ١٩٣٣م.

وقد عملَ فورَ تخرُّجِه في مدارس الوزارة مُدَرِّساً.

وقد سجَّلَ الباحث «عبد الباقي محمد حسين» ـ عندما كان يُعِدُّ رسالةَ الماجستير عن سيِّد قطب وأدبه ـ المدارسَ التي عمل مدرِّساً فيها، واستخرج ذلك من ملف سيِّد قطب بوزارة التربية والتعليم.

وملفُّ خدمتِه محفوظٌ بإدارة القيد والحفظ بديوان عام الوزارة. رقم ورمزُ الملفّ: ١٢ ـ ٢١ / ٥[1].

عُيِّن مدرِّساً في «تحضيرية الداوودية» في القاهرة، بتاريخ ٢/١٢/١٩٣٣م. براتب شهري قدرهُ ستُّ جنيهات! وظلَّ فيها حوالي عامَيْن.

انتقل إلى مدرسة دمياط الابتدائية بتاريخ ١/٩/١٩٣٥م. ولم يناسب طقسُ دمياط وجوُّها صحَّته المرهقة، لما فيها من رطوبة تؤذيه، فعمل على أن ينتقل منها.

انتقل إلى مدرسة بني سويف الابتدائية بتاريخ ١/١٢/١٩٣٥م.

انتقل إلى مدرسة حلوان الابتدائية بتاريخ ١/١١/١٩٣٦م[2].

---

(١) سيِّد قطب، لعبد الباقي: ١٧. نقلاً عن ملف خدمته في الوزارة.

(٢) المرجع السابق: ٢٨.

وبعدَ أكثر من ستّ سنوات في مهنةِ التدريس، انتقل سيِّد إلى وزارة المعارف بتاريخ ١/٣/١٩٤٠م[١].

سرُّ إقامته في حلوان

لما انتقل إلى حلوان في نهاية عام ١٩٣٦م، كانت ضاحيةً شبهَ ريفية، من ضواحي القاهرة، إلى الجنوب منها.

وقد استقرَّ فيها استقراراً نهائياً. حيث استأجر بيتاً واسعاً يملكه مأذونُ حَلْوان. ثم اشتراه منه بعد ذلك بألفيْ جنيه. وكان البيتُ مُحاطاً بحديقةٍ جميلةٍ واسعة، تمتدُّ مساحتُها إلى نصفِ فدان[٢].

وكان في حديقة البيت شجرةُ عتيقةٌ كبيرةٌ، ممتدةُ الأغصان، وكان لسيِّد مقعدُه الوثيرُ تحتَ تلك الشجرة، وكان يلتقي بأصدقائه وزائريه تحت الشجرة، وقد تدلَّتْ من بين أغصانها مصابيحُ الكهرباء، وجعلَ حجرةَ مكتبه بالقربِ منها، تطلُّ نافذتُها عليها[٣].

والذي جعلهُ يختار «حلوان» للإقامةِ الدائمة فيها، هو جوُّها المعتدلُ الجافُّ الخالي من الرطوبة، وشمسُها المشرقة، لأن صحتَه المرهقةُ المتعبة لا تحتملُ الرطوبةَ والبردَ، والزكام والزحام!!

سيِّد موظف في الوزارة

انتقل سيِّد إلى الوزارة بتاريخ ١/٣/١٩٤٠م.

وعملَ فيها محرِّراً عربيّاً في مراقبةِ الثقافة العامة.

ثم نُدِب إلى إدارة الترجمة والإحصاء بتاريخ ١٧/٤/١٩٤٠م.

---

(١) المرجع السابق: ٣٠.

(٢) سيِّد قطب من القرية إلى المشنقة، لعادل حمودة: ٦١.

(٣) مقال «تحولات كاتب»، لسليمان فياض. صحيفة اللواء الأردنية. عدد: ٦٩٦. بتاريخ ١٠/٩/٨٦. صفحة: ٧.

ثم نُقِل مفتشاً بالتعليم الابتدائي بتاريخ ١/٧/١٩٤٤م، وكان هذا النقلُ بسببِ غضبِ وزير المعارف عليه، لنشاطهِ الثقافي والأدبي والسياسي[١].

أُعيدَ إلى إدارةِ الثقافة العامة في أبريل ــ نيسان ــ ١٩٤٥م، وكان رئيسُهُ فيها «أحمد أمين»[٢].

بقي في عمله حتى أواخر عام ١٩٤٨م، حيث رَتَّبَ المخططون في الوزارة له مهمةً علميةً إلى أمريكا، حيث سافر إلى أمريكا في ٣/١١/١٩٤٨م. وكان سفره «في بعثة علمية من وزارة المعارف، للتخصص في التربيةِ وأُصولِ المناهج»[٣] ــ كما هو مسجَّلٌ في ملفّه في الوزارة بالحرف[٣].

بقيَ سيِّد في أمريكا حوالي سنتين. ثم عاد منها بتاريخ ٢٣/٨/١٩٥٠م.

عُيِّنَ بوظيفةِ مراقبٍ مساعد بمكتب وزير المعارف، وكان وقتها «إسماعيل القباني».

نُقِلَ إلى منطقةِ القاهرةِ الجنوبيَّة التعليمية في ٢٢/١٠/١٩٥١م.

أُعيد إلى الوزارة في ١٧/٥/١٩٥٢م ليعمل مراقباً مساعداً بالبحوث الفنية والمشروعات.

وأخيراً قدَّم استقالته من الوزارة في ١٨/١٠/١٩٥٢م[٤].

قبول استقالته من الوزارة

فوجىء العاملون في الوزارة ــ وعلى رأْسِهم الوزير إسماعيل القباني ــ باستِقالةِ سيِّد من الوظيفة.

وقد حاولَ الوزيرُ بشتّى الوسائِلِ إقناعَ سيِّد بالعدول عن الاستقالة، وعودتِه إلى

(١) سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٣٠.
(٢) المرجع السابق: ٣١.
(٣) المرجع السابق: ٤٠.
(٤) المرجع السابق: ٤٣.

العمل، وأخَّرَ الاستقالةَ أكثـرَ من سنة، على أملِ عُدولِ سيِّد عنها.

ولمـا أصرَّ سيِّـد عليها، رفـع الوزيـرُ إسماعيـل القباني، الاستقـالـةَ إلى مجلس الوزراء ــ الذي كان يرأسُه البكباشي جمال عبد الناصر ــ في ١٩٥٣/١٢/٣٠م.

وقال في المذكِّرة التي رفَعَها لمجلس الوزراء: «ولما كنتُ ــ بـالرغم من هـذا ــ أعتقدُ أن به بعضَ النواحي الطيبة، التي يمكنُ الاستفادةُ منهـا، وأنَّ له من قـوةِ تفكيرِه وكفايتِه، ما يجعله قادراً على الإنتاج، فقد حاولتُ أن أُثْنِيَهُ عن عزمه، وأَنْ أُقنعهُ بالعودة إلى عمله. وكانت آخر محاولةٍ لذلك في الأسبـوع الماضي، ولكنـه أصرَّ على طلبـه، وكان طولَ هذه المدة ممتنعاً عن العمل».

وكان القبّاني يقـدّرُ سيِّد ــ رغم اختـلافِه معـه ــ فلم يشأْ أن يخسـرَ سيِّد خـدمتَه التي قـاربتْ تسعةَ عَشَـرَ عامـاً، ولذلـك طلب من مجلسِ الوزراء أن يضيفَ إلى مـدةِ خـدمة سيِّـد سنتيْن أخـرييْن، ليستكمـلَ المـدة القـانـونيـة للمعـاش، ليستحقَّ الـراتب التقاعدي.

وفي ١٩٥٤/١/١٣م وافقَ مجلسُ الـوزراء في حكـومـةِ الثـورة على استقـالـةِ سيِّد قطب من الـوزارة من تاريـخ تقديم سيِّـد لها، وهـو ١٩٥٢/١٠/١٨م، وليس من تـاريخِ مـوافقةِ المجلس عليهـا، ولـم يأخـذوا بتنسيبِ القباني في زيـادة مـدة خـدمتِـه ليستحقَّ الراتب التقاعدي.

وقرارُ مجلسِ الوزراء فيه إضْرارٌ بسيِّد، واتُّخِذَ بعدَ تأزُّمِ علاقاتِ حكـومةِ الثـورة بجماعةِ الإخوان المسلمين(١).

لقد كانت خدمةُ سيِّـد في الوزارة من ١٩٣٣/١٢/٢م، إلى ١٩٥٢/١٠/١٨م. وكان مجموعُها: ثمانيةَ عشر عاماً، وعشرةَ أشهر وستةَ عشر يوماً.

من اقتراحاته لتحسين العملية التربوية في الوزارة

لم يكنْ سيِّد في عمله في الوزارة مجردَ موظفٍ عادي، كمعظمِ المـوظفين. بل كان دائمَ التفكير في تحسينِ العملية التربوية، يفكِّرُ بعملِ الوزارة ومناهجِها ووسائلِها،

---

(١) سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٤٣، نقلاً عن ملف خدمته في الوزارة.

ويضعُ الخططَ التي يراها لمسيرتها، ويقومُ بالدراسات، ويُعِدُّ التقارير، ويقدمُ المقترحات. يفعل هذا في جرأةٍ وشجاعة، وصراحة ووضوح.

كان يقدِّمُ مقترحاتِه، ولو أدى ذلك إلى غضبِ رؤسائه، إذْ لم يكن همُّه كسبَ رضاهم، والتزلفَ إليهم، والحرصَ على الترقياتِ والزياداتِ والترفيعات، كمعظم الموظفين. وإنما كان همُّهُ قولَ ما يرى أنه الحق، والتفكيرَ المستمر في رفْع مستوى الأجهزة في الوزارة، وتحسينِ أدائها.

ولقد قدَّم الكثيرَ من المقترحات، وأشار هو إلى بعضها:

منها مقترحاتُه في تعديلِ منهاجِ الدراسةِ بكلية دار العلوم، والتي قدَّمها إلى إدارةِ الكلية، وهو طالب فيها. ولم تأخذ الإدارةُ بها وبقي مصرًّاً عليها بعدَ أن عمل في الوزارة ــ كما قال لطه حسين[١] ــ.

ومنها اقتراحاتُه لإصلاحِ دروس النحو والبلاغة والصرف والإملاء[٢].

ومنها «مشروعُ الترجمة» الذي أعدَّه، وقدَّمه للوزارة، ووضعَ فيه خطةً عامة للترجمة. وقد اهتمتْ به الوزارة فترة ثم أغفلتْه[٣].

ومنها اقتراحُه الذي قدَّمه للوزارة بخصوص «مكتباتِ المدارس» الذي يقول عنه: «لقد اقترحتُ مرَّةً على وزارة المعارف أن تُزيلَ الغبارَ عن سمعتها في أسواق الورّاقين، وهي سمعةٌ لا يسرُّ الوزارةَ أن تعرفَها، ورائحةٌ لا يريحُها أن تشمَّها. لقد اقترحتُ عليها أن تنشىءَ ألفَ مكتبة فرعية صغيرة، في المدن والقرى الكبيرة، ولا يكلِّفُ إنشاءُ الواحدة منها أكثرَ من مائة جنيه..»

أما سببُ رفضِ اقتراحه فهو: «لأنه يحرمُ بعضَ دور النشرِ المحظوظة من الاستيلاء على أكبرِ مبلغ من ميزانيةِ الكتب في وزارةِ المعارف، ويحرمُ بعضَ ذوي

---

(١) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر: ٦٤.

(٢) المرجع السابق: ٥٥ ــ ٥٦.

(٣) مجلة الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٦١٨. صفحة: ٤٦٦.

النفوذ من الاتجار بنفوذهم في سوق الورّاقين، ويحرمُ بعضَ ذوي الشَّفاعات من المؤلفين، أن يستمتعوا بالربح الحرام»[1].

ومنها اقتراحُه الذي قدَّمه إلى وزيرِ المعارف ـ الدكتور عبد الرزاق السنهوري ـ عام ١٩٤٧م، ووَضَعَ فيه خطةً شاملة لتغييرِ نظامِ دراسةِ التاريخ، كي يُقامَ على أساسٍ سليم[2].

وبعدما عادَ من أمريكا عام ١٩٥٠م، قدَّم للوزارة عدةَ اقتراحاتٍ لتحسينِ العمليةِ التربوية، وقامَ بعدةِ محاولاتٍ لإصلاحِ جهاز الوزارة. أشار إلى بعضِها قائلاً: «ألم أحاولْ عشرينَ مرةً ـ بعد عودتي من البعثة إلى أمريكا ـ أن أُنشئَ لوزارةِ المعارف إدارةً فنيةً صحيحة، تُقيمُ نظمَ التعليم ومناهجَه على أساسٍ سليم، ففشلتُ في هذه المرات فشلاً ذريعاً، لأنَّ المرادَ في هذه المرة كان إصلاحاً في الصميم»[3].

وقد نشرَ هذا الكلام في مجلة الرسالة في شهر يوليو ١٩٥٢م، بعد تقديم استقالتِه، وكأنّه يبينُ فيه أسبابَ تقديم استقالته.

نموذج لمضايقة رؤسائه له

أشارَ سيِّد قطب إلى نموذجٍ من مضايقةِ رؤسائه في الوزارة له، وتوجيههم الإنذارات له. وذلك في مقالٍ نشرهُ في مجلة الرسالة، عام ١٩٤٦م، بَيَّن فيه سببَ نقلِهم له من وظيفته في الوزارة، إلى وظيفة مفتش، وأنه كادَ يستقيلُ في ذلك العام، لولا إقناعُ الدكتور طه حسين ـ المستشارِ في الوزارة وقتها ـ له بالعدول عنها.

قال: «كانت الحربُ، وكانت الأحكام العرفيةُ. وقال الوزير ـ هو أحمد نجيب الهلالي ـ: لابدَّ أن يُفصلَ هذا الموظف، أو يُنفى من الأرض، أو يُشرَّد فيها. فقد أبلغتني إدارةُ الأمن العام عنه أشياء!! إدارةُ الأمن العام؟ أيْ، إدارةُ الأمن العام..

---

(١) مجلة الرسالة. السنة التاسعة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٩٤١. صفحة: ٧٩٩.

(٢) مجلة «الرسالة». السنة العشرون. المجلد الأول. عدد: ٩٩٥. تاريخ ٢٨/٧/١٩٥٢. صفحة: ٨٣٧.

(٣) المرجع السابق.

وأبلغتني أنه يعملُ لحساب المعارضة.

ثم إن «دوسيهـه» ليس نـظيفـاً. فيـه إنـذاران على كتـابتـه في الصحفِ مقـالاتٍ سياسية وهو موظَّف! موظف، أيْ: عبد. لا رأيَ لـه في قضية بلده، ولـو لم يكن لهذا الرأيِ صفةُ الحزبية.

وأُبلغتُ أنني منفيٌّ من الأرض.

وقررتُ أن أستقيل! وأَباها الـدكتور طـه حسين. وقال: لن تصنَعَهـا وأنا هنـا في الوزارة.

قلت: ولكني لن أخضـعَ لأهواء الـوزراء. واجهوني بمـا يُقال عني، ثم اصنعـوا ما تشاءون. وسأصنعُ كذلك ما أَشاء.

قال: وإذا استقلْتَ فماذا تصنع؟ وأنا أعرفُ أعباءَك الثِّقال.

قلت: أصنعُ ما يتهيأُ لي، فلستُ من عجزةِ الديوان.

قـال: لن تستطيـعَ أن تصنعَ شيئـاً في هذه الأيـام، فالأحكـامُ العـرفيـة تملكُ أن تعتقلك إلى أيِّ مكـان، وأن تُلْزِمك الإقـامة في هـذا المكـان. حـتى لـو استقلْتَ من الحكومة، فخيرٌ لك أن تقيمَ فيه موظَّفاً، ولا تُقيم فيه منفياً.

قلت: معذرةً يا سيدي الدكتور، فإني أُفَضِّلُ أن أقيم هناك منفيـاً.. ثم.. ثم.. إنني سأكونُ بطلاً في عهد الوزارة القادمـة، ولِمَ لا! أَلم تتدهـور البطولـةُ عندنـا، حتى صـارت تُكْتسبُ بالنقـل إلى جهةٍ نـائية في عهْـدٍ من العهـود، أو بـالتخلُّف عن درجـةٍ استثنائية كالزملاء!

وقال الرجل: أتنفي لي أنكَ أتيتَ ما نُسبَ إليك؟

قلت: وهل أَدري ما يُنسبُ إليَّ؟

قـال: أشياء. جلستَ في بـارِ «اللواء»، وقلتَها لبعض الجـالسين والأصدقـاء عن بعضِ الوزراء! ومعارضاتٌ سريةٌ للعهد الماضي، تنفيذاً لخطةٍ حزبية معينة.

قلت: لقد اعتدتُ أن أنشـرَ آرائي، وأن أوَقِّعَها بـإمضائي، فليس من عـادتي أن

أُثرثرَ في المجالس بشيء، أو أن أَعملَ في الخفاء.

قال: وأنتَ عندي مصدَّق. فدع لي الأمر، وسأُحـدثُ أزمةً من أجلكَ لـو اقتضى الحال!

ووُفِّقَ الرجلُ بين أريحيَّته الكريمة وتشدُّد الوزير. فكلَّفني أن أقومَ بمهمةٍ تفتيشية في الصعيد، لمدةِ شهرين، أختارُ فيها من الجهاتِ والمدارس ما أَشـاء. وأكتبَ تقريـراً شـاملاً عن دراسـةِ اللغة العـربية في المـدارس على اختلافها، وأُفصِّـلَ اقتراحـاتي في إصلاح هذه الدراسة بصفة عامة.

ووجـدتُ في ذاتِ المهمة مـا يُغري، وفي أريحيـةِ الرجـل ما يُخَجِّـل. فنفـذتُ التكليف!»[1].

* * *

(١) الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عـدد: ٦٨١. تاريـخ ٢٢/٧/١٩٤٦م. صفحة: ٧٩٦ ــ ٧٩٧. وانظر سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٣٠ ــ ٣١.

(٤)
مقالاته في الصحف والمجلات

صلته بالصحف والمجلات مبكرة

بدأتْ صلةُ سيِّد قطب في الصحف والمجلات في وقت مبكِّر من حياته، فمنذُ أن وصلَ القاهرة وأقامَ عند خاله الصحفي، وهو متصلٌ بتلك الصحف.

أولُ مقال نشرهُ في صحيفة «البلاغ» اليومية، عام ١٩٢٢م، أي بعدَ عام من وصولِهِ إلى القاهرة. وكان عمرُه ستةَ عشر عاماً، وكان طالباً في «مدرسة المعلمين الأولية».

وفي ذلك يقولُ ــ في جريدة «الأسبوع» في مايو ١٩٣٤م ــ «وإذا كنتُ، قد كتبتُ في الصحفِ من اثني عشر عاماً، فأنا أذكرُ أن أونَ مقالةٍ لي في صحيفةٍ يوميةٍ «البلاغ» كانتْ عن طرق التدريس»(١).

ويبدو أنه كتبَ في بعضِ الصحفِ الأسبوعية قبل صحيفة «البلاغ» فقد كتبَ «علي أحمد عامر» في صحيفةِ «الأسبوع» في يوليو ١٩٣٤م كلمةً عن سيِّد قطب، قال فيها: سيِّد قطب قد استهلَّ حياتَه بالعمل الصحفي على ضُروبه وألوانه. فقد قرأْتُهُ من ثلاثة عشر عاماً شاعراً في صحيفة «الحياة الجديدة» ثم قرأْتُه بعدئذ شاعراً وكاتباً في «البلاغ»، ثم ها أنا الآن أقرأُهُ ــ صحبتَك ــ شاعراً وكاتباً في «الأهرام» و «الأسبوع»(٢).

وممّن ساعد على هذه البدايةِ المبكِّرة مع الصحف والمجلات، خالُه الصحفيُّ

(١) الأسبوع. السنة الأولى. عدد: ٢٦. تاريخ ٢٣ مايو ١٩٣٤م. صفحة: ١٤.
(٢) الأسبوع. المجلد الثالث. عدد: ٣٥. تاريخ ٢٥ يوليو ١٩٣٤م. صفحة: ٨.

الـوفدي «أحمـد حسين عثمان»، والأديبُ الصحفي الـوفدي «عبـاس العقاد»، وحـزبُ الوفد الذي فتحَ لسيِّد أبواب صحفه، بسبب انضمامه له.

واستمرتْ صلتُه بالصحف والمجلات أكثرَ من ثلاثين عـاماً، ولم تـوقف إلا عند إدخاله السجن عام ١٩٥٤م.

إعجاب بجهوده وثناء عليه

كان سيِّد قطب «مُكثراً» من الكتـابة في الصحف والمجـلات، يكتبُ في صحفٍ يومية، ومجلاتٍ وصحف أسبوعيـة، يكتبُ نثراً ونـظماً، ويكتب مقـالاتٍ أدبيةً نقـدية، أو تربوية، أو اجتماعية، أو سياسية!!

وفي هذا يقول «عبد الباقي محمـد حسين» مبيِّناً غـزارةَ مقالاتـه: «لم يُنتجْ سيِّـد قـطب في فنٍّ أدبـيٍّ أكثرَ ممـا أنتج في فنِّ المقـالة، ولعـلَّ نظرة على «الببليـوجـرافيـا» الملحقة بالبحث تؤكد ذلك»[١].

كَتبَ في ذلـك الـوقت المبكِّـر من حيـاتـه «منـذُ عـام ١٩٢٢م بـالبـلاغ اليـومي والأسبـوعي وكـوكب الشـرق والـوادي والمصـوِّر، وغيـرِهـا من الصحف». على حـدِّ قوله[٢].

وقـد أدتْ هذه الجهـودُ الأدبيةُ والمقـالاتُ المختلفة إلى إعجـابِ الآخرينَ بـه، وثنائِهم عليه، وإقبالِهم على نتاجه.

وبعضُهم كان يكتبُ في الصحف معْجَباً بـه وبجهوده ومقـالاته وأفكـاره، كما أن بعضَهم كان يخالفُه ويهاجمُه في الصحف.

كتب «علي أحمد عامـر» عام ١٩٣٤م كلمـةً في مجلة «الأسبوع» بعنـوان «تحت المصبـاح: الأستاذ سيِّـد قـطب» أشـادَ فيهـا بجهـودِ سيِّـد في الأدب والنقـد والشعـر، وأُعجبَ بنَتاجه الغزير، ومقالاته العديدة.

ومما جاء في تلك الكلمة قولُه: «ذلك هو صديقُنا الشاعر الناشـر الصحفي «سيِّد

---

(١) سيِّد قطب: حياته وأدبه، لعبد الباقي حسين: ٢٦٤.

(٢) الأسبوع. المجلد الرابع. عدد: ٤٣. تاريخ ١٩/٩/١٩٣٤م. صفحة: ٩.

قطب» فقد طالما دفعتْهُ الدنيا إلى مُلابسةِ الرجولة، بينما هو في بداءةِ مرحلة الشبـاب، وقد طالما أسرفتْ حقائقُ الحياة معـه، فأذنتْ لـه أن يجمعَ أعصـابَه على مـوازناتٍ في الأدب والشعـر والنقد. كـان قـرّاءُ الصحف ينصـرفـون إليهـا مغتبِـطين، ومؤمِنين أنهم مُلاقون فيها شيخاً، كشفتْ تجاريبُه وجوهَ الأشياءِ جميعـاً، وكشفتْ له السنـونُ الطويلةُ خبايا الناس، وطوايا الفنونِ.

ولو أنهم أبصروا بـه تلميذاً، يقتعـدُ أريكتَه في حجـرة الدراسـة باحثـاً عن «نخبر كان»، منقِّباً عن «غـزوة أُحُد»، كـادِحاً وراءَ «فقْـهِ اللغة»، دائبـاً على مصاوَلَـةِ الشعراء العباسيين لأسلافهم من شعراءِ أميّة...

ولـو أنهم بَصُروا بـه متحفِّزاً، يثبُ إلى مكتبـه مع الليـل، يستذكـرُ الـدرس، ثم يكتبُ رسالةَ الغد إلى الصحيفةِ التي يعمل فيها. ثم يُفْشي بينَ المرحلتيْن سرَّ نفسه في قصيدة، يَطْويها إلى صدره، حتى يُؤْذَنَ لها أن تذوع...

لو أنهم بَصُروا به في هذه المشاهد، التي يؤلِّف ما بينها التنـاقض، لأنكروا على ابنِ الخامسة عشرة أن يقول الشعر، ولأنكروا على ابنِ المدرسةِ أن يكـابدَ التحـرير.. ولكنه «سيِّد قطب» طرازٌ وحدَه في أدباءِ الشباب.

... في هذا الهيكلِ الناحل، وفي تلكَ الابتسامةِ الخـاطفة، وفي هـذا الرأسِ الدقيق، تأتلفُ جماعةٌ من القوى الصاخبـة، ولكنها لا تلبس قفّـازَ الملاكمـة، إلّا حينَ يكون مُلْقِياً همَّه في زمرةٍ من الورق الأبيض، يَجري عليها بقلمه، فإذا السطورُ السوداءُ رسالاتٌ من دخائل الحياة».

ويشيـر علي عامـر إلى المجلّات التي كتب سيِّـد فيهـا بقـولـه: «والـذين يَعْنـون بدراسة الناس من نواحيهم جميعاً، سيُدهشهم بلا ريب أن يكون سيِّد قطب قـد استهلَّ حياتَه بالعمل الصحفي، على ضُروبه وألوانه.

فقد قرأْتُه من ثلاثةَ عشرَ عـاماً شـاعراً في صحيفـة «الحياة الجـديدة»، ثم قـرأْتُه بعدئذٍ شاعراً وكاتباً في «البلاغ»، ثم ها أنـاالآن أقرأُهُ ـــ صحبَتَـك ـــ شاعـراً وكاتبـاً في «الأهرام» و «الأسبوع»...

ويختم علي أحمد عامر كلمتَه بـالإعجابِ بسيِّـد ونتاجـه الأدبـي، والدعـوةِ إلى شهادةٍ عمليةٍ عجيبةٍ لصالحه. وذلك حيث يقول: «ولو أَنَّنا تناولْنا نتاجَه في ضوءِ عمره، لدعَوْنا الزملاءَ جميعاً إلى اكتتابٍ عامّ، يطيبُ لكاتبِ هذا الفصل أن يساهِمَ فيه برأْسِه، حتى نقيمَ له تِمثالاً بحجم صورته، ونتوجَّه بهذه الشهادة.

نشهـدُ نحنُ الموقعين على هـذا، أنَّ زميلَنا سيِّـد قطب، من أولئـك الذين أَرْبَتْ أقدارُهُم على أعمارهم. . !

ولكننا في مصر. . ومصرُ المحروسةُ بلدُ العقوق. . !»[1].

وإذا كان نتاجُ سيِّد قطب الوفيرُ في فترةٍ قصيرةٍ من بداية حياته الأدبيةِ والفكريـة، قد نالَ إعجابَ الأدباء والقراء والباحثين، حتى دفعَ أحدَهم ـ علي أحمـد عامـر ـ إلى تقديم هذه الشهادة العجيبة، فكيفَ بسيِّد قطب وقـد ملأ سمـع العربيـةِ وبَصَـرَهـا في الأربعينيّات؟ كيفَ به وقد تقدَّم إلى طليعة أُدباء العربية ونُقّـاد الأدب العربـي؟ كيف بـه وقد سار في طريق الفكر الإسلامي حتى وصلَ إلى ريادَتِه؟ وفي طريقِ العمل الجهادي الإسلامي حتى وَصل إلى مقدِّمته؟ كيف تكونُ الشهادةُ له وتقديرُه؟

ولكنـه نالَ من الإيـذاء والاضطهـاد، والابتلاءِ والتعـذيب، والإسـاءةِ والإهمـالِ والعُقوق، ما لم ينَلْه أديب مفكر في القديم والحـديث، حيث أُزهقتْ روحُه لأنهـا أَبَتْ الخنوعَ والخضوع، وعاملَهُ الظلمةُ والطغاةُ والمجرمون أقسى من معاملة المجرمين.

ولا عجب «فنحن في مصر. . مصر المحروسة، بلد العقوق»!

ليس عمله فيها على صورة واحدة

لم يكن عمله في الصحف والمجلات على صورة واحدة.

فبعضُهـا كان يعمـلُ فيها مـوظَّفاً، يتنـاولُ مرتَّبـاً شهريـاً، مقابـل مقـالاتٍ يكتبهـا أو صفحةٍ يحرِّرها. وكان عملُه مع صحيفة «الأهرام» من هذا القبيل، حيث اتفقتْ معه الأهـرام على أن يتولّى كتـابةَ مقـالاتٍ نقديـة في صفحتها الأدبيـة، في وقتٍ مبكـر من

(١) الأسبوع. المجلد الثالث. عدد: ٣٥. تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥م. صفحة: ٨.

حياته الأدبية، حيث كان هذا عام ١٩٣٤م. وأخبرَنا عن كلمته الأولى في الأهرام: «وما أدري أكانتْ مصادفةً مقصودة، أم كانت هكذا عفوَ الخاطر، أن تتناولَ كلمتي الأولى ثلاثةَ دواوين ظهرتْ إذ ذاك حديثاً. تلك هي: «هدية الكروان» للعقاد. و«الينبوع» للدكتور أبي شادي و«ديوان» صالح جودت»[1].

كذلك كان عمله في «البلاغ» من هذا القبيل. حيثُ عملَ مع صاحب البلاغ «عبد القادر حمزة».

وبعضُها كان يكتبُ فيها مقالاتِه الأسبوعية بدون أجر، ويكفيه أن تَفسحَ الصحيفةُ صفحاتِها لمقالته، وكانتْ غالبيةُ مقالاته من هذا القبيل، كمقالاته في «الأسبوع» و«كوكب الشرق» و«المصوِّر» و«الوادي» و«الثقافة» و«الرسالة» و«الدعوة» وغيرها.

وبعضُها كان يتولى رئاسةَ تحريرها والإشرافَ عليها، وكتابةَ عدةِ مقالاتٍ في العدد الواحد منها، مثل مجلات «الفكر الجديد» و«العالم العربي» و«الإخوان المسلمون».

من المجلات التي كتب فيها

من المجلات التي كتب فيها في العشرينيّات: «البلاغ». و«البلاغ الأسبوعي». و«الجهاد». و«الحياة الجديدة». و«الأهرام». و«المقتطف». و«الوادي».. وغيرها.

وفي الثلاثينيّات بقي يكتب في بعض المجلات السابقة، وأضاف لها المجلات الصادرة في تلك الفترة مثل: «كوكب الشرق». و«روز اليوسف». و«أبو للّو». و«الأمام». و«الأسبوع». و«الرسالة». و«الثقافة». و«دار العلوم».. وغيرها.

وفي الأربعينيات، استمر يكتب في مثل مجلات: «الرسالة». و«الثقافة». و«دار العلوم». وأضاف لها المجلات التي صدرت في تلك الفترة مثل: «الكاتب المصري». و«الكتاب». و«السوادي». و«الشؤون الاجتماعية». و«الأديب» اللبنانية.. وغيرها.

كما أشرف في هذه الفترة على مجلتي «الفكر الجديد» و«العالم العربي».

---

(١) الأسبوع. المجلد الثالث. عدد: ٣٥. تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥. صفحة: ٢٢.

وفي الخمسينيات بقي يكتب في مجلات: «الرسالة». و«الثقافة». و«الكتاب». وأضاف لها المجلات التي ظهرت في هذه الفترة: مثل «اللواء الجديد» التي أصدرها شباب الحزب الوطني بقيادة (فتحي رضوان). و«الاشتراكية» التي أصدرها حزب «مصر الفتاة» بقيادة (أحمد حسين). و«الدعوة» التي أصدرها (صالح عشماوي) باسم «الإخوان المسلمين».

وأشرف في هذه الفترة على مجلة «الإخوان المسلمون» التي لم تُعَمَّر طويلاً.

مقالاته فيها متنوّعة

كانت كتاباتُه فيها متنوِّعة: ما بين قصيدةٍ شعرية، أو مقالةٍ أدبية، أو نقدٍ لكتاب، أو إثباتٍ لمحاضرة ألقاها، أو نظراتٍ في الأدب والحياة، أو تعليقٍ على حوادث سياسية، أو نقدٍ لمظاهر اجتماعية، أو نقدٍ للفنون والأغاني، أو هجومٍ على مظاهر شائهة في المجتمع، أو تهكمٍ بالاستعمار وأدواته في البلاد، أو دعوةٍ لثورة أو إصلاح أو تغيير، أو دفاعٍ عن خلق أو فضيلة، أو دراسةٍ فكرية، أو خواطرَ نفسية، أو غير ذلك.

وعلى العموم ما ترك سيِّد قطب مجالاً من مجالات الكتابة إلّا خاضه وكتب فيه. وكان يخصُّ كلَّ مجلة بمقال يناسبُ موضوعَها وتخصُّصها.

سيِّد يفاضل بين التدريس والصحافة

كان سيِّد يجمعُ بينَ التدريس والصحافة منذ مطلعِ حياتِهِ الأدبية، ويوفِّق بين عملِه في وزارةِ المعارف ومراسلتِه للصحف والمجلات.

وقد طرَحَتْ عليه مجلةُ «الأسبوع» ــ التي كان يكتب فيها ــ عام ١٩٣٤م سؤالاً عن الصحافةِ والتدريس، حيث قالت له: «الصحيفةُ والمدرسة، أيهما تُؤْثِر؟ ولماذا؟».

ومما جاء في جوابه على السؤال قولُه: «قد شعرتُ بالحرج لدى هذا السؤال، فما أدري ــ والله ــ أيُّهما أفضَل، وأيُّهما سيستولي عليَّ في مستقبلِ حياتي!

بين الصحيفة والمدرسة نشأتُ، وبينهما كذلك لا أزال، لقد أحببتُهما معاً، ووجدتُ في كلٍ منهما غذاءً لشوقٍ كامنٍ مخبوءٍ في نفسي، وما فرقْتُ بينهما على ما أعتقدُ تفرقةً فاصلة.

فأنا في حجرةِ المدرسةِ أحاول أن أُشيعَ جوّاً من الأدب والصحافة، حتّى مع أصغرِ التلاميذ.

وأنا في مكتبِ التحرير أميلُ أن أكون المدرِّسَ الواضحَ المقرِّرَ، وأميلُ أن أتحدَّثَ عن التربية وعن التعليم!

وإذا كنتُ قد أخرجت كتاباً في الأدب عن «مهمة الشاعر في الحياة»[1] فأنا على وشكِ إخراجِ كتابٍ في التربية عن «المراهقة: أخطارها وعلاجها»[2].

وإذا كنتُ قد كتبتُ في الصحف منذُ اثني عشر عاماً، فأنا أذكرُ أنّ أوَّلَ مقالةٍ في صحيفة يومية «البلاغ» كانتْ عن طرق التدريس.

وإذنْ فعلامَ تكلِّفُني يا أخي أن أفرِّق تفريقاً تاماً بين عملَيْن، بينهما كبيرُ اتصال في طبيعتهما وغايتهما؟».

وبعد أن بيَّنَ مزايا كلٍّ من المدرسةِ والصحافة، قدَّمَ المدرسة وفضَّلها على الصحافة.

وختم كلمته بقوله: «كلُّ ما في الصحافةِ اليوم، لا يُغْري بها رجلاً مثلي، يجد لقواه الكامنة تنفُّساً أصلحَ في المدرسة، ويجدُ أمامه من الناس من يثقونَ به، ويتأثرونَه، ويحملونَ الأمانة التي يشاءُ لهم حملها.

وإني لسعيد بالمدرسة، برغْم ما فيها من عنت، وما في جوِّها من ضيق، وأخيراً بما فيها من مجهود مرهِق، وأجرٍ ضئيل.

ولكنني سأتنفسُ في جوِّ الصحافة الواسع، كلما تمكنتُ من ذلك»[3].

---

(١) هو أول كتاب طُبع لسيِّد. حيث طبع عام ١٩٣٣م.

(٢) هذا البحث لم يطبعه، ويبدو أنه عدل عنه.

(٣) الأسبوع. السنة الأولى. عدد: ٢٦. تاريخ ٢٣ مايو ١٩٣٤م. صفحتا: ١٤ ــ ١٥.

سيِّد مع عبد القادر حمزة في «البلاغ»

عملَ سيِّد قطب مع صاحبِ جريدة «البلاغ» «عبد القادر حمزة» وكانَ يُصْدِر «البلاغ» اليومي، و«البلاغ الأسبوعي». وكان سيِّد يكتبُ فيها مقالاتٍ أدبيةً ونقديةً واجتماعية وتربوية، وقصائدَ شعرية.

قال في رثاءِ «عبد القادر حمزة» في ذكرى وفاته: «للفقيدِ الكبير خلالٌ طيباتٌ، لمسْتُها ـ كما لَمَسها غيري ـ في أثناءِ اشتغالي معه في البلاغ من سنة ١٩٢٨م إلى سنة ١٩٣١م، وفي خلالِ السنوات السابقة واللاحقة لهذا العهْد، وكنتُ فيها جميعاً على صلةٍ طيبة بالراحل الكريم.

وقد بعثَتْني هذه الصلةُ العزيزةُ إلى رثائِهِ شعراً على صفحات «البلاغ»، وأنا في سرير المرض، ممنوعٌ من الجهد والتفكير»[(١)].

وقد أشارَ في هذه الكلمة إلى الخلافِ ثم الفرقةِ بين «العقاد» وبين «عبد القادر حمزة» وانقطاعِ العقاد عن الكتابة في «البلاغ»، وكيف قام سيِّد بجهودٍ مخلصة أدتْ إلى الاتفاق بين «حمزة» و«العقاد» واجتماعِ قلميْهما الكبيريْن في «البلاغ» على معارضةِ الحكومة وقتها[(٢)].

سيد يكتب في مجلة «دار العلوم»

اجتمعَ نفرٌ من زملاءِ سيِّد قطب من خرِّيجي كلية دار العلوم، واتفقوا على تكوينِ جماعةٍ تربوية أدبية لغوية، أسموها «جماعة دار العلوم» وكان سيِّد من أوائل من انضمَّ إليها. وكان ذلك عام ١٩٣٣م.

وأصدرت الجماعة مجلة أسمتْها «صحيفة دار العلوم»، وكانت تصدر كل ثلاثة أشهر، وتعنى بشؤون الأدب واللغة والتربية وصدرتْ المجلة أربعة عشر عاماً كاملة، ١٩٣٤ ـ ١٩٤٧م، وقدَّمت خيرةَ شعراءِ وأدباءِ وباحثي وكاتبي تلك الفترة.

---

(١) الرسالة. السنة التاسعة. المجلد الأول. عدد: ٤١٦. تاريخ ١٩٤١/٦/٢٣. صفحة: ٨٢٤.

(٢) انظر الرسالة ـ المرجع السابق ـ صفحتا: ٨٢٤ ـ ٨٢٥.

ومِمن استلمَ رئـاسةَ دار العلوم، زميـلُ سيِّـد قـطب في الـدراسـة في دار العلوم «سعد اللبّان».

ولم يكن سيِّد نشيطاً في نشاطاتِ جمـاعة دار العلوم، لأنـه كان مشغـولاً بالأدب والشعر والنقد والكتابة.

وكان يكتب في مجلة «دار العلوم» التي أصدرتْها الجماعة[1].

نشر في العددِ الثاني الذي صدر في ١٠/١٩٣٤م قصيدةً بعنوان «مرَّ يـوم». كما نشرَ عدداً من القصائِد في أعداد أخرى.

وقد كتب فيها مقالاتٍ في اللغة والأدب والنقـد، كما كتبَ فيهـا مقالاتٍ تـربويـةً واجتماعيةً وفنية.

وكان مجموع ما نُشِرَ له فيها، خمسة عشر موضوعاً[2].

سيِّد يكتب في مجلة «الرسالة»

أصدرَ «أحمد حسن الزيات» مجلةَ «الـرِّسالـة» عام ١٩٣٣م، وكـانت مجلةً أدبيةً نقديَّة، قدمتْ الكثير من الأدباء والباحثين والمفكرين والشعراء. واستمرَّتْ في الصدور عشرين عاماً.

وكان سيِّد مِنْ أوائل مَنْ كتب فيها، من أول صدورها حتى توقُّفها.

وكانْت مقالاتُه فيها متنوِّعَةَ الموضوعات، منها مقـالاتُ أدبية، ونقـدية، ولغـوية، وتـربويـة، وقصائـد شعريـة، ومقـالات اجتمـاعيـة، وفنيـة، وإصـلاحيـة، وسيـاسيـة، وإسلامية.

وخاضَ على صفحات «الرسالة» معارك أدبية، من أشهرها معركتُه مع «الرافعيِّين» بشأن الرافعي وأدبـه وقيمته، بجانب العقاد وأدبه وشعره وفكره.

---

(١) انظر مقال «ثلاث رسائـل لم تنشر بعـد لسيِّد قـطب»، للطاهر أحمـد مكي. في مجلة «الهلال» أكتوبر ١٩٨٦م.

(٢) انظر «سيِّد قطب»، لعبد الباقي: ٤٠٢.

وهاجم على صفحات الرسالة، الأحزابَ المصرية، ورجالَ وزارة المعارف، والطابورَ الخامس من المطربين والمطربات، وأعداءَ الأخلاق من دعاة الإفساد والانحلال.

كما هاجم فيها الاستعمارَ الإنجليزي والفرنسي والأمريكي، وفنَّدَ مبادىء الغربيين.

وترقَّى في مجلة «الرسالة» إلى أن أصبحَ كاتبَ الرسالة الأول، مقالُهُ هو الأول فيها، وكأنه افتتاحيَّتُها.

وكانت مقالاتُه الأخيرةُ فيها إسلاميةً جهادية.

ولكنَّ صلةَ سيِّد بالرسالة وصاحبِها الزيات، كان يشوبُها أحياناً شوائب، ويصيبها فتورٌ أو اضطراب.

أشار سيِّد ــ في مجلة «الثقافة» التي كان يصدرها «أحمد أمين» ــ إلى واحدة منها. وذلك عندما تعاقد مع قرَّاء الرسالة، على كتابةِ ثلاثة أبحاثٍ فيها: الأول عن العقاد، والثاني عن توفيق الحكيم، والثالث عن طه حسين.

وقد نشرت الرسالةُ بحثَه الأول. ولما بعث لها عن أدب توفيق الحكيم، وكان في حجمِ أربعِ صفحات، كانت قد وقعتْ جفوةٌ بين «الزيات» وبين «توفيق الحكيم»، فتعَلَّلَ الزيات لسيِّد معتذراً عن نشرِ البحث.

قال سيِّد «إن الرسالةَ إذاً لتتعلَّلُ في الأسبوعِ الأول، بأن المقالَ وصلَ متأخراً عن موعده! أَوَلو كان قد وصلَ في الميعاد الذي اعتدتُ إرسالَ كلماتي فيه؟ أجل!.

وإن الرسالةَ لَتتعلَّلُ في الأسبوع الثاني، بأن المقالَ طويل! أَوَلَوْ كانت الرسالةُ تنشر ــ وقد نشرَتْ منذ قليل ــ مقالاتٍ أطول، في موضوعاتٍ لا ترتفعُ على هذا الموضوع؟ أجل!

وما تعوَّدت الرسالةُ من قبل أن تتعلَّلَ على ما يكتبه هذا القلم، ولكنها الجفوةُ بينها وبين توفيق الحكيم!

. . . تلك هي قصةُ الضميرِ الأدبي للصحف التى هي سجلاتُ الأدب العربي!»(١).

سيد ومجلة «العالم العربي»

في عام ١٣٦٦هـ وفْق ١٩٤٧م، اتفقَ سيِّد قطب مع «يوسف شَحاتة» ــ وهو رجلٌ نصراني ــ على أن يموِّل هذا الأخيرُ مجلةً شهرية باسم «العالم العربي». وأن يتولّى سيِّد الإشرافَ عليها، واستكتابَ الكتّاب فيها، وإخراجَها.

وقد أصدَرَها سيِّد وفق التقويمِ الهجري، حيث صدر العددُ الأول منها في جمادى الأولى ١٣٦٦هـ، وهذا الشهر يوافق شهر أبريل «نيسان» ١٩٤٧م. وحدَّد سيِّد في الصفحة الأولى من هذا العدد أهدافَ المجلة وبرامجها، وطريقتَه في إعدادها.

ومما جاء في ذلك الموضع قوله: «وخلاصةُ أهدافِنا هي: تعريفُ العالم العربي بنفسِه، وإلى نفسه، تعريفُه بماضيه القديم بكل أمجاده، وحاضرِه الواقع بكل مناحيه، ومستقبلِه الموعود بكل ممكناته، وتعريفُه بالمذخورِ في طبيعته من القوى، وبالمرصودِ في طريقه من العقبات، وبالوسيلةِ إلى تغليبِ تلك القوى على هذه العقبات.. ثم تعريفُ بعضه إلى بعض كما هو، وكما كان، وكما يستطيع أن يكون. فما يمكن أن يتوحَّد هذا العالمُ الضخمُ حتى يتعارف».

أما برنامجُه فيها فقد قال عنه: «وخلاصةُ برامجنا: أن نبسطَ صحيفةَ الأقطارِ العربية لجميعِ القراء بالعربية، وأن ندرسَ أحوالَ التعليم، والصحافة، والأدب، والفن، والعلم، والاجتماع، والاقتصاد، في جميع البلاد العربية، وأن نعرضَ من كلٍّ منها صوراً صادقة أمينة، ونسجِّل مواضعَ النقص فيها، ومواضعَ الكمال، وأن نكون أمناءَ للماضي، متحمِّسين للمستقبل، معالِجين للواقع، بلا افتعال ولا ادعاء.

وسيكونُ لكل بلدٍ عربي نصيبُه، ومن كل بلد عربي مندوبُه، وستلتقي على صفحات هذه المجلة أقلامُ العالَم العربي كله...

---

(١) الثقافة. السنة الرابعة. المجلد الثاني. عدد: ١٩٣. تاريخ ١٩٤٢/٩/٨م. صفحة: ١٣.

وسيكونُ لكل نشاطٍ علمي، أو أدبي، أو فني، أو اجتماعي، أو اقتصادي، أو رياضي، في كل رقعةٍ عربية، صداه في هذه المجلة، سواء أقامَ به فردٌ أم جماعة، أمة أو حكومة.

. . . وعلينا ـ بعد ذلك كله ـ عهد لله وللناس: أن نقدِّمَ للقارىء صحافةً نظيفة، وأفكاراً نظيفة، وصوراً نظيفة، وتسليةً نظيفة، وفكاهةً نظيفة، تُشوِّقه وتَلذه، ولكن تفيدُه وتَرفعُه.

تلك نيَّتنا على الأقل. وعلينا أن نَجْهَد، وعلى الله التوفيق»[1].

وقد رعى سيِّد هذه المجلة في أعدادِها الأربعة الأولى، وكان له في كل عددٍ أكثرُ من مشاركة، ما بين مقال أو قصيدة أو خاطرة أو تعليق.

وقد استكتبَ الأدباءَ والمفكرين من مصر والعالَم العربي.

وقد أشار «عباس خضر» إلى مقالٍ له نشره سيِّد في مجلته: «ووجدتُ ذلك فعلاً عند سيِّد قطب، لَمّا تقدَّمَ في حياته وفي أدبه، واستقلَّ بشخصيته عن العقاد ـ وإن ظلَّ صديقاً موالياً له ـ.

ولم تمنع هذه الصداقةُ سيِّد قطب ـ رئيسَ تحرير «العالَم العربي» ـ من أن ينشرَ هجوماً لي على العقاد في المجلة»[2].

وقد كان ينشرُ فيها تحليلاتٍ سياسية، لسياسيّين ومفكِّرين من العالَم العربي. وحوْل ذلك يقول السياسي المغربي المسلم «عَلاّل الفاسِيّ»، في مجلة «العَلَم» المغربية: «ولقد عرفتُ سيِّد قطب في آخر هذه المرحلة، حينما كان يشرف على مجلةِ «العالَم العربي»، وقد أخذَ مني أحاديثَ عن القضيةِ المغربية، عُنيَ بنشرِها والتعليقِ عليها في هذه المجلة. ثم كتبتُ بطلبٍ منه، بحثاً عن السياسة الأمريكية إزاءَ العرب، نُشر في

(١) العالَم العربي. المجلد الأول. العدد الأول. تاريخ ١٨ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ. صفحة: ١.

(٢) الثقافة. السنة الرابعة. المجلد الثامن. عدد: ٤٧. تاريخ: أغسطس ١٩٧٧. مقال: «هؤلاء عرفتهم: سيِّد قطب» لعباس خضر. صفحة: ٤٧.

هـذه المجلة. وكان لـه أثرٌ كبيـر في الأوساط الأجنبيـة، إذ تـرجمـهُ كثيـرٌ من المعلِّقين الإنجليز والأمريكان»[١].

ولم يستمر سيِّد في إشـرافِهِ على المجلة، إذ تـركَها بعـد صدور العـدد الرابـع، لخلافاتٍ بينه وبين مموِّل المجلة وصاحِبها «يوسف شحاتة»، ولم نقفْ على سببِ تلك الخلافات.

وفي العـدد الخامسِ للمجلة، نشـرَ رئيسُ تحريـرهـا الجـديـد «محمـد العـزب مـوسى» كلمةً بعنـوان «إيضاح لا افتضـاح» قال فيهـا عن تَرْك سيِّـد لها: «كـان يضطلعُ بأعباءِ ريـاسة التحـرير لهـذه المجلة، الأستاذ سيِّـد قطب، يعـاونُه نخبـةٌ من الكاتبين، وصفوةٌ من كرام البـاحثين. وعلى يديـه وُلِدت هـذه المجلة، وقطعتْ من العمـر أربعةَ أشهر، ممثَّلَةً في أربعةِ أعداد.

وجَدَّتْ أمورٌ بعد ذلك، أوجبَتْ أن يستقيـلَ الأستاذ، أو يتنحّى عن المضـيِّ في الإشرافِ على غَرْس يده، وموالاةِ الرعاية لهذا النبت، الـذي لم يتمَّ نماؤه بعـد. وأراد الأستاذُ أن «يُلْغِمَ» الطريقَ في وجْه خَلَفِه، فنشرَ بيانـاً في الصحفِ السّيّارة، يقـول فيه: إن استقالتَه ترجع إلى «مبادىء خاصة». . »[٢].

ولا ندري ماذا كان مصيرُ مجلة «العالَم العربـي» بعدما تَرَكَها سيِّد قطب.

سيد قطب ومجلة «الفكر الجديد»

بعدما تَرَكَ سيِّد مجلةَ «العالَم العربـي» اتجه إلى إصدار مجلةٍ جديدة.

فقـد اتفقَ مـع الحـاج «محمـد حلمي المنيـاوي» ـ وهـو صـاحب «دار الكتـاب العربـي» ومن جماعةِ الإخوان المسلمين ـ على أنْ يموِّلَ هذا الأخيـر مجلةً أسبوعيـة، هي مجلة «الفكـر الجديـد»، ويتولّى سيِّـد الإشرافَ عليهـا، وإصـدارَهـا، واستكتـابَ الكتّاب فيها.

---

(١) رائـد الفكـر الإسـلامي الشهيـد سيِّـد قـطب، ليـوسف العـظم: ٢٢٣ نقـلاً عن صحيفـة العلم المغربية. عدد: ٥٩٥٨.

(٢) العالَم العربـي. العدد الخامس. تاريخ ٢٣ رمضان ١٣٦٦. صفحة: ٤.

وصـدرتْ المجلةُ في ينـايـر «كـانـون ثـاني» عــام ١٩٤٨م. وكـان خطُّ المجلةِ اجتمـاعيّاً إصـلاحيّاً ثـوريّاً، حيثُ حـاربَ فيها الفقـرَ والظلمَ والـرأسماليـة، والأوضـاعَ السياسيةَ والاجتماعيةَ الفاسدة، والباشواتِ وأبنـاءَ الذوات، وانـطلقَ من زاويةٍ إسـلاميةٍ إصلاحية، حيث كـان وقتها صـاحبَ نظرةٍ إيمـانيةٍ، وحسٍّ إسـلامي، وإصلاحٍ ديني، على منهاجٍ ثوري تغييري.

وضاقت الحكومةُ ذرعاً بالمجلة وأسلوبها وحدَّتها، فأغلقتْها بعـد ثلاثـةِ أشهرٍ من صدورها، وذلك في آخر «مارس» ــ آذار ــ ١٩٤٨م.

وقد صدرَ من المجلة اثنا عشر عدداً.

وأقدم فيما يلي قـائمةً ببعضِ مقـالاتِه في المجلَّة، لتقـديمِ صورةٍ للقـارىء عن قوةِ المقالاتِ وحدَّتِهَا:

١ ــ فلنؤمن بأنفسنا.
الفكر الجديد. العدد الثالث. يناير ١٩٤٨م.

٢ ــ أفخاذ ونهود.
الفكر الجديد. العدد الخامس. يناير ١٩٤٨.

٣ ــ أنتم أيها المترفون تزرعون الشيوعية زرعاً.
الفكر الجديد. العدد السادس. فبراير ١٩٤٨م.

٤ ــ وضعٌ مقلوبٌ في جوائزِ فؤاد الأول، درس في الكرامة لأساتذتنا الكبار.
الفكر الجديد. العدد السادس. فبراير ١٩٤٨م.

٥ ــ أولادُ الذوات وبناتُهم هم نَتَنُ الأرض ولعنة السماء.
الفكر الجديد. العدد السابع. فبراير ١٩٤٨م.

٦ ــ تحـرروا يا عبيـد الأمريكـان والروس والإنجليـز، الأمةُ مصـدر السلطات، يَضَعُهـا عسكري بوليس ويجلدُ بها الأرض.
الفكر الجديد. العدد الثامن. فبراير ١٩٤٨.

٧ ــ يا شباب الوادي تأهبوا واستعدوا.

الفكر الجديد. العدد التاسع. فبراير ١٩٤٨.

٨ ــ ليس الشعب متسولاً. فردّوا له حقوقه، وهو غنيٌّ عن برِّكم.

الفكر الجديد. العدد العاشر. مارس ١٩٤٨م[١].

وعناوينُ هذه المقالات حادةٌ عنيفة، صارخةٌ جريئة، فكيف بمضامينها.

ونظراً للهجتِهِ العنيفةِ الحادة، وأسلوبه الثوري القوي، في المجلة، فقد ظنَّ بعضُهم أنه يساريُّ الاتجاه، وبعضُهم اعتبرَه اشتراكيَّ النزعة، وبالغ بعضهم فاتهمه بأنه ــ في ذلك الوقت ــ كان شيوعياً!

ويبدو أنَّ سببَ هذا عند بعضهم هو اللَّبْسُ والخلط، حيث ألبسَ عليه اسمُ مجلة سيِّد قطب، فظنَّها هي مجلة الحزب الشيوعي المصري السرية التي كان يصدرها في ذلك الوقت.

وفي الحقيقةِ هناك تقاربٌ في الاسم بين المجلتيْن، وهذا التقارب قادَ إلى الخلطِ بينهما، واعتبارِهما مجلةً واحدةً شيوعية.

مجلةُ سيِّد هي «الفكر الجديد».

ومجلة الحزب الشيوعي هي «الفجر الجديد»!!

سيد قطب ومجلة «الإخوان المسلمين»

قررَ مكتبُ الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م، إصدارَ مجلةٍ باسم «الإخوان المسلمين»، تنطق باسم الجماعة، وتصدر عن المركز العام للإخوان المسلمين.

وأسندَ مكتبُ الإرشاد رئاسةَ تحرير المجلة إلى سيِّد قطب.

---

(١) انظر البيليوغرافيا، لمقالات سيِّد في المجلات، التي ألحقها «عبد الباقي محمد حسين» بكتابه «سيِّد قطب: حياته وأدبه» ٤٣٣ ــ ٤٣٤.

وأصدرَ سيِّد قطب العدد الأول من المجلة بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٧٣ وفق ٢٠/٥/١٩٥٤م. وكانت مجلةً أسبوعية، تصدر كلَّ يوم خميس.

أصدرَ سيِّد من المجلة اثني عشر عدداً. ثم توقفتْ عن الصدور بتاريخ ٦ ذي الحجة ١٣٧٣هـ وفق ٥/٨/١٩٥٤م، بعد تفاقُم الخلافات بين الإخوان المسلمين وبين رجال الثورة، وبسببِ تدخُّل الحكومةِ المستمر ضدَّ المجلة، ومنْعِ الرقابة نشرَ كثير من مقالاتها وأخبارها.

وكان سيِّد يكتبُ في المجلة عدةَ مقالات، ويكتب في كل عددٍ أكثرَ من موضوع.

وقد كتب فيها إخوتُه الثلاثة: محمد وأمينة وحميدة.

ومن مقالات سيِّد فيها:

١ ــ منهج للأدب. العدد الأول. صفحة: ١٤.

٢ ــ بل نقذف بالحق على الباطل. العدد الثالث. صفحة: ٣.

٣ ــ الاتجاهات الثابتة للشعوب. العدد الرابع. صفحة: ٣.

٤ ــ هذا الشعب يريد. العدد السادس. صفحة: ٣.

٥ ــ صحوة ليس بعدها سبات. العدد السابع. صفحة: ٣.

٦ ــ قضية واحدة وأمة واحدة. العدد الثامن. صفحة: ٣.

٧ ــ الرسالة الإسلامية والضمان الاجتماعي. العدد التاسع. صفحة: ٨.

وكان من الأبواب الثابتة في المجلة: باب الأدب، وباب التعليم، وباب الأسرة، وباب العمال، وباب الطب، وباب الرياضة[١].

مع عبد الباقي حسين في قائمته عن مقالات سيِّد

أعدَّ الباحثُ عبد الباقي محمد حسين قائمة ــ «ببليوجرافيا» ــ لمقالاتِ سيِّد قطب في الصحف والمجلات، التي تمكَّن من الوقوف عليها. وأثبتَها في نهايةِ كتابه «سيِّد قطب حياته وأدبه».

---

(١) انظر الرسالة القيمة «وسائل الإعلام المطبوعة في دعوة الإخوان المسلمين»، لمحمد فتحي شعير: ٣٩٠ ــ ٤٠٤.

وأقدِّم فيما يلي خلاصةً موجزةً لهذه القائمة:

بلغ عددُ القصائد والمقالات التي وقفَ عليها الباحث، أربعمائة وخمس وخمسين (٤٥٥) مقالةً وقصيدة.

وكانت موزَّعةً على تسعَ عشرةَ دورية، على النحو التالي:

١ ـ أبو للو: مقالتان.

٢ ـ الإخوان المسلمون: مقالة واحدة.

٣ ـ الأديب: مقالتان.

٤ ـ الأسبوع: ٢٧ مقالة.

٥ ـ الاشتراكية: ٥ مقالات.

٦ ـ الأهرام: ١٦ مقالة.

٧ ـ البلاغ الأسبوعي: ١٨ مقالة.

٨ ـ الثقافة: ٢١ مقالة.

٩ ـ الدعوة: ٢٧ مقالة.

١٠ ـ الرسالة: ٢٠١ مقالة.

١١ ـ الشؤون الاجتماعية: ٥٦ مقالة.

١٢ ـ صحيفة دار العلوم: ١٥ مقالة.

١٣ ـ العالَم العربي: ٥ مقالات.

١٤ ـ الفكر الجديد: ١٣ مقالة.

١٥ ـ المقتطف: ٦ مقالات.

١٦ ـ الكاتب المصري: ٨ مقالات.

١٧ ـ الكتاب: ٩ مقالات.

١٨ ـ النهضة النسائية: مقالة واحدة.

١٩ ـ الوادي: مقالتان.

وقد وزَّعَ الباحثُ المقالاتِ والقصائدَ التي وقف عليها على السنوات التي كتب فيها تلك المقالات. فكانت كما يلي:

١٩٢٨ ـ كتب فيها ٩ مقالات.

١٩٢٩ ـ كتب فيها ٩ مقالات.

١٩٣٢ ـ كتب فيها مقالة واحدة.

١٩٣٣ ـ كتب فيها مقالتين.

١٩٣٤ ـ كتب فيها ٤٩ مقالة.

١٩٣٥ ـ كتب فيها ٥ مقالات.

١٩٣٧ ـ كتب فيها ٥ مقالات.

١٩٣٨ ـ كتب فيها ٣١ مقالة.

١٩٣٩ ـ كتب فيها ٧ مقالات.

١٩٤٠ ـ كتب فيها ١١ مقالة.

١٩٤١ ـ كتب فيها ٣٣ مقالة.

١٩٤٢ ـ كتب فيها ٢٦ مقالة.

١٩٤٣ ـ كتب فيها ٢٧ مقالة.

١٩٤٤ ـ كتب فيها ٤٠ مقالة.

١٩٤٥ ـ كتب فيها ٣٨ مقالة.

١٩٤٦ ـ كتب فيها ٢١ مقالة.

١٩٤٧ ـ كتب فيها ١٠ مقالات.

١٩٤٨ ـ كتب فيها ١٦ مقالة.

١٩٤٩ ـ كتب فيها ٣ مقالات.

١٩٥٠ ـ كتب فيها ٥ مقالات.

١٩٥١ ـ كتب فيها ٣٥ مقالة.

١٩٥٢ ـ كتب فيها ٤٦ مقالة.

١٩٥٣ ـ كتب فيها ٢٥ مقالة.

١٩٥٤ ـ كتب فيها مقالة واحدة[١].

---

(١) سيِّد قطب حياته وأدبه: ٤٠١ ـ ٤٠٢.

وأُشيرُ هنا إلى أنَّ ما وقف عليه الباحث «عبد الباقي محمد حسين» من الدوريات والمجلات قليل، فهناك مجلاتٌ كتب فيها سيِّد ولم يقف عليها الباحث.

وقد وعدَ الباحثُ والناشـر لكتابـه «دار الوفـاء»، بإصـدار مقالاتِ سيِّـد في كتبٍ مرتَّبة مُبوَّبة.

إن نشرَ تلك المقالات ضروري، ليقف القراءُ على آراء سيِّـد وأفكاره ونـظراته، التي سجلها في مقالاته، وليستفيدوا مما فيها، من علم أو معلومات.

سيد يكشف ارتباط الصحف المشبوه

لقد عملَ سيِّد في الصحف والمجلاتِ فترةً طويلة، زادتْ على ربعِ قرن، ولقد عرفَ عنها الكثيرَ من الخفايا والحقائق، وواجهه مع القائمين عليها كثيرٌ من المضايقات والأذى.

وازداد الضيقُ والأذى في المـرحلة الأخيرة من هـذه الصلة، عنـدمـا اتجـهَ سيِّـد وجهتَه الإسلاميةَ الجهادية الدعوية، حيث سدَّ كثير من المجلاتِ الطريقَ أمامه، وطوتْ صفحاتها أمام مقالاته، لأنها تعادي الرسالة التي يحملها، والفكرَ الذي يتبنَّاه.

وقـد فضحَ سيِّـد تلك الصحف، والقائمين عليهـا، وعـرّى مـواقفهَم الخـاطئـة، وكشفَ ارتباطَهم المشبوه، وبيَّن ارتباطَهم بأجهزةِ المخابرات العربية والأجنبية.

قال في مقال «الدولة تخنقُ الأدب»، في مجلة الرسالة عام ١٩٥١م:

«ولكن الـدولة في مصـر يجب أن يكونَ لهـا عمـل. ومـا يكـون عملهـا إذا هي لم تخنق الفكر، وتضع في يـديه ورجليـه الأغلال، وتفصم هـذه العُرى المقـدَّسة التي كوَّنَتْها الأجيال».

وفي نفس المقال يقول: «إن الصحفَ المصريةَ ـ إلا النـادر القليل ـ مؤسسـاتٌ دوليـة، لا مصريـة ولا عربيـة! مؤسساتٌ تسـاهم فيهـا أقـلامُ المخـابـرات البـريـطانيـة والأمريكية والفرنسية، والمصرية والعربية أخيراً! مؤسساتٌ تُحرّر صفحاتٌ كـاملة منها، بمعرفةِ أقلامِ المخابرات هذه، لتُروِّج دعايَتها في أوساط الجمـاهير. مؤسسـاتٌ تخدم

الرأسماليةَ العالمية أكثر مما تخدم قضايا الشعوب العربية، وتخدم الاستعمارَ الخارجي والجهات الحاكمة قبل أن تخدم أوطانَها وشعوبَها الفقيرة.

وهذا هو السر في أن الدولةَ لا تفرض عليها القيود التي تفرضُها على الكتب، لأن وراءَها أقلامُ المخابرات ومصالحُ الرأسمالية العالمية، وهي كفيلة بأن تسندَها، وتُذللَ لها العقبات، وتفسح لها الطريق، لنشرِ دعايتِها المستورة في أطراف البلاد العربية جميعاً»[1].

وفي نهاية كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية» دعا الجماهيرَ إلى أن تفقدَ الأملَ في معظم الصحف والمجلات:

«فأما الصحافة، فليست في وضْعٍ يمكنُها من الوقوف في صفِّ الجماهير ضدَّ الطغاة والمستغِلِّين، ولا ضد الاستعمار ووراءه الرأسمالية العالمية القوية».

«... إن تكاليفَ النسخة الواحدة من أيةِ جريدة كبيرة، يومية أو أسبوعية، أكثرُ من السعر الذي تُباع به هذه النسخة في السوق. وهذه حقيقةٌ قوية، يجب أن تكون في الحساب، ليَعرفَ الجمهورُ الكادح الفقير، أنه ليس هو الذي يُموِّلُ الجريدةَ بقروشه وملاليمه! إنما تعتمد هذه الصحف في وجودها وبقائها وربحها على مواردَ أخرى غير القروش والملاليم...

تعتمدُ أولاً على إعلاناتٍ تملكُها شركاتٌ رأسماليةٌ ضخمة، تخدم بدورها المؤسسات الرأسمالية، التي تتولّى الإعلان عنها.

وتعتمد ثانياً على المصروفاتِ السرية المؤقَّته أو الدائمة: المؤقّتة التي تدفعها الوزاراتُ لصحافتها الحزبية، أو للصحف التي تريد شراءَها، أو ضمانَ حيادها (وهي في العادة دفعات ضخمة)؛ والدائمة التي تتولّى إدارةُ المطبوعات صرفَها...

وتعتمدُ ثالثاً على المصروفاتِ السريّة لأقلام المخابرات الدولية، وبخاصةٍ إنجلترا وأمريكا...

(١) الرسالة. السنة التاسعة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٩٤٣. تاريخ ١٩٥١/٧/٣٠. صفحات: ٨٥٣ ــ ٨٥٤.

. . . إن الصحافةَ ليستْ في وضْع يمكنُها من الوقوف في صفِّ الجماهير. إنما هي تعطي الجماهيرَ بقدْرِ القروش والملاليم التي تدفعُها ثمناً للنسخة الموزَّعة، وتعطي المموِّلين الحقيقيِّين ـ سواء كانوا أصحابَ المؤسساتِ الرأسمالية، أو الجهات الحكومية، أو أقلام المخابرات الدولية ـ بقدر جنيهاتها ودولاراتها، وتُقسِّم جهودَها بين الفريقين قسمةً بارعة، تناسب غفلةَ الجماهير وسذاجتَها، وذكاءَ الجبهة الأخرى!

. . . إن صورَ الأفخاذِ والنهود هي التسليةُ التي تقدمُها صحافة الرأسماليين للجماهير المحرومة، كي تلهيها عن استمتاع الرأسماليين الفاجر، بتلك الأفخاذ والنهود الحقيقية لا بصورها. . . »[1].

وقد كان سيِّد قطب حريصاً على الجهر بهذه الحقيقة عن الصحف والمجلات، وإطْلاعِ الجماهير عليها، سواءٌ في كتبه أو في محاضراته وندواته.

وقد أشارَ «يوسف العظم» في كتابِه الجيِّد «رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر» إلى ندوةٍ عُقدتْ في القاهرة، شارَكَ فيها سيِّد: «جمعتْني ـ كمستمِع ـ بفكري أباظة وحافظ محمود والأستاذ سيِّد قطب وغيرهم، مناظرةٌ عامة في دار «الجامعة الشعبية» بالقاهرة. . عنوانها «أيُّهما يوجِّه الآخر: الصحافة توجِّه الرأي العام، أم الرأي العام يوجِّه الصحافة؟».

ونترك كلامَ «العظم» عن تفاهةِ وسماجة فكري أباظة في كلامه في المناظرة، وضعْفِ حافظ محمود في رأيه. لنعرض كلامَه عن بيان سيِّد قطب، الذي استحوَذَ على الحاضرين ومَلَكَ قلوبَهم:

«وجاء دورُ الأستاذ سيِّد قطب ـ رحمه الله ـ فتحدَّث بصورة لا الْتواءَ فيها ولا عِوج، وبيَّن حقيقةَ الموقف بقوله: في اعتقادي أن الصحافةَ في مصر لا تؤثِّر في الرأي العام، وأن الرأي العام لا يؤثِّر في الصحافة. وإنما الذي يؤثِّر فيهما معاً هو «المصروفات السرية».

ولكي يكون الأستاذ قطب دقيقاً صادقاً كعادته في كل ما يقدِّم من معلومات،

---

(١) معركة الإسلام والرأسمالية: ١١٧ ـ ١١٩ باختصار.

التفتَ إلى الأستاذ فكري أباظة، يسـألُه عن الصحف التي عُـطِّلت، والصحفيين الذين شُرِّدوا.

. . . وأعلن الأستاذ قطب للمستمعين، والمناظرين معـاً ـ إن كانـوا يرغبـون في معرفة المـزيد من الأسمـاء والأرقام ـ عن صحف عـاشتْ زمناً طـويلاً، وكُتّـابٍ كانت إمكانياتُ الحياة لديهم فُتاتاً حول موائد فاروق، الملك الصالح!.

وصمَتَ فكري، وأُخْرِسَ لسانُه، ثم «قتل الوردُ نفسَه خجلاً منـه، وألقى دماه في وجنتيْه» . . .

. . . وضجَّت القاعةُ بالتصفيق، والتفَّ شبابُ الجـامعات حـولَ الأستاذ قـطب، يهنئونه على صدْق حديثـه ودقَّةِ معلومـاته. بينمـا تلفَّتَ فكري أبـاظة حـوله، فلم يجـدْ إلّا فراغاً قاتلاً، ووحشة أليمة. . . »[1].

* * *

(١) رحلة الضياع للإعلام العربـي المعاصر: ٢٩ ـ ٣٢ باختصار.

(٥)

صلاته بالأدباء والمفكرين

صلته بهم متقدمة

صِلتهُ بالأُدباء والمفكِّرين قديمة، في وقت مبكِّر متقدِّم من حياته، حيث صارَ يرتادُ الندوات و «الصالونات» الأدبية، منذ الأيامِ الأولى لوصولِه إلى القاهرة، مُقيماً عند خاله الأديب الصحفي.

ومن أوائلِ الأدباءِ الذين اتَّصل بهم «عباس محمود العقاد»، حيث أقبلَ على مكتبته الضخمة الموسَّعة الشاملة، وداوم على ندوتِه الأسبوعيةِ الأدبية، التي كان يعقدها كلَّ صباح جمعة. وقد بدَأ حضورَ ندوته الأسبوعية في مطلع العشرينيّات، واستمرَّ في حضورها أكثرَ من ربع قرن.

وهذه الصلةُ المتقدمة بهم، حبَّبت له الأدب، ورغَّبَته به، فأقبلَ عليه، وتزوَّد منه، وجعلَه هدفه في المرحلة الأدبية من حياته.

نقده لنتاجهم

وكان من صلتِه بالأدباء والنقّاد والمفكِّرين، أنهُ أقبلَ على نتاجهم الأدبي ينتقدُه، ويُعرِّف به. ويَعرضه في الصحف والمجلات. وكان يكتب المقالاتِ النقدية، منذُ بدايةِ حياته الأدبية.

وقد كانوا يحاولون التزلفَ إليه، وتقديمَ إغراءاتٍ له، لينقد نتاجَهم الأدبي، بطريقةٍ يرضيهم بها.

قال في مجلة «الأسبوع» عام ١٩٣٤م أثناءَ معركته مع جماعة أبو للو: «أُريد أن أقصَّ على القراء أحاديثَ دارتْ بيني وبين بعض الناس، ومحاولاتٍ بُذلتْ معي من

بعض الأدباء، حتى أتأثَّر في نقدي للكتب والدواوين، بهذه المؤثِّرات، ويأخذني الإغراءُ بهذه المغريات.

ولقد سمعتُ بهذه الأحاديث، وأنصتُّ لتلك المغريات، وابتسمتُ لهذه وتلك على السواء، وسخِرْتُ بأصحاب هذه وتلك. ومضيتُ لنقدي لهذه الكتب والدواوين في «صفحة الأهرام الأدبية» على ما رسمتُ لنفسي من خطّة، وعلى ما جمعتُ لنفسي من ملاحظات، في أثناءِ دراستي لتلك الكتب والدواوين»(1).

أما خطَّته التي اختطَّها لنفسه في النقد، فقد أخبَرَنا عنها بقوله: «وكان من أوَّلِ هذه المبادىء، أن أنفيَ الأشخاصَ من دائرةِ تفكيري، وأن أَلتفتَ إلى ما بين يديَّ من كتاب.

كما كان منها ألّا أكتبَ كلمةً واحدة، قبل أَنْ أَدرس ما بين يديَّ، دراسةً كاملة مستوفاة. إذ كنتُ أعلمُ ماذا يصنعُ نُقّاد الكتب، من قراءةِ العنوان والمقدمة والفهرست، ثم إصدار الأحكام»(2).

لا يعرف معظم المنقودين

في أواخر عام ١٩٤٤م، نشرت «الرسالة» في باب «البريد الأدبي» رسالةً لسيِّد قطب من الأديب «فوزي سليمان» يطالبُه فيها بتوثيقِ الصلة بمَنْ ينقُدُهم. ويقول له فيها: «لاحظتُ في سلسلةِ مقالاتك النقدية عن «عالم القصة»، أنكَ تكررُ في كثيرٍ منها قولك: إنك لا تعرفُ ــ ولم ترَ ــ شخوصَ أغلب مَنْ تتحدثُ عنهم. ويبدو هذا غريباً في نظري. . .

فلِمَ لا تحاولُ أن تخرجَ من عزلتك، وتتعرَّف إلى مَنْ تكتب عنهم، بل وتُكَوِّنُ معهم صداقاتٍ روحية. فإذا أمسكتَ بقلمك بعد ذلك، لتتحدثَ عن نتاجٍ لهم جمعتَ بين الصورة والأصل، كما أنك ستخدمُ تاريخ الأدب المعاصر، فتترك للأجيال المقبلة

---

(١) الأسبوع. المجلد الثالث. عدد: ٣٥. تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥. صفحة: ٢١.

(٢) المرجع السابق: صفحة: ٢٢.

صوراً حية قوية من حياة المفكرين والكتّاب المعاصرين»[1].

وقد ردَّ سيِّد قطب على دعوة «فوزي سليمان»، بأَنْ وافقه في مجملها، وأوردَ رأيه في تعرُّفِ الأديب الناقد على «شخصيةِ صاحب العمل الذي ينقده»، وذلك عندما قدَّم سيِّد ديوانَ «عبد العزيز عتيق» الذي أصدره عام ١٩٣٢م.

وأضافَ بعد ذلك يقول: «ولستُ كذلك ممَّنْ يخشَوْن غلبةَ الملابساتِ الشخصية، على الأمانةِ الأدبيةِ في النقد ـ إذا أنا عَرَفتُ أشخاصَ المنقودين ـ ولا ممَّنْ يخشَوْنَ اتهامَ بعضِ القرّاء لي، بأنّ لهذه الملابسات دخلاً في توجيه النقد، تحت تأثير الصداقات والخصومات».

وضرب المثل على ذلك بصلته الوثيقةِ بعباس محمود العقاد، وصداقتِه القوية له «ولستُ أخشى مِنْ هذه الصداقة ـ على أَشُدِّها ـ أن تؤثِّر في رأيي لأنَّ لي صداقةً أخرى أقوى من هذه الصداقة. وهي صداقتي لضميري. لا، بل: صداقتي لشخصيتي، وحرصي عليها أن تفنى في أيةِ شخصية أخرى»[2].

ويبيِّن أنَّ معرفةَ الناقد بشخصيةِ المنقود، أحياناً غيرُ ضرورية، وأحياناً تكون ضرورية: «فأنا أرى الآن أن المعرفةَ الشخصية قد تكون ضروريةً في أحيان، وغيرَ ضرورية في أحيان، وذلك حسبَ طبيعة الفنان. فبعضهم يغنيكَ بما يكتبه عن معرفته، لأنه يكتبُ ما يشبهُ الاعترافات، كابن الرومي والمازني، وبعضهم لا بُدَّ أن تعرفه، وبعضُهم تزيدُك معرفتُه علماً بفنِّه».

أما ما يذكره في مقالاته النقدية، من أنه لم يعرف بعضَ المنقودين ولم يَرَهم، ولم يلتقِ بهم، فيوضِّحه بقوله: «فإذا كان الأديبُ الفاضل، لاحظَ أنني ذكرتُ عدم معرفتي لبعض مَنْ كتبتُ عنهم من الشبان، فإنما كان ذلك، لأنني لم أعرفْهم فعلاً. ولم تكن لديَّ الفرصةُ لمعرفتهم من قبل. كلُّ ما هنالك، أنني وجدتُ بين يديَّ أعمالاً

---

(١) الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٧. تاريخ ١٩٤٤/١٢/١١. صفحة: ١٠٨٦.

(٢) الرسالة. المرجع السابق: ١٠٨٧.

أدبيةً تستحق التنويه، فلم يكن من الميسور أن أتعرَّفَ إلى أصحابها، لأكتبَ عنها مقالةً عابرة.

ورأيتُ أن أكون أميناً، فلا أدَّعي معرفتي الكاملةَ لهذه الشخصيات، ولا أزعمُ أن ما كتبتُه هو كلُّ ما هنالك، فأعلنتُ أنني لا أعرفهم، وهذا يتضمنُ في طياته بعضَ العذْر، إذا كنتُ لم أُحِطْ بكل جوانبهم»[1].

ويعلنُ في كلمته، أهميةَ وقوفِه على حياةِ مشاهيرِ الأدباء بقوله: «ومنذ عامين لديَّ كتابٌ عَن «المدارس الأدبية المعاصرة» وما يُؤخرني عن كتابته، إلّا استيفاءُ بعضِ الدراساتِ الشخصية لأبطاله. وقد استطعتُ أن أجمعَ ـ عن كثَب ـ معظمَ ما أريد جمعَه عن «العقاد وتوفيق الحكيم»، وشيئاً مما أريدُ جمعَه عن «طه حسين والمازني»، وقليلًا جداً عن «المنفلوطي والزيات»، ومتفرقات عن «تيمور وحقي ولاشين» وآخرين.

وبعدما أَستوفي هذه الدراسات ـ لا قبلَه ـ سآخذُ في الحديث عن «المدارس الأدبية المعاصرة»، ولو صرفتُ عامين آخرين»[1].

وقد اتَّهمه مرةً «أحمد فؤاد الأهواني»، بأن صداقتَه للأديب «يحيى حقي»، هي وراءَ مدْحه له، وثنائِه على عمله الأدبي «قنديل أم هاشم».

ولما ردَّ سيِّد قطب على اتّهام الأهواني قال له: «وهناك حقيقةٌ يجب أن أذكرها هنا، إنني لا أعرفُ يحيى حقّي، لم ألقَه مرةً واحدة في حياتي، وأنا أودُّ أن أراه، لأُعنِّفه أقصى التعنيف على سكوته. إنني صديقٌ لقنديل أم هاشم، لا ليحيى حقي.

ولستُ أقررُ هذه الحقيقة، لأهربَ بها من تبعةِ ثنائي عليها. فلو كان صديقي ما تغيَّر حكمي. وفي مَنْ كتبتُ عنهم أصدقاء ومعارف، وآخرون لا أعرفهم، ولم ألقَهم في حياتي. وكلُّهم كتبتُ عنهم بروحٍ واحدة، لأن النقد الفني يجب أن يكون موكَلًا بالعمل الفني»[2].

---

(١) الرسالة. المرجع السابق: ١٠٨٨.

(٢) الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨٣. تاريخ ٤٦/٨/٦. صفحة: ٨٧٤.

عباس خضر يخبر عن صلات سيِّد بهم

من الأدباءِ الذين كانتْ تربطهم بسيِّد صلةٌ وثيقة، «محمود أبو الوفا» صاحب ديوان «أنفاس محترقة»، الذي تكلَّم عليه سيِّد وعرضه وأثنى عليه كثيراً في «الرسالة»، في صيف عام ١٩٥١م(١).

قالَ «عباس خضر» عن صلةِ سيِّد بأبي الوفا: «وكنتُ أزورهُ أحياناً في منزلِه، بحلوان، فأجدُ هناك الصديقَ الشاعر «محمود أبو الوفا»، الذي كانَ هو أيضاً مشغولاً بالتعبيرِ الشعري عما نقصدُ إليه في مناقشاتنا ومحاوراتنا»(٢).

ومن أصدقاء سيِّد المقرَّبين «طاهر أبو فاشا».

ومن الأماكن التي كان سيِّد يذهب إليها، ويلتقي فيها بأصدقائه من الشعراء والأدباء، «قهوةُ الحِلْمية».

قال عباس خضر عن مجيء سيِّد قطب مع «طاهر أبو فاشا» إلى مقهى الحلمية: «كان أبو فاشا يذهبُ إلى الدكتور «زكي أبو شادي»، وجماعةِ «أبولو» التي تلتفُّ حوله، ثم يصحبُه بعض الشباب من تلك الجماعة، إلى مقرِّ سمرنا في «قهوة الحلمية»، ومنهم «مختار الوكيل» وأحياناً يجيءُ معه سيِّد قطب ، ولا أدري أينَ تعرَّف به»(٣).

وقد كشف «عباس خضر» بعض «القَفَشات» والمقالب الخفيفة، التي كانتْ تحصل بين الأدباء: «وكم ضحكْنا من «احتيالٍ»، قام به طاهر أبو فاشا وبعض أصحابه على السيد «حسن القاياتي»: ذهبوا إليه حزانى آسفين، زاعِمين أن الأستاذَ سيِّد قطب

---

(١) انظر «الرسالة». السنة التاسعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٩٤٥. تاريخ ١٩٥١/٨/١٣. عنوان «أنفاس محترقة».

(٢) الثقافة. السنة الرابعة. المجلد الثامن. عدد: ٤٧. أغسطس ١٩٧٧. مقال «هؤلاء عرفتهم: سيِّد قطب»: ٤٨.

(٣) الثقافة. السنة الرابعة. المجلد الثامن. عدد: ٤٦. يوليو ٩٧٧. مقال «هؤلاء عرفتهم: طاهر أبو فاشا»: ٤٧.

محجوزٌ في «قسم البوليس» لأنه كان يشربُ «عرقسوس»، واحتكَّ بالبائع. فكسر قِدْرَهُ الزجاجية، فأمسكَ به بائع العرقسوس، واستنجدَ بالشرطيِّ، وأصرَّ على أن ثمنَ القِدْرِ سبعون قرشاً، إمَّا أن يدفعها سيِّد قطب، أو يُزَجَّ به في السجن. وهو لا يملك هذا المبلغ.

فأعطاهم السيد حسن القاياتي السبعين قرشاً.

وحدثَ بعد ذلك، أنْ كانَ سيِّد قطب في ندوة القاياتي، وخشي طاهر أبو فاشا أن يُكْشَفَ أمرُه. فقال لسيِّد قطب: لقد أرسلْنا لك المبلغَ مع الأستاذ عبد الحميد الديب، وهذا لا يوصِل شيئاً. فضحك السيد حسن القاياتي وقال: لقد أكلهُ الذئب»[١].

وأخبرَنا «عباس خضر» عن حفلةِ تكريمٍ فكاهيّة، حضرَها سيِّد، وخطبَ فيها. قال: «في تلك الفترة انتشرتْ حفلاتُ التكريم. فأراد طاهر أبو فاشا، وجماعةٌ من أصحابه ــ ومنهم سيِّد قطب ــ أن يسخَروا من تلك الحفلات. وتبرَّع أحدُ الصحاب أن يكونَ هو موضوعَ هذه السخرية، وهو الشاعر «مهدي مصطفى» وكان شيخاً معَمَّماً، وعزمَ أن يخلعَ زيَّ المشايخ، ويلبس زيَّ الأفندية.

طبعوا رقاعَ الدعوة، ووزَّعوها. وهي تبدأ هكذا: «تتشرفُ لجنةُ ذكرى الأحياء من بني آدم، بدعوةِ حضرتكم لحضورِ الاحتفال بإزاحة الكَكُولا [أي الجبة والعمامة الأزهرية] عن جثمانِ الشيخ مهدي مصطفى».

وتنتهي هكذا «لا أَراكمُ الله مكروهاً في عزيز لديْكم».

وكانت حفلةً حافلة، بدأها سيِّد قطب ــ عندما خرجَ مهدي مصطفى لحاجة ما ــ بقوله: «بمناسبةِ تغيُّبِ المحْتفىٰ به نبدأ الحفل».

وخطب فيها أكثرُ من عشرين شاعراً، منهم: حسين شفيق المصري، وسيِّد قطب وأحمد مخيمر[٢].

---

(١) الثقافة ــ المرجع السابق ــ : ٤٧ ــ ٤٨.

(٢) الثقافة ــ المرجع السابق ــ : ٤٩.

وأخبرَنا «عبـاس خضر»، عن مجيء سيِّـد قطب إلى مقهى الأُدبـاء في الحلمية، ثم استقبـال عباس لـه في منزلـه تلك الليلة: كان سيِّـد قطب قـد أَنهى دراسته في دارِ العلوم منذُ سنوات، وقد عرفْتُه عن طريقِ طاهر أبو فاشا، إذ كان صديقاً حميماً له.

كانت أولُ مرة تعارفْنا فيهـا بقهوة الحلميـة، إذْ جاء إليهـا سيِّد قـطب، من أجْلِ صديقِه طاهر، وأخَذنا السمر، فلم نشعرْ بمرور الوقت، حتى جاوزت الساعـةُ الواحـدةَ بعد منتصف الليل، وكـان سيِّد قـطب يسكن في حلوان، وقطارُ حلوان ينتهي سيـرهُ في الساعةِ الواحدة تماماً.

فجـاءَ معنا إلى مسكني في الحلْميـة، حيث بتْنا معـاً، ونمْنا على سـريري، ذي الأعمدةِ الحديديَّةِ الأربعـة، واضطُرِرْنـا أن ننامَ على السـرير نحن الثـلاثة بـالعرض.. حتى يَسَعَنا!

وكان طاهر يسكنُ معي، أو قُل: يسكنُ عندي، إذ لم يكن له مسكن.

... وفي صباحِ تلكَ الليلة، التي استضفْنا فيها سيِّدَ قطب، خرج طاهر لابسـاً «بيجامته» الحريرية، وبيده «السلطانية» وعاد يحملُها مملوءة بالفول المدمس بيد، وباليد الأخرى أرغفةُ الخبز، وتحت إبطه حزمة من البصل الأخضر»[1].

سيِّد قطب وهؤلاء الأدباء

عاشَ سيِّد قطب حياةً أدبية طويلة، تعرَّف فيها على أدباء كثيرين، واتَّصـل بهم، والْتقى معهم، ووافقَهم أو خالَفَهم، وأيَّدهم أو عـارَضهم، سارَ معهم أو اصـطَدَم بهِم، وجَرَتْ له مع بعضهم مناقشاتٌ طويلة، واشتبكَ مع بعضهم في معاركَ أدبية.

من الأدباء الذين تـوثقتْ صلتُه بهم وطـالتْ، وتَركَ أثـراً كبيراً على سيِّـد، عباس محمود العقاد، وسنخصِّصُ له مبحثاً خاصاً.

ومن الأدباء الذين لسيِّد بهم علاقـةٌ وصلةٌ: طه حسين، وأحمـد حسن الزيـات، وعبـد القادر حمـزة، وأحمد زكي أبـو شادي، وتـوفيق الحكيم، وإبـراهيم عبـد القـادر

(١) الثقافة ــ المرجع السابق ــ: ٤٩ ــ ٥٠.

المازني، ويحيى حقي، ومحمود تيمور، ومحمد مندور، وعبد الحميد جودة السحار، وأحمد أمين، وعبد المنعم خلّاف، وعباس خضر، وعلي الطنطاوي، وأنور المعدّاوي، ونجيب محفوظ وغيرهم.

سيِّد قطب والرافعي

لسيِّد قطب رأيٌ في «مصطفى صادق الرافعي» وأدبِه، لا يوافقُه عليه بعض الباحثين والأدباء، ويعارضُه كثير من الإسلاميين!

إن كثيراً من الإسلاميّين يعتبرون «الرافعي» أديبَ الإسلام، المدافعَ عن القرآنِ والإسلامِ واللغةِ والأدبِ والأخلاقِ والفضائلِ، ويعتبرون أدبَه إسلامياً قرآنياً رفيعاً فريداً فصيحاً، ويعتبرون كلَّ مَنْ ينقدُ أدبَه مخالفاً للدين، محارباً للحقّ، متَّبعاً للباطل!

ولهذا أساءوا الظنَّ بسيِّد قطب، عندما انتقدَ أدب الرافعي، ـ كما أساءوا الظن به عندما انتقدَ ورفضَ شعْر أحمد شوقي من قبل ـ واعتبروه في نقده لأدب الرافعي، منتصِراً للعقاد في حربه للرافعي، وعوْناً لأعداء اللغة والدين والأخلاق الذين حاربَهم الرافعي، ويدَّعون أن سيِّد ـ لمّا انتهى به المطاف إلى الإسلام والدعوة ـ مالَ إلى الرافعي وأدبِه، وصار نصيراً له، مدافِعاً عنه!

يقول «يوسف العظم» عن هذا الموضوع، بعد أن أشار إلى مناصرةِ سيِّد للعقاد، وهجومِه العنيف على أدب الرافعي: «وما أحسبُ أن سيِّدَ قطب كان يعلمُ أن مواقفَه تلك ستُطْوى، فلا يَرتاح إليها، أو يَذكرُها بنفسٍ رضيةٍ، إذ انتهى به المطافُ الأدبي: بين جنبيْه روحُ الرافعي لا روحُ العقاد، وفي كفه قلمٌ فيه من شفافيةِ الرافعي، وعذوبةِ طه حسين، وعمْق العقاد وجَلَدِه، مما جعله يقوم مدرسةً أدبية وحده»[1].

وأعتقدُ أن كلامَ «يوسفَ العظم» في غير محلِّه، وأنه ظَلَم سيِّد قطب عندما أعطى قلمه شفافيةَ الرافعي، وأحسبُ أن سيِّد لو اطَّلعَ على كلام تلميذه «يوسف العظم» لما أعجبَه ولا وافقَ عليه، بل سينزعجُ، لأنه أعطاه بعضَ شفافيةِ قلم الرافعي.

---

(١) رائد الفكر الإسلامي، ليوسف العظم: ٧٥.

لقد بقيَ سيِّد قطب رافضاً لطريقةِ الرافعي وأسلوبه في الكتابة، حتى بعدَما أقبلَ على الإسلام والدعوة والجهاد.

في عام ١٩٥١م، اعتبرَ «أحمد الشرباصي» أن أسلوب الرافعي مستمَدٌّ من أسلوب القرآن التصويري، وأن الرافعي يعبِّرُ بالصورة الحسيَّة عن المعاني الذهنية.

وقد ردَّ سيِّد قطب على كلام «أحمد الشرباصي»، وقال: «لا أذكرُ أنَّ هذا كان مأْخَذي على أسلوب الرافعي، بل أذكرُ أنه كان العكس، فقد كنتُ آخُذُ عليه: الألاعيبَ الذهنيةَ في التعبير، والجُمَلَ التي ينبعُ ذيلُها من رأسها، والعكس، والتي يحسبُها القارىء ماشيةً «تَتَقَصَّعُ!» وتضعُ يديْها في خَصْرها على الطَّرْس، وليس شيء من هذا كله بسبيلٍ، من ذلك الأسلوب القرآني»(١).

ما هو أدب الرافعي في ميزان سيِّد قطب؟

يقول: «لي رأيٌ في المرحوم مصطفى صادق الرافعي، لعلَّ فيه شيئاً من القسوة. وكنتُ على ثقةٍ أن هذا الرأيَ، لم يتدخلْ في تكوينِه عندي أيُّ عاملٍ خارجي، وإنما كان نتيجةً لعدم التجاوب بين آثاره الأدبية وبيني.

. . . والقصةُ بين الرافعي وبيني، أنني قرأتُ له ــ أولَ ما قرأتُ ــ كتابَه «حديث القمر»، فأحسستُ بالبغضاء له، أجلْ بالبغضاء. فهي أصدقُ كلمة تعبِّرُ عن ذلك الإحساسِ، الذي خالجَني إذ ذاك.

. . . ولقد كنتُ أُكْرِهُ نفسي بعد ذلك على مطالعةِ الرافعي، فتزداد كراهية لهذا اللون من الأدب، دونَ أنْ أجدَ التعليل. ذاك أنني كنتُ إلى هذا الوقت، أديباً يتذوَّقُ فحسب، لا ناقداً يستطيع التعليل، ويصبرُ على التحليل. .

. . . كنت أشكُّ في «إنسانية» هذا الرجل، قبلَ أن أشكَّ في قيمة أدبه، وكنت أزعمُ لبعض إخواني في معرض المناقشة، أَنه خواءٌ من «النفْس» وأن ذلك سببُ كراهيتي له، ولو أنني لم أرهُ مرةً واحدة، ولم أجلس إليه.

---

(١) انظر الرسالة. السنة التاسعة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٩٢٧. تاريخ ١٩/٥/١٩٥١م. صفحة: ٤٢٩.

.. لقد عدَّلْتُ حكمي قليلاً، وخَفَّتْ حدَّته، ولم أعُد أستشعر البغضَ والكراهيةَ للرجل وأدبه. ولكن بقيَ الأساسُ سليماً.

كنتُ أُنكرُ عليه «الإنسانيةَ»، فأصبحتُ أنكرُ عليه «الطبع»، وكنتُ لا أجدُ عنده «الأدبَ الفني»، فأصبحتُ لا أجد عنده «الأدب النفسي»!.

الرافعي أديبٌ مُعْجِب، في أدبه طَلاوة وقوة، ولكنه بعدُ أدبُ الذهن، لا أدبُ الطبع. فيه اللمحاتُ الذهنيةُ الخاطفة، واللفتاتُ العقلية القوية، التي تَلوح للكثيرين أدباً مُغْرِباً عميقاً لذيذاً، ولكن الذي ينقصُها، أنه ليس وراءَها ذخيرةٌ نفسية، ولا طبيعةٌ حية..

.. وكثيراً ما يختلط أدبُ الذهن وأدبُ الطبع، إذا كان معَ ذكاءٍ وقوة، وما من شكٍ أن الرافعيَّ كان ذكياً قويَّ الذهن، لكنه كان مغلقاً من ناحية الطبع والأريحية»[1].

يجب أن نفرِّقَ بين فكرِ الرافعي وبين أدبه، بين دينِه وبين أسلوبه، إننا لا نتكلم عن فكرِه ودينه، بل إننا نُعْجَبُ به في دفاعه عن الإسلام والقرآن واللغة، ووقوفِه بجانبِ القرآن ضدَّ أعدائه من المستشرقين والمستغربين.

إننا ننقدُ أدبَه، ونرفضُ أسلوبَه في الكتابة والتعبير، ولا نقبلُ طريقتَه، في صياغة الجمل، و«توليد» الكلمات العسيرة الشاقة، وكأنه يقوم «بعملية توليد قيصرية»!

سيِّد وطه حسين

لسيِّد قطب صلةٌ وثيقة بطه حسين. صلةٌ وظيفيَّة إدارية، وصلةٌ أدبية فنية.

التقى سيِّد بطه حسين في وزارة المعارف، حيث كان سيِّد موظفاً في مراقبة الثقافة العامة في الوزارة، في الأربعينيّات، وكان طه حسين مستشاراً للوزارة حوالي سنتين ــ من ٢٦/٥/١٩٤٢م إلى ١٦/١٠/١٩٤٤م ــ[2].

---

(١) الرسالة. السنة السادسة. المجلد الأول. عدد: ٢٥١. تاريخ ٢٥/٤/١٩٣٨م. صفحات: ٦٩٢ ــ ٦٩٣ باختصار.

(٢) سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٣٠، حاشية.

وقد أشرْنا في موضعٍ سابق ــ لدى كلامِنا عن عمل سيِّد قطب في وزارة المعارف ــ إلى موقفِ طه حسين من مشكلةٍ واجهها سيِّد، مع وزير المعارف وقتها «أحمد نجيب الهلالي»، ودعْمِ طه حسين لسيِّد، وإقْناعِه بالعدولِ عن الاستقالة، وتبنِّيه لقضيتِهِ، واستعدادهِ أن يُحدثَ أزمة من أجله، وترتيبِ مهمَّة تفتيشيَّة له في مدارس الصعيد(١).

وهذه الحادثة تدل على الصلةِ الوثيقة بينهما.

وصِلةُ سيِّد الأدبيةِ بطه حسين، ليست صلةَ التلميذ بالأستاذ ــ كما كانت مع العقاد ــ ولكنها صلةُ أديبٍ شاب بأديب من الأدباء الشيوخ، الروّادِ في عالَم الأدب.

إنه يعتبرُ طه حسين صاحبَ مدرسةٍ في الأدب، سمّاها «مدرسة الأسلوب التصويري»(٢).

وكان يُعرِّف بمعظم الكتب التي أَصدرها طه حسين، وينقُدُها في مجلات الرسالة والثقافة والكتاب وغيرها.

ولما أصدر طه حسين كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» ــ الذي أثار ضجةً كُبرى في أوساط المثقفين المصريين ــ كتبَ سيِّد في نقْده بحثاً مطوَّلاً، نشره في مجلة «دار العلوم» ثم طَبَعَه في كتاب بعد ذلك.

وقال في مقدمة البحث: «وفي هذا الكتاب ما نوافِقُ فيه الدكتور أشدَّ الموافقة. وفيه ما نخالفه فيه أشدَّ المخالفة. وفيه ما يحتملُ الأخْذَ والردَّ والزيادة والنقصان»(٣).

وكان سيِّد معْجَباً بكتاب «الأيام» للدكتور طه حسين، الذي سرد فيه بعض أخباره الشخصية، وسيرته الذاتية، ولما ألَّف سيِّد ذكرياتِه عن قريته في كتاب «طفل من

---

(١) انظر «الرسالة». السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨١. تاريخ: ١٩٤٦/٧/٢٢م. صفحة: ٧٩٦.

(٢) انظر «الرسالة». السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٥. تاريخ ١٩٤٤/١١/٢٧م. صفحة: ١٠٤٥.

(٣) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر: ٨.

القرية» أهداه إلى طه حسين[1].

ولمّا كان سيِّد قطب في أمريكا ـ لمدة سنتيْن ـ أُسندتْ للدكتور طه حسين وزارةُ المعارف. وقد راسلَ سيِّد أصدقاءه الأدباء، واطمأنَّ عليهم في عهد الوزير الجديد طه حسين.

فبعث إلى زميله «محمد جبر» من «جماعة دار العلوم» رسالةً يطمئنُّ فيها عليه: «وأحوالُ الجماعة ـ ودعْكَ من أحوالك أنت الخاصة، وحقّي الشخصي في الاتصال بها ـ كيف تسير؟ ثم هلْ لي أنْ أطمئنَّ اليوم على صِلاتِك بالوزارة في عهد الدكتور طه حسين؟»[2].

وبعث رسالةً إلى «أنور المعداوي» أشار له فيها إلى المعركة العنيفة، والخلافِ الحادّ الذي وَقَعَ بينه وبين طه حسين عام ١٩٤٧م، ومع ذلك مَدَحه، وقال لأنور: «وأشرتَ إلى ما بيني وبين الدكتور طه. إنني أعتقدُ على أيةِ حال، أنه من الخير للبلد أن يكون هذا الرجل في وزارة المعارف. ولستُ أسألُ عما يكونُ لي أو عليَّ، فطريقي واضحٌ أمامي، وهدفي معروف لي في جميع الظروف»[3].

ولما صار طه حسين وزيراً للمعارف، دعتْه بريطانيا لزيارتها، وحلَّلَ سيِّد بفطنة وبراعة هدفَ بريطانيا ـ وأعوانها وعملائِها في وزارة المعارف في مصر ـ من هذه الدعوة.

قال: «لقد كان الإنجليزُ يعرفونَ أن في مصر رجلاً اسمه الدكتور طه حسين. وكان الدكتور طه هو الدكتور طه، الكاتب الأديب الأستاذ الجامعي كما هو. لم يَزِدْ عليه إلَّا أَنْ أصبحَ وزيراً للمعارف.

وكان الإنجليزُ يعرفونَ أن مُيول الرجل ـ حسب ثقافته ـ ميولٌ فرنسية، فلما أَنْ

---

(١) انظر الإهداء في «طفل من القرية». صفحة: ٤.

(٢) مجلة الهلال. أكتوبر ١٩٨٦م. مقال «ثلاث رسائل لم تنشر للشهيد سيِّد قطب»، لطاهر أحمد مكي.

(٣) مجلة الكاتب. السنة الخامسة عشرة. عدد: ١٧٣. تاريخ أغسطس ١٩٧٥. صفحة: ٢٩.

صارَتْ إليه وزارةُ المعارف، أدركوا أن هنالِك خطراً على الثقافة الإنجليزية، قد يصيبها مع وجود هذا الوزير.

وهنا فقط تذكَّروا أن طه حسين أديبٌ كبير، يستحقُّ الدعوةَ إلى إنجلترا، والضيـافةَ على الحكومةِ البريطانية والمعهدِ البريطاني، والتكريمَ بالألقاب الجامعية، من جامعاتِ الإنجليز. فقط عندما صار وزيراً للمعارف.

إنــه الاستعمــارُ، يخشى على حبــائله في وزارة المعــارف أن تنكشف، أو أن تتزعزع»[1].

ومع الصلةِ الوظيفيةِ الوثيقة، بين سيِّد قطب وبين طه حسين، إلا أنـه كانتْ تقـع بينهم «مناوشاتٌ» خفيفة، أو معاركُ حامية عنيفةٌ قاسية.

من أعنفِ المعارك التي نشبتْ بينهما، هجومٌ عنيف شنَّه طـه حسين على الأدباء الشبان في مجلة الهلال ــ عدد يونيو «حزيران» ١٩٤٧م ــ اتهمهم فيـه اتهامات كثيرة.

واعتبر سيِّد نفسه مدافِعاً عن الأدباء الشبّان، فشنَّ عليه هجوماً أدبياً، عنيفاً حـاداً قاسياً، في العدد الرابع من مجلة «العالَم العـربـي» ــ وهو آخـر عدد صـدر منها تحت رئاسة سيِّد، حيث تركها بعد ذلك العدد ــ وهـاجم في ذلك المقـال الأدباء الشـيـوخ، وجعل عنوانه: «بدء المعركة: الضميرُ الأدبـي في مصر. شبان وشيوخ».

وقد أحدث هجوم سيِّد على طه حسين ــ وباقي الأدباء الشيـوخ ــ أثـراً ملحوظـاً في الأوساط الأدبية في مصر، والعالَم العـربـي، والعالَم الغـربـي أيضاً، حيث اعتمـد الغـربيون «إدانـاتِ» سيِّد لـلأدباء الشيـوخ، في حياتهم الأدبيـةِ والسلوكيةِ والأخـلاقية، وترجَموا المقالَ إلى اللغة الإنـجليزية[2].

ويبـدو أن طه حسين ــ أمـامَ الهجـوم الحـادِّ القـويِّ العنيف من سيِّـد ــ آثَـرَ أن ينسحب من المعركة، وأن لا يَـردَّ على سيِّد الحـرب بالمثـل، وبما أن سيِّـد ترك مجلةَ

---

(١) معركة الإسلام والرأسمالية: ١٠٠ ــ ١٠١.

(٢) انـظر مجلة «العـالَم العـربـي». المجلد الأول. العـدد الـرابـع. تـاريـخ ٢١ شعبــان ١٣٦٦. صفحات: ٥٢ ــ ٥٤.

«العالَم العربـي» بعد ذلك المقـال، فيبدو أنـه هو أيضـاً لم يستمر في الصـدام مع طـه حسين.

وكان سيِّد عنيفاً وحادّاً في ردّه على طـه حسين، في معركـة أخرى ضـده. ففي عام ١٩٣٤م، دارتْ على صفحات «الأسبوع» معركةٌ أدبيةٌ عنيفة، بين سيِّد قطب وبين مجمـوعةٍ من الأدبـاء، على رأسهم أدباءُ جمـاعة «أبـو للو» التي كان يـرأسُها الـدكتـور «أحمد زكي أبو شادي»، وقد شنَّ سيِّد هجومـاً عنيفاً على أولئـك الأدباء، وقـد أصاب في هجومه الدكتورَ طه حسين.

وقال له ضمن كـلام طويـل: «على أيٍّ يا دكتـور: أنتَ خبيث!! ــ ورزقي على الله ــ وليس هذا الخبثُ عيباً فيك تبرأُ منه. بل ربما كان أحدَ العناصر الممتـازة، التي دفعت بك إلى مركزك الذي تتبوأه الآن بين المصريِّين»[1].

ولا ننسى أن صلةَ سيِّـد العملية والأدبيـة والثقافيـة بـالـدكتـور طـه حسين، قـد انقطعـتْ وزالَتْ، لمّا اختلفت طرقُ كل منهما عن الآخر، وذلك عندمـا اتجه سيِّـد قطب نحو طريق الإِسلام والدعوة، وصار مفكِّراً إسلاميّاً ملتزمـاً. إذ أنَّ موقفَ طـه حسين من الإِسلام معروف.

سيِّد قطب وتوفيق الحكيم

اشتهـر «توفيق الحكيم» في الأوسـاط الأدبيّـة والثقـافيّـة بلقب «الأديب الحـائـر» و «صاحبِ البرجِ العاجيّ».

وكان لسيِّد قطب صلةٌ أدبية وثيقـةٌ به، حيث قـرأ كتبَه ورواياتِهِ ومقـالاتِهِ الكثيـرة المختلفة.

واعتبرَه صاحبَ مـدرسةٍ أدبيـة فنية، أطلق عليهـا اسم «مدرسـة التنسيق الفني». وشـرح هذا المصـطلح بقولـه: «إننا نَعني بـه معنى آخر بجـانب «تنسيق الشخصيـات» نعني به معنًى في طريقة العرض، في الأسلوب الذي تُعرَض به الشخصيات والحوادث

(١) الأسبوع: السنة الأولى. عدد: ٣٣. تاريخ ١١/٧/١٩٣٤. صفحة: ١٤.

والأفكار، فهذه الطريقة موحدة، سواء كان المعروض قصةً أو تمثيليةً أو فكرةً في مقالة. ولسْنا نعني به ما يعبِّرون عنه بالحبكة، فهو أوسعُ من ذلك مدى. إنه «التصميمُ الهندسي» للعمل الفنّي كله، بحيثُ يبدو متساوياً منسَّقاً مطَّرداً، وبحيثُ يتهيَّأُ هذا العملُ الفني كلُّه في ذهن الفنان. قبل أن يبدأ اللمسة الأولى»[1].

أما توفيق الحكيم نفسُه عند سيِّد قطب فهو صاحب البرج العاجي، المعتزلُ في صومعته الفكرية، وفي ذلك يقول عنه: «يجنحُ توفيق الحكيم، إلى أن يعيشَ في داخل نفسه، أكثرَ مما يعيش في خارجها، فلا تهمُّهُ الحياةُ المنطلقة في الخارج، كما تهمُّه الحياة التي يصوِّرها خيالُه كما يريد. .

فما منشأ هذا؟ منشؤه هو إشفاقُ توفيق من الحياة، وضعفُ الحيوية في كيانه الجسدي»[2].

أما فكرُ توفيق الحكيم ــ عند سيِّد قطب ــ فهو يقوم على الشكِّ والحيرة والقلق: «تلك طريقةُ توفيق الحكيم التي لا تتخلَّف، ومنشؤُها ــ فيما أعتقد ــ طبيعةُ توفيق نفسها، فهو «الأديبُ الحائر» ــ كما قال عنه مرة الدكتورُ طه حسين ــ إنه الشكُّ غيرُ الواعي في طبيعة هذا الفنان، وإنه القلقُ الدفينُ في نفسه. .»[3].

وحتى لا يبدو سيِّد ظالماً، في وصف توفيق الحكيم بذلك، ينقل قولَه في مجلة «الرسالة» عن نفسه: «لقد جاوزتُ الأربعين، وما أُبصرُ في الأفق طيفَ واحةٍ مورقة، في صحراء حياتي المُحرقة. ما قيمةُ الشهرة بغير سعادة؟ وفيم الأدب والفن بغير هناء؟»[4].

أما توفيق الحكيم في حياته الواقعية، فيقرر سيِّد أنه تقمَّص شخصياتِ أبطال

---

(١) الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الأول. عدد: ٥٤٩. تاريخ ١٠/١/١٩٤٤. صفحة: ٢٧.

(٢) الرسالة ــ المرجع السابق ــ: ٢٦.

(٣) الرسالة. السنة الحادية عشرة. المجلد الأول عدد: ٥١٣. تاريخ ٣/٥/١٩٤٣م. صفحة: ٣٥٠.

(٤) كتب وشخصيات: ١٢١.

قصصه التي كتبها، وعاش حياتَها، وبما أنه كتب عن منحرفين في سلوكهم وأخلاقهم، فقد عاش الحكيم ذلك عملياً، كما يبدو ذلك من صِلتِه المُريبة بالزوجةِ الخائنة، بطلةِ روايته «الرِّباط المقدَّس» التي كَتبتْ مذكراتِها في صلتِها بعشيقها في «الكرّاسة الحمراء»[1].

ويُعَلِّقُ سيِّد على هذا الجانب «المكشوف» في فن توفيق الحكيم: «ها هوذا توفيقُ الحكيم. يكاد يكفرُ بفنِّه، فيهبط إلى مستوى الجرائد والمجلات الأسبوعية، التي تتملَّقُ الغرائز، وتستلفتُ النظرَ بالمسائل اليومية والنزعات المكشوفة.. إنه «الرجل» الذي يريد بأيِّ شكل أن تراه «المرأة» وأن تحسَّ وجودَه. والمرأةُ في هذا الجيل لا يلفتُها إلا التافهُ الرخيصُ من الأدب المكشوف، الذي يدغدغُ الغريزة.. ومِنْ هذا الصنف يُكثرُ الآن «الفنانُ الحائر» توفيق الحكيم»[2].

ورغمَ هذه الملاحظاتِ، التي أبداها سيِّد على أدب وفنِّ وشخصيةِ وسلوكِ وروايات توفيق الحكيم، فإنه يعترفُ له بدوره التاريخي، «المؤسِّس» للهندسة التنسيقية الفنية، للروايات والتمثيليات العربية.

فلمّا كانَ سيِّد قطب في أمريكا، بعثَ له «توفيق الحكيم» هديةً ثمينة، وهي كتابهُ الجديد «الملك أوديب»، وردَّ سيِّد على هديته برسالةٍ قيِّمة، أثنى فيها على الدورِ التاريخي الفني للحكيم، وقدَّم له نصائح عظيمة، في الكتابة والتأليف، وفْقَ التصور الإسلامي، ونُشرتْ هذه الرسالة في عددين متتاليين في «الرسالة» في مايو ١٩٤٩م.

ومما قال له في تلك الرسالة:

«صديقي الكبير الأستاذ توفيق الحكيم:

شكراً لك على هديتِك الكريمة: كتابِك الجديد «الملك أوديب». إنها شيءٌ عزيز ثمين، بالقياس إليَّ هنا، في تلك الورشة الضخمة السخيفة، التي يسمّونها: «العالَم الجديد!».

---

(١) كتب وشخصيات: ١٢٧.

(٢) المرجع السابق: ١٢١ حاشية.

لقد استروحْتُ في كلمة الإهداء: «ممن يذكركَ دائماً» نسمةً رخيّةً من روحِ الشرقِ الأليف ـ فالذكرىٰ هي خلاصةُ هذه الروح ـ وما كان أحوجَني هنا إلى تلكَ النسمة الرخيّة..

إن شيئاً واحداً ينقصُ هؤلاء الأمريكيّين ـ على حين تذخر أمريكا بكل شيء ـ شيءُ واحد لا قيمةَ له عندهم.. الروح».

وعن دور توفيق الحكيم التاريخي في الروايةِ العربية، يقول سيِّد له: «ما لي أُحسُّ ـ أيها الصديق الكريم ـ كأنكَ خائفٌ قلقٌ من ذاكرة التاريخ؟ ذلك الخوفُ وهذا القلق اللذان يدفعانك دفْعاً إلى تسجيلِ دورك بقلمِك، في خطِّ سيرِ التمثيلية العربية؟

أحب أن أطمئنَك منذُ اليوم، على أن التاريخَ الأدبيَّ، لن ينسى لك دورَكَ الأساسيّ، الذي قُمتَ به في وضْع «القالب الفني» ـ للمرة الأولى في تاريخ الأدب العربي ـ للروايةِ التمثيلية.. وصُنعِهِ على أساس فنّي صحيح.. وإلا فإن محاولاتٍ كثيرةً قد سبقتْكَ لوضع هذا القالب.. إلى أن جئتَ أنت، فوُفِّقْتَ نهائيّاً لتكوينِ قالبٍ فني للحوار، يحمل فكرةً تُدْخلُه في باب الأدب، وينهجُ نهْجاً لم يلحقْكَ فيه إلى اليوم أحد، ولستُ أدري متى يظهرُ التالي لك، أو المتفوِّقُ عليك فيه؟».

ورغم تسجيل سيِّد لدورِ الحكيم في «تاريخ التطوُّر الفني» للروايات والتمثيليات العربية، إلا أنَّه أشار له إلى جانبٍ مهمٍ وضروري، لا بد أن يلتفتَ إليه: «أمّا نصيبُك الذي سيبقى في باب «القيم الفنيةِ المطلقة»، فأخشى أن أقول: إنك لم تقُم به بعد، لأنك ـ في باب التمثيليات ـ لم تهتدِ بعدُ إلى النبعِ الأصيل، الذي تستقي منه روحُكَ العميقة، لا فكرُك الواعي، فتنشيءُ عملاً خالداً، فيه حياةٌ وروح.

.. وقد تكون أنت نفسك، ذلك الفنانَ الأصيل الموهوب، في عملٍ فنيٍّ جدير، حينما تهتدي إلى النبعِ الأصيل، المخنوقِ في نفسك، تحت رُكامٍ من الثقافة الغربية الطاغية!!

إنني لا أُعيبُ الثقافةَ ـ فهي أمرٌ لا بدَّ منه اليومَ لتكوينِ الأديب ـ ولكنَّ الذي

أَعنيه، أَنَّك أيها الصديق ـ شأنك في هذا شأن ذلك الجيل كلِّه من الشيوخ ـ تستلهمُ ثقافتَكَ الفنيةَ الغربية، قبل أن تجدَ ذاتَك الأصيلة.

من هنا يفقدُ فنُّكَ ـ كما تفقدُ أعمالُكم جميعاً ـ ذلك الطعمَ الخاص، الذي يتذوَّقُه في آداب كلِّ أمة، والذي يميزُه عن آداب الأمم الأخرى.

إنكم لا تجدونَ أنفسكم في خضمِّ ثقافتِكم، إنكم تَمْتَحونَ من رؤوسِكم، أكثَرَ مما تستوحون قلوبَكم، وهذا هو العنصرُ الخطرُ عليكم جميعاً».

ويتخذُ رسالتَه إلى الحكيم مناسبةً، لتفنيد رأي الدكتور طه حسين، في التبعية الثقافية لمصر، ويبيِّنُ السببَ في ذلك الرأي: «ولا تؤمِنْ بما يقولُه الدكتور طه ـ مسَّاهُ الله بالخير ـ ويردِّدُه، من أنَّ مصر «إغريقية» التفكير، لأن مدرسةَ «الاسكندرية» القائمةَ على أساس الفلسفةِ الإغريقية، تركتْ آثاراً عميقة لا تُمْحى!

لا تؤمنْ بهذا، فإنما هي فتنةُ الدكتور الكُبرى بالإغريق!»[1].

ويشيرُ سيِّد للحكيم إلى تركيبِ ذهنيَّتِهِ الفرنسية: «إنَّ عبقريةَ الذهن التجريدية عبقرية غربية. وعلى وجه خاص: عبقريةٌ فرنسية.

آه يا صديقي! ليتك لم تذهب إلى فرنسا!».

وفي آخرِ الرسالة يقدِّم سيِّد النصيحةَ إلى توفيق الحكيم، ويدلُّه على النبع الصافي، الذي يستقي منه قيَمَهُ الفنية: «والآن يا صديقي هل أدلُّك على النبع؟

لقد قال لكَ أستاذُك الفرنسي ـ كما قلتَ في «زهرة العمر» ـ وأنتَ تعرضُ عليه محاولاتِك باللغة الفرنسية: «اكْتُبْ بِلغتك لتُبدع».

هذا هو نفسُه ما أقولُه لك: اسْتَوْحِ «ميراثَك» لتبدع!

إن هذا الميراثَ هناك، كامِنٌ في ضميرِك، تخنُقُه ثقافتُك الفنيـة الفرنسيـة. إنكَ

---

(١) «إلى الأستاذ توفيق الحكيم. الرسالة ـ ١». الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٨٢٧. تاريخ ١٩٤٩/٥/٩م.

تبعدُ عنه، كلما ذهبتَ إلى الإغريقِ وغيرِ الإغريق، تستلهمُ أساطيرَهم القديمة. إنَّك مصري...

... ما عليك إلا أن تعيشَ مفتوحَ القلب والحسّ والعين، في ريفِ مصر، وفي أحيائِها العامة.. دعْكَ من «سليمان باشا» و«الزَّمالك» و«المعادي» و«الدّقّي»[1]... هذه رُقَعٌ مستعارة في الثوب، هذه لُطَخٌ شوهاء في اللوحة المتناسقة.

افتح قلبَكَ وحسَّكَ وعينَكَ، ثم اقرأْ شيئاً عن مصر القديمة، ولاحِظْها، ما تزال حيَّةً في ضميرِ الشعبِ وعاداته وسلوكه... ثم اكتُبْ»[2].

* * *

(١) أسماء أحياء في القاهرة، يقولون إنها أرقى أحيائها.

(٢) الرسالة. عدد: ٨٢٨ «إلى الأستاذ توفيق الحكيم ــ ٢».

(٦)

سيـد قطـب وعباس محمود العقاد

تستحقُّ صلةُ سيِّـد قطب بعبـاس محمـود العقـاد، أن تُفْـرد بـالـذِّكـر في مبحثٍ مستقل، لأنها صلةٌ وثيقة متينة، صلةٌ شخصية، وصلةٌ ثقافية علمية، ولأنها تركتْ آثـاراً ملحوظةً على سيِّد قطب وألقتْ ظلالاً خاصـة، على شخصيتهِ وعقليتـه وثقافتـه وفكره، ولأنه كَثُر الكلامُ عنها، ووقع بعض الباحثين والكاتبين في أخطاءٍ حولها!!

نقاط التَّشابه بين الشخصيّتين

هنـاك نقاطُ تشـابهٍ والتقـاءٍ واتفاق وانسجـام بين الشخصيتينْ: شخصيـةِ الأستـاذِ عباس العقاد، وشخصيةِ التلميذِ المريدِ سيِّد قطب. وأبرزُ وجوه الشَّبه بينهما فيما يلي:

١ ـ كلٌّ منهما قادمٌ من صعيد مصر. فسيِّد من قـرية «مـوشة»، في محـافظة أسيـوط. والعقاد من «أسوان».

٢ ـ كلٌّ منهما أقبلَ على الشعر والأدب والنقد، منذ مطلع حياتـه، فالعقـاد شاعـر، له عدةُ دواوين، وسيِّد شاعر له عدة قصـائد. والعقـاد أديب كاتب نـاقد، وسيِّـد في طليعة الأدباء والنقاد.

٣ ـ كلٌّ منهما كتبَ كثيراً في الصحف والمجلات الحزبية والأدبية.

٤ ـ كلٌّ منهما كـان عضواً في حـزب الوفـد فترةً من الـوقت طويلة، وكـلٌّ منهما تـرك حزب الوفد فيما بعد.

٥ ـ كلٌّ منهما عاش حياتَه الاجتماعية بدون زواج ـ رغْم محاولة سيِّد الخِطبة أكثرَ من مرة ـ، حيث وَهَبَ كلٌّ منهما نفسَه للأدب والبحث والاطلاع.

٦ ــ كلٌ منهما توجَّه نحو الفكر الإسـلامي والدراسـات الإسلاميـة في مرحلةِ النضـجِ العقلي من حياته. مـع الفارقِ مـا بين توجُّـه العقاد الإسـلامي النظري الـذهني، وتوجُّهِ سيِّد الإسلامي العملي الحركي الجهادي!

٧ ــ كلٌّ منهما تمتعَ بشخصيةٍ قوية مؤثِّـرة مستقلة، تركتْ آثـارَها الملحـوظة في عـالم الفكر والأدب.

صِلته بالعقاد مبكرة

بدأتْ صلةُ سيِّد بالعقاد في وقت مبكر من حياته. فما أَنْ وطِئَتْ قـدماه القـاهرة، وبدأ يتعرفُ على ما فيها، ومَنْ فيها، حتى وجد نفسَه في مكتبة العقاد الضخمة، واقفـاً أمامَ شخصيةِ العقاد المؤثِّرة.

وهناك أسبابٌ لهذه الصلة المبكرة، منها:

١ ــ إقامةُ سيِّـد ــ عندمـا قدم للدراسـة الثانـوية في القـاهرة ــ في بيت خـاله «أحمـد حسين عثمـان»، واتفاقُ أحمـد حسين عثمـان مـع العقـاد، في كـوْن كـل منهمـا وفدياً، وصحفياً.

٢ ــ قرْبُ إقامةِ سيِّد من إقامة العقـاد. حيث كان مقيمـاً عند خـاله في حيّ «الـزيتون» والعقاد مقيماً في حيّ «مصـر الجديـدة»، وهذا القـربُ المكاني جعـل تردُّدَ سيِّـد على بيت العقاد ميسوراً سهلاً.

٣ ــ إعجابُ سيِّد بشخصيةِ العقاد، وما توفَّر لها من مواهبَ، أدبية ونقدية وشعرية.

٤ ــ مكتبةُ العقاد الضخمة، التي وجد سيِّد فيها ضالَّته، والتي أشبعتْ نهمه للمطالعـة والثقافة.

سيِّد تلميذ للعقاد

كـان العقاد عَلَمـاً من أعلامِ الأدب، وقمَّـةً من قمم الثقـافـة، وقـد أرسى أسسَ مدرسةٍ متميزة، في الأدب والمعرفة والثقافة والحياة، كان هو أستاذَها ورائدَها، وشاركهُ فيها بعضُ الأدباء فترةً من الوقت، مثـل «عبد الـرحمن شكري» و «إبـراهيم عبد القـادر

المازني»، وتتلمذَ عليه في هذه المدرسة الأدبية والفكرية، عشراتُ التلاميذ من الأدباء والشعراء والكتّاب، مثل عبد الرحمن صدقي، ومحمد خليفة التونسي، وعبد الفتاح الديدي، وأحمد مخيمر.

لكن سيِّد قطب كان أبرزَ وأشهرَ تلميذٍ في المدرسة العقادية!

وكان سيِّد يعترفُ بتتلمذه على العقاد، ويُفاخر به.

وبينما ذاب تلاميذ آخرون في شخصية أستاذهم العقاد، وتحوَّلوا إلى مجرَّد شارحين لأفكاره، مردِّدين لآرائه، فإن سيِّد كان ذا شخصيّة مستقلّة، وليس نسخةً أخرى منه.

سيِّد يعرِّف بكتب العقاد

من مظاهر تتلمذِ سيِّد على العقاد، واتِّباعه لمدرسته، أنه قرأ كلَّ ما كتبه العقاد من مقالاتٍ وقصائد، وما نشره من كتب ودواوين وأبحاثٍ ودراسات.

وما كان يتركُ كتاباً أو ديواناً للعقاد إلّا ويعرِّف به، ويَعرِضُه على صفحات الصحف والمجلات، ويُشيدُ به، ويشيرُ إلى عبقرية ونبوغ أستاذه.

وحول هذا يقول الدكتور «محمد رجب البيومي»... «ثم والى العقاد إصدارَ كتبه المتتالية، فكان الأستاذُ سيِّد قطب لا يتركُ منها مؤلَّفاً ــ شهد الله ــ دون أن يخصَّه بالتحليل والشرح. تحدَّث عن العبقريات وعن «الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق»، وعن «عرائس وشياطين»، وعن «شاعر الغزل»، وعن «هذه الشجرة»، في مقالاتٍ نقدية كلُّها إطراءٌ وتقدير»[1].

سيِّد ومدرسةُ العقاد في الأدب والحياة

درس سيِّد نتاجَ الأدباء المعاصرين، وتَعرَّف عليه. وقسَّمهم إلى مدارسَ أدبيةٍ متميِّزةٍ، وكان ينوي أن يُصدرَ كتاباً عنهم، أسماه «المدارس الأدبية المعاصرة»، لكنه عدَل عن ذلك.

---

(١) مجلة الثقافة. السنة الخامسة. عدد: ٥٣. تاريخ شباط ١٩٧٨م. صفحة: ٥٤.

والمدارسُ الأدبية، أو المذاهبُ الفنية، التي قسَّم الأدباءَ إليها هي:

١ ــ مذهبُ «الاستعراض التصويري»، الذي أسَّسَه الدكتور طه حسين، وله فيه تلاميذ[١].

٢ ــ مذهبُ «التنسيق الفني»، الذي أسَّسَه توفيق الحكيم، وله فيه تلاميذ[٢].

٣ ــ مذهبُ «التنسيق التعبيري»، الذي أسَّسَه أحمد حسن الزيات، وله فيه تلاميذ[٣].

٤ ــ مدرسةُ «المنطق الحيوي»، التي أسَّسها عباس محمود العقاد، وله فيها تلاميذُ كثيرون.

ونوردُ تعريفَه بمدرسة العقاد، حيث قال: «هي مدرسةٌ في الأدب، كما أنها مدرسة في الحياة، يلتقي فيها تلاميذُها على سَنَن واضح، ونهج صريح، ويجدون فيها تفسيراً معيناً للحياة والفنون، يشتمل نوعَ الإحساس، ولونَ التفكير، وطريقةَ التعبير، بل يشتملُ فوق ذلك قواعدَ المنطق والسلوك، وتقويمَ الأشياء والأشخاص، وتقديرَ الحوادث والأعمال.

وهي مدرسةٌ متبلورةٌ، واضحةُ السمات، لا يجد الناقد مشقةً ولا عُسْراً في اختيارِ عنوانٍ لها، يمثِّل ويلخِّص أكبرَ ما تستطيع العنوانات تمثيله وتلخيصَه:

هي مدرسةُ «المنطقِ الحَيَوي».

والنسبة هنا إلى «الحياة»، وإلى «الحيوية» جميعاً...

إلى «الحياة»: لأن مردَّ الحكمِ على كلِّ قول وكل عمل، هو ما تقولُه الحياة، وما تصنعه.

وإلى «الحيويّة»: لأن مردَّ الحكمِ على كل قول وكل عمل، هو باعثُه، ومدى «الحيوية» في هذا الباعث.

---

(١) كتب وشخصيات: ١٠٤.

(٢) المرجع السابق: ١٢٥.

(٣) المرجع السابق: ٢٧٣.

أستاذُ هذه المدرسة الأعظم، هو الحياةُ ذاتُها»[1].

سيِّد يغالي في نظرته للعقاد

درسَ سيِّد قطب شخصيةَ أستاذه العقاد، دراسةً عميقـة فاحصـة، وتزوَّد بمختلفِ وسائلِ المعرفة، التي أعانتْه على التعرُّف على شخصية العقاد.

وحدَّثنا عن بعض هذه الوسائل فقـال: «ولقد رقيتُ إلى محـاولةِ استيعـاب العقاد ـ وأفلحتُ إلى مـدى ـ على درجٍ من دراساتٍ شخصيـةٍ جمّـة. ليستْ دراسـةُ الأدب العـربـي ولا اللغة العـربية إلاّ أولى خـطواتها. دراسـاتٌ تشمل كـلَّ ما نُقـل إلى اللغـة العـربية ـ على وجـه التقـريب ـ من الآداب الإفـرنجيـة: قصـةً وروايـةً وشعـراً. ومن المباحثِ النفسية الحديثة: نظرياتُ العقل الباطن، والتحليـل النفسي والمسلكية. ومن المباحث الاجتماعية والمذاهب القديمة والحـديثة. ومن مبـاحثِ علم الأحياء ـ بقـدر مـا استـطعت ـ ومـا نُشِـرَ عن «داروين» ونـظريتـه، ومن مبـاحث الضـوء في الـطبيعـة والتجارب الكيماوية. ومما استطعتُ أن أفهمه عن «أينشتاين» والنسبية، وتحليل الذرة، وعلاقته بالإشعاع»[2].

وقـد عقَّب الدكتـور محمد رجب البَيّـومي على كلام سيِّـد بقـولـه: «هـذا بعضُ ما أَهَّلَ به سيِّد نفسَه ليدرس العقّاد. وإذا كان العقّـادُ جبار الثقـافة دون نـزاع، فإنـه قد أورثَ تمليذَه شَرَهاً إلى المعرفة لا يُحَدّ، وهو صادقٌ حين يذكر هذه الفروع الدقيقة في اطلاعاته، لأنه يزور أستاذَه في مكتبته الخاصة، ويرى سَعَةَ معـارفه، فلا بد أن يجاريـه ما استطاع، ويا لَها من همّة!»[3].

لقد أُعجبَ سيِّد بالعقاد ـ بعد دراسته لشخصيته ـ إلى حد التعصب، وأحبَّه إلى درجة الغيرة. واعترف بذلك قائلاً: «أنا لا أنكـر أنني شديـدُ الغيرةِ على هـذا الرجل،

---

(1) مجلة الرسالة. السنة الثـانية عشـرة. المجلد الثاني. عـدد: ٥٥١. تاريخ ٢٤ ينايـر ١٩٤٤م. صفحة: ٩١.

(2) مجلة الـرسالـة ـ السنة السـادسـة ـ المجلد الأول. عـدد: ٢٥٧. تـاريخ ٦ يـونيـو ١٩٣٨م. صفحة: ٩٣٧.

(3) مجلة الثقافة. السنة الخامسة. عدد: ٥٣. تاريخ فبراير ١٩٧٨م. صفحة: ٥٤.

شديدُ التعصب له، وذلك نتيجةَ فهم صحيح لأدبه، واقتناعٍ عميقٍ بفطرته، لا يؤثِّرُ فيه أن تجفَّ العلاقاتُ الشخصيةُ بيني وبينه، في بعض الأحيان»[1].

ونتيجةً لكل هذا، اتسمتْ نظرةُ سيِّد إلى أستاذه العقاد بالغلوّ والمبالغةِ والإفراط، وفَقَدَ ـ غالباً ـ الوسطية والموضوعيةَ، في دراسةِ نتاجه، والتعريفِ بفكره!.

لقد بقيَ سيِّد قطب ـ رغم استقلاله بشخصيته ـ لفترة طويلة، لا يرى في سماء الأدب إلّا العقاد، ولا يلمس إلّا جوانبَ من عبقرية العقاد، ولا يتذوقُ إلّا شعرَ العقاد. فالعقادُ عنده أديبُ العالم، وفيلسوفُ العالم، وأشعرُ شعراء العالم، وكلُّ أدباء وشعراء العرب لا يساوون شيئاً إذا قورنوا به!.

وهذه النتيجةُ التي خرج بها سيِّد في نظرته للعقاد، ليست غريبة، فإن شدةَ التعصب تُنسي صاحبَها الاتزان، وشدةَ الغيرة تعمي صاحبَها عن إبصار نبوغ وقدرات الآخرين، ولقد قال الحكماء قديماً: «حُبُّكَ الشيءَ يُعمي ويُصِمّ»!.

والجيِّدُ في الأمر أن الغلوَّ والإفراط لم يستمرّا عند سيِّد، بل كانا لفترة من الوقت، ثم عادَ إلى الاتزانِ والموضوعية والمنهجية، وقوَّم بذلك فكرَ وأدبَ العقاد، وأعطاه ما يستحقُّه من أحكام، وبيَّن ما له وما عليه!

العقاد أكبر من أمير للشعراء

بعد وفاة «أحمد شوقي» ـ أمير الشعراء ـ أراد الدكتورُ «طه حسين» أن يتزلَّفَ للعقاد، وأن ينافقَ له، فأطلق عليه لقب «أمير الشعراء». وبذلك أغضب سيِّدَ قطب تلميذَ العقاد ومريدَه، فاعترضَ عليه قائلاً: «ورأيي أن هذا اللقبَ غيرُ لائق بالعقاد! لأن المسافةَ بينه وبين شعراء العربية في هذا العصر أوسعُ من المسافة بين السوقة والأمراء!!».

العقادُ عند سيِّد أشعرُ شاعرٍ في لغة العرب في القديم والحديث، «قد يكون

---

(1) مجلة الرسالة. السنة السادسة. المجلد الأول. عدد: ٢٥١. تاريخ ٢٥ أبريل ١٩٣٨م. صفحة: ٦٩٢.

هناك كُتّاب يتقاربون مع العقاد. ولكن ليس هناك شعراءُ في لغة العرب، يتقاربون مع العقاد!!!.

ولقد كنتُ هممتُ بإصدار بحثٍ عن الشعراء المعاصرين، ونظرتُ في أدب جميع الشعراء الأحياء ــ وأنا من بينهم ــ ولكن عاقني عن إصداره أنني لم أجدْ نقاطَ اتِّصالٍ بين العقاد الذي سأكتبُ عنه أوّلاً، وبين جميع الآخَرين من الشعراء.

الفرقُ هائل جداً، وأكبرُ مما يتصوره الأكثرون، بين طاقةِ هذا الشاعر، والطاقات الأخرى.

وسيغضبُ لقولتي هذه كثيرٌ من أصدقائي الشعراء المعاصرين، ولكنهم ليسوا أكرمَ عليَّ من نفسي، وأنا حَسَن الظنِّ بشعري ــ وليعذُرْني أنصارُ مبدأ التواضع ــ ولكنني حين أضعُهُ أمامَ شعرِ العقاد يتلاشى، وتحتبسُ نفسي عن التعبير، حتى يسكنَ صدَى شعر العقاد في نفسي!!»[1].

ولم يكتفِ سيِّد بهذا الغلوّ في النظر إلى العقاد، بل ارتقى إلى درجة أكبر، أعلنَ من خلالها أن العقادَ ليس شاعرَ العربية الأوحدَ فحسب، بل هو شاعرُ العالم أجمع!!:

«ونحن لا ننصفُ الرجلَ حين نقول: إن الأوتارَ التي يوقِّعُ عليها الحب في نفسه، لم تجتمعْ قطُّ لشاعرٍ عربي، ولا تجتمع لعشرة من شعراء العربية في جميع العهود.

نحن لا ننصفهُ حين نتحدث عن اللغة العربية وحدَها، ولكننا نقول ذلك مؤقَّتاً، لأنها اللغةُ التي نستطيع الحكم على آدابها، حكماً نملكُ أدلّتَه كلَّها، ونجزمُ فيها بالصواب.

وإلاَّ فبيْنَ يديَّ معرَّباتٌ كثيرة، لشعراءَ من الغرب مشهورين معروفين، مثل «بيرون وشيلي وألفريد دي موسيه وفكتور هوجو» لا أرى فيها من تعدُّدِ الجوانب الصادقة الأصيلة، ما أراه في غزل العقاد وشعره عامة»[2].

---

(١) مجلة الرسالة. السنة السادسة. المجلد الأول: عدد: ٢٥١. تاريخ ٢٥ أبريل ١٩٣٨م. صفحة: ٦٩٤.

(٢) مجلة الرسالة. السنة السادسة. المجلد الثاني. عدد: ٢٦٨. تاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٣٨. صفحات: ١٣٨٠ ــ ١٣٨١.

خصومه يهاجمونه بشدة

لقد دفع هذا الغلوُّ سيِّد إلى خوضِ معاركَ أدبية عنيفة، ضدَّ أدباءَ آخرين، وإلى المبالغة في النظر إلى العقاد على حسابهم.

ولقد نتجَ عن غلوِّه في تقدير العقاد وأدبه، وانتقادِه للأدباء الآخرين، وجودُ خصومٍ له من الأدباء الكبار وتلاميذِهم، وصار هؤلاء الخصومُ يهاجمونه بشدة، ويوجِّهون له اتهاماتٍ عنيفة.

ومن أهمِّ ما اتهموه به، تتلمذهُ على العقاد، وذوبانُ شخصيته في شخصية العقاد، وتحوُّله إلى مردِّد لآراء وأفكار العقاد، واتهامُ العقاد بأنه وراء معارك سيِّد الأدبية مع الخصوم، يلقِّن تلميذَه ما يقوله فيها، وما على تلميذه سيِّد إلاّ الترديد!

من خصومه الذين اتهموه، وطعنوا فيه لتلمذتِه للعقاد «صلاح ذهني»، الذي دارتْ بينه وبين سيِّد معركةٌ أدبية.

قال سيِّد عن اتهام صلاح ذهني له، وردِّه عليه: «وثالثةُ الشتائم في القائمة: أَنني ظِلُّ العقاد في الظهيرة!

فلأكررْ هنا ما قلتُه من قبل للدكتور مندور: إنني أفهم المسائل على نحوٍ غيرِ الذي يفهمُه بعض «شبان» الجيل. إنني لا أحاول إنكارَ تلمذتي للعقاد، لأن لديَّ ما أقولُه وما أبدعُه وراءَ ذلك، فلستُ أخشى على وجودي حين أعترفُ بهذه الأستاذية، وهي حق، فلا يسمحُ لي خلُقي أن أنكرَها أشدَّ الإنكار، وأن أبرأ منها كلَّ البراءة، كما كان الأستاذ صلاح يصنع ويتشنج، حين يقال: إنه من تلاميذ تيمور»[1].

وكانت أعنفُ المعارك الأدبية، التي هاجمه فيها خصومُه بشدة، تلك التي دارتْ على صفحات مجلةِ الرسالة، حول أدب العقاد والرافعي، وقد بدأها سيِّد قطب بكلامٍ له عن أدب الرافعي، فردَّ عليه تلاميذُ الرافعي، منهم: محمد سعيد العريان، ومحمود شاكر، وعلي الطنطاوي، والدكتور محمد أحمد الغمراوي. وسنشير لها عند كلامنا عن «معارك سيِّد قطب الأدبية».

---

(١) مجلة الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٤. تاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٤٤م. صفحة: ١٠٣٥.

سيِّد يدفع ثمن دفاعه عن العقاد

لقد وقفَ سيِّد إلى جانب العقاد سنواتٍ طويلة، ودافع عنه في كلِّ مجال، وبكلِّ وسيلة، دافعَ عنه في كتبِه ومقالاتِه ومحاضراتِه، ونداوتِه وجلساتِه وأحاديثِه.

وقد استفادَ سيِّد من صلته بالعقاد ومن دفاعه عنه، عندما كان العقادُ في بحبوحة العيش، وفي انسجامٍ مع حزب الوفد، الذي كان يملكُ الكثيرَ في ذلك الوقت. استفادَ سيِّد من العقاد الشهرةَ والذكرَ والنبوغ، حيث قدَّمه العقاد إلى مجلّاتِ الوفد وصحفِه ورجالِه، فشارك سيِّد في ذلك بفاعليَّة وهمَّة ونشاط.

ولكنَّ العقاد خرجَ على حزب الوفد، وهاجمه بشدة، فحاربه رجالُ الحزب في كلّ مجال، وبكلّ وسيلة، وحاربوا تلاميذَه، وحاربوا كلَّ مَنْ تكلمَ عنه ودافع عنه. وصار الكُتّاب يَنفَضُّون عن العقاد، وأصبحوا لا يجرءون على مدْحِه، والكتابةِ عنه في الصحفِ والمجلات.

أما سيِّد قطب، فقد كان وفيّاً لأستاذه، حيث وقفَ معه في محنته، واستمرَ يدافعُ عنه، ويهاجم خصومَه.

وكان لا بد أن يدفع ثمن هذا!

وقد حدَّثنا عن الثمنِ الذي يدفعه بقوله: «أما الدفاعُ عن العقاد فيكلفُني التعرض لغَضبِ الكثيرين من ذوي النفوذ في هذه الوزارة ـ وفي كلِّ وزارة ـ ومن بينهم كثيرٌ من رؤسائي، في وزارة المعارف نفسها، لأن العقادَ رجلٌ لم تُبْقِ له قولةُ الحق صديقاً من السياسيين، وكثيرٌ ممّن يُظهرون صداقته يُكنّون له غيرَ ذلك، لأنهم ينْفُسون عليه شموخَه واعتدادَه بنفسه، وتعاليه على الضرورات.

ويكلفُني خصومةَ الأدباء من المدرسة القديمة والحديثة على السواء. فأما أولئك، فسبب سخطهم معروف. وأما هؤلاء، فلأنهم ينفُسون على العقاد أن يعطيَه ناقدٌ بعضَ ما يستحقُّ من تقدير. ومَنْ لا يعرفُ هذه الحقيقة، فأنا ـ وقد أتاحتْ لي الظروفُ الاطلاعَ على داخليةِ كثيرٍ من الصحف والأدباء ـ أعرِفُ ذلك، وأعرفُ أن الكلمات التي يقَدِّرُ فيها العقاد، لا تجد طريقَها سهلاً للظهور في الصحف، على اختلافِ أهوائِها ونزعاتِها السياسية، واختلافِ المشرفين عليها من الأدباء وغيرِ الأدباء.

ويكلفني خصومةَ كثيرٍ من ناقصي الرجولة ــ وهم أعداءُ العقاد الطبيعيون ــ وكثيرٍ من ناقصي الثقافة، الذين لا يفهمون العقاد، فيُحَمِّلونه تبعةَ عدمِ فهمه، ولا يكلِّفون أنفسَهم عناءَ الدرس والثقافة!

وكثيرٍ من مغلَقي الطِّباع، الذين يَسْتَغْلِقون أمام كلِّ أدبٍ حي.

وكثيرٍ وكثير ممن يؤلِّفون أكثريةَ القراء في هذا البلد المنكوب..

وقد يفهمُ هؤلاء النفعيون، أنَّ للعقاد الآن نفوذاً ننتفعُ به، فلهؤلاء أقول: إن للعقاد نفوذاً نعم، ولكنه لا يستخدمُه في قضاءِ المصالح، وتنفيذ الأغراض...

وذلك بغَضِّ النظر عن طبيعتي الخاصة، في الانتفاع بنفوذ الأصدقاء، ذلك الانتفاعُ الذي يبدو غيرَ مفهوم، حينما كنتُ أناصرُ العقاد وهو خصمُ الوزارات القائمة، وأوقِّع على ما أكتبُه بإمضائي الصريح، في أحرجِ الأوقات..»[1].

سيِّد كان يخشى الذوبان في شخصية العقاد

هناك تلاميذُ للعقاد ذابتْ شخصياتُهم في شخصية العقاد.

واتَّهمَ خصوم سيِّد قطب بأن شخصيتَه ذابتْ في شخصيةِ العقاد، وكان سيِّد ــ في بداية تتلمذه للعقاد ــ يخشى أن تذوبَ شخصيته في شخصية العقاد، وبقي يقاومُ هذا الهاجس، ويحرصُ على أن يحتفظ باستقلالِه الشخصي، وأن يوفِّق بين أخْذِه عن أستاذه العقاد، وبين عقليتِه وشخصيتِه المستقلَّة!.

وقد اعترفَ بذلك فقال: «إنني لم أَعُدْ أحرصُ اليوم على مقاومةِ الفناء في الشخصيات الأخرى، لأني عدتُ أكثرَ اطمئناناً لعدم الفناء! وإني لأعرفُ اليوم أن صيحتي يومَذاك، إنما كانتْ صيحةَ الخائف الذي يُحدِّث نفسَه في الظلام، ويَنفي عنها الأوهام، ليشعرَ بالاطمئنان!!.

لقد كنتُ يومَها أتحدثُ عن العقاد، وكانتْ شخصيةُ العقاد هي الشخصية

---

(١) مجلة الرسالة. السنة السادسة. المجلد الثاني. عدد: ٢٨٠. تاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٣٨م. صفحة: ١٨٦٦.

الوحيدة التي أخشى الفناءَ فيها ـ كنت أحسُّ هـذا بيني وبين نفسي ـ ولقد ظلَّتْ هـذه الخشيةُ إلى وقتٍ قريب، حينما بدأْتُ أشعـرُ أنني قد تخلصْت، وأنني أنتفـعُ بالعقـاد، ولكنني لا أقلِّدُه. وأنَّ لي طريقاً ألمحُ معالِمَه، وأستشرفُ آفاقَه. وأنني أتـذوَّقُ بحِسّي، وأنظرُ بعيني، وأسمعُ بأذني. وإنْ كانَ للعقاد فضلُ التـوجيهِ في الـطريق العام. عنـدئذٍ بدأْتُ أسكتُ عن كلِّ اتِّهام. وبدأْتُ أتحـدثُ عن أستاذيـةِ العقاد لي، وتلمـذتي عليه، وبدأتُ أسْخرُ من بعض «شبان» الجيل، الذين يحسَبون هذا مطعنـاً، يوجِّهـون إليَّ منه الغمزات! فأؤكدُ لهم التهمة، التي يلمِّحون بها أو يصرِّحون»[1].

سيِّد يخالف العقاد منذ مطلع حياته النقدية

سيِّد لم يكن مجردَ تابع للعقاد، ولم يكن ظلاًّ للعقاد وقتَ الظهيرة! ـ كما اتهمه صلاح ذهني ـ ولم تَفْنَ شخصيتُه بشخصية العقاد.

لقد كان سيِّد ذا شخصية مستقلة، في صلتِه بالعقاد، وتعاملِه معـه، وتلقّيه منـه، وتذوقِه لأدبه.

كان العقاد وسيِّد شخصيْن متمايزيْن، وشخصيتيْن مستقلتيْن، يتفقان في كثيرٍ من المسائل، لكنهما يختلفان أحياناً في بعض المسائل الأدبية والنقدية.

لقد خالف سيِّد أستاذَه العقادَ في مطلع حياته النقدية.

انتقد سيِّد ديوانَ أستاذه العقاد «هديةَ الكروان»، مع ديوانيْن آخريْن، هما «ديوان صالح جودت»، و«الينبوع» لأحمد زكي أبو شـادي. وكان ذلـك في مقالِـه النقدي في صفحة «الأهرام» الأدبية عام ١٩٣٣م.

قـال سيِّد عن ذلـك المقال، وعن المـأخذ الـذي أخذهُ على العقـاد في ديـوانـه وغيـره، وعن أثرِ ذلـك النقد على العقـاد، وعن ردِّه هـو على العقـاد: «فـأمـا «هـديـةُ الكـروان» فقلتُ عنهـا: إنهـا منتهى النضـوجِ الفني للعقـــاد، وإنهـا سلمتْ من بعض أشياء، كانت تغضُّ من الجمـال الفني الكامـل، لبعضِ شعر العقـاد، وهي ما أسميتُـه

(١) مجلة الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عـدد: ٥٩٧. تاريـخ ١١ ديسمبر ١٩٤٤م. صفحات ١٠٨٧ ـ ١٠٨٨.

«قسوةَ القالِب»، وعنيتُ به أن يَحْتَجنَ الشعورُ الطليق في ثوبٍ أضيقَ وأقسى مما يلائمُ هذا الشعورَ الطليق»[1].

والعقادُ شخصٌ عجيب، يعتدُّ بنفسِه اعتداداً لا نظيرَ له، ولا يرضى أن يأخذَ عليه أحدٌ أيَّ مأخذ، ولا يقبلُ أن ينتقدَهُ أيُّ ناقد، حتى لو كان ذلك المنتقدُ الناقدُ، هو تلميذَه سيِّد قطب.

قال سيِّد عن أثر نقْدِه على العقاد، وعن غضبِ العقاد على جمْعِ سيِّد بينَه وبين شاعريْن آخريْن ـ صالح جودت وأحمد زكي أبو شادي ـ: «فأمّا العقاد، فهو ساخطٌ حانق، ساخطٌ لأني جمعتُ بينه وبين أبي شادي في مقال. وحانقٌ لأنْ أقولَ شيئاً عن «قسوةِ القالب» في بعض شعر العقاد. وأقابلُه، فيعلن هذا السخط، وهذا التبرُّم.

إنه لا يسلِّمُ بقسوة القالب في بعضِ شعره، ولا يبيحُ لي أن أوجِّهَ هذا النقدَ له. لأنَّ منشأَهُ هو قصوري عن فهْمِ شعره، وإنَّ على الناقدِ أن يرتفعَ لمستوى الشاعر، وليس على الشاعر أن يهبط لمستواه!

وكان العقاد مهتاجاً، ولكنني كنت هادىءَ الأعصاب!

.. وذكرتُ له أن الناقدَ الذي يكتبُ محاضرَته عن ديوان «وحي الأربعين» للعقاد، فيفهمُ دقائقَه فهْماً يَرْضىٰ عنه العقاد، لا يقْصُرُ عن فهم «هديةِ الكروان» وهي أسهلُ من «وحي الأربعين»!!

وافترَقْنا، وفي نفسِ العقاد شيءُ أحسُّه، ولكني آسَفُ له، وإن كنتُ لا أنوي التأثُّرَ به!!»[2].

سيِّد ينتقد فهمَ العقاد للشعر والأدب

استمرَّ سيِّد في استقلاليتِه في فهم الأدب والشعر، رغم تتلمذه على العقاد، وموافقتِه لأستاذه في كثيرٍ من آرائه الأدبية والنقدية.

---

(١) مجلة الأسبوع. المجلد الثالث. عدد: ٣٥. تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥. صفحة: ٢٢.

(٢) الأسبوع ـ المرجع السابق: صفحة: ٢٢ ـ ٢٣.

ولكنه كان يُعلِن مخالفتَه للعقاد، في بعض المسائل الأدبية والنقدية، ويكتبُ هذا في الصحف والمجلات، ولا يهمه إنْ رضيَ أستاذُه العقاد أو لم يرضَ، المهمُّ عنده أن يقولَ ما يعتقده. كان يكتبُ هذه المخالفةَ وذلك النقدَ، ويجهرُ فيه، في الوقتِ الذي كان لا يجرؤُ فيه كثيرٌ من النقاد والكُتّاب على الجهرِ بنقدِ العقاد، وتسجيلِ المآخذ عليه، خوفَ الوقوع تحتَ سلطانِ لسانِه الحادِّ العنيفِ المفزعِ، في تناول مَنْ يخالفونه.

قال سيِّد يوماً للدكتور أحمد زكي أبو شادي عن غضب العقاد على سيِّد، لانتقادِ الأخير له: «فلْنتحدثْ بصراحةٍ يا دكتور. أأنتَ تعني ما تقول؟ أأنتَ تنفي عَن العقاد ما أتَّهمهُ أنا بِه؟

إنني قلتُ كلاماً عن باعثِ قسوةِ النقد في نفس العقاد لناجي، وقدْ يكونُ في هذا الكلام ما يُغضِبُ العقادَ، بل إنه ليُغْضِبُه قَطْعاً، وأنا مصرٌّ على ما قلتُه، وواضحٌ فيما قلتُه!.. وإنني لصديقٌ للناس، ولكني أشدُّ صداقةً لعقيدتي.

فإذا كان الدكتور ـ أو غيره ـ يسرُّهُ أن يثيرَ بيني وبين العقاد عداء، في صورةٍ من القول البريء، فله ذلك! فلن يَضيرَني أَنْ أخسرَ صداقة أحد، أكثرَ مما يَضيرُني أن أخسرَ صداقتي لنفسي!!»[1].

وقد ذكر سيِّد لأحمد فؤاد الأهواني عن الصلةِ بينه وبين العقاد، باعتبارهما شخصيْن، يتمتعُ كلٌّ منهما بشخصيةٍ مستقلة، وعن مخالفتِه لبعض آراءِ العقاد في الشعر والأدب: «وحتى العقاد، وصلتي بشخصِه معروفة، وصلتي بأدبِه أوثقُ مراتٍ من صلتي بشخْصِه ـ ولو فهمَ الكثيرون غير هذا ـ كتبتُ عنه في كلِّ مرةٍ بالعقيدةِ الفنية التي أعتقدُها.

وقد يبدو فيما كتبتُه أخيراً عن «العقاد الشاعر» في «كتب وشخصيات» أنني أختلفُ معه في بعضِ الأحيان، على تعريفِ الشعر وتذوُّقِه، وعلى النظرةِ إلى العاطفةِ وأطوارِها.

---

(١) مجلة الأسبوع. السنة الأولى. عدد: ٣٣. تاريخ ١١ يوليو ١٩٣٤م. صفحة: ١٦.

ولكنه اختلافُ الرأي والإحساس، الـذي لا بدَّ أن يقـعَ بين شخصيةٍ وشخصيـة، متى تبلورت الشخصيّتـان، وظهرتْ معـالمُهما واضحـةً، ولو كـانتـا شخصيتَيْ التلميـذِ والأستاذ»[1].

انتقدَ سيِّد فهمَ العقاد للشعر والأدب، في ثـلاثِ مقالات، جعَلَهـا بعد ذلـك في كتابه «كتب وشخصيات».

الأولى: «الـوعي في الشعر» وقـد نشرَهـا أوّلاً في مجلة «الكاتب المصـري» في شهر مايو ١٩٤٦م[2].

الثانية: «نفحـات من فارس: أغـاني شيراز» وقـد نشرهـا أولاً في مجلة «الكاتب المصري» في شهر فبراير ١٩٤٦م[3].

الثالثة: «دفاع عن البلاغة» للزيات، التي نُشرت أولاً في مجلة الرسالة[4].

ونقدُه لفهم العقاد للشعر في المقالاتِ الثلاث موجزٌ سريع، ولكنه خصَّصَ مقالةً خـاصةً لنقـدِ شعر العقـاد، جعَلَها فصـلاً من الكتاب، هي «العقاد الشـاعـر وأعـاصيـر مغرب»[5].

ونقتطِفُ من مقالتِه هذه العباراتِ للدلالة على ما نقول:

«في وضـح النهار يعيشُ العقـاد، صاحيَ الحس، واعيَ الـذهن، حيَّ الـطبـع، لا يهوِّمُ إلّا نادراً، ولا يتوهُ فيما وراءَ الوعي أبداً.

... ويبلغُ العقـاد قمتـه حين تبلغُ الحيـويةُ تـدفُّقها، فتجـرف المنطق الـواعي، وتغطي عليه.. فأما حين يضعفُ هذا التدفق، فيتجرد الشعرُ من اللحم والـدم، ويُخيِّلُ

---

(١) مجلة الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨٣. تاريخ ٦ أغسطس ١٩٤٦م. صفحة: ٨٧٤.

(٢) كتب وشخصيات: ٤٢ ــ ٤٧.

(٣) المرجع السابق: ٦٨ ــ ٨٣.

(٤) المرجع السابق: ٢٧٣ ــ ٢٩٠.

(٥) المرجع السابق: ٨٤ ــ ١٠٢.

إليكَ أن مكانَهُ ليس هنا في الديوان، ولكنه هناكَ في كتبه بين التأمُّلات الفكرية، والقضايا المنطقية»[1].

وبعد أنْ أوردَ نماذجَ لقصائدَ رفيعةٍ من ديوان العقاد «أعاصير مغرب» وأعلنَ رضاه عنها، قال: «ولقدْ هممتُ أن أجمعَهَا وأُسمّيها «الشعر في ديوان العقاد» مصدَّرَةً ببحثٍ وافٍ عن «العقاد الشاعر» وأنقلَ التأملاتِ التجريدية، والقضايا المنطقية، والحقائق التعليمية، إلى مكانها في كتب النثر أيضاً. فإني لأحسبُ اختلاطَ هذه وتلك في دواوينِ الشعر، مما يصُدُّ الكثيرين عن تذوُّقِ شعرِ العقاد!»[2].

إنَّ سيِّد يَعتبرُ معظمَ شعرِ العقاد والمدرسةِ العقادية، شعراً ذهنياً فكرياً واعياً، وليس شعراً عاطفياً غنائياً، وسيِّد يريدُ الشعرَ الثاني. ولهذا قال عن شعر العقاد ومدرسته، في كلامه عن أغاني حافظ شيرازي الشعرية، عندما تكلم عن كتاب «أغاني شيراز»:

«إن هذه الأغاني تجيءُ في وقتِها المناسب، والشعرُ العربيُّ يعاني أزمة، يحتاجُ فيها إلى مثل هذا الزاد. فلقدْ آنَ للشعر أن يكون غناءً بحتاً بعدما طوَّح بنفسه في مجالاتٍ لم تَعُدْ له، ولم يَعُدْ يبدو فيها بأجملِ ألوانه...

.. والموجةُ الفلسفية في الشعر العربي الحديث، كانتْ ضرورةً في وقت من الأوقات، لأنها كانتْ ردَّ فعل طبيعي لموجةٍ أخرى سبقتْها: موجةِ الأسلوب اللفظي، أو الأسلوب الإيقاعي.. فكانت مهمةُ الموجةِ الجديدة أن تُدخِلَ القصدَ والمعنى إلى الأدب، وأن تُمِدَّ الشعر بروافدَ نفسية وفكرية حية، لتنقذه من ذلك العبث بالمحسِّنات البديعية الجوفاء..

.. ولكنها وقفتْ بالشعرِ الحديثِ حيث لا يجوز الوقوف، قصَّتْ من أجنحته المرفرِفَةِ، وغضَّتْ من غنائيته المنغَّمة، وأقَلَّتْ فيه من السبحاتِ والومضات، وجعلتْ عنصرَ الوعي الفكري بارزاً فيه..

(١) كتب وشخصيات: ٨٤ باختصار.

(٢) المرجع السابق: ٨٩.

. . . وأحسبُ أنه قد آنَ الأوانُ لتنحسرَ الموجةُ الفكريةُ الفلسفية، تاركةً للشعر غنائيتَه وبساطَته ورفرفتَه، كيما يتأدّى إلى الحس بأشواقه وأحلامه، وبصوره وظلاله. . . »[1].

وفي عام ١٩٥١م عرَّفَ بديوانِ شعرٍ غنائي فني رفيع، هو ديوان «أنفاس محترقة» للشاعر «محمود أبو الوفا»، وأعلَنَ في تعريفه رأيَه في مدرسةِ العقاد الشعرية: «في الجوِّ رائحةٌ تفوح، رائحةُ شعر، إنها «أنفاس محترقة» للشاعر محمود أبو الوفا، ذلك الشعرُ الذي لم نعرفْهُ في حينه، لأننا كنا في غفلةٍ عن إدراك حقيقةِ الشعر في ذلك الحين!

كنا نلتمسُ الشعرَ مخنوقاً في رُكام «الفكرة» المعتلَّة، الجامدة، أو متقزِّزاً في اللفتة الذهنية البراقة!

. . . فأما الشعر، الشعر كما هو، مجرَّداً من القوالب والأشكال، طليقاً من ثقلةِ الفكر، ولمعةِ الذهن، واصطناعِ المشاهد والموضوعات. . الشعر كما هو طليقاً رفافاً، طلاقةَ العطر والشذى، فهو ما لم نحفل به كثيراً»[2].

سيِّد يعلن خروجه على المدرسة العقادية

بقيَ سيِّد يبتعدُ عن المدرسة العقّادية في الشعر والأدب والحياة تدريجياً، وينتقدُ فهمَ العقاديّين للشعر والأدب في مناسبات عديدة، ويخصُّ بانتقاده أستاذَ المدرسة «العقاد» كثيراً.

إلى أن أعلنَ خروجَه على المدرسة نهائياً، وانفصالَه عنها كلياً، ومخالفتَه لمنهجِ وفهمِ العقاد في الأساسيات والأصول.

كان ذلك في شهر فبراير ١٩٤٨م، حيث نشر مقالاً في مجلة «الكتاب»، بمناسبة نقْده لديوان «لزوميات مخيمر»، للشاعر «أحمد مخيمر» أحدِ تلاميذ العقاد.

---

(١) الكاتب المصري. المجلد الثاني. العدد الخامس. فبراير ١٩٤٦م. صفحة: ١٥٧.

(٢) الرسالة. السنة التاسعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٩٤٥. تاريخ ١٣ أغسطس ١٩٥١. صفحة: ٩٠٩.

ونقتطفُ من مقالِه هذه الفقراتِ الهامّة الكاشفة:

«لقد آنَ لنا أن نفهمَ الشعرَ، لا على طريقةِ مدرسة شوقي وحافظ والمنفلوطي، ولا على طريقةِ مدرسةِ العقاد وشكري والمازني. . .

فكلتاهما مرحلتان من مراحلِ التطور، قامتا بدوريْهما في النهضة، وآن أن يخلفَهُما فهمٌ للشعر جديد!

لقد قامتْ أولاهما، على أساسِ أن الشعرَ جزالةُ تعبير، وجلجلةُ إيقاع، وابتداعُ أخيلة، وبراعةُ تناول، ومقدرةُ أداء. . وعلى الإجمال مهارةُ صناعةٍ تعبيريةٍ وتخييلية، ولا شيء وراءَ ذلك، ممّا لَهُ علاقةٌ بصميم النفوس، وحقائق الشعور. .

وقامتْ أُخراهما على أساسِ أنَّ الشعرَ صورُ حياة، وخلجاتُ نفوس، وسماتُ شخصيات، وحقائقُ شعور. . وهذا كلُّه صحيح. ولكن هذه المدرسة عند التطبيق العمليِّ لفهمها للشعرِ، كانت طاقتُها الشعرية أقلَّ من تصوُّرِها للشعر، فجاء نتاجُها الشعري ــ في عمومه ــ ناقصَ الحرارة، غيرَ مكتمل الشاعرية. وظلَّتْ ــ إلّا قليلاً ــ تَمْتَحُ من تصوُّرِها الواعي للشعر، قبل أن تَفيضَ من شعورها الكامن في الضمير. .

لم تفرِّقْ هذه المدرسة في نَتاجها بين الفكرةِ الشعرية والإحساسِ الشعري. .»[1].

أما إعلانُه الخروجَ على المدرسة العقادية، ففي قوله: «ولستُ أنكرُ فتنتي فترةً طويلة من العمر بهذه المدرسة كفكرة، وفتنتني بنَتاجها الأدبي كشعر، وتأثُّري بها، إلى الحدِّ الذي أنفقتُ فيه شَطْراً من عمري، وأنا أقولُ الشعر، لا أفرِّقُ فيه بين الفكرةِ الجميلةِ الشعرية، أعتنقُها مذهباً، والإحساسِ الجميل الشعري، ينبض به شعوري، ويعيش انفعالاً غامضاً في ضميري. .

ولم أجدْ نفسي إلّا منذُ عاميْن اثنيْن، أنتبهُ إلى الفارق الأصيل بين الفكرةِ الجميلة، والشعور الجميل. وأجدُ للشعر مذاقاً آخر، غيرَ ما سبق لي أن أحسسْتُه، في

(١) مجلة الكتاب. المجلد الخامس. الجزء الثاني. فبراير ١٩٤٨. صفحة: ٢٤٨.

نحوِ خمسة عشر عاماً أو تزيد»[1].

واتَّخَذَها فرصةً مناسبة ليتكلم عن شعر العقاد الذهني الواعي: «ولْأَضْرِبْ هنا الأمثلةَ من شعر العقاد ـ أستاذي الأول ورأسِ هذه المدرسة ـ وإنَّ الفوارق في شعرِه لبعيدة، بين شعرِ الفكرة المجردة، التي لم تلمسْ قلبه، وشعر الفكرة الحارة، التي مستْ شعورَه، وشعرِ الإحساس الفائضِ، الذي عاشه الشاعر، وانطلق مباشرة من الضمير إلى التعبير.

ومهما تكن الفكرةُ في شعره أحياناً قويةً جميلة، فإنها تبقى دونَ الإحساسِ الشعريِّ بمراحل، لأن هذا الأخيرَ هو الشعر، الشعرُ في صميمه: فالشعرُ غناءٌ رفّافٌ طليق، ينبعثُ من القلب انبعاثاً، كالإشعاع ينطلقُ من الجمرة بعد أن تتوهجَ إلى الحدِّ الأقصى، ولا ينبعثُ منها قبلَ ذلك، إلاّ أن يتمَّ توهُّجُها!»[1].

وسجَّلَ أبرز خطأٍ وقعتْ فيه المدرسة العقادية: «إن «الوعيَ» هو أظهرُ سماتِ المدرسة العقادية. والوعيُ في الشعر معوِّقٌ قويٌّ للغناء. وما لم يكن الانفعالُ وراءَه دافقاً حاراً، إلى الحدِّ الذي يغمرُ الوعيَ ويجرفه، تتعرَّى الفكرةُ وتتجرَّد، وقد تبرُد، فتبعدُ عن ميدان الشعر بمقدارِ ما يتخلّى عنها التدفقُ والحرارة»[2].

ولقد أخبرَ سيِّد زميلَه «عباس خضر» أثناءَ مناقشةٍ بينهما عن الاتجاهات الأدبية بقوله: «إنني أشعرُ أننا بحاجةٍ إلى مرحلةٍ ما بَعْدَ العقاد، إلى الانتقالِ من الذهنيةِ الغالبةِ والخواطرِ العقلية، إلى المشاعرِ والوجدان»[3].

ويبدو أنَّ لفهم سيِّد قطب لأسلوب القرآن في العرض والتعبير واعتماده في ذلك على التصوير، وتأثيرِه في القلب والشعور والكيان كله، أثراً مباشراً على فهمِه للأدب والشعر، وتركيزِه على الإحساس الشعوري في الشعر، لأنه ألَّفَ عام ١٩٤٥م كتابَه الفريدَ الرائد، «التصوير الفني في القرآن»، وخرجَ على مدرسة العقاد عام ١٩٤٦م!

---

(١) المرجع السابق: ٢٤٩.

(٢) المرجع السابق: ٢٥١.

(٣) مجلة الثقافة. السنة الرابعة. المجلد الثامن. عدد: ٤٧. تاريخ أغسطس ١٩٧٧م. صفحة: ٤٨.

سيِّد يذكر أسباباً أخرى لانفصاله عن العقاد

هناكَ أسبابٌ أخرى، دعتْ سيِّد للخروج على مدرسة العقاد في الأدب والفكر والحياة. منها:

ضعفُ الناحية الروحيّة عند العقاد، وتناوُله للمسائل والقضايا، من الزاوية الفكرية العقلية الذهنية البحتة. قال سيِّد لأبي الحسن الندوي عندما قابلَه في القاهرة عام ١٩٥١م: «إن نفسي لم تزلْ متطلعةً إلى الروحِ وما يتصلُ بها، وكنتُ في صغري مشغوفاً بقراءةِ أخبارِ الصالحين وكراماتِهم، ولم تزلْ هذه العاطفةُ تنمو في نفسي مع الأيام.

والأستاذُ العقاد رجلٌ فكريٌّ محض، لا ينظرُ إلى مسألة، ولا يبحثُ فيها إلاّ عن طريقِ الفكر والعقل.

فذهبتُ أروي نفسي من مناهلَ أخرى، هي أقربُ إلى الروح. ومن ثم عنيتُ بدراسةِ أشعار الشَّرقيّين، كطاغور وغيره»[1].

ومن تلك الأسباب أيضاً: ضعفُ العقاد أمامَ الضغوط السياسيةِ التي وُوجِهَ بها بعدما امتدَّ به العمر. قال سيِّد للندوي: «إني كنتُ أعتقدُ أن مثلَ العقاد في عقلِه الكبير، وشخصيتِه العَظيمة، لا يخضعُ للضرورات والملابسات، كالحكومة والسلطة، ولكنه سالَمَها»[1].

سيِّد يعتِبُ على العقاد

جفا العقاد تلميذَه سيِّد، بعدما خرجَ عليه أدبياً أولاً، ثم فكرياً بعد ذلك، وزادتْ جفوةُ العقاد له ــ بل صار يمقتُه ــ بسبب اتجاهِه الإسلامي، وسيرِه في طريق العمل الحركي الإسلامي، والعقاد لم يكن يطيقُ الاتجاهَ الإسلاميَّ العمليَّ، المتمثل في حركةِ الإخوان المسلمين، بل كان يحاربُه بشدّة وشراسة، حيث وصَلَ به الأمرُ إلى اتهام «حسن البنا» ــ رائدِ البعثِ الإسلامي المعاصر ــ بأنه يهوديُّ الأصل، وأن جماعتَه التي أسسها «الإخوان المسلمين» إنجليزية يهودية!!

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي، للندوي: ٩٦.

صارَ العقادُ يتحدث عن سيِّد، وينتقدُه، ويأسفُ لتوجُّهِ الجديد، ويعتبرُه قد اختارَ طريق الغفلة والسذاجة، وأهملَ إعمالَ عقلِه وفكرِه وذهنه!

وكتبَ عام ١٩٤٦م مقالاً في مجلة الرسالة بعنوان «إرادةُ الغفلة»، كان يقصدُ فيه سيِّد قطب، ويعتبره أنه أرادَ الغفلة وألغى الذكاء والفطنة ـ كماأخبرني بذلك الأستاذ محمد قطب ـ[1].

صار سيِّد يُصْدرُ كتبَه الأدبيةَ والفكريةَ تباعاً، وتوقَّع من أستاذه السابق «العقاد» أن يتكلمَ عنها، وأن يكتبَ عنها، وأن يسمعَ منه كلمةَ ثناءٍ وتقديرٍ وتشجيع، فكتُبُه الأدبية والفكرية لقيَتْ رَواجاً ونَجاحاً، واستقبلَها الأدباءُ والقراءُ استقبالاً حسناً، وانتظرَ كلمةً من «العقاد» ولو من باب ردِّ الجميل، حيثُ خاض سيِّد، المعاركَ الأدبيةَ الحادّة، انتصاراً للعقاد، وكتبَ العديد من المقالات مُعرِّفاً بكتب العقاد، مقرِّظاً لها، مثْنِياً على أستاذه فيها، أفلا يستحقُّ هذا كلُّه كلمةً من أستاذه له؟ ولكنَّ الكلمة لم تأت!

عتَب سيِّد على العقاد عتباً بالغاً، وعجبَ منه لموقفه منه، ومن كتبه وأبحاثه، وأسرَّها في نفسه!!

سيِّد يصارح الدكتور أحمد أمين

بقي تأثُّرُ سيِّد من موقفِ العقاد خاصاً به، وعتَبُه في نفسه، حتى حانَ الوقت لإظهاره.

ففي عام ١٩٥١م، كتبَ الدكتور أحمد أمين مقالاً في مجلة «الثقافة» سمّاه «ضيعة الأدب»، وأهداه إلى سيِّد قطب. وحمَّل أحمد أمين المسؤوليةَ في ضياع الأدب إلى الجيلَيْن من الأدباء: جيلِ الشيوخ، وجيل الشبان.

اعتبر جيلَ الشيوخ مسؤولاً لأنَّ الأدباء الشيوخ كانوا مسْتَقِلّين، لا يُعِدّون مَنْ يخلُفهم، فإذا زالوا زالَتْ مدارسُهم، وتسكَّعَ مَنْ بعدَهم طويلاً حتى يختطّوا الطريق.

---

(١) انظر مقال «إرادة الغفلة» في مجلة الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٦٦٣. تاريخ ١٨ مارس ١٩٤٦م. صفحات: ٢٨٩ ـ ٢٩١.

واعتبرَ أحمد أمين جيلَ الأدباء الشبان مسؤولاً، لأن الأديبَ الناشىءَ منهم «ينفرُ من أنْ يكونَ «مُريداً»، ويودُّ أن يَتَزَبَّبَ قبلَ أن يَتَحَصْرَم، أو أن يطْلَعَ المئذنة من غير سلَّم، وما هكذا تُنال الأمور!!».

وكأن أحمدَ أمين يعني سيِّد، بأنه لم يمرّ بمرحلةِ «المريد» لأستاذٍ في عالَم الأدب، وأنه تَزَبَّبَ قَبْلَ أَنْ يَتَحَصْرَم، وطلع المئذنة من غير سلّم!

وقد ردَّ سيِّد قطب على كلمةِ أحمد أمين في مجلة «الثقافة» وبيَّن نظرةَ الأدباءِ الشيوخ لتلاميذِهم من الأدباء الشبان، وقال عن أولئك الشيوخ من أَمثال: العقاد وطه حسين وأحمد أمين: «لقد كانوا من الأنانيَّة ــ ومعذرةً إذا قسوتُ ــ بحيث لم يَرَوْا إلا أنفسَهم وأشخاصَهم، فلم يَعُدْ لهم وقت للمريدين والتلاميذ. ولم تَعُدْ في أرواحهم فسحةٌ تَسعُ المريدين والتلاميذ!

لقد كانوا أنانيّين، فلم يُشْعِروا المريدين أنهم يُعدُّونهم لشيء، ويهيئونَهم لتلقّي الشعلة، وأنَّ الطريق أمامهم طويل، لأن العبءَ الذي سيُلقى على عاتِقهم ثقيل.. ومن هنا استعجلَ الشبان وقلقوا، وحاوَلوا صعود المئذنة من غير سلّم!.

ثم صارح سيِّد أمين بتجربته الخاصة مع العقاد، وكتب عباراتٍ كاشفة عن صلتِه السابقة بالعقاد، وعن موقف العقاد منه بعد ذلك: «ودَعُوني الآنَ أصارحْكم بتجربتي الخاصة، التي تركتْ في نفسي ذاتَ يومٍ مرارة. ومن أجْلِ هذه المرارة لم أكتبْ عنها من قبل، حتى صفَتْ روحي منها، وذهبتْ عني مرارتُها، وأصبحتْ مجرَّدَ ذكرى، قد تنفعُ وتعظ...

لقد كنتُ «مريداً» بكل معنى كلمةِ المريد، لرجل من جيلكم، تعرفونَه عن يقين. ولقد كنتُ صديقاً أو ودوداً مع الآخرين من جيلكم كذلك. لقد كتبتُ عنكم جميعاً بلا استثناء. شرحْتُ آراءَكم، وعرضْتُ كتبَكُم، وحلَّلْتُ أعمالَكم، بقدر ما كنت أستطيع.

ثم جاءَ دوري...

جاء دوري في أن أنشرَ كُتباً، بعد أن كنت أنشر بحوثاً ومقالات وقصائد. لقد

جاء دوري في نشر الكتبِ متأخِّراً كثيراً، لأنني آثرْتُ ألّا أطلَعَ المئذنةَ من غير سلَّم، وأن أتريَّثَ في نشرِ كتب مسجَّلة، حتى أحسَّ شيئاً من النضجِ الحقيقي، يسمحُ لي أن أَظهرَ في أسواق الناشرين.

وكان أولُ كتابٍ نشرتُه، هو ذلك الكتابَ الذي نالَ إعجابَ صديقِكم الراحلِ، المغفورِ له «عبد العزيز باشا فهمي»، ذلك الإعجابُ الذي آثرْتُم أن تبلغوني نبأه في رسالةٍ منكم إليَّ، وأنا مريض. لعل ذلك أن يكونَ له أثرٌ طيب في صحتي ــ كما قدَّرْتُم ــ ذلك هو كتاب «التصوير الفني في القرآن».

وكان كتاباً موفقاً حقاً. أقولُها الآن مطمئناً، بعد أن أصبحتْ حقيقةً أدبية، منفصلَة عن شخصي!

فماذا كان موقف أستاذي؟

وماذا كان موقفُ جيلِكم كلِّه؟ ماذا كان موقف جيل الشيوخ ــ لا من هذا الكتاب وحده، ولكن من الكتبِ العشرة التي نشرتُها حتى الآن؟ ــ .

أراجعُ كلَّ ما خطَّتْهُ أقلامُ هذا الجيل كلِّه عن عشرة كتب، فلا أعثرُ إلّا على حديثٍ في الإذاعة لفقيدِ الأدب المرحوم الأستاذ المازني، وإلّا إشارةٍ كريمة للأستاذ توفيق الحكيم في أخبار اليوم!!

هذا كل ما خطَّتْهُ أقلام جيلِ الأساتذة عن عشرة كتب، لمريدٍ جيِّد، درسَ كلَّ آثارهم، واستوعبَها، ونوَّهَ بها، وشرحَهَا، وحلَّلَها، في خلال عشرين عاماً!!.

وأنا اليوم أحمدُ الله، على أنني خططتُ طريقي بنفسي مستقلاً، وبجهدي خالِصاً... لم يأخذْ بيدي عظيم، ولم يقدِّمني إلى الناس أستاذ!!.

ولكنَّ كلمةً طيبة من جيل الأساتذة، كانت قبل خمسِ سنوات فقط تُعَدُّ في نفسي شيئاً عظيماً، وتتركُ في روحي أثراً طيباً... غيرَ أنها ــ مع الأسف ــ لم تكن...»[1].

(١) مجلة الثقافة. السنة الثالثة عشرة. عدد: ٦٦٣. تاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٥١. صفحة: ٨.

الدكتور رجب البيومي يعلِّل سكوت العقاد عن نتاج سيِّد

كتب «عبد المنعم شميس» ـ تلميذُ مدرسة الأُمَناء الأدبية التي أسَّسَها أمين الخولي ـ مقالاً في مجلة «الوحي» العمانية، عام ١٩٧٧م، تعرَّضَ فيه لسكوت العقاد عن تقريظِ كتبِ تلميذِه سيِّد قطب، قال فيه: «كانت لسيِّد قطب مواقف حاسمة في مؤازرة العقاد ومساندته، نسيها بعض المعاصرين ولكن عباس محمود العقاد لم يساند سيِّد قطب، ولم يؤازرْه، وهذه حقيقةٌ للتاريخ.

عندما لمع اسمُ سيِّد قطب كالشهاب الثاقب، أغمضَ العقاد عينيْه، ولم يكتب حرفاً واحداً، يقول إن هذا النورَ يستحقُّ أن يسطع، لأن العقاد كان يعتقدُ أنه العبقريُّ الأوحد، ولا عبقريَّ سواه، وهذه طبيعةُ تكوينه».

وقد كتب الدكتورُ محمد رجب البَيّوميّ مقالاً في مجلة «الثقافة» أوردَ فيه حقائقَ موضوعيةً هامة، وعرضَ فيه خفايا وأسراراً عن حقيقةِ صلةِ سيِّد قطب بالعقاد، وبأمين الخولي وتلاميذِه من مدرسة الأمناء الأدبية، وعداوتِهم لسيِّد وتجاهُلِهم له، وانتقاصِهم لنتاجه الأدبي والفكري، وبخاصةٍ تلميذةَ أمين الخولي ـ وزوجتَهُ ـ الدكتورة عائشة عبد الرحمن ـ بنت الشاطىء ـ .

ويهمنا هنا أنه لم يوافقْ «عبدَ المنعمِ شميس» في تعليلِه لسكوت العقاد عن كتب سيِّد، وقدَّم لذلك علةً أخرى، قال عنها: «وقد فكَّرْتُ في هذا الموقف ما فكَّرْت، فبدا لي: أن من طبيعةِ العقاد حين يتحدث عن عَلَم من أعلام الأدب في الشرق والغرب، أنه يخلِطَ النقد بالتقريظ، فلا بدَّ أن يجدَ ملاحظةً يقولها، مما تراهُ العين الفاحصة ذاتُ المجهر الدقيق. وهو يعلمُ طبيعةَ تلميذه المتحفِّزة، التي لا تصبرُ على نقد. فآثَرَ السكوت، كيلا يثورَ عليه تلميذه.

والحقُّ أن في طبيعةِ قطب كثيراً من طبيعة العقاد، فكلاهما لا يستكينُ لتوهين، وما كان حبُّهما المشتركُ حيناً طويلاً من الدهر، إلا لاتفاقهما في أكثر المواهب والخلال.

وأنا لا أدافعُ عن العقاد، فقد يعلمُ الله أني أحبُّ الشهيدَ سيِّد قطب لدرجةٍ تقربُ من التقديس، وحسْبُه أنْ بذل روحَه فداء الحق، وأنفةً من الطغيان.

ولكني أتخيَّلُ ما عسى أن يقفَ بمثل العقاد عن الإشادةِ بمريده العبقري! وهو

مما يُحسَب عليه، مهما وَجَد المبرِّر الصريح . . » .

ويمكننا أن نعتمدَ كلامَ الرجليْن في تعليـلِ سكوت العقـاد عن تقريظِ نتـاج سيِّد الأدبـي والفكري .

فكلامُ عبد المنعم شميس ليس بعيداً، فمن المتَّفقِ عليه أن العقاد كان ذا اعتداد عجيب بنفسـه، ينتقصُ الآخرين، ويـراهم ليسـوا سـوى أصفـارٍ أمـامَ قـامتِـهِ الشامخة وعبقريتِهِ الفذة .

وكلامُ محمد رجب البيومي مقبولٌ أيضاً، فالعقاد كان يخشَى فتْحَ معركة أدبيةٍ مع خصْمٍ عنيد مثل سيِّد قطب، وكان سيِّد وقتها ــ في الأربعينيّات ــ ينظرُ إلى نفسه نظرةً تقاربُ نظرةَ العقاد لنفسه، كلها عجبٌ وإعجابٌ وتكبُّرٌ واستعلاء!! وقد زالتْ فيما بعد، لما أحْسَنَ التعاملَ مع القرآن والإسلام .

العقاد يُشيد بسيِّد فيما بعد

افترقتْ طريق الـرجليْن العقاد وسيِّـد، واتجهَ سيِّـد إلى الفكرِ الإسـلامي والعمل الإسـلامي، وانتمى إلى جماعـة الإخوان المسلمين، وجـرى له مـا جرى من المحن، ووقَفَ أمـامَ الطواغيت والـظلمة مـواقفَ عظيمـة، وبَذَلَ من التضحيـاتِ في سبيـل الله ما بذل .

وكان العقادُ يتابع أخبارَ سيِّد بإعجابٍ وإكبار .

وقد أخبرني الأستاذ محمد قطب أن العقادَ في أواخر حياته كان يُشيد بسيِّد ويُثني عليه، ويُبدي إعجابَه به وإكبـاره له، لمواقفِـه الجهاديـة من الطواغيت، وتحـديه لهم، وصبرِه على ما يواجهه بسبب ذلك. كان العقادُ يُظهرُ ذلك في مجالسِه الخاصة، ويُخبرُ به خاصّةَ زوّاره .

ومعلومٌ أن العقاد توفي قبلَ استشهادِ سيِّد قطب بفترة قصيرة .

العقاد وسيِّد والشيوعية

العقاد عدوٌّ للشيوعية، محاربٌ لها، ألَّف عدةَ كتب في نقْضِها، منها «الشيوعيـة والإنسانية» . وقد شنَّ عليه الشيوعيون حملةً شرسة، تصدّى لهم فيها بكل جرأة وقوة .

وهناك إشاعاتٌ ردَّدَها بعضهم، من أن سيِّد قطب كـان له ميـلٌ إلى الاشتراكيـة، أو إلى الشيوعية، وأنه في مرحلةِ ضَياعه الفكري مرَّ بشـكٍّ وارتيابٍ في حقـائق الدين، وأصبحَ قريباً من الإلحاد، وبذلك اقتربَ كثيراً من الشيوعيين الملحدين!!

وتقول هذه الإشاعات إنـه لولا العقـاد ــ عدو الشيـوعية ــ الـذي احتضن تلميذَه سيِّد، لكانَ سيِّد شيوعياً ملحداً!! فللعقاد فضلٌ كبيرٌ عليه من الناحية.

وهذا كلامٌ غيرُ صحيح وغيرُ مقبول، ولا دليلَ عليه.

صحيحٌ أن سيِّد مرَّ بمرحلةٍ من الشك والارتياب إلى أقصى حدود، وصحيحٌ أنـه عاشَ رحلة ضياعٍ فكـريّ قاسيـة، مرَّ فيهـا بحيْرةٍ شـديدة، ولعله اقتـربَ من الإلحاد، لكنه لم يصلْ إليه، ولم تكنْ نفسُه ولا تركيبةُ كيانه تـوصلُه إليه، ولم يكن من المتـوقَّعِ أن يصل إليه!

ويروي صديقُه عباس خضـر عنه نـظرتَه إلى الـدين والإلحاد، في هـذه المرحلة الخـطيرة من حيـاته: «وفي المـرحلةِ الثانيـة كان مشغـولاً بالثـورةِ الإصلاحيـة والتعبيـرِ الأدبـي عنها، من غير إغراقٍ في الشؤون الدينية!

وكـان يرى ــ كمـا قال لي في خـلال مناقشـةٍ بيننا ــ أن الـدينَ ضـروريٌّ لقيـادةِ القطعانِ البشرية. ولا يمكنُ أن يَسلسَ قيادُها لغيره.

وأعتقدُ أنه كان ينظرُ لـلإسلام على أنـه ثقافـةٌ إنسانيـة، وأنه نـظامٌ صالـح لحياةٍ بشريةٍ راقية، بغضِّ النظر عن غير ذلك.

وأعتقدُ كذلكَ أنه مـرَّ بمرحلةِ شـكّ. . قال لـه زنديق: إنَّ إثبـاتَ وجودِ الله أمـرٌ صعب! فردَّ عليه قائلاً في حيرة: ونفْيُهُ أيضاً صعب!!»[1].

لم يكن سيِّـد مرشَّحـاً ليكون شيـوعياً أو ملحـداً، ولم يكن فيه مـا يـوحي بـأنـه سيكون شيوعياً أو ملحداً، حتى نجعـلَ العقاد عـاصماً لـه من التوجُّـه للإلحـاد، وحتى نـدَّعي أنه لولا العقاد لكان سيِّد شيوعياً أو ملحداً!

---

(١) مجلة الثقـافـة. المجلد الثـامن. السنـة الـرابعـة. عــدد: ٤٧. تـاريـخ أغسـطس ١٩٧٧. صفحة: ٥٠.

قد يتشكَّكُ نعم! قد يرتابُ نعم! قد يضيعُ فكرياً نعم! وقد حصلَ هذا منه! لكن أن يتحوَّل الشكُّ والارتياب والضياعُ إلى الشيوعية والإلحاد، وأن يحصل هذا منه فعلاً، فلا!!

تشكُّكُ في روايات سليمان فياض عن سيِّد والعقاد

نشر سليمان فياض مقالاً في مجلة «الهلال» المصرية ــ عدد سبتمبر ١٩٨٦م ــ بعنوان «سيِّد قطب بين النقد الأدبي وجاهليةِ القرن العشرين»[١] أوردَ فيه بعضَ الروايات والأخبار عن سيِّد قطب، منها ما يتعلقُ بصلتِه بالعقاد، ومنها ما يتعلقُ بإلحاده.

عن صلة سيِّد بالعقاد، وعن انفصالِه عنه بعد ذلك، يروي سليمان فياض أنَّ سيد قال له ــ في جلسةٍ بينهما، في بيت سيِّد في حلوان ــ: «كنتُ له تلميذاً محبّاً، وكنتُ أقدِّمُ له كتبي، فيُثْني عليَّ، ويُقرِّبُني منه، حتى طلبتُ منه ذاتَ يوم أن يكتبَ مقدِّمةً لكتابٍ لي، يقدِّمُني به للناس، فأبى ذلك على نفسه وعليَّ. وشعرتُ بالغيظ، حين آثرَ أن يقدِّم لكتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» لخليفةِ التونسي، ولا يقدِّم لكتابي، فجفوْتُه وجَفاني، وهجرْتُ مجلسَه»[٢].

وإن الشكَّ قائمٌ في هذه الرواية! أقولُ الشك وليس الإبطال والرد! لأن سليمان فياض يروي عن حديثٍ بين الرجليْن، لم يكن معهما أحدٌ ليصدِّقَ الرواية أو يكذِّبَها، ونحن لا يجوزُ لنا أن نجزمَ بتكذيبها. لكننا نكتفي بتشكُّكِنا منها، فلعلَّ سليمان فياض وَهِمَ في روايةِ تفصيلات الحادثة، ولعله قال شيئاً مِنْ عنده!!

إنها تتعارضُ مع طبيعةِ سيِّد، وتركيبِ نفسه وكيانه. إننا لا نتصور سيِّد المعتدَّ بنفسه، المتباهيَ بعلمه، المستعليَ على الآخرين، الرافضَ لأيِّ موقف فيه إذلالٌ وانتقاصٌ لشخصيته الكبيرة ــ وذلك في الأربعينيات ــ لا نتصوَّرُه يجلس أمام العقادِ بذلَّة، ويطلبُ منه أن يقدم كتاباً له، وهو يتوقع جواب العقاد.

---

(١) أعادت «اللواء» الأردنية. عدد ٦٩٦. تاريخ ١٠/٩/٨٦م. نشر المقال تحت عنوان «تحولات كاتب».

(٢) اللواء الأردنية. عدد: ٦٩٦ تاريخ ١٠/٩/١٩٨٦. صفحة: ٧.

وهـذه الروايـةُ التي قدَّمهـا سليمان فيـاض تَهونُ أمـام روايـةٍ أخـرى أوردهـا عن اعترافِ سيِّد بأنه كان ملحداً مدةً طويلة!!.

قال إنهُ سمعَ محاضـرةً لسيِّد قـطب ألْقاهـا في مطلع الخمسينيات في قاعـة علي مبـارك في كليةِ الآداب ـ جـامعة القـاهرة. وأورد كـلاماً سمعَـهُ بأُذُنـه من سيِّـد قـطب يتحدث عن نفسه: «ويَروي من سيرةِ حياتِه (سمعْتُ ذلك بأُذُنيّ) أنـه ظَلَّ ملحـداً أحدَ عشر عاماً، حتى أخذَ يكتبُ كتـابَه «العـدالة الاجتمـاعية في الإسـلام»، فإذا بـه يعثرُ على الطريق إلى الله، ويخرج من حيرةِ الإلحاد إلى طمأنينةِ الإيمان»[1].

وقد اعتمد على هذه الرواية العجيبة كُتّاب آخرون، وبَنَـوْا عليها أحكـاماً ونتـائجَ خاطئة، كما فعل «عادل حمودة» في كتابه «سيِّد قطب من القرية إلى المشنقـة: تحقيق وثائقي»، والذي أوردَ فيه أخطاءً كثيرةً عن سيِّد قطب[2].

هل صحيحٌ أن سيدَ قطب كـان ملحداً، وأنـه ظلَّ ملحـداً أحد عشـر عامـاً؟ كما يروي سليمانُ فياض أنه سمعه منه بـأُذُنه! وأين؟ في قـاعةٍ كبـرى في كلية جـامعية في محاضرةٍ عامة؟ وطبعاً هذه المحاضرة سمعها آخرون كثيرون! فلماذا لم يَرْوِ أحدُهم أنه سمعَها، مثلما سمعها سليمان فياض؟.

وهل صحيحٌ أن سيِّد لم يتوجَّهْ للإيمان إلا بعدما ألَّفَ كتابه «العدالة الاجتماعيـة في الإسـلام»؟ ومعلومٌ أنـه ألف الكتـاب عـام ١٩٤٨م. أي أنـه كـان ملحـداً مـا بين ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨م!!

وفي هـذه الفترة ألَّفَ كتـابيْن إسلاميَّيْن قـرآنييْن عـظيمَيْن: «التصـويـر الفني في القرآن» و «مشاهد القيامة في القرآن»! فهل ألَّفهما وهـو ملحدٌ في الله، كـافرٌ بـالقرآن؟ وهل يكتبُ ملحدٌ ذلك الكلام الإيمانيَّ القرآني؟

أكتفي بالقول بأنَّ روايةَ سليمان فياض، عن إلحادِ سيِّد قطب أحد عشر عامـاً من حياته، لا تتفقُ مع الحقيقة! ولا مع التاريخ! ولا مع طبيعة سيِّد! ولا مـع نتاجـه الأدبـي والفكري في تلك الفترة المزعومة! ـ والله أعلم ـ.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر هذه الأخطاء في الكتاب: ١٠، ١١، ٤٨، ٥٠، ٥٢.

سيِّد ينقـض فكر العقَّاد في الظلال

تحوَّل الرجلان ــ العقَّاد وسيِّد ــ من الاهتماماتِ الأدبيّة إلى الاهتماماتِ الفكريّة والإسلاميّة. وصارا يكتبانِ في الموضوعات الإسلاميـة، ومع ذلـك بقيَ سيِّد يبتعـدُ عن العقاد، ويزدادُ ابتعادُهُ عنه، كلما زادَ اقترابُـه من القرآنِ والعمـلِ والجهاد، وصـارَ سيِّد يتميزُ بفهمه للقرآن والإسلام والدعوة والجهاد!

وكـان في تفسيره «الـظلال» يصوِّبُ أفكـاراً خـاطئـة وقـعَ بهـا كـاتبـون مسلمـون معاصرون، حول الإسلامِ والإيمانِ والقرآن، ومنهم أستاذُه السابق العقاد!

لقد وقفَ سيِّد مع العقاد وقفـةً مطوَّلـة في الظلال، نـاقشه في أفكـارِه الخاطئـة، ونقضَها وأبطلَها وردَّها، وبيَّن سبَبَ خطأِ العقاد فيها.

كان ذلك في تعقيبِه على قصةِ نوح في سورة هود.

حيث بيَّن سيِّـد من خـلال آيـاتِ القـرآن، أنَّ أوَّلَ دينٍ على وجــه الأرض هـو التـوحيد، وأنـه دعـا إليـه آدمُ ــ نبـيُّ الله وأولُ مخلوق من البشـر على وجـه الأرض ــ فالتوحيـدُ أصيلٌ في الأرضِ وتـاريخِ الإنسـان وحركتِـه عليها، والشـركُ بالله جـاءَ بعد ذلك، فهو طارىءٌ عرضيٌّ شاذ!

واتخذَ هذه الوقفة فرصةً منـاسبة ليقفَ مـع العقاد، ويصـوِّبَ له أخـطاءً خطيـرة، وقع فيها حولَ نفس الموضوع. وذلك في كتابه «الله»، حيث قـال العقاد في المقـدمة: «موضوعُ هذا الكتاب، نشأةُ العقيدة الإلَهية، منذُ أن اتخـذَ الإنسانُ ربـاً، إلى أنْ عَرَفَ اللَّهَ الأحد، واهتدى إلى نزاهةِ التوحيد»!

والذي يقول فيـه عن أصْلِ العقيـدة الإلَهية: «تـرقّى الإنسانُ في العقـائد، كمـا ترقّى في العلوم والصناعـات. فكانتْ عقـائدُه الأولى مسـاويةً لحيـاته الأولى، وكـذلك كانتْ علومُه وصناعاتُه»!

والذي يقول عن أطْوارِ العقيدة الإلَهية: «يَعرفُ علماءُ المقابلةِ بينَ الأديـانِ ثلاثـةَ أطوارٍ عامة، مرَّتْ بها الأممُ البدائية في اعتقادها بالآلهة والأرباب: وهي: دَوْرُ التعدّد! ودَوْرُ التمييزِ والترجيح! ودورُ الوحدانية!».

وقد أوضح سيِّد قطب أخطاءَ العقـاد العقيدية في كتابِهِ، وفنَّدَها، ونقَضَها، وبيَّن مخالفَتَها لنصوص القرآن: «والذي لا شكَّ فيه أن اللَّهَ سبحانه يقرِّرُ في كتابه الكـريم، تقريراً واضحاً جازماً، شيئاً آخرَ غيرَ مـا يقررهُ صـاحب كتاب «الله»، متـأثِّراً فيـه بمنهج علماءِ الأديان المقارَنة . . . ».

«ولعـلَّ هـذه اللمحـةَ المختَصَـرَة ـ التي لا نملكُ الاستـطرادَ فيهـا في كتـابِ الظلال ـ تكشفُ لنا عن مدى الخطورةِ في تلقِّي مفهوماتِنـا الإسلاميـة ـ في أيِّ جانبٍ من جوانبها ـ عن مصدرٍ غيرِ إسلامي. كما تكشفُ لنا عن مدى تغلغـلِ مناهـج الفكر الغربية ومقرراتِها، في أذهان الذين يعيشون على هذه المنـاهج والمقـرَّرات، ويستقونَ منها. حتى وهُم يتصدّون لردِّ الافتراءات عن الإسلام من أعدائه!!»(١).

وأعلن بمناسبةِ تصويبِهِ لأخطاءِ العقاد عن نيتِه في تأليف كتـاب سمّاه «تصـويبات في الفكر الإسلامي المعاصر» يخصِّصُه للأخطاءِ الفكريةِ المعاصرة التي يقعُ فيها كتّاب ومفكرون مسلمون، في كتابتهم عن الإسلام، وفي مقدمتهم العقاد!

. . . وهـكـذا

وفي ختام هذا المبحث عن صلة سيِّـد قطب بعبـاس محمود العقـاد، نرى كيف سارتْ صلتُه به في مراحلَ متطورة:

فقد بدأتْ تلمذةً من سيِّد على أستاذِه العقاد، منذ بداية شبابه.

ثم تحولتْ إلى محبةٍ عظيمة، وإعجابٍ عظيم، من التلميذ بأستاذه.

ثم كان التلميذُ «مريداً» ـ بكل ما تحملُه كلمةُ مريد من معنى ـ لأستاذه.

ثم وصلتْ بالتلميذ المريد إلى اعتناقِ كلِّ آراءِ أستاذه وأفكارِه.

ثم وصلْ إلى تخوُّفِ المريد من الفناء في أستاذه، وذوبان شخصيته فيه.

ثم أصبحت للمريد، استقلاليةٌ في فهم المسائل الأدبية والفكرية.

---

(١) انظر الظلال ٤: ١٨٨٢ ـ ١٨٨٥.

ثم سمحَ المريد لنفسِه أن يخالفَ أستاذَه، في بعض المسائل الأدبية والفكرية.

ثم بدأَ المريدُ يبتعدُ عن أستاذه ومدرستِه في الأدب والشعر والحياة.

ثم أعلن خروجَه النهائيَّ من مدرسة أستاذِه السابق، ومخالفته له.

ثم جفوةُ الأستاذِ لمريدهِ السابق، وحقدُه عليه.

ثم سيْرُ كلٍّ منهما في طريقيْن مختلفيْن متوازييْن في عالَم الفكر والبحث.

ثم عودةُ سيِّد قطب ـــ المريد السابق للعقاد ـــ إلى وزنِ أفكارِ وآراءِ أستاذه السابق، بميزانِ القرآن، وتقويمِها على أساس القرآن، وتصويبِها بنصوص القرآن، وبيان مخالفتها لمقرَّرات القرآن.

لقد بدأ سيِّد حياتَه تلميذاً ومريداً للعقاد، وختَمَها رَجُلاً قرآنيّاً متميِّزاً!

* * *

(٧)

معارك سيّد قطب الأدبية والنقدية

خاضَ سيِّد قطب في حياتِه الأدبية معاركَ أدبية ونقدية عديدة، تمَّتْ فيها مساجلاتٌ أدبية حادة، بينه وبين كثير من الأدباء، وشنَّ فيها حرباً كلامية عنيفة على خصومه من الأدباء، وردَّ عليه آخرون بالمثل، وكالُوا له بنفس الكيْل. وشهدت الأوساط الأدبية تلك المعارك بمشاعر متباينة.

لكن سيِّد في معاركه الأدبية أثارَ كثيراً من المسائل والقضايا الأدبية، كان معه فيها مؤيدون ومعارضون. ونالَ إعجابَ كثيرٍ من الأدباء الشبّان، الذين كانوا يُعْجَبون من رجل واحد، يحاربُ على جبهات عديدة، وبقوةٍ وجرأة وحدّة ملحوظة!

أسباب خوضه تلك المعارك

هناك أسبابٌ دفعتْ سيِّد لخوض تلك المعارك منها:

١ ـ الدفاعُ عن آرائه النقدية والأدبية، والتي كان يطرحها في مقالاتِه في الصحف والمجلات، والتي كان يخالفها بعضُ الأدباء والشعراء الشيوخ والشبان، فكان يهاجم خصومَه، ويدافع عن أفكاره.

٢ ـ تنشيطُ حركة الأدب والنقد في الأوساط الأدبية، وإزالةُ حالة الركود التي أصابت تلك الحركة.

٣ ـ حبُّ الظهور، والرغبةُ في الشهرة، والحرصُ على إثبات وجوده في الساحة الأدبية والنقدية، ولفتُ الأنظار إليه، والدعوةُ إلى ما يؤمن به!

لقد كان سيِّد في الثلاثينيّات والأربعينيّات معجَباً بنفسه! مزهوّاً بها! معتدّاً بها! يتمتع بقسطٍ من الزهو والفخر والخيلاء والاستقلال! وذلك قبل أن يتخلقَ بأخلاق الإسلام العملية العظيمة.

٤ ــ تقليدُ أستاذه الأول «العقاد» الذي خاض كثيراً من المعاركِ والمساجلاتِ الأدبية، وحارب فيها كثيراً من الأدباء والشعراء، وهاجمهم بعنفٍ وقسوةٍ وحدّة. فقلَّد التلميذُ أستاذَه في هذا الميدان.

٥ ــ تبنّي آراءِ وأفكارِ أستاذه العقاد، ومحاربةُ مخالفيها، والثناءُ على العقاد، ومدحُه والإشادة به، ومهاجمةُ معارضيه وخصومه!

ولقد كان العقاد يطَّلع على كلِّ ما يقوم به تلميذُه في هذه المعارك والمساجلات، ويُعجب بما يقدِّمه فيها من أدلة وحجج، وكان ينتشي ويتيهُ بما يوجِّهه له من مدح وثناء وتقريظ!

وأحياناً كان يوحي للتلميذ بما يقوِّي حجَّتَه، ويُفحم خصمَه، فكانت شخصيةُ العقاد تكادُ تظهر ــ أحياناً ــ من خلال مقالاتِ سيِّد، بحيث كان المقال صدى لآراء العقاد، وترديداً لأفكاره[1]!!

أسلوب سيِّد في معاركه

كان أسلوبُ سيِّد في معاركه حادّاً قويّاً عالياً عنيفاً، مدوّياً مجلجلاً، وكانت عباراتُه تشتدُّ وتقسو، حتى تقتربَ من السِّباب والشتائم، ويستخدمُ عدةَ طرُق لمهاجمة خصومه، فهو أحياناً يحتدّ ويشتدّ، وأحياناً يسخر، وأحياناً يلمز، وأحياناً يُجهِّل، وأحياناً يُعنِّفُ، وأحياناً يتَّهم، وأحياناً يهجو. المهم أنه كان يهاجم على كل حال!!

استمعْ له يقولُ عن خصومه في مطلع حياته النقدية عام ١٩٣٤م:

«وكان هذا هو النتيجة المحتومة للرّكود والتعفّن، ولكنه أثارَ نفسي، وأحسبُه مثيراً لكل فطرةٍ سليمة، ودعاني أولَ الأمر إلى اعتزالِ النشر حيناً من الزمن، فأنا رجلٌ آنفُ الجلوس إلى موائدَ يحومُ عليها هذا الذباب، وأتقزَّزُ بطبيعتي لمنظر تلك الديدان»[2].

ويقول عن الرافعي عام ١٩٣٨م: «والقصةُ بين الرافعي وبيني، أنني قرأتُ له

(١) انظر «سيِّد قطب»، لعبد الباقي: ٧٨.

(٢) مجلة الأسبوع. المجلد الثالث. عدد: ٣٥. تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥. صفحة: ٢٢.

أولَ ما قرأت كتابَه «حديث القمر»، فأحسستُ له بالبغضاء. أجل، بالبغضاء، فهي أصدقُ كلمة تعبِّر عن ذلك الإحساس الذي خالجَني إذ ذاك».

ويقول عنه أيضاً: «كنت أشكُّ في «إنسانية» هذا الرجل، قبلَ أن أشكَّ في قيمة أدبه، وكنتُ أزعم لبعضِ إخواني في معرض المناقشة أنه خَواءٌ من «النفس»، وأن ذلك سببُ كَراهيتي له، ولو أنني لم أرهُ مرةً واحدة، ولم أجلس إليه..».

ويقول عن حبِّ الرافعي وقلبه: «إن خيالي المنبعث من قراءتي للرافعي، لم يكن يطوِّعُ لي أن ألمحَ إمكانَ وجودِ هذه العاطفة في حياته. فالحبُّ يتطلبُ قلباً، وكنت أزعمُ أنْ ليسَ للرجل قلب، والحبُّ يقتضي «إنسانيةً» وكنتُ أفتقدُها فيه»[1].

وها هو يقول لطه حسين، في معركته معه، عن الأدباء الشيوخ: «إن هذا الجيلَ من الشيوخ قد تخلّى عن أمانته، لا لذلك الجيل من الشبان فحسب، ولكن للوطن، وللمجتمع، وللإنسانية، وأخيراً للضمير الأدبي كلِّه.

وإنها لتهمةٌ غليظة، وإني لأكْرَهُ الناسِ لإطلاقها، وإنني لأشدُّ جيلِ الشباب توقيراً لجيل الشيوخ. ولكنها الحقيقة. الحقيقةُ القاسية التي لا يُغني فيها التحرُّج ولا التوقير»[2].

ولقد وصف علي الطنطاوي ـ الذي كان يهاجمُ سيِّد قطب في المعركة بين «العقاد والرافعي» ـ المعركةَ العنيفة التي خاضها سيِّد ضد الرافعي: «وقد كانت تلكَ معركةً صاخبة، مجلجلة، كالحةَ الوجه، عابسة»[3].

وصدق الطنطاوي في الوصف الذي أطلقه على سيِّد وهو يخوض معاركَه العنيفة: «إني لم أتخيلْ سيِّدَ قطب إلاّ مقارعاً محارباً، ولم أعرفْه إلاّ كاتباً مجادلاً مناضلاً، يهاجم مهاجماً ومدافعاً ومحايداً!!»[3].

---

(١) مجلة الرسالة. السنة السادسة. المجلد الأول. عدد: ٢٥١. تاريخ: ٢٥ أبريل ١٩٣٨م. صفحة: ٦٩٢.

(٢) مجلة «العالَم العربي». المجلد الأول. العدد الرابع. تاريخ شعبان ١٣٦٦. صفحة: ٥٣.

(٣) مجلة الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٤٨. تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٤٥م. صفحة: ١٣١٣.

أشهر معاركه الأدبية

كـان سيِّد يحبُّ المعـارك الأدبية. وفي ذلـك يقول: «ربمـا كنتُ أولَ المغتبِطين بالمعارك الأدبية، مهما كان فيها من خصومات، ومهما كان فيها من ضجيج. وذلك أن خصومةَ الحيـاة عندي خيـرٌ من سلام المـوت، وأنَّ ضجةَ العـاصفة أفضـلُ من صمت الركود»[١].

وكانت أشهر معاركه الأدبية هي:

١ ــ معركة المنبر الحرّ. عام: ١٩٣٤م.

٢ ــ معركته مع الرافعيين. عام: ١٩٣٨م.

٣ ــ معركته مع الدكتور محمد مَنْدور، حول الأدب المهموس. عام: ١٩٤٣م.

٤ ــ معـركته مـع عبد المنعم خـلاف، حول التصـوير الفني في القـرآن. عام: ١٩٤٤م.

٥ ــ معركته مع دريني خشبة. عام: ١٩٤٣م.

٦ ــ معركته مع صلاح ذهني. عام: ١٩٤٤م.

٧ ــ معركته مع إسماعيل مظهر. عام: ١٩٤٦م.

٨ ــ معركته مع شيوخ الأدب. عام: ١٩٤٧م.

وسنتكلم عن هذه المعارك بمنتهى الإيجاز[٢].

أولاً: معركة المنبر الحر عام ١٩٣٤م

خاضَ سيِّد هذه المعركة مِنْ على منبر مجلة «الأسبوع» في صيف عام ١٩٣٤م.

وكانت المجلةُ قد أسمَتْ صفحةَ النقد فيها «المنبر الحر»، وفتحت المجال لسيِّد ليشنَّ الحرب على الأدباء الآخـرين، كما فتحت المجـالَ لردود الآخـرين عليه، وكـان عنيفاً في معركته، وكانوا عنيفين في الرد عليه!

---

(١) سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٧٨. نقلاً عن مجلة الأسبوع عدد: ٣١. يونيو ١٩٣٤م.

(٢) انظر في معاركه الأدبية: سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٧٨ ــ ٩٠. وسيِّد قطب، للخباص: ٢٥٦ ــ ٢٧٣.

نشر في زاوية «المنبر الحر» ستَّ مقالات نقدية متسلسلة، تحت عنوان «معركة النقد الأدبي ودوافعُها الأصيلة»[1].

قال في المقالة الأولى عن الدوافع الخفية لمعارك النقد الأدبي في ذلك الوقت: «لعل من الخيرِ ألاّ نُغالِطَ أنفسَنا في الحق، لأنه مرّ، ولا نشيحَ بوجوهنا عن الواقع، لأنه مؤلم، ولعل من الخير إذن أن نقول: إن كثيراً من بواعثِ المعارك النقدية لم يكن كريماً! وإن كثيراً من أسلحتِها لم يكن شريفاً! وإنه لخيرٌ أن نقول هذه الكلمةَ، قبل أن يقولَها التاريخ، وقبل أن تأتيَ أجيالٌ بعدَنا تنظرُ إلينا نظرةَ التقزُّز والاشمئزاز، وترى في بعضِنا خُبْثاً، وفي البعض الآخر غفلة!!»[2].

بيَّن في مقالاته الستِّ خفايا ودوافعَ المعارك الأدبية التالية، التي دارت في ذلك الوقت على صفحات المجلات.

(أ) معركة إبراهيم عبد القادر المازني ضد المهندس علي محمود طه.

(ب) معركة طه حسين ضد كل من: إبراهيم ناجي وإبراهيم المصري.

(ج) معركة عباس محمود العقاد ضد إبراهيم ناجي.

(د) معركة إبراهيم المصري ضد إبراهيم ناجي.

(هـ) معركة أحمد حسن الزيات ضد الدكتور طه حسين.

(و) معركة محمود أبو الوفا ضد جماعة أبو للو.

وقد رد على سيِّد قطب ـ في هذه المعركة ـ كل من: الدكتور طه حسين، والدكتور أحمد زكي أبو شادي، ومحمود الشرقاوي، ومختار الوكيل، وصالح جودت، وعبد الفتاح إبراهيم. وكانت ردودُهم عليه عنيفة قاسية، واتهاماتُهم له جارحة!

بينَما وقف على الحياد كلٌّ من: مصطفى عبد اللطيف السحرتي، وحمد عطية يوسف، وعبد الغني البدراوي.

والمعركة بين سيِّد قطب وبين جماعة «أبو للو» ـ وبخاصة رئيسها أحمد زكي

(١) مجلة الأسبوع يونيو ١٩٣٤م. أعداد: ٣١ ـ ٣٦.

(٢) سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٧٩. نقلاً عن الأسبوع عدد: ٣١.

أبو شادي، وأبرز أعضائها صالح جودت ـ لم تتوقف، فاستمرَّتْ في مجلة الأسبوع، حيث هاجمهم في خمس مقالات، بعد قليل من معركة «المنبر الحر»[1].

ثانياً: معركته مع الرافعيين عام ١٩٣٨م

لما توفي «الرافعي» عام ١٩٣٧م، كتب تلميذُه «محمد سعيد العريان» مقالاتٍ في مجلة «الرسالة» يُشيد فيها بالرافعي. وتعرَّض في تلك المقالات للخصومات الشديدة بين الرافعي والعقاد، وعرَضها من منظار «الرافعيين». وكتبَ عن أستاذه الرافعي ستاً وعشرين مقالة.

وقد أثارَ عملُ «العريان» حفيظةَ «العقاديّين» وأغضبهم، مما دفع سيِّد قطب ـ أبرزُ تلميذٍ للعقاد في ذلك الوقت ـ ليشنَّ حرباً عنيفة ضد الرافعي والرافعيين!

نشر سيِّد مقالَه الأول في العدد «٢٥١» من مجلة الرسالة، الصادر بتاريخ ٢٥ أبريل ـ نيسان ـ ١٩٣٨م، وجعل عنوانه «بين العقاد والرافعي». وكان سيِّد ينوي أن يخوضَ معركةً عنيفة ضد الرافعي والرافعيّين، ويعلمُ أنها معركة ستطول، وستكون عنيفةً حادَّة شرسة قاسية، ولذلك وضع بجانب عنوان مقاله الأول هذه العبارة: «آراءٌ حرة، لعلَّها طلائعُ معركة!»[2].

وقد بيَّن سيِّد في مقاله الأول قصتَه مع الرافعي وأدبِه، وذكر رأيَه في الرافعي، وأنه كان فيه قسوةٌ عليه، نتيجةً لعدم التجاوب بينه وبين ذلك الأدب، وأنه صار يقرأُ كلَّ ما كتبه العريان في مدح الرافعي.

وفي ذلك يقول: «كنتُ في حاجةٍ لأنْ أسمعَ من أصدقاء الرافعي ما عساه يخففُ شدَّةَ هذا الحكم، ويكشفُ لي عن بعض حياةِ الرجل التي اشتركتْ في تكوين أدبه.

وكنتُ أخذتُ ألمح من كتابات الأستاذ سعيد، أنه صديق له، مطَّلع على الكثير

(١) انظر سيِّد قطب، للخباص: ٢٦٠ ـ ٢٦١. وانظر الأسبوع: أعداد: ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٥١.

(٢) مجلة الرسالة. السنة السادسة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٢٥١. تاريخ ٢٥ أبريل ١٩٣٨م. صفحة: ٦٩٢.

من أسـرارِ حياتـه، وعوامـلِ إنتاجـه، فقلت: اتَّبِعْهُ، فلعلَّك منقلبٌ صـديقـاً للرافعي، أو محايداً بالنسبة له»[١].

وقد اعترفَ سيِّـد بأنـه كان يشعـر بالبغضـاء نحو الـرافعي وأدبه، وأنـه يرى، أن الرافعي كان بدون «نفْس» وبدون «قلب» وبدون «إنسانية»[١].

وسجَّل سيِّد في مقاله الأول، خلاصةَ نظرتِه لكلٍّ من العقاد والرافعي: «وبعد: فما يمكنُ أن يتَّفقَ العقاد والرافعي في شيء! فلكلٍ منهما نهـجٌ لا يلتقي مع الآخـرين في شيء.

العقادُ أديب الطبـع القوي، والفـطرة السليمة، والـرافعيُّ أديبُ الذهنِ الـوضّاء، والذكاءِ اللَّماع.

والعقاد متفتِّحُ النفس ريّان القلب، والرافعي مغلَقٌ من هذه الناحية، متفتِّحُ العقل وحدَه للَّفتات والومضات.

والطاقة العامة لكل منهما في ناحيتِه متفاوتة بعد ذلك: فطاقةُ العقاد النفسية أقوى من طاقة الـرافعي الذهنيـة، وعالَمُ العقـاد والحياةُ في نـظره، أشملُ وأرحبُ بكثيـر من العالم الذي يعيش فيه الرافعي، ويبصر الدنيا على ضوئه!

وإذا لم تكن كلمةُ اليوم تتسعُ لضرب الأمثـال، فستتَّسِعُ الكلمـاتُ المقبلة للمثال بعدَ المثال»[٢].

لقد أعلنَ سيِّد الحـربَ على الرافعي وتـلاميذه، وهـو يعلم أنها ستكـون معركـة قاسية عنيفة طويلة، ومنذ مقاله الأول وهو يعِدُّ نفسَه للاستمرار فيها.

وقد استجاب الرافعيون له، ولبّوا دعوتَه للنزال، وكتب محمد سعيد العريان مقالةً في العـدد التالي من الـرسالـة، وردَّ على سيِّد بعنف، واستنفـرَ زملاءَه من الـرافعيين، وحثَّهم على الرد على سيِّد، ليتفرغ هو للتأريخ لحياة الرافعي.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الرسالة ــ العدد السابق ــ صفحة: ٦٩٣.

وكتب الرافعيون في «الرسالة» مقالاتٍ عديدة، ردّوا فيها على نيران سيِّد قطب، الموجَّهةِ لهم ولأستاذهم. وكانت ردودُهم عليه قاسيةً عنيفة حادة جارحة، وصاروا يهاجمونه، ويهاجمون أستاذه العقاد.

من أشهر الرافعيّين الذين دخلوا المعركة: محمود محمد شاكر، وعلي الطنطاوي، ومحمد أحمد الغمراوي، وعبد المجيد المجذوب، وإسماعيل مظهر.

ومن الطريف أن سيِّد كان يعنْوِنُ مقالاتِه «بين العقاد والرافعي» مقدِّماً اسمَ أستاذه، فيردُّ عليه خصومُهُ مقدِّمين اسم أستاذهم، فجاءت عناوين مقالاتهم «بين الرافعي والعقاد».

وكانت خلاصةُ ردودهم على سيِّد حول المسائل التالية:

١ ــ اتهامُ سيِّد بأنه تلميذٌ للعقاد، ويردِّد ما يقوله له.

٢ ــ اتهامُ سيِّد بأنه ينبُشُ القبور، ويُعْلي من شأن العقاد، على حساب الرافعي الذي مات.

٣ ــ نقدُ شعر العقاد، ومحاولةُ الحطِّ من شاعريته.

٤ ــ الردُّ على المآخذ التي يُبديها سيِّد على أدب الرافعي.

٥ ــ الحديثُ عن العلاقة بين القديم والجديد، والدينِ الذي يدافع عنه الرافعي وتلاميذُه، وخصومِه الذين يمثلهم العقاد وسيِّد قطب![1]

قال علي الطنطاوي في مقالته «كلمة ثالثة على الهامش» مهاجماً سيِّد بعنف وحدَّة، وعباراتٍ أقربَ إلى السّباب والشتائم: «... ولكن متى سألتُ سيِّد تقويمَ كلمتي؟ ومتى طلبتُ إليه رأيَه فيها؟ وهل بقي عليَّ أن أصدر عن رأيِ سيِّد قطب فيما أكتب؟ لايا سيِّدي: ما هكذا يكون النقد، ولا هكذا تكون المناقشة... عُدْ عن هذا الأسلوب، أسلوبِ التعريض والسخرية، واعلم أنني إن حططْتُ عليك ساخراً ومعرِّضاً بك، لم أدعْكَ حتى تلتصق بالأرض! وأنا مِنْ أقدر الناس على ذلك! ولكن ذلكَ شيء يأباه الخلق الكريم، وتأباه «الرسالة». ولقد كانتْ لي في هذا الميدان جولات، صرعتُ

(١) سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٨٥.

فيها كثيراً من الكتّاب المدَّعين المستكبـرين، ثم أقلعتُ عنها، واستغفـرتُ الله. وأرجو ألّا يضطرني أحدٌ إلى مثلها!!»[١].

وقد عتب الرافعيون على صاحب «الـرسالـة» ــ أحمد حسن الـزيات ــ لسمـاحه لسيِّد بمهاجمةِ الرافعي في المجلة، وطلبـوا من الزيـات الجواب على السؤال، الـذي وجَّهـوه له على لسان علي الطنطاوي: «إني أسألُ الأستاذَ البليـغَ صاحبَ الـرسالـة هذا السؤال، وأرجو أن يتفضَّلَ بالجواب: لماذا تنشرُ الرسالة هذه المقالاتِ للأستاذ قطب؟ أللحقيقة؟ والحقيقةُ لا ظلَّ لها في هذه المقالات. أم من أجل الأستاذ العقاد؟ وفيها من الإيذاءِ للعقاد مثلُ ما فيهـا من المسِّ بالـرافعي، أم بُغْضاً بـالرافعي؟ والأستـاذُ صاحب الرسالة صديقُه الحميم!»[٢]

وأجاب الزيـاتُ على سؤال الرافعيين قـائلاً: «والـرسالـةُ تجيبُ صديقَهـا الأستاذَ الطنطاوي، بأن مِنْ مبادئها أن تكون صورةً صادقة لأدب العصر، فلا تسجِّلُ مذهباً دون مـذهب، ولا تتوخّى أسلوبـاً دون أسلوب. ومعاركُ النقـد ظـاهـرةٌ مـألـوفـة في عصـور الأدب، عَفَتِ الرسالةُ عنها إلى حين!!

ثم رأتْ من الخيـر أن تسجِّـلَ هـذه المعـركـة، لأن أدبَ الـرافعي وأدبَ العقـاد يمثِّلان وجهتيْ الثقافـة في أقطار العـروبة، فـالقولُ فيهمـا ــ إذا حَسُن ــ يُعين المتأدِّبَ على الوجهة التي يولّيها، ويُنعشُ الأدبَ من الخمول الذي هو فيه.

ومن حُسْنِ القول أن يتكلمَ الناظـرُ في الأدب بلسان الأدب، وأن يعتقـدَ أن أدبَ الرجل شيءٌ آخرُ غيرُ شخصه، فلا ينبغي أن يُدخِل الناقد في حسـابه الحيـاةَ والموت، ولا الصداقةَ والعداوة»[٢].

كانت معركةُ سيِّد مع الرافعيين من أطولِ معاركه الأدبية وأقواها وأعنفها وأشرسها، وكتبَ سيِّـد فيها اثنتين وعشـرين مقالـة، نشر الأولى منهـا في العـدد رقم «٢٥١»، من الرسالة، ونشر الأخيرة في العدد رقم «٢٨٠»!

---

(١) مجلة الرسالة. السنة السادسة. المجلد الأول. عدد: ٢٦٠. تاريخ ٢٧ يونيـو ١٩٣٨م. صفحة: ١٠٩٠.

(٢) الرسالة ــ العدد السابق ــ صفحة: ١٠٩١.

وقد لفتت المعركةُ أنظارَ القراء، وأُعجبوا بسيِّد الذي واجه بمفرده كلَّ مَنْ واجهه من الرافعيين، وقادَ المعركة ضدهم بجرأة وقوة واقتدار!.

ثالثاً: معركته مع دريني خَشَبَة عام ١٩٤٣م

كانت معركةُ سيِّد قطب مع «دريني خَشَبَة» قصيرة. وسببها ردُّ دريني خشبة على مقالٍ لسيِّد في نقد وتحليل كتاب «أحلام شهرزاد» لطه حسين، حيث كتبَ «خشبة» في مجلة الرسالة، واعتبر ثناءَ سيِّد على القصة أمراً يدل على عدم اهتمامه بالأخلاق، لأن القصة تتنافى مع الأخلاق!

ردَّ سيِّد على مقال زميلِه في وزارة المعارف ــ دريني خشبة ــ وطالَبه بعدم الانطلاق من منطلقاتٍ أخلاقية في نقْده للأعمال الأدبية، أو ما يكتبه النقاد!

ولكن «خَشَبَة» لم يسكت، بل فنَّد كلام سيِّد في ردٍّ آخر عليه، وركَّز على خطر قصة «أحلام شهرزاد» على الأخلاق الفاضلة، وسخرَ من أسلوب سيِّد وتهكَّمَ به.

وكان ميدانُ المعركة بينهما «الرسالة» في أعداد: «٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠»، عام ١٩٤٣م.

ولما دارتْ معركةُ بين سيِّد قطب والدكتور محمد مندور فيما بعد، تدخَّلَ دريني خشبة ضدَّ زميله سيِّد، فما كان من الأخير إلّا أن ردَّ عليه.

ودارت بينهما معركةٌ ثالثة، عندما هاجم أحدُ شيوخ الأدب ــ الذي رمز لاسمه بالحرفيْن: أ. ع ــ الشعراءَ الشباب، فردَّ عليه دريني خشبة، ودافعَ عن الشعراء الشباب. وذكر في دفاعِه اسمَ سيِّد ضمن مجموعة من الشعراء الشباب، وكان هذا كافياً لأن يهاجِمَهُ سيِّد بعنْف وحدّة، معتبراً إياه قاصداً ذمَّه وانتقاصَه، فما كان من خشبة إلّا أن ردَّ على العنفِ بعنفٍ أشد، ودار بينهما جدالٌ صاخب.

وكان ميدان هذا النقاش الصاخب «الرسالة» في أعداد: «٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤،» من عام ١٩٤٤م[1].

---

(١) انظر خلاصة هذه المعركة في كتاب «سيِّد قطب»، للخباص: ٢٦٦ ــ ٢٦٧.

رابعاً: معركته مع الدكتور محمد مندور عام ١٩٤٣م

سببُ نشوبِ المعركة بينهما، عدةُ مقالاتٍ كتبها الدكتور محمد مندور في مجلة «الثقافة» عام ١٩٤٣م، تحدَّث فيها عن الأدب والشعر، وفضَّل فيها شعراء «المهجر» على غيرهم من الشعراء العرب، وسببُ ذلك ما في شعرهم من «هَمْس»، و «الهمسُ» ترجمةٌ معنوية لمصطلح أدبي فرنسي، ترجمته الحرفية «نصفُ الملفوظ».

ودعا محمد مندور إلى أن يكون الأدب همْساً، أي: أن يهمسَ الأديبُ بكل ما يتحدث فيه، فتحسّ صوتَه خارجاً من أعماق نفسه، في نغماتٍ حارّة، بعيداً عن الجهر والخطابية، التي غلبت على الشعر التقليدي منذ عصر المتنبي[1].

ونَقَدَ الشعرَ العربي الخِطابي الحديث، ومثَّلَ له بقصيدةٍ للشاعر محمود حسن إسماعيل.

ورفضَ سيِّد دعوةَ مندور للأدب المهموس، وردَّ عليه في خمس مقالات في مجلة «الرسالة». نشر الأولى منها «الأدبُ المهموس والأدب الصادق» في عدد «٥١٥» من الرسالة عام ١٩٤٣م.

اعتبرَ الأدبَ المهموس هو «الأدبَ الخْنَيِّنْ» واعتبره دليلاً على المزاج الخاص المريض لمندور. وبذلك انتقل سيِّد من الأدب والنقد إلى الإساءة لشخصية خصمه «مندور».

وقدَّم سيِّد في نقده لدعوةِ مندور، نماذجَ لشعرٍ رفيع، ونثر فني مؤثّر، وكان الشعرُ لأستاذه العقاد، وكان النثر لسيِّد نفسِه، حيث اختارَ قطعةً من رثائه لأمه ــ التي توفيتْ عام ١٩٤٠م ــ!!

وردَّ عليه مندور في الرسالة، واتهمه بألفاظ قاسيةٍ، لأنه يستشهد بنثره هو، وشتَمَه وشَتَم أستاذَه العقاد، وكانت عباراتُ مندور قاسية حادة، عنيفة جارحة!!

ونالَ منه سيِّد في ردّه، ولم تكن عباراتُه أقلَّ قسوة وحدَّة من عبارات مندور.

وانتقلت المعركةُ بينهما من ميدان الأدب والنقد، إلى ميدانِ الشتائم والسباب والمهاترات الشخصية!!

---

(١) سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٨٥.

وازدادت المعركة حدَّةَ وعنفاً وصخباً، عندما دخلَها شخصان آخران، وهاجَما سيِّد بعنف. وهما: «دريني خشبة» ــ خصمُه في المعركة السابقة ــ وزكريا إبراهيم. فردَّ عليهما سيِّد بعنف أبلغ، وقسوةٍ أشدّ. وتبادَلا معه الردودَ الساخنة، والعبارات الحادة![1].

خامساً: معركته مع صلاح ذهني عام ١٩٤٤م

كان صلاح ذهني يُهدي كتبَه وقصَصه لسيِّد قطب، وقال في إهداء واحدٍ منها: «إلى أخي الناقدِ البارعِ الأستاذ سيِّد قطب، مع وافر التقدير»، وكان يهدفُ من ذلك أن يتناولَ سيِّد نتاجَه بالنقد. ومع ذلك لم يكتب عن كتابِه شيئاً: «ومع هذا فلم أكتبْ عنه شيئاً، لأنني لم أَجدْ أنه يستحقُّ شيئاً فجاملْتُه بالسكوت!»[2].

ثم تكلم سيِّدُ عن أدب وقصص «محمود تيمور»، وذلك أثناء نقدِه لقصة «كفاح طيبة» لنجيب محفوظ.

ولم يُعجب صلاحَ ذهني كلامُ سيِّد عن أستاذه محمود تيمور ــ لأن ذهني كان تلميذاً لتيمور ــ فهاجم سيِّد في مقالٍ كتبه في العدد «٥٨٩» من الرسالة.

فما كان من سيِّد إلاّ أن هاجمَه بعنف في العدد «٥٩٠»، واعتبره ظلاًّ باهتاً لتيمور. فردَّ عليه ذهني بمقالٍ في العدد «٥٩٣»، واتهمه بأنه ظلٌّ غيرُ مستقيم للعقاد في وقتِ الظهيرة! وردَّ عليه سيِّد الردَّ الأخير في العدد «٥٩٤».

وكان النقاش بينهما حادّاً والعبارات قاسية، تصلُ حدَّ السبِّ والشتم![3].

---

(١) انظر في المعركة بينهما سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٨٥ ــ ٨٧. وسيِّد قطب، للخباص: ٢٦٦ ــ ٢٦٨.

(٢) الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٤. تاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٤٤. صفحة: ١٠٣٥.

(٣) انظر سيِّد قطب، للخباص: ٢٦٨.

سادساً: معركته مع عبد المنعم خلاف عام ١٩٤٤م

في شهر أبريل ــ نيسان ــ عام ١٩٤٥م، نشرَ سيِّد قطب كتابَه الإسلاميَّ الأوَّل «التصوير الفني في القرآن». واستقبلَه جمهور الأدباء والنقاد استقبالاً طيباً، وقرَّظه بعضُهم في المجلات، مثل: نجيب محفوظ، وعلي أحمد با كثير، وتوفيق الحكيم.

وكان مِمَّنْ عرَّف بالكتاب، وأثنى عليه ثناءً جيِّداً، وأشادَ بموهبة سيِّد إشادةً طيبة، صديقُه «عبد المنعم خلاَّف».

واعتبر خلاَّف الكتابَ قد احتلَّ مكاناً رائداً في مكتبةِ القرآن، وفي مكتبةِ البحوث البلاغية، وفي مكتبةِ النقد الأدبي، وفي مكتبةِ الأدب الفني، وفي مكتبةِ الفنون. وهو يحتلُّ مكانَه في هذه المجالات لِما توفَّرَ له من البحث المستقصي، والتتبع والتحقيق. . .

ونشر خلاَّف مقالَهُ في العدد «٦١٧» من مجلة الرسالة الذي صدر في ٣٠ أبريل ــ نيسان ــ ١٩٤٥م[١].

ولكن خلاَّف أخذ على الكتاب بعضَ المآخذ، وسجَّل عليه بعض الملاحظات، التي لم يوافِق سيِّد عليها.

وكانت أهمُّ ملاحظاته هي:

١ ــ التصويرُ الفني ليس هو القاعدة العامة للتعبير القرآني، كما قرَّر سيِّد في الكتاب، بل هو أداةٌ واحدة من أدوات التعبير القرآني الكثيرة.

٢ ــ ذهب سيِّد إلى أنه باكتشافِه «التصوير» قاعدةً أساسيةً للتعبير القرآني، قد أدركَ سرَّ الإعجاز في التعبير القرآني. وخالفه «خلاَّف» وصرح بأن سرَّ الإعجاز لا يُدْرَك.

٣ ــ خالف «خلاَّفُ» سيد في الصلة بين القرآنِ والإيمانِ والعقل والوجدان، واتهم سيد بأنه لم يجعل موطن العقيدة والإيمان هو الوجدان. وأنه يُقصي الذهنَ والعقل، ويُلغي دورَهُما في التعامل مع الإيمان.

(١) انظر مقال خلاف الأول في: الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الأول. عدد ٦١٧. تاريخ ٣٠ أبريل ٤٥. صفحة: ٤٥٢.

وقد ردَّ سيِّد على ملاحظات خلَّاف الثلاثة، وعلى مؤاخذاتِه على الكتاب. ثم ردَّ خلَّاف على ردِّ سيِّد.

وكانت مقالاتُ خلَّاف خمسة، في الأعداد: «٦١٧، ٦٢٢، ٦٣٢، ٦٣٤، ٦٥٠» من مجلة الرسالة. بينما كانت مقالاتُ سيِّد في الرد عليه ثلاثة، في الأعداد: «٦٢٥، ٦٢٩، ٦٤٥» من مجلة الرسالة[1].

ومن الملاحَظ أن المعركة بين سيِّد قطب وعبد المنعم خلَّاف، كانت هادئة، على عكس معارك سيِّد الأُخرى الصّاخبة الحادَّة. كانت عباراتُ خلَّاف في انتقاد كتاب سيِّد «التصوير الفنِّي» موضوعيةً علمية جادة، وكانت عباراتُ سيِّد في الردِّ عليه من نفس المستوى.

ولهذا لم يسمِّها بعضُهم معركة، بل سمّاها «حواراً»، واعتبرَها «حواراً طيِّباً، لم يخرج عن نطاقِ المناقشة العلمية الجادة»[2].

وتدخَّل آخرون، إلى جانب سيِّد في الحوار، مثل أحمد الأمبابي الذي نشرَ مقالاً في العدد «٦٤١» من الرسالة، بعنوان «بين الأستاذيْن قطب وخلَّاف»[3].

ودخل إلى جانبِ سيِّد، خصمُه السابق في معركتِه ضدَّ الرافعيِّين، وهو الأستاذ علي الطنطاوي. ونشرَ مقالة في العدد «٦٤٨» من الرسالة، بعنوان «العقيدة بين العقل والعاطفة»، وسجَّلَ قبل العنوان أنه «على هامش المناظرة بين خلَّاف وقطب».

ومما جاء في وصف الطنطاوي للحوار العلمي بين المتناظريْن قولُه: «هذه هي المرةُ الثانية التي أتطفَّلُ فيها على مناظراتِ الأستاذ قطب. ولكن ليطمئِنَّ القراءُ، فما هي كالأُولى، ولا هي منها في شيء. وأنا في هذه المرة مؤيِّدٌ له، وقد كنتُ في الأولى عليه. وهذه مناظرةٌ هادئة باسمة، وقد كانتْ تلك معركةً صاخبةً مجلجلة، كالحةَ الوجه عابسة.

---

(١) انظر «سيِّد قطب»، للخباص: ٢٦٨ حاشية.

(٢) سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٨٧.

(٣) انظر مقال أحمد الأمبابي في الرسالة. عدد: ٦٤١. صفحات: ١١٣١ ــ ١١٣٢.

وأنـا أعـرفُ الآنَ الأستـاذَ قـطب، وكنتُ أتخيَّله تخيُّـلاً، والأستـاذُ خـلاَّف أخي حقيقـة. . فأنا لستُ إذنْ غريباً عن المتناظريْن»[1].

سابعاً: معركته مع إسماعيل مظهر عام ١٩٤٦م

كان إسماعيل مظهر في ذلك الوقتِ يرأسُ تحـريرَ مجلة «المقتـطف» المعروفـة. وسببُ المعركة بينه وبين سيِّد كتابُ «هٰذي هي الأغلال» لعبد الله عليّ القصيمي. وقد أيَّدَ الكتابَ ـ فورَ صدوره ـ الملحدونَ وأعداءُ الإسلام، وبعضُ الأدباء الآخرين الذين لم يفطنوا لخطر الكتاب، وهدفِ مؤلِّفه المُـريب. بينما هـاجَم الكتاب والمؤلِّف أنصـارُ الإسلام والأخلاق والفضائل.

والمؤلِّف هـو «عبد الله عليّ القصيمي» وُلِـدَ في منطقـة «بـريْـدة» ـ في القصيم بمنطقة نجد ـ عام ١٩٠٧م. ثم غادرَ نجد، واستقرَّ به المقام في القاهرة، وهناك صار ملحداً مع الملحدين، وأصدرَ عام ١٩٤٦م كتابَه الإلحاديّ الأول «هٰـذي هي الأغلال» ثم أصدر بعد حوالي عشرين عاماً ـ في عام ١٩٦٧م ـ كتابه الإلحادي الثـاني «العالَم ليس عقلاً» وبعده بسنتيْن ألَّفَ كتابيْن آخريْن «كبرياءُ التاريخ في مـأزق» و«هذا الكـون ما ضميرُه؟».

واختـارَ القصيمي أن يقفَ في صفِّ أعداء الإسـلام والقرآن، وأن يكـون ملحداً مع الملحدين، ورفيقاً للشيوعيِّين[2].

ولقـد أُعجبَ بكتابـه «هٰذي هي الأغـلال» الملحدون والمـادِّيُّون والعلمـانيُّـون، وأثنـوا عليه، وعملوا لـه دعايـةً وضجةً إعـلامية. وكـان ممن تبنَّـوا الكتـاب والكـاتب، إسمـاعيلُ مـظهر، حيث كتبَ في مجلة المقتـطف مقالاً يُشيـد فيه بـالكتـاب، واعتبَـرَه يساوي وزنَه ذهباً، واعتبرَ مؤلِّفَه القصيمي مفكِّراً حراً، يرتفعُ على جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده!

وكان ممن هاجم الكتابَ وصاحبَه الكاتبُ المؤمن «عبد المنعم خلاَّف».

---

(١) الرسالة. السنة الثالثة عشر. المجلد الثاني. عدد: ٦٤٨. تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٤٥م. صفحة: ١٣١٣.

(٢) انظر كتاب «دراسة عن القصيمي»، للدكتور صلاح الدين المنجد.

وهاجم الكتابَ وصاحبَه أيضاً سيِّد قطب، وكتبَ عنه مقالاً في مجلة «السوادي» ــ التي كان يصدرُها «محمد توفيق السوادي» ــ ووصَفَ عبد الله القصيمي بأنه يبدو في الكتاب «في هيئةِ «دون كيشوت» يطعنُ في الهواء، يحسبُ طواحينَ الهواء فرساناً، وزقاق الخمر قساوسة! ثم ينتهي في الْتواء إلى أنَّ هذه هي العقلية الدينية الإسلامية، فهي إذن عقليةٌ لا تصلحُ للحياة ولا لوراثةِ الأرض. بينما الأوروبيون يتَّبعون منطقَ الحياة، فهم إذن أَوْلى بوراثةِ الأرض من أصحاب العقلية الدينية. وإذن فما يحقُّ للشرقِ أن يثورَ على استعمار، ولا أن يحنقَ على مستعمرين!»[1].

ثم كتبَ سيد مقالاً في مجلةِ الرسالة، هو «من مفارقات التفكير: الأستاذ إسماعيل مظهر وكتابُ الأغلال». فنَّد فيه دعاياتِ القصيمي في كتابه، وبيَّن كيفَ أنه يَعتبر: الإسلامَ والإيمانَ والدينَ والقرآن والأخلاق أغلالاً: «إن العنصرَ الأخلاقيَّ يجبُ أن يُنْفىٰ من الحياة.. فكلُّ ما يُقالُ له روح وضمير وخلق ودين.. إنْ هو إلا «أغلال» ومعوِّقات وتعلّاتٌ فارغة لا تُجدي، والمعوَّل في الحياة على القوة المادية: قوةِ الصناعة والتجارة والمال»[2].

وبيَّن غفلَةَ إسماعيل مظهر في دفاعه عن ذلك الكتاب وصاحِبه، وأيَّدَ «عبد المنعم خلاف» في حملته على الكتاب وصاحبِه.

ثم نشرَ سيِّد مقالاً آخر في الرسالة «غفلة النقد في مصر» بيَّن فيه أن الضَّجَّةَ التي أُثيرتُ حول الكتاب وصاحِبه مفتعلة: «في تقديري أنَّ هذه الضجة، وذلك الانزلاق، فضيحةٌ أدبية لمصر، وقد تُؤخَذُ دليلاً على غفلة النقد فيها إلى حدٍّ مخجل».

وقرر أنه واثق «أن بعضَ الذين كتبوا عن كتاب الأغلال ما كانوا ليكتبوا، لو أنهم أوَّلاً قرأوا الكتابَ كله، ولم يكتفوا بتصفُّح فصوله»[3].

---

(١) الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٧٠٠. تاريخ ٢ ديسمبر ١٩٤٦م. صفحة: ١٣٢٦ ــ ١٣٢٧.

(٢) الرسالة ــ العدد السابق ــ صفحة: ١٣٢٧.

(٣) الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني: عدد: ٧٠٢. تاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٤٦م. صفحة ١٣٨٢ ــ ١٣٨٤.

ودعا سيِّد في مقال إلى ترْك الكتاب: «ضجةٌ فارغة حول كتابٍ مُريب، أمطرتْنا دورُ الدعاية بعشراتٍ مثلِه في أيام الحرب. دَعوه ليموت فإنه ميِّت. ولن تَنفخَ فيه الحياة؛ ضجةٌ مفتعلة تقوم على الخداع والإيهام».

وقد كتبَ إسماعيل مظهر ــ أو عبدُ الله القصيمي ــ كلمةً في مجلة «المقتطف» بتوقيع «مسلم حرّ» شتمَ فيها كلَّ الذين هاجموا الكتاب، وخصَّ سيِّد بشتيمة خاصة، حيث قال عنه «وثمةَ خصمٌ ثالث لهذا الكتاب. وهو رجلٌ يتعاطى صناعةَ الأدب الصناعي، ولكن مقاومتَه لهذا الكتاب، والأسلوبَ الذي اختاره للمقاومة، كانا برهانَيْن على براءَته من كل صلةٍ بالأدب بكلِّ معانيه ومبانيه».

وقد ردَّ سيِّد بكلمةٍ موجَزة على هذه الشتيمة الواطية التي وجَّهها له إسماعيل مظهر، قال فيها عن الكتاب «الكتابُ المريبُ قد انتهى. واسألْ يا مولانا مَنْ شئتَ مِنَ الناس، فتعلمَ صدقَ هذا الذي أقول. انتهى لا لأنني كتبتُ عنه كلمةً أو أكثر، ولكن لأنني «كشفتُ» فقط عن مدى «نظافته» وعن جراثيمِ الفناء فيه».

ووجَّه لإسماعيل مظهر كلمةً قال فيها: «أمّا أنتَ يا أستاذُ مظهر ــ وأنا أسمِّيك باسمِك ولقبِك، ولا أشيرُ إليك كما أشرتَ إليّ، لأن الأدبَ الواجب يحتِّم على الناس المؤدَّبين ذلك ــ أما أنتَ فأنا شديدُ الرثاء لك.

إنني أعلمُ تلك العقدةَ النفسيةَ التي توجِّهك. إنها عقدةُ الفشل، الفشلُ في كل مشروع هَمَمْتَ به، وأنتَ تعزو إلى رجالِ الدين تبعةَ هذا الفشل في حياتك. فكلُّ شتْمٍ للدين ورجاله يُغَذِّي هذه العقدة فيك. فلا تسأل بعدها إنْ كانَ نظيفاً أو غيرَ نظيف، مُحِقاً أو غيرَ مُحِق. ومن هنا تعصُّبُك لكاتبٍ مريب وكتاب غير نظيف، وأنت في هذا تستحق المرثيَّة، فالكتابُ لا يحاربُ الدين وحدَه، ولكنه يَنْعىٰ على كل خلقٍ نظيف، ويسمي الضميرَ والخلقَ والمروءة وما إليها «أغلالاً»: . . . فاللَّهُ يرحمك ويرحم المقتطف. والسلام»[1].

---

(١) مجلة الرسالة. السنة الخامسة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٧٠٨. تاريخ ٢٥ يناير ١٩٤٧م. صفحة: ١٢٧.

ثامناً: معركته مع شيوخ الأدباء عام ١٩٤٧م

ختمَ سيِّد قطب معاركهُ الأدبيـة، بمعركـةٍ عنيفة، شنَّهـا على «شيوخ الأدبـاء» في مصر. وهم الأدباءُ والشعراءُ والكتّاب الكبـار، ومنهـم شيخُه وأستـاذُهُ السابق العقـاد. ومنهم الـدكتور طـه حسين، وتـوفيق الحكيم، ومحمـد حسين هيكـل، وأحمـد أمين، وغيرهم.

وسببُ هذه المعركة، مقالٌ نشره الدكتور طه حسين في مجلة الهلال الصادرة في شهر يونيو ــ حزيران ــ عام ١٩٤٧م، بعنوان «كما أنت.. أيها الصديق»:

كـان طه حسين في مقـاله يخـاطبُ «الأدباءَ الشبـان» ويتهمهم بـأنهم ينـافسـون «الأدبـاء الشيوخ» ويـزاحمـونهم على مكـانتهم الأدبيـة، وأنهم يفعلون ذلـك رغبـةً في الحصـول على الأموال والمتـاع، وطالَبهم أن يبقى كـلٌّ منهم في مكانـه، وألّا يحاول منافسةَ أساتذتِه الأدباءِ الرواد.

وقد أوردَ سيِّد عبـارات لطـه حسين في تعليله لتلك المنـافسة بين الجيلين منهـا قولُ طه: «أَليسَ من الممكن أن يكونَ الشيءُ الذي ينفُسه الشبابُ على الشيوخ، ليس هـو الأدبَ أو العلمَ أو الفن؟ وإنمـا هـو مـا قـد ينتجـهُ الأدب والعلم والفن، من إقبـالِ النـاس على الشيوخ، أكثـرَ مما يقبلون على الشبـاب. وإذن فالأمـرُ ينتهي إلى ازدحامٍ حول أغراض الحياةِ الباطلة، وأغراضِها المادية الزهيدة، حـولَ الشهرة وبُعْـدِ الصيت، وما قد تتيحُ الشهرةُ وبعـدُ الصيت من مالٍ قليـل أو كثير، حـولَ غرور الـدنيا وزخـرفِ الحياة. فيا لها من غايةٍ هيِّنة رخيصة، لا ينبغي أن يكونَ حـولَها ازدحـام، ولا أن يكون إليها تدافُع، ولا أن تتقطَّع من أجلها الأَعناق، ولا أن تتمزَّق في سبيلها القلوب...

ومن حقِّ الشباب على الشيوخ أن يؤدِّبوهم بما ينبغي أن يؤدِّب المجرِّبون بـه مَنْ لا حَظَّ لهم من تجربة، وأن يعلِّموهم أنَّ الشهرةَ لا تُكتسب لأنـك تريـدُ اكتسابَهـا، وأن المالَ لا ينبغي أن يُؤْخَذ بغير حقه، فذلك هو الغصْب، وأنَّ غُرور الدنيا وزخرفَ الحياة باطل لا معنى للتهالكِ عليه والتنافسِ فيه، وأنَّ الرجـلَ الكريم خليقٌ أن يعمـل ويعمل ويشقَّ على نفسه.

فالعملُ وحده هو الذي يستطيعُ أن يُرضيَ القلب الذكي، ويُقنع النفسَ الكبيـرة،

وهنالك تَسعى الشهرةُ إلى العاملين، وهم أشدُّ ما يكونون زهداً فيها، وإعـراضاً عنهـا، ويسعى المالُ إلى العاملين، وهم أشدُّ ما يكونون ابتذالاً له، وزُهداً فيه. . . إلخ»[1].

وقـد أثارتْ هـذه التحـليـلات أو الاتهـامات ــ التي وجَّههـا طه حسين لـلأدبـاء الشبان ــ سيِّد قطب، باعتبارِه في طليعة هؤلاء، ولـذلك اعتبَـرَها اتهـاماتٍ مـوجهةً لـه ولزملائِه الشبان. اعتبر سيِّد قطب أن طه حسين ممثلٌ للأدباء الشيوخ في اتهـامِ الشبان بها، وأنّه ناطقٌ باسمهم في ذلك، ولذلك اعتبَرَهم قائلين بها، معتنقين لها!

ولذلك رآها سيِّد فرصةً مناسبة ليخوض معركـةً ضد شيـوخ الأدب، ويشنَّ حربـاً عنيفةً حادة عليهم.

فكتبَ مقـالاً في مجلةِ «العـالَم العـربـي» ــ التي كـان يشـرفُ عليهـا ويـرأسُ تحريرَهـا ــ في عددهـا الرابـع الصادر ــ في شعبـان ١٣٦٦هـ الموافق لشهـر يـوليـو: تمـوز ١٩٤٧مـ ـ. جعلَ عنـوانه: «بـدءُ المعركـة: الضميـر الأدبـي في مصـر: شبـان وشيوخ».

وكان سيِّد في هذا المقال عنيفاً جدّاً، وحادّاً جداً، وصريحاً جـدّاً!! وقد أحـدثَ مقـالُه دويّـاً هائـلاً، وضجةً كبيـرة بين الأدبـاء الشيـوخ والأدبـاء الشبـان، وفي مختلفِ الأوساط الأدبية في مصر والعالَم العربـي، كما امتدَّ دويُّه وأثـره إلى الأوساطِ الغـربية، التي كانت ترصدُ حركةَ الأدب والفكر في مصر في ذلك الوقت.

فعندما كان سيِّد في أمريكا، بعثَ منهـا رسالـةً إلى صديقـه الناقـد الأدبـي «أنور المعدّاوي» عام ١٩٥٠م، وكان مما قـال له فيهـا: «بهذه المنـاسبة، أَتـذْكُر مقـالَ «بدء المعـركـة بين الشيـوخ والشبـان» في «العـالَم العـربـي»؟ كتبَ إليَّ أستـاذٌ في جـامعـة «هـاليفاكس» بكنـدا في هذه الأيـام، يستأذنُ في تـرجمته للّغـة الإنجليزيـة، لِيُنشـر في أمريكا. فأجبتُه بالموافقة!»[2].

---

(١) انـظر مجلة «العالَم العـربـي». المجلد الأول. العدد الـرابـع. تـاريـخ ٢١ شعبـان ١٣٦٦هـ. صفحة: ٥٢.

(٢) مجلة الكتاب. السنة الخامسة عشرة. عدد: ١٧٣. تاريخ أغسطس ١٩٧٥م. صفحة: ٢٩.

بيَّن سيِّد في مقاله الصاخب ــ أو قنبلته المدوّية ــ أنه لم يستجب لدعواتٍ سابقة لبدءِ المعركة ــ أو لخوض المعركة ــ بين الأدباء الشبان والأدباء الشيوخ. كما ذكرَ اعتراضَه على تقسيمِ الأدب لأدب شبان وأدب شيوخ، لأن الأدب في مفهومه أدب، والخلافُ بين الشبان والشيوخ خلافٌ شخصي بين أشخاص. والأشخاصُ في عالَم الفكر وسائلُ وأدوات!

ثم جدَّتْ أسبابٌ موضوعية، دعتْهُ لإعلانِ الحرب على الأدباء الشيوخ، ولذلك بدأها في مقاله المذكور.

قال: «ولكن هذه السنوات العشرَ الأخيرة ــ وعلى وجه التحديد سنوات هذه الحربِ الأخيرة ــ قد بدَّلت الموقفَ تبديلاً. لم تَعُد المسألة مسألةَ أشخاص لا تُقدِّم ولا تُؤخِّر، بل انتهتْ إلى أن تكون مسألةَ مبادىء واتجاهات. بل مسألةَ ذمم وضمائر. تتناول جوهرَ القضايا الوطنية والاجتماعية والإنسانية كذلك.

افترقتْ طريقُ الشيوخ وطريقُ الشبان افتراقاً، لا علاقةَ له بالأشخاص، إنما علاقتُه بالنظْرة إلى الضميرِ الأدبي، وإلى الوطن والمجتمع والإنسانية، فهو خلافٌ على الصميم، والأشخاصُ فيه مجردُ رموز.

ومع هذا كلّه، فقد كنتُ أستبقي المعركة ــ على علمي بأنها آتيةٌ لا ريبَ فيها ــ أَستبقيها توقيراً لأساتذةِ الجيل ــ مهما يكن من انحرافهم الواضح في السنوات الأخيرة ــ وأستبقيها للمودة التي تربطُ الجيليْنِ، لولا أن الأستاذَ الكبير الدكتور طه حسين بك قد تعجل المعركةَ على صفحات مجلة الهلال.

واللّهُ يعلمُ كم يعزُّ عليَّ أن أواجهَ الأستاذ الدكتور ــ وأن أواجه معه أساتذَتَنا الشيوخَ ــ بغير ما يودُّ، ويودّون، ولكنها الحقيقةُ الواقعة، التي لم يعُدْ هناك مجال لإخفائِها أو المغالطة فيها!!

إن هذا الجيلَ من الشيوخ قد تخلّى عن أمانته. لا لذلك الجيل من الشبانِ فحسب، ولكن للوطن، وللمجتمع، وللإنسانية، وأخيراً للضميرِ الأدبي كله.

وإنها لتهمةٌ غليظة، وإنني لأكرهُ الناس لإطلاقِها، وإنني لأشدُّ جيل الشباب توقيراً لجيل الشيوخ. ولكنها الحقيقةُ القاسية، التي لا يُغني فيها التحرجُ ولا التوقير!

وتلك هي حقيقةُ الخلافِ بين الجيليْن، يا سيِّدي الدكتور. .

لا يقولُ الشباب للشيوخ: افسحوا لنا الطريق إلى الأدب والعلم والفن، ولا ينفُسون عليهم الشهرةَ ولا المال ولا الجاه، كما اعتقدتَ يا أستاذي. .

ولكنهم يقولون لهم:

١ ــ لقد تخلَّيتُمْ عن الأمانةِ التي وضعْناها في أعناقكم، والتي وضعَها في أعناقكم الوطنُ والمجتمع والإنسانية، وذلك بحكم سنكم وشهرتِكم وأستاذيتكم!

٢ ــ لقد شبَّت الحربُ الثانية، وكانت لدينا فيها قضايا وطنيةٌ وقوميةٌ معلَّقة، ولكنكم بدلَ أن تُبصِّرونا بقضايانا، انصرفتم إلى الدعايةِ لقضية المستعمرين في الإذاعة والصحف والكتب ــ ولم يبقَ منكم أحد لم يَشْترك في هذا الإثم والخطأ ــ لأن الذهبَ كان يسيلُ من المستعمرين في جيوبكم سيْلاً. فآثرْتُم لذائذَكم الخاصة، وتخليتُم عن الواجب الوطنيِّ والقوميِّ في أحرج الظروف!

٣ ــ بعدما وضعت الحربُ الثانية أوزارَها، ونهضت الشعوبُ العربية في كل مكان لتحاربَ المستعمر وتطالِبَ بحقِّها، وجدَتْكُم في المؤخَّرة لا في المقدمة، وجدَتْكُم في أوكارِ الحزبية، لا في الميدانِ القومي، والأحزابُ في مصر شاختْ وأَسِنَتْ وأَنْتَنَتْ، ولكنكم نطقتُم بلسانها، وكنتم أبواقَها، وتقلَّب بعضكم بين عهد وعهد في الرأي والاتجاه تقلُّبَ الأُجَراء.

٤ ــ في مصرَ ظلمٌ اجتماعي صارخ، فيها أناسٌ بمرتبة الحيوان والعبيد، بل فيها أناسٌ لم يصِلوا إلى مرتبة الحيوان والعبيد. وأنتم قادةُ الفكر وحَمَلةُ الأمانة، فهيّا ناضِلوا لتحقيق العدالةِ الاجتماعية، لأنها حاجةٌ نفسية وحاجةٌ إنسانية.

فماذا صنعتم ياسيِّدي؟ قلةٌ منكم استجابتْ في تخاذُلٍ لهذا، وكثرةٌ منكم أصمَّتْ أُذُنَيْها عن كل هُتاف. وبعضكم يا سيِّدي راحَ يُصاب بتشنُّجات هستيريَّة مضحِكة، كلّما ارتفع صوتٌ يطالبُ بالعدالةِ الاجتماعية! هذا البعضُ يرتعشُ رعشاتٍ هستيرية من «الشيوعية»! ونحن معه نكْرَه الشيوعية. . . ولكنا مع ذلك نطلبُ «العدالةَ الاجتماعية» لأنها حاجةٌ روحية وإنسانية.

إن كثرتَكُم تندفعُ وراءَ أرستقراطيةٍ مصطَنَعة، تتظاهَرُ بها، ووراء رخاءٍ مادي، ينالُه مِنْ ذوي السلطان والثراء، ووراءَ راحةٍ مسترخية لذيذة، تطلبُ شهوات اليوم، ولا تحفلُ بالملايين من الجياعِ العراةِ المناكيد!

٥ ــ لقد حمَلْنا لكم في أنفسنا شعورَ التوقير والتكريم، حينما كنتم تواعدونَنا فنلقاكم في صحفٍ كريمة نظيفة.

ولكنكم في سنوات الحرب، وبعدَ سنوات الحرب، رحتُم تواعدوننا في مواخير. هجرتم صحفَكم الأدبيةَ العلمية النظيفة، ورضيتُم صُحُفاً أخرى.. وواعدتمونا هناك، حيث لقيناكم، وبجواركم الأفخاذُ العارية، والموضوعات القذرة، والغرائز المنحلَّة:

فريقٌ منكم ــ وهو القليل ــ نذهبُ إلى موعده، فنجده صاحياً في وسْط المخمورين، ويُلقي دروسَه الجادَّة بين المخمورين المعربِدين.

والكثيرُ منكم، نذهبُ إلى موعده، فإذا هو مخمورٌ مع المخمورين، معربدٌ مع المعربدين. يتحدَّثُ بلغة الماخور الذي استأْجَره، وينزلُ إلى لهجته في الحديث، وإيماءِته في الإِلقاء!!

لماذا تفعلونَ هذا؟ ألأنكم مضطَرُّون للعيش؟ كلاّ. فالصحفُ النظيفة العفيفة كانت ترزقكم رزقاً معقولاً، والكتبُ القيمة الطريفة كانت تكفلُ لكم الحياةَ الكريمة. ولكنه الترفُ الرخيص، واللذةُ الشهية، والرخاوةُ المترهِّلة، التي تستعبدكم للمواخيرِ وأصحاب المواخير!

٦ ــ إننا لم نجدْ عندكُمُ الضميرَ الأدبي، الذي كنا نتخيلُه في الأساتذة الموقَّرين. فأنتم لا تحاولِون أن تُبرزوا على المسرح إلا أذيالَكم وبطانتَكم، والذين يؤدّون لبعضكم خدماتٍ شخصية قد لا يؤديها الرجلُ الشريف!... وإننا معذورون إذا شكَكْنا في شهادتِكم لبعض الناس، وفي إغفالِكم لبعض الناس!

وإننا سننصرفُ عن أحكامكم، فلا نحترمُها، لأننا نعلم ما وراءَها من خبيء! وإننا سنرى آراءً مستقلةً لنا في الحكم على الأشخاص والأعمال؟

تلكَ يا سيّدي خلاصةٌ مختَصَرة لحقيقةِ الخلافِ بين الشبان والشيوخ. عرضتُها

عـرْضاً سـريعاً خـاطفاً، غُفْـلاً من الأسماء والأشخـاص، لأنَّ القضيةَ أكبـرُ من الأسماء والأشخاص!

ومعـذرةً يا سيِّـدي الدكتـور، عما يكـون قد أفلتَ من قلمي من عبـارةٍ قـاسيـة، أو كلمةٍ غليظة. فاللّهُ يعلمُ كم جاهدْتُ نفسي، لأَعرض القضيـةَ هذا العـرضَ الهادىءَ البريء!!»[1].

لقـد آثَرْنـا أن ننقلَ معـظمَ مقال سيِّـد في مهاجمته لشيـوخ الأدب ــ مـع تصـرف واختصـار ــ باعتبـاره «وثيقةَ» إدانـة، و «بُنودَ» اتهـام ستة، من سيِّـد إلى شيوخ الأدب. وباعتباره يمثلُ النظرةَ الأخيرة لسيِّد إلى هؤلاء الأساتذة، من أمثـال طه حسين والمـازني والحكيم والعقاد وتيمور وغيرهم.

والملاحَظُ أنه صار ينظرُ لهم بمنظار الإسلام أوَّلاً، فلاحَظَ مدى قُربِهم أو بُعْدِهم عنه، وبمنظارِ الوطنية، فلاحَظَ مدى خدمتهم للوطن، وبالمنظارِ الاجتماعي والأخـلاقي فلاحَظَ مدى التزامِهم بالمعايير اللازمة لذلك.

لقـد أنهى سيِّد حيـاتـه الأدبيـة، وقـد وظَّفَ الأدبَ في خـدمـة الـدين والإسـلام والأخلاق والمجتمع والوطن والحياة، ولـذلك نـظر للأدبـاء على هديـه، وفاصَلَهُمْ على أساسه، فلا عجبَ أن تنقطعَ صلتُه بمعظم أولئك الأدباء، المُغايرين لاتجاهه الجديد!!

وقفة مع أنور الجندي في تأريخه للمعارك الأدبية

نصَّبَ «أنورُ الجندي» نفسَه مؤرِّخاً للمسيرةِ الأدبيةِ والنقـدية في مصـر في العصر الحديث، وجعلَ من نفسـه محلِّلاً ومعرِّفـاً للتيارات الأدبيـة الموجـودة، ومعرِّفـاً بأشهـرِ رجالاتِ الأدب والنقد. وأظهرَ نفسَه راصداً للمعارك الأدبية، التي دارتْ على صفحاتِ الصحف والمجلات في تلك الفترة.

ولدى مراجعةِ ما كتبَ «أنـور الجندي» عن المسـاجلاتِ والمعـارك الأدبية، التي

(١) مجلة «العـالَم العربـي». المجلد الأول. العـدد الـرابـع. شعبـان ١٣٦٦ وفق يـوليـو ١٩٤٧م. صفحات: ٥٢ ــ ٥٤. بتصرف واختصار.

خاضَها سيِّد قطب، أو شارك فيها ــ وقد عرَفنا الآن دوره فيها ــ فإننا نجدُ الجنديَّ يتعمَّدُ عدمَ ذِكْرِ سيِّد قطب!! بل كانَ ــ عندما يضطر إلى ذكرِ اسمِه والإشارةِ إلى دوره، وإيرادِ كلامه ــ يقول: «وكتبَ محررٌ في مجلة الرسالة»، و«وكتب محرر في مجلة دار العلوم»!!

في كتاب الجندي «المساجلاتُ والمعاركُ الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة» تعمَّدَ إغفالَ اسمِ سيِّد قطب، فلما تحدثَ عن المعركة التي دارتْ بين سيِّد قطب وبين الدكتور محمد مندور حولَ «الأدب المهموس والأدب الصادق» ونقلَ فقراتٍ طويلةً من مقالات كلٍّ منهما، قال عن سيِّد: «وتصدَّى له [أي للدكتور مندور] محررٌ في الرسالة، عُرِفَ باشْتِغالِه بالنقد الأدبي، وله جولاتٌ في نقدِ أدبِ الرافعي ومناصرةِ أدب العقاد، وهو من خرِّيجي دار العلوم...»[1].

وكنتُ أظنُّ أنَّ عدمَ ذكر الجندي لاسم سيِّد قطب، هو لخشيتِه من الحكومة المصرية، أنْ تناله بمكروه، بسببِ محنةِ سيِّد واستشهاده، ومحاربتِها لاسمه وفكره ونتاجه وكتبه!

ولكنّ هذا الظن زال، لأن الجنديَّ أصدرَ كُتُباً في أواسط السبعينيّات ــ بعدما انتهى الحظْرُ الحكوميُّ الرسميُّ في مصر على سيِّد قطب، وبعدما صارَ الناس يتحدثون عن سيِّد وفكرِه وحياتِه بصراحة ــ استمرَّ على إغفالِه المتعمَّد لاسم سيِّد، والتقليلِ من دوره في المسيرة الأدبية.

وعندما كان يضطرُّ للحديث عن معارك سيِّد الأدبية، أو آرائه في الأدب والنقد، كان يشيرُ إشارةً مقتضَبة، دون ذكر اسمه!

ففي عام ١٩٧٥م أصدرتْ له دارُ الاعتصام بمصر كتابَه: «خصائصُ الأدب العربي في مواجهة نظرياتِ النقد الأدبي الحديث». وفيه مواضع من هذا الإغفال، نكتفي فيها بهذه النماذج:

١ ــ أثناءَ كلامه عن طريقة التعبير القرآني التي تعتمد على التصوير، أوردَ فقرةً لسيِّد

---

(١) المساجلات والمعارك الأدبية لأنور الجندي: ١٥١.

قطب دعا فيها إلى احتذاءِ طريقة القرآن المذكورة، وجعَلَها بين قوسين. وقدَّم لها بقوله: «يقولُ أحد الباحثين» يعني سيِّد قطب!! وفي نفس الصفحة، أشارَ إلى الخِلافِ بين سيِّد قطب وعبد المنعم خلّاف، وذكَرَ رأيَ خلّاف في إدراك سر الإعجاز، ومعارضتَه لسيِّد في ذلك ــ وقد أشرنا له من قبل ــ وقال في الهامش: «راجعْ عبد المنعم خلّاف في مناقشةٍ مع آخرين ١٩٤٤م الرسالة»[١]. والآخَرون هم سيِّد قطب فقط!!

٢ ــ في كلامه عن أسلوب القرآن، وأنهُ ليسَ نثراً ولا شعراً، أورد فقرةً لسيِّد قطب من كتابه «التصوير الفني في القرآن» وقدَّم لها بقوله: «ويقرر بعضُ الباحثين»[٢]!!

٣ ــ ولمّا تحدَّث عن المعركة بين سيِّد قطب ومحمد مندور عن الهمس في الأدب، أوردَ خلاصةً لرأي كلٍّ من سيِّد ومندور، وقال في الهامش مشيراً إلى التوثيق العلمي: «بتصرُّفٍ وحَذْفٍ عن أصولِ المعركة الأدبية التي دارت بين الدكتور مندور وأحد محرِّري الرسالة في يونيو ــ يوليو ١٩٤٣م»[٣]!!

* * *

نكتفي بهذه النماذجِ من كتاب الجندي، ونقفُ لنتساءل: لماذا يرفضُ الجنديُّ ذكْرَ اسم سيِّد قطب عام ١٩٧٥م، بينما يفاخرُ بذكرِ اسمِهِ أدباءُ آخَرون ــ ولو من غير الإسلاميين ــ؟ وطالَما أن المانع من ذلك ليسَ الخوف من الحكومة، فهل هو لأسبابٍ خاصة عنده؟ هل هناك شيءٌ في نفس الجندي ضد سيِّد يحملُه على كراهيةِ كتابة اسمه؟ لا نريد أن ندخلَ إلى نفسه، وندَّعي ذكرَ أشياء عنده، الله أعلم بها! ولكننا نقول: إن هذا التصرفَ منه يتنافى مع الموضوعيةِ والنزاهة الضروريتيْن لكل مؤرِّخ وراصد، ولو مِنْ غير المسلمين!!

ولعلَّ الجنديَّ يسعِفُنا ــ هو أو أحدُ المعجَبين به ــ بجوابٍ مقبول، وتعليلٍ مقنع!!

* * *

(١) خصائص الأدب العربي لأنور الجندي: ١٥٦.
(٢) المرجع السابق: ١٥٨.
(٣) المرجع السابق: ٣٥١.

(٨)

إيفاد سيِّد قطب إلى أمريكا

خصّصْتُ كتاباً خاصّاً لإيفاد سيِّد قطب إلى أمريكا، وبعضِ ما جرى له فيها، وتقويمِه لها، ووزنِه لها بميزانِ القيم الإنسانية، وأوردْتُ فيه كلَّ ما وصل إلى علمي من رواياتٍ وأخبار حول ذلك، وما وقع تحت يديّ من كلامٍ له عن أمريكا. إنه كتاب «أمريكا من الداخل بمنظار سيِّد قطب»، الذي صدرتْ طبعتُه الأولى عام ١٩٨٥م، وقد لقي الكتاب رواجاً وانتشاراً في أوساط القرّاء والمثقفين، حيث طُبع أكثرَ من خمس طبعات في أربع سنوات ــ والحمد لله على نِعَمه وأَفضاله ــ.

وسأنتقي من الكتاب المذكور خلاصةً موجزةً للروايات والأخبار عن ذهابِ سيِّد إلى أمريكا، ونشاطِه فيها، وتقويمِه لها، وهجومِه عليها، وكتابتِه عنها. وأُورِدُها بغايةِ الإيجاز، وأحيلُ القراءَ ــ الراغبين في التفصيل والتوسّع ــ على الكتاب المذكور.

نشاط سيِّد قبيل إيفاده إلى أمريكا

كان سيِّد بعد منتصفِ الأربعينيّات قد اتجهَ اتجاهاً جادّاً صادقاً سريعاً نحو الإسلام والدعوة إليه، كما كان له اهتمامٌ بالقضايا السياسية والاجتماعية والوطنية، التي تعيشها مصرُ وشعبُها، ووظَّف أسلوبَه الأدبيَّ لمعالجة تلك القضايا، أي: إنه انتقلَ بالأدب من مرحلةِ «الأدب للأدب» إلى مرحلةِ «الأدب لخدمة الحياة والعقيدة».

وكانت مصرُ ــ بعد الحرب الثانية ــ تعيشُ قضايا ومشكلات، وتُعاني مآزقَ وأزمات، على كافة الأصعدةِ والمستويات. ولاحظَ سيِّد ما يعانيه الناس، ونظرَ في أساس الداء ومصدر البلاء، فوجدَه في الاستعمار الإنجليزي الذي يجثُم على البلاد، ثم في أدواتِه وأعوانه في البلاد، مثلِ القصر والحكومة والأحزاب والإقطاع وكبار

التجارِ، وأصحاب الدعوات الباطلة، وأعداء الأخلاق والفضائل. فصبَّ هجومَه على أولئك، وشنَّ عليهم حرباً عنيفة حادة!

واستخدمَ الصحفَ والمجلات لنشْرِ مقالاته الإصلاحيةِ الحادّة العنيفة. من مثل «الرسالة» و «الثقافة»، وعملَ على إصدار مجلات خاصة، مثل «العالم العربي» ثم «الفكر الجديد» التي كانت مقالاتُه فيها في غاية الحدّة والجرأة والصراحة. !

وقد ضاقت الحكومةُ والقصرُ به، فأغلقوا مجلتَه «الفكر الجديد» بعد أقل من أربعةِ أشهر من صدورها.

ولم يجد القصرُ حجةً قانونيةً لاعتقاله، لأنه كان للقانون في ذلك الوقت نوعٌ من الاعتبار، وكان سيِّد يصوغ عباراته بحيث لا يُؤْخَذ عليه مأخذ قانوني.

وكانت تربط سيِّد برئيس الوزراء في ذلك الوقت «محمود فهمي النقراشي» صلة قديمة، فعمل النقراشي على ترتيبِ بعثةٍ له إلى أمريكا.

لقد كان إيفادُه إلى أمريكا بهدفِ التخلُّص منه، واتقاءِ مقالاته، ونشاطِه الإصلاحي المزعج لهم.

التقتْ على هذا الهدف رغباتُ الأطرافِ الثلاثة: القصرُ والحكومةُ ورؤساؤه في وزارة المعارف، فكان أن رُتِّبَ سفرُه إليها[1].

حقيقةُ مهمته في أمريكا

التبسَ على كثيرين حقيقةُ بعثته إلى أمريكا، فظنَّهُ بعضُهم مبعوثاً للحصولِ على الماجستير، وظنَّه آخرون مبعوثاً للحصول على الدكتوراة، وزعمَ الشيوعيون أن أمريكا أرادتْ أن تُكرِمه لمحاربته العنيفة للاشتراكية والشيوعية، فعادَ منها ــ في زعمهم ــ عميلاً من عملائها، داعيةً لها، محارباً للاشتراكية والوطنية!!![2].

لم تكن لبعثته هناك مهمةٌ محددة، لأن المهمَّ هو إخراجُه من البلد، وبما أنه

(١) أمريكا من الداخل: ١٥ ــ ١٨.
(٢) المرجع السابق: ٢٩.

كان يعملُ في التفتيش الفني في وزارة المعارف، فقد رتَّبوا له ما يتَّفق مع هذا العمل ـ في الظاهر ـ. فطلبوا منه الاطلاعَ على مناهج ونظم التعليم في أمريكا، باعتبارِه خبيراً في المناهج، ومتخصِّصاً في البرامج، وباحِثاً في الأساليب.

ولم يكن مقيَّداً هناك بجامعةٍ معينة، أو موادَّ نظرية خاصة للدراسة، أو زمنٍ معيَّن. وتُرِكتْ له الحريةُ في مجال الدراسة وميدانِها وتخصُّصها وزمانها ومكانها.

ولما وصل سيِّد إلى أمريكا أمضى شهوراً في دراسةِ اللغة الإنجليزية ـ لأنه لم يدرسْها دراسةً أكاديمية في كلية دار العلوم ـ ولما أتقنَ اللغةَ الإنجليزية صار يقومُ بجولاتٍ ميدانية على الجامعات والمعاهد والمدارس، بهدف الاطلاعِ على مناهجِها ونظُمها التعليمية، والتعرُّفِ على برامجِ وأساليبِ التدريس فيها.

وشملتْ جولتُه عدةَ ولايات، حيث زار مدناً مختلفة، مثل: نيويورك، وجريلي ودنفر، وسان فرنسيسكو[1].

في طريقه إلى أمريكا

كان سيِّد في مصر حتى شهر أغسطس ـ آب ـ ١٩٤٨م، حيث أنقذ زميلَه «عباس خضر» من مشكلةٍ في قسْم شرطةِ «حلوان»، قال عباس عنها: «ولا أنسى ليلةً قضيتُها في قسم «البوليس» بحلوان، إذ اشتبهَ فيَّ رجلٌ غبي، وكنتُ في منطقة «عين حلوان» أتنزَّه، فلما رآني هناك ليلاً أمسك بي، متَّهماً إيّايَ بوضْع قنبلة عند العين لنسْفِ مبناها. وعلى هذا الافتراض، فأنا عميلٌ صهيوني.. وكان ذلك عقبَ قيامِ إسرائيل.

قال لي ضابطُ الشرطة «النّوبَتْجي» في القسم: أَتعرفُ أحداً بحلوان يضمَنُك؟ قلت: نعم. وأمليتُ عنوانَ سيِّد قطب ـ وكان لا يزال مأموناً موثوقاً به عندَ السلطات ـ.. وجاء الصديق المنجد.. جاء لابساً معطفاً فوق «البيجامة» وبقدميْه «شبشب» لم يلبَثْ حتى يستبدلَ به حذاء.. وعرَفَ الموضوعَ من رجل الشرطة الذي

(١) المرجع السابق: ١٩ ـ ٢٠.

استدعاه، فلما دخل ورآني، أشار إليَّ ضاحكاً وهو يقول للضابط: إنه صهيوني لا تَدَعوهُ يَفلت!

وخرجتُ من القسم، ناجياً من النوم على «البرش» في الساعة الثانيةِ بعد منتصفِ الليل. وكتبتُ على إثْرِ ذلك كلمة في «الرسالة» بعنوان «الأدب والفن في قسم حلوان»، ومما يُذْكَر أن الضابطَ كتب في المحضر: وبتفتيشه عُثِرَ في جيبِه على شعْر ومقالات»[1].

سافر سيِّد إلى أميركا في ١٩٤٨/١١/٣م[2]. وكان سفرُه على ظهر باخرة من الإسكندرية إلى نيويورك.

وهناك على ظهرِ الباخرة جَرَتْ له عدةُ حوادث، أشار إلى بعضها:

١ ــ تذكُّرُهُ نعمةَ الله عليه وعلى الناسِ في تسخير البحر للناس، وتقديرِه للفلك تجري فيه: «ما أحسْستُ ما في هذِه اللفتةِ من عمق، قدْرَ ما أحسستُ ونقطةٌ صغيرة في خضمِّ المحيط، تحملنا وتَجري بنا، والموجُ المتلاطم والزرقةُ المطلقة من حولنا، والفُلكُ سابحةٌ متناثرةٌ هنا وهناك.. ولا شيءَ إلّا قدرةُ الله، وإلّا رعايةُ الله، وإلّا قانونُ الكون الذي جعله الله، يحمل تلك النقطةَ الصغيرة على ثَبَجِ الأمواج وخِضمِّها الرهيب».

٢ ــ وقفَ في ليلةٍ صافية مقمرة متفكّراً متأملاً، مما زادَ من إيمانه ويقينه بالله: «.. أحسستُ هذه الموسيقى العلوية الشاملة.. موسيقى الوجود. مرةً وأنا في عرْض المحيط، والباخرةُ تمرُّ، مَرَّ الريح على وجْه الخضمّ، والنسيمُ رخاء، والليلُ ساكن، والقمرُ مفضفضُ اللألاء..».

٣ ــ في ظلال هذه الحالة الإيمانية، راح يخاطبُ نفسه: «أأذهبُ إلى أمريكا، وأسيرُ فيها سَيْرَ المبتَعَثين العاديِّين، الذين يكتفون بالأكل والنوم، أم لا بدَّ من التميز بسمات معينة؟ وهل غيرُ الإسلام، والتمسك بآدابه والالتزام بمناهجه في الحياة، وسط

---

(١) المرجع السابق: ٢٠ ــ ٢١.

(٢) سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٤٠ نقلاً عن ملف سيِّد في وزارة المعارف

المعمعان المتْرَف، المزوَّد بكل وسائل الشهوة واللذة والحرام؟ وأردتُ أن أكونَ الرجلَ الثاني . . . »[1].

٤ ــ بعدما قرَّر اختيارَ الالتزامِ بالإسلام والدعوةِ إليه في أمريكا، وُجِّهَتْ له فتنةٌ من إحدى الأمريكيات على ظهر الباخرة، فأعانه الله في الاستعلاء عليها. وحولَها يقول: وأردتُ أن أكونَ الرجلَ الثاني ــ المسلم الملتزم ــ وأرادَ الله أن يمتحنَني: هل أنا صادقٌ فيما اتجهتُ إليه أم هو مجرَّدُ خاطرة؟

فما أَنْ دخلتُ الغرفة، حتى كانَ الباب يُقرَع، وفتحْتُ، فإذا أنا بفتاةٍ هيفاء جميلة، فارعةِ الطول، شبهِ عارية، يبدو من مفاتِن جسمها كلُّ ما يُغري. وبدأتني بالإنجليزية: هل يسمحُ لي سيّدي بأن أكونَ ضيفةً عليه هذه الليلة؟ فاعتذرتُ بأن الغرفة معدَّةٌ لسريرٍ واحد، وكذا السريرُ لشخص واحد! فقالَتْ: وكثيراً ما يتَّسع السرير الواحد لشخصيْن!! واضطررْتُ أمامَ وقاحتِها، ومحاولةِ الدخولِ عنوة، لأنْ أدفعَ البابَ في وجهها، لتصبحَ خارجَ الغرفة، وسمعتُ ارتطامها بالأرضِ الخشبيةِ في الممر، فقد كانتْ مخمورة. . »[2].

٥ ــ تحوَّلَ ــ بعدَ هذا النجاحِ والاستعلاءِ على الشهوات والمغريات ــ إلى داعيةٍ للإسلام، حتى على ظهر الباخرة!

فقد أخبرَنا أنه رأى نصرانيّاً مُبشِّراً يحاولُ نشرَ دعاياته التبشيرية بين ركّابِ الباخرةِ المسلمين، فاستيقظتْ مشاعرُه الإيمانية، وذهبَ إلى قبطان الباخرة، وطلبَ منه السماحَ لكل ركّاب الباخرة المسلمين بصلاة الجمعة. وقد شاركوا بهذه التظاهرةِ الإسلامية، وقامَ سيِّد بإلقاء الخطبة، وإمامةِ المصلين، وسطَ إعجاب كثير من الركّاب الآخرينَ، الذين وقفوا متفرِّجين. . ثم قَدِمتْ سيدةٌ نصرانية يوغسلافية، وأبدتْ لسيد تأثرَها البليغَ بكلامِ الخطيب، وقراءةِ الإمام ــ سيِّد ــ لآياتِ القرآن.

وكان سيِّد يذكُر هذه الحادثة ــ وبخاصَّةٍ موقفَ السيدة اليوغسلافية ــ ويعتبرُها شاهدةً على إعجاز القرآن، بتأثيرِه في نفوس الناس، حتى من غير العرب![3]

(١) أمريكا من الداخل: ٢١ ــ ٢٢.
(٢) المرجع السابق: ٢٧.
(٣) المرجع السابق: ٢٣ ــ ٢٤.

أمريكا تحاول إغواءه

أطلعَنا سيِّد على عدةِ محاولاتٍ لإغوائِه وإغرائِه، وإيقاعِه في مستنقَعِ الشهوات، وكيفَ أن اللَّهَ أرادَ به الخير، ولذلك أَعانه على الانتصارِ عليها، والاستعلاءِ بإيمانه، والثباتِ على إسلامه.

من هذه المحاولات:

١ ــ تلكَ الفتاةُ التي أخبرَنا عنها، وعن محاولتِها معه على الباخرة.

٢ ــ تلكَ الفتاةُ التي قامت بجهد كبير لإغوائه، ولاحقَتْه من جامعةٍ إلى أخرى.

٣ ــ تلكَ الفتاةُ التي ناقشتْه ــ في معهد المعلمين في مدينة «جريلي» «بكولو رادو» ــ في مسائلَ جنسية مكشوفة.

٤ ــ تلكَ الفتاةُ المُمرِّضة، التي كانت تُغريه وهو في المستشفى، بإسماعه مواصفاتها التي تطلبُها في الشخص، ليكونَ عشيقاً لها.

٥ ــ تلكَ الفتاةُ الجامعيةُ التي كانت تناقشه، وتريد أن تمحوَ من ذهنه النفورَ من الرذيلة، وتزعم له أن «الجنسَ» عمليةٌ «بيولوجية» جسدية، لا داعي لإقحامها في المعاني الأخلاقية.

٦ ــ عاملُ الفندق الذي عرض عليه تلبيةَ ما يريد من نزوات جنسية ــ طبيعية أو شاذة ــ وأثارَه بالحديث عن عيِّناتٍ منها.

٧ ــ الشابُّ العربيُّ الذي كان يغريه، بإسماعه قصصاً عن مغامراته الجنسية مع الأمريكيات[(١)]!

محاولات لاحتوائه

بعد أن فشلتْ محاولاتُهم لإغوائِه وإغرائِه وإفساده أخلاقياً، قاموا بمحاولاتٍ لاحتوائه فكرياً وسياسياً!

---

(١) أمريكا من الداخل: ٢٧ ــ ٢٨.

أخبـرَنا سيِّـد عن نماذجَ للتنـافس بين رجالِ المخـابرات الإنجليـزية والأمـريكية لاحتوائه، وكيفَ أن الله أعانَه على الخروجِ من تلك المحاولات معتزّاً بدينـه، ملتزِمـاً بإسلامه.

من هذه الجهود، تلكَ التي قام بها رجلُ المخابراتِ الإنجليزي «جون هيو ورث دن» ــ وكـان قد أقـامَ بمصر فتـرة. وادَّعى فيها أنـه أسلم وتسمى باسم «جمـال الدين» وتزوَّج فتاة مسلمة، ثم أقامَ في أمريكا، وألَّفَ فيها كتابَه الخطيـر: «التيارات السيـاسية والدينية في مصر الحديثة» ــ وقد أخبرَنا سيِّد عن بعض ما قام به «دن» معه:

١ ــ أخبـره أن الكثيرَ من الحـاكمين في الدولـة الأمـريكيـة، تخـرَّجـوا في المعـاهـد التبشيرية، وعـدَّ له عشـراتٍ من الأسماء البـارزة، في وزارة الخارجيـة الأمريكيـة وفي السلكِ السيـاسي، ولم يخبـرْه بـذلـك لـوجـه الله، بـل كـان يهمُّــه ألّا يثقَ الشـرقيونَ كثيـراً في نيّات أمـريكا تجـاهَهم. وقد تشكَّـك سيِّد في كـلام «دن»، فتحقَّق من صحتها بوسائلَ أخرى.

٢ ــ عرضَ على سيِّد أن يترجمَ كتابَه «العدالة الاجتماعية في الإسلام» ــ الـذي صدر عـام ١٩٤٩م ــ إلى الإنجليزيـة، مقـابـلَ عشـرةِ آلاف دولار. ولكن سيِّـد رفض عـرْضَ «دن»، وقدَّم الكتـاب إلى «المجلس الأمـريكي للدراسـات الاجتمـاعيـة» حيثُ ترجمه المستشرقُ: «يوحنا: جون. ب هاردي» الأستاذ بجـامعة هـاليفاكس بكندا، مجاناً[١].

٣ ــ حـدَّث «دنُ» سيِّد أكثرَ من مرة، عن أحـداثِ مصر السيـاسة والاجتمـاعية، وعن المخاطِر التي تنتظرُها في المستقبل. وأخذتْ «جماعةُ الإخـوان المسلمين» حيِّزاً كبيـراً من حديثـه، حيث قدَّم لسيِّـد ــ كما أورد في كتـابـه «التيـارات السيـاسيـة والدينية في مصـر الحديثـة» ــ معلوماتٍ مفصَّلةً ودقيقـة، عن الجماعـة وأهدافِهـا ونشـاطِها وبـرامجها، ثم حـذَّر سيِّد من الخـطر المـاحق الـذي يهـدِّد مصـر، إذا نجحت الجماعةُ في قيادتها وحكمها وتوجيهها، وأظهرَ لسيِّد أن الأملَ معقودٌ على

(١) المرجع السابق: ٢٨ ــ ٢٩.

المثقفين والمفكرين، ليحولوا بين هذه الجماعةِ والوصول إلى الحكم، ليحكُموا هم، ويُلحِقوا البلدَ بالحضارة الغربية!

وقد نصح «دن» سيِّد بالكفِّ عن معاداة بريطانيا ومهاجمتِها، لأنها إنْ خرجتْ من مصر، فستحلُّ محلَّها أمريكا، وهي أشدُّ عداء منها[1].

نماذج من نشاطه في أمريكا

تنقَّلَ سيِّد بينَ عدةِ ولاياتٍ أمريكيّة، وزارَ عدةَ جامعات ومعاهدَ فيها، واطلعَ على مناهج وطرقِ التدريس فيها.

وكان وقتُه يسمح له بالقيامِ بجولاتٍ وزيارات لمرافقِ المدن التي يقيم فيها، يطَّلعُ فيها على معالمها ومناظرها الطبيعية في جبالها ووديانها.

وكان يقوم بجولاتٍ ميدانيةٍ فاحصة، يدرس فيها عيِّناتٍ ونماذجَ للمجتمع الأمريكي، ويُقوِّمُ من خلالها الحياةَ الاجتماعية هناك، وكان يختلطُ بأفراد المجتمع، يدرسُ حياتَهم ويناقشهم، ويسجِّل ملاحظاته عنهم.

وكان يرسلُ مقالاتِه لبعضِ الصحف والمجلات في مصر، وأحياناً كان يسجِّلُ المدينةَ التي كتبَ فيها المقالة. ومن هذه الطريقة اللطيفة، عرفْنا بعضَ المدن التي أقام بها.

وكان يرسلُ رسائلَ شخصيةً إلى إخوانِه وأقاربه ومعارفه.

أولَ ما أقامَ في مدينة «نيويورك» وعَرفَ مِنها الطبيعةَ العامة للحياة الأمريكية، ولذلكَ أطلقَ عليها مصطلحاً عجيباً صادقاً، وهو «الورشةُ الضخمة». وأكثرُ ما أثارَ دهشتَه وسخريتَه، رؤيتُه لِسرْبٍ من الحمائم الوادعة، فكتبَ مقالةً ساخرة، سمّاها «حمائمُ في نيويورك» نشرتْها له مجلة «الكتاب» في مصر.

ومن المدن التي عرَفْنا أنه أقامَ بها فترةً، مدينة «واشنطن» العاصمة، وبعث منها

---

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

رسالتيْن نقديتيْن إسلاميتيْن إلى «توفيق الحكيم»، نشرتْهما مجلةُ «الرسالة». وقد مرِضَ فيها فترةً، وأُدخلَ في مستشفى «جورج واشنطن» فيها.

ومن هذه المدن، مدينةُ «جريلي» بولاية «كولو رادو»، وعرفْنا أن إقامتَه طالَتْ فيها قليلاً، وفيها أنهى دراستَه للغة الإنجليزية، وكثرَ تردُّدُه فيها على معهدِ المعلمين، للاطلاع على مناهج وأساليب التدريس.

وفي هذه المدينة كان يعقدُ المناقشات، ويوجِّهُ الانتقادات، ويلاحظُ مظاهرَ الفساد والانحراف، ولذلك اشتركَ في نادي الكنيسة فيها، ولاحَظَ الفسادَ الأخلاقيَّ الذي نخرَ كلَّ شيء، حتى وصلَ إلى الكنيسة.

وبعثَ من هذه المدينة مقالةً إيمانيةً رفيعةً، سماها «أضواء من بعيد» ونشرتْها له مجلةُ «الكتاب» في مصر.

وكانت له مشاركةٌ في مجلّات المدينة، حيث كتبَ مقالاً في مجلة "Fulcrun" التي تصدرُ فيها، بعنوان «العالمُ وَلَدٌ عاقّ» بنى فكرتَه على أسطورة مصرية قديمة، خلاصتُها: أن التاريخَ كان يقومُ بجولته لتتبُّعِ الأحداث وتسجيلِها، وكان يسألُ الآلهةَ عما يغمضُ عليه، فشاهدَ امرأةً تعلِّمُ طفلاً، فسأل الآلهةَ عن ذلك، فأجابوه بأن المرأةَ هي مصر، وأن الطفلَ هو العالَم، فمصرُ هي أمُّ الحضارات. وعلَّق سيِّد بأن الطفل لما كبرَ عقَّ أمَّه ومعلمتَه مصر، فأمريكا العاقةُ لمصر، خذلَتْها في قضاياها السياسية[1].

ووصفَ جمالَ جريلي الطبيعي وغفلةَ أهلِها عنه بقوله: «وهذه المدينةُ الصغيرةُ «جريلي»، التي أُقيمُ بها الآن. إنها جميلةٌ جميلة، حتى ليخيَّلَ إلى الإنسان أنها أُنْبِتَتْ إنْباتاً في روضة حالمة... لي ستةُ أشهر لم أشهدْ مرةً واحدةً فرْداً أو أسرةً جالسةً، تستمتع بذلك الجمال البارع الحالم، ولا سيما في ليالي الصيف...»[2].

وأقام في ولايةِ «كاليفورنيا» مدةً طويلة. أولَ ما أقام في عاصمة الولاية «سان فرانسيسكو»، ويبدو أن جوَّها لم يوافقْ صحته فمرض، ودخل مستشفاها، وهناك شاهدَ

---

(١) أمريكا من الداخل: ٣١.

(٢) المرجع السابق: ١٤٤.

مظاهرَ الفرحِ والابتهاجِ لدى موظَّفي المستشفى، لاستشهادِ «حسن البنا» المرشدِ العام لجماعة الإخوان المسلمين في مصر.

غادر «سان فرنسيسكو» وأقام في قرية ريفية جميلة، تقع في وادٍ زراعي بالقربِ منها، هي قريةُ «بالو آلتو».

ثم أقامَ في مدينة «سان دييجو» وبعثَ منها رسالتيْن إلى «عباس خضر» نشرَهُما الأخيرُ في زاويته «الأدب والفن في أسبوع» في مجلة «الرسالة»[1].

رسائل له من أمريكا

قَلَّ نشاطُ سيِّد الأدبيُّ وهو في أمريكا، فلم نَرَ له إلّا قليلاً من المقالاتِ الأدبية والنقدية، في بعض المجلات المصرية.

وقد استعاضَ عن ذلك بالرسائل الخاصة ــ وهي التي أسماها الأدباءُ السابقون «الرسائلَ الإخوانيَّة» ــ يبعثُ بها إلى معارفه وأقاربه وإخوانه.

في ذلك يقول: «عندما كنتُ بعيداً عن الوطن ــ مدى عاميْن ــ في أمريكا ــ كان في نفسي عزوفٌ ــ لا أَدري مأْتاه ــ عن الكتابة إلّا في القليل النادر.. ولعلَّ منشأَ هذا العزوف، هو الرغبةُ في تحقيقِ شيء أكبرَ من مجرَّد الكتابة».

«... ولكنَّ داءَ الكتابة لم يزايِلْني البتة في خلالِ تلك الفترة! كنتُ أكتبُ إلى أخي وأُخْتَيَّ وأصدقائي في مصر وسائر البلاد العربية، وفي إنجلترا وفرنسا كذلك.. وكنتُ أقول لهم في رسائلي الخاصة ما أودُّ أن أقولَه للناس في الكتاباتِ المنشورة... كنت أستروحُ لهذا اللون من التعبيرِ الضيِّق المباشِر، لأني لا أتكلَّفُ له ما يتكلَّفُه الكُتَّابُ عادةً لما ينوون نشرَه، وكنتُ أحسُّ فيه من الصدق والإخلاصِ والبساطة ما لا أحسُّه للكثير من المنشورِ، وكنتُ أجدُني أقربَ إلى حقيقتي وأنا أكتبه».

وقد أطلَعَنا على مقاطعَ من رسائله «الإخوانية» الخاصة، في مقاله «في الأدب والحياة»، الذي نشرتْه له مجلةُ «الكتاب» بعد عودته من أمريكا: مقطعٌ من رسالتِه إلى شقيقتِه في مصر. ومقطعٌ آخر من رسالته إلى صديق مكتئِب، ضيِّق الصدر بالناس،

---

(١) أمريكا من الداخل: ٢٩ ــ ٣٢.

ومقطعٌ ثالث من رسالته إلى صديق آخرَ اعتـزلَ الناس، لأنـه أرفعُ منهم. ومقـطعٌ رابع من رسالته إلى صديقٍ بيَّن له فيها أن الغايةَ لا تبرر الوسيلة..

وقـد نَشرتْ مجلةُ الـرسالـة في عددَيْن رسـالتَـه النقـديـة الإسـلاميـة إلى تـوفيق الحكيم، ينقدُ فيها كتابَه «الملك أوديب» من منظور إسلامي.

وقد نشرتْ له الرسالةُ أيضاً بعضَ رسائله القصيرة إلى عباس خضر.

وأخيـراً، نشرَ السيِّـد «علي شلش» في مجلة «الكاتب» رسـالتَيْن من سيِّد لـزميلِه الناقدِ الأدبـي «أنور المعدّاوي». ونشر السيِّد «الطاهر أحمـد مكي» في مجلةِ «الهلال» ثلاثَ رسائل من سيِّد لزميلِه «محمد جبر».

نصوص من تلك الرسائل

قال لتوفيق الحكيم ردّاً على إهدائه له كتابَه الأخير:

«صديقي الكبير الأستاذ توفيق الحكيم:

شكراً لك على هديتكَ الكريمة: كتابِك الجديد «الملك أوديب» إنها شيءٌ عزيزٌ ثمين، بالقياس إليَّ هنا، في تلك «الورشةِ» الضخمة السخيفـة، التي يسمونَهـا «العالمُ الجَديد».

لقد استروحْتُ في كلمةِ الإهداء «ممَّنْ يذكرُك دائماً» نسمةً رخيةً من روح الشرق الأليف ــ فالذكرى هي خلاصـةُ هذه الـروح ــ وما كـان أحوجني هنـا إلى تلك النسمة الرخية...

إنَّ شيئاً واحداً ينقصُ هؤلاء الأمريكيين ــ على حين تذخـرُ أمريكـا بكل شيء ــ شيءٌ واحد لا قيمةَ له عندهم.. الروح.

بحثٌ يقدَّمُ للدكتوراة في إحدى جامعاتِهم ــ وقد قُدِّم فعلاً ــ عن «أفضلِ الطرقِ لغسْـلِ الأطباق»، أحبُّ إليهم ألفَ مـرة وأهمُّ من رسـالـةٍ عن «الإنجيـل»، إنْ لم يكنْ أهمَّ من ذات الإنجيل...»[1].

---

(١) المرجع السابق: ١٥٣.

ومما قاله لعباس خضر من رسالته له: «هنا في أمريكا ــ التي ينشرونَ دعوةً طيبةً طويلةً عريضة عن جوِّها، وبخاصةٍ جو كاليفورنيا لا تُقاس بشيء إلى مصر. ولا تسمعْ ما يقوله بعضُ الرُّقَعاءِ عن جوّ فرنسا، فبينَ يديَّ الآن رسالةٌ من شاب مصري غيرِ مخدوع، يعيش في فرنسا مفتوحَ العينين، يحدثُني عن التقلُّبات والأنواءِ، ويتمنّى نسمةً مصرية، وهذا هو ما أتمنّاه أنا كذلك»[1].

وقال لعباس خضر في رسالةٍ أخرى: «تصلحُ أمريكا أن تكونَ «ورشةَ العالم»، فتؤدّي وظيفتَها على خيرِ ما يكون. أمّا أنْ يكونَ العالمُ كلُّه كأمريكا، فتلكَ هي كارثةُ الإنسانية، بكل تأكيد»[2].

نصُّ رسالتيْه إلى أنور المعدّاوي

نشرَ السيِّد علي شلش في مجلةِ الكاتب عام ١٩٧٥م، نصَّ رسالتيْن بعثَ بهما سيِّد قطب من أمريكا، إلى صديقِه الناقد الأدبي أنور المعدّاوي في مصر.

الرسالة الأولى:

«أخي أنور:

سلامي إليك وشوقي.. وبعد..

فكيف أنت؟ وكيف الأدبُ والفن على حسِّك؟؟ أُحسُّ أنَّ آباداً وآماداً بيني وبين ذلك الماضي القريب منذ عام.

هنا الغربةُ، الغربةُ الحقيقية، غربةُ النفس والفكر. غربةُ الروح والجسد. هنا في تلك الورشة الضخمة، التي يَدْعونَها العالَم الجديد.

عرفتُ الآن مدى الدعايةِ التي تغمرُ بها أمريكا العالم، والتي يُسهم فيها المصريون الذين جاءوا إلى أمريكا ثم عادوا، وأستطيعُ أن أقيسَ ــ على ضوئها ــ مدى الدعايةِ التي تغمرُنا بها أوروبا، والتي يسهم فيها المصريون العائدون من هناك،

---

(١) أمريكا من الداخل: ١٥٥.
(٢) المرجع السابق: ١٥٦.

وأشخاصُهم الضئيلة. إنهم لا يجدونَ لأنفسهم قيمةً ذاتية، فيبالِغون في تضخيمِ أوروبا وتضخيم أمريكا، علَّهم يستمدّون منها قيمةً ذاتية!

وبعد: فقد أنهيتُ المهمةَ الأولى في اللغة الإنجليزية، وأصبحَ لَدَيَّ من الوقت ما يسمحُ أن أعرفَ أحوالَكم وأخبارَكم، هناكَ في الوطنِ المجهولِ من أبنائه، فلعلَّكَ تجدُ بيْنَ يديك ما تحدِّثُني به أنا بَعد، عن الحياة، وعن الأدب، وعن خواطرك الخاصة.

والسلام عليك ورحمة الله.

كولورادو: ٢٣/١٢/١٩٤٩م

من أخيك: سيِّد قطب

* * *

الرسالة الثانية:

«أخي أنور:

كنتُ في حاجةٍ نفسيةٍ إلى رسالتك، لأفرحَ بك ولك، ثم لأُصَدِّقَ ظني فيك. فلقدْ كانَ الكثيرون يلومونَني ــ في مواراة ــ إذْ قدمْتُك للنقدِ الأدبي في مجلة «العالم العربي»، وكنتُ أعرف ماذا أصنع وهم لا يعرفون!

وإنك تزيدُني فَرحاً وغبطةً إذا أنتَ بعثْتَ إليَّ بين الحين والحين، بقصّاصات من مقالاتِك في الرسالة، في شتى الموضوعات.

تنتظرُ عودتي لآخذَ مكاني في ميدانِ النقد الأدبي؟ أخشى أن أقول لك: إنَّ هذا لن يكون! وإنه من الأَوْلى لكَ أن تعتمدَ على نفسك إلى أنْ ينبثقَ ناقدٌ جديد!

إنني سأخصِّصُ ما بقيَ من حياتي وجُهدي لبرنامجٍ اجتماعي كامل، يستغرقُ أعمار الكثيرين. ويكفي أن أجدَكَ في ميدانِ النقد الأدبي، لأطمئِنَّ إلى هذا الميدان!

بهذه المناسبة: هلْ لي أن أذكرَ لك بعضَ أخطارِ الطريق التي بلوْتُها فيه:

إن أخطر ما في طريق النقد الأدبي، هو مغرياتُه الكثيرة، وتكاليفُه الشاقة، مغرياتُ الصداقة والجفوة، مغرياتُ الشهرة ولفْتِ الأنظار، مغرياتُ الملابساتِ الكثيرة

في حياة الفرد وحياة الشعب. ثم تكاليفُ قولةِ الحق التي كثيراً ما يكونُ ثمنُها غالياً. فهل لي أن أطمئن إلى أنكَ ستستيقظُ بهذه الدوافع كلها، فلا تَدَعُ واحدةً منها أو جميعَها تَغْشى صفحاتِك بالضباب. أرجو، وأدعو الله لك بالتوفيق.

وأشرتَ إلى ما بيني وبين الدكتور طه حسين: إنني أعتقدُ على أية حال أنه من الخير للبلادِ أن يكونَ هذا الرجل في وزارة المعارف. ولستُ أسألُ عما يكونُ لي أو عليَّ، فطريقي واضحٌ أمامي، وهدفي معروفٌ لي في جميع الظروف!

بهذه المناسبة: أَتَذْكُرُ مَقال «بدءُ المعركة بين الشيوخ والشباب» في «العالم العربي»؟ كتبَ إليَّ أستاذٌ في جامعة «هاليفاكس» بكندا، في هذه الأيام، يستأذنُ في ترجمته للّغة الإنجليزية، ليُنشر في أمريكا. وقد أجبته بالموافقة!

اكتبْ إليَّ كثيراً، ولا تنتظرْ رسالةً برسالة».

أخوكم

سيِّد قطب

الرسالةُ غيرُ مؤرَّخة. ومن تاريخ ختم البريد على المظروف، يتبيَّن أنها صادرة من واشنطن في ٦ مارس ١٩٥٠م[1].

نصُّ رسائله الثلاث إلى محمد جبر

نشر «الطاهر أحمد مكي» في مجلة الهلال عام ١٩٨٦م، ثلاثَ رسائل، بعثَها سيِّد قطب من أمريك إلى زميلِه الأستاذ «محمد جبر» ــ مدير إحدى المدارس الثانوية، ورئيسِ جماعة دار العلوم الأدبية ــ وقدَّم لتلك الرسائل، بمقدِّمة طيبة.

نصُّ رسالته الأولى:

«أخي الأستاذ جبر:

تحيةً وشوقاً ومودَّة. وبعد:

---

(١) أمريكا من الداخل: ١٥٧ ــ ١٥٩. نقلاً عن مجلة الكتاب. السنة الخامسة عشرة. العدد: ١٧٥. تاريخ أغسطس ١٩٧٥م. صفحات: ٢٨ ــ ٢٩.

فقد شغلتْني «دوشةُ» السفرِ عن إخبارِكَ بموعده. ثم شغَلني إجهادُ البحر واستقبالُ الحياة هنا عن الكتابة إليك ــ أو إلى أحد ــ حتى أستجمَّ بعض الشيء.

والآن: كيفَ أنت؟ وكيفَ أحوالُ الجماعة؟ هل لك أن تكلِّفَ نفسك الاتصالَ بي دائماً، وإطلاعي على شؤوننا، التي تعلم أنها تهمُّني حيثُ كنت؟

ثم هل لكَ أن تكتبَ إلَيَّ بعنوانِ الأستاذ الكبير سعد بك اللبّان لأكتبَ إليه، إذ أنني أجهلُ عنوانه.

ولستُ في حاجة أن أَذْكُرَ لَكَ أنك تستطيعُ تكليفي بأية مهمة هنالك، كشراءِ أشياء، أو السؤالِ عن أشياء، أو ما يعنُّ لك أن تصنعه عن طريقي!

والآن: هل تستطيعُ ــ عند وصول هذا إليك ــ أن تتصلَ بمحمد قطب في دار الكتب ــ تليفون ٨٤٠٧٤ ــ لتسألَه، لِمَ لَمْ يكتبْ إليَّ منذُ ثلاثة أسابيع، ولِمَ يَدَعُني قلِقاً عليه، وعلى مَنْ في القاهرة معه؟

١٩/١٢/١٩٤٨م سيِّد قطب

* * *

نص رسالته الثانية:

«أخي الأستاذ جبر:

أبطأتُ في الرد عليك. إنها زحمةُ العمل، وسوءُ طريقة الدراسة.

فليس أبعدَ عن الإفادة من الجهدِ في تعلُّمِ اللغة الإنجليزية من الطريقة الأمريكية؟ ولكنك كمدرِّس تملكُ بجهدك الخاص، أن تتلافى عيوبَ الطريقة. وقد انقلبتْ وظيفتي في «المركز الدولي لتعليم اللغات» من مجردِ طالب يتعلمُ اللغة، إلى مُدرِّس يعلِّمُهم كيفَ يُدَرِّسون اللغة، ولقد أفلحتْ طريقتي، ونجحتُ شيئاً ما في تعديل طريقتِهم، في كثير من الأحيان!

إنَّ أمريكا هي أكبرُ أكذوبة عرفَها العالم!

نستطيعُ أن نفيدَ من أمريكا في البعثاتِ العلمية البحتة: الميكانيكا والكهرباء،

والكيمياء، والزراعة، وما إليها. فأما حينَ نحاول أن نستفيدَ من أمريكا في الدراساتِ النظريّة ــ ومنها طرقُ التدريس ــ فأحسب أننا نخطىءُ أشدَّ الخطأ، ونتساقُ وراء الطريقة الأمريكية في الإعلان! ومع هذا فلا أحبُّ أن أتعجَّل، فقد تكونُ هناك أشياء لم أعلَمْها بعد. وإن كانَ المفروض أن طريقةَ المركز الدولي هي أنجحُ الطرق الأمريكية!

لقد تقدمْتُ فعلاً في اللغة الإنجليزية تقدُّماً ملحوظاً، ولكن ذلك بجهدي الخاص، وبتعديل الطريقة الأمريكية وتلقيحها. وأحسبُني لو كنتُ أبذلُ عُشْرَ هذا الجهد في مصر، لبلغْتُ ما بلغتُ إليه فعلاً، باستثناءِ المرانةِ على الحديث، فهي هنا أحسنُ بطبيعة الحال!

أما أولئك الذينَ يتحدَّثون عن أمريكا كما يتحدَّثون عن الأعاجيب السبع، فهم يحاولون أن يستمدّوا لهم قيمةً جديدة لأنفسهم من وراء هذا التهويل!

أتعرفُ أولئك البحارةِ القدامى الذين كانوا يجوبون البحار، ثم يتحدَّثون عن أهوال البحر، وعن المردة والعمالقة والعجائب المثيرة.. إنهم كانوا يصْنعون ما يصنَعُه المتأمْرِكون اليوم. ولا أدري ماذا في أوروبا، ولكن ــ قياساً على ما كنّا نَسمعَه عن أمريكا وعمّا رأيته فعلاً ــ أستطيعُ أن آخذ صورةً عن المبالغة والتهويل!

تجدُ الإجابة على أسئلتك، على جناحَيْ هذا الخطاب».

١٢/٢/١٩٤٩م   سيِّد

١ ــ لا أملكُ أن أكتبَ لك بالتفصيل عن الحياة الأمريكية، فهذا يتطلبُ وقتاً وجُهداً لستُ أملكُهما اليوم. وسيكونُ هذا موضوعَ كتيِّبٍ في سلسلة «اقرأ»[1]. ولكن أحسبُني ألخِّصُها لك حين أقول: إنها حياةٌ عمادُها اللّذة والنجاحُ العملي! وإنه لا حسابَ فيها لأيِّ خلُق من الأخلاق، التي تعتزُّ بها الإنسانية. وإن كلَّ القيمِ الخُلقيةِ هي موضوعُ السخرية عند الأمريكان!

---

(١) هو كتاب أو بحث «أمريكا التي رأيت» الذي أعلن أنه سينشره في سلسلة «اقرأ» الصادرة عن دار المعارف. ولكنه لم يصدر ولم يُنشر.

٢ ــ مستوى الحياةِ هنا مرتفعٌ وغال. ولكنه ليسَ بالصورة المهولة التي يتحدثونَ عنهـا في مصر. فـالطالبُ العـاديُّ يستـطيـعُ أن يعيشَ في حـدود (١٨٠) دولاراً عيشـةً راضية. أما أنـا شخصياً فـأضطرُّ إلى إنفـاق ما يقـرب من (٢٥٠ ــ ٢٨٠) وذلك بسبب اضطراري إلى حياةٍ مُريحة كلَّ الراحة، وإلى قيمةٍ غـذائية مـرتفعة كـذلك، وإلى شيءٍ من المظهر في بعض الأوساط كرجُلٍ زائر، لا كطالب!

٣ ــ نفقـاتُ السفر إلى هنـا في الدرجـة الثانيـة في حـوالي ٩٠ ــ ٩٦ جنيهـاً. أما أنا فقد سافرتُ في الدرجةِ الأولى ــ حسب درجتي في الكادر! ــ.

٤ ــ أحسبُني الآن في مستوى السنة الثانية الثانوية، أما في الحـديث فقد أكـون في مستوى «الثقافة».

٥ ــ وجـودي في واشنطـن بـالذات سهَّـل لي كثيراً من الصِّعـاب، لأني بجوار المكتب، وكلُّهم أصدقائي.

اكتبْ إليَّ بالتفصيل، عن أحوالِكم وأخبارِكم، وموقفكم في الوزارة، فإنه يهمُّني أن أكـونَ على تمـام الصلة بـالإخـوان وبحـركتهم، أوَّلاً بـأوَّل، مـدةَ وجـودي هنـا. ولا يهمُّك أن تتأخَّر رسائلي في بعض الأحيان..

* * *

نص الرسالة الثالثة:

«أخي الأستاذ جبر:

مرةً ثالثـة أكتبُ إليك، قبـل أن أتلقّى منك ردّاً، فلستُ ممن يَيْـأَسون سـريعاً من الأصدقاء حين يُقصِّرون. وزمالةُ عشرين عاماً ليست بالشيء الذي يُنسى سريعاً!

لابد أنَّ أشياءَ كثيرة عوقَتْكَ عن الكتابة إليَّ، لستُ أدري أنا ما هي هذه الأشياء، ولكنْ من حقي أن أعرفَها.

وأحـوالُ الجماعـة ــ ودعْكَ من أحـوالـك أنت الخـاصـة، وحقّي الشخصي في الاتصالِ بها ــ كيف تسير؟ ثم هل لي أنْ أطمئنَّ اليوم على صِلاتك بالوزارة، في عهدِ الدكتور طه حسين؟ أرجو أن تكون خيراً، وأن يكون فيها جديد.

أنا أعرفْ أنك أنْتَ لا يهمُّكَ لشخصك شيء، ولكن للجماعة ظرفاً آخر، ومصالح عامة.

ثم ما هي أحوالُ الجماعة اليوم؟ من هُمْ أعضاءُ مجلس إدارتها؟ كيف تسيرُ الأمور داخلَها وخارجها... كلُّ أولئك من حقي أن أعرف عنه شيئاً.

أنا الآن في رحلةٍ لزيارة مدارسِ أمريكا وإداراتِ التعليم بها. وقد وجدْتُ أشياءَ كثيرة، يمكنُ الانتفاعُ بها. وهي ليست كلُّها جديدةً علينا. فطالَما طرَقْناها في أحاديثنا، وسأحدِّثُك عنها قريباً، عندما أعود!

أخوك

سيِّد قطب

٢٢/١/١٩٥٠م[(١)]

عودته من أمريكا

أقام سيِّد في أمريكا أقل من سنتين، وفي أيامِه الأخيرة امتلأ شوقاً إلى مصر وأهلِها، وزادَ حنينُه للعودة إليها.

وقد نظَمَ قصيدتيْن وهو في أمريكا، ضمَّنَهُما شوقَه وحنينَه لمصر، وشعورَه بالغربة هناك.

الأُولى «هتاف الروح» والثانية «دعاء الغريب».

نَظَمَ «هتاف الروح» وهو في «سان فرنسيسكو». ومما قاله فيها:

فـي الـجَـوِّ يـا مِـصْـرُ دِفْءٌ ... يُـدْنـي إلَـيَّ خَـيـالَـكْ
وَتَـسْـتَـجـيشُ حَـنـيـنـي ... إلـى الـلَّـيـالـي هُـنـالِـكْ
لِـلأُمْـسِـيـاتِ الـسَّـكـارىٰ ... نَـشْـوَى تَـرِفُّ خَـيـالَـكْ
وَنَـسْـمَـةٍ فـيـكِ تَـسْـري ... رَيَّـانَـةً مِـنْ جَـمـالِـكْ
نَـجْـواكِ مِـلْءُ فُـؤادي ... تُـرىٰ خَـطَـرْتُ بِـبـالِـكْ؟

(١) جريدة اللواء الأردنية. عدد: ٧٠٠. تاريخ ٨/١٠/١٩٨٦م. صفحة: ١٩. نقلاً عن مجلة الهلال عدد أكتوبر ١٩٨٦م.

. . . .

فـي الـنَّـفْـسِ يــا مِـصْـرُ شَــوْقُ لِــخَــطْـرَةٍ فــي رُبــاكِ
لِــضَــمَّــةٍ مِــنْ ثــرَاكِ لِــنَــفْـحَــةٍ مِــنْ جَــواكِ
لِــوَمْــضَــةٍ مِــنْ سَــمــاكِ لِــهــاتِــف مِــن رُؤاكِ
لِـلَـيْـلَـةٍ فـيـكِ أُخْـرى مَـعَ الـرِّفـاقِ هـنـاكَ
ظَـمْـآنَ تَـهْـتِـفُ رُوحـي مَـتـى تُـرانـي أَراكِ؟

أما قصيدةُ «دعاء الغريب»، فكلُّ كلمة فيها تدلُّ على مدى شعورِه بالغربة في أمريكا، وعلى دعائِه المستمرِّ للخلاص من هذه الغربة، وعلى مدى ما يحملُه من شوقٍ وحنين لأرض الكنانة:

يـا نـائـيـات الـضِّـفـافْ هُـنـا فـتَـاكِ الـحَـبـيـبْ
عَـلَـيْـهِ طـالَ الـمَـطـافْ مَـتـى يَـعـودُ الـغَـريـبْ؟

* * *

مَـتَـى تُـحِـسُّ خُـطـاهْ ذاكَ الأديـمَ الـمُـغَـبَّـرْ؟
مَـتَـى يَـشُـمُّ شَـذاهْ كَـالأُقْـحُـوانِ الـمُـعَـطَّـرْ؟

* * *

مَـتَـى تَـرى عَـيْـنـاهْ تِـلْـكَ الـرُّبـوعَ الـمَـواثِـلْ
أَحْـلامُـهُ وَمُـنـاهْ تَـدْعـوهُ خَـلْـفَ الـحَـوائِـلْ

* * *

حَـنـيـنُـهُ رَفّـافْ إِلـى الـدِّيـارِ الـبَـعـيـدَةْ
مَـتَـى مَـتَـى يـا ضِـفـافْ تَـأوي خُـطـاهُ الـشَّـريـدَةْ

* * *

رُؤاكِ فـي نـاظِـرَيْـهِ تَـرِفُّ كَـالأَحْـلامْ
تُـرى هَـفَـوْتِ إِلَـيْـهِ عَـلَـى مَـدى الأَيّـامْ

* * *

لَـيْـلاتُـكِ السَّـاريـاتْ كَـالـنَّسـمَـةِ الـعَـبْـقَـرِيَّـةْ
حـالَـتْ إلـى ذِكْـرَيـاتْ مُـعَـطَّراتٍ نَـدِيَّـةْ

* * *

مُـجَـنَّـحـاتِ الـعَـبِـيـرْ مُـرَفْـرَفـاتِ الأمـانـيْ
فـي عـالَـمٍ مَـسْـحـورْ مُـوَشَّـعٍ بِـالأغـانـيْ

* * *

هـنـاكَ حَـيْـثُ خُـطاهْ مَـنْـثـورَةٌ فـي الـطَّريـقْ
مـا زالَ فـيـهـا الـحَـيَـاةْ تَـدْعـو دُعـاءَ الـغَـريـقْ

* * *

يـا أرْضُ رُدّي إلَـيْـكِ هَـذا الـوَحـيـدَ الـغَـريـبْ!!
هَـواهُ وَقْـفٌ عَـلَيْـكِ رُدّي فَـتـاكِ الـحَـبـيـبْ!![1]

وبما أن سيِّد لم يكنْ في أمريكا طالباً لإكمالِ مرحلةٍ معينة من الدراسة، بل كان موفداً إليها، وزائراً لمعاهِدِها وجامعاتها، وبما أن مهمتَه كانتْ عمليةً ميدانية، فقد كان أمرُ إنهاءِ بعثته العملية بيده.

ويبدو أنه علمَ أن الأسبابَ التي أُبعدَ من أجلها، قد اختفتْ أو خفَّتْ، ولا سيما أن الملك فاروق قد ضعفتْ سيطرتُه الفعلية على البلاد!

قـرَّر سيِّد العـودةَ إلى مصر، وأخبـرَ أهلَه وأصدقـاءَه بموعـد عودتـه، وكـان ممن أخبرهم «عباس خضر» الذي كان يحرِّر زاويـةً أسبوعيـة في مجلة الرسـالة، هي زاويـة «الأدب والفن في أسبـوع» فنشـر الخبـرَ في زاويتـه، قـائـلاً: «يصـلُ بـالـطـائـرة يـوم ٢٠ أغسطس الحالي، الأستاذ سيِّد قطب عائداً من أمريكا، حيث كان مبعـوثاً من وزارة المعارف، لدراسة النظمِ التعليمية هناك»[2].

ووصلَ سيِّد إلى القاهرة في ٢٠/٨/١٩٥٠م، وفي اليـوم الثالث لـوصولـه باشـرَ

(١) انظر القصيدتين في «أمريكا من الداخل»: ١٤٥ ــ ١٤٧.
(٢) المرجع السابق: ٣٨.

عمله في وزارة المعارف، حيث أُثْبتَ في «ملفِّه» في وزارة المعارف أنه عملَ منذ ٢٣/٨/١٩٥٠م بوظيفةِ مراقبٍ مساعد بمكتبِ وزير المعارف ـ وكان وقتَها إسماعيل القباني ـ[1].

الدكتور سيِّد قطب!!

ظنَّ بعضُهم أن سيِّد كان موفداً إلى أمريكا للحصول على الدكتوراة، وأنه من ثَمَّ عاد حاصلاً عليها.

وحولَ هذا المعنى يقول عباس خضر: «كان سيِّد مترفِّعاً جادّاً. أذكرُ عقبَ عودتِهِ من أمريكا أنْ كتبَتْ عنه جريدةُ «المصري» شيئاً قالت فيه: «الدكتور سيِّد قطب»، فكتبَ في العدد التالي أنه ليسَ دكتوراً. وكان يمكنُ أن يتركَ ذلك اللقب يجري على الأقلام والألسنة، ويَشيعُ مسْنداً إليه.. كما يفعل بعض المواطنين[2].

عودتُه صاحب رسالة

خيَّبَ سيِّد ظنَّ أمريكا وأعوانِها، الذين أرادوا احتواءَه، ليعود «بوقاً» أمريكيّاً، يمهِّدُ لاستعمارِها القادم لمصر.

ولكنه استعلىٰ هناك بإيمانه، وزاد التزامُه بإسلامه، وما أن انتهتْ أيامُه هناك حتى أصبحَ مسلماً واعياً، ومؤمناً ملتزماً، صاحبَ اتجاهٍ عملي للدعوة الإسلامية، والجهادِ لإصلاح البلاد، وإزالةِ ما فيها من فساد وإفساد.

تعطلتْ إرادةُ الأمريكان أمامَ إرادة الله، وعادَ يهاجمُ أمريكا، ويكشفُ مخازيها، ويحاربُ أعوانَها وعملاءَها، ويبطلُ مخططاتِهم في وزارة المعارف وغيرِها، ويواجهُهم من منطلقٍ إسلامي واضح!!

* * *

---

(١) سيِّد قطب، لعبد الباقي: ٤٣.

(٢) أمريكا من الداخل: ٣٩.

(٩)

مع سيّد قطب في رحلة ضياعه

المقصود برحلة ضياعه

رحلةُ ضياعِ سيِّد، هي الفترةُ الزمنيـة التي عاشَهـا، وهو جـاهلٌ بنفسـه وهدفـه ورسالته ووظيفتـه، وهو جـاهلٌ بسـرِّ الحياة، وطبيعـةِ الكون، والصلةِ بينـه وبين الحياة والكون!

رحلةُ ضياعِ سيِّد، هي الفترةُ الزمنية التي عاشها، وهو قلقٌ حـائرٌ بـائس تعيس، لم يختَر اختياراً مقْنعاً ولا مقبولاً!

رحلةُ ضيـاع سيِّد، هي المـرحلة التي تلقّى فيها المبـادىء والأفكار والتصـوراتِ والفلسفات الأوروبية والغربية المادية الجاهلية، عن الكون والحياة والإنسان، فأوجـدتْ عنـده تشويشـاً وغَبَشاً، وظنّـاً وشكّاً، وحيـرةً وقلقاً!! حيث تعـارضتْ مـع مـا عنـده من مقرراتٍ إسلامية، تلقّاها منذ طفولتِه وصباه، وفي دراساته المختلفة.

رحلةُ الضيـاع عنـده، هي تلك المـرحلة التي وقـع فيهـا صـراعٌ بين التصـورات الإسلاميةِ التي تلقّاها من قبل، والتصوراتِ المادية الغربية التي تلقّاها في شبابه، وكـلٌّ منها تدعوه ليعتنقَها ويدينَ بها. فوقف بين الدعوتَيْن حائـراً قلقاً متـردِّداً!! أو قُلْ: وقفَ بينهما ضائعاً شارداً تائهاً!!

رحلةُ الضياع عنده، تصدقُ عليها الحيرةُ الشديدة التي يقرِّرُها قوله تعالى: **﴿قُـلْ أَنَدْعُوا مِنْ دونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُنا وَلا يَضُرُّنا، وَنُرَدُّ على أَعْقابِنا بَعْدَ إِذْ هَدانا اللَّـه، كَالّذي اسْتَهْوَتْهُ الشّياطينُ في الأَرْضِ حَيْران، لَهُ أَصْحابٌ يَـدْعونَـهُ إِلى الهُدى، ائْتِنـا، قُلْ إِنَّ هُدى اللَّهِ هُوَ الهُدى. .﴾** [سورة الأنعام: آية ٧١].

هي جانب خفيّ من حياته!

قد يستغربُ بعض القرّاء من هذا، وقد يتعجبُ آخرون، وقد يتشكَّكُ فريقٌ ثالث: هل ضاع سيِّد قطب يوماً ما؟ هل كان يوماً ما حائراً تائِهاً شارداً؟

قد يستغربُ بعض الناس ذلك، لأنهم لم يعرفوا سيِّد قطب إلاّ مفكّراً إسلاميّاً رائداً أصيلاً، ولم يتعرَّفوا عليه إلاّ في مرحلةِ العطاء الفكريّ التي ختمَ الله بها حياتَه. وبعضُهم تعرَّف عليه ناقداً أدبياً ذوّاقة قبل اتجاهه الإسلامي المحدَّد، لكنه لم يقفْ على رحلةِ ضياعه، ولا على ملامحه فيها!

إن رِحلةَ ضياع سيِّد جانبٌ خفيٌّ من حياته، مجهولٌ من قِبَل كثيرين من محبّيه ومريديه!!.

وإننا نحبُّ هنا أن نطلعَهم على هذا الجانب الخفيِّ المجهول، لتتكامل دراسة سيِّد قطب من ناحية، ولنقدِّمه لهم من خلال حياته الواقعية التي عاشها، بمالَه وما عَليه فيها، وليس من خلال الصورة المثاليّة النموذجيّة التي يحبّون أن يعرفوه بها، وأن يُقَدَّم لهم على أساسها!!

نقدِّم للناس هذا الجانبَ الخفيَّ المجهول من حياةِ سيِّد، لهدفٍ آخر، وهو أن يعرفوا فضْلَ الله عليه، حيثُ أخرجه من التّيه والضياعِ والشكِ والظلماتِ، إلى الرشدِ والهدى واليقين والإيمان!! ثم ليعْرفوا الطبيعةَ الإيجابيَة الحركيةَ العجيبة لهذا الدين، التي تُغيِّرُ وتُحوِّل كلَّ معْدنٍ نفيسٍ دخلَ معمل الإسلام العظيم، فتخرجُه من هذا المصنع بشخصيَّةٍ إيجابيةٍ حركيةٍ عظيمة، مثل ما حصل مع مفكرنا الرائد الشهيد!!

الفترة الزمنية لضياعه

متى كان ضياع سيِّد قطب؟

لقد أخبرَ سيِّد أبا الحسن الندوي، لما قابله الأخير عام ١٩٥١م ــ بعدما انتهتْ رحلةُ ضياعه ــ أنه نشأَ على تقاليد الإسلام في طفولته في القرية، ولمّا سافر للقاهرة أقبلَ على الأدب والنقد والدراسة والثقافة والمعرفة، وصار يتلقّى من الثقافة الغربية الماديّة، وهذا جعلَه يمرُّ بمرحلةٍ من الشك والارتياب في الحقائق الدينية إلى أقصى حد! ــ على حسب قوله بالحرف ــ.

وفي هذه المرحلة ـ أيْ أثناءَ ضياعه ـ أقبل على القرآن يدرسُه لدواعٍ أدبيّة، ثم نقله القرآنُ نقلةً بعيدةً إلى عالم الإيمان واليقين!

لقد استمرتْ رحلةُ ضياعه حوالي خمسة عشر عاماً. ولم يكن ضياعه فيها كلِّها بدرجةٍ واحدة وعلى مستوى واحد، بل كانت الدرجة متفاوتةً ومتذبذبةً.

تسلَّلتْ إليه الوسواسُ والشكوكُ والأوهامُ بالتدريج، ووصلتْ إلى نفسه وتصوُّره بالتدريج، وظهرَ أثرُها عليه بالتدريج! ولما تمكنت منه، ظهرتْ آثارُها عليه بصورةٍ واضحة صارخة، وانعكست على ملامحه، بحيث بدَتْ فيها تلك الملامح بارزةً شاخصة. ثم صار أثرُها عليه يضعف ويقلُّ بالتدريج، وهو يحاول جاهداً أن يتخلَّص منه بمشقةٍ ومجاهدَة، وكانت تبدو أحياناً في بعض نتاجه الشعري، وتخفت وتختفي في غيره!

وما أَنْ تعامل سيِّد مع حقائق الإسلام ومقررات الإيمان، حتى زالت آثارُ وملامحُ الضياع عنه، وتلاشتْ عن نتاجه!

إنّ رحلةَ ضياعِه استمرتْ حوالي خمسة عشر عاماً، ما بين ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠م.

أي إنها بدأتْ معه وهو في الدراسة الثانوية، وتفاعلتْ معه وهو في الدراسة الجامعية، في كلية دار العلوم، وبلغتْ أَوْجَها في آخر سنتَيْن من دراسته الجامعية، أي عامي ٣٢ ـ ١٩٣٣م واستمرتْ في أعلى درجاتها في السنوات الأولى من حياته الوظيفية، وبخاصة في السنتَيْن الأوليَيْن منها: ٣٤ ـ ١٩٣٥م.

ثم صارتْ تضعفُ تدريجياً إلى أن أوشكت على الزوال والتلاشي عام ١٩٤٠م.

لا نكادُ نرى لها آثاراً عليه في المرحلة الأولى ـ غير الواضحة ـ من حياته الإسلامية، ما بين عاميْ ٤٠ ـ ١٩٤٥م، وهي المرحلةُ التي درسَ فيها القرآنَ لدواعٍ أدبية.

أسباب ضياعه

نحبُّ أن نقفَ على أسبابِ ضياعه، قبل التعرُّف على ملامحه فيها، ونوعِ ضياعه فيها.

إنَ السببَ المباشر لضياعه، هو إقبالُه على الثقافة المادية الغربية، وأخْذُه كلَّ ما فيها من مبادىء وأفكار وتصورات!!

ومعلومٌ أن تلك الثقافة في القرون الثلاثة الأخيرة ـ الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين ـ التي عَبَّ منها سيِّد قطب ـ وأستاذُه العقاد من قبله ـ «تتميزُ بالسير نحو الفردية، وتنميةِ الاستقلال الفكري والنفسي، وإيجاد قيم خاصة، والخروجِ على القيم السائدة، ولذلك فإن الذي ينهلُ منها بغير ميزانٍ ثابت، يتيهُ في مجاهلها، ويضيع في تيّار ضلالها»[(1)].

وهذه الثقافةُ المادية الغربية، جاهليةٌ مضادَّةٌ لمقرراتِ الإسلام وتصوراتِه، ومعاديةٌ لها.

وقد تركتْ هذه الثقافةُ آثارَها واضحةً على مختلف نواحي وجوانب ومجالاتِ المعرفة الإنسانية، بحيث عرضتْها وفقَ مبادئها وأفكارها وتصوُّراتِها، فجاءت هذه النواحي والمجالاتُ انعكاساً لتلك الثقافة المادية.

وبما أنَّ سيِّد كان «منهوماً» للثقافةِ والمطالعة، لا يشبَع منها، لذلك راح يعبُّ ويغترفُ من تلك الثقافة الغربية، التي وَجَد كتباً مترجمةً لها في مكتبة أستاذه العقاد الضخمة! فقرأ ما تنتجُه المطبعةُ العربية من نتاجٍ يَعرض تلك الثقافة المادية، قرأ الكتبَ المؤلفةَ أو المترجمة، والدراسات، والدواوين الشعرية، كما قرأَ المجلاتِ والدورياتِ التي كانت تَعرض تلك الثقافة، وتقدِّم خلاصتَها، وبخاصةٍ مجلةَ «المقتطف» الرائدةَ في هذا المجال.

وما لَنا نذهبُ بعيداً! لنستمعْ إلى سيِّد قطب، وهو يقررُ هذه السِمَةَ المادية الجاهلية للثقافة الأوروبية الغربية، والتي لاحَظَها عليها بعدَ ما هداه الله إلى طريق الإيمان، وبصَّره بمعالمه.

يقول في فصل «التصور الإسلامي والثقافة» من كتاب «معالم في الطريق»: «إن اتجاهاتِ «الفلسفة» بجملتها، واتجاهاتِ «تفسير التاريخ الإنساني» بجملتها،

---

(1) سيِّد قطب، لبركات: ١٢.

واتجـاهاتِ «علم النفس» بجملتهـا ــ عدا المـلاحظاتِ والمشـاهدات دون التفسيـرات العـامة لهـا ــ ومباحثَ «الأخـلاق» بجملتهـا، واتجـاهـاتِ دراسـة «الأديـان المقـارنـة» بجملتهـا، واتجـاهـاتِ «التفسيـرات والمـذاهب الاجتمـاعيـة» بجملتهـا ــ فيمـا عـدا المشاهداتِ والإحصائيات والمعلومات المباشرة، لا النتائجَ العامـة المستخلَصة منهـا، ولا التوجيهاتِ الكلية الناشئة عنها ــ إن هذه الاتجاهاتِ كلَّها في الفكر الجاهلي ــ أي غير الإسلامي ــ قديماً وحديثاً، متأثرةٌ تأثُّراً مباشراً بتصورات اعتقادية جاهليـة، وقائمـةٌ على هذه التصورات! ومعظمُها ــ إن لم يكن كلُّها ــ يتضمنُ في أصوله المنهجيةِ عداءً ظاهراً أو خفياً للتصور الديني جملة، وللتصور الإسلامي على وجْه الخصوص»[1].

ويعترف سيِّد بإقبالِه على الثقافة الغربية فترةً من حياته، ويشيـرُ إلى أثرهـا عليه، ويقرِّر فضْل الله عليه بعدها في هدايته إلى الفكر الإسـلامي الأصيل: «إن الـذي يكتبُ هـذا الكلامَ إنسـانٌ عاش يقـرأ أربعين سنة كـاملة. كـان عملُه الأولُ فيهـا هـو القـراءةَ والاطـلاعَ في معظم حقـول المعرفـة الإنسانيـة.. مـا هـو مِن تخصُّصـه، ومـا هـو من هواياته.. ثم عاد إلى مصادر عقيدتِه وتصوُّره، فـإذا هو يجـد كلَّ مـا قرأه ضئيـلاً ضئيلاً، إلى جـانبِ ذلك الـرصيـدِ الضخمِ ــ ومـا كـان يمكن أن يكـون إلاّ كـذلـك ــ ومـا هـو بنادمٍ على ما قضى فيـه أربعينَ سنةً من عمـره. فإنمـا عَرَفَ الجـاهليةَ على حقيقتِهـا، وعلى انحـرافِها، وعلى ضـآلتِها، وعلى قَـزامتِها، وعلى جعجعتِهـا وانتفـاشِهـا، وعلى غرورِها وادعائِها كذلك!!! وعَلمَ عِلْمَ اليَقين أنه لا يمكن أَنْ يجمعَ المسلم بين هـذَيْن المصدَريْن في التلقّي»[2].

السببُ المباشر لضياعه إذن، هو تلقّيه من الثقافة الغـربية المقـرراتِ والتصوراتِ والمبـادىء والأفكـار، مـع عـدم إدراكــه ــ أو نسيـانِــه ــ للمقــرَّرات والتصــورات الإسلامية.

والمسؤولـون عن ضياعـه، هم الذين فَتَحـوا له ذلـك المورد الثقـافيَّ الغـربـي، وسهّلوا له العَبَّ منه!

---

(١) معالِم في الطريق: ١٧١ ــ ١٧٢.

(٢) المرجع السابق: ١٧٦.

وفي طليعةِ هؤلاء المسؤولين، سيِّدُ قطب نفسُه! الذي سمحَ لنفسه أن يتزوَّدَ من مصادرَ أجنبية، وهو غيرُ متمكِّنٍ من مصادره الإسلامية، وهو غيرُ واقفٍ على أرضيّةٍ إيمانية ثابتة صلبة!

ومنهم أستاذُه العقاد، حيثُ حاول التلميذُ أن يقلِّد أستاذَه في كل شيء، وأن يجعلَه قدوةً له في كل شيء، فقلَّده وجاراه في العبِّ من تلك الثقافةِ الغربيّة، التي وجَدَ مصادرَها في مكتبةِ أستاذِه الضخمة!

ومنهم أصحابُ الدوريات من الصحفِ والمجلات السيارة، الذين قدَّموا للشباب الناشئين، المتشوِّقين للمعرفة والثقافة، تلك المقرراتِ والتصوراتِ الماديّة المتناقضة مع التصور الإسلامي!

ضياعُه فكريّ وليس سلوكيّاً

الضياع نوعان:

الأول: ضياعٌ فكري، وهو الواردُ على العقل والذهن والتصور ويبقى في الدائرةِ النظرية التصورية.

الثاني: ضياعٌ سلوكي، وهو الواردُ على السلوكِ والعملِ والتصرف والممارسة، بحيث ينعكسُ على السلوكيات والأعمال والتصرفات. فيبدو هذا الضائع متفلِّتاً من القيود، متحلّلاً من الأعراف والمبادىء والقيم، مقبلاً على المعاصي والأخطاء، من شرب الخمر والزنا والفجور.

وغالباً ما يكون تلازمٌ وارتباطٌ بين الضَّياعيْن عند الضائِعين، بحيث يسلِّمُ الأول للثاني، ويوصِل إليه، وينتهي به.

إن الذي يضيعُ في فكره وتصوُّره، يضيع ــ غالباً ــ في سلوكه وتصرفاته وممارساته، لا يُستثنى من ذلك إلّا بعضُ النماذج النادرة.

وكان سيِّد ــ في ضياعه ــ من هذه النماذج النادرة! حيث كان ضياعُه فكريّاً ذهنياً نظريّاً فقط، وانصبَّ ضياعُه على عقله وذهنه وتصوره، ولم يوصِل ضياعُه الفكريّ إلى ضياعٍ سلوكي، ولم تتأثَّر سلوكياتُه بضياعه الفكري.. بمعنى أنه لم يعشْ حياتَه منحرفاً

شاذاً متفلّتاً متحلّلاً، لم يعشْ حياةً «بوهيمية» عمادُهـا الشهوة واللذة والشـذوذ. لم يُعهد عنه أنه شربَ الخمرَ أو ارتكبَ فاحشةَ الزنا، أو مارسَ الشذوذ والمخدِّرات!

ولهذا جأَر بالتساؤل والشكوى

كـان سيِّـد في ضيـاعِـه الفكـريِّ، دائمَ التسـاؤل والشكــوى، والقلقِ والحيـرة، والشعورِ بالتعاسة والتعب!

كان يعيش تناقضاً مزعجاً بين إيحاءاتِ التصورات المادية الغربية، وبين ما استقرَّ في كيانِه ونفسه وفطرتِه من الفضائل والقيم السلوكية.

إن كيانَه لم يَتْلَفْ في ضياعه الفكري، كما أن فطرتَه لم تفسد! فبينما كان متمزِّقاً قلقاً، تائهاً بائساً، وبينما كانت التصوراتُ الـوافدةُ تـدعوه إلى الشـذوذ، كانت ضـوابطُ فطرتِه وكيانِه تكبحُ حركتَه، وتضبطُ تصرُّفه وسلوكَه، فيعاني من ذلك مـا يعاني، ويبـدو هذا في نَتاجه صُراخاً وألماً وشكوى!!

ولو مارس سيِّد ضياعاً سلوكيّاً فعليّاً في عالم الـواقع، لَمَـا شعرَ بهـذه الازدواجيةِ الحادّة، والمعاناة المؤلمة، ولَمَا برزت الشكوى في نتاجه الأدبي الشعري!

وأذكرُ أنّ هذا هو التعليلُ الذي قدَّمه الأستاذُ محمد قطب لظهورِ آثارِ ضياع سيِّـد الفكري، على نتاجه الشعري في فترة ضياعه.

فقد تساءلْتُ في رسالة الماجستير التي كتبتُها عن «سيِّد قطب والتصوير الفني في القرآن» عن سببِ ظهورِ آثار ضياع سيِّد على نتاجـه، متمثِّلاً في شكـواه وألمه وتسـاؤله وحيرته.

وكان الأستاذ محمـد قطب منـاقِشاً لـرسالـة الماجستيـر ــ عام ١٩٨٠م ــ، ولمّـا وصل في المناقشة إلى هذه المسألة، قـال: يختلفُ ضياعُ سيِّـد عن ضياعِ بـاقي كبار الأدباء والشعراء والمثقفين المصريين في ذلك الوقت، وبخاصةٍ ضيـاعَ أستاذِه العقاد.

لقد جمعَ أولئك المثقفون الضائعون ــ ومنهم العقاد ــ بين النوعيْن من الضياع. ضاعوا ضياعاً فكرياً، وضـاعوا ضيـاعاً سلوكيـاً، وعاشـوا حياةً عمليـة، بانحـرافٍ وإثم ومنكر!!

أما سيِّد، فلم يكن في ضياعه مثلَ هؤلاء، ولهذا تمزق وتألم، وتساءل واشتكى!!.

ملامحه في رحلة ضياعه

عندما نقرأ لسيِّد قصائدَ نظَمَها في رحلة ضياعه، وجعلَهَا انعكاساً لنفسه وكيانه، وتسجيلاً لملامحه وسماته، فإننا نُشفقُ عليه، ونأسى له، ونتألم ــ لحالته ــ معه!

لقد مرَّ ــ في ضياعه ــ بمرحلةٍ من الترددِ والشك، والحيرةِ والقلق، والعذابِ والألم، والتساؤل والبحث، والتمردِ والشكوى!! كان يبحثُ ويتأمل، وينظرُ ويفكر، ويسألُ الأحياءَ والأموات والجوامد. كان يريدُ أن يكشفَ سرَّ الحياة، ويعرفَ كُنْهَها وغايَتها. حاول السيرَ «إلى القمة»(١) فغاصَتْ منه «الأقدامُ في الرمال»(١)، واعتبرَ نفسه سائراً مُرْغماً، فَرْداً في «قافلة الرقيق»(١)، عاجزاً عن معرفة «السر»(١)!

راح يبكي بحرقة، ويصرخُ من الألم، ويلومُ نفسه المتحفِّزَة، وعقلَه الباحث، على حالته البائسة التي وصل إليها! وصار يتمنى لو يسعفُه الموت، ليخلِّصه من عذاب الحيرة، وعناءِ البحث والمعرفة!

وظل يبحثُ ويتأملُ ويسألُ، سنواتٍ عديدة، فلم يصل إلى استقرار، ولم يجد مجيباً لأسئلته واستفساراته!

فَقَدَ في رحلة ضياعه اطمئنانَ الضمير، وسعادةَ النفس، وراحةَ البال، وسعةَ الصدر، ويقينَ القلب!!. فَقَدَ نفسَه وقلبَه، ويقينَه وحياتَه وسعادته!. فغدا رجلاً بائساً حائراً تائهاً، حزيناً قلقاً شارداً، عَدَمِيّاً عَبَثِيّاً، يقول بعدميَّةِ وعبثيَّة الحياة!

لم يعرف ــ أثناءَ ضياعه ــ سرَّ وجوده، ولا وظيفةَ الكون من حوله، ولا الحكمة من خلق الكون والإنسان، ولا الهدفَ من الحياة! لم يجد لحياته معنىً عظيماً، فقال بتفاهتها بكلِّ ما فيها، ونادى بعبثيَّتِها وعدميَّتها، واعتبر الفَناءَ والزوالَ نهايتَها، ونهايةَ كلِّ ما فيها من عقائدَ وأفكار وقيم، ومشاعر وأعمال!!

ولا يستغربَنَّ أحدُ هذا الكلام عن سيِّد قطب، ولا يتشككَنَّ في صحة هذه

(١) عناوين أربع قصائد تترجم عن ضياعه.

الملامح التي ذكرناها لسيِّد، أثناء رحلةِ ضياعه الشاقة، لأننا لم نأتِ بها من عندنا، بل هي ما صرَّحَ ببعضِها في قصائده، وما بدا بعضُها من خلال بعض قصائده!

لقد نظَمَ سيِّد في ضياعه قصائد، جعلَها ترجمةً لنفسه، وانعكاساً لحياته وملامحه، وبدا فيها شبيهاً بقائدِ الضائعين الشعراء «عمر الخيام».

«الشاطىء المجهول» سجلٌّ ضياعه

نشر سيِّد ديوانَه «الشاطىء المجهول» في يناير ـ كانون ثاني ـ عام ١٩٣٥م. ولم ينشرْ بعدَه دواوين شعرية أخرى، رغم أنه أعلن عن بعضها، مثل «أصداء الزمن» و«الكأس المسمومة» و«قافلة الرقيق» و«حلم الفجر»(١).

والكتاب ـ «الشاطىء المجهول» ـ لم يُطْبَع إلاَّ مرة واحدة، ولذلك هو الآن في حكم المفقود!

ويخبرُ الأستاذُ يوسف العظم عن سيِّد قائلاً: «غير أنَّ أستاذَنا في أخريات عهدنا به، كان يصرِّح بأن الديوانَ أثرٌ من آثار جاهليته. وكم كان يحبُّ أن تصلَ يدُه إلى كل ما جاء فيه، في كلِّ نسخة، وصلتْ أيةَ بقعة في الأرض حتى يأتي عليه».

وقد نشر سيِّدُ ديوانَه، لمّا كان في غايةِ شعوره بالضياع، حيث كانت السنواتُ الأربع: ١٩٣٢م ـ ١٩٣٥م، هي الفترة التي تمكَّن الضياعُ فيها من فكره وشعوره، فجاءت هذه السنوات تسجيلاً لضياعه في أعنفِ وأشدِّ درجاته.

قسَّم سيِّد ديوانه إلى أربعةِ فصول:

* **الأول**: ظلالٌ ورموز: وقصائدُه ستَ عشرةَ قصيدة.
* **الثاني**: صور وتأمّلات: وقصائدُه ثلاثَ عشرة قصيدة.
* **الثالث**: غزل ومناجاة: وقصائدُه سبعُ وعشرون قصيدة.
* **الرابع**: وطنيات: وقصائدُه ستُ قصائد(٢).

---

(١) ستتكلم عن بحوثه المطبوعة وغير المطبوعة في آخر هذا الكتاب ـ بعون الله ـ.

(٢) انظر تعريف الدكتور عبد الله الخباص بفصول وقصائد ديوان «الشاطىء المجهول» في كتابه عن سيِّد قطب: ١٣٠ ـ ١٣٥.

ويبدو ضياعُه في قصائدِ الفصليْن الأوَّليْن، وهو أكثر بروزاً في قصائد الفصل الأول: «ظلال ورموز».

إن ديوان «الشاطىء المجهول» هو سجلٌ وديوانُ ضَياع سيِّد، وهناك قصائدُ في الديوان، تترجمُ عن ضياعه، وتقدِّمه بأبرزِ وأظهر حالاتِه ودرجاته.

بل إن اختيارَه لعنوان الديوان دليلٌ على ذلك، إنه يرى أن الحياة هي بحرٌ مجهولُ الكُنْهِ والحقيقةِ والغاية، وإنه هو يقف على شاطىءِ ذلك البحر المجهول، فجاءَ ديوانه وصْفاً لمعالم وملامح وسمات «الشاطىء المجهول»، وهو شاطىءُ الحياة.

وقال سيِّد في مقدمته التي كتبها لديوانِه عن الحكمة من اختياره هذا العنوان: «يملأُ الشغفُ بكشفِ «المجهول»، والحديثُ عن «السر»، حيِّزاً كبيراً من الديوان، ويمدُّ جناحيْه على حيزٍ آخر، ومن هنا جاء اسمُه»[1].

وأولُ قصائدِ الديوان، سمّاها «إلى الشاطىء المجهول»، وقد نظَمَها عام ١٩٣٤م، وهو في أَوْجِ شعوره بالضياع.

قال فيها:

إلى الشاطىءِ المجهولِ، والعالَم الذي ... حنَنْتُ لمرآه، إلى الضفةِ الأخرى
إلى حيْثُ لا تَدْري، إلى حيْثُ لا ترى ... معالِمَ للأزمانِ والكونِ تُسْتَقْرَا
إلى حيثُ «لا حَيْثُ» تَميزُ حدودَه ... إلى حيثُ تَنْسى الناسَ والكونَ والدهرا
وتَشْعُرُ أَنَّ «الجزءَ» و«الكلَّ» واحد ... وتمزجُ في الحسِّ البداهَةَ والفِكْرا
فليسَ هنا «أمسٌ» وليسَ هنا «غدٌ» ... ولا «اليومُ» فالأزمانُ كالحَلْقَةِ الكبرى
وليسَ هنا «غَيْرٌ» وليسَ هنا «أنا» ... هنا الوحدةُ الكبرى التي احْتَجَبَتْ سِرّا[2]

وأكثرُ ما يبدو ضياعُه بروزاً في قصائد: «في الصحراء»، و«السر: أو الشاعر في وادي الموتى»، و«الإنسان الأخير»، و«الغد المجهول»، و«النفس الضائعة»، و«غريب»، و«خراب»، و«الشعاع الخابي»، و«سخرية الأقدار»، و«يوم خريف».

(١) الشاطىء المجهول: ١١.

(٢) المرجع السابق: ١٩.

نماذجُ من شعرِه في ضياعه

نقدِّمُ فيما يلي نماذج لأبياتٍ من شعره، يتجلّى فيها ضياعُه وشعورُه باليأس والحيرة والتيه.. ونوردُها بدون تعليق، لأنها تُغني بذاتها عن كل تعليق.

من قصيدة «الشعاع الخابي»

١ ــ قال في قصيدة «الشعاع الخابي»، وقد نظمها سنة ١٩٣٢م:

لاحَ من جانِبِ الأُفْقِ شُعاعْ   بَيْنَما أَخْبُطُ في داجي الظَّلامْ
في صحارىٰ اليَأْسِ أَسْري في ارْتِياعْ   حَيْثُ تَبْدو موحِشاتٍ كالرِّجامْ

حَيْثُ يَسْري الهَوْلُ فيها واجِماً
وَيَطُوفُ الرُّعْبُ فيها هائِماً
وَالغَناءُ المَحْضُ يَبْدو جاثِماً

. . . .

قُلْتُ ماذا؟ قالَ لي رَجْعُ الصّدى   إيهِ ماذا؟ قُلْتُ لِلْوَهْمِ: عَلامَا؟
قالَ لي: اخْشَعْ أَنْتَ في وادي الرَّدىٰ   حَيْثُ يُطْوىٰ الضَّوْءُ طُرّاً والظَّلاما

ها هُنا تَثْوي الأَماني، ها هُنا
في مَهاوي اليَأْسِ، في كَهْفِ الفَنا
كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ، حَتّى أَنا!!(١)

من قصيدة «خراب»:

٢ ــ في قصيدة «خراب» التي نظمها سنة ١٩٣٢م. خلعَ ضياعَه ويأسه على الكون من حوله. ومما قاله فيها:

زَهْرَةٌ في إِثْرِ أُخْرى تَحْتَضِرْ   وَهُوَ يَرْنو ذاهِلاً لِلزَّهَراتْ
مُلْقَياتٍ حَوْلَهُ بَيْنَ الحُفَرْ   وَالرِّياحُ الهوجُ تَذْوي مُعْوِلاتْ
وَإذا الكَوْنُ حَوالَيْهِ خَرابْ   موحِشُ الأَرْجاءِ مَفْقودُ القَطِينْ

---

(١) الشاطىء المجهول: قصيدة «الشعاع الخابي»: ٢١ ــ ٢٣.

وَهُــوَ يَــرْنُــو فــي وُجــومٍ واكـتِئـابْ   يَــكْـتُــمُ الــعَـبْـرَةَ فــيــهِ وَالأَنــيــنُ
وَيُــدَوِّي حَــوْلَــهُ صَــوْتُ الــفَــنــاءْ   حَـيْـثُ تُـمْـحى كُـلُّ آثـارِ الـوُجـودْ
أَيْنَ؟ ـ لا أَيْنَ! ـ الأَمــانــي وَالــرَّجــاءْ   طَـمَسَ اليَـأْسُ عَـلَيْهـا وَالـكُـنـودْ![1]

من قصيدة «في الصحراء»

٣ ـ في قصيدة «في الصحراء» التي نظمها سنة ١٩٣٢م، جعل نخلتيْن من نخيل الصحراء تنطقان باسمه، وتتحدثان عن ضياعِ الحياةِ والأحياء! وقال في مقدمتها:

في ليلةٍ من ليالي الخريف المقمِرة، الراكدة الهواء، المحتبِسة الأَنفاس، وفي صحراء جبل المقطَّم الموحِشة، وبيْن هذا القفرِ الصامت الأَبيد؛ كانت تتراءى نخلاتٌ ساكناتٌ في وجومٍ كئيب. ومن بينها نخلتان: إحداهما طويلةٌ سامقة، والأخرى قصيرةٌ قميئة. بيْن هاتيْن النخلتيْن دار حديث. وكانت بينهما همسات ومناجاة!

قالت الصغيرة:

مــا لَــنــا فــي ذلِــكَ الــقَـفْـرِ هُــنــا   مــا بَــرِحْـنـا مُـنْـذُ حينٍ شــاخِـصــاتْ
كُــلَّ شَــيْءٍ صــامِـتٌ مِــنْ حَــوْلِــنــا   وَأَرانــا نَــحْـنُ أَيْــضــاً صــامِـتــاتْ!؟
تَــطْلُعُ الــشَّـمْسُ عَــلَيْـنـا وَتَــغـيــبْ
وَيُــطِلُّ الــلَّيْــلُ كَــالـشَّــيْـخِ الـكَئِـيـبْ
وَالــنُّـجــومُ الــزُّهْــرُ تَــغْــدو وَتَــنــوبْ
وَغُدُوّ وَأَصيلْ ∴ وَطلُوعٌ وأُفولْ ∴ ثُمَّ نَبْقى في ذُهولْ
ساهِـمـاتْ!
أَفَــلا تَــدْرِيـنَ يَــا أُخْـتـي الـكَـبـيــرَةْ   مــا الّــذي أَطْـلَعَـنـا بَـيْـنَ الـيَـبـابْ
أَيُــمــا إِثْــمٍ جَــنَــيْــنَــا أَوْجَــريــرَةْ   سَــلَكَـتْـنـا فــي تَـجـاويـفِ الـعَــذابْ
قَــدْ سَئِمْتُ الــلُّبْثَ فــي هــذا الـمَـكَــانْ
لِــبْثَــةَ الـمَصْـلوب في صُــلْبِ الــزَّمــانْ
أَفَــمــا آنَ لِــتَــبْــديــلٍ أَوانْ؟
حَدِّثيني لِمَ نَشْقىٰ؟ حَدِّثيني كَمْ سَنَلْقى؟ حَدِّثيني كَمْ سَنَبْقَى؟
واقِـفـاتْ!

(١) الشاطىء المجهول: قصيدة «خراب»: ٢٥ ــ ٢٦.

فأجابتها الكبيرة قائلة:

أنـا يـا أُخْـتـاهُ: لا أَدْري الـجَـوابْ ... وَدفـيـنُ الـسِّـرِّ لَـمْ يُـكْشَـفْ لَـنَـا
مُنْـذُ مـا أُطْلِعْـتُ في هـذا الـخَـرابْ ... وَأنـا أَسْـأَلُ: مـا شَـأْنـي هُـنـا؟

فَيُجيبُ الـصَّمْـتُ حَـوْلي بِـالـسُّكـونْ!
وَأَنـا أَخْـبِطُ فـي وادي الـظُّنـونْ
لَسْتُ أَدْرِيَ حِكْمَـةَ الـدَّهْـرِ الـضَّنـيْنْ
غَيرَ أَنَّا حائِراتْ ∴ واللَّيالي العابِثاتْ ∴ تتجنّى ساخراتْ
لاهيـاتْ!

وختم الحوار بين النخلتين بأن كلَّ شيء في الوجود للزوال والشتات:

ثُمَّ سَـادَ الصَّمْتُ كـالـطَّيْف الحـزيـنْ
وتَـسَـمَّـعْـتُ لأَقْـدَامِ الـسِّـنِـيـنْ
وهي تَخْـطو خُـطوةَ الشيـخ الـرزيـنْ
هامِساتٌ في الرِّمالْ ∴ مُنْشِداتٌ في جَلالْ ∴ كُلُّ شَيْءٍ لِلزَّوالْ
وَالشَّـتـاتْ!(١)

من قصيدة «النفس الضائعة»

٤ ـ قصيدة «النفس الضائعة» التي نظمها عام ١٩٣٤م، قرَّرَ فيها أنـه يفتِّش عن نفسه، ولكنه لم يَجِدْها، لأنها ضاعتْ منه:

أَئِـنّـي أنـا؟ أَمْ ذاكَ رَمْـزٌ لِـغـابِـرِ ... لأَنْكَـرْتُ مِنْ نَفْسي أَخَصَّ شَعـائِـري
لأَنْكَـرْتِ إِحْسـاسي وأَنْكَـرْتُ مَنْـزَعي ... وَأَنْكَـرْتُ آمـالي، وَشَـتّى خَـواطِـري
وَأَنْكَرْتُ شِعْـري، وَهُـوَ نَفْسي بَـريئَـةً ... مُـمَحَّـضَـةً مِنْ كُـلِّ خِلْطٍ مُـخـامِـرِ
وَتَفْصِلُني عَمّـا مَضى مِنْ مَشـاعِـري ... عُـهـودٌ وَآمـادٌ طِـوالُ الـدَّيـاجِـرِ

. . . .

أُنَقِّبُ عَـنْ مـاضِـيَّ بَـيْـنَ سَـرائِـري ... فَـأَلْمَحُـهُ كـالـوَهمِ، أَوْ طَيْفِ عـابِـرِ
أَعـيشُ بِـلا مـاضٍ كَـأَنِّي نَـبْـتَـةٌ ... عَلى السَّـطْحِ تَطْفـو في مَهَبِّ الأَعاصِـرِ

(١) الشاطىء المجهول. قصيدة «في الصحراء»: ٢٧ ـ ٣١.

وَمَا غَابِرُ الإِنْسَانِ إِلَّا جُذورُهُ ... فَهَلْ تَمَّ نَبْتٌ دونَ جِذْرٍ مُؤازِرِ
وَقَدْ يَتَعَزَّى المَرْءُ عَنْ فَقْدِ قابِلٍ ... فَكَيْفَ عَزاءُ المَرْءِ عَنْ فَقْدِ غابِرِ
أُنَقِّبُ عَنْ نَفْسي الَّتي قَدْ فَقَدْتُهَا ... بِنَفْسي الَّتي أَحْيا بِها غَيْرَ شاعِرِ

. . . .

وَلٰكِنَّني أيْأَسْتُ أَنْ أَلْتَقي بِها ... وَتَاهَتْ بِوادٍ غامِرِ التِّيهِ غائِرِ
سَأَحْيا إِذَنْ كَالطَّيْفِ لَيْسَتْ تُحِسُّهُ ... يَدانِ، وَلا يَجْلوهُ ضَوْءٌ لِناظِرِ(١)

من قصيدة «الغد المجهول»

٥ ــ وفي قصيدة «الغد المجهول» التي نظمها عام ١٩٣٤م، يقرر ضياعَ غدِه ومستقبلِه:

يا لَيْتَ شِعْري، ما يُخَبِّئُهُ غَدي؟ ... إِنِّي أَرُوحُ مَعَ الظُّنونِ وَأَغْتَدي
وَأُجيلُ باصِرَتي بِها وَبَصيرَتي ... أَبْغي الهُدى فيها، وَمَا أنا مُهْتَدي

. . . .

فَكَأَنَّني المَلَّاحُ تاهَ سَفِينُهُ ... وَيَخافُ مِنْ شَطٍّ مُريبٍ أَجْرَدِ
ماذا سَيولَدُ يَوْمَ تولَدُ يا غَدي؟ ... إِنِّي أُحِسُّ بِهَوْلِ هٰذا المَوْلِدِ

. . . .

ماذا تَخَلَّفَ يَوْمُ تَذْهَبُ يا غَدي؟ ... لا شَيْءَ بَعْدَ الفَقْدِ لِلْمُتَفَقِّدِ
سَتُخَلِّفُ الأَيّامُ قاعاً صَفْصَفاً ... تَذْروا الرِّياحُ بِها غُبارَ الفَدْفَدِ
لا مُرْتَجىً يُرْجى، وَلا أَسَفٌ على ... ماضٍ يَضيعُ كَأَنَّهُ لَمْ يوجَدِ
أَبَداً وَلا ذِكْرى تُجَدِّدُ ما انْطَوى ... حَتَّى التَّأَلُّمَ لا يَعُودُ بِمَشْهَدي
رَبّاهُ إِنِّي قَدْ سَئِمْتُ تَرَدُّدي ... فَالآنَ فَلْتُقْدِمْ بِهَوْلِكَ يا غَدي(٢)

من قصيدة «غريب»

٦ ــ وفي قصيدة «غريب» التي نظمها عام ١٩٣٤م، يصرِّحُ بِغُرْبَتِهِ البائسةِ القاتلةِ في هذه الحياة:

---

(١) الشاطىء المجهول. قصيدة «النفس الضائعة»: ٤٥ ــ ٤٧.

(٢) المرجع السابق: قصيدة «الغد المجهول»: ٤٨ ــ ٥٠.

غَـريـبٌ! أَجَـلْ أنَـا فـي غُـرْبَـةٍ وَإنْ حفَّ بِي الصُّحْبُ وَالأَقْـرَبـونْ
غَـريـبٌ بـنَـفـسـي ومـا تَـنْـطَوي عَـلَيْـهِ حَنـايـا فُـؤادي الـحَـنـونْ
غَـريـبٌ، وَإنْ كَـانَ لَـمّـا يَـزَلْ بِبَعْضِ الـقُـلوبِ لِـقَلْبي حَـنـيـنْ
وَلٰـكِـنَّـهـا دَخَـلَتْـهـا الـظُّـنـونْ وجَـاوَرَ فـيـهـا الـشُّـكـوكَ اليَـقـيـنْ
غَـريـبٌ فـوا حـاجَتـي لِلْمُـعـيـنْ وَوَا لَـهْـفَ نَـفْـسـيَ لِلْمُـخْـلِصـيـنْ(١)

من قصيدة «السِّرّ»

٧ ــ نظم في عام ١٩٣٤م، قصيدةَ «السِّرّ: أو الشاعرُ في وادي الموتى» وقال في مقدمتها مبيِّناً المناسبةَ التي نظمها فيها: «اعتادَ الشاعرُ أن يتردَّدَ كثيراً على «وادي الموتى» في أوقاتٍ مختلفَة، أكثرَ ما تكون عند مغرب الشمس وقبل طلوعها!

---

(١) الشاطىء المجهول. قصيدة «غريب»: ٥١ ــ ٥٢. والعجيب أن سيِّد «ألقى» غربتَه على شقيقه «محمد» بحيث قال «محمد» مبيِّناً غربته هو الآخر، في قصيدة «غريب» التي صاغها وهو في الحادية والعشرين من عمره:

غَـريـبٌ أنـا فـي ذلِـكَ الـكَـوْنِ كُـلِّهِ عَلى سَعَـةٍ في الكَـوْنِ تـوحي بِـإيـنـاسِ
غَـريـبٌ بِـنَـفْـسـي عَـنْ نُـفُـوسٍ كـثـيـرةٍ غَـريبٌ بِفِكْـري عَنْ دُنىٰ ذلِـكَ النَّـاسِ
وَأَحْـسَـبُ أَنِّـي تـائِـهٌ فـي غِـمـارِهِـمْ كَما ضَلَّ وَمْضٌ في غِمارِ الدُّجى القاسي
. . . .
لأَحْـسَـبُ فـي دُنْـيـا هـمُـو كُـلَّ ضَـلَّةٍ وَأَحْسَبُهـا دُنْيـا مِنْ شُـرورٍ وَأَرْجـاسِ
. . . .
وَلٰـكِـنَّـنـي أَقْـفَـرْتُ يَـوْماً مِنَ المُنـى وَجِئْـتُ إلـى الـظَّلْمـاءِ غَـيْـرَ مُـزَوَّدِ
فَـلَفَّـتْـنِـيَ الـظَّلْماءُ مِنْ كُلِّ جانِـبٍ وَبُثَّـتْ لِيَ الأَشْـواكُ فـي كُـلِّ مَـقْـصَـدِ
وَمَـا أَرْتَـوي مِـنْ مَـوْرِدٍ أَيِّ مَـوْرِدِ وَمـا أَلْـتَـقـي إلاَّ بِـدَجْـوانَ أَجْـرَدِ
وَطـاوَلَ قَـلْبي لِـلسُّـكـونِ وَلِـلْكَـرىٰ بَـلِيـداً مِـنَ الإحـسـاسِ أَيَّ تَـبَـلُّدِ
فَـلَمّـا أَفَـقْـتُ الـيَوْمَ مِنْ ذلكَ الكَـرىٰ تَـلَمَّسْـتُ حَـوْلي الـكَـوْنَ عَـلِّيَ أَهْـتَـدي
فَـأَلْـفَـيْـتُـنـي فيـهِ غَـريبـاً مُـشَـرَّداً أُهَـوِّمُ فـي وادٍ مِـنَ الـتِّـيـهِ سَـرْمَـدِ

انظر تعريف سيِّد بقصيدة شقيقه في مقالته «الاتجاهات الحديثة في الشعر العربي» في «دار العلوم». السنة الرابعة. العدد الرابع. أبريل ١٩٤١م. صفحات: ٦٠ ــ ٦١.

وهو يجدُ في هذه الزيارات، لذةً غريبة، كما يجدُ مَجالاً لتأملاتٍ غيرِ محدودة، ولكنها تثير فيه الشوقَ لمعاودتها كرة أخرى.

وفي مرة، منذ ستةِ أعوام [أي عام ١٩٢٨م، وقبل دخوله كلية دار العلوم] أَرِقَ في الهزيع الثاني، وجالَ بخاطره أن يلجأ إلى حمى الموتى، مدفوعاً بشعورٍ غامض، لا يُبالي وحشةَ مثلِ هذه الأماكن، في جنحِ اللَّيل المدلهمّ!

وسارَ خطوات، ولكنه أحسَّ بالرهبة، وساوَرَه الوجل وشعر كأن أصواتاً من وراءِ الحفائر تتناجى، ثم توجَّهُ له الخطاب!

ليس للشعر يدٌ في هذا التصوير، فهو الحقيقةُ التي أحسَّها، كما يَسمعُ الصوتَ، وكما ينظرُ المرئيّات.

وقد عادَ صامتاً واجماً، وبعدَ أنْ ذهبَ عنه الروع، حاولَ أن يفسِّر عن طريق «الوعي والتأمُّل» ما دفعه لهذه الرحلة، وما شعرَ به في أعماق نفسه.. وبعدَ ستِّ سنواتٍ نجحتْ محاولتُهُ الشعرية:

لما سار بين القبور، كأنهُ سمعَ الأمواتَ يسألونه قائلين:

من الطّارِقُ السّاري خِلالَ المَقابِرِ ... كَخَفْقَةِ روحٍ في الدُّجُنّاتِ عابِرِ؟
مَنِ الوَجِلُ المَذْعورُ في وَحْشَةِ الدُّجى ... تُقَلِّبُهُ الأَوْهامُ في كُلِّ خاطِرِ؟
يُنَقِّلُ في تِلْكَ الدَّياجيرِ خَطْوَهُ ... وَيَخْطِرُ في هَمْسٍ كَهَمْسِ المُحاذِرِ؟

فأجاب الأمواتَ على أسئلتهم، وعرَّفهم على نفسِه، وعلى هدفِه من القدوم إليهم، وأنه تائهٌ يبحث عن الحقيقة:

هُوَ الشّاعِرُ المَلْهوفُ لِلْحَقِّ وَالهُدى ... وَلِلسِّرِّ لَمْ يَكْشِفْهُ ضَوْءٌ لِناظِرِ
تَحَيَّر في سِرِّ الحَياةِ وَما اهْتَدى ... إِلَيْهِ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِتِلْكَ الظَّواهِرِ
وَساءَلَ عَنْهُ الكَوْنَ، والكَوْنُ حائِرٌ ... يَسيرُ كَمَعْصوبٍ بِأَيْدي المَقابِرِ
وَساءَلَ عَنْهُ المَوْتَ، وَالمَوْتُ سادِرٌ ... وَساءَلَ عَنْهُ الشِّعْرَ في حَنْقِ ثائِرِ
وَساءَلَ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَمْ يَفُزْ ... بِشَيْءٍ، ولَمْ يَرْجِعْ بِصَفْقَةِ ظافِرِ
أَفي هٰذِهِ الأَجْداثِ طِلَّسْمُ سِرِّهِ؟ ... لَعَلَّ! فَمَنْ يَدْري بِسِرِّ المَقابِرِ؟

وطرح عليهم أسئلتَه، التي يرجو أن يكـون عندهم جـوابٌ مقنعٌ عليهـا، بعد أن تعسَّرَ عليه أخذُ ذلك الجوابِ من الأحياء. وهي أسئلةٌ تعبِّر عن ضياعِه أبلغَ تعبير:

أنـا الحَيُّ، لَمّـا يَـدْرِ أَسْبـابَ خَلْقِـهِ ... أَنـا المُـدْلِـجُ الحَيْـرانُ بَيْنَ الخَـواطِـرِ
دَلَـفْـتُ إِلـى وَادي الـمَـنـايـا لَـعَـلَّـني ... أَفـوزُ بِـسِـرٍّ فـي حَـنـايـاهُ غـائِـرِ
أَمـا تَعْلَمـونَ السِّـرَّ في خَلْقِ عـالَمٍ ... يَمـوتُ وَيَحْيـا بَيْـنَ حيـنٍ وَآخَـرِ
وَتَكْنُفُـهُ الأَجْـداثُ مِنْ كُـلِّ جـانِـبٍ ... وَيَـرْكَبُ لِلْغايـاتِ شَتّى المخـاطِـرِ؟
وَلَـيْسَ لَـهُ مِـنْ غـايَـةٍ غَـيْـرَ أَنَّـهُ ... مَسـوقٌ إِلى تَـحْقيـقِ رَغْبَـةِ قـاهِـرِ
ضَنيـنٌ بِمـا يَبْـغيـهِ لَـيْسَ يُبـيحُـهُ ... لِـسـائِـلِهِ عَـمّـا وراءَ الـظَّواهِـرِ
وَمـاذا لَقَيْـتُمْ بَـعْـدَمـا قَـدْ خَلَعْـتُمُـو ... قُيـودَ اللَّيـالي الخـادِعـاتِ المـواكِـرِ
وَمـاذا وراءَ الغَيْبِ، والغَيْـبُ مُـطْبِـقٌ؟ ... وَهَـلْ يَـتَـجَـلّى مَـرَّةً لِـلنَّـواظِـرِ؟
سُؤالُ أخي شَـوْق، وَقَـدْ طـالَ شَـوْقُـهُ ... وَحيـرَتُـهُ، بَيْـنَ الشُّـكـوكِ الكَـوافِـرِ

ولكنَّ الأمـواتَ لم يُجيبوه على أسئلتـه، وكلَّمه شيخٌ منهم كـأنـه زعيمُهم، بـأن البحثَ عن السِّـرِّ قد أتعبَهم في دنيـاهم، فلما مـاتوا استـراحـوا من البحثِ عن السر، فلماذا يأتي هو الآن ليزعجَهم بهذه الأسئلة؟:

قال له الشيخُ الميت:

أَيـا وَيْـلَهـا تِـلْكَ الـحَـيـاةُ وَأَهْـلُهـا ... يُكَشِّـفُ عَنْ بَلْوائِهـا كُـلَّ سـاتِـرِ
وَتَـطْلُبُ أَسْبـابَ الشَّـقـاءِ لِنَفسِهـا ... فَتَضْـرِبُ في تيـهٍ مِنَ الشَّـكِّ غـامِـرِ
وَتَسْـأَلُ عَنْ «سِـرٍّ» وَلَيْسَـتْ بِحَـاجَـةٍ ... إِلى السِّـرِّ تَشْريـهِ بِـأَنْفَسِ حـاضِـرِ
لَقَـدْ أَغْمَضَ المَـوْتُ الـرَّحيمُ جُفونَنـا ... وَهَـدَّأَ فـي أَفْـكـارِنـا كُـلَّ نـافِـرِ
نَـسينـا سُؤالاً، لَمْ يَـزَلْ كُـلُّ كـائِـنٍ ... يُـرَدِّدُهُ حَـيْـرانَ فـي حِـزْرِ حـازِرِ
نَسينـاهُ فَـارْتَحْنـا مِنَ الـحِيـرَةِ الَّتي ... خَسِـرْنـا بِهـا الأَعْمـارَ جِـدَّ نـواضِـرِ
وَهـا أَنْتَ ذا تُـذْكيـهِ يـا لَـكَ جائِـراً ... وَيـا لَـكَ مَخْـدوعـاً بِسِـرِّ المَقـابِـرِ
وَهـا نَـحْـنُ وَدَّعْـنـا هُـدوءاً وَهَـيْـنَـةً ... شَـرَيْناهُمـا بِـالعُمْـرِ يـا لَلْخَسـائِـرِ

وعاد من عند الأموات بدون جواب، وازداد شعوراً بالتِّيهِ والحيرةِ والضياع!!:

وَعـادَ أَخـو الأَحْيـاءِ يَعْـطُو بِـحَسْـرَةٍ ... وَلَـهْفَـةِ مَـحْـرومٍ، وَإِعيـاءِ خـائِـرِ

لَقَدْ كان في المَوْتىٰ وَفي المَوْتِ مَأْمَلٌ يُعَلِّلُهُ بِالكَشْفِ عَنْ كُلِّ ضامِرِ
فَأَلْقىٰ سَراباً ثُمَّ لا يَنْقَعُ الصَّدى فَوا نَدَماً عَنْ بَحْثِهِ المُتَواتِرِ
فَقَدْ كانَ خَيْراً أَنْ يَعيشَ عَلى المُنى ويَأْمَلَ بعد الموتِ كَشْفَ السَّتائِرِ
ويَا ليتَ هَذا الموتَ يُسرِعُ خَطْوَهُ فَيَطْوِيَ حَيّاً عُمْرُهُ رِبْحُ خاسِرِ!![1]

من قصيدة «سخرية الأقدار»

٨ ــ كيف كان ينظر إلى الأقدار في رحلةِ ضياعه؟ الجوابُ في قصيدته «سخريةُ الأقدار»، التي نظمها عام ١٩٢٩م:

أَغْلَبُ الظنِّ، وَقَدْ تَدْري الظُّنونْ أَنَّها أَلْعابُ دَهْرٍ ساخِرِ
ماهِرٌ يَهْزَأُ بِالْمُسْتَهْزِئينْ يَبْعَثُ النُّكْتَةَ عَفْوَ الخاطِرِ

* * *

وَسواءٌ أَضْحَكَتْ سُمّارَهُ أَمْ دَهَتْهُمْ بِالرَّزايا وَالمِحَنْ
فَهُوَ يُلْقي أَبَداً أَدْوارَهُ وَهُوَ لا يَسْأَلُ عَنْ ماذا وَمَنْ؟

* * *

يَسْمَعُ الأَنّاتِ تَشْتَقُّ القُلوبْ صارِخاتٍ كَشَجِيّاتِ النُّوَاحْ
لَيَكادُ الصَّخْرُ مِنْ هَوْلٍ يَذوبْ وَهُوَ يَلْقاها بِهُزْءٍ وَمِزاحْ[2]

من قصيدة «يوم خريف»

٩ ــ في قصيدة «يوم خريف»، التي نظمها عام ١٩٣٢م، أَطلَعَنا على نظرتِهِ إلى نفسه، وإلى الكونِ من حوله. وهي النظرةُ بمنظارِ ضياعه وحيرته، فرأى الكونَ والحياةَ خريفاً يابساً جافاً ماحلاً، وألقى فيها تعبه وقلقَه وضياعَه على الكون، فبَدَا الكونُ تَعِباً قَلِقاً ضائِعاً:

وَقَفَ الكَوْنُ شاخِصاً في سُكونٍ وَتَراءىٰ لِخاطِري كالحَزينِ
وَشُخوصُ الأَحْداثِ يُغْرِقُها الصَّمْتُ فَتَبْدو كَباهِتاتِ الظُّنونِ

---

(١) الشاطىء المجهول. قصيدة «السر»: ٦٢ ــ ٧١.
(٢) المرجع السابق. قصيدة «سخرية الأقدار»: ٧٢.

وَكَأَنَّ الزَّمانَ ساوَرَهُ الحُزْنُ فَأَغْفى إغْفاءَةَ المُسْتَكينِ
وَكَأَنَّ الأَفْلاكَ أَجْهَدَها السَّيْرُ فَناءَتْ بِحَمْلِ عِبْءِ القُرونِ
وَكَأَنَّ الأَقْدارَ أَرْخَتْ يَدَيْها وَتَراخَتْ عَنْ صَرْفِها لِلشُّؤونِ

* * *

وَقَفَ الكَوْنُ ساهِماً لَيْسَ يَدْري أَيْنَ يَمْضي؟ وَأَيْنَ لَوْ شاءَ يَمْضي؟
طالَما دارَ بِالأَنامِ وَداروا بَيْنَ رَفْعٍ مِنَ الحَياةِ وَخَفْضِ
ثُمَّ ماذا؟ تَساءَلَ الكَوْنُ: ماذا؟ أَحَياةٌ ما بَيْنَ غَزْلٍ وَنَقْضِ؟
أَيُّما غايَةٍ نَؤُمُّ إِلَيْها أَيُّ قَصْدٍ قَضَّيْتُهُ أَوْ سَأَقْضي؟
تَعَبٌ ضائِعٌ، وَجُهْدٌ غَبينٌ وَمَصيرٌ مُقَنَّعٌ لَيْسَ يُرْضي

* * *

وَسَرى اليَأْسُ وَالخُمولُ إِلَيْهِ فَتَراخى في سَيْرِهِ كَالبَليدِ
وَتَمَشَّى الهُمودُ في كُلِّ شَيْءٍ مِشْيَةَ الدّاءِ بِالأَسى المَنْكودِ

. . . .

مَأْتَمٌ صامِتٌ يُهَوِّمُ فيهِ شَبَحُ اليَأْسِ وَالقُنوطِ العَقيمِ
لَيْسَ مَوْتٌ وَلَيْسَ ثَمَّ حَياةٌ كُلُّ شَيْءٍ في صَمْتِهِ كَالسَّقيمِ
وَالوُجومُ الَّذي يُغَشّي عَلَيْها كاسِفُ البالِ مُمعنٌ في الوُجومِ
وَخُفوقُ الأَرْواحِ أَبْطَأُ نَبْضاً كَخُفوقِ النُّجومِ خَلْفَ السَّديمِ
أَسْبَلَتْ عَيْنَها الحَياةُ سَآماً وَاسْتَنامَتْ لِلْيَأْسِ وَالتَّسْليمِ (١)

شعر الضياع في الأربعينيّات

نتقل بعد هذه النماذج التسعة، لنوردَ نموذجيْن لشعر الضياع في الأربعينيّات، وهما قصيدتان نظمهما في هذه الفترة، وختمَ بهما شعرَ الضياع. حيث انتهى ضياعُه بعدها، واهتدى إلى طريقه المستقيم.

---

(١) الشاطىء المجهول. قصيدة «يوم خريف»: ١١٠ ــ ١١٣.

قصيدة «قافلة الرقيق»

نشرها في مجلة «الكتاب». عدد «يونيو» ــ حزيران ــ عام ١٩٤٦م، وجعل عنوانَها عنواناً لديوانِ شعرٍ له، لكنه لم يصدره.

قِفْ بنا يا حادِيَ العُمْرِ هُنا لَحْظَةً نَنْظُرُ ماذا حَوْلَنا
في طَريقٍ قَدْ نَثَرْنا عُمْرَنا فِيهِ أَشْلاءُ حَياةٍ وَمُنى

* * *

قَدْ نَثَرْناها عَلى طولِ الطَّريقْ وَمَضَيْنا ضِمْنَ قِطْعانِ الرَّقيقْ
مَوْكِبٌ يَعْطو إِلى الشَّطِّ السَّحيقْ مغمَضَ العَيْنَيْنِ يَسْري موهِنا

* * *

مِن ظَلامِ الغَيْبِ تَخْطو قَدَماهْ لِظَلامِ الغَيْبِ تَنْسَاقُ خُطَاهْ
فِي طَرِيقٍ غامِضٍ يُدْعى الحَياهْ يَهْتِفُ الحَادِي فَيَمْضي مُذْعِنَا

* * *

قِفْ بِنَا نَنْظُرْ إِلى أَشْلائِنا نَحْنُ لا نَرْجِعُ يَوْماً ها هُنا
مَرَّةً تَمْضِي، ونَمْضِي وَحْدَنا في ظَلامِ الغَيْبِ نَطْوي الزَّمَنا

* * *

لَهْفَةً لَوْ عُدْتُ أَرْعى خُطُواتي في طَريقٍ دَرَجَتْ فيه حَياتِي
فَتَطَلَّعْتُ إِلى هذا الشَّتاتِ وَأَنا في الكَرَّةِ الأُخْرى أَنا

* * *

لَتَمَلَّيْتُ شَياتي وَسِماتي وَأَمانِيَّ وَيَأْسي وَرَجاتي
وَحَماقاتي وَرُشْدي وَهَناتي وَالهَوَى الحاني الَّذي ظَلَّلَنا

* * *

كُلّها عاهَدْتُ أَنْ أَقْضِيَ عُمْري وَأَنا أُخْلِصُها سِرّي وَجَهْري
وَإِذا السَّوْطُ هوًى يُلْهِبُ ظَهْري حَيْثُ لا أَسْطِيعُ رَيْثاً أَوْ وَنى

* * *

وَإِذا الآمالُ وَالآلامُ خَلْفي ساخِراتٌ مِنْ مَواعيدي وَخُلْفي
مُلْقَياتٍ بَيْنَ إِهْمالٍ مُسِفٍّ لَمْ أُوَدِّعْها. فَيَا وا حَزَنا

* * *

أَيُّـها الـحـادِي أَلا فـامْضِ بِـنـا   قَـدْ أَثـارَتْ ذِكْـرَيـاتـي الـشَّـجَـنـا
لَـمْ نَـعُـدْ نَـجْـزَعُ لَـوْ تَـحْـدو لَـنَـا   «نَحْنُ لا نَـرْجِـعُ يَـوْمـاً هـا هُنـا»[1]

* * *

قصيدة «أقدام في الرمال»

هي آخر قصيدةٍ من قصائد ضياعه التي وقفتُ عليها، وقد نشرها في مجلة «الكتاب». عدد «أكتوبر». عام ١٩٤٦م:

نَـحْـنُ؟ أَمْ تِـلْكَ عَـلى الأَرْضِ ظِـلالْ   وَخَـيـالٌ سـارِبٌ إِثْـرَ خَـيـالْ
فـي مـتـاهـاتِ وُجـودٍ لِـزَوالْ   كَبَقـايـا الـخَـطْوِ في وَجْـهِ الـرِّمـالْ

* * *

زُمَـرٌ تَـدْلُـفُ فـي إِثْـرِ زُمَـرْ   وَيْـحَ نَـفْـسـي! إِنَّـهُ رَكْـبُ الـبَـشَـرْ
مُـغْمَضِ الـعَـيْـنَـيْـنِ فـي كَـفِّ الـقَـدَرْ   كُـلَّـمـا أَوْغَـلَ فـي الـتِّـيـهِ انْـدَثَـرْ

* * *

أَيْـنَ رَأْسُ الـرَّكْـبِ أَمْ أَيّـانَ سـارا؟   مـا أرى فـي إِثْـرِهِ حَـتّـى غُـبـارا
مـا أرى قَـبْـراً وَمـا أُبْـصِـرُ دارا   ضَـلَّةً لـي! ذاكَ ظِـلٌّ وَتَـوارى

* * *

مِنْ ظَـلامِ الغَـيْـبِ فـي الـتّـيـهِ البَـعيـدْ   لِـظَلامِ الغَـيْـبِ في الـتِّيـهِ الـمَـديـدْ
وَمْـضَـةٌ كـالبَـرْقِ تَـجْـتـازُ الـوُجـودْ   وَيُـسَـمِّـيـهـا بَـنـو الأَرْضِ الـخُـلودْ!

* * *

خِـدْعَـةٌ راقَـتْ لِأَبْـنـاءِ الـفَـنـاءْ   حـيـنَـمـا أَعْيـا عَـلَى الأَرْضِ الـبَـقـاءْ
الـمـسـاكـيـنُ هَـبـاءٌ فـي فَـضـاءْ   رَحْـمَـةً لِـلذَّرِّ فـي مَـسْـرى الـهَـواءْ

* * *

مَـا أَرى الأَرْضَ تُـحِـسُّ الـوافِـديـنْ   أَوْ أَرى الأَرْضَ تُـحِـسُّ الـرّاحِـلـيـنْ

---

(١) مجلة الكتاب. المجلد الثاني، الجزء الثامن: يونيو ١٩٤٦م. صفحات: ٢٩٠ ــ ٢٩١.

كُــلُّ مــا كــانَ ومَــا سَــوْفَ يَــكــونْ نَــأْمَــةٌ تَهْجِسُ فــي جَــوْفِ السُّــكــونْ

* * *

خُــطُواتٌ ذاهِــبــاتٌ فــي الــرِّمــالْ وَخــيــالاتٌ تَــراءى لِــخَــيــالْ
وَشُــخــوصٌ تَــتَــوارى كَــظِلالْ لِــلزَّوالْ. كُــلُّ شَــيْءٍ لِــلزّوالْ!! (١)

* * *

ضياع سيد وحكاية إلحاده

نتوقفُ مع القارىء قليلاً، لنُزيلَ وهْماً قد يخطر له، حولَ ضياعِ سيد قطب، بعد أن يطَّلع على الأبياتِ التي أوردْناها من شعره.

ونؤكِّد ما قلناه من أن ضياعَه الفكريَّ كان مجردَ حيرةٍ وشك وارتياب، ولم يكن إلحاداً، ولم يتطوَّرْ ليصبحَ إلحاداً. إن سيد لو وصلَ إلى الإلحاد، لما وجدْنا في شعره هذه المعاناةَ الشديدة، والصراخَ والألمَ والشكوىٰ!

ولقد وقفْنا من قبل ــ في مبحث صلةِ سيد بالعقاد ــ وناقشْنا رواية «سليمان فياض» التي يقولُ فيها إنه سمعَ سيد قطب يقول عن نفسه: «إنه ظلَّ ملحداً أحد عشر عاماً، حتى أخذَ يكتبُ كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام» فإذا به يعثرُ على الطَّريق إلى الله، ويخرجُ من حيرةِ الإلحاد إلى طمأنينةِ الإيمان».

وقد تشكَّكْنا في صحةِ روايةِ سليمان فياض، وبيَّنَّا مخالفتَها لِما نُقِلَ عنه في تلك الفترة، وتناقُضَها مع نتاجه الإسلامي الذي صدر خلالها.

إنَّ سيد لم يلحدْ يوماً في حياته، لم يكفرْ بالله يوماً، ولم ينكِر وجودَه يوماً، ولم يتطرقْ في أبيات شعره ــ التي صاغَها أثناء ضياعه ــ إلى وجود الله، لأن هذه القضيةَ لم يسمح لنفسه أن يفكرَ فيها، ولا أن يتساءَلَ حولها، فضلاً عن أن يتشكَّكَ فيها!

أما موقفه من «الشعائر التعبدية» ــ وبخاصةٍ أداء الصلاة ــ فلم أعثرْ على شيء فيه، لا سلباً ولا إيجاباً. فليس هناك كلامٌ عن أنه كان محافِظاً على الصلاة، مؤدِّياً

(١) مجلة الكتاب. المجلد الثاني. الجزء الثاني عشر. عدد أكتوبر ١٩٤٦م. صفحة: ٩٣٠.

لها في أوقاتها، في فترة ضياعه الفكري، كما أنه ليس هناك كلامٌ بضدِّه، من أنه كان تاركاً للصلاة في هذه الفترة!

ولهذا أجدُ نفسي متوقِّفاً في هذه المسألة، فلا أقولُ إنه كان مؤدياً للصلاة في فترة ضياعه، ولا أقول إنه كان تاركاً لها. المهم أنه لم يكن ملحداً فيها!!

ضياع سيِّد وحكاية دعوته للمجتمع العاري

قلنا إن ضياعَ سيِّد كان ضياعاً فكريّاً نظريّاً، ولم يكن ضياعاً سلوكيّاً، أي إنه لم يضِع في سلوكه وأعمالِه وتصرفاتِه وأخلاقه، فلم يكن ماجناً منحلاً متفلّتاً من الأخلاق، ولم يُعهَد عنه ممارساتٌ شائنة، من شرب خمر أو زنا أو فجور.

ونقفُ هنا لننظرَ في حكاية دعوة سيِّد إلى المجتمع العاري!!

رواية الأستاذ محمود عبد الحليم للحكاية

الأستاذ محمود عبد الحليم أستاذٌ كريم، من كِرام وقدامى الإخوان المسلمين، وقد أصدَر أخيراً كتاباً رائعاً، أسماه «الإخوان المسلمون: أحداثٌ صنعتْ التاريخ. رؤيةٌ من الداخل» وهو في ثلاثةِ أجزاء، وقد أرَّخَ فيه لتاريخ حركة الإخوان المسلمين تأريخاً جيداً، وأبرزَ أحداثاً هامةً صنعتْها الحركةُ، أو شاركتْ فيها.

ولقد روى الأستاذ عبد الحليم في الجزءِ الأول من كتابه حكايةً غريبة، عن سيِّد قطب في تلك المرحلةِ من حياته، التي سمَّيناها «رحلة الضياع»، حيث نسبَ إلى سيِّد أنه كان مُسِفّاً منحلاً، يطالبُ بحياةٍ بهيميّة، ويدعو إلى المجتمعِ العاري!

بدأ روايتَه ـ أو حكايتَه ـ بالإشارة إلى دور مجلة «الرسالة» في الأدب، وفي كونها ملتقى أفكارِ الأدباء وأقلامِهم، على اختلاف وجهات نظرهم، «فقد كان يكتبُ فيها مصطفى صادق الرافعي، وهو حاملُ لواء الأدب الإسلامي، كما كان يكتب فيها عباس محمود العقاد، وكان معروفاً عنه في ذلك الوقت أنه يمثل الجانبَ الآخر»، أي: الجانبَ المعاديَ للأدب الإسلامي.

ثم أشار إلى سيِّد قطب، وارتباطِه بالعقاد، وعِدائه للرافعي وأدبه. وأشارَ إلى مقالاتِ سيِّد في الرسالة ضدَّ الرافعي وأدبه «فكان أشدَّ الكتّاب تهجّماً على الرافعي

وإشادةً بالعقاد، هو سيِّد قطب. . وكان هذا التهجُّم على الرافعي، يحزُّ في نفوس الألوفِ من قرّاء الرسالة، الذين كانوا لا يقتنونها كلَّ أسبوع إلّا لمقالة الرافعي، التي كان الزيات يجعلها دائماً المقالةَ الافتتاحية لكل عدد»، أي: أن هؤلاء الألوف (!!) اعتبروا سيِّد ــ في هجومه على الرافعي ودفاعِه عن العقاد ــ معادِياً للأدب الإسلامي، ومناصِراً لنقيضِه من الأدب غيرِ الإسلامي. وبذلك اعتبرَ هؤلاء الألوفُ ــ ومنهم الأستاذ محمود عبد الحليم ــ سيِّد عدواً للإسلام ودعوتِه، وعوناً للكفار الغربيّين الذين يريدون القضاءَ على قيم الإسلام ومبادئه!!.

ثم أشارَ إلى أن مجلةَ «الرسالة» كانت ذاتَ كرامةٍ ورهبة ووقار، فكان كل مَنْ أراد أن يكتبَ فيها «ملتزماً بهذا الوقار، مهما كان بطبيعته مسِفّاً منحلاً، وقد يجدُ هؤلاء فيما سوى «الرسالة» من الصحف مجالاً لنشر آرائهم، وإبراز إسفافهم».

ومن هؤلاء سيِّد قطب، حيث يرى عبد الحليم أن مقالاتِه في الرسالة متفقةٌ مع خطِّ سيرِها الوقور، بينما سيِّد كان ينشرُ في غير الرسالة مقالاتٍ يدعو فيها لرأيه، ويبرزُ فيها إسفافه، لأنه كان مسفّاً منحلاًّ!!.

ويقدِّم عبد الحليم دليلاً على إسفاف سيِّد وانحلاله، فيقول: «وقد قرأْتُ في ذلك الوقت، في جريدة «الأهرام» مقالاً لسيِّد قطب، يدعو فيه دعوةً صريحةً إلى العُرْيِ التام، وأن يعيشَ الناس عرايا، كما ولدتْهم أمهاتُهم ــ وكانت هذه البدعةُ قد انتشرت في بعض بلادِ أوروبا ــ.

وقد أثارني هذا المقالُ إثارة لم أستطعْ معها أن أقاوم القلم، الذي وجَد في العقلِ والمنطقِ والخلق والحياء، ألف دليل ودليل، يدحضُ هذه الدعوة، ويُثبت أنها دعوةٌ تخريبية بهيمية دخيلة».

وتابع عبد الحليم روايتَه بأنه كتب مقالاً يردُّ به على دعوة سيِّد، وأراد إرساله إلى «الأهرام» لتنشرَه في نفس المكان الذي نَشَرَ فيه سيِّد مقاله.

ولكنه قبل إرسالِه، حمله إلى الأستاذ الإمام «حسن البنا» المرشد العام للإخوان المسلمين رحمه الله، ليرى رأيَه فيه، ولكنَّ الإمامَ البنا نصحه بعدم نشر المقال، وعدمِ الرد على دعوة سيِّد، وقدَّم له خمسَ خواطرَ خطرتْ له، تدْعوه إلى عدم نشر المقال.

ثم بيَّن له ثلاثةَ أسبابٍ وأخطارٍ تترتب على نشر المقال.

وكان الثالثُ منها في قول الإمام البنا: «الـرَّدُّ نوعٌ من التحـدّي، والتحدّي يخلق في نفس المردود عليه نوعاً من العناد، وهذا العنـادُ يجعلُه يتعصَّبُ لرأيـه، مهما اقتنـع بخطئه. ونكـونُ بذلـك قد قـطَعْنا عليـه خطَّ الرجعـة، وفي هذا خسـارةٌ نحن في غنى عنها.

وهذا الكاتب ـ يعني سيِّد قطب ـ شاب، وترْكُ الفرصةِ أمامَه للرجوع إلى الحق خيـرٌ من إحـراجـه... ومـا يـدريـك لعـل هـذا الشــاب يفيقُ من غفلتـه، ويفيء إلى الصواب، ويكون ممن تَنتفعُ الدعوةُ بجهوده في يومٍ من الأيام!!».

واقتنع عبدُ الحليم بتحليلاتِ البنا، ومزَّق الرد بين يديه.

وعقَّب على هذه البصيرة النافذة من البنا في سيِّد بقوله: «ولا داعي لـلإشارةِ إلى ما كان من أمْرِ هذا الشاب، وما يَسَّرهُ الله إليه من اليُسـرى، حتى صار عَلَمـاً من أعلام الدعوة، ثم كان من شهدائها.. وإنْ كانَ شيءٌ من نبوءةِ الأستاذ المرشد ـ رحمه الله ـ لم يتحقَّقْ في حياته!»[1].

تشكُكٌ في الرواية ومناقشةٌ هادئة لها

فاجأ الأستاذ محمود عبد الحليم في روايته السابقة مختلفَ الأوساط:

فاجأ الإسلاميين الذين استغرَبوا أن تصدرَ هذه الدعوةُ من سيِّد قطب، وإن كانتْ في حياتِه الأولى ـ غيرِ الإسلامية ـ!

فبعضُهم أنكرَها، وبعضُهم تشكَّكَ فيها، وبعضهم اعتمدَها.

وممن اعتمدَها الأستاذُ الأديب «عبد الله الـطنطاوي» الـذي دعاني ـ في تقـديمه لكتابـي «نظرية التصوير الفني عند سيِّد قطب» ـ للرجوعِ إلى هذه الرواية، لأن الكلامَ فيها «يُلقي بعضَ الأضواءِ على شخصيةِ سيِّد، في جاهليته وفي إسلامه!»[2].

كما أنه فاجأَ بهذه الحكايةِ الآخرين، فاعتمدوها في ما كتبوه عن حياةِ سيِّـد قطب

---

(١) الإخوان المسلمون: رؤية من الداخل، لمحمود عبد الحليم ١: ١٩٠ ـ ١٩٢.

(٢) مقدمة «نظرية التصوير الفني عند سيِّد قطب» حرف: جـ.

الأولى، ومنهم الأستاذ «عادل حمودة» في كتابه «سيِّد قطب من القرية إلى المشنقة»[1].

وأنا سأناقش الروايةَ مناقشةً هادئة:

١ ــ لا أَملكُ تكذيبَ الرواية، واتهامَ راويها الأستاذِ عبد الحليم بالكذبِ والتزويرِ والافتراءِ، لأنَّ له عندي منزلةً رفيعة، واحتراماً كبيراً، لمسيرتِه المباركة في الدعوة إلى الله، ضمن حركة الإخوان المسلمين!

٢ ــ لا أَملكُ التحققَ من روايته، لأنه أحالَ على جريدة الأهرام، التي نشرتْ المقال ــ على حسب قوله ــ لأن أعدادَ الجريدة القديمة لم توجَدْ إلاّ في مصر، وفي مراكزِ الوثائق فيها مثل «دار الكتب المصرية»!

٣ ــ كنتُ أتمنّى على الأستاذ «محمود عبد الحليم» أن يكون «وثائِقياً موثِّقاً» في روايتِه وتاريخه. فبما أنه يقدِّمُ معلوماتٍ وروايات وأخباراً تاريخيّة، فالأصلُ أن يشيرَ إلى مصادره فيها، وأنْ يوثِّقَ كلَّ رواية أو خبر، لأن هذه طبيعةُ الكتابة التاريخية، التي دخلَ ميدانَها، حتى يكتسبَ كلامُه صفة القبول والاعتماد التاريخي!

وبالنسبةِ لروايتِه المذكورة، كان الأصلُ فيه أن يذكرَ تاريخَ العدد من «الأهرام» الذي نشرَ فيه سيِّد مقالَه، بذكْر اليوم والشهر والسنة. أما أن يتركَنا هكذا، غيرَ عارفين باليوم والشهر، ولا حتى السنة، فهذا غير لائق! ثم كان الأصلُ أن ينقلَ نصَّ كلام سيِّد بين قوسيْن أيضاً!!.

٤ ــ ليس مستحيلاً ــ عقلاً ــ أن يكتبَ سيِّد ذلك المقال، لأنه لم يكن ملتزماً وقتَها بالفكر الإسلامي، ومن الممكِن ــ عقلاً ــ أن يدعوَ إلى أشياءَ تخالف أخلاقَ الإسلام وتوجيهاتِه!.

٥ ــ رغْمَ الإمكانيةِ العقلية النظرية، إلاّ أنني أتشكَّكُ في قبولِ تلك الرواية، والأخذِ بها، وأستبعدُ أن يكون سيِّد قد كتبها، ودعا فيها إلى تلك الدعوةِ المرذولة المنكَرة، أتشكَّكُ في وقوعها، وأستبعدُ صدورَها منه، وأكادُ أقول باستحالة ذلك!

---

(١) انظر: «سيِّد قطب من القرية إلى المشنقة»، لعادل حمودة: ١٠ ــ ١١ و ٥٥ ــ ٥٦.

٦ ـ إنني ـ في موضوعِ الرواية ـ أعتبرُ الأستاذَ عبد الحليم غيرَ محايد، بل هو «متحاملٌ» على سيِّد قطب وقتَها، وهذا يدعونا إلى عدم اعتمادِ كلامه عنه!

والدليلُ على انحيازِه ضدَّ سيِّد وتحاملِه عليه، هو مناصرتُه للرافعي في صراعِه مع العقاد وتلاميذه، واعتبارُه إياه ممثِّلاً للأدب الإسلامي ـ وأنا أستغربُ هذا الادعاءُ! ـ فكلُّ خصومِ الرافعي ـ في رأيه ورأيِ الرافعيّين ـ هم خصومٌ للإسلام، وأعداءٌ له.

وقد اعترف باستيائِه ـ ومعه الألوف من مؤيِّدي الرافعي ـ من هجوم سيِّد قطب على الرافعي وعلى أدبه، في المعركةِ الأدبيّة الحادّة العالية المجلجِلة التي شنَّها سيِّد على الرافعي والرافعيّين عام ١٩٣٨م ـ كما تحدثنا عنها من قبل ـ وهذا الاستياءُ جعلَه ينفرُ من سيِّد، ويتحاملُ عليه..

وهذا جعلَه في الصفّ المقابل لصفّ سيِّد وقتَها، صفِّ الرافعيّين الذين هاجموا سيِّد هجوماً عنيفاً حادّاً، ووجهوا له شتائِمَ واتهاماتٍ مؤذية!

إن هذه الظروفَ والملابساتِ قد صاحبتْ نفسيةَ الأستاذ عبد الحليم وهو ينسبُ ذلك المقال لسيِّد، وقد ظلَّلَتْها بهذه الظلال، ولوَّنَتْها بهذه الألوان والأصباغ!!

إنني أعتبرُ أنَّ من الممكن ـ عقلاً ـ أن تكون هذه الملابساتُ والأجواء قد حملتْ الأستاذ عبد الحليم ـ المتحاملَ على سيِّد وقتها ـ أن «يفترضَ» مقالاً لسيِّد يدعو فيه تلك الدعوة المرذولة، ليصْدُقَ ظنُّه فيه، من أنه عدوّ للإسلام وأخلاقه، حملَتْهُ على أن «يتخيَّلَ» ذلك المقال تخيّلاً!

ومن الممكن ـ عقلاً وواقعاً ـ أن يكون قد قرأ وقتَها مقالاً في الأهرام، يدعو فيه كاتبُه إلى العُرْيِ التام، فسها عن اسمِ الكاتب وغفل عنه، ولمّا حاولَ تذكُّرَه خانتْه ذاكرتُه، وأَوحتْ له تلكَ الملابساتُ والظلال باسم سيِّد قطب المتحاملِ عليه وقتَها!

وهذا يعني أن الأستاذَ محمود عبد الحليم قد «وَهِمَ» في دعواه التي نسبها لسيِّد، وأن ذاكرَتَه خانَتْه في ذلك، وأن سيِّد لم يكتب ذلك المقال، ولم يدْعُ إلى تلك الدعوة، ومن الممكن أن تكونَ صادرة عن أديبٍ آخر، وقد يكون من أحدِ تلاميذ العقاد المقرَّبين.. وقد.. وقد...

هذا التشكُّكُ منّا في رواية عبد الحليم، وهذا الرفضُ منّا لَها، وهذا الترجيحُ منّا فيهـا، يزولُ ويتـلاشى إذا وثَّقَ لنا الأستـاذُ المؤرخ روايتَه ـ أو وثَّقهـا أحـدُ البـاحثين ـ وأوقَفَنـا على نصِّ كلامـه فيها، بـذكْر اليـوم والشهر والسنـة، لصـدور ذلـك العـدد من الأهرام! .

وليس غريباً أن يَهِمَ الأخُ الأستاذ محمود عبد الحليم في هذه الرواية، وأن تخونَه ذاكـرتُه فيهـا، لأنه بشـرٌ يخطىء ويصيب، ولأنـهُ يؤرخُ من ذاكرتِـه وليس من وثـائِقِـه، والذاكرةُ قد تخونُ صاحبها!

ووقوعُه في «الـوهْم» ـ أحيانـاً ـ حَمَلَ أحـدَ الإخوةِ على التعقيبِ على كـلامه، والاستـدراكِ على كتابـه، وتصحيحِ بعض الأوهـام والأخطاءِ التـاريخية التي وقـع فيها ـ وهي قليلة ـ وهو الأخُ الأستاذ «إبراهيم العدوي» في كتيِّب أصدره!

أليسَ من الممكن ـ عقْلاً وواقعاً ـ أن تكون هذه الـروايةُ التي أورَدهـا مما وهِمَ فيه، وأن تُضافَ إلى استدراكاتِ وتصحيحاتِ الأخ العدوي؟ هذا ما أرجِّحُه وأميلُ إليـه ـ حتى إشعار آخر ـ!

سيِّد يحارب الرذيلة ويدعو إلى الفضيلة

قـرأْنا مقـالاتٍ لسيِّد، كتبَهـا في الثـلاثينيّـات وفي الأربعينيّـات، وفيهـا يحـاربُ الـرذيلة، ويدعـو إلى الفضيلة، ويهـاجمُ المنحـرفين والفـاسـدين وأصحـابَ المنكـر، ويـرفضُ النظرة الغـربية للحيـاة وللجنس والشهوة، ويـدعو إلى مخـالفتِها، ويحـذر من احتذائها.

وهـذا مـا جعلَنـا نستغـرب روايـةَ الأستـاذ محمـود عبـد الحليم، ونـرجِّـح عـدم صحتها.

وفيما يلي نماذج لهذه العبارات:

١ ـ نشرَ مقالاً في مجلةِ الـرسالـة، بتاريـخ ١٥ سبتمبر ١٩٣٣م بعنـوان «العالم يجري». وردتْ فيه هذه العبارات: «في مصرَ اليوم دعوةٌ حارةٌ وخطرةٌ معاً، إلى تقليـدِ الغرب، والجرْيِ وراء الغرب. وإنْ كان الغرب نفسُه لا يعرف اليوم وجهتَه، وهو شاردٌ كالضال في متاهات الحياة، فكأنَّنا سنجري وراء مَنْ يجري، وهو لا يعرف مبتغاه!!!».

وهـذه الدعـوةُ من الواجبِ التحـذيرُ منهـا. . فليس من الواجبِ أن يفقـدَ الشرقُ طمأنينتَه، ويجري وراءَ الغرب المأخوذِ المشدوه، دون ما تأمُّلٍ ولا تفكير.

إن للشـرقِ رسالـةً قد يكـون الآن موعـدُها، ورسـالتُه هـذه تقوم على خصـائصه الأصليّة فيه، وستصبـحُ واجبةً عليـه ــ بل أصبحتْ ــ لأنَّ الغـربَ يكاد يتهـالَكُ ضعفـاً وإعياءً، لفرط جرْيِه، وكثرةِ اصطداماته. .»[1].

٢ ــ نشرَ مقالاً في مجلة «الرسالـة» بتاريـخ ٤ يونيـو ١٩٤٥م بعنوان «صـور من الجيل الجديد» عرَضَ فيها انحرافاتٍ أخلاقية، لستِّ صورٍ من الجيل الجديـد التقطهـا مِنْ عَلى قـارعة الـطريق، وهي صور: «تلميـذة، عذراء، خـطيبة، زوجـة، أم، أب»، وكلُّها صور مشوَّهة منحرفة.

ثم عقَّب عليها بقوله: «منذا الـذي دفعَ بـالجيل إلى الهـاوية؟ منـذا الذي جعـل هذه الصورَ الشائهةَ تتوالى أمام عينيـه دون استنكار؟ بضعـةُ مواخيـر. . . بعضُها يُسمّىٰ مجـلات، وبعضُها يُسمّىٰ أفـلاماً، وبعضهـا يسمى أغاني، تتسوَّرُ جـدرانَ البيـوت عن طـريق المذيـاع. . . وبضعةُ «هـلافيت» لا يهمهم أن يكون في البلد فـراشٌ نـظيف. . يسمّون أنفسهم من حملةِ الأقلام!!!»[2].

٣ ــ نشر في مجلة الرسالة في صيف عام ١٩٤٦م، خمسَ مقالاتٍ تحت عنوان «من لغـو الصيف»، سجَّـل فيهـا بعض المـظاهـر الشـائهـة التي رآهـا على شـــواطىء الاسكنـدرية، وكتبَهـا بأسلوبٍ سـاخرٍ رفيـع، وهاجم تلك المـظاهرَ بكـل جرأة وحـدَّةٍ وانفعال.

قـال عن النساء بمـلابسهن الفاضحـة على الشـاطىء: «ويحي إنني لا أَرى هنـا عرائس، ولا حتى شياطين. . . أحسُّ هنا ثقلَ الضرورات وصلصلة القيود. هنـا أجسادٌ تشدُّها الغريزة، هنا لحم. لحم فقط، يكاد يتجـردُ من الروح. لحم قـذرٌ رخيص. هنا صراصير!!

---

(١) مجلة الرسالة. السنة الثانية. المجلد الثاني. عدد: ١٧. تـاريخ ١٥ سبتمبـر ١٩٣٣. صفحة: ١٣.

(٢) مجلة الـرسالـة. السنة الثـالثة عشـرة. المجلد الأول. عدد: ٦٢٢. تـاريخ ٤ يـونيـو ١٩٤٥م. ص ٥٨١.

. . . رخيص. فكثيرٌ من هذه الأجساد العارية يفقد حتى قيمة اللحم العزيز. لستُ أشكُّ الآن في أن الملابس من صنعِ حواء. فهذا التسترُ وهذا الخفاءُ هما مبعثُ الفتنة والأشواق ــ حتى الجسديَّة ــ وحين يتجرَّد الجسد نفسه يموت»[١].

ووصَفَ الناس والنساءَ على «البلاج» بأنهم في سوقِ رقيق. وقال: «هذا الحشدُ من العرايا فوق «البلاج» إنه يذكِّرُني بسوق الرقيق. . . إنني أسمعُ هنا صلصلةَ القيود، ووسوسةَ الأغلال، وسوطَ النَّخَّاس! لا ألمح هنا طلاقةَ الروح، ولا حتى فراهةَ الجسد. لا ألمحُ الحرية التي ترفرفُ بلا سدود ولا قيود. . .

ولكن أهذه محنةُ روّاد «البلاج» وحدَهم في هذه الأيام؟

كلا! إنما هي محنةُ هذه الإنسانيةِ التي غفلتْ عن نفسها، لتسمعَ صوت الآلات، محنةُ هذه الحضارةِ الماديةِ الواردة من أوروبا. . .

كم أمقتُ هذه الحضارةَ الأوروبية وأحتقرُها، وأَرثي للإنسانيةِ التي خُدعتْ بها، فأوردَتْها التهلكة. . بريقٌ وضجيج، ومتاع حسّي غليظ. . »[٢].

ويسجِّل إشفاقه على تلك النساء «الجواري» ويتمنّى مَنْ يعيدُهن إلى بيوتهن وكرامتهن «مَنْ ذا ينقذُكُنَّ أيتُها الجواري المسكينات من سوق الرقيق؟ مَن ذا يردُّكن إلى البيوت الكريمة المصونة؟ ويردُّ إليكن كرامتكن المهدَّدة، التي سُلبت منكن باسم «الموديرْنزْمْ» في هذه الأيام السود؟

كان الرجال يتشهَّوْن نظرةً من بعيد، ويتشوَّقون إلى زواجٍ كريم نظيف. فصرتُنَّ اليوم سلعةً معروضة على الأنظار، سلعةً في سوق الرقيق!»[٣].

ويعتبر تلكَ النساء وأولئك الرجال على الشاطىء، الذين يتحركون عليه وهم

(١) مقال «صراصير» في الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨٣. تاريخ ٦ أغسطس ١٩٤٦. صفحات: ٨٥٧ ــ ٨٥٨.

(٢) مقال «سوق الرقيق» في الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨٥. تاريخ ١١٩ أغسطس ١٩٤٦م. صفحة: ٩١١.

(٣) الرسالة ــ المرجع السابق: ٩١٢.

أشباهُ عراة، قاذوراتٍ ونجاساتٍ، ويتمنّى على البحر لـو يجرفُهم فيـه ويبتلعُهم داخله، لينظِّف شاطئَه منهم: «يا بحرُ، إنك لتَغضب، وإنك لتزمجر، وإنك لتجرفُ في ساعاتِ غضبك وزمجرتِك كلَّ خبَث في جوفِك، فتقذفُ به إلى الشاطىء. . . اعْكِسْ مرةً أيها البحر، فاجرف إلى جوفك قذَرَ الشاطىء بكل ما فيه!»[1].

إنـه يعتبرُ تلك المناظرَ على الشـاطىء مقـزِّزة منفِّـرة: «هـذه الأجسـادُ الـرخيصـة المكشوفة، المتلاحمةُ في البحر وعلى الرمال، المرميـةُ في أوضاعٍ حيـوانية مـريضة، على مشهدٍ من الأنظار. . هذا اللحم المكدَّس، المختلِط من الـرجال والنسـاء في كل مكان، حيث لا يثيرُ في أيّ حس سليم إلّا التقـزز والاشمئزاز، حتى في نفـوس طلّاب الجسد من ذوي الغرائز السليمة»[2].

ويهاجمُ دعاةَ العري وأنصارَ المجتمعات العارية، الذين يـريدون تقليـدَ الغربيين في مجتمعاتهم العارية هناك، يهاجمُهم بعباراتٍ حادّة جداً: «هناك مُخَنَّثون رُقَعاء، في الصحف الداعرة، وفي كل مكان. . هناك أولادٌ لا أعراضَ لهم في بيـوتهم، يصيحونَ في وجهك كما تصيح الكلاب: هذا تأخّر! هذه رجعيّة! هذا جمود!

ويقـولون لـك: في أوروبا وفي أمـريكـا، وفي بـلاد العـالم المتحضِّـر، تختلطُ اللحوم وتتعرّى الأجساد!

وفي الغابة كذلك ــ يا أولاد ــ تختلطُ اللحوم وتتعرّى الأجساد!

ولكن الغابةَ أشرفُ وأسلم!

لأن الفطرةَ هناك أصدقُ وأنظف، فأنثى كثيرٍ من الحيـوان والوحـوش هناك لـذَكَرٍ واحد. وهي بذلك أعفُّ وأشرفُ من تِسعةٍ وتسعين في المائـة، ممن ينشرون صـوَرهنَّ عـاريةً على البـلاج، أو شبهَ عـارية في الحفـلات الداعـرة في أوساط «الأرستقـراط».

---

(١) مقال «هؤلاء الأرستقراط» في الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨٧. تاريخ ٢ سبتمبر ١٩٤٦م. صفحة: ٩٦٣.

(٢) مقال «مفارقات» في الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨٩. تاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٤٦م. صفحة: ١٠١٧.

ونفوسُ الذّكْران من الحيوان هنالك أرقى وأقوى من نفوس تسعةٍ وتسعين في المائة من نفوس الرّقَعاء من مخنّثي الصحافة والإذاعة والسينما والطرب في هذه الأيام!»

إنه يعتبرُ دعاةَ العري وتقليدِ الغربيين في عريهم «قوّادين»، ولا يفـرّق بينهم وبين الذين «يَقودون» إلى الزنا والفاحشة حقيقة: «صحفيّون ناجحون، ومطربون ناجحون، وممثّلون ناجحون. لماذا؟ لأنهم يحترفون الدَّعارة والقوادة، لأنهم دعاةُ مواخير.. ولم يتعقب بوليس الآداب إذن مديري المواخير؟.. إنهم صحفيون ناجحون، أو مطربون ناجحون، أو ممثّلون ناجحون.. كلها «فَرْكَةُ كعب» بين هؤلاء وهؤلاء!

ما الفرقُ بين ذلك الصحفي الذي ينشرُ في صحيفته تلك الصورَ الداعرة على البلاج، أو في حفلات «الأرستقراط» ليقودَك إلى شراء صحيفته، وبين ذلك «القَوّاد» الذي يعرضُ عليك الصورَ العارية خِلسةً على المقهى أو البار، ليقودَك إلى الماخور؟»(١).

٤ ــ وأختُم هذه النماذج بالإشارةِ إلى دعوةِ سيِّد قطب إلى عدم تقليد الغربيّين في حياتهم الشهوانيّة العارية، ويطالبُ بالعودة إلى الشرق وحياته الإسلامية الكريمة.

كتبَ مقالاً عام ١٣٦٦هـ ــ ١٩٤٦م في مجلةِ «العالم العربي» بعنوان: «عودوا إلى الشرق»، ومما قاله فيه: «الحياةُ على الطريقة الغربية ألذُّ من غير شك، وأكفلُ بالراحة.. ولكنها ليستْ أرفعَ ولا أكرمَ ولا أكثرَ تقدُّماً في سلَّم الإنسانية.. حياةٌ تنطلقُ فيها المرأة من كل قيد... حياة تكفلُ الاختلاطَ والمرحَ، في الندواتِ والمراقص والحفلات ودور العلم، بكل مافي الاختلاط من حريةٍ ومَتاعٍ وانطلاق.. هي حياةٌ لذيذةٌ من غير شك، ولكنها حياةٌ أدنى إلى حياةِ الحيوان منها إلى حياة الإنسان، فهي حياةٌ رجعية متخلِّفة في تطوُّر الإنسانية.. إنها تَروي غرائزَ الجنس، وتُحقِّق لذائذَ الجسد، وتُطلق المتعةَ حُرَّة، لا يحدُّها عُرْف، ولا يقفُ في طريقها قيد، وتُسمّي ذلك كلَّه حرية. هي حريةٌ نعم. ولكنها ليستْ حرية الروح. بل حرية الجسد، حريةَ العبد والحيوان، لا حريةَ الإنسان.

(١) انظر مقال «مفارقات» في المرجع السابق. صفحة: ١٠١٨.

«. . . مَنْ أرادَ اللذة الحيوانيةَ طليقةً سهلةً رخيصة، ففي حياة الغرب متَّسعٌ لما يريد، ومَنْ أراد الحرية الإنسانية، فيجدُها في الشرق، وما فيه من حرية روحية كريمة، التي هي أرفعُ مِنْ كل لذَّة جسد، ومِنْ كل حرية فكر، على طريقةِ العبيد الغربيين.

وستنتصرُ هذه الحياةُ في يوم من الأيام، حيثُ يتوارى أولئك المتنفِّجون باسم المدنيَّة الغربية: مدنيّة الحيوان والعبيد!!»(١).

إلى هذه الفضائلِ كان يدعو سيِّد قطب، وليسَ إلى «المجتمع العاري»!

ونقف لنتساءل: هل الكاتبُ الذي كتبَ العباراتِ السابقة، وحاربَ الدعوةَ إلى المجتمعات العارية تلكَ الحرب، يدعو إلى عُرْيِ الشعب، وتقليدِ الغربيين في حياتهم البهيمية العارية؟ اللهم لا.

ولذلك نتشكَّك في رواية الأخ الأستاذ «محمود عبد الحليم»، عن سيِّد قطب، بل نرفُضُها، ونقولُ بعدم صحتها، لأنها تتعارض مع ما قدَّمْنا من عباراتٍ صريحة لسيِّد في رفضها ونقْضِها ومحاربتها!!

* * *

---

(١) مقال «عودوا إلى الشرق» في «العالم العربي». المجلد الأول. العدد الثاني. جمادى الثانية ١٣٦٦م. صفحات: ٣ ـ ٤.

(١٠)

المرأة في حياة سيِّد قطب

خلاصةُ هـذا المبحث «المرأة في حيـاة سيِّد قـطب» أن سيِّد أحبَّ حبـاً صادقـاً شريفاً مرتيْن. وخطب ــ أو حاول الخطبة ــ مرتيْن. ولكنه لم يتزوجْ، وغادرَ هذه الدنيا وهو يقاربُ الستين من عمره بدون زواج.

وهنا أتذكَّرُ طرْفَة، سمعتُها من أحدهم، تدلُّ على مقدار استخدام أعداءِ الإسلام لسلاحِ الإشاعات الكاذبة، لتشويهِ صورة أعلام الفكر والدعوة.

قال أحدُ هؤلاء الأعداء: إن سيِّد قـطب، لم يكن ملتزِمـاً بما يـدعو إليـه التزامـاً عمليّاً، بدليلِ أنه شاهدَ سيِّد وهو يسير في شوارع القـاهرة ــ بعـد خروجـه من السجن عـام ٦٤ ــ وبرفقتِـه زوجتُه وابنتُـه الكبيرة، وكـانتا متبـرِّجتيْن، حاسـرتيْن عن رأسيْهما، كاشفتيْن عن الأيدي والأرجل والنحور!!!

حبُّه الأول في القرية

عاش سيِّد حبَّـه الأول، عندمـا كان في قـريته، وقبـل أن يغادرهـا إلى القاهـرة، وكانت فتاتُه تربُطُها به صلةُ مصاهرةٍ بعيدة ــ كانت ابنة عم زوجـة عمه ــ وقـد أُعجبتْ تلك الفتاة برجولتِه وشجاعتِه ونخوته، حيث كان يقفُ مدافعاً عن الفتياتِ الـطالباتِ في المدرسة، ويمنعُ الطلابَ المشاكسين من التعرض لهن بالكلمة أو الإشارة. وكانتْ أحياناً تأتي إلى البيت مع صويْحباتها الطالبـات بحجة اللعبِ مع شقيقة سيِّد الصغيرة، لكنـه كان يحسُّ أنه هو المقصود في الزيارة... ووقعتْ محبتُها في قلبه، وأحسَّ أنهـا تبادلُه نفسَ الشعور!.

وبيَّن سيِّـد صفاتهـا، وما حبّبهـا إليه فقـال: «كانت خمـريةَ اللون، ذاتَ طـابـع

خاص، غيرَ مكـرَّر في الوجـوه. . . ولم تكنْ حسبَ مقـاييس القـريـة جميلة، فليستْ بيضـاءَ البشرة، وليس أنفُهـا دقيقاً بـالقـدر المـطلوب، وليس فمُهـا كـذلـك، «كخـاتم سليمـان». . ولكنها هي وحـدَها من بين بنـات المدرسـة ــ بـل من بين بنـاتِ القـريـة جميعاً ــ كانت تبدو في نظره جميلة، وكان سرُّ جمالها عنده، أنها ذاتُ طـابع خـاص! وإن لم يكن يدرك في ذلك الحين معنى الطابع الخاص»(١).

وتركَ سيِّد قريته إلى القاهرة للدراسـة، وتركَ حبَّـه الأول فيها، ولكن فتـاتَه بقيتْ في مخيَّلته وذاكرتِه لم تُفارقْها.

وبعد غيبةِ ثـلاثةِ أعـوام في القاهـرة، عاد إلى قـريتِه، وكـان أولَ ما قـام به بعـدَ وصوله إليها: «السؤالُ عن مصير الطفلة التي فتنتْه أول مـرة. وعلم أنها تـزوجتْ! وأنها تـزوجتْ في جهةٍ نـائية عن القـرية!! ورأى نفسَـه في حاجـة لأن ينسحب من الجمع، ورأى عينيْه تتغرغران بالدموع!»(١).

حبُّه الثاني في القاهرة

أحبَّ للمرة الثانية، بعدما تخرَّج من الكليـة، وعمل في الـوزارة، وكان هـذا في أواخر الثلاثينيّات ــ أثناءَ الحرب العالَمية الثانية ــ(٢).

كانت فتاتُه الثانية بنتاً قاهرية، ملامحهـا تكاد تشبـه بنتَ قريتـه ــ فتاتَـه الأولى ــ «لم تكنْ ممن يحسبهُن العرف جميلات، كان تكوينُها الجسدي ــ إذا استثنينا صدرهـا الفـاتن ــ ليس ممتازاً، ولكن كـانت هنـاك في وجههـا جاذبيّـة ساحـرة، كانت خمـريَّةَ اللون، واضحةَ الجبين، وفي عينيها وهج غريب، تطلُّ منه إشراقةٌ مسحورة»(٣).

وبعد ما أحبها، تقدَّم لخطبتها من أهلها. وكانت تصغره بعشرة أعوام(٤).

---

(١) طفل من القرية: ٥٥.

(٢) أشواك: ٧٤.

(٣) المرجع السابق: ٤١.

(٤) المرجع السابق: ١٠.

عذابه وعذابها معاً

بنى في أحلامه عشَّ الزوجية السعيد، وتناولَ يدها في ليلة الخِطبة ليُلبسها خاتمَ الخطوبة، ولكنه: «أحسَ بيدها ترتعش ملتصقةً في يده، ونظرَ فإذا دمعةٌ تندُّ من عينيها»(1).

وأحسَّ ــ ساعَتَها ــ بأن أحلامه قد تلاشتْ، وأنه قد طلعَ عليها نهارُ الواقع المرِّ المؤلم!!

وبعد إلحاحِهِ عليها في معرفةِ سرِّ دمعتها، اعترفتْ له بأنها قبل أن تتعرف عليه، كانت تعيشُ قصة حبٍّ مع ابنِ جيرانها الضابطِ في الجيش.

بعد معرفته هذه الحقيقة القاسية، تعذَّب معها، وتعذبتْ معه، وعاشا فترةً حياةَ العذاب والحيرة والحرمان.

إنه لا يقْدرُ على الزواج منها، لأنها ليست «عذراء القلب» وهو يتطلب في «فتاةِ أحلامه مفارقاتٍ لا تجود بها الحياة، يتطلبُ الحورية القاهريّة المغمَضَة العينيْن، يتطلب الفتاةَ العذراءَ القلبِ والجسد في زيٍّ قاهريّ»(2).

وهو لا يقدر على فراقِها ونسيانِها، لأن محبتَها نُقشتْ على سويداء قلبه، وظَلَّلتْ سماء حياته!

أشواك والكأس المسمومة

عاشا سنواتٍ عديدةً في عذابٍ مرير، ومعاناةٍ شديدة، وحيرةٍ قاتلة، وسارا طويلاً وسط أشواكٍ دامية!

واتخذ سيِّد من عذابه وحرمانه ومعاناته، مادةً لنتاج أدبي رفيعٍ نثراً وشعراً.

أما النثر، فقد ألَّف بشأنها قصتَه الرومانسية الرفيعة «أشواك» ــ التي طَبَعَها في مايو ١٩٤٧م ــ وسجَّل في القصة تجربتَه مع فتاته ــ خطيبته ــ وصوَّرها بمختلف مراحلها.

(١) المرجع السابق: ١٠.

(٢) المرجع السابق: ٧٠.

أطلق على نفسه في القصة اسم «سامي» وعلى خطيبته اسم «سميرة» وأضافَ إلى نسيج القصة ما أوحى إليه خيالُه.

وأهدى القصةَ إلى فتاته، وقال في الإهداء: «إلى التي خاضَتْ معي في الأشواق، فدُمِيَتْ ودُميتُ، وشَقِيَتْ وشَقَيْتُ، ثم سارتْ في طريق، وسرتُ في طريق. جريحيْن بعد المعركة، لا نفسُها إلى قرار، ولا نفسي إلى استقرار!»[1].

أما الشعر، فقد نظمَ بشأنها قصائدَ شعرية رفيعة، منها: «تطهير الصنم» و «عبادة جديدة» و «حب الشكور» و «نهاية المطاف» و «بعد الأوان» و «الكأس المسمومة».

ويبدو أنه كان ينوي جمعَ قصائدِ العذابِ والحرمان، وإصدارَها في ديوان. أَسماه «الكأس المسمومة» ـ الذي أعلن أنه سيُصدره ـ ولكنه عدل عن ذلك.

قال في قصيدة «نهاية المطاف»:

قَدْ مَضى الحُلْمُ فَحَقَّقْ في العَيانْ ... هَلْ تَرى إلَّا خَواءً في الزَّمانْ
وَتهاويلُ الرُّؤى يا وَيْحَها ... غالَها الصَّحْوُ فَماتَتْ مُنْذُ كانْ

* * *

نَمْ قَريرَ العَيْنِ إنْ كُنْتَ تَنامْ ... لَفَّكَ الصَّمْتُ وَغَشَّاكَ الظَّلامْ
يَأْمَنْ الدُّنْيا وَيَخْلو لِلْكَرى ... مُعْدَمُ الكَفَّيْنِ مَفْقودُ الحُطامْ

* * *

قَدْ خَلا الهَيْكَلُ مِنْ وَحْيِ الصَّنَمْ ... وَغَدا مَعْبودُكَ الأَسْنى حُطَمْ
أَتطيقُ الآنَ تَحْيا مُلْحِداً ... أَمْ تُرى تَخْلو لِشَيْطانِ النَّدَمْ

* * *

ضِقْتَ بِالخَوْفِ وَدُنْيا الاضْطِرابْ ... أَتَرى الأَمْنَ هُنا بَيْنَ اليَبابْ؟
أَيُّها المَنْكوبُ في أَحْلى المُنى ... الحَيَاةُ الحُبُّ والحُبُّ العَذابْ

* * *

(١) المرجع السابق: ٥.

أَيْنَ أَحْلامُكَ بِالعِشِّ الجَمِيلْ؟ أَيْنَ آمالُكَ بالظِّلِّ الظَّليلْ
قَدْ مَضى الحُلْمُ وَوَلَّى موهَنا فارْكَنِ الآنَ إلى الصَّحْوِ الطَّويلْ

* * *

تَمَّ يا مَنْكودُ ما كُنْتَ تَرومْ وَمَشَى السِّلوانُ في الحُبِّ القَديمْ
نَمْ قَريرَ العَيْنِ وَاهْنَأْ بِالكَرى الكَرى المَيِّتُ في القَلْبِ العَقيمْ(١)

* * *

وقال في قصيدة «بعدَ الأوان»، التي نشرها في مجلةِ «العالَم العربي» عام ١٣٦٦م:

ذَهَبَ الزَّمانُ فَامْضي أَنْتِ عَنِّي
ما عادَ يوقِظُني نِداؤُكِ خِلْسَةً مِنْ بَعْدِ وَهْنِ
ماتَتْ مُنايَ جَميعُها، ما عادَ يَنْفَعُني التَّمَنِّي
فَرَقَ الزَّمانُ طَريقَنا، فَامْشي وَحَسْبُكِ ذاكَ مِنِّي

* * *

هٰذي خُطايَ عَلى الطَّريقِ وتِلْكَ واجِفَةً خُطاكْ
الرِّيحُ تَطْمُسُها فَلا خَطْوٌ وَلا أَثَرٌ هُناكْ
سُبْحانَ قَدْ عَبَرا، فَلَمْ تَشْعُرْ بِهٰذا أَوْ بِذاكْ
تَتْلوهُما الأَشْباحُ، والأَيّام ماضِيَةٌ دَراكْ(٢)

لكن معاناته وحيرته وعذابه، أكثرُ ظهوراً في قصيدة «الكأس المسمومة» ـ التي نشرها عام ١٩٤٣م وهو في ذروةِ المعاناة والعذاب والألم ـ:

(١) الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٣١. تاريخ ١٦ أغسطس ١٩٤٥م. صفحة: ٨٤٩.

(٢) مجلة «العالَم العربي». المجلد الأول. العدد الثاني. جمادى الثانية ١٣٦٦هـ. صفحة: ٥٥. وقد اختار هذه القصيدة الأديب البحراني (إبراهيم العريض) ضمن كتابه «من الشعر الحديث» الذي طبعته له دار العِلم للملايين في بيروت عام ١٩٥٨م. صفحات: ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

أقْلاك أقْلاكِ كَالشَّيْطانِ أقْلاكِ ... أقْلاكِ كَالسُّمِّ يَسْري جَدَّ فَتّاكِ
أقْلاكِ إنَّكِ في نَفْسي وَفي زَمَني ... وَفي حَياتيَ أفْعى ذاتُ أشْواكِ
سَمَّمْتِ عَيْشي وَأحْلامي وَأخْيِلَتي ... وَأنْتِ شَيْطَانَةٌ في سَمْتِ أمْلاكِ
وَعِشْتُ أرْعَاكِ في قَلْبي، وَأنْتِ بِلا ... قَلْبٍ يُحِسُّ وَيَرْعَى كَيْفَ أرْعاكِ
مَنْ أنْتِ؟ ما أنْتِ؟ إنّي حائِرٌ قَلِقٌ ... أأنْتِ أُسْطورَةٌ في كَفِّ أفّاكِ؟
أنْسى اللَّيالي الَّتي قَضَّيْتُها قَلِقاً ... وَأنْتِ ساكِنَةٌ راضٍ مُحَيّاكِ
أنْسى الدُّموعَ الَّتي أرْسَلْتُها غَدِقاً ... وَلَسْتُ لَوْلا هَواكِ المُرِّ بِالباكي
وَكِبْرِيائي الَّتي ما كُنْتُ أخفِضُها ... مِنْ قَبْلُ أوْ بَعْدُ في دُنْيايَ لَوْلاكِ
أنْسى وأذكُرُ أحْلامِي وأخْيِلَتي ... كأنَّهُن نُجومٌ بين أحْلاكِ
وَكُلُّهُنَّ نَسيجُ الوهْمِ في خَلَدي ... وَلَسْنَ غَيْرَ أحابيلٍ وَأشْواكِ
أقْلاكِ؟ لَيْتَ! فَإنّي لَسْتُ أقْلاكِ ... أهْواكِ؟ لَيْتَ! فَإنّي لَسْتُ أهْواكِ
أقْلى وَأهْوى وَأيّامي مُوَزَّعَةٌ ... بَيْنَ الهَوى وَالقِلى كَالضّاحِكِ البَاكي
هذا الرَّحيقُ وَهذا السُّم قَدْ مُزِجا ... وَلَسْتُ أروى بِكَأْسٍ غَيْرِ رَيّاكِ
هاتي لِيَ السُّمَّ صِرْفاً لا يُمازِجُهُ ... هذا الرَّحيقُ فَإنّي لَسْتُ بِالبَاكي
مَلَلْتُ كَأْسَكِ لا ألْتَذُّ نَشْوَتَها ... وَلا أحَطِّمُها تَحْطيمَ سَفّاكِ[1]

وأخيراً فسخ الخطبة

بعد معاناةٍ مريرة استمرتْ عدةَ سنوات، قررَ سيِّد فسخ الخِطبة، وفراق تلك الخطيبة. وراح يتساءل: «تُراهُ أخطأَ الطريق، فطلب الحوريةَ العذراء في بنت من بنات القاهرة؟ أم تُراه أخطأ الطريق من أوّله فطلب حياةً زوجيةً لا تصلح له بحال؟»[2].

افترقا.. وسارَ كلٌّ في طريقه..

أما سيد فلم ينسَ قصتَه معها ولا تجربتَه المُرَّة، وبقي يشعرُ بالألم والحِرمان كلَّما

---

(١) مجلة الرسالة. السنة الحادية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٢٩. تاريخ ٢٣ أغسطس ١٩٤٣م. صفحة: ٦٦٩.

(٢) أشواك: ٧٠.

تذكرها. ولهذا صرفَ النظر عن الحبّ والخطوبة والزواج فترةً طويلة!

وأما هي فقد تألمت قليلاً، ثم نسيت القصةَ والمعاناة والتجربة، وتزوجت فيما بعد!

وبعد أعوام، كان سيِّد يسير في الشارع العام في القاهرة، وفجأةً رآها، وتكلَّما، وقالت له:

«ألا تزالُ وحيداً كما أنتَ؟

قال: هذا لا يهمُّ على كل حال. وأنتِ؟

ثم التفتَ إلى الطفلِ الصغير الذي يُمسك بطرفِ ثوبها، وينطُّ وهو يسيرُ بخطواتٍ قافزةٍ صغيرة. وقال: أهذا ابنُك؟

قالتْ: نعم! واسمه «سمير» اسمُك المختار!»[1].

محاولته الزواج بعد ذلك

استمرَّ تأثُّره بقصته مع خطيبته السابقة عدةَ سنوات، وكان هذا صارفاً له عن الوقوع في حبِّ فتاة أخرى، وعن محاولةِ الخِطبة والزواج. وانصرف في هذه السنوات إلى الأعمال الأدبية المختلفة، وانشغلَ بها عن التوجُّهِ نحو الحُبّ والعِشق. وتسامى بغريزته، واستعلى على هُتاف قلبه، ونداء كيانه.

ثم توجَّهَ للفكر الإسلامي أوَّلاً، والعمل الإسلامي بعد ذلك، وجَدَّتْ له شواغلُ وأعمالٌ جديدة، ملأَتْ عليه حياتَه وفكرَه وقلبَه، فلم يجد فسحةً من الوقت للتفكير في الزواج.

وسافرَ إلى أمريكا، وأقامَ فيها لمدة سنتين، وعادَ منها بعد ذلك، وبدأ التفكيرَ في الزواجِ، وشرعَ في البحث عن شريكةِ حياته، لكنَّ الأعمالَ والشواغلَ لم تجعل له فرصةً ولا فسحة لاستكمال البحث واختيار الزوجة!

وقامت الثورة، واستغرقتْ أعمالُ سيد بعد الثورة ــ مع رجال الثورة، ومع جماعة الإخوان المسلمين ــ كلَّ وقته.

---

(١) المرجع السابق: ١٢٨ ــ ١٢٩.

وقبيل اعتقاله عام ١٩٥٤م، أوشك أن يخطِبَ إحدى الفتيات الصالحات الملتزمات، وبدأ الخطواتِ الأولى لذلك، لكن الأحداثَ الجديدة فاجأَتْه، وقطعت عليه محاولاتِه، واستقرَّ به المكان في السجن مظلوماً، ليقضي فيه سنوات من عمره.

ثم أُفرِجَ عنه بعفو صحي عام ١٩٦٤م،وكان عمره قد قاربَ التاسعة والخمسين، وكان أوَّلَ ما فكَّر به بعد مغادرة السجن، الشروعُ في الزواج، وبَحَثَ، ووجدَ بُغيَتَه عند إحدى النساء الصالحات، وأوشَكَ أن يعلن خطبتها، لكن الطغاةَ لم يمهلوه[1]، إذ سرعان ما زجّوا به في السجن، عام ١٩٦٥م، ليلقى وجهَ الله شهيداً عام ١٩٦٦م، ويذهب إلى جنة الخلد لينالَ نصيبَه من الحور العين ــ إن شاء الله ــ!!

* * *

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب ــ عند لقائي معه في منزله في مكة عام ١٩٧٨م.

القِسمُ الثّاني

مَع سَيِّد قطب

في مسيرة حياته الإسْلاميَّة

(١)

تمـهـيـد
نقلة بعيدة

نبـدأُ القسمَ الثاني من هـذا الكتاب بهـذا التمهيد، الـذي نشيـر فيـه إلى «النقلةِ البعيدة» التي نقلَ اللَّهُ سبحانه بها سيِّد قطب، من طريقٍ إلى طريق.

فقـد تكلَّمْنا في القسم الأول عن «رحلةِ الضَّيـاع»، التي سارَ فيهـا سيِّد طـويلاً، ونقَلْنا فيه كلاماً له، يصوِّر ملامحَه في ضياعه، ويـوحي بمدى حيـرتِه وقلقِـه ومعانـاتِه، في تلك الرحلةِ المريرة.

نقلة بعيدة إلى عالم الإيمان واليقين

لو استمرَّ سيِّد سائراً في «رحلة الضياع»، لقضى عمرَه ضائعاً قلقاً، حـائراً بـائساً حـزيناً، يسـألُ ولا يجدُ جـواباً، ويبحثُ ولا يصـلُ إلى نتيجة. يَبكي ويتـألَّم، ويتعذَّب ويصرخ، ويئنُّ ويشكو. لا يجدُ قلبَه ولا نفسَه ولا حياته!

ولكن اللَّهَ قدَّر له أمراً آخر، ورسَم له طريقاً جديداً، وأعدَّ له مهمَّة كُبرى!!

وسـارَ سيِّـد في الـطريق الجـديـد، وانتقـلَ «نقلة بعيـدة»، إلى عـالَمِ الإيمـان واليقين، وعالَمِ الإسلام والعمل، وعالَمِ الفكر الإسلامي والثقافة الإسـلامية، وعـالَمِ الدعوة والحركة والجهاد..

سار سيِّد في طريقِه الإسلاميِّ الجديد، بخـطاً ثابتة موفَّقة، وإذا بـه يتحوَّل كلِّيـةً من حـالٍ إلى حال. وإذا بنفْسِـه وحسِّه وكيـانِه، ومشـاعره وأفكـاره، تولَـدُ كلّهـا ولادةً جديدة، وتُصاغ صياغةً إسلاميَّة أصيلة..

وإذا بسيِّد ــ في تكيُّفِه مع حياته الإسلامية الجديدة وتفاعُلِه معهـا ــ كأنـه إنسانٌ آخر، ولا يكادُ المرء يصدِّقُ أن سيِّد الذي عرَفَه في رحلة الضَّياع، هو نفسُه سيِّد الـذي

يعرفُه ويقـرأُ له في «الـظلال» و«المعالم» و«خصـائص التصوُّر الإسـلامي». بل يكـادُ يجزمُ أنهما شخصان متغايران، وشخصيَّتان مختلفتان!!

السرّ هو في طبيعة هذا الدين

وعندما يقفُ المرءُ متسائلاً عن السرِّ في هـذه النقلةِ الإيمانيـةِ البعيدة، في حيـاةِ سيِّد، فسيزولُ عنه استغرابُه، عندما يعرفُ ذلكَ السِّرَّ الذي وقف عليه سيِّد.

لقد كان في السابِق يبحث عن هذا السّر، وقطَعَ رحلَة ضياعٍ شاقـة، وهو يبحثُ عنه، وصاغَ قصيدة «السّرّ» التي أَثبتْنا بعضَ أبياتها فيما سبق.

وأخيـراً وفَّقه اللَّهُ لمعـرفةِ السِّـر، وفتحَ عينيـه على معـالمِ الـطريق. أدركَ سيِّـد السرَّ، فغيَّرَ نظرته إلى الكون والحياة والإنسان.

هذا السرُّ هو «ومضةُ الإيمان» التي أضاءَتْ جوانحَ كيانه، فبدَّدتْ ظلامَـه، وراحَ سيِّد يمشي في عالمِ النور والإيمان، سويّاً على صراطٍ مستقيم!.

إنَّ الفضلَ في ما وصـل إليه سيِّـد من الحق، يعودُ إلى الله سبحـانه، فهـو الذي أنعمَ عليه بهذه النِّعمة، ومَنَّ عليه بهذه المِنَّة.

وسيِّد مدركٌ لهذه المنَّةِ الربّانية، ومُقِرٌ بهـذا الفضلِ الإلَهي: ﴿يَمُنّـونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَموا، قُلْ لا تَمُنّـوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ، بَـلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِـلْإيمان...﴾ [سورة الحجرات: ١٧].

والسببُ في هـذا التحوُّلِ الجـديد لسيِّـد، هو معـرفتُه لهـذا الـدين، ولـطبيعتِـه وملامحِه وخصائصِه ومقوِّماتِه.

إنَّ الإسـلامَ العظيم، ينقـلُ المسلمَ المتفـاعـلَ معـه، نقلةً بعيـدةً من عـالَم إلى عالم، هذه طبيعتُه الحية، وهذه سِمتُه الفاعلةُ الإيجابية الحركيـة، هكذا فعـلَ الإسلامُ مـع الصحابـة، ونقَلَهم نقلتَهُ البعيـدة من حياةِ الجـاهليةِ والضّيـاع، إلى حيـاةِ السَّعـادةِ والعمل والجهاد، وهكـذا فعل مـع كل مَنْ أقبـلَ عليه وتفـاعلَ معـه، هكذا أقبـل عليه سيِّد، وهكذا فعلَ به وأثَّر في حياته. ولهذا كانتْ نقلةُ سيِّد الجديدةُ البعيدة، مظهراً من مظاهر فضْلِ الله وإنْعامه، ونموذجاً عملياً لطبيعةِ هذا الدين العظيم!

كانت النقلة متدرِّجة

لم ينتقل سيِّد نقلتَه الجديدةَ الإيمانية فجأة، ولم يتحوَّلْ بين يوم وليلة، من ذلك الحائرِ الضائع ـ الذي عرَفْناه في رحلة الضياع ـ إلى هذا المفكرِ الإسلامي الرائد.

كانت النقلةُ بالتدريج، وكان التفاعلُ مع العالَم الجديد بالتدريج!

بدأت النقلةُ عندما أقبلَ على القرآن الكريم، يدرُسُه لدواعٍ أدبية، في مكتبةِ «القرآن الجديدة».

ووقفَ على بعضِ التوجيهاتِ القرآنيةِ الفكرية، التي سجَّلها في كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام».

وسافرَ إلى أمريكا.. وهناك تعمقتْ معاني الإيمانِ في نفسه، وشعشعَ النورُ في شغافِ قلبه، وأخذَ على ضوئه يدركُ سرَّ الحياة وغايتَها.

سمّى هذه الومضةَ الإيمانية «موسيقى الوجود» وقال إنه أحسَّ بها مرتين:

«مرةً وأنا في عرض المحيط، والباخرةُ تمرُّ مرَّ الريح على وجْه الخِضمّ، والنسيمُ رخاء، والليلُ ساكن، والقمرُ مفضفض اللألاء.

والثانية وأنا على قمةِ جبل، تشرفُ على حديقةٍ من الصخور، يسمونَها هنا [في سان فرنسيسكو] «حدائق الآلهة»، وقد انكشفَ المرتقى والمنحدرُ كلاهما، واعتنقا عند تلك القمة الشاهقة في الفضاء.. لستُ أدري كيفَ أحسسْت، ولستُ أدري كيف أقول، إلَّا أنَّ تعبيراً واحداً انسابَ على لساني في تلك اللحظة، التي أَوْمضتْ في روحي كما تومِضُ الشعلة، فتكشفُ الطريق إلى بعيدٍ ثم تغيب. تعبيرٌ واحد أحسسْتُ فيه كلَّ ما فاض على خاطري في تلك اللحظة من قدسيةٍ وشفافية وتسبيح «موسيقى الوجود»[1].

أثَّرتْ هذه الومضةُ الإيمانية في كيانه فوراً، واكتشفَ على ضوئِها سرَّ الحياة،

---

(١) مقال «موسيقى الوجود». مجلة الكتاب. المجلد التاسع. الجزء الرابع. أبريل ١٩٥٠م. صفحة: ٣٢٦.

وأعلنَها وهو واقفٌ هناك ــ عند حديقة الآلهة في سان فرنسيسكو ــ «كلّا. إنها ليستْ لُقىً هذه الحياة. ولا وليدةَ المصادفة العمياء.. كلا. إنَّ هناك نَغَماً واحداً سارِباً في هذا الكون كلِّه، ولكن الآذان لا تسمعه في كل آن. وإن هناك نسَقاً واحداً يضمُّ الأَشْتات، ولكن العيونَ لا تبصرُه في كلِّ اللحظات.

وتساءَلَ هناك عن حقيقةِ ما يحسُّه: «هل خدعَتْنِي الأوهامُ؟ وكذَّبَتْنِيَ الأحلام؟ كلا. فإني لأُكَذِّب ما تلمسُه يدي، وما تراه عيني، وما تسمعُه أُذني، ولا أُكذِّب مسَّ هذه اللحظةِ الخاطفة لروحي، وإشراقِها في ضميري..»[1].

ثم استقرَّتْ حقيقةُ الإيمان في نفسه، وسيطرتْ على وجدانه وحسِّه وفكرِه، ووجَّهتْ مشاعرَه وأفكاره وأعمالَه، نحو الغاية المحدَّدة.

وتذوَّقَتْ روحُه حلاوةَ الإيمان، فأحسَّ كأنه وُلِدَ من جديد، فضمَّ على الإيمان جوانِحَه، وصارَ عليه حريصاً، وبه ضَنيناً، واعتبرَهُ أغلى من كل شيء، بل أغلى وأنفسُ من حياتِه نفسِها.

ووجدَ بهذا الإيمانِ الجوابَ الفاصلَ اليقينيَّ على أسئلتِه التي طالما حَيَّرَتْه في رحلةِ ضياعِه السابقة، والتي طالما وجَّهها إلى الأَحياءِ والأموات. عرَفَ من أينَ جاء؟ ولماذا جاء؟ وخَط السير؟ عرفَ الغايةَ والنهاية، فاختفتْ عنه مشاعرُ القلقِ والشكّ والحيرة!

وكسب بهذا الإيمان كَسْباً عظيماً، في عالم الشعور وعالم التفكير!..

حياته الإيمانية في ظلال القرآن

عاش سيِّد ما تبقّى من عمره، حياةً إيمانيَّةً إسلاميةً عظيمة، رفيعةً سامية، في ظلال القرآن الكريم.

قال عنها في مقدِّمة «الظلال»: «الحياةُ في ظلال القرآن نعمة. نعمةٌ لا يعرفُها إلَّا مَنْ ذاقها. نعمةٌ ترفعُ العمر وتباركُه وتزكّيه. والحمدُ لله. لقد مَنَّ الله عليَّ بالحياة

---

(١) مجلة الكتاب ــ المرجع السابق ــ : ٣٢٧.

في ظلال القرآن، فترةً من الزمان. ذقْتُ فيها من نعمتِه ما لم أَذُقْ قطُّ في حياتي. ذقتُ فيها هذه النعمةَ التي ترفعُ العمر وتباركُه وتزكّيه..»

«عشتُ ـ في ظلال القرآن ـ أتملّى ذلكَ التصورَ الكاملَ الشاملَ الرفيعَ النظيفَ للوجود.. لغاية الوجود كلّه، وغايةِ الوجود الإنساني. وأقيسُ إليه تَصوُّراتِ الجاهلية، التي تعيشُ فيها البشرية، في شرقٍ وغرب، وفي شمال وجنوب..».

«عشتُ ـ في ظلال القرآن ـ أُحِسُّ التناسقَ الجميلَ بين حركةِ الإنسان كما يريدُها الله، وحركةِ هذا الكون كما أبدَعه الله..».

عشتُ ـ في ظلال القرآن ـ أرى الوجودَ أكبرَ بكثيرٍ من ظاهره المشهود.. أكبرَ في حقيقتِه، وأكبرَ في تعدُّدِ جوانبه..».

«وفي ظلال القرآن تعلَّمْتُ أنه لا مكانَ في هذا الوجود للمصادفةِ العمياء، ولا للفلتةِ العارضة..».

«ومن ثم عشْتُ ـ في ظلال القرآن ـ هادىءَ النفس، مطمئِنَّ السريرة، قريرَ الضمير.. عشتُ أرى يدَ الله في كلِّ حادث، وفي كلِّ أمر. عشتُ في كنَفِ الله وفي رعايتِه، عشتُ أستشعرُ إيجابيةَ صفاتِه سبحانه وفاعليَّتَها...»

«أيُّ طمأنينةٍ ينشئُها هذا التصوُّر؟ وأيُّ سكينةٍ يُفيضُها على القلب؟ وأيُّ ثقةٍ في الحق والخير والصلاح؟ وأيُّ قوةٍ واستعلاء على الواقع الصغير، يسكبُها في الضمير؟» (١)

سيِّد يعترف في الظلال بضياعه السابق

اعترفَ سيِّد في الظلال ـ في أكثرَ من موضع ـ بفضْلِ الله عليه، ونقْلِه له نقلَةً بعيدة، من عالَم الحيرةِ والتعب والضياع، إلى عالَم الإيمان، والرضا واليقين.

أشارَ إلى الفرقِ بيْنَ مَنْ رُزِقَ نعمةَ الإيمان، ومَنْ حُرِمَ هذه النعمة، وكأنهُ يشيرُ إلى نفسِه وضياعِه السابق: «إن رصيدَ الإيمان الذي تقومُ الأمةُ المسلمةُ حارسةً عليه

(١) مقتطفات من مقدمة «الظلال» ١ : ١١ ـ ١٤.

في الأرض، ووارثةً له منذ أقدم الرسالات، هو أكرمُ رصيدٍ، وأقومُه في حياة البشرية.

إنه رصيدٌ من الهدى والنور، ومن الثقةِ والطُمأنينة، ومن الرِّضا والسعادة، ومن المعرفة واليقين.

وما يخلو قلبٌ من هذا الرصيدِ حتى يجتاحَهُ القلقُ والظلام، وتعمرَه الوساوس والشكوك، ويستبدَّ بِه الأَسى والشقاء. ثم يروحُ يتخبطُ في ظلماءَ طاخية، لا يعرفُ أينَ يضعُ قدميه في التيهِ الكئيب!.

وصرخاتُ القلوب التي حُرمَتْ هذا الزاد، وحُرمَتْ هذا الأنس، وحُرمَتْ هذا النور، صرخاتٌ موجعَة في جميع العصور... هذا إذا كان في هذه القلوبِ حساسيَّةٌ وحيوية، ورغبةٌ في المعرفة، ولهفةٌ على اليقين.. فأما القلوبُ البليدةُ الميتة الجاسية الغليظة، فقد لا تُحِسُّ هذه اللهفة، ولا يُؤَرِّقُها الشوقُ إلى المعرفة...»[1].

واعترف بصراحةٍ بحالته السابقة، وما كان عليه فيها من ضياعٍ وتعبٍ وقلق، وذلك أثناء حديثه عن نعمةِ الإيمان، وعن أثرِ الإيمان على المؤمن...

«إن الإيمانَ هو كبرى المِنن التي يُنْعِمُ بها اللَّهُ على عبْدٍ من عباده في الأرض. إنه أكبرُ من منَّةِ الوجود، الذي يمنحهُ الله ابتداءً لهذا العبد، وسائرِ ما يتعلقُ بالوجود من آلاءِ الرزقِ والصحة والحياة والمتاع...»[2].

«ومِنْ هذه المعرفة ـ التي يقدمُها الإيمان للمؤمن ـ يستمدُّ المؤمنُ الطمأنينةَ والسكينة، والارتياحَ لما يجري حوله، ولما يقع له.

فهو يعرفُ من أينَ جاء؟ ولماذا جاء؟ وإلى أينَ يذهب؟ وماذا هو واجدٌ هناك؟..

ومن هذِه المعرفة تختفي مشاعرُ القلقِ والشكِّ والحيرة، الناشئة عن عدم معرفةِ المنشأ والمصير، وعدمِ معرفة المطوِيِّ من الطريق، وعدم الثقةِ بالحكمةِ التي تكمُنُ وراءَ مجيئِه وذهابه، ووراءَ رحلتِه في ذلك الطريق.

---

(١) الظلال ١: ٣٤٢.

(٢) الظلال ٦: ٣٣٥١.

يختفي شعورٌ كشعورِ «الخيّام» الذي يعبّرُ عنه بما ترجمتُه:

لَبِسْتُ ثَوْبَ العُمْرِ لَمْ أُسْتَشَرْ وَحِرْتُ فيهِ بَيْنَ شَتّى الفِكَرْ
وَسَوْفَ أَنْضو الثَّوْبَ عَنّي وَلَمْ أَدْرِ لِماذا جِئْتُ؟ أَيْنَ المَقَرّ؟

ويختفي شعورٌ كالشعورِ الذي عِشتُهُ في فترةٍ من فترات الضّياع والقلق، قبل أَنْ أحيا في ظلال القرآن، وقبلَ أن يأخذَ اللّهُ بيدي إلى ظلّه الكريم. ذلك الشعورُ الذي خلَعَتْهُ روحي المتعبةُ على الكون كله، فعبَّرْتُ عنه أقول:

وَقَفَ الكَوْنُ حائِراً: أَيْنَ يَمْضي؟ وَلِماذا؟ وَكَيْفَ ــ لَوْ شاءَ ــ يَمْضي؟
عَبَثٌ ضائِعٌ وَجُهْدٌ غَبينٌ وَمَصيرٌ مُقَنَّعٌ لَيْسَ يُرْضي[1]

فأنا أعرفُ اليوم ــ ولله الحمدُ والمِنَّة ــ أنه ليس هناكَ جهدٌ غبين، فكلُّ جهدٍ مجْزيّ. وليس هناك تَعَبٌ ضائع، فكلُّ تعبٍ مثمر. وأنَّ المصيرَ مُرْضٍ، وأنه بين يدَيْ عادلٍ رحيم!

وأنا أشعرُ اليومَ ــ ولله الحمدُ والمنَّة ــ أنَّ الكونَ لا يقفُ تلك الوقفةَ البائسةَ أبداً، فرُوحُ الكونِ تؤمنُ بربِّها، وتتجهُ إليه، وتُسبِّحُ بحمده. والكونُ يمضي وفْقَ ناموسِه، الذي اختارَه الله له، في طاعةٍ وفي رضا وفي تسليم!.

وهذا كسْبٌ ضخْمٌ في عالَم الشعور، وعالَم التفكير، كما أنه كسْبٌ ضخمٌ في عالَمِ الجسد والأعصاب، فوْقَ ما هو كسبٌ ضخْمٌ في مَجال العمل والنشاط والتأثُّرِ والتأثير..»[2].

* * *

---

(١) بيتان من قصيدته «يوم خريف» التي نظمها عام ١٩٣٢م. ونشرها في «الشاطىء المجهول». وقد أشرنا لها أثناء كلامنا عن رحلة ضياعه.

(٢) الظلال ٦: ٣٣٥٢ ــ ٣٣٥٣.

(٢)

مراحل حياة سيّد قطب الاسلامية

ارتباطاته السياسية السابقة

بدأ سيد قطب حياتَه السياسيةَ مع حزب الوفد. وهو حزبٌ ذو أغلبيةٍ شعبيّةٍ، أسَّسه «سعد زغلول»، وسُمي بهذا الاسم، أخذاً من حادثةِ «الوفد» من الزعماء المصريين، الذين اجتمعوا بزعماءِ الإنجليز، وفاوضوهم بشأن استقلال مصر، وكان هذا بعد ثورة ١٩١٩م.

والسببُ في انتمائِه لحزب الوفد منذ مطلع شبابه، هو إقامتُه عند خاله «أحمد حسين عمثان»، الذي كان وفديّاً، ثم تعرُّفُ سيِّد على العقاد، وإعجابُه به وبمكتبته، والعقاد كان وفدياً.

كان انتماءُ سيِّد لحزب الوفد وهو في مرحلة دراسته المتوسطة ــ عندما كان في تجهيزية دار العلوم ــ واستمرَّ وفدياً أثناءَ دراستِه الجامعية، في كلية دار العلوم.

وقد فتحت المجلاتُ والدورياتُ الوفديةُ صفحاتِها أمام سيِّد قطب الوفدي، وصار ينشرُ فيها نتاجَه الأدبي والسياسي.

بقِيَ سيِّد مع حزب الوفد، ما يزيدُ على سبعة عشر عاماً، إلى أَنْ وقعَ حادث «فبراير ١٩٤٢م».

ففي هذا الحادث، تقدَّمَ السفيرُ البريطاني في القاهرة بإنذار شديد، إلى الملك «فاروق» وطالَبه فيه بإقالة رئيس الوزراء، وأمَره بأنْ يعهدَ إلى «مصطفى النحاس» بتشكيلِ وزارة جديدة، وذلك خلالَ أربع وعشرين ساعة.

ورضخَ الملكُ لإنذارِ السفير البريطاني، وعهد إلى زعيمِ حزب الوفد «مصطفى

النحاس» بتشكيلِ الوزارة الجديدة! وهكذا وصلَ حزبُ الوفد إلى الحكم، عن طريقِ الدبابات الإنجليزية، وبفضْل الاستعمار البريطاني! وبذلك خسرَ حزبُ الوفد الكثيرَ من شعبيَّته، وانفضَّ عنه كثيرٌ من المؤيدين.

وكان سيِّد من أول أولئك الساخطين، الناقمين على الحزب وعلى زعيمه النحاس ــ الذي قبِلَ بالتدخل الإنجليزي البغيض ــ فتخلى عن الحزب!.

شكَّلَ بعضُ الزعماء المنشقّين عن حزبِ الوفد، بسبب ذلك الحادث حزبَ «الطليعة الوفدية» أو حزب «السعديّين» ــ نسبةً إلى «سعد زغلول» مؤسِّسِ حزب الوفد ــ فانضمَّ سيِّد إلى الحزب الجديد.

بقي سيِّد معَ حزب السعديين حتى عام ١٩٤٥م. بعد عام ١٩٤٥م تخلّى عن الأحزاب كلِّها!

كتبَ في عام ١٩٤٥م مقالاً حادّاً صارِخاً عنيفاً، إلى قادة الأحزاب في مصر، سمّاه «عدِّلوا برامجكم، أو انسحبوا قبلَ فوات الأوان»، ودعاهم فيها إلى تعديل برامج الأحزاب، لتُلبّي مطالبَ الشعب، أو الانسحابِ من السياسة[1].

وفي نهاية عام ١٩٤٥م، كتبَ مقالاً في الرسالة، سمّاه «أينَ أنت يا مصطفى كامل؟»، ومصطفى كامل هو مؤسِّسُ الحزب الوطني في مطلع هذا القرن. وهو زعيمٌ وطني مخلص، أجمعَ المصريّون على تقديره.

وقد أعلن سيِّد في هذا المقال، الحربَ على الأحزاب المصرية كلِّها، كما أعلنَ رفْضَه لتلك الأحزاب، وخروجَه منها، وعدَم انتمائِه لأيٍّ منها: «هذا القلمُ ليس لحزبٍ من الأحزاب، فقد باتَ صاحبُه لا يرى في الأحزاب إلّا أقزاماً، بعد أَنْ خلا الميدان من كل جبّار، فهو بهذا يتوجَّهُ إلى مصر الخالدة، وهي أخلدُ وأسمى»[2].

---

(١) انظر الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٢٧. سنة ١٩٤٥م. صفحة: ٧٢٣ وما بعدها.

(٢) الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٤٨. تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٤٥م. صفحة: ١٣٠٩.

وقد بيَّن سببَ تَرْكِه للأحزاب، وصوَّرَ شخصياتِ رجالِها بقوله: «لم أَعُدْ أجـدُ في حزب من هذه الأحزاب ما يستحقُّ عناءَ الحماسةِ له، والعملَ من أجله!

كلُّهم سـواءٌ أولئك الـرجال، رجـالُ الجيل المـاضي، للجميـع عقليـةٌ واحـدة لا تصلح لهذا الجيـل، عقليةُ أنصافِ الحلـول، كلُّهم نشـأوا وفي نفوسهم أن إنجلترا دولةٌ لا تُقهر، وأن الفقرَ مرضٌ مستوطِن. . .

هؤلاء جميعـاً، لم يعودوا يَصْلُحـون لقيادة الجيـل الجديـد، أعصابٌ منهـوكـة، وقلوبٌ خاوية من الإيمان الحارِّ بشعبهم وأمتهم»[1].

لم يكن سيِّد قطب ــ وقد تخلّى عن الأحزاب كلِّها عام ١٩٤٥م ــ ممّن ييأَسون من الإصلاح، ولا ممّن يُؤْثِرون القعود. ولذلك لم يجلس بعـدها في بيتـه، يبكي على وطنِه، ويندُبُ حظَّهُ العاثر!

لقد كان لسيِّد ــ بعد تَرْكِه الأحزابَ كلِّها ــ جهودٌ فردية ملحوظة، في الدعوة إلى الإصـلاح السيـاسي والاجتمـاعي والاقتصـادي والتعليمي، وكتَبَ مقـالاتِـه السيـاسيـةَ والاجتماعية في مجلات ذلك العهد، مثل «الرسالة» و «الثقافة» وغيرهما.

كما أنشأ مجلتيْن لهذه الغاية الأولى هي «العالم العربـي»، والثانيـة هي: «الفكر الجديد».

وكـان منزلُـه في «حلوان» منتدى سيـاسيـاً عـامـاً، يقصـدُه الشبـابُ المتلهِّفُ على الإصلاح، ويستمعُ لتحليـلات سيِّد وآرائه وتوجيهاته.

استمـرَّ سيِّد يعمـل في الـدعـوةِ والإصـلاحِ بمفـرده، بـدون انتمـاءٍ لحـزبٍ من الأحـزاب، ولا جماعـةٍ من الجماعـات، حتى عام ١٩٥٣م، عنـدما وجـدَ ضـالَّتَـه في «جماعة الإخوان المسلمين»، فانضمَّ إليها، واستمرَّ معها إلى أنْ لقي ربَّه.

---

(١) الـرسالـة. السنة الـرابعة عشـرة. المجلد الثـاني. عـدد: ٦٨١. تـاريـخ ٢٢ يـوليـو ١٩٤٦م. صفحات: ٧٩٦ ــ ٧٩٧.

مراحل حياته الإسلامية

قلنـا ــ فيما سبق ــ إنَّ تـوجُّهَ سيِّـد الإسلامي، لم يكن فجـأةً، ولا على مستوى واحد، وإنما كان متدرِّجاً، ولذلك جاءتْ حياتُه الإسلاميةُ على مراحل.

وقد قسم سيِّد قـطب نفسُه ــ وهـو أَدرى بنفسه وحيـاتِه ــ مـراحلَ حيـاتِه خمسـةَ أقسام:

ففي عـام ١٩٥١م، زار مصـر الأستـاذ «أبـو الحسن علي الحسني النـدوي»، واجتمع بسيِّد ــ وكان لسيِّد يومَها توجُّهٌ إسلامي بارز ــ وذَكَرَ سيِّد للندوي مراحلَ حياته الخمسة:

* **الأولى**: نشأتُه على تقاليد الإسلام في الريف، وفي بيته.

* **الثانية**: انتقالُه إلى القاهرة، حيث انقطعتْ كلُّ صلةٍ بينـه وبين نشأتِـه الأولى، وتبخَّرتْ ثقافتُه الدينية الإسلامية.

* **الثالثة**: مرورُه بمرحلةِ الارتياب في الحقائق الدينية إلى أقصى حدود.

* **الرابعة**: إقبالُه على القرآن، والنظرُ فيه لدواعٍ أدبية.

* **الخامسة**: تأثيرُ القرآن فيه، حيثُ تدرَّجَ به إلى الإيمان والالتزام[١].

وقد قَسَّم الأستاذ «يوسف العظم» حياةَ سيِّد قطب الإسلامية إلى ثلاثِ مراحل:

الأولى: الإسلامياتُ الفنيّة.

الثانية: الإسلامياتُ العامة.

الثالثة: الإسلامياتُ الحركيّة الهادفة[٢].

وسنتكلم فيمـا يلي عن التحديـدِ الزمنيّ لكـلّ مـرحلة، وخصـائصِ كـلٍّ منهـا، وسماتِ سيِّد الفكرية في كلٍّ منها.

---

(١) انظر كلام سيِّد، للندوي في كتاب الأخير «مذكرات سائح في الشرق العربي»: ١٨٩.

(٢) انظر «رائد الفكر الإسلامي المعاصر»، ليوسف العظم: ١٤٩ ــ ١٥١.

المرحلة الأولى: مرحلة الإسلاميات الفنية الأدبية

تبدأ هذه المرحلةُ، منذُ إقبالِ سيِّد على القرآن الكريم، يدرسُه لدواعٍ وأغراضٍ أدبية.

وكان ذلك عام ١٩٣٩م، عندما نشرَ في مجلة «المقتطف» مقالاً بعنوان: «التصوير الفني في القرآن الكريم».

وقد بدأ مقالَه بمقدمة، بيَّن فيها أنَّ القرآنَ ــ رغم ما قامتْ حولَه من دراساتٍ أدبية بيانية ــ فإنه لم يُدْرَسْ من الناحية الفنية دراسةً مستقلة حقيقية، وأعلنَ فيه أنه لا بد من دراسةٍ أدبيةٍ فنية، نقدية بيانية للقرآن «تكشفُ عما حوى من الجمالِ التصويري، وتشرحُ خصائصَه الفنية، ولوازمَ أسلوبه، وحيويةَ تعبيره، وروحانية اتجاهه».

وذكَر في مقاله الذي نُشر على حلقتين في مجلة «المقتطف» نماذجَ من الصور الفنيةِ الرفيعة في القرآن.

وأشارَ في نهايةِ المقال إلى أنَّ الموضوعَ ــ التصوير الفني في القرآن ــ خصبٌ مطوَّل، وأنه في هذا المقال إنما فتحَ البابَ أمام الباحثينَ ليبحثوا فيه: «لم يكن قصدي مما قدمْتُ إلّا ضربَ الأمثلة، ولفتَ النظر. فلم أكنْ أنوي الاستقصاء، وما يزالُ وراءَ ذلك ما لم أذكر. والموضوعُ خصْبٌ، وصالحٌ للدراسات المستفيضة. . . ».

ثم قال: «تلك عجالةٌ في هذا البحثِ البكرِ الخصيب، ولعلَّها تكون مقدِّمةً لبحثٍ شامل كبير إن شاء الله»(١).

وانتظرَ سيِّد ستةَ أعوامٍ كاملة، ولم يتوجَّهْ أحدٌ من دارسي القرآن إلى طرق هذا الموضوع!.

وفي ربيع عام ١٩٤٥م، قدَّم سيِّد للقرّاء كتابَه القرآنيَّ الإسلاميَّ الرائع الأول «التصوير الفني في القرآن»، الذي صدر في أبريل ــ نيسان ــ ١٩٤٥م. والذي سجَّل

(١) انظر «المقتطف» مجلد ٩٤. الجزءان الثاني والثالث. فبراير ومارس ١٩٣٩م. وانظر كتابنا «نظرية التصوير الفني عند سيِّد قطب» فصل «سيِّد قطب رائد نظرية التصوير».

فيه اكتشافه للنظريةِ الفنيةِ الجماليَّةِ الرائدةِ في الأسلوب القرآني. وهي «التصوير الفني»، القاعدةُ المطَّردةُ في أسلوبِ التعبيرِ القرآني.

وقال في مقدِّمة الكتاب: «ومرَّت السنوات، وصورُ القرآن تُخايِلُ لي، وتتراءى فيها آثارُ الإعجاز الفني. وكلَّما عدْتُ إليها، قَويَ في نفسي أَنْ أتولَّى البحثَ الذي تركْتُه، فلم يحاوِله أحد، وأَنْ أُكمِّلَه وأتوسَّعَ فيه. وظَلَلْتُ أعكِفُ على القرآن بين الحين والحين، أتملَّى صوَرَهُ الفريدة، فتزداد فكرة البحث في نفسي رسوخاً، ثم تَشْغَلُني عنه الشواغل، فيرتدُّ أمنيةً في الضمير، ورغبةً في الشعور. إلى أن شاءَ الله أن أتوفَّرَ عليه في هذا العام»(٢).

وقد أُعجبَ بالكتاب الأدباءُ والنقادُ والمثقفون، وأشادوا به، وقرَّظَه بعضُهم على صفحات المجلات ـ وبخاصةٍ «الرسالة» ـ مثل: عبد المنعم خلاف، وعلي الطنطاوي، وعلي أحمد باكثير، وعبد اللطيف السبكي، ونجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم، وأحمد الشرباصي، وغيرهم.

مشروع سيد «مكتبة القرآن الجديدة»

اعتبرَ الأدباءُ والنقادُ سيِّدَ قطب رائدَ نظريةٍ جمالية قرآنية، وهي «نظريةُ التصوير»، واعتبروا كتابَه اكتشافاً للنظرية، لا مجردَ تأليفٍ في بيان القرآن وبلاغته!.

وقرَّر الأستاذُ علي الطنطاوي ـ بعدما قرأ الكتاب ـ أن الله ادَّخرَ له مفتاحاً خاصاً، فتح به كنوز القرآن البيانية، وأنه لم يُعطِ هذا المفتاحَ لأحدٍ من السابقين.

وقد بيَّنّا في كتابِنا الذي خصَّصْناه لتلك النظرية «نظرية التصوير الفني عند سيِّد قطب» أن الله خصَّ سيِّد بمفتاحيْن اثنين، فتح بهما كنوزَ القرآن المذخورة:

* **الأول**: المفتاحُ الجمالي في مشروع «مكتبة القرآن الجديدة»، وأساسُ المكتبة هو كتابُه الرائد «التصوير الفني في القرآن».

* **الثاني**: المفتاحُ الحركي في تفسيره الحركي الرائد «في ظلال القرآن».

فكَّرَ سيِّد إذن ـ عام ١٩٤٥ ـ أَنْ يعدَّ مشروعاً أدبيّاً نقديّاً، أسماه «مكتبة القرآن الجديدة».

---

(١) التصوير الفني في القرآن، لسيِّد: ٧ ـ ٨.

وجعلَ هدفهُ من هذه المكتبة القرآنية: «أَنْ يتوجَّهَ البحثُ في جمال التعبيرِ القرآنيِّ كلِّه هذا الاتجاه، وأنْ ننظرَ إلى هذا الجمالِ الخالدِ من زاويةٍ أخرى، غير زاويةِ البلاغة المعهودة، القائمةِ على أساسِ المعاني والألفاظ»[1].

وكرَّرَ في أكثر من موضع، وركَّز على أن هدفَه من «مكتبة القرآن الجديدة»، هدفٌ فنيٌّ بياني أدبيّ جماليّ، وبيَّن أنَّ دراستَه للقرآن في هذه المكتبة دراسةٌ أدبية نقدية. قال في مقدمة «مشاهد القيامة في القرآن» عن هذا الهدف: «وفي اعتقادي أنني لم أصنع بهذا الكتاب، وبسابِقه [التصوير الفني] ولن أصنعَ بلواحقه، إلاّ أنْ أردَّ القرآن في إحساسِنا جديداً، كما تلاه العربُ أوَّلَ مرة، فسُحروا به أجمعين. فلا أقلَّ من أَنْ يُعاد عرضُه، وأنْ تُرَدُّ إليه جدَّته. وأن يُستنقذَ من ركامِ التفسيراتِ اللغوية والنحوية والفقهية والتاريخية والأسطورية أيضاً، وأنْ تُبرزَ فيه الناحيةُ الفنية، وتُستخلصَ خصائصُه الأدبية، وتُنبَّه المشاعر إلى مكامن الجمال فيه. وذلك هو عملي الأساسيّ في مكتبةِ القرآن»[2].

كما أكَّد على أنه ينظرُ في أسلوب القرآن وتعبيره، بعينِ الناقد الأدبي، ويتدبَّرُه بحاسَّته الأدبية النقديّة الذوقيّة: «فهدفي هنا هدفٌ فنيٌ خالصٌ محض، لا أتأثَّرُ فيه إلاّ بحاسَّةِ الناقدِ الأدبي المستقلّ. فإذا التقَتْ في النهاية قداسةُ الفن بقداسةِ الدين، فتلكَ نتيجةٌ لم أقصدْ إليها»[3].

وبعد عامَيْن من صدور كتاب «التصوير الفني»، وفي أبريل ـ نيسان ـ عام ١٩٤٧م أَصدرَ كتابَه الإسلاميَّ القرآنيَّ الثاني، ـ والثاني في «مكتبةِ القرآن الجديدة» ـ وهو كتابُ «مشاهد القيامة في القرآن». وجعلَه مقصوراً على بيانِ «التصوير الفني» في موضوعٍ من موضوعاتِ القرآن «مشاهد القيامة»، بما فيها من مشاهدِ النعيم الحسيةِ والماديةِ في الجنة، ومشاهدِ العذاب الحسية والمادية في النار.

وكان ينوي متابعةَ إصدارِ الدراساتِ في هذا الموضوع، واستمرارَ البحثِ في

---

(١) مجلة الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٦٥٣. يناير ١٩٤٦م. صفحة: ١٤.
(٢) مشاهد القيامة في القرآن: ٨.
(٣) المرجع السابق: ١٠.

هذا المشروع ـ «مكتبة القرآن الجديدة» ـ.

فقد أعلنَ عن عزمه على إصدارِ كتبٍ أخرى، وهي:

١ـ القصةُ بين التوراة والقرآن.

٢ ـ النماذجُ الإنسانية في القرآن.

٣ ـ أساليبُ العرض الفني في القرآن.

٤ ـ المنطقُ الوجداني في القرآن.

ولكنه لم يُصدرْ واحداً منها، بل عدَلَ عنها، وانتقلَ إلى دراساتٍ أخرى للقرآن، وهي الدراساتُ الفكريةُ التي أوصلَتهُ لها المرحلةُ الثانية منْ حياته الإسلامية.

إذن كان أولُ اتصالٍ علمي لسيِّد بالقرآن اتصالاً أدبياً فنياً نقدياً.

وكانت المرحلةُ الأولى من حياتِهِ الإسلامية، هي المرحلةَ الرابعة من حياته العامة، التي قال هو للندوي عنها: إنه أقبلَ على القرآن يدرُسُه لدواعٍ أدبية.

ولقد صَدَق «عادل حمودة» عندما قال عن هذه المرحلةِ الإسلامية الأولى من حياته: «اكتشفَ سيِّدُ قطب الإسلامَ بمنظارِ النقد الأدبي»[١].

أقبلَ سيِّد على القرآن إقبالاً أدبيّاً، ودرَسَه دراسةً جماليَّةً نقدية، ولكنَّ القرآنَ قادهُ إلى عالَم الإيمان.

ولذلكَ بدأ سيِّد كتابَ «التصوير الفني»، بعنوانٍ مثير «لقد وجدتُ القرآن»، بيَّن فيه خلاصةً موجَزَة لتعامُلِه مع القرآن، منذ طفولتِه حتى إعدادِه هذا البحث، الذي وجَدَ فيه القرآن: «وحين انتهيتُ من التحضيرِ للبحث. وجدتني أشهدُ في نفسي مولدَ القرآن من جديد. لقد وجدْتُه كما لم أعهدْهُ من قبل أبداً»[٢].

نعم، لقد وجدَ القرآن، فدرَسَهُ لدواعٍ أدبية ونقدية وفنية وجمالية.

وبالقرآنِ وجدَ الإيمان، الإيمانَ الحيَّ المؤثِّرَ الفاعل.

---

(١) سيِّد قطب من القرية إلى المشنقة: ٦٨، وانظر ما بعدها.

(٢) التصوير الفني في القرآن: ٨.

بدأتْ مرحلةُ الإسلاميات الفنية الأدبية، بكتابة سيِّد لمقال «التصوير الفني في القرآن»، وانتهتْ عام ١٩٤٧م، بطباعتِهِ لكتاب «مشاهد القيامة في القرآن»، أيْ أنَّ هذه المرحلة استغرقَتْ من عمره حوالي ثماني سنوات.

المرحلة الثانية: الإسلاميات الفكرية العامة

وقد أوصلَتْهُ المرحلةُ الأولى إلى هذه المرحلة، أَيْ أنَّ دراستَه الأدبيةَ الفنية للقرآن، قادَتْه إلى الوقوفِ على التوجيهاتِ القرآنية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك. ومن هنا دخلَ عالَمَ الفكرِ الإسلامي الإصلاحي.

بدأَتْ هذه المرحلةُ منذ عام ١٩٤٧م ـ وهو العامُ الذي طبع فيه «مشاهد القيامة في القرآن»، وانتهتْ به مرحلتُه الأولى ـ وانتهتْ هذه المرحلة عام ١٩٥٣م ـ وهو العامُ الذي انضمَّ فيه إلى جماعةِ الإخوان المسلمين رسميّاً ـ.

وهذه المرحلةُ الثانية هي الخامسةُ من مراحل حياته التي ذكرها لأبي الحسن الندوي. وهي «تأثيرُ القرآن فيه، حيثُ أوصَلَه إلى عالَم الإيمان والالتزام».

وفي هذه المرحلة كان ذهابُهُ إلى أمريكا، وفي هذه المرحلة كانت له جهودٌ في الإعداد للثورة، ولما قامتْ كانت له صِلاتٌ وثيقةٌ مع رجالها في أوَّلِ أيّامها.

وفي هذه المرحلةِ أصدرَ عدداً من الكتبِ الإسلامية الإصلاحية، وهي:

١ ـ العدالة الاجتماعية في الإسلام. وهو أوَّلُ كتابٍ فكري إسلامي له. وقد كتبه بعد عام ١٩٤٧م، وطُبع الكتاب عام ١٩٤٩م، لمّا كان سيِّد في أمريكا.

٢ ـ معركة الإسلام والرأسمالية، وقد ألَّفه بعد عودته من أمريكا. وطبَعه في مطلع عام ١٩٥١م.

٣ ـ السلام العالمي والإسلام، وقد صدر في نهاية عام ١٩٥١م.

٤ ـ دراسات إسلامية، وقد ضم ستاً وثلاثين مقالةً إسلامية، نشرَها سيِّد في عدة مجلات، وصدر الكتابُ عام ١٩٥٣م.

٥ ـ في ظلال القرآن: الذي بدأ إصداره في أكتوبر ١٩٥٢. وفي الفترة ما بين «أكتوبر» ١٩٥٢م إلى «يناير» ١٩٥٤م، أصدرَ ستة عشر جزءاً من الظلال.

وقد كانت مصر تعيشُ مرحلةً خطيرة، بعد الحربِ العالمية الثانية، من الناحيةِ السياسيةِ والاجتماعية والاقتصادية.

كان في مصر جيشُ الاحتلال الإنجليزي، وكان فيها الملكُ الفاسد «فاروق»، وبطانتُه وحاشيتُه، وكان فيها الأحزابُ المختلفة المتناحرة، وكان فيها الباشواتُ وكبار الملاّك والإقطاعيون وأغنياءُ الحرب. وبقيتْ غالبيةُ الشعب المصري على حالتها، من الفقر والجوع والحرمان، وحدثت الهزاتُ الاجتماعيةُ الخطيرة.

ونشطَ الشيوعيونَ في الدعايةِ لمذهبهم، وراحوا يُمَنّون الفقراء والعمال والفلاحين بجنَّتهم الموهومة، واستغلَّ الشيوعيونَ هذه الأوضاعَ العفنة، ومعلومٌ أن الشيوعيةَ لا تنشطُ إلاّ في الأجواء الموبوءة والمجتمعات المريضة!

وكان سيِّد قطب يعيشُ هذه المآسي، وتزعجُهُ تلكَ المظاهر الاجتماعية الشائهة.

ومن جانبٍ آخر، أدام نظراتِه في القرآن، وأطالَ الوقوفَ أمامَ آياتِه، ووجدَ فيها توجيهاتٍ إصلاحية، في الأمور الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وفهم عن آياتِ القرآن ما تقدِّمه له، وما توحيه به من مقرَّراتها وإيحاءاتها ودلالاتها. ووضَعَ يَدَه على كثيرٍ من الحقائق القرآنية بهذا الخصوص.

وعرَفَ أنَّ الإصلاحَ السياسي والعدالةَ الاجتماعية، ليست عند الشيوعيين ولا عند الغربيين، وإنما هي في آياتِ القرآن، وحقائق الإسلام.

وألهمه اللَّهُ استخدامَ هذا المصطلح «العدالة الاجتماعية»، وبذلك رفضَ المصطلحيْن الآخَرَيْن، الشائعيْن في الأوساط الاجتماعية والإصلاحية، وهما «الشيوعية» و «الاشتراكية»!!

وكان كتابُه الشهير «العدالة الاجتماعية في الإسلام» وبه تحوَّلَ سيِّد من كاتب، إلى مفكرٍ إسلامي، وبه عاشَ مرحلة «الإسلاميات الفكرية العامة»، وبه بدأَ سيرَه الحثيثَ نحو الفكر الإسلامي الذي أصبح رائداً له.

وقد أحدثَ الكتابُ ضجَّةً ــ فَورَ صُدورِهِ ــ في مختلفِ الأوساط:

١ ـ فالأوساطُ الشيوعية حاربتْه، واعتبرتْ صاحبَه من ألدِّ أعدائها، لأنه يفتحَ عيونَ المظلومين على بابٍ آخر، غيرِ الباب الذي يدعونهم هم إليه.

٢ ـ والأوساطُ الغربية الراصدة لاتجاهاتِ الإصلاح في المجتمع، حاربتْه واعتبرتْ صاحبَه صاحب دعوة إسلامية، والإسلامُ ودعاتُه أعداءٌ لهم.

٣ ـ والأوساطُ الحكوميةُ الرسمية، اعتبرت الكتاب، وتوجُّهَ سيِّد الجديد، انتصاراً لفكرِ ودعوةِ خصومِها «الإخوان المسلمون»، الذين كانوا ـ وقتَ إصدارِ الكتاب ـ في السجون والمعتقلات، جزاءً لهم على قتالِ اليهود في فلسطين!! ولذلك حاربتْ هذه الأوساطُ الكتاب.

٤ ـ لكن الأوساط الإسلامية ـ وبخاصةٍ شبابَ الإخوان المسلمين ـ فرحوا بالكتاب، وأُعجبوا به، واعتبروه إضافةً كبيرةً في الدعوة الإسلامية، واعتبروا توجُّهَ سيِّد الفكريَّ الإسلامي كسباً للدعاة إلى الله، واعتبروهُ قريباً جدّاً من الإخوان المسلمين، واعتبرهُ بعضُهم في طريقه إلى الإخوان، إن لم يعتبرْهُ بعضُهم من الإخوان فعلاً!

وأقبلَ شبابُ الإخوان على الكتابِ، يدرسونَه ويتفاعلون معه.

مجلة «الفكر الجديد»

وفي هذه المرحلةِ من حياته الإسلامية، أصدر سيِّد مجلةَ «الفكر الجديد». حيث صدرَ العددُ الأولُ منها في يناير ١٩٤٨م. ولم تستمرّ إلا ثلاثةَ أشهر، حيث أغلقَتْها الحكومةُ في مارس ١٩٤٨م، بعد صدور اثنيْ عشر عدداً منها.

وقد تكلَّمْنا عن هذه المجلةِ بالتفصيل، أثناءَ حديثِنا عن جهود سيِّد في الصحف والمجلات.

ويهمُّنا هنا أن نقرِّرَ الطابعَ الإصلاحيَّ الإسلامي الجريءَ القوي الحاد للمجلة، ولمقالاتِ سيِّد فيها، مما جعل الحكومة تضيقُ ذرعاً بها وتغلقُها.

ومن عناوينِ مقالاته فيها: «فلْنؤمنْ بأنفسنا»، «أفخاذ ونهود»، «أنتم أيها المترفون تزرعون الشيوعية زرعاً»، «وضع مقلوب في جوائز فؤاد الأول، درس في الكرامة

لأساتذتنا الكبار»، «أولاد الذوات وبناتهم هم نَتَنُ الأرض ولعنةُ السماء»، «تحرروا يا عبيد الأمريكان والروس والإنجليز»، «يا شبان الوادي تأهَّبوا واستعدّوا»، «ليس الشعب متسوِّلاً، فردّوا له حقوقَه، وهو غني عن برّكم».

وهي عناوينُ حادةٌ صارخة عنيفة جريئة، تدل على عقليةِ سيِّد، وطريقتِهِ في التفكير، وأسلوبِهِ الهجوميّ في التعبير، وجرأتِهِ في الإصلاح.

مقالاته في المجلات الإصلاحية الجادة

بعدما عادَ من أمريكا عام ١٩٥٠م، عاد بهمةٍ عالية، وهدف رفيع، ورسالةٍ إصلاحية إسلامية، يريدُ تحقيقَها. ووجدَ الأمورَ في مصر تزداد سوءاً، والحياةَ الاجتماعية والسياسية تزدادُ تدهوراً، والشعبَ يزدادُ معاناةً، فقام بواجبه في الإصلاح والتغيير على أساس الإسلام.

ومارسَ دعوتَه للإصلاح في عدةِ وسائل: الكتابةُ في الصحف والمجلات، كتابةُ الكتب من الميدان، إلقاءُ المحاضرات والاشتراك في الندوات، الذهابُ إلى المنتديات، الإعدادُ الخفيُّ والعلنيُّ للتغيير والإصلاح.

ويقول هو عن جهوده في ذلك: «واستغرقْتُ أنا عام ١٩٥١م في صراعٍ شديدٍ بالقلمِ والخطابةِ والاجتماعات، ضدَّ الأوضاعِ الملكية القائمة، والإقطاعِ والرأسمالية. وأصدرْتُ كتابيْن في الموضوع[١]. غيرَ مئاتِ المقالاتِ في صحفِ الحزب الوطني الجديد، والحزب الاشتراكي، ومجلةِ الدعوة التي أصدرها الأستاذ صالح عشماوي، ومجلةِ الرسالة، وكلِّ مجلةٍ أو جريدة قبلتْ أن تنشرَ لي»[٢].

كانت أعنفُ مقالاته، التي تنشرها له مجلةُ «الاشتراكية» لسان حال «الحزب الاشْتراكي» الذي شكله «أحمد أمين».

وكانت أهدأُ مقالاته، تلك التي تنشرُها له مجلةُ «الدعوة» لصاحبها «صالح عشماوي».

(١) هما كتابا «معركة الإسلام والرأسمالية» و«السلام العالَمي والإسلام».

(٢) كتاب «لماذا أعدموني» أو «كلماتي الأخيرة». وهو اعترافه أمام المحققين عام ١٩٦٥م.

بينما كانت مقالاتُهُ في صحيفة «اللواء الجديد» لسان حال «الحزب الوطني الجديد» برئاسة فتحي رضوان، متوسطةً بين العنفِ الحاد والهدوءِ القوي!

مدارس للسخط

اخترنا مقالَيْن من مقالاتِه الثوريةِ العنيفة في هذه المرحلة، مقالَيْن ثوريَّيْن، لكنهما من أهدأ مقالاتِه، لأنه نشرهما في مجلة هادئة جداً، هي مجلة «الرسالة».

● الأول مقال: «مدارس للسخط». وقد بدأهُ بقولِ أحدِ أصحابه معاتِباً له:

«أما تفتأُ هكذا ساخطاً على جميعِ المظاهر والأوضاع؟ أَرِحْ أعصابَكَ يا أخي، ودَع الخلقَ للخالق. إنه لا فائدة. لا فائدة من كل هذه التصرفات!!!

قلتُ لصاحبي: أَمّا أنا فسأظلّ ساخطاً، أُعلنُ سُخطي على كل شائهٍ من المظاهر والأوضاع...

وقلت لصاحبي: إنه لو وُكلَ إليَّ الأمر، لأنشأْتُ ضعفَ هذه المدارس التي تنشئُها الدولة، لأُعلِّمَ الشعبَ فيها شيئاً واحداً، هو: السُّخط!

السخطُ على الأوضاعِ والمظاهِرِ الشائهة، التي تسيطر على حياةِ هذا الجيل في كل اتجاه. فالسخطُ هو دليلُ الحيوية الكامنة، والرضا بهذه الحال الدائمة، هو نوعٌ من اليأس والتشاؤم، يَقتلُ الأممَ أو يؤدي بها إلى الاضمحلال!

أجل! لو وُكلَ إليَّ الأمر، لأنشأتُ مدرسةً للسخط على هذا الجيل، من رجال السياسة في هذا البلد...

ومدرسةً للسخط على أولئك الكتّاب والصحفيين...

ومدرسةً للسخط على أولئك الوزراء...

ومدرسةً للسخط على أولئك الباشوات وغير الباشوات...

ومدرسةً للسخط على أولئك «الأرستقراط»، الذين يعرفون من هم...

ومدرسةً للسخط على أولئك الذين ليسوا «أرستقراط»...

ومدرسةً للسخط على محطة الإذاعة، تلك المحطة التي تنقل ما في المواخير والصالات. . .

ومدرسةً للسخط على تلك الصحافة «الداعرة». . .

وأخيراً مدرسة للسخط على هذا الشعب، الذي يسمحُ بكل هذه «المساخر» ويتقبَّلُ كلَّ الأوضاع، دون أن ينتفض فينبذ هؤلاء وأولئك جميعاً. . .

مدارسُ للسخط! ما أحوجَ هذا الشعب منها إلى الكثير، إنه لأحوج إليها من الطعام والشراب. . .

إنما تنشئُها الأقلامُ الجادة المخلصة. . وإنها لفريضةٌ على كل صاحبِ قلم، ولن تضيع صرخةٌ واحدة مع الهواء، فالهواءُ أحفظُ للأصداء. . . ولا يأْسَ مع الحياة![1] . . .

● المقال الثاني «سأم» وقد نشرهُ قبلَ أسابيعَ من قيام الثورة. حيث نشَرَهُ في الصفحة الأولى من مجلة «الرسالة». بتاريخ ١٩ مايو ١٩٥٢م.

بدأَ المقالَ بقوله: «ذلك الذي تلمحُهُ على وجوهِ الناس في هذه الأيام، وتلمسه في أحاديثِهم في كلِّ مكان. . .

سأمٌ من كل شيء، ومن كل فكرة، ومن كل عمل، ومن كل أحد، ومن كل اتِّجاه. . .

سأمٌ هو مزيجٌ من ألمٍ قد مات! ومن يأسٍ من الأعمال والرجال، ومن «قرفٍ» شامل، ومن استهتار. . .

يقلِّبُ الناسُ صفحات الصحف، ويمرونَ على العنواناتِ الضخمة بدون اكتراث، كأن لم يَعُدْ شيءُ يدعو إلى الاكتراث. . .»!

في الحياة السياسية «سأم. سأم. سأم تموتُ منه الكلماتُ في الشِّفاه».

---

(١) مجلة الرسالة. السنة الرابعة عشرة، المجلد الثاني. عدد: ٦٩١. تاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٤٦م. صفحات: ١٠٨١ ــ ١٠٨٢.

في الأزماتِ الاقتصادية الخانقة «لم يعُدْ أحدٌ يشكو. إنه ما فائدةُ الشكوى؟ ما جدوى الألم؟ سأم. سأم. سأم تموتُ منه الكلمات في الشفاهِ».

«هل مصر بلد مجنون؟.. أم إنَّني أنا المجنون؟ لأنني لا أَفهمُ أنَّ في مصرَ مصالح، وأن في مصر شركات؟.

ثم مالي لا أصمتُ كما يصمتُ الناس والشعبُ في هذه الأيام؟ ألا أحسُّ ذلك السأم الذي يَرينُ على الوجوه؟ ألا أشعرُ بذلك الهمِّ الجاثم على الصدور»[1].

هذه نماذجُ لِنشاطِهِ الإصلاحيّ في مرحلتِهِ الإسلامية الثانية، مرحلةِ الإسلاميات الفكرية العامة.

إن سيِّد عاش آلامَ الشعب، ولاحظَ حاجاتِه الضرورية، ولم يشأْ أن يعتزل في بيته، كما فعل فريقٌ من الأدباء والكتّاب والمثقفين، بل نزلَ إلى المجتمع، وتعامَلَ مع الناس، وتبنّى مشكِلاتِهم وقضاياهم.

كانت حياتُه الإسلامية الفكرية دعوةً إلى الإصلاح والثورة والتغيير، وإنكاراً للمنكرات العامة والخاصة، في كل نواحي الحياة في المجتمع!...

المرحلة الثالثة: مرحلة الإسلاميات الحركية

المقصودُ بالإسلامياتِ الحركيّة هو: الفهمُ الصحيحُ الشاملُ للإسلام، كما هو في الكتاب والسنة، وإدراكُ خصائصه ومقوماته، والوقوفُ على طبيعته، وملاحظةُ مهمته، والالتفاتُ إلى سمةِ «الإيجابيةِ الواقعيةِ المؤثِّرة الحركية» فيه.

وبعد الفهمِ الحركي الإيجابي للإسلام، الالتزامُ به في التصوُّرِ والفكر، وفي العبادةِ والذِّكْر، وفي السلوك والمعاملة.

ثم القيامُ بالجهدِ العملي، وتقديمُ «شهادةِ الحق» عملياً، لهذا الإسلام، والانتقالُ به إلى الميدان، ميدانِ الجهاد والدعوة والمواجهة، مواجهةِ الجاهلية، ومجاهدةِ أصحاب الباطل.

---

(١) مجلة الرسالة. السنة العشرون. المجلد الأول. عدد: ٩٨٥. تاريخ ١٩ مايو ١٩٥٢م. صفحات: ٥٤٥ ــ ٥٤٦.

ولقد تحققَ هذا الأمرُ لسيِّد قطب في المرحلة الثالثة أحسنَ تحقيق، وقامَ به خيرَ قيام، وأدّاه أفضلَ أداء، وقدَّم دراساتٍ حركية أصيلة ـ في الظلال والخصائص والمقومات والمعالم وهذا الدين ـ وبذلَ جهوداً عمليةً دعويةً حركية، خَتَمَها بتقديمِ روحِهِ فداءَ هذه المعاني، ومغادرتِهِ هذه الدنيا شهيداً في سبيل الله ـ إن شاء الله ـ.

تبدأ هذه المرحلةُ منذ عام ١٩٥٣م، عندما انتمى سيِّد لجماعة الإخوان المسلمين، وانتظَمَ في صفوفها.

وتنتهي هذه المرحلة باستشهاده في ٢٩/٨/١٩٦٦م.

وهذه المرحلةُ هي أفضل مراحل حياتِهِ الإسلامية، وأكثرُها عطاءً وبركة، وجهاداً ودعوة، وفكراً وتربية!!

سيِّد رائد الفكر الحركي الإسلامي

تُعَتبرُ هذه المرحلة مرحلةَ النضج الفكري والحركي لسيِّد قطب، وكلما تقدمَتْ أيامُ وسنواتُ هذه المرحلة، كلما ازدادَ سيِّد نضجاً وإدراكاً ووعياً وحركة. واستمرَّ يرتقي ويتدرجُ في هذه المعاني الحركية العظيمة، ويصلُ فيها إلى مقرَّراتٍ وحقائق جديدة، ويرتادُ فيها مجالاتٍ جديدة، حتى وافاهُ الأجل، ولقيَ اللَّهَ شهيداً، وهو الأكثرُ وعياً ونضجاً وحركة ونشاطاً، ودعوة وتنظيماً وجهاداً!

وصورةُ سيِّد في هذه المرحلة التي استقر عليها هي الصورةُ الأخيرةُ النهائية، التي ظهرَ فيها على الناس، فرآهُ الناسُ عليها، وعرفوهُ من خلالها، وتعاملوا معه مفكِّراً إسلاميّاً حركيّاً أصيلاً.

وهذه الصورةُ هي التي يحبُّ سيِّد أَنْ يُعرَفَ بها، ومن خلالها، وأَنْ يقدَّمَ فكرُه على أساسها.

أمّا المراحلُ السابقة، فهي مراحلُ تاريخية ماضية، مرَّتْ وانتهتْ، وليس لها بالنسبةِ له إلاّ البعدُ التاريخي. وكلُّ مَنْ تكلمَ عن تلك المراحِلِ السابقة، فليتكلَّمْ عليها بهذا الاعتبار. يعرضُها ويبيِّنُها، ويُعرِّفُ بسيِّد فيها، ويقدِّمُ فكرَه وملامحَه من خلالها، لكن لا يكتفي بذلك، ولا يتوقفُ عند مرحلة منها، ثم يختمُ البحثَ ويطوي

الأوراق!! لا يتـوقفُ عندهـا لأن سيِّد لم يتـوقفْ عندَهـا، وبمـا أن سيِّـد اجتـازَهـا إلى ما بعدها، واستقرتْ مسيـرةُ حياتِـهِ عند المـرحلةِ الإسلاميـة الحركيـة، فلا بـد للباحثِ والدارسِ والمحاضِرِ والمتكلم، وهو يعرضُ لسيِّد، أن يتوقف عندما توقفَ عنده سيِّد، وأن يعرضَ سيِّد على النـاس في الصورةِ التي قـدَّمَها سيِّـد نفسُه، وارْتَضـاها في آخِـرِ عمره، وارْتَضاها الله سبحانه له.

قدمَ سيد في هذه المرحلة كتباً وأبحاثاً، ودراساتٍ واعيةً ناضجة، حوَتْ خـلاصةَ فهـمِهِ للإسلام، وتدبُّرِه للقرآن، وتصوُّرِه للعمل والدعوة والحركة والجهاد.

وأصبح سيد بهذه الأبحاث والدراسات، رائـداً للفكر الإسـلامي المعاصـر، من حيثُ عرضُهُ وبيانُه، ومن حيثُ الإضافاتُ عليه، ومن حيثُ مجاهدةُ الجاهليـةِ به، ومن حيثُ إعادةُ صياغةِ المسلم على أساسه.

والكتبُ التي أصدَرَها في هذه المرحلة هي: في ظلال القرآن ــ وبخاصة الطبعة المنقحـة ــ وهذا الـدين، والمستقبل لهـذا الـدين، والإسـلام ومشكـلات الحضـارة، وخصائص التصور الإسلامي، ومقوِّمات التصور الإسلامي، ومعالم في الطريق.

بعض أعماله في هذه المرحلة

قلنا إن هذه المـرحلةَ تبدأ منـذ عام ١٩٥٣م، حيثُ انتـظمَ سيد قـطب عمليّاً في صفوف جماعةِ الإخوان المسلمين.

ومن أبرزِ أعماله في هذه المرحلة:

إسنـادُ قيادةِ الإخـوان المسلمين أعمالاً ثقـافية دعـوية لـه، مثل إصـدارِهِ جريـدةَ «الإخوان المسلمون» فترة قصيرة، وإلقـاءِ أحاديثِ «الثـلاثاء» أحيـاناً في المـركز العـام للإخوان المسلمين، وإلقاءِ أحاديثَ ومحاضراتٍ إسلاميةٍ في مناسبات إسلامية.

وقـد حضـر في ١٩٥٣/٣/٢م إلى دمشق، منـدوبـاً عن «لجنـة الـدراسـات الاجتمـاعية المصـرية» إلى مؤتمـر «الدراسـات الاجتماعيـة» المنعَقِدِ فيهـا، وألقى في المؤتمرِ كلمةً عن «التربية الخلقية كوسيلة لتحقيق التكامل الاجتماعي»[١].

---

(١) رائد الفكر الإسلامي المعاصر، ليوسف العظم: ٣٨.

وفي دمشق التقى مع قادة العمل الإسلامي في سوريا. والتُقطتْ له صورةٌ مع كلٍّ من الأستاذيْن: علي الطنطاوي، وعصام العطار.

وفي كليةِ الآدابِ ــ جامعة دمشق ــ ألقى محاضرةً مؤثِّرة، قال عنها «محمد الياسين» ــ مرافقُه مدة وجودِهِ في سوريا ــ : «كانت محاضرةً رائعة، حلَّقَ فيها سيد قطب، خلالَ ساعتَيْن من الزمان، يبحثُ في جمالِ التعبير القرآني، ويضعُ أيدينا على جوانبِ الإعجاز، ولم يكن بيدِهِ كتابٌ ولا ورقة»[1].

ولما انتهى المؤتمر في دمشق، توجَّهَ سيد قطب لزيارةِ الأردنّ عن طريق البر، ويروي الأستاذُ يوسف العظم أنَّ السلطاتِ الأردنية يومَها منعَتْه من دخول الأردن، بأمرٍ من القائد الإنجليزي «جلوب» الذي كان يومَذاك يحكم في الأردن كما يشاء[2]!!

وفي ٢/١٢/١٩٥٣م جاءَ سيد قطب إلى القدس، ممثِّلاً للإخوان المسلمين في المؤتمر الإسلاميِّ الشعبي المنعقد في القدس. «ولولا أنَّ وفودَ المؤتمر كانت في زيارةٍ جماعية، لحيلَ بينه وبين الدخول في المرة الثانية، كما حيلَ بينَه وبين الزيارةِ الأولى!»[3].

ومن أبرز ما جرى له في هذه المرحلة، إدخالُهُ السجن، مع العديدِ من أفراد جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م، حيثُ عُذِّب مع إخوانه تعذيباً رهيباً بشعاً، ثم حوكمَ أمام محكمةٍ يرأسُها الضابط «جمال سالم» عام ١٩٥٥م، وأصدرت المحكمةُ عليه حكْماً بالسجن خمسة عشر عاماً. قضى منها حوالي عشرِ سنوات ثم أُخرجَ عنه بعفوٍ صحّي عام ١٩٦٤م.

ومن أهمِّ أعمالِه في هذه المرحلة، قيادتُهُ التنظيمَ الإخوانيِّ الجديدَ، فكريّاً أوّلاً، ثم عمليّاً وفعليّاً بعدما خرجَ من السجن، إلى أنْ أُلقيَ القبضُ عليه في آب «أغسطس» ١٩٦٥م، حيثُ عُذِّبَ تعذيباً لا يكادُ يوصَف، ثم حوكِمَ أمام محكمةٍ يرأسُها الضابط «فؤاد الدجوي»، وحَكَم عليه بالإعدام، ونُفِّذَ فيه الحكم بعدَ ذلك.

---

(١) مجلة الشهاب. السنة الرابعة. العدد الحادي عشر. تاريخ ١٥/٨/١٩٧٠م. صفحة: ٩.
(٢) رائد الفكر الإسلامي، للعظم: ٣٨.
(٣) المرجع السابق: ٣٨ ــ ٣٩.

كانت حياةُ سيد قطب في هذه المرحلةِ الأخيرةِ المباركة من حياته، عطاءً متجدِّداً متواصلاً، عطاءً بدون توقُّف، سواء كان العطاءُ فكرياً تربوياً، من خلالِ كتبه الحركية الناضجة التي أصدرها، أوكانَ عطاءً عمليّاً واقعيّاً، من خلالِ ملحمتِه الرائعةِ التي كتبها في سجنه بصمودِهِ وثَباتِهِ، وجرأتِهِ وشجاعته، وصبره واستعلائه، ومن خلالِ إنشائِهِ وقيادتِهِ للتنظيمِ الإخوانيِّ الجديد: «وكان الأهمّ من كل ذلك ــ نفسيّاً ــ أَنْ أعادَ اتصالاتِه مع الإخوان المسلمين، داخلَ السجون وخارجَها، وأنشأَ أرقى أشكالِ التنظيم الإسلامي، سريةً وفاعليةً في مصر. . وكان هذا الإنشاءُ يُعتَبَرُ عمليةَ انتحار ــ إنْ جازَ التعبير ــ في الظروفِ الرهيبة، التي كانت تسودُ أرضَ الكنانة!!»[1].

* * *

(١) سيِّد قطب، لبركات: ١٩.

(٣)

مشاهد

من حياة سيّد قطب الإسلاميّة

الأول

سيد قطب مع رجال الثورة

التخطيط الإخواني المسبق للثورة

أَجمـعَ المؤرخـون من الإخـوان المسلمين ـ ومعهم المنصفـون من المؤرخين المحايدين ـ على التخطيطِ الإخوانيّ المسبَق للثورة المصريـة، وأن هذا التخـطيطَ بدأ في الأربعينيّات.

جاءَ هذا الكلامُ في كتب المؤرخين من الإخوان المسلمين مثـل: «صفحات من التـاريخ»: لصـلاح شـادي رحمـه الله. و«الإخـوان المسلمـون رؤيـة من الـداخـل»: لمحمود عبد الحليم. و«الإخوان المسلمون والنـظام الخاص»: لأحمـد عادل كمـال. و«حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمين وجمال عبد الناصـر»: للمرشـد العام محمـد حـامد أبـو النصر. و«أسـرار حركـة الضبـاط الأحـرار والإخـوان المسلمـون»: لحسين حمودة. و«الصامتون يتكلمون»: لسـامي جوهـر. ومذكـرات عبد المنعم عبـد الرؤوف رحمه الله التي أسماها «أرغمت فاروق على التنازل عن العرش».

ومن مـذكرات «عبـد المنعم عبد الـرؤوف» أُلخّصُ هذه الحقـائق، باعتبـاره أهمَّ وثيقةٍ عن التخطيطِ الإخواني قبل الثورة، وتجميعِ الضباط الملتزمين للقيام بها.

يقررُ عبدُ المنعم عبد الرؤوف أن الأخ المسلم الصـاغ «محمود لبيب»، كـان هو وكيـل الإخوان المسلمين للشؤون العسكـرية. وأنـه تعرَّف عليـه والتقى به بعـد تخرج عبد الرؤوف ضابطاً من الكلية الحربية.

وقد كان عبدُ الرؤوف مـواظباً على حضـورِ حديث الثـلاثاء، الـذي يلقيه الإمـام الشهيد حسن البنا، في المركز العـام للإخـوان المسلمين، ثم صارَ يـدعو معـه ضباطـاً

آخرين لحضور الحـديث، كان في مقـدّمتهم النقيب جمال عبـد الناصـر حسين، وكان هذا في شهر أكتوبر عام ١٩٤٢م.

وتمَّ تشكيـلُ أول أسرة إخـوانية للضبـاط، مكونـة من سبعةٍ من ضبـاط الإخـوان المسلمين عـام ١٩٤٤م، وكان نقيبُ الأسـرة هو الصـاغ محمـود لبيب، والأعضـاء هم الضباط الإخوان: عبد المنعم عبد الرؤوف، جمال عبد الناصر، كمال الـدين حسين، حسين أحمد حمودة، سعد توفيق، صلاح خليفة، وخالد محيـي الدين!![١].

ثم تبعَتْها الأسرُ الإخوانية لضباط الجيش.

وبعد سنتيْن من تشكيل هذه الأسر الإخـوانية من الضبـاط، بايـعَ أفرادُهـا السبعةُ «عبدَ الـرحمن السنـدي» مسؤول «النظام الخـاص» للإخـوان المسلمين على كتاب الله والجهاد في سبيل الله، وكان هذا في مطلع عام ١٩٤٦م[٢].

أطلقَ الإخوانُ السبعة على أسرتهم ـ وعلى باقي الأسر الإخوانية للضباط ـ اسم «تنظيم الإخوان الضباط»[٣].

وظلَّ تنظيمُ «الإخوان الضباط» يزدادُ ويقْوى ويشتدّ، وكان يـرأسه الصـاغ محمود لبيب، ومن أنشطِ أعضائه «عبد المنعم عبد الرؤوف» و «جمال عبد الناصر»، وكان يتبعُ «النظامَ الخاص» السريَّ للإخوان المسلمين بقيادة «عبد الرحمن السندي»!.

حتى وقعتْ هـدنةُ «رودس» بين اليهـود وقـادة الـدول العـربيـة، عـام ١٩٤٩م، وعـادتْ قواتُ الجيش المصـري من فلسطين، وكـان من بين العائـدين الضابط جمـال عبد الناصر، الذي كان محاصَراً في «الفالوجة».

وقد عقَدَتْ قيادةُ «الإخوان الضباط» ـ برئاسة محمـود لبيب، وحضورِ الضـابطيْن عبد الرؤوف وعبد الناصر ـ اجتماعـاتٍ عديـدة، انتهوا فيهـا إلى: وجوبِ الثـأر لمقتل الشهيـد حسن البنا، والحـذرِ من أفـرادِ الحـرس الحـديـدي ـ التـابـع للقصـر ـ حتى

---

(١) مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف: ٤٣.
(٢) المرجع السابق: ٤٤ ـ ٤٦.
(٣) المرجع السابق: ٤٦.

لا ينكشف تنظيمُهم، والتخلّصِ من النظام الملكي، والقيامِ بانقلابٍ لإيجاد نظام إسلامي، وتدريبِ المدنيّين من الإخوان المسلمين، وبدءِ القتالِ ضدَّ قوات الإنجليز(١).

وفي مايو ١٩٤٩م، استُدْعيَ الضابطُ جمالُ عبد الناصر إلى مكتب رئيس الوزراء «إبراهيم عبد الهادي»، للتحقيقِ معه بتهمة انتمائه إلى الإخوان المسلمين. لكنَّ عبد الناصر استطاعَ نفيَ هذه التهمة(٢).

وأرسلَ محمود لبيب، إلى زوجةِ عبد الناصر، مرتَّبَ شهر، وأبلغَها اهتمامَ الإخوان الضباط بموضوعِ التحقيق مع عبد الناصر، وأنهم لن يتخلَّوا عنه.

وبمناسبة هذا الحادث ــ التحقيقِ مع عبد الناصر ــ اقترحَ محمود لبيب المسؤولُ عن التنظيم، تغييرَ اسمه من تنظيم «الإخوان الضباط» إلى تنظيم «الضباط الأحرار»، لإبعادِ جماعة الإخوان المسلمين، المكروهةِ من الملك والأحزاب والإنجليز(٣).

وهكذا كان!

وفي سبتمبر عام ١٩٤٩م، ظهر خلافُ كبير بيْنَ الضابطيْن، البارزيْن في تنظيم الضباط الأحرار، وهما عبد الرؤوف وعبد الناصر، فعبدُ الناصر يريدُ الإسراعَ في عمل انقلاب، ويريد فتحَ التنظيم «الضباط الأحرار» أمامَ ضباطِ الجيش عموماً، ولو لم يكونوا ملتزمين مع الإخوان المسلمين، ولا مع الخلق الإسلامي الكريم! وعبد الرؤوف ملتزمٌ بالبيعةِ مع الإخوان، والطاعةِ لتعليمات مكتب الإرشاد للجماعة، ويطالبُ بقصْر عضويةِ التنظيم على الضباط الإخوان، وعدمِ انضمام أيِّ ضابطٍ آخر له!

واتفقا على أن يحتَكِما إلى رأْي الفريق «عزيز المصري»، الذي طالبَهما بالاتفاق معاً لطرد الإنجليز، وإلغاءِ النظام الملكي، فإذا لم يتفقا معاً، فلْيسيرا معاً متوازييْن

(١) المرجع السابق: ٦٣ ــ ٦٤.
(٢) المرجع السابق: ٦٤.
(٣) المرجع السابق: ٦٤.

كقضيبيْ السكةِ الحديد(١).

وأخبرَ عبدُ الناصر عبدَ الرؤوف أن هدفَه هو «إلغاء النظام الملكي»، وأنه قد ضمَّ إلى التنظيم بعضَ الضباط من غيرِ الإخوان ـ بدون علمِ قيادةِ التنظيم الإخوانية ـ مثل: صلاح سالم وعبد الحكيم عامر(٢).

وأخبر عبد الرؤوف قائده محمود لبيب بالخلاف بينه وبين عبد الناصر، وبآراء عبد الناصر الجديدة.

وبعد بضعةِ أشهر مرضَ محمود لبيب، وأصيبَ بالفالج، وعجزَ عن الكلام، وصارَ طريح الفراش، وتوفي ذلك المجاهد الكبير عام ١٩٥٠م. وكانتْ عنده أسرارُ وأموالُ واشتراكاتُ وحلقاتُ التنظيمِ الإخواني(٣).

عبد الناصر يستولي على أسرار التنظيم الإخواني

سافرَ عبدُ المنعم عبد الرؤوف إلى مقرِّ عمله في سيناء، ومحمود لبيب يحتضر.

ويروي الضابطُ حسين حمودة، ما فعله عبدُ الناصر بعد سفر عبد الرؤوف، فيقول: زرتُ محمودَ لبيب قبيل وفاته، فوجدتُ عنده عبدَ الناصر، فقال لي ولعبد الناصر:

إنني سأموت، وسأكتبُ مذكِّرةً بأسماء الضباط الإخوان، وقائمةً باشتراكاتهم التي عندي، وسأسلِّمُ ذلك لعبدِ الناصر، ليستمرَّ التنظيمُ الإخوانيُّ للضباط، ودعا إلى التعاون بين عبدِ الناصر وعبد الرؤوف.

وخرجَ حسين حمودة من بيت محمود لبيب، وتركَ عنده عبدَ الناصر، ولمّا توفّي لبيب، اشتركَ في جنازته عبدُ الناصر وحمودة، واعترف عبدُ الناصر لحمودة، بأنه أخذَ من لبيب قبل وفاته، أسرارَ وأسماءَ وأموالَ التنظيمِ الإخواني للضباط، الذي عُرف باسم «الضباط الأحرار».

---

(١) المرجع السابق: ٦٥.

(٢) المرجع السابق: ٦٥.

(٣) المرجع السابق: ٦٥ ـ ٦٦.

وبعد حين، قال عبدُ الناصر لحمودة: إنه سيضم إلى التنظيم ضباطاً آخرين من غير الإخوان!.

وأعلنَ لحمودة انفصالَه بالتنظيم عن الإخوان المسلمين، وقال له: إنه بموت حسن البنا ومحمود لبيب، انقطعتْ صلةُ الإخوان الضباط بضباط الجيش. وأنه يرى ـ لدواعي الأمن ـ قطعَ الصلة بعبد الرحمن السندي ـ رئيسِ الجهاز السري المدني للإخوان المسلمين ـ[1].

استقلَّ عبدُ الناصر بتنظيم «الضباط الأحرار» بعد عام ١٩٥٠م، وانفصلَ به عن قيادة الإخوان المسلمين، وضمَّ إليه ضباطاً من غير الإخوان، وممن لا يتمتعونَ بصفاتٍ طيبة، ولا أخلاقٍ فاضلة، مثل: عبد الحكيم عامر، وزكريا محيي الدين، وصلاح سالم، وجمال سالم، وغيرهم.

وأمامَ هذا الأمر، رأتْ قيادةُ الإخوان المسلمين، الاستمرارَ في ربطِ الضباطِ الملتزمينَ مع الإخوان بالجماعة، عن طريقِ الأُسر والاشتراكات وغيرها.

وجعلتْ لهم قيادةً خاصّةً مرتبطةً بقيادة الجماعة. وبما أن عبدَ الناصر انفصلَ عن قيادة الجماعة، وبما أن عبدَ الرؤوف في سيناء، وتتعذَّرُ عليه ممارسةُ مهامِّ وصلاحياتِ القيادة، لذلك أسندَ مكتبُ الإرشاد قيادةَ الضباط الإخوان في الجيش للمقدَّم أركان حرب «أبو المكارم عبد الحي»[2].

من هذا التلخيصِ الموجَز، نعرفُ أن تنظيمَ «الضباط الأحرار» ـ الذي قام بثورة عام ١٩٥٢م في مصر ـ تنظيمٌ إخوانيٌ أساساً، وأنه ظلَّ إخوانياً صِرفاً حوالي خمسِ سنوات، منذ تأسيسه عام ١٩٤٦م، وحتى استقلالِ عبد الناصر به عن الإخوان عام ١٩٥٠م.

ومع ذلك بقي وجودُ الضباطِ الإخوانِ، حاضراً ومؤثِّراً ومتميّزاً وقويّاً، في تنظيم «الضباط الأحرار»، الذي انفصلَ به عبدُ الناصر عن الإخوان، وبقي فيه ضباطٌ إخوانٌ

(١) أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون، لحسين حمودة: ١٥٠ ــ ١٥١.
(٢) المرجع السابق: ٦٧.

نشطاء، مثل: كمال الدين حسين، وحسين حمودة، وصلاح خليفة، وغيرهم.

بالإضافةِ إلى التنظيمِ الإخواني الجديد للضباط، المستقلِّ عن الضباط الأحرار، الذي كان يرأسُه الضابطُ الإخواني أبو المكارم عبد الحي.

وحتى الأيامِ الأخيرةِ للتمهيد للثورة، كان عبدُ الناصر يتصل بالقيادة الإخوانية، ويُريها أنه ما زالَ على ولائه للإخوان، وانتمائه لهم، وأنَّ ضمَّه لضباطٍ من غير الإخوان، لا يعني انقطاعَه أو انفصالَه عن عضوية الجماعة!!.

عبد الناصر يتصل بقيادة الإخوان عن طريق جديد

أراد عبدُ الناصر أن يُبقيَ صلةً واهية بينه وبين القيادة الإخوانية الجديدة، رغم أنه فَصَلَ تنظيمَ «الضباط الأحرار» عنها، واستقل هو برئاسته ومتابعته!!.

فقطعَ الاتصالَ عن الطريق الأصلي الأول، طريقِ عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين حمودة، وغيرِهم من الضباط الإخوان، الملتزمين بالجماعة، الثابتين على طاعةِ القيادة الإخوانية، وبيعتِهم لها، الذين يدركونَ أهدافَ عبد الناصر الجديدة، ويعرفونَ التغييراتِ الجديدة على تنظيم الضباط الأحرار!

واتصلَ بالقيادة الإخوانية عن طريقٍ جديد، طريق الضابطِ الإخواني المجاهد، صلاح شادي رحمه الله!!

فقد روى شادي في كتابه «صفحات من التاريخ» أنه جاءه في نهاية عام ١٩٥٠م ـ وبعد وفاةِ محمود لبيب ـ الضابطُ الإخوانيُّ «عبد الفتاح غنيم»، وأبلغه رغبةَ عبدِ الناصر الاتصالَ بالإخوان المسلمين من جديد. وأخبر صلاحُ شادي الشهيدَ عبد القادر عودة بذلك، فكلَّف عودة شادي بالاتصال به!! وتمَّ الاتصالُ الأولُ بين شادي وعبد الناصر في مكتب المحامي الأخ حسن العشماوي، ثم استمرت الصلةُ بين عبد الناصر والقيادةِ الإخوانية عن طريق صلاح شادي بعد ذلك![1].

وبذلك تخلَّص عبدُ الناصر من الضباط الإخوان، الذين كانوا يعرفونه،

---

(١) صفحات من التاريخ، لصلاح شادي: ١٢٢ وما بعدها.

ويحذَرون من التغير المفاجىءِ لأفكاره، ومن رغبتِه في الانفصالِ بتنظيمه عن الإخوان: من أمثال عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين حمودة.

وخفيَ على الفريق الجديد ــ شادي وإخوانِه ــ حقيقةُ أغراضِ عبد الناصر، ولم يفطنوا إلى ألاعيبه ومكايده ومكره، ولم ينتبهوا إلى أنه يستغلُّ صلَته بالإخوان استغلالاً، فأخذوا وُعودَه لهم على ظاهرها.

وكان يتصلُ معه على الخطِّ الجديد، مجموعةٌ من كرام الإخوان المسلمين، وهم: صلاح شادي، وحسن العشماوي، وعبد القادر حلمي، وفريد عبد الخالق، وصالح أبو رقيق[1].

عبد الناصر ينكث بعهده مع الإخوان

استمرَّ الاتصال والتنسيقُ بين اللجنةِ الإخوانية الجديدة، وعبدِ الناصر ومَنْ معه من الضباط الأحرار ــ من غير الإخوان المسلمين ــ وزادت الاتصالاتُ بين الفريقَيْن في الأيام الأخيرة، قبلَ قيام الثورة. وكانت اللجنةُ تبلِّغُ المرشدَ العام، حسن الهضيبي رحمه الله، بكل ما يجري بينهم وبين عبد الناصر.

ويروي الأخُ عبدُ القادر حلمي، أن اللجنةَ الإخوانية المتصلة بعبد الناصر، عرضتْ على حسن الهضيبي آخرَ ما توصلتْ له مع عبد الناصر، وذلك قبيلَ قيام الثورة. وأنَّ المرشدَ أبدى لأعضاء اللجنة مخاوفَه من عبد الناصر، ووجَّه لهؤلاء الإخوان عدةَ استفسارات «أهمُّها مدى تمسكُ هؤلاء الضباط بالإسلام، ومدى إخلاصهم في قولهم بالعمل على تطبيقِ أحكامِ الشريعة الإسلامية، وهل تمَّ الاتفاقُ في وضوح وصراحةٍ على هذا الأمر؟ وهل اتُّفقَ على المشاركة الكاملة بين الإخوان والضباط الأحرار في الانقلاب، والمسؤوليةِ إزاءه، والتعاونِ في تنفيذه، وبعدَ نجاحه؟ وفي النهاية، أعطاهم المرشد موافقته المشروطة بالأمْرَيْن السابقَيْن...».

وأخذ هؤلاءِ الإخوان موافقةَ المرشد السابقة، والتقوْا بعبد الناصر، في بيت

---

(١) الإخوان المسلمون، لمحمود عبد الحليم ٣: ١٣٣ ــ ١٣٥.

عبدِ القادر حلمي، ويروي حلمي بعضَ ما دار في ذلك اللقاء بقوله: «اجتمعْنا بجمال عبد الناصر، وشرحْتُ له وجهةَ نظر المرشد بالتفصيل. وقد صدَّقَ عبدُ الناصر على جميع تحفُّظات المرشد، وأكَّدَ قبولَها، وأنه سبق الاتفاقُ معنا عليها...»!!

وفي نفس المكان والزمان ــ ٢٢ يوليو ١٩٥٢م في بيت عبد القادر حلمي ــ انفردَ صلاحُ شادي بعبد الناصر فترة قصيرة «وتذكَّرا في هذا اللقاء عهدَهما السابق، على المبادىءِ والأهدافِ، التي بايَعا اللَّهَ عليها، قبل الإقدام على هذه الخطوة المصيرية، وأشهدَا اللَّهَ على هذا العهد بقراءة الفاتحة..»[1].

وقامت الثورةُ في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بتنسيقٍ كبير بين عبدِ الناصر والإخوان المسلمين. وفي ٣٠ يوليو ١٩٥٢م عُقِدَ أولُ لقاءٍ بين عبد الناصر والمرشد العام حسن الهضيبي، في منزل الأخ صالح أبو رقيق ــ أحدِ أعضاء اللجنة الخماسية الإخوانية التي اتفقتْ مع عبد الناصر ــ وبحضورِ الإخوان الخمسة كلِّهم.

ويروي صالح أبو رقيق، أن عبدَ الناصر رفض في ذلك اللقاء أيَّ تنسيقٍ أو تعاونٍ أو تشاوُر، وقال إنه «يرفضُ وصايةً من أيِّ جهةٍ على الثورة»!

فاستغربَ الهضيبيُّ من كلامِ عبد الناصر، ووجَّهَ كلامه لحسن العشماوي: ألم تتفقوا على المشاركةِ يا حسن؟ فأجاب العشماوي: بلى اتفقنا!.

ولكن عبدَ الناصر قال للهضيبي: «إحْنا لم نتفِقْ على شيء!!»[2].

وفوجىءَ الإخوانُ الخمسةُ بتنصُّلِ عبدِ الناصر من اتفاقه معهم، كما فوجىءَ المرشدُ العام بذلك، واستمرت الجلسةُ في مناقشات حامية، أنهاها المرشد بقوله لعبد الناصر: «اسمع يا جمال.. ما حصلش اتفاق.. وسنعتبرُكُم حركةً إصلاحية.. إن أَحسنتم فأنتم تحسنونَ للبلد.. وإن أخطأتم فسنوجِّه لكم النصيحة بما يُرضي الله...».

ولما خرجَ عبد الناصر، قال الهضيبي للإخوان الخمسة ــ وكأنه كان يستطلعُ الغيب ــ «الرّاجِلْ دَهْ ما فِهْشِ خير. ويجبُ الاحتراسُ منه!!»[3].

---

(١) صفحات من التاريخ، لشادي: ١٧٦ ــ ١٧٧.

(٢) المرجع السابق: ١٨٢.

(٣) الإخوان المسلمون، لعبد الحليم ٣: ٢٤.

ثم تتابعت الأحداثُ بعد ذلك، واتسعتْ شقةُ الخلاف بين الإخوان، وبين عبدِ الناصر ورجال الثورة، وانتهتْ بالقطيعة بين الفريقيْن، ثم رسمَ عبدُ الناصر المؤامراتِ ليوقِعَ بالإخوان. ودبَّر مسرحيةَ حادث المنشية، التي اتَّهم فيها الإخوان المسلمين بمحاولةِ اغتياله، حيث أجرى لهم مذابِحَ بشعة في سجون مصر، ووقعَتْ لهم المحنُ المتوالية!!.

وهكذا نرى كيف أن تنظيمَ «الضباط الأحرار» بدأ إخوانياً صِرفاً، وكيف أنّ الإعدادَ للثورة بدأ عند الإخوان المسلمين، وعلى أَيدي ضباطِهم... وكيف أن عبد الناصر ـ الضابطَ الإخوانيَّ الموثوقَ عندهم ـ قد ابتعدَ بالتنظيم، واستقلَّ به وبالثورة عن الإخوان، وبطشَ بهم شَرَّ بطشة!!!.

سيِّد قطب ورجال الثورة

قصةُ سيِّد قطب مع رجال الثورة قصةٌ عجيبة، تبدأُ بجهودِ سيِّد الإصلاحية قبلَ قيام الثورة، ثم اتصالُ بعضِ ضباط الثورة به قبيلَ قيامها، وتتلمذُ ضباطِها على كتُبه وفكْره، ثم التنسيقُ بينهم وبينَه بعدَ قيامها. وكيفَ أنهم كلَّفوه ببعض الأعمال الإصلاحية، وكيف كانوا يُشيدونَ به ويُثْنون عليه، ثم كيف انتهتْ قصتُه معهم بالانفصالِ التام والقطيعة التامة، وانحيازُه الكامل إلى الإخوان المسلمين، ليجري له ما جرى للإخوان على يَدَيْ عبدِ الناصر، ثم إعدامُ عبد الناصر له بعد ذلك!!

جهود سيِّد قطب في التمهيد للثورة

عرَفْنا أنَّ سيِّد قطب اتجهَ ـ بعد عودته من أمريكا عام ١٩٥٠م ـ إلى الفكر الإسلامي والعملِ الإسلامي العام.

وقد تفرَّغَ للإصلاح الاجتماعي والسياسي الإسلامي، وانطلقَ من الإسلام في دعوتِه الإصلاحية، ومحاربةِ المظاهر والأوضاع الشائهة في المجتمع.

وصار يكتبُ المقالاتِ الإصلاحية الإسلامية القوية والعنيفة والحادّة، وينشرها في كلِّ صحيفةٍ أو مجلةٍ رضيتْ أن تنشرَ له.

وأبرزُ المجلاتِ الجادة الإصلاحية التي كانت تصدُرُ قبل الثورة ثلاث، وهي

«الاشتراكية» لأحمد حسين، زعيم الحزب الاشتراكي ــ مصر الفتاة سابقاً ــ و«اللواء الجديد» لفتحي رضوان، زعيم الحزب الوطني الجديد، و«الدعوة» لصالح عشماوي وكيل جماعة الإخوان المسلمين، ونشرَ سيِّد في هذه المجلاتِ الثلاث عدةَ مقالاتٍ قوية.

كما نشرَ في صحفٍ ومجلات أخرى مثل: الرسالة، وروز اليوسف، والأهرام، والمصور، وغيرها.

حاربَ سيِّد في مقالاته التي كتبها قبيل الثورة مظاهرَ الفساد والانحراف في الحياةِ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهاجمَ المسؤولين عن الفساد ــ دون أن يسمِّيهم ــ وبخاصةٍ القصرَ الملكي، وحاشيةَ الملك فاروق وبطانتَه، ورجالاتِ الأحزاب، وكبارَ الرأسماليين والإقطاعيين، ونجومَ الانحلال من الفنّانين والفنانات، ورجالاتِ الإنجليز، وعملاءَ الفرنسيين والأمريكان، وغيرهم.

وقد نالتْ مقالاتُه العنيفة إعجابَ وتقدير الجماهير، واستحوذتْ على قلوبهم.

ولا ننسى أن هذه المقالات، كثيراً ما جرَّتْ عليه المصاعبَ والأذى والبلاء، فأحياناً كانت الرقابةُ تصادر المقالة، وتمنعُ الصحيفة من نشرها، وأحياناً كان سيِّد يُقدَّم للاستجوابِ والمحاكمة بعد نشر المقالة، سواء في مخافِر الشرطة أو في المحاكم!

وكان سيِّد يزدادُ نشاطاً وكتابة، ويشعرُ بالرضا عن جهوده ويحسُّ بأنه يحققُ رسالةً عظمى، وهدفاً سامياً.

ولكنَّ زملاءَه وأصدقاءَه ومحبّيه كانوا يُشفقون عليه، ويَخشون عليه الخطَر والهلاك، وكانوا يُحذِّرونه ويطالبونه بالتخفيف، وكان يردُّ عليهم، ويبيِّن باعثَه الذي يدفعه للازدياد.

أشار في مقال «إنها العقيدة في الله» الذي أعادَ نشرَه في كتاب «دراسات إسلامية» إلى إشفاقِ زميلٍ له، وردِّه على دعوتِه له بالتخفيف..

«قال له صاحبُه ــ وهو يحاوِرُه ــ: يا أخي، اسمحْ لي أن أقولَ لك: إنني لم أَعُدْ أفهمُك. إنك تريد أن تقفَ في وجْهِ التيار. إنك تُلقي بنفسك إلى التهلُكة

بدون رويّة.. إنك تتصرفُ كما لو كنتَ تريد أن تتخلصَ من الحياة.. قل لي: لحسابِ مَنْ تُعَرِّضُ نفسَك لكل هذا؟ إن الشعب لم يبلُغْ درجةً من الوعي تُتابعك في أهدافك، وتدركُ ما الذي أنت تريد..

وأنت تُجابه قوى جارفة، قوى تملكُ أن تشتريَ دولاً وأمماً وشعوباً، قوى مدرَّبة، لها عملاءُ في كل مكان، ولها أجهزتُها التي مرِّنتْ على العمل.. هذه القوى تملكُ أن تحيلك متَّهماً في أعين مواطنِيك، تملكُ أن تجرِّدك من سمعتك ذاتِها، فتظهِرَكَ للناس خائناً، وتجدُ ألفَ شاهد، وألفَ جهاز من أجهزةِ الدعاية، تهتفُ بذلك ليلَ نهار.. إنك لستَ غنيّاً ولا فتيّاً، فأنت رجلٌ تدلفُ إلى الكُهولة.. وأنت لا تستندُ إلى حزبٍ أو هيئة، تنفقُ عليك إذا انقطعَ رزقُك، أو تنفقُ على أهلك إذا انقطعَ عنهم عونُك...

وقد ردَّ سيِّد على إشفاقِ ونصيحة زميلِه وصديقه بقوله:

«يا أخي، إنني أدركُ هذه المخاوفَ كلَّها، وأُبصرُ هذه المخاطر جميعها»[1].

ولما اتهمهُ زميلُه بأنه بعمله هذا يريد أن يموت، قال له: «أريد أَنْ أَحْيا، أريدُ أن أحيا حياةً طويلة، فأنا لم أَشبعْ بعدُ من هذه الحياة: وأنا لم أُتِمّ إلّا القليل من الواجباتِ التي أرجو أن أُوَفَّقَ إلى النهوض بها.. وأمرٌ آخر: إنني قدْ بعُدْتُ فترةً من حياتي عن الله، وإنني لأرجو أن أعيشَ حتى أُنفقَ من عمري في قُرْبه فترةً تعدلُ كفتيْ الميزان..

وأنا في النهاية لا أنسى أنني رجلٌ ذو أعباء.

وإن الموتَ والحياةَ غيبٌ من غيب الله. فلا يجوزُ أن يكونا في حسابِ أحدٍ يريدُ أن يؤديَ واجباً، أو يغيِّرَ منكراً، أو يذهب أو يجيء، حتى في تجارةٍ أو معاش...»[2].

وقد أشارَ سيِّد في تقريره الذي قدَّمه للمحقِّقين عام ١٩٦٥م إلى جهوده في الإصلاح قبيل الثورة: «واستغرقْتُ أنا عام ١٩٥١م، في صراعٍ شديدٍ بالقلم والخطابة

---

(١) دراسات إسلامية: ١٤١ ـ ١٤٢.

(٢) المرجع السابق: ١٤٤.

والاجتماعات، ضدَّ الأوضاعِ الملكية القائمة، والإقطاعِ والرأسمالية، وأصدرتُ كتابيْن في الموضوع[1]، غيرَ مئاتِ المقالات في صحف الحزب الوطني الجديد، والحزب الاشتراكي، ومجلةِ الدعوة التي أصدرها الأستاذ صالح عشماوي، ومجلةِ الرسالة، وكلِّ جريدةٍ أو مجلَّةٍ قبلَتْ أن تنشر لي . . »[2].

تأثُّر ضباط الجيش بسيِّد

تأثَّرَ ضباطُ الجيش الوطَنيّون، الراغبونَ في الإصلاح والتغيير، بمقالاتِ سيِّد الإصلاحية الثورية التغييرية. وكانوا يَقرءون ما يكتُبه سيِّد من كتب ومقالات.

وكان عشراتٌ من الضباط الوطنيين منضمّين إلى تنظيمِ «الضباط الأحرار»، وطلَبتْ قيادةُ التنظيم السرية ــ بزعامة عبد الناصر ــ من الضباط قراءةَ مقالاتِ سيِّد والتثقفَ بكتبه الفكرية الإسلامية.

وكان كتابُه الفكريّ الإسلاميّ الأول «العدالة الاجتماعية في الإسلام» من أوائلِ الكتب التي كان الضباطُ الأحرارُ يتدارسونها في لقاءاتهم السرية.

عن هذا الأمر يقول «الطاهر أحمد مكي» في مجلةِ الهلال: «لقي كتابُ «العدالة الاجتماعية في الإسلام» إقبالاً وترحيباً، وكان من الكتبِ التي تركتْ تأثيرَها واضحاً في فكْرِ الضباط الأحرار، ومن أوائلِ الكتب التي قرؤوها، قبل أن تقومَ الثورةُ نفسُها، أو بالدقة عام ١٩٥١م.

فقد طلبَ مني الكتابَ صديقٌ له قريبٌ ضابطٌ في الجيش، ثم عادَ ورجاني أن أَدلَّهُ أينَ يُباع، فهو بحاجةٍ إلى أكثرَ من نسخة، وكان هذا الضابطُ هو البكباشي «إبراهيم عاطف» الذي انتخبه الضباطُ سكرتيراً لناديهم مع محمد نجيب، إبّانَ تحدّيهم للقصر الملكي». [3].

---

(١) هما: كتاب «معركة الإسلام والرأسمالية»، وكتاب «السلام العالمي والإسلام».

(٢) لماذا أعدموني: ١١.

(٣) جريدة اللواء الأردنية. عدد: ٧٠٠. تاريخ ٨/١٠/٨٦. نقلاً عن مجلة الهلال. عدد أكتوبر ١٩٨٦م.

وقد شبَّه بعضهم سيِّدَ قطب بالرجلِ الفرنسي الشهير «ميرابـو» الذي كـانَ له دورٌ هامٌ في التمهيدِ للثورة الفرنسية، فأطلقوا على سيِّد لقب «ميرابو الثورة المصرية»!!

سيِّد مع قادة الثورة قبل قيامها

كان من مظاهرِ تقديـرِ ضباطِ الثـورة وقيادتِهـا لسيِّد قـطب، قبل قيـامها، أنَّ تلكَ القيادة ــ بزعامة عبد الناصر ــ كانتْ تعرفُ لسيِّد منزلتَه ومكانتَه، ولذلكَ كـان يأتي إلى منزِله في «حلوان» زعماءُ الضباط يستشيرونَه في الإعداد للثورة، ويدرسـونَ معه وسـائلَ نجاحِها!

يروي «سليمان فياض» في مقالِـه «سيِّد قـطب بين النقد الأدبـي وجـاهليةِ القـرن العشـرين» في مجلة الهلال، عن زيـارتِه لسيِّـد في بيته في حلوان، بعـدَ قيام الثـورة، وينقلُ هذا الحوارَ الذي دار بينه وبين سيِّد قطب في حديقة المنزل:

«سألتُه عن رأْيه في هذه الثورة.

ابتسمَ. وقال لي: هنا تحتَ هـذه الشجرة، كـان الضباطُ الأحـرارُ يعقِدون بعضَ اجتماعاتهم معي، في فترةِ التمهِيد للثورة.

ثم دخلَ سيِّد البيت، وعاد يحملُ مظروفاً. أَخرجَ منـه صـوَراً، وأخذَ يُـريها لي، واحدة واحدة، وكان هو في كل صورَة، وتحتَ هذه الشجرة، وكانت كلُّها صوراً ليليَّة، أُخذتْ في ضوء «الفلاش» وفي كل صورَة كان هؤلاءِ الضباطُ الأحرار، وهـو بينهم أبداً واسطةَ العقد!! ولما رددْتُ إليه آخرَ صورة، قلت:

لا أَرى بينهم محمد نجيب؟

قال: هذا جاءوا به واجهةً للثورة، الرتبةُ العسكريةُ لها حساب!

ثم أشار إلى صورة جمـال عبد النـاصر، وقـال: هذا هـو قائـد الثورة الحقيقي، يَتوارى الآن وراءَ نجيب، وغداً سيكونُ له شأنٌ آخر!!

قلت له: أراضٍ أنت عن هذه الثورة؟

قال: لا أجدُ في تطوُّر أمورِها ما يُريح! فهؤلاء الأمريكان يحاوِلون احتواءَها بدلاً

من الإنجليز! أتفهمُ ما أعنيه؟..»[1].

وعن حضورِ زعماءِ الضباط الأحرار إلى بيتِ سيِّد قطب ليتَدارسوا معه وسائلَ نجاح الثورة، يروي أحدُ الضباط من الإخوان المسلمين، وهو الضابط «محمود العزب» من بور سعيد، فيقول:

«إن رائدَنا وأستاذَنا سيِّد قطب هو الذي رعى الثورة، جَنيناً فوليداً. وأَمَرَنا أن نستعدَّ لها...

إن الجيش لا يمكنُ أن ينسى أن سيِّدَ قطب هو «أبو الثورة» وأبو الثوار، وتواضعُه يزيدُنا تعلُّقاً به، وإكباراً له».

ويتابع محمود العزب روايته قائلاً: «قُبيلَ الثورة بأيام، تلقَّيْنا من الأستاذ سيِّد قطب أمراً، بأن نكونَ على استعداد، وكنتُ على رأس تنظيم الإخوان المسلمين في بور سعيد، ولما تلقيتُ الأمرَ حضرتُ إلى القاهرة، ومضيتُ إلى منزلِ الأستاذ سيِّد، وكان ذلكَ في يوم ١٩ يوليو ١٩٥٢م، وكان لديْهِ بعضُ قادة الثورة ــ منهم البكباشي جمال عبد الناصر ــ وذكَرَ لي الأستاذ سيِّد أَنْ أكونَ أنا ومَنْ معي على أهبةِ الاستعداد، وأَنْ يكونَ الإخوان المسلمون المدنيّون على استعدادٍ أيضاً، فإذا سمعْنا بقيامِ الثورة كنّا حُماتها، وحفظة الأمن في بور سعيد. وحذَّرَنا من سفْك الدماء!»[2].

سيِّد مع قادة الثورة بعد قيامها

ونظراً لصلةِ سيِّد الوثيقة بقادةِ الثورة قبلَ قيامِها، كان من المنطقيّ أَنْ تزدادَ صلتُهم به وثوقاً بعدَ قيامها، وأن يزدادَ تقديرُهم له. وأَنْ يُسندوا له أَعمالاً إصلاحيَّة.

وطبعاً كان تأييدُ سيِّدِ للثورة عند قيامها قويّاً وحماسُه لها عالياً.

---

(١) جريدة اللواء الأردنية. عدد ٦٩٦. تاريخ ٨٦/٩/١٠. نقلاً عن مجلة الهلال المصرية. عدد سبتمبر ١٩٨٦م.

(٢) مجلة كلمة الحق ــ التي أصدرها أحمد عطار في مكة. السنة الأولى. العدد الثاني. تاريخ صفر ١٣٨٧هـ. صفحة: ٣٨.

قال الأستاذُ أحمدُ عبد الغفور عطار «بَلَغ من احترام الثورةِ لسيِّد قطب، وعرفانِها بجميله وفضْله، أنَّ كلَّ أعضاء مجلس قيادة الثورة كانوا ملتفّين حولَه، ويرجعون إليه في كثيرٍ من الأمور، حتى إنه كانَ هو المدنيَّ الوحيدَ الذي يحضرُ جلساتِ المجلس أحياناً، وكانوا يتردَّدون على منزله في حلوان»[1].

ويروي أحمد عطار بعضَ الوظائف التي أَسندَها مجلسُ قيادة الثورة لسيِّد قطب، فيقول: «قَرَّرَ مجلسُ قيادة الثورة ـ ونشرت القرارَ مجلةُ آخر ساعة ـ أنْ يُسندَ إلى سيِّد قطب منصبَ وزير المعارف كما أَذكُر، ولكن سيِّد قطب اعتذر!

ورجوْهُ أن يتولّى منصبَ المدير العام للإذاعة، فاعتذر!

وأخيراً وافَق على أن يكون السكرتيرَ العامَّ لهيئة التحرير، ولبثَ فيه شهوراً . .

وبدأ الخلافُ بين سيِّد قطب وبين عبد الناصر وزملائه، فاضطُرَّ سيِّد إلى الاستقالة من هيئة التحرير»[2].

أما «عادل حمودة» فيروي في كتابه «سيِّد قطب من القرية إلى المشنقة» عن بعضِ ما أَسندَ مجلسُ الثورة إلى سيِّد من أعمال: «والذينَ عاصَروا تفاصيلَ الأيام الأولى للثورة، يؤكِّدون أنَّ سيِّد قطب كان له مكتبٌ في مبنى مجلسِ قيادة الثورة، وأنه كان يقيمُ هناكَ إقامةً شبهَ دائمة. . حيث أُوكلَتْ إليه هو، ومحمد سعيد العريان، مهمةُ تغييرِ مناهج التعليم. . .

وفي ذلك الوقت عَرَفَ كمالَ الدين حسين عن قرب. . الذي رشحه لتولّي منصبِ وزير التربية والتعليم، الذي تولّاه هو بنفسه. . »[3].

سيِّد ومحمد قطب يرويان عن صلته برجال الثورة

أجرتْ مجلةُ «الغرباء» لقاءً مع الأستاذ محمد قطب، وكان مما سأَلتُهْ عنه، صلةُ سيِّد برجال الثورة، عندَ قيامها.

---

(١) كلمة الحق ـ المرجع السابق ـ : ٣٧.

(٢) المرجع السابق ـ : ٣٩.

(٣) سيِّد قطب من القرية إلى المشنقة: ١١١.

وجاء في جوابه على السؤال قولُه: «نعم، كانتْ له بهم صلةٌ شخصيةٌ في الشهورِ الأولى. حين دعَوْه ليكونَ مستشاراً للثورة في الأمورِ الداخلية. فعملَ معهم فترة، ولكنه تبيَّن لـه منـذُ اللحـظةِ الأولى ــ لا أقـولُ من الأسبـوع الأول ولكن من اليـومِ الأول ــ عداءَهم لجماعة الإِخوان المسلمين. فحاولَ أَنْ يوفِّق بين الطرفيْن، غير أنـه ما لبثَ أن تبيَّن له أَنْ لا سبيل إلى التوفيق، فانقطعَ عن الاتصالِ معهم.

وقد استمرتْ هذه الفترةُ ثلاثةَ أشهر، كانت الصلةُ فيها بينه وبين رجال الثورة صلةً وثيقةً كاملة. ثم كان الانقطاعُ بعدَها تدريجيّاً، حتى وصلَ إلى الانقطاعِ الكـاملِ بعـد حوالَيْ شهريْن آخريْن»[1].

أما سيِّدُ نفسُه فقد قال للمحقِّقين عن صلتِه برجال الثورة عند قيامها: «استغـرقْتُ في العملِ معَ رجال ثورة ٢٣ يوليو حتى فبراير ــ شباط ــ ١٩٥٣م. عندما بدأ تفكيري وتفكيرُهم يفترقُ حولَ هيئةِ التحرير، ومنهجِ تكوينِها، وحولَ مسائلَ أخـرى جاريـةٍ في ذلك الحين، لا داعي لتفصيلها»[2].

أما عن ساعـات عمله معهم، فيقول: «كنتُ أعمـلُ أكثرَ من اثنتي عشـرةَ ساعـة يوميّاً، قريباً من رجالِ الثورة، **معهـم** ومعَ مَنْ يحيطُ بهم»[3].

وصفٌ لحفلِ تكريمِ رجال الثورة لسيِّد

أعدَّ رجالُ الثورة حفلَ تكـريمٍ لسيِّد، وكـان حفلاً مشهـوداً، أثنَوْا فيـه على سيِّد ثناءً رفيعاً، وأشادوا فيه إشادةً بالغة.

وقد حضرَ الحفلَ مرافقاً لسيِّد، الأستاذُ أحمدُ عبد الغفور عـطار، ووَصَفَ لنا في مجلَّتِه «كلمة الحق» بعضَ ما جرى فيه.

كان الحفلُ أساساً، محاضَرَةً دعا زعماءُ الثورة سيِّد إلى إلقائِها في نـادي الضباط في «الزمالك»، وجعلوا عنوانَ المحاضرة «التحررُ الفكريُّ والروحي في الإِسلام» وكان

---

(١) مجلة الغرباء. السنة الثالثة عشرة. العدد الثالث. سبتمبر ١٩٧٥م. صفحة: ١٢.
(٢) لماذا أعدموني: ١١.
(٣) المرجع السابق: ١٣.

ذلك بعدَ شهرٍ من قيام الثورة، أيْ في شهر أغسطس ١٩٥٢م.

وذهبَ سيِّد في الموعد المحدَّد ـ يرافقُه أحمد عطار ـ لإلقاءِ المحاضرة. قال أحمد عطار: «وفي الموعدِ المحدَّد حضرتُ معه وكان النادي مزدَحِماً بحدائقِهِ وأبهائِه الفسيحة، وحضرَها جمعٌ لا يُحصى من الشعب، وحضرَ إلى النادي أبناءُ الأقطار العربية والإسلامية الموجودون في مصر، وكثيرٌ من رجالِ السلك السياسي، وكبارُ زعماء الأدب والفكر والقانون والشريعة، وأساتيذُ من الجامعاتِ والكلياتِ والمعاهد.

وكان مقرَّراً حضورُ محمد نجيب، وتولّيه تقديمَ سيِّد قطب، إلاَّ أن عذراً عارضاً اضطرَّ محمد نجيب للتخلُّف، وبعثَ برسالةٍ تليتْ على الحاضرين، تلاها أحدُ الضباط.

وموجزُ كلمةِ محمد نجيب: أَنه كان حريصاً على أن يحضرَ المحاضرة، ويُفيدَ من علم سيِّد قطب. ووصفَ سيِّد بأنه رائدُ الثورة ومعلِّمُها وراعيها.

وبعثَ نجيب برسالتِه مع أنور السادات، وأنابَ عنه جمالَ عبد الناصر!

وحوَّلَ الضباطُ محاضرةَ سيِّد إلى مناسبةٍ للاحتفالِ والاحتفاءِ به، وبيانِ مناقبِه، وبدلَ أن يحاضرَ سيِّد فيهم، صارَ الخطباءُ يتكلَّمون عن سيِّد ويُثنونَ عليه، وهو جالس!

افتتحَ أحدُ الضباطِ الحَفل، بآياتٍ من القرآن، وقال أحدُ كبارِ الضباط: «كان مقرَّراً أن يقومَ الرئيس محمد نجيب، بتقديم أستاذِنا العظيمِ، ورائدِ ثورتِنا المباركة، مفكرِ الإسلام الأولِ في عصرنا، الأستاذ سيِّد قطب. ولكنَّ أمراً حالَ دون حضوره.. وأُريدَ مني تقديمُ الأستاذِ سيِّد قطب، وإنْ كان في غنىً عن التقديم، وعن التعريف».

وكان حاضراً الحفلَ الدكتورُ طه حسين، فتقدَّم وألقى كلمةً رائعة، قال فيها: «إنَّ في سيِّد قطب خصلتيْن، هما: المثاليَّة، والعناد. وذكرَ سيِّداً، وأدبَه وعلْمه، وثقافتَه وكرامتَه، وعظمتَه وفهمَه للإسلام.. وذكر أثرَ سيِّد في الثورة ورجالِها. وختمَ طه حسين كلمتَه بالقول: إن سيِّد قطب انتهى في الأدب إلى القمةِ والقيادة، وكذلك في خدمةِ مصر والعروبة والإسلام!

ثم وقف سيِّد قطب، وألقى كلمةً مرتجلة، وسط تصفيق المصفِّقين، وهتاف الهاتفين له!

وقـال عن الثورة: «إن الثـورةَ قد بـدأَتْ حقـاً، وليس لنـا أَنْ نثنيَ عليهـا، لأنَّهـا لم تعمل ــ بعد ــ شيئاً يُذكَر، فخروجُ الملك ليس غايةَ الثورة، بل الغـايةُ منهـا العودةُ بالبلاد إلى الإسلام . . ».

ثم قال سيِّد: «لقد كنتُ في عهد الملكيـة، مهيَّئاً نفسي للسجن في كـلِّ لحظة، وما آمَنُ على نفسي في هذا العهدِ أيضاً، فأنا في هـذا العهد، مهيِّـىءُ نفسي للسجن، ولغير السجن، أكثرَ من ذي قبل!».

وهنا وقفَ جمالُ عبـد الناصـر، وقال بصـوتِه الجهـوري مـا نصُّه: «أخي الكبيـر سيِّد، والله، لنْ يَصِلوا إليكَ إلاَّ على أجسادِنا، جثثاً هامـدة، ونعاهِـدُك باسم الله، بـل نجدِّدُ عهدَنا لك، أن نكون فداءَك حتى الموت!!!».

وصفَّقَ الناسُ تصفيقاً حادّاً متواصلاً، مع الهُتاف المتكرر بحياة سيِّد قطب.

ثـم وقفَ الضـابط «محمـود العــزب»، وتكلَّم عن دور سيِّـد قــطب في التمهيـد للثورة، وعن حضورِه لبيتِ سيِّـد قبيلَ الثـورة، وأنه وجـدَ عندَه عبدَ الناصر، وغيـرَه من ضباط الثورة!! وبيَّن نظرةَ رجال الثورة لسيِّد.

ثم وقفَ الأستاذ «أحمد عبد الغفور عطار» وعقَّبَ على كلام الـدكتور طـه حسين عن سيِّـد، فقال عـطار عن سيِّد: إن سيِّـد عنيد في الحق، فهـو إذا اعتقـدَ شيئـاً أصـرَّ عليه، ولا يعتقدُ إلاَّ الحق، وهو عنيدٌ في كفاحه وجهاده، لا يثني عزيمتَه وعنادَه أمرٌ من هذه الأمور التي تَحـطُم الرجـال حطْمـاً. . وأُولى خصالِ سيِّـد هي الإيمانُ بـالله، فهو يعرفُ أن قوةَ الحكومة كبيرة، ولكنه يؤمنُ أن اللَّهَ أكبر، وهذا الإيمانُ يجعلُ تلك القـوةَ الكبيرة الضخمة، صغيرةً وضعيفة. فيكبُرُ عليها بإيمانه أن الله أكبر.

ولهذا لم يُبالِ بقوى الطغيان، وقُوى الفساد، وقُوى الشر الكبيرة، ودفَعَـهُ إيمانُـه بأن الله أكبر على الوقوف في وجهها، والانتصارِ عليها. .

. . . وعندما انتهى الحفلُ كان البكباشي جمالُ عبد الناصر في وداع سيِّد قـطب، وكان الضباطُ والجنود وجماهيرُ الناس تهتفُ بحياة سيِّد»(١).

---

(١) مجلة كلمة الحق. السنة الأولى. العدد الثاني. مايو ١٩٦٧م. صفحات: ٣٧ ــ ٣٩.

نكتفي بتقديمِ هذه المعلوماتِ العجيبة للقارىء، كما رواها أحدُ الحضور ـ أحمد عطار ـ ولا نعلِّقُ عليها، إلاَّ بالإشارةِ إلى هذه الفراسةِ الإيمانيةِ النفّاذة لسيِّد قطب، حيث لم تَغُرَّه المظاهر، ولم يكن صاحبَ نظرةٍ ضيقة، لا يَرى إلاَّ أمامَ عينيه. إنه كان حادَّ النظرة، نفَّاذَها، يستشرفُ المستقبل، وينظرُ فيه على أساسِ السنن والحقائق، وإلاَّ فما معنى أنْ يتوقَّعَ السجنَ والموت، على أيدي رجالٍ هم الآن يحتفونَ به، ويهتفونَ ويُصفِّقون له!!.

ونُذكِّرُ القارىءَ بأن عبدَ الناصر ـ الذي أقسم أمامَ الجماهير الحاشدة في ذلِك الحفل، أن يحافظ على سيِّد وحياتِه، والذي عاهدَه أن يكون فداءه حتى الموت ـ هو الذي حكمَ عليه بالإعدامِ، وأمرَ بتنفيذِ ذلك الإعدام، وكان سبَباً مباشراً في موت سيِّد واستشهادِه بعدَ أربعةَ عشر عاماً كاملة من هذا التاريخ!!!.

سيِّد وهيئة التحرير

بعدَ قيامِ الثورة، وفي مطلع عام ١٩٥٣م، أرادَ عبدُ الناصر تشكيلَ حزب، أو هيئة أو تنظيم سياسي، ليكونَ واجهةً للثورة، وحزباً لها، يتبنّاها ويدافعُ عنها، وليتحدَّى جماعةَ الإخوان المسلمين ـ أكبرَ تنظيم إسلامي، وأضخمَ قوةٍ شعبية في مصر ـ .

فكان أمرُه بإنشاءِ «هيئة التحرير» في ١٩٥٣/١/٢٣[(١)].

وطلب عبد الناصر من الإخوان المسلمين الانخراطَ في هيئةِ التحرير، وحلَّ شُعَبِهم وتنظيمِهم! وأرسل عبدُ الناصر الضابطَ «إبراهيم الطحاوي» في بداية شهر يناير ١٩٥٣م، إلى الأخ اللواء «صلاح شادي» بهذا الخصوص، فرفضَ صلاح شادي عَرْضَ عبد الناصر. فطلب عبدُ الناصر من الإخوان عقدَ جلسةِ عمل معه، ليتدارسوا موضوعَ انصهارِ الإخوان في هيئة التحرير! واجتمع الفريقُ الإخواني المفاوضُ لعبد الناصر، في منزل الأخ المستشار «حلمي عبد الباقي» ـ ومنهم صالح أبو رقيق، وفريد عبد الخالق، وصلاح شادي، وحسن العشماوي، وحلمي عبد الباقي ـ . وبعد مدارسةٍ موسَّعة

(١) الإخوان المسلمون، لمحمود عبد الحليم ٣: ١٧٥.

للموضوع مع عبد الناصر، رفضوا الانصهارَ في هيئة التحرير، والذوبان فيها، والانضمامَ إليها. وقالوا لعبد الناصر: لا. فضَمَّ عبدُ الناصر هذه المخالفة إلى ملفِّ الإخوان عنده، وإلى «لاءاتِهم» الأخرى، وزادَ حقداً عليهم من أجل ذلك[1].

ويروي الأخُ محمود عبد الحليم «أن قيادةَ الإخوان لم تمنعْ أفرادَ الإخوان من الحركةِ كما يشاءون، ولم تحجر عليهم الالتقاءَ مع أعضاء هيئة التحرير وزيارةَ مكاتبها. وأمامَ دعوةِ عبدِ الناصر المتكررة للإخوان لدخول الهيئة «قامَ عددٌ من دعاةِ الإخوان بزيارة مقرِّ قيادة الهيئة، والالتقاءِ بطبقةِ الموجِّهين فيها، والفلاسفةِ الذين صاغوا مبادئَها، وحدَّدوا أهدافها، وهم من أساتذةِ الجامعة وكبار الكُتاب. . فلما التقوْا بهم، واستطلعوا منهم ما صاغوه من مبادىءَ وأهداف، سمعوا منهم كَلاماً خطيراً! سمعوا منهم أن الهيئةَ أوسع أفقاً من الإخوان المسلمين، فمُثُلُها العليا لا تقصر على محمد وعمر وخالد، بل تتسعُ لتشمل لينين وماركس وفرويد. رجعَ إلينا هؤلاء الإخوةُ الدعاةُ رافضين آسفين. .

وكان منهم الأخُ الأستاذ «البهي الخولي» الذي قصَّ عليَّ ما رأى وما سمع. وأَخبرني ــ فيما أخبرني ــ أن فلاسفةَ هيئة التحرير أخبروه أنَّ خزائنَ الدولة مفتوحةٌ للدعاة على مصاريعها، وكذلك مناصبَها. .

وقد كان هناك تركيز من جمال عبد الناصر، على جَرِّ شخصيَّتيْن إخوانيَّتيْن بالذّات إلى الهيئة، وهما الأَخوان: البهي الخولي، وسيِّد قطب.

حتى نَشرتْ بعضُ الصحف في تنبُّؤاتها ــ مثل «أخبار اليوم» ــ أنَّ الأستاذَ سيِّد قطب مرشحٌ لمنصبٍ هام، وشاعَ في الأوساط الإخوانية أنه مرشحٌ وزيراً للمعارف، وأن الأستاذَ البهيَّ الخولي مرشحٌ لمنصبٍ كبيرٍ في وزارة الأوقاف!

ويبدو في تلكَ الأيام، أن الأستاذ سيِّد قطب قد سارَعَ بإعلانِ قطعِ صلته بهذه الهيئة. . .»[2].

---

(١) انظر قصة الإخوان مع عبد الناصر بشأن هيئة التحرير في كتاب صلاح شادي رحمه الله «صفحات من التاريخ»: ٢٠٨ ــ ٢١٨. وانظر الإخوان المسلمون، لمحمود عبد الحليم ٣: ٢٦ ــ ٢٨.

(٢) الإخوان المسلمون، لعبد الحليم ٣: ١٧٤.

ونَحنُ مع الأستاذ محمود عبد الحليم في اتصالِ عبدِ الناصر بالإخوان بشأنِ هيئة التحـرير، وفي حـرْصِه على أن يكسبَ سيِّـدَ قـطب للهيئـة، لكننـا لسنـا معـه، في أن سيِّدَ قطب وقتَها ـ نهاية عام ١٩٥٢م وبداية عام ١٩٥٣م ـ كان من الإخوان المسلمين رسمياً، أو أنه منضمٌّ لهم فعلاً!

إلَّا إذا كانَ الأستاذُ عبد الحليم يقصدُ أن سيِّد قطب كان قريباً جداً من الإخوان، وأن الناسَ يعتبرونَه من الإخوان، وأن عبدَ الناصر يتعاملُ معه بهذا الاعتبار!

أمـا بخصوصِ سيِّـد قطب وهيئـة التحريـر، فيبـدو أنَّ عبـدَ النـاصـر قـد أشـركَ سيِّدَ قطب معه، أثناءَ التفكير في نظامِ وجهـازِ وفكْرِ هيئـةِ التحريـر، وقد استغـرقَ هذا عدةَ شهور من عام ١٩٥٢م.

ولمـا صدرَ المـرسومُ الجمهـوريُّ بإنشـاءِ الهيئة في ١٩٥٣/١/٢٣م، كـان سيِّد يتسلمُ مسؤوليةً رئيسيةً فيها!

لم يكن سيِّد قطب سكرتيراً لهيئـةِ التحريـر، لأن عبدَ النـاصر كـان هو السكـرتيرَ العام لها. ويبدو أن سيِّد كان مساعداً له.

لم يستمـرّ عملُ سيِّـد في هيئة التحـرير طـويلاً، فقـد كان أقـلَّ من شهر، إذ أنَّ الهيئةَ تأسستْ في ١٩٥٣/١/٢٣م، واستقالَ سيِّد منها في شهر فبـراير «شبـاط» ـ كما جاء في تقريره الذي كتبه للمحقِّقين ـ .

سيِّد يحاول الإصلاح بين عبد الناصر والإخوان المسلمين

لمـا ازدادتْ شقـةُ الخـلافِ بين الإخـوان المسلمين وبين عبـد النـاصـر، كـانت العلاقةُ بين عبد الناصر وبين سيِّد، مـا زالتْ جيدةً وقـوية، ولـم يكن وقتَهـا من الإخوان رسميّاً.

وكان سيِّد يخشى تحوُّلَ الخلاف إلى صِدام، وفي هذا خسارةٌ للإخوان وللثورة، وللمجتمع والوطن.

ولذلك حاولَ سيِّد الإصلاحَ بين عبد الناصر والإخوان، باعتباره صديقاً للطرفيْن، مُقرَّباً من كلٍّ منهما.

وكـان يلاحظ المكـرَ البَغيض مِنْ قِبَلِ مجمـوعةٍ من المقـرَّبين من عبد النـاصر، الذين كانوا يوغِرونَ صدرَه على الإخوان، ويقدِّمون له تقاريرَ كاذبة عنهم، ويوحونَ لـه بالصِّدام معهم.

وكانت تحرِّكُ هؤلاء أصابعُ أجنبية، وبعضُهم كانوا عملاءَ للمخابرات الأمريكية!

قال سيِّد في تقريره للمحقِّقين: «فيما يتعلقُ بالخلاف بين رجال الثـورة والإخوان المسلمين. وكنتُ في ذلـك الوقتِ ألاحظُ نمـوَّه عن قُرب، لأنني أعمـلُ أكثرَ من اثنتي عشرةَ ساعة يوميّاً، قريباً من رجالِ الثورة، ومعهم، ومع مَنْ يحيط بهم.

أقـول: المهمُّ الآن أنَّ الأستـاذَ «فؤاد جـلال» كـان من بينِ أعضـاءِ جمعيـةِ الفَـلاح[1]، وكان وكيـلاً للجمعية ـ وكـان وزيـراً في أوَّلِ وزارةٍ بعـد الثـورة ـ وكنتُ ألاحِظُ في مناسباتٍ كثيـرة أنه يغـذّي الخلافَ بين رجـال الثورة والإخـوان المسلمين، ويضخِّمُ المخـاوفَ منهم، ويستغلُّ ثقـةَ الرئيسِ جمـال عبـد النـاصـر بـه، ويبثُّ هـذه الأفكـارَ في مناسبـاتٍ كثيرة، لم يكن يُخفيهـا عني، لأنه كـانَ يَراني كـذلك مقـرَّباً من رجال الثورة، وموضعَ ثقتهم، مع ترشيحهم لي لبعض المناصب الكبيرة الهـامة، ومـع تشاوُرنا كذلك ـ على المفتـوح ـ في الأحوالِ الجـارية إذ ذاك، مثـلُ مسائـلِ العمال والحركاتِ الشيوعية التخريبية بينهم، بل مثلُ مسألةِ الانتقـال ومدَّتِهـا، والدستـورِ الذي يصدُرُ فيها.

المهم أنني كنتُ أربطُ بين خطة الأستاذ فؤاد وجمعية الفَلاح ـ كمنظَّمةٍ أمـريكيةِ الاتِّجاه والاتِّصال ـ وبين إشْعالِ الخلافِ بين الثورة والإخوان.

وقد حاولْتُ وقتَها ـ ما أمكن ـ منعَ التصادُم، الـذي كنتُ ألمحُ بـوادره، ولكني عجزت.. وتغلَّبَ الاتجاهُ الآخَر في النهاية..»[2].

---

(١) جمعية «الفلاح» جمعية أمريكية مشبوهة، أسَّسها الدكتور أحمـد حسين عـام ١٩٥١م ليشـاغب فيها على الإخوان المسلمين، وقـد انضم لها بعض كبـار الأدباء والسيـاسيين من أمثال الـدكتور محمد صلاح الدين والدكتور عبد الرزاق السنهوري وأحمد الباقوري. انظر: لمـاذا أعدمـوني: ١٣ ـ ١٤. و«الإخوان المسلمون» لعبد الحليم ٣: ١٦٥ ـ ١٧١.

(٢) لماذا أعدموني: ١٣ ـ ١٤.

سيِّد يفاصل رجال الثورة وينحاز إلى الإخوان

كان بإمكانِ سيِّد قطب أن يبقى معَ عبدِ الناصر، وأن ينعُمَ بالمناصبِ والمراكزِ والأموال التي يغدقُها عليه، وأن يوافقَه على بَطْشِه وظلمِه وطغيانِه، مقابلَ التمتع بما لديه من متاع الدنيا! كان بإمكانه أن يفعلَ هذا ـ كما فعل كثيرون من المرتزقةِ التجارِ المحيطين بعبد الناصر ـ لو كان سيِّد مرتزِقاً، تاجرَ مبادىء وأفكار، وطالِبَ دنيا وملذاتِها ومتاعِها!!

لكن سيِّد قطب لم يكن كذلك، كان صادِقاً في التزامِه وأفكاره وإصلاحه، صادقاً في معاملاتِه وصِلاته وارتباطاته وولاءاته!

ظنَّ في رجال الثورة ـ وبخاصة زعيمها عبد الناصر ـ الصدقَ والوطنيةَ، والرغبةَ في الإصلاح ومحاربةِ الفساد ونشرِ العدل، فتعاملَ معهم على هذا الأساس، نسَّقَ معهم قبلَ قيامِ الثورة، وتعاوَنَ معهم بعدَ قيامها، وكان معهم ليلَ نهار، أكثرَ من اثنتي عشرة ساعةً يومياً.

عرضَ عليه عبدُ الناصر «بعضَ المناصب الكبيرة الهامة» ـ حسب كلامه هو ـ فرفضَها، لأنه لم يكن طالِبَ وظائفَ، وجامعَ أموال، رفضَ وزارةَ المعارف، ورفضَ إدارةَ الإذاعة، ورفضَ غيرَ ذلك.

وما قَبِلَ العملَ في مركز هام في هيئة التحرير إلَّا ليعطي الهيئةَ إطاراً إسلاميّاً، وبُعْداً تربويّاً، لينشىءَ شبابَ مصر وجيلَ الثورة، على الإسلامِ ومبادئه.

ولكنه وجدَ في معظم رجال الثورة ـ وبخاصة زعيمها عبد الناصر ـ غيرَ ذلك. ووجد «فلسفةَ الثورة» ونظامَ هيئةِ التحرير على غيرِ ما يريدُ هو ويطلبُ ويتمنّى!

وجد عند عبد الناصر البطشَ والبغي والظلم والعدوان، وجد عنده المكرَ والكيد والحقد، وجد عنده الكذبَ والنفاق، وجد عنده كراهيةَ الحق، وحربَ الإسلام، وبُغضَ الدعاة إلى الله ـ الإخوان المسلمون ـ.

وكان لا بدَّ من الانفصالِ بينه وبين عبدِ الناصر ـ وغيرِه من رجال الثورة ـ ففاصَلَهم، وخالَفَهم، وفارَقَهم، وتركَ لهم مناصِبَهم ووظائِفَهم ومراكِزَهم وأموالَهم، التي حاوَلوا إغراءَه بها!

كان ذلك الانفصالُ والافتراقُ في مطلع عام ١٩٥٣م، أيْ بعدَ شهورٍ من قيام الثورة: «استغرقْتُ في العملِ مع رجالِ ثورة يوليو حتى فبراير ١٩٥٣م، عندما بدأ تفكيري وتفكيرُهم يفترقُ حول هيئةِ التحرير، ومنهجِ تكوينها، وحول مسائلَ أخرى جاريةٍ في ذلك الحين، لا داعي لتفصيلها... وفي الوقتِ نفسه كانت علاقاتي بجماعةِ الإخوان تتوثَّق...»[1].

وبذلك فاصَلَ سيِّد رجالَ الثورة وقاطَعَهم، وانحازَ إلى الإخوان المسلمين، وصارَ واحداً منهم!.

* * *

(١) لماذا أعدموني: ١١.

الثاني

سيِّد قطب في طريقه إلى الإخوان المسلمين

لم ينضمّ سيِّد قطب إلى جماعةِ الإخوان المسلمين فجأة، وبدونِ مقدمات. وإنما سلَكَ طريقاً طويلة ـ زمنيّاً ـ حتى وصلَ إلى الجماعة، وكانتْ هناكَ مراحلُ متعاقبة، سارَ فيها سيِّد خُطُواتٍ متدرِّجة، إلى أَنْ صار رسميّاً أخاً مسلماً عامِلاً، في جماعة الإخوان المسلمين!

أخطاء في بيان صلته بالإخوان

كثيراً ما وقعَ الكاتبون والمؤلِّفون والمتكلِّمون في أخطاء تاريخية، وذلك أثناءَ كلامِهم عن صلةِ سيِّد قطب بالإخوان المسلمين، حيثُ يورِدون أقوالاً، ويروُون روايات، لا صحةَ لها، ولا دليلَ عليها، بل هي متعارضةٌ مع ما يرويه سيِّد نفسُه عن صلتِه بالجماعة!

من هذه الأخطاء:

أنه الْتقى بمرشدِ الإخوان المسلمين ومؤسِّس جماعتهم، حسن البنا.

وأنه استمعَ منه إلى محاضرة، فأُعجب به، وتأثَّر لكلامه.

وأنه دفع أُصولَ كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام» إلى حسن البنا عام ١٩٤٨م ليطبَعه، وأنَّ البنا طبعه بعد سفرِ سيِّد إلى أمريكا.

وأنه أهدى كتابَ «العدالة الاجتماعية» إلى شَباب الإخوان المسلمين، الَّذين كانوا وقتَها في السجون والمعتقلات.

وأنه الْتقى بالإخوان المسلمين بعد عودته من أمريكا عام ١٩٥٠م. وأَبدى

اعتراضاتٍ له على منهجهِمْ في العمل، وأنَّ صالح عشماوي ــ ثم المرشدَ العامَّ حسن الهضيبي ــ دعاه إلى الانضمامِ للجماعة، وإصلاحِ منهاجها من الداخل.

وأنه انضمَّ إلى الإخوان رسمياً عام ١٩٥١م.

وأنه كان يقول: وُلِدْتُ عام ١٩٥١م.

وأنَّ عبدَ الناصر كان يتعاملُ معه قبلَ قيام الثورة، باعتباره مندوباً رسمّياً عن الإخوان المسلمين.

وأن حسَن الهضيبي قدَّمَ اسمه لعبد الناصر ليكون وزيراً ممثِّلاً للإخوان في الوزارة.

وأنه كان ــ منذ ١٩٥١م ــ عضواً في مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين ــ وهو أعلى سلطة قيادية للإخوان ــ .

وأنه كان منذُ عام ١٩٥١ رئيساً لقسم نشر الدعوة في الجماعة.

وأنَّ مكتب الإرشاد جعلَه مندوباً عن الإخوان، لدى الحزبِ الشيوعي المصري، للتنسيقِ بين الإخوان والشيوعيين، في مقاومة طغيانِ عبد الناصر عام ١٩٥٣ و ١٩٥٤م.

ونرى أن كلَّ ما مضى عبارةٌ عن أخطاء تاريخية!! لأنها لا دليلَ عليها، ولأنَّها تتعارضُ مع كلامه هو عن طريقه للإخوان، وانضمامِهِ إليهم، وبيانِهِ الأعمال التي أَوْكَلوها إليه(١).

سيِّد مصلح إسلامي قبل توجهه للإخوان

عرَفْنا ــ فيما سبق ــ أن سيِّد قطب توجَّهَ للقرآن، وأنَّ القرآن قادَهُ إلى الفكر الإسلامي العام.

---

(١) أورد هذه الأخطاء التاريخية كثير ممن كتبوا عن سيِّد قطب في المجلات الإسلامية، وأورد بعضَها الأستاذ يوسف العظم في كتابه عن سيِّد قطب. وما أبرىء نفسي، فقد أوردتُ بعضَها في الطبعة الأولى من هذا الكتاب «سيِّد قطب الشهيد الحي» الصادرة عن مكتبة الأقصى في عمان عام ١٩٨١م.

إن سيِّد كان مصلحاً إسلاميّاً منذ عام ١٩٤٧م، وكان يدعو إلى إصلاحِ الحياة الاجتماعيةِ والسياسية والثقافية على أساسِ الإسلام، يكتبُ ويؤلِّفُ ويحاضِرُ، داعياً إلى أفكارِه الإسلامية الإصلاحية.

ولكنه كان يدعو للإصلاح، ويقومُ بأعمالِه الإصلاحية، من منطلَقٍ فرديّ ذاتيّ، أيْ أنه كان يتحركُ بمفرده، ويفكرُ بمفرده، فلم يكن وقتَها منتمياً إلى الإخوان المسلمين ـــ الذين كانوا في أَوْج نشاطِهم، وقمةِ حركتهم، في الأيام الأخيرة من حياة الشهيد حسن البنا ـــ كما أنَّ سيِّد لم يكن منتمياً إلى أيِّ حزبٍ سياسي، أو أيةِ جماعةٍ إصلاحية، إسلاميةٍ أو غير إسلامية!

هل عمل سيِّد على إنشاء جماعة إسلامية؟

ذهبَ بعضُ الكاتبين إلى أنَّ سيِّد قطب، عملَ ـــ بعد منتصفِ الأربعينيّات ـــ على تأسيسِ جماعةٍ إصلاحية إسلامية، وإنشاءِ تنظيمٍ إسلامي دَعَوي، وأنه بدأَ بتجميعِ الشباب المسلم، ثم جَدَّتْ له أعمالٌ جديدة، ثم سافرَ إلى أمريكا. ولما عادَ من أمريكا وجَدَ ضالَّته في جماعةِ الإخوان المسلمين، فعدَلَ عن تنظيمِه الإسلامي، وانضمَّ إلى الإخوان!.

يقولُ الأستاذ يوسف العظم بهذا الخصوص: «قادَهُ تفكيرُه، إلى أن يقومَ بتنظيمِ مجموعات من الشباب، تعملُ وفْقَ برنامجٍ محدَّد، ومنهاجٍ حركي شامل، يدعو لاستئنافِ حياةٍ إسلاميةٍ جديدة... غيرَ أنَّ الأقدارَ ساقتْه إلى التعرُّفِ على العطاءِ الفكري، والجيلِ المؤمن، الذي ربّاه الأستاذ «الإمام الشهيد حسن البنا». فلقيَ في هذا الجيل بُغيَتَه، ووجَدَ في الفتيةِ ضالَّتَه...»

إلى أن يقول: «.. ولو أرادَ سيِّد قطب أن يُنشيءَ تنظيماً جديداً، ويُقيمَ حركةً ثانية ـــ غيرَ حركة الإخوان المسلمين ـــ للَقِيَ من السلطة كلَّ دعم، ومن الحكام كُلَّ عون.. سيَّما وكانَ الإخوانُ يومئذٍ على أبواب محنة عاتية...»[1].

ولست مع الأستاذ يوسف العظم فيما ذهبَ إليه، ولا أرى أن الأمركان عند سيِّد

---

(١) الشهيد سيِّد قطب ليوسف العظم: ٣٦ ـــ ٣٧ باختصار.

على تلك الصورة، ولا أعتقدُ أنه شرع في إنشاءِ جماعة إسلامية!

لِعدمِ وجودِ دليلٍ على ذلك أوَّلاً. لا من أقوالِ سيِّد قطب، ولا من أقوالِ الشباب الذين كانوا حولَه.

صحيحٌ أن سيِّدَ كان يدعو إلى الإصلاح الإسلامي، وصحيحٌ أنه كان يفتحُ بيتَه في حلوان أمامَ الزائرين، وصحيحٌ أنه كان يتردَّدُ على بيته كثيرٌ من الشباب المتأثِّرين بمقالاته، والمعجَبين بأفكاره، وصحيحٌ أنه كان يحاورُ زائِريه في أفكارِه الإصلاحية الإسلامية.

لكن هذا كلَّه شيء، والقولُ بأنه شرعَ في إنشاءِ جماعة إسلامية شيءٌ آخر، فلا يدلُّ اتصالُه بزائريه على تنظيم!

لذلك نرى أن تصوُّرَ سيِّد قطب للإصلاح والتغيير ـ قبل ذَهابِه إلى أَمريكا ـ كان لا يتعدَّى مقالاتٍ وكُتُباً، وندواتٍ ومحاضرات، يبثُّ فيها أفكارَه، ومناقشاتٍ و «دردشات» مع زائريه في بيته، وهذا كلُّه لا يرتقي ليكون تنظيماً، أو شُروعاً في إنشاءِ ذلك التنظيم!!.

سيِّد لم يُهْدِ كتاب «العدالة» إلى شباب الإخوان

لم يثبتْ أنَّ سيِّد قطب قد التقى بالإمام حسن البنا، أو أنه سمعَ له محاضرةً أو حديثاً.

ولم يثبتْ أن سيِّد قد الْتقى بالإخوان المسلمين وتعامَلَ معهم، قبل ذهابِه إلى أمريكا.

لكنَّ هذا لا يعني أنه كان لا يعرفُ عن حسن البنا، أو عن الإخوان المسلمين شيئاً.

فهو أديبٌ كبير، ومثقَّفٌ عريضُ الثقافة، وهو رجلٌ اجتماعي، كان له حضورٌ دائمٌ في حياة مصر الثقافية والاجتماعية السياسية والإصلاحية، وله اطلاعٌ على تياراتِ الإصلاح فيها.

وكان الإخوان المسلمون ـ بعد الحربِ العالمية الثانية ـ في قمةِ نشاطِهم، وفي عنفوانِ تأثيرهم في الحياة المصرية. وسيِّد كان يعرفُ عنهم وعن نشاطهم.

لكنـه لم يدرك قيمـةَ الإخوان المسلمين، ولا أَثَـرَ إمامِهم حسن البنـا، ولم يكن يتوقَّع قوتهُم في الحياة المصرية!

وهو يعترفُ بذلك قائلاً: «لم أكنْ أعرف إلاَّ القليل عن الإخوان المسلمين، إلى أنْ سافرْتُ إلى أمريكا في ربيع ١٩٤٨م»[١].

كان قد انتهى من تأليفِ كتابه «العدالـة الاجتماعيـة في الإسلام» قبـلَ سفره إلى أمريكا، وأراد أن يطبعه. وقد حال سفرُه عن إشرافه على طباعته.

وليس صحيحاً أن سيِّد قطب عَهِدَ بـالكتاب إلى حسن البنـا ليطبَعَـه، وأن حسَن البنا هو الذي طبعه، وأمَرَ بتوزيعه على الإخوان.

فالصحيحُ أن سيِّد عهدَ بالكتاب إلى شقيقه «محمد قـطب» وأنَّ شقيقه هـو الذي تولَّى طباعتَه. وصدرتْ طبعتُه الأولى في أبريل ـ نيسان ـ ١٩٤٩م.

وقد صدَّرَ سيِّد قطب كتـابَ العدالـة بإهـداء مثير. حيث قـال في الإهداء: «إلى الفتيةِ الذين ألمحُهُم في خيالي قادمين، يردّون هذا الدين، جَديداً كما بـدأ.. يُقاتلون في سبيـــل الله، فيَقْتُلون ويُقْتَلون، مؤمنين في قـرارةِ أنفسهم أن العـــزةَ لله ولـرســولـه وللمؤمنين..

إلى أولئك الفتية، الـذين لا أشكُّ لحـظةً أن روحَ الإسلام القـوية، ستبعثُهم من ماضي الأجيال، إلى مُقبل الأجيال، في يومٍ قريب.. جدّ قريب»[٢].

وقد فهم كثيرونَ، أن سيدَ يقصدُ بإهدائه هذا شبـابَ الإخوان المسلمين. وكـان الإخوانُ في هذه الفترة، يعيشون خلفَ أسوار السجون والمعتقلات، جزاءً لهم لقتالهمُ البطوليِّ ضد اليهود في فلسطين. وكانت حكومةُ السعديّين تحاربُ الإخوان، وكلَّ ما له صلة بالإخوان، وكلَّ مَنْ يتقرَّبُ إلى الإخوان.

---

(١) لماذا أعدموني: ١٠.

(٢) انظر «لماذا أعدموني»: ١١. والشهيد سيِّد قطب، ليوسف العظم: ١٥٤.

فهمَت الحكومةُ أن سيِّـد ــ الذي كـان في أمريكـا، عند صـدور كتابـه ــ يقصدُ شبـابَ الإخوان بـإهدائـه، فبادرتْ إلى مصـادرةِ الكتاب، وسحبـه من الأسواق ــ كمـا يروي الأستاذ يوسف العظم ــ.

وفهِمَ الإخـوانُ أن سيِّد يعنيهم هم بـالإهداء، فـأُعجبوا بـالكتـاب، وبـادَروا إلى تداوُلِه داخلَ السجون وخارجَها.

وعلَّق حسن البنا على الكتاب ــ كما يروي الأستاذ يوسف العظم ــ يقول: «هذه أفكارُنا، وكانَ ينبغي أن يكونَ صاحبُها واحداً منّا»[1].

جزمَ كاتبـون بأن سيِّـد كان يقصـدُ بذلـك الإهداءِ شبـابَ الإخوان، ورفَضـوا أنه لم يكنْ يَعنيهم!

قـال الأستاذ يـوسف العظم بهـذا الخصوص: «ولسْتُ مـع الـذين يقـولـون: إن الشهيدَ لم يكنْ يقصد بمقدِّمته تلك، شبابَ الإخوان ولا حركتَهم...»[1]، فهو يجـزمُ بأنه كان يعنيهم ويقصدهم!.

مع أن الصحيحَ هو خلافُ ما جزمَ به الأستاذ العظم!!

فعنـدما قـابلْتُ الأستاذَ محمـد قطب، وسـألْتُه عن هـذا الإهداء، نفى أن يكـونَ قاصداً شبابَ الإخوان. وإنما أهداه إلى شبابٍ، يلمحُهُم بخيالِه قادمين، وهـو لم يَرَهُم في عالم الواقع!

ثم إن صيغةَ الإهداء تدلُّ على ذلك، فهو يتخيَّلُ فتيـةً قادمين، يـدْعون إلى هـذا الدين، وهو يستشرفُ قدومَهم، ويتوقَّعُ هذا ــ بفراسته وفطنتـه ــ وهو يـرى أنَّ الأحوالَ والأحداث والأمور، تتطلبُ قدومَهم، وتُقـدِّمُ إرهاصـاتٍ لوجـودهم. وأن روحَ الإسلام القويةَ العظيمةَ الحية، ستبعثُهم وتوجِدُهم، لأن كلَّ ما حولهم يوجِبُ وُجودَهم!.

وما لَنا نذهب بعيداً في التفسير؟ وعندنا تصريحٌ من سيِّد قـطب نفسِه، وهـو أبلغُ ردٍّ على جزْم الأستاذ يوسف العظم السابق.

---

(١) الشهيد سيِّد قطب، ليوسف العظم: ١٥٥.

قال سيِّد في تقريره: «في الوقت ذاتِه صدر لي كتابُ «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، سنة ١٩٤٩م، مصَدَّراً بإهداءِ هذه الجملة... ففهمَ الإخوانُ في مصر، أنني أَعنيهم بهذا الإهداء، ولم يكن الأمرُ كذلك!! ولكنهم من جانبهم تبَنَّوا الكتاب، واعتبروا صاحبَه صديقاً..»[1].

ومما يدلُّ على أن سيِّد لم يكن يقصدْ شبابَ الإخوان في إهداءِ الكتاب في طبعته الأولى، أَنه قصَدَهُم وعَنَاهم في طبعة الكتاب الثانية، التي أَصدرها عام ١٩٥٤م، بعدما صار أخاً عاملاً مع الإخوان المسلمين، حيث قال في إهدائِه الجديد: «إلى الفتيةِ الذين كنتُ ألمحُهُم بعين الخيال قادمين، فوجدْتُهم في واقع الحياةِ قائمين.. يجاهدونَ في سبيلِ الله بأموالهم وأنفسهم، مؤمِنين في قرارةِ نفوسهم: أنَّ العزةَ لله ولرسوله وللمؤمنين.

إلى هؤلاء الفتية، الذينَ كانوا في خيالي أمنيةً وحُلُما، فإذا هم حقيقةٌ وواقع، حقيقةٌ أعظمُ من الخيال، وواقعٌ أكبر من الآمال.

إلى هؤلاءِ الفتية الذين انبثَقوا من ضمير الغيب، كما تنبثقُ الحياةُ من ضمير العَدَم، وكما ينبثقُ النورُ من خلالِ الظلُّمات.

إلى هؤلاءِ الفتية الذين يجاهدونَ باسم الله. في سبيل الله. على بركة الله. أهدي هذا الكتاب...»[2]

حادثتان في أمريكا قرَّبَتاه من الإخوان

لما كان سيِّد في أمريكا، عرَفَ أمريكا ــ قائدة الجاهلية المعاصرة ــ على حقيقتها، ووقَفَ على مقدارِ الكيدِ والحقدِ والعداوةِ التي يُكِنُّها الغربيون ــ صهيونيّون وصليبيّون وملحدون ــ للإسلام والمسلمين وحربِهم للدعوة الإسلامية، ممثَّلَةً في حركة الإخوان المسلمين ــ رائدةِ حركة البعث الإسلامي المعاصرة ــ.

---

(١) لماذا أعدموني: ١٠ ــ ١١ باختصار.
(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام: ١.

وبما أن سيِّد كان في أمريكا صاحبَ حسٍّ إسلامي، وهدف إسلامي، وتميُّزٍ إسلامي، فقد كان يجدُ نفسَه قريباً ــ نفسياً ــ من الإخوان المسلمين.

وقد حدثَتْ له في أمريكا حادثتان، قرَّبَتاه من الإخوان المسلمين، لأنه عرَفَ منهما فضْلَ حركةِ الإخوان ودورَها، وأثرَها على القوى المعادية للإسلام والمسلمين، ومقدارَ حقدِ وحرب تلك القوى على هذه الحركة!

الحادثةُ الأولى: عندما استُشهد الإمامُ حسن البنا ــ مؤسِّسُ الإخوان المسلمين ومرشدُهم ــ حيث اغتالَتْهُ الحكومةُ المصرية والقصرُ الملكي في ١٢ فبراير ١٩٤٩م.

وقد لاحَظَ سيِّد مظاهرَ الفرحِ والابتهاج ــ بل والشَّماتة ــ التي عند الأمريكيّين، لاغتيال المرشد حسن البنا، كما اطَّلَعَ على سرورِ الصحفيّين والمراقبين، كما بَدا في تحليلاتِهم وتعليقاتِهم في الصحف الأوروبية والأمريكية. حيثُ اعتبروا «حسن البنا» أخطرَ رجلٍ في الشرق، وبقتْلِ حكومةِ مصر ــ العميلة ــ له، تخلَّصوا من خطرِه عليهم. كما اعتَبروا جماعةَ الإخوان المسلمين، أخطرَ جماعةٍ وتنظيمٍ في بلاد المسلمين، لوقوفها في وجهِ المخططاتِ الغربيَّة والشرقية والصهيونية، ضدَّ الإسلام والمسلمين.

يقول سيِّد: «وقد قُتِلَ الشهيد حسن البنا، وأنا هناك في عام ١٩٤٩م، وقد لَفَتَ نظري بشدَّة ما أبدَتْه الصحفُ الأمريكية ــ وكذلك الإنجليزيةُ التي كانت تصلُ إلى أمريكا ــ من اهتمامٍ بالغٍ بالإخوان، ومن شماتَة، وراحَةٍ واضحة، في حلِّ جماعتِهم وضرْبِها، وفي قتْل مرشدها»[١].

الحادثة الثانية: جهودُ رجلِ المخابرات البريطاني «جون هيوورث دن» في تحذيرِ سيِّد من خَطَر الإخوان المسلمين.

فقد جاء «جون هيوورث دن» من بريطانيا إلى مصر، وهناك درسَ في جامعتِها، وتعرَّف على المسلمين فيها، بهدفِ الرصْدِ وجمْعِ المعلومات، ثم ادعى الإسلام،

(١) لماذا أعدموني: ١٠.

وتسمّى باسم «جمال الدين دن»، وتزوَّجَ من مصريةٍ مسلمة تدعى «فـاطمة»، ثم غـادرَ مصر إلى أمريكا، واستقرَّ هناك مدرساً في جامعاتها[1].

وقد التقى «دن» في أمريكا بسيِّد قـطب أكثرَ من مـرة، وحاولَ احتـواءه لمصلحةِ المخابرات الإنجليزية!

عرضَ عليه أن يترجمَ كتاب «العدالة الاجتماعية في الإسـلام» إلى الإنجليزيـة، مقابلَ عشـرةِ آلاف دولار. ولكنَّ سيِّد رفضَ عـرضه، وأعـطى الكتابَ إلى المستشـرق «هاردي» في جامعة «هاليفاكس» في كندا، ليترجمَه مجاناً!

وقـدَّمَ له هـذه الحقيقة عن رؤسـاء أمريكـا: «والكثيرُ من الحـاكمين في الـدولـة الأمريكية، تخرَّجوا في المعاهد التبشيرية. وهي حقيقـةٌ أفضى بها إليَّ أحـدُ الأساتـذة الإنجليـز، الذين التقيْتُ بهم في أمـريكا، وعـدَّ لي عشراتٍ من الأسمـاءِ البـارزة، في وزارة الخارجية الأمريكية، وفي السلك السياسي؟

ولم يكن يُفْضي إليَّ بهذه الحقيقة بريئاً لوجْه الله، وإنمـا هو ــ كمـا عرفْتُ فيمـا بعد ــ أحدُ رِجال قلمِ المخابرات البريطاني، الذينَ يهمُّهم ألَّا يثقَ الشرقيّون كثيـراً في نيّات أمريكا.

ممّا دعاني إلى التشكُّك في بياناتِه لي، فتحقَّقْتُها بوسائلَ أخرى»[2].

أما بالنسبةِ للإخوان المسلمين فقد حدَّثَ «دن» سيِّدَ قـطب كثيراً عن جمـاعتهم، وصارَ يعرضُ عليه تقاريرَ كثيرة، مفصَّلَة ودقيقةً عن الجماعة، وعن تحرُّكات ونشاطـات وخطب مرشدها «حسن البنا»، منذُ تأسيس الجماعة في الإسماعيلية عام ١٩٢٨م، إلى أنْ حُلَّت الجماعة عام ١٩٤٨م، واغتيلَ مرشدُها في مطلع عام ١٩٤٩م.

وعقَّب «دن» على ذلـك، بتصويـرِ الخـطر المـاحق، الـذي سيحُـلُّ بمصـر، إذا حكمَتْهـا هذه الجمـاعة، وبيَّن لسيِّـد أن الأمـلَ معقـودٌ على أيـدي الشبـابِ والمثقَّفين والمفكِّرين ــ من أمثال سيِّد ــ ليَحولوا بيْن هذه الجماعة وبين استلام الحكم!

---

(١) أخبرني بذلك الأستاذ محمد قطب.

(٢) معركة الإسلام والرأسمالية: ٩٧ ــ ٩٨.

ونصحَ «دن» سيِّد بالكفِّ عن معاداةِ بريطانيا، والهجوم عليهـا، لأنَّها إنْ خـرجَتْ من مصر، فستحلُّ محلَّها أمريكا، وهي أشدُّ عداءً منها[1].

وقـد ألَّفَ «دن» عام ١٩٥٠م، كتـاباً خـطيراً جـدّاً، سماه «الاتجـاهات الـدينيـة والسياسية في مصر الحديثـة»، تحدَّثَ فيـه كثيراً عن حـركة الإخـوان المسلمين، وبيَّن خطرَها على العالم الغربـي، وحذَّر منها، ودعا إلى مقاومتها ومحاربتها[2].

وقرأَ سيِّد هذا الكتاب في أمريكا، وأضافَهُ إلى سجلِّ حقْدِ الغـربيِّين على حركـةِ الإخوان، وإلى جهودِ المستشرق «دن» في تأجيجِ هذا الحقد عند الغربيِّين.

قـال سيِّد: «ومن حـديثٍ عن خطر هـذه الجمـاعـة، على مصـالـح الغـرب في المنطقة، وعلى ثقـافةِ الغـرب وحضارتِـه فيها. وصـدرتْ كتبٌ بهذا الخصـوص سنـة ١٩٥٠م، أذكرُ منها كتاباً لجيمس هيوارث دن بعنوان: «التيارات السياسية والدينيـة في مصر الحديثة».

كـلُّ هذا لفتَ نـظري إلى أهميةِ هـذه الجماعـة، عنـدَ الصهيـونيـةِ والاستعمـار الغربـي»[3].

عملاء أمريكا في مصر يحاربون الإخوان

عـاد سيِّد من أمـريكـا إلى مصـر عـام ١٩٥٠م، وهـو قـريبٌ جـدّاً من الإخـوان المسلمين، والـذي جعلهُ يقتربُ من الإخـوان، ما رآه هنـاك في أمريكـا، وزيادةُ وعيِـه الإسلامي، وجهدِه العملي الإصلاحي.

كـذلك كـان لاحترامِ شبـابِ الإخوان لـه، وإعجابِهم بفكـره، وتـردُّدهم عليـه، وزياراتهم له، أثرٌ في اقترابِه الكثيرِ من الإخوان.

لكنه لم ينضم رسمياً للإخوان قبلَ ثورة يـوليو عـام ١٩٥٢م، لانشغالِـه بأعمـالٍ إصلاحية في محاربة الملكيـة، وفي التمهيد للثـورة! فلما قـامت الثورة، انصـرفَ إلى أعمـالٍ عديـدةٍ مع رجـالها، استغـرقتْ معظمَ وقتِـه، بحيثُ كان يعمـلُ معهم أكثرَ من

---

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢) انظر «الإخوان المسلمون»، لمتشل ـ طبعة أبو السعود ـ : ٨ حاشية.

(٣) لماذا أعدموني: ١٠.

اثنتي عشرةَ ساعةً يومياً.

كلُّ هذه الأمورُ أخَّرَتْ انضمامَه إلى الإخوان.

قال سيِّد عن هذه الفترة: «فلما عدتُ في نهاية عام ١٩٥٠م، بدأ بعضُ شبابهم يزورُني، ويتحدَّثُ معي عن الكتاب ــ العدالة الاجتماعية في الإسلام ــ ولكن لم تكنْ لهم دار ــ لأن الجماعةَ كانت لا تزال مصادَرَة ــ»[١].

وكأنَّ عدم وجودِ دار للإخوان، وعدمَ نشاطِهم الرسميِّ العلني، كان عامِلاً آخر من عواملِ تأخُّرِ انضمام سيِّد للإخوان.

ولما بدأت الخلافاتُ بينه وبين رجال الثورة، بدأ يقتربُ من الإخوان أكثر، وكلما اتسعتْ شقةُ الخلافِ مع رجال الثورة، كانت تضيقُ المسافةُ بينه وبين الإخوان، وهكذا، فكلُّ ابتعادٍ منه عن رجال الثورة يقابلُه اقترابٌ منه للإخوان: «وعندما بدأَ تفكيري وتفكيرُهم يفترق.. وفي الوقْتِ نفسِه كانت علاقاتي مع جماعة الإخوان تتوثَّق..».

ومما زادَ قرْبَه من الإخوان، وتقصيرَ المسافةِ في طريقه إليهم، ما لاحظَهُ بعدَ عودته إلى مصر، من حرْبِ عملاء أمريكا للإخوان، واتفاقِهم مع كلِّ الأعداء في الداخل والخارج، على الإيقاعِ بالجماعة، وبخاصةٍ بعدَ قيام الثورة!

وأبرزُ مثالٍ على ذلك، ما ذكرهُ سيِّد عن رجالِ جمعية «الفَلاَح» ــ وهي جمعيةٌ أنشأَتْها أمريكا، واستقطبتْ رجالَ الفكر والأدب والسياسة، وكان يرأَسُها الدكتورُ أحمد حسين، وكان عبدُ الناصر يقرِّبُ رجالَها، ويُسَلِّمُهم المراكزَ والوظائف ــ حيثُ كانوا يحاربونَ الإخوانَ المسلمين، ويقدِّمون التقاريرَ لعبد الناصر، يوغِرونَ صدرَه على الإخوان، ويضخِّمون له خطرَهم عليه، ويُزيِّنون له البطشَ بهم، والقضاءَ عليهم.

وعلى رأسِ هؤلاء العملاء، «فؤاد جلال» وكيلُ جمعيةِ الفلاح، والوزيرُ في أولِ حكومةٍ بعد الثورة، والمقربُ من عبد الناصر[٢].

---

(١) لماذا أعدموني: ١١.

(٢) انظر قصة فؤاد جلال وجمعية الفلاح في «لماذا أعدموني»: ١٢ ــ ١٤.

لسيِّد ارتباطان مع الإخوان

يظهرُ لنا ممّا سبقَ، أن لسيِّد قطب ارتباطيْن مع الإخوان:

الأول: كان ارتباطاً عاطفيّاً، أيْ أنَّ سيِّد كان مؤيِّداً لـلإخوان المسلمين، مقتَنِعـاً بدعوتهم قريباً منهم، عاطفتُه جيّاشةٌ نحوهم. وقد بدأَ هذا الارتباطُ العاطفي عندما كان في أمريكا، وجرَتْ له فيها أحداثٌ وحـوادث، زادتْ اقتناعَـه بدعـوةِ الإخوان، وقـرَّبَتْه منهم.

واستمـرَّ ارتباطُـه العاطفيُّ معهم لمّـا عادَ إلى مصـر، وانفتَح عليهم وجـرى بينَـه وبينهم اتصالٌ وتزاوُرٌ وتنسيق، وصار يزدادُ يوماً بعد يوم.

إذن، كـان سيِّد عـام ١٩٥١م ــ وهـو العـامُ الـذي جعلَهُ بعضُ الكـاتبين بـدايـةَ انضمامِه الرسمي للإخوان ــ مؤيِّداً للإخوان، مرتبِطاً معهم ارتباطاً عاطفياً فقط!

وقل مثلَ هذا عن صلةِ سيِّد بالإخوان عام ١٩٥٢م، ومطلعِ عـام ١٩٥٣م، التي لا تعدو أن تكونَ منَ ذلك النوعِ العاطفي.

وفي هذه المرَحلـة كان بعضُ المـراقبين يعتبرونَ سيِّد أخاً عامـلاً، من الإخوان المسلمين رسميّاً، وقد يتعامَلُ معه على هذا الأساس. وربَّما كـان عبدُ النـاصر يتعـامل معه على هذا الأساس، ويعتبرُه من الإخوان المسلمين فعلاً، سـواء قبلَ الثـورة أو بعدَ قيامِها. وربما كان بعضُ أفرادِ الإخوان، يتعاملون معه على هذا الأساس أيضاً.

لكنَّ هذا كلَّه لا يجعلُهُ أخاً عاملاً من الإخوان، لأن الحقيقة لم تكن كذلك!

الثاني: كان ارتباطاً تنظيمَيّاً رسميّاً، وذلك عنـدما أتمَّ سيِّـد سيرَه في طـريقه إلى الإخوان، وانضمَّ إليهم بالفعلِ، وصارَ أخـاً مسلماً ملتـزِماً بنـظامِ الجماعـة وتنظيمِهـا، وكان هذا في مطلع عام ١٩٥٣م.

وهذا ما سنتحدث عنه فيما يلي ــ بعون الله ــ.

* * *

الثـالـث

سيِّد قطب مـع الإخوان المسلمين

انتهتْ رحلةُ سيِّد في طريقه إلى الإخوان، بانضمامِه فعْلًا إلى الجماعة، والتزامِهِ بهم وبمنهاجهم وبتنظيمهم.

وهـذا ما سنتحـدَّثُ عنه الآن، ونبـرزُ أهمَّ أعمالـه الإخـوانيـة، ونـردُّ على بعض الادِّعاءات والأخطاء في ذلك.

انضمامه للإخوان مطلع عام ١٩٥٣م

أخطأ كثيرون في تحديدِ سنةِ انتظامِه في جماعة الإخوان، فمنهم من جعـلَ ذلك عام ١٩٥٠م بعد عودته مِنْ أمريكا مبـاشرة، ومنهم من جعلَه عـام ١٩٥١م، ونسبوا لـه قـولَه «لقد وُلدتُ عام ١٩٥١»، ومنهم من جعلَه قبيلَ قيـامِ الثورة في يـوليـو ١٩٥٢م، ومهنم من جعلَه بعدها مباشرة. . . وهكذا.

من هؤلاء «جيلس كيبل» مؤلف كتاب «النبـيّ والفرعون: التـطرف الإسلامي في مصر» حيث روى «عن شهودٍ أحياءَ من الإخوان: أن صالح عشمـاوي ــ صاحبَ مجلة الدعوة ومؤسِّسَها ــ هو الذي أقنعه بالانضمام إلى الجماعة. . وأن ذلك كان بالنسبة لـه أحد تحوّلاتِه الكبرى. لأنه قَبِلَ أخيراً الدخولَ في تنظيم، بعـد أن استمرَّ أكثـرَ من ربع قرن يرفضُ قيودَ التنظيمات والأحزاب. . وأنـه قال بعـد انضمامِـه إلى الإخوان: «لقـد ولـدت من جـديـد عـام ١٩٥١م». وفي روايـة أُخـرى: «أنـا ولـدتُ الآن فقط عـام ١٩٥١م»[1].

(١) سيِّد قطب، لعادل حمودة: ١٠٠.

لقد انضمَّ سيد فعلاً للإخـوان المسلمين في مطلع عـام ٥٣، وذلك بعد ما فاصَلَ رجالَ الثورة وفارقَهم في شهر فبراير ــ شباط ــ ١٩٥٣م.

يقولُ عن هذا المـوضوع: «وفي الـوقتِ نفسِه كـانت علاقـاتي بجماعـة الإخوان تتوثق، باعتبارِها في نظري حَقْلاً صالحاً للعمل للإسلام على نطاقٍ واسـع، في المنـطقةِ كلِّها، بحركةِ إحياءٍ وبعثٍ شاملة.

وهي الحـركـةُ التي ليس لهـا في نـظري بـديـلٌ يكـافئُهـا، للوقـوف في وجـه المخـطَّطات الصهيونيـةِ والصليبيـة الاستعمـاريـة، التي كنتُ قـد عـرفْتُ عنهـا الكثيـر ــ وبخاصَّةٍ في فترةِ وجودي في أمريكا ــ.

وكانت نتيجةُ هذه الظروف مجتمعة، انضمامي بالفعل سنـة ١٩٥٣م إلى جماعـة الإخوان المسلمين»[١].

وهذا التحديدُ من سيِّد نفسه، لم يترك مجالاً لأحدٍ كي يقولَ بغيره، كمـا أن هذا التحديدَ يُلغي جميعَ ما أورده الكـاتبون ــ من كـرامِ الإخوان المسلمين وغيـرهم ــ من أقوالٍ وآراء تخالفه!.

مناقشة هادئة لروايات الأستاذ يوسف العظم

أوردَ الأستاذُ يوسف العظم في كتابـه عن سيِّد قـطب، رواياتٍ لا تتفقُ مـع كلام سيِّد نفسِه.

فقد ذهبَ الأستاذُ العظم إلى أنّ انضمامَ سيد للإخوان كان عـام ١٩٥١م: «وهكذا كانتْ صلةُ الرجل بالجماعة إعجـاباً، فـاتِّصالاً، فـانتظامـاً في الصف عقبَ عودتـه من الولايات المتحدة عام ١٩٥١م»[٢].

وإذا تعارضَ كلامُ العظم مع كلام سيِّد، في أمرٍ يخصُّ سيِّد، فـالمقدَّم والمعتَبَـرُ هو كلام سيِّد، ولهذا نرفضُ روايةَ العظم المذكورة ــ مع احترامنا وتقديرنا له! ــ.

---

(١) لماذا أعدموني: ١١ ــ ١٢.

(٢) سيِّد قطب، ليوسف العظم: ٣٧.

وقد بنى الأستاذُ العظم على الرواية السابقة أموراً أخرى، سجَّل لـه فيها أعمـالاً إخوانية، أسندها الإخوان له: «وفي عام ١٩٥٢م فورَ خـروج رجال الإخـوان المسلمين من معتقلاتِ فاروق، انتُخب الأستاذُ سيِّد قـطب عضواً في مكتب الإرشـاد للجماعـة، وعُيِّنَ رئيساً لقسم نشر الدعوة في المركز العام للجماعة!»[١].

ولدى مناقشتِنا لهذه الرواية، نجد أن المآخذ عليها من ثـلاثة جـوانب، وَهِمَ فيها الأستاذ العظم:

* **الأول**: قـولُـهُ إن الأخـوان المسلمين أُفـرِجَ عنهم من معتقـلات فـاروق عـام ١٩٥٢!

وهـذا غيـرُ صحيـح، إذ من المعلوم أن حكـومـةَ السعـديِّين بـرئـاسـة «إبـراهيم عبـد الهادي» ـ التي اغتـالتْ حسن البنّا ـ قـد أُسقطتْ بعـد الانتخابـات، وأنَّ حـزب الوفد ـ الذي فاز بالانتخابات ـ قد شكَّلَ حكومةً جديـدة في شهر ينـاير ١٩٥٠م. وأنَّ أولَ ما قام به حزب الوفد هو الإفراجُ عن الإخوان المعتقلين في معتقلات فاروق.

وبهـذا نعـرفُ أن خـروج الإخـوان من معتقـلات فـاروق كـان في مـطلع عـام ١٩٥٠م.

وفي شهـر كانـون أول ـ ديسمبـر ـ عـام ١٩٥١م، افتتـحَ الإخـوان المسلمـون مركزهم العام رسمياً، وعادت جماعتُهم لمزاولةِ أعمالها بصورة رسمية[٢].

وقد بايَـعَ الإخوان المسلمـون «حسن الهضيبـي» مرشـداً عامـاً جديـداً للإخـوان المسلمين، خَلَفـاً للمـرشـد الأول الشهيـد حسن البنّـا، وكـانت المبـايعـة فـي ١٩/١٠/١٩٥١م[٣].

* **الثاني**: قولُه إن سيِّد قطب انتُخِبَ عضواً في مكتب الإرشاد عام ١٩٥٢م.

وهذا غيرُ صحيح أيضاً.

---

(١) المرجع السابق: ٣٨.

(٢) الإخوان المسلمون، لعبد الحليم ٢: ٣٠١.

(٣) المرجع السابق: ٢: ٤٧٧.

فمعلومٌ أن هناك دورتيْن لمكتب الإرشاد في عهد المرشد الجديد حسن الهضيبي.

الأولى كانت بعدَ انتخابِه مباشرة، وكان أعضاءُ المكتب هم:

«عبد القادر عودة، ومنير دلة، وعبد الحكيم عابدين، وصالح عشماوي، وأحمد حسن الباقوري، وعبد الرحمن البنا، ومحمد الغزالي، وعبد العزيز كامل، والدكتور حسين كمال الدين، وفهمي أبو غدير، ومحمد خميس حميدة، ومختار عبد العليم، وفريد عبد الخالق، وحسني عبد الباقي»[1].

والدورةُ الثانيةُ كانت في ديسمبر ــ كانون أول ــ ١٩٥٣م، وقد نجح في عضوية المكتب الإخوة: «الدكتور محمد خميس ــ وكيلاً للجماعة ــ وعبد الحكيم عابدين ــ سكرتيراً ــ والدكتور حسين كمال الدين ــ أميناً للصندوق ــ وعبد القادر عودة، والدكتور كمال خليفة، وعمر التلمساني، وعبد الرحمن البنا، وعبد المعز عبد الستار، وأحمد شريت، ومحمد فرغلي، وعبد العزيز عطية، ومحمد حامد أبو النصر، ومنير دلة، وصالح أبو رقيق، والبهي الخولي»[2].

وهو المكتبُ الذي قابلَ محنةَ الإخوانِ مع عبد الناصر، وأُدخِلَ معظمُ أعضائِه السجون والمعتقلات، وحُكِم على بعضِهم بالإعدام، وبعضِهم بالسجن المؤبد، وبعضِهم بسنوات طويلة!

ومن رواية المرشد الرابع ــ الحالي ــ للإخوان «محمد حامد أبو النصر» لأعضاء مكتب الإرشاد، في دورتيْه السابقتيْن قبل محنة الإخوان، نعرفُ أن سيِّد قطب لم يكن عضواً في المكتب في أيٍّ من الدورتيْن.

* **أما المأخذ الثالث** على رواية الأستاذ العظم، فهو في قوله: إنَّ سيدَ قطب عُيِّن رئيساً لقسم نشر الدعوة.

---

(١) حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر، للمرشد محمد حامد أبو النصر: ٥٦ ــ ٥٧.

(٢) المرجع السابق: ٧٦ ــ ٧٧.

وهذا لم يصح أيضاً، فالثابتُ أنه عمل في قسم نشر الدعوة، وليس رئيساً له، وكان مجالُ عمله في القسم هو «الأمورُ الثقافية، ودرسُ الثلاثاء، وجريدةُ الإخوان المسلمين، وكتابةُ بعض الرسائل الشهرية للثقافة الإسلامية» على حسب كلام سيِّد نفسه[1].

الهضيبي يرد على سيِّد قطب!

روى الأخُ محمود عبد الحليم في مذكراته «الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ» خبراً عن صلةِ سيِّد قطب بالإخوان، وبخاصةٍ المرشد حسن الهضيبي قبل انضمامه للإخوان عام ١٩٥٣م.

وخلاصةُ الخبر أن الإخوان المسلمين فجَّروا المعارك ضد القوات الإنجليزية في قناة السويس في نهاية عام ١٩٥١م. وأن الإنجليزَ ردوا على هذا بعنفٍ وقسوةٍ ووحشية، فدمَّروا البيوت، وقتلوا وجرحوا الناس، واستُشهد في الأيام الأولى للمعركة ثلاثةٌ من طلاب الإخوان في الجامعات ـ عادل غانم وعمر شاهين وأحمد المنيسي ـ.

وكان رأيُ فريقٍ من الإخوان المسلمين ـ ومعهم الغيارى والمتحمِّسون من الإسلاميِّين ـ أن يدخلَ الإخوانُ المعركةَ ضدَّ القوات الإنجليزية بكل كثافةٍ وضخامة وقوة! بينما كان رأيُ فرق من الإخوان التأنِّي والتريث والانتظار، حتى تحينَ الفرصةُ المناسبة، لئلا تحصدَ قواتُ الإنجليز شبابَ الإخوان على ضِفافِ القناة!

وقد نشرتْ جريدةُ «المصري» كلمةً للأخ محمد طاهر منير ـ رئيسِ شعبة الإخوان المسلمين بالسويس ـ يدعو إلى الرأي الثاني.

فردَّ عليه الشيخُ محمد الغزالي ـ عضوُ مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين ـ في جريدة «المصري» بكلمةٍ جعَلَ عنوانَها «لن تبلغَ أمةٌ هدَفَها إلا إذا نظَّفَتْ جبهتَها الداخلية ـ رأيُ الإخوان المسلمين في الموقف». ودعا الغزالي إلى القوةِ والحشدِ في مقاومة الإنجليز، وإلى أن يُلقي الإخوان بكل ثِقلِهم ضدَّ الإنجليز.

---

(١) لماذا أعدموني: ١٢.

وإزاءَ الموقفيْن المتناقضيْن للغزالي ومنير ــ وكلاهما من الإخوان ــ أشفَقَ بعضُ الناس من عدمِ اشتراكِ الإخوان في حرب الإنجليز، وخشوا في إحجامِهم عن الجهاد. فنشَرَ الصحفيُّ «إحسان عبد القدوس» في مجلة «روز اليوسف» مقالاً أبدى فيه هذا الإشفاق، وتمنّى على الإخوان تبنِّي موقف المواجهة مع الإنجليز، وأَثنى فيه على جهودِ الإخوان وجهادِهم.

وأحبَّ المراقبونَ والمقرَّبون من الإخوان، سماعَ رأيِ المرشد العام «حسن الهضيبي» لأنه القولُ الفصلُ في الموضوعِ.

قال الأخ محمود عبد الحليم: «وهنا تقدَّمَ الأستاذُ سيِّد قطب ــ وكان حتى ذلك الوقت لا يزالُ في صفوف المتعاطِفين مع الإخوان ــ تقدَّم بطلبِ الكلمةِ الفاصلة من المرشد العام، فَنَشَرَ لَهُ «المصري» في أول يناير ١٩٥٢م الكلمةَ التالية، تحت عنوان «رأيُ الإخوان ورأيُ الإسلام».

أَثنى سيِّد في كلمته على رأي محمد الغزالي السابق، ومما جاء في كلمته قوله: «هناكَ كلمةٌ صريحةٌ يجبُ أن تُقال للإخوان المسلمين، وأحسبني أقدرُ الناس على قولِها لهم، بحكْمِ ما بيني وبينهم من صداقةٍ وثقةٍ وتعاوُن!

إنه لا الأخ الحاج طاهر منير رئيسُ شعبة الإخوان بالسويس، ولا الأخُ الأستاذ محمد الغزالي عضوُ مكتب الإرشاد، يملكُ أنْ يقولَ كلمةَ الإخوان الرسمية. فقانونُ الإخوان يجعلُ هذه الكلمةَ الرسميةَ من حقِّ المرشدِ العام!».

«... فالناس في حاجةٍ ماسَّةٍ، إلى كلمةٍ صريحة واضحة رسمية من الإخوان، في هذه الأيام. لأن هناكَ ما يدعو إلى قولِها... وأصدقاءُ الحركة الإسلامية من أمثالي، هم أحرصُ الناس على سماعِ هذه الكلمة، فيما تواجِهُه البلد من أحداث!».

وختم سيِّد كلمتَه بدعوةِ المرشد العام الصريحة، ليحسمَ الموقف، ويقولَ كلمةَ الفصل: «إن أصدقاءَ الإخوان ــ قبل منافسيهم ــ هم الذين يطلُبون هذا الإيضاح.. وهذا وقتُه.. بعدما استردَّ الإخوان نشاطَهم، واستأنَفوا جهادهم..».

من هذه الكلمة لسيِّد نعرف أنه حتى كتابتها ــ في مطلع١٩٥٢م ــ لم يكن من الإخوانِ رسمياً، بل كانَ صديقاً لهم، بينهُ وبينهُم مودةٌ وثقة وتعاون!

وكان المرشدُ العام حسن الهضيبي، عنـد حسنِ ظَن سيِّد قـطب، فردَّ عليـه بعد يـومين ــ في ٣/١/٥٢م ــ في جريـدةِ «المصري» بكلمـة، جعلَ عنـوانَها «الإخـوان. الإخـوان» أكّـدَ فيهـا حـرصَ الإخـوان على الجهـاد، ورغبَتَهم في مقـاومـة الإنجليـز، وإصلاحَ مظاهِرِ الحياة في الأمـة. ودعا إلى العمـل الصامت، وتَـرْكَ لأعمالِ الإخـوان مهمةَ بيانِ موقفهم وجهادهم.

وقال عن سيِّد: «قـال الكاتبُ الجليـلُ الأستاذُ سيِّـد قطب: إن دورَ الإسـلام في الكفاح الشعبـي دورٌ إيجابي دائمـاً، والشعبُ يكافـح اليوم من أجـل غايتَيْن جليلتَيْن: التحرُّرُ المطلقُ من كل استعمار أجنبـي. والعدالةُ الاجتماعية من كـل استغلال. ورأيُ الإسلام واضح. فما رأي الإخوان؟

فـإذا كان رأيُ الإسـلام في ذلك واضحـاً، فمـا معنى السؤال؟ إن رأيَ الإخـوان كذلك واضح!!».

إلى أن قال الهضيبـي لسيِّد: «وأما رفْعُ مستوى المعيشة، فلعلَّ الكاتبَ يعلم من رأي الإخـوان المسلمين فيـه مـا لا يعلمـه غيـره، من وجـوب تـوفُّـر المسكن والملبس والغـذاء والعلاج، لكـل فـرد في دولـة الإسـلام. ويعـرفُ أن هـذا مبسـوطٌ في كتبهم ورسائلهم.

ويعـرفُ أنه مبسـوط في كتابـه «العدالـة الاجتماعيـة في الإسلام» الـذي يدرسُـه الإخوان فيما يدرسون من كتبٍ بدقَّة وعناية.

... أما أنَّ الكاتبَ يريد منّا أن نضعَ مناهجَ محدودة، وبرامج واضحة، فإن هذا من التفصيلِ الذي نعتزمُه، حين تتوفرَ لنا أسبابُ النشر، كما توفرتْ لنـا أسبابُ القـول فيه، ولعلَّ ذلك يكون قريباً، إن شاء الله»[1].

مظاهر إعجاب سيِّد بالبنّا وبالإخوان

لم ينضمّ سيِّد إلى الإخوان المسلمين رسميّاً في مطلع عـام ١٩٥٣م، إلا بعدمـا أُعجبَ بالإمام الشهيد حسن البنّا مؤسِّسِ الجماعة.

---

(١) انظر تفاصيل المساجلة بين سيِّد قطب والهضيبـي، في كتاب الإخوان المسلمـون، لعبد الحليم ٢: ٤٨٠ ــ ٤٨٩.

أما إعجابُه بحسن البنّا فلأنه بَنى بناءَ الإخوان على أسسٍ سليمة، فجاء بناءً روحيّاً نفسيّاً في نفسِ كلِّ فرد في الجماعة، وبناءً فكريّاً متوازناً في تصوُّر الأفراد والجماعة، وبناء تنظيميّاً متيناً رفيعاً لدى الأفراد، ولدى الوحدات التنظيمية للجماعة!

قال عن إعجابِه بالبَنّا، في مقاله «حسن البنّا وعبقرية البناء»: «في بعض الأحيان، تبدو المصادفةُ العابرة، كأنها قدَرٌ مقدور، وحكمةٌ مدبَّرة في كتابٍ مسطور.. حسن «البنّا».. إنها مجردُ مصادفة أنْ يكون هذا لقبه.. ولكن مَنْ يقول: إنها مصادفةٌ، والحقيقةُ الكبرى لهذا الرجل هي البناء، وإحسانُ البناء، بل عبقريةُ البناء؟

لقد عرفت العقيدةُ الإسلامية كثيراً من الدعاة.. ولكنَّ الدعايةَ غيرُ البناء.. وما كل داعيةٍ يملكُ أن يكون بنّاءً، وما كل بنّاء يوهَبُ هذه العبقريةَ الضخمة في البناء!!

هذا البناءُ الضخم.. الإخوان المسلمون.. إنه مظهرُ هذه العبقريةِ الضخمةِ في بناء الجماعاتِ.. إن عبقريةَ البناء تبدو في كل خطوةٍ من خطوات التنظيم.. من الأسرة، إلى الشعبة، إلى المنطقة، إلى المركز الإداري، إلى الهيئة التأسيسية، إلى مكتب الإرشاد..

هذه من ناحية الشكل الخارجي ــ وهو أقلُّ مظاهِرِ هذه العبقرية ــ ولكن البناءَ الداخلي للجماعة أدقُّ وأهم، وأكثرُ دلالةً على عبقرية البناء والتنظيم.. البناء الروحي..»[1].

أما إعجابُ سيِّد بالبناءِ الضخم الذي أقامه البنّا «الإخوان المسلمون» فتجلى في قوله عنهم: «حيّا اللّهُ الإخوانَ المسلمين.. لقد تلفتتْ مصر حينَ جدَّ الجدّ، وتحرجَ الأمر، ولم يَعُد الجهادُ هتافاً وتصفيقاً، بل عملاً وتضحية، ولم يَعُد الكفاح دعايةً وتهريجاً، بل فداءً واستشهاداً.

لقد تلفتتْ مصرُ، فلم تجد إلاّ الإخوانَ، حاضرين للعمل، مهيَّئين للبذل، مستعدّين للفداء، مدرَّبين للكفاح، معتزِمين الاستشهاد..

(١) دراسات إسلامية: ٢٢٥ ــ ٢٢٦ باختصار. وانظر المقال كاملاً في الكتاب: ٢٢٥ ــ ٢٣٠.

لقد تركوا غيرَهم يخطُبون ويكتُبون، أما هم فـذهبوا فعـلاً إلى ساحـاتِ الجهاد. ولقـد تـركـوا غيـرَهم يجتمعــون ويَنْفَضُّـون، أمــا هم فقـد حملوا سـلاحَهم ومضـوا صامتين..»[1].

ومن مظاهرِ إعجابِهِ بجماعة الإخوان وتقديرِهِ لها ـ ممّـا دفَعَه لـلانضمام إليهـا ـ ما قاله عنها:

«باعتبارها في نظري حقْلاً صالحاً للعملِ للإسلام على نطاقٍ واسع في المنـطقةِ كلِّها؛ بحركةِ إحياءٍ وبعث شاملة.

وهي الحركةُ التي ليس لها في نظري بديلٌ يكافئُها للوقوفِ في وجْهِ المخطَّطات الصهيونية والصليبية الاستعمارية..»[2].

ومـا قال عنهـا بعد بـطشِ عبدِ النـاصر بهـا: «إن السياسـةَ المخطَّطَة من جـانبِ الصهيونية والصليبية الاستعمارية لتدميرِ حركةِ الإخوان المسلمين في المنطقة، تحقيقـاً لمصالحِ ومخططاتِ تلك الجهات قد تحققتْ بنجاح»[3].

ولما حاربَ عبدُ الناصر حركةَ الإخوان، وغيَّبَ أفرادَها في السجون، فتحَ البـاب على مصـراعيْه، وغـزتْ قوى الفسـاد والإفساد المجتمـع المصـري: «ثم تضخَّمَ هـذا الشعـور، وأنا أَرى النتـائج الـواقعيةَ في حيـاةِ المجتمع المصـري، من انتشـارٍ هـائـلٍ للأفكار الإلحادية وللانحلال الأخلاقي، نتيجةً لتدمير حركة الإخوان المسلمين، ووقْفِ نشـاطِها التـربويّ. وكـأنما كـان وجودُ هـذه الجماعـةِ سدّاً، قـد انهار، وانـطلَقَ بعـدَهُ التيار!»[4].

«... ويستطيعُ الإنسانُ أن يلحظَ بسهولةٍ، علاقـةَ هذا الانحـدار بتدميـرِ حركـة الإخوان المسلمين، ومنْعِ نشاطها. كما يستطيع أن يربطَ بين هذا التدمير وبينَ الخططِ

(١) المرجع السابق: ٢٤٣.
(٢) لماذا أعدموني: ١١.
(٣) المرجع السابق: ١٥.
(٤) المرجع السابق: ١٥ ـ ١٦.

الصهيـونية والصليبيـةِ والاستعمارية بخصوص هـذه الجماعـة، وبخصوصِ المنـطقـةِ بجملتها. . »[1].

«لقـد امتلأتْ نفسي اقتنـاعاً بضـرورةِ وجودِ حـركة إسـلامية، كحـركةِ الإخـوان المسلمين في هذه المنطقة، وضرورةِ عدم توقُّفِها بحالٍ من الأحوال. .

الصهيـونيةُ والصلـيبيـة الاستعماريـةُ تكرهُ هـذه الحـركـة، وتـريـدُ تـدميـرَهـا. . ومخططاتُها الواضحةُ من كتبها، ومن إجراءاتها، ومن تقريراتها، ومن دسـائسها، تقـومُ كلُّها على أساسِ إضعـاف العقيدة الإسـلامية، ومحـوِ الأخلاق الإسـلامية. . . ووقْفُ نشاطِ الإخوانِ حقَّقَ الكثيرَ من هذه المخططات، وساعدَ على نشرِ الأفكـارِ الإلحاديـة، والانحلالِ الأخلاقي. . »[2].

انضمامه للإخوان وهم مقْدِمون على محنة خطيرة

إن الأمـرَ العجيبَ الذي يلفتُ النـظر، والـذي يَـدلُّ دلالـةً واضحـةً على نفسيـةِ وطبيعةِ سيِّد، هو «توقيتُ» انضمامه إلى الإخوان المسلمين!

لقد انضمَّ إليهم في فترةٍ حـرجة جـداً، حيث كانـوا مُقْدِمين على محنـةٍ خطيـرةٍ شديدةٍ قاسية!

كان قبلَ أن ينضمَّ إليهم مقـرَّباً من عبـد الناصـر ورجال الثـورة، الذينَ يملكـونَ السلطة، والمـراكزَ والـوظائف والمنـاصب والأموال، وكـان مـطَّلِعـاً على الكيـدِ الـذين يكيدونَه للإخوان، ومقدارِ الحقدِ الأسود الذي يملأ قلوبهم ضدَّ الإخـوان، وعلى علمٍ بالمؤامرات الداخلية والخـارجية ــ من القـوى المعاديـة وعملائِهـا في الداخـل ــ التي تُحاكُ ضدَّ الإخوان.

كان على علمٍ بكل ذلك، وعلى إلمامٍ بـه، واطلاعٍ عليـه. . . ومع ذلـك تركَ الدنيا وما فيها عند عبدِ الناصر ورجالِ الثورة، وزهدَ في ما عندهم، من وظائفَ ومراكزَ

(١) لماذا أعدموني: ١٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٦.

وأمــوالٍ ومنـاصب، وذهبَ إلى الإخــوان المسلمين، فــانضمَّ إليهم وصــارَ واحــداً منهم. . . وهـو يعلمُ مـا هم مقـدِمـون عليـه، وهـو يكـادُ يـرى المحنَ والأهـوالَ التي تنتـظرهم، وهو يبصـرُ الدمـاءَ والأشلاءَ التي تمـلأُ طريقَهم. . . ومـع كـل ذلـك انضمَّ إليهم!.

إن انضمـامَه لـلأخوان في هـذه الفترة، لا يتفقُ مـع منطِق «المتاجـرة» بـالأفكـار والمبادىء، ولا يتفقُ مع منطقِ إيثارِ السلامة والعافية!

ولو كان سيِّد تاجرَ أفكارٍ ومبادىء، وجامعَ أموال، وعابدَ مناصبَ، لما أقدمَ على ذلك! لو كان مثلَ أولئك التجار المرتزقة، لأقبلَ على عبد الناصر، يرتعُ بما يغدقُه عليـه ـ كمـا فعل كثيـرٌ من الرّاتِعين حـوله ـ أو على الأقـل لابتعدَ عن نقـطةِ الخطر وميـدانِ المواجهة، وانصـرفَ عن الإخوان المقـدِمين على المحنة، وآثـر العافيـة والسلامـة في بيته!

إن انضمامَ سيِّد إلى الإخوان، في الوقتِ غير المناسب ـ بمنطق المرتـزقةِ تجـارِ المبـادىء ـ ليدلُّ على طبيعـةِ ونفسيةِ سيـد، تلك النفسيـةُ الصـادقـةُ الجـادةُ الجـريئـة الشجاعة. إن هـذا يدلُّ على صـدقِه وتجـردِه، وإخلاصِـه ووفائِـه، وجرأتِـهِ وشجاعتِـه وإقدامِه!!

وهو في هذا المـوقف، يذكِّرُنا بصحـابة رسـول الله ﷺ الذين آمنـوا راغِبين في ما عند الله، وأسلَموا وقتَ الخطر والمحنة، وساروا مع النبـي ﷺ وهم يعرفـونَ عقباتِ الطريق، ويدركون مشقاتِه، ويشاهدونَ أشواكَه!.

إن موقِفَه ليذكِّرنا بموقفِ الحَبرِ اليهوديِّ الصالـح «مُخَيْريقْ» الـذي كان من أَغنى يهـود المدينـة مالاً، وأعـظمِهم جاهـاً ومنزلـة، ثم آمنَ وأسلَمَ واتَّبَعَ رسـول الله ﷺ في ظرْفٍ عصيب، ألا وهو هزيمةُ المسلمين في أثنـاءِ معركـة أُحُد، حيث شـاهدَ عشـراتِ المسلمين شهـداء، وعشراتٍ منهم جـرحى، وشاهـد رسول الله ﷺ جـريحاً، وشـاهـدَ الصولةَ والجولةَ ـ في أثنـاء المعركـة ـ للمشركين، وواقـعُ الأمر لا يـوحي ـ بالمنـظار المــادي ـ بـالنصـر للمسلمين، ومـع ذلــك أَوْصى بكـل مــالِـه للمسلمين، ونـطقَ بالشهادتين، ودخـل ميدان أُحُـد، مجاهـداً مع المسلمين، ومـا هي إلّا لحظاتٌ، حتى

سقط الشهيدُ «مخيريق» شهيداً على أرض المعركة![1].

إن انضمامَ سيد للإخوان وقتَ المحنة، يذكِّرُنا بقصةِ إسلام الحَبرِ الشهيد «مُخَيْريق» على أرضِ أُحُد!!!

من أعماله الإخوانية

عملَ سيِّد مع الإخوان أكثرَ من سنةٍ ونصف، ما بين مارس ـ آذار ـ ١٩٥٣م ونوفمبر ـ تشرين ثاني ـ ١٩٥٤م!

وكان عملُه مع الإخوان مما يتفقُ مع ثقافته، ولذلك أسندتْ له قيادةُ الإخوان أعمالاً ثقافية، ضمنَ قسمِ نشر الدعوة.

قال سيِّد: «ومعَ ترحيبِهم ـ على وجْهِ الإجمال ـ بانضمامي إلى جماعتِهم، إلاّ أن مجالَ العملِ بالنسبة لي في نظرهم كان في الأمورِ الثقافية لقسم نشر الدعوة، ودرسِ الثلاثاء، والجريدةِ التي عملتُ رئيساً لتحريرها، وكتابةِ بعض الرسائل الشهرية للثقافة الإسلامية. . أما الأعمالُ الحركيةُ كلُّها فقد ظللتُ بعيداً عنها»[2].

وأهمُّ الأعمال التي قامَ بها هو إشرافُه على جريدة «الإخوان المسلمين».

وقد سبق أن تكلَّمْنا عن عملِه في هذه الجريدة، أثناءَ كلامِنا عن عمله في الصحف والمجلات، في القسم الأول من هذا الكتاب.

كانت الجريدةُ أسبوعية، تصدُرُ كلَّ يوم خميس، عن المركز العام للإخوان المسلمين.

أصدرَ سيِّد العددَ الأول منها بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٧٣هـ، وفق ١٩٥٤/٥/٢٠م.

وقد أصدرَ منها اثنيْ عشرَ عدداً. ثم أوقفَها بتاريخ ٦ ذي الحجة ١٣٧٣هـ وفق ١٩٥٤/٨/٥م.

---

(١) انظر قصة مخيريق في: الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر ٣: ٣٩٣.
(٢) لماذا أعدموني: ١٢.

وسببُ إيقافِه لها هو تدخُّلُ الرقابة الحكومية المباشر، وبخاصةٍ بعد اشتدادِ الخلاف بين حكومةِ الثورة والإخوان، حيثُ منعت الرقابةُ نشرَ كثيرٍ من مقالاتِها وتحليلاتِها وأخبارها.

وكان سيِّد يكتب فيها عدة مقالات، ولا يخلو عددٌ منها من أكثرَ من مقالٍ أو تعليقٍ أو تحليلٍ له.

ومن مقالاته فيها: منهجٌ للأدب. بل نقذفُ بالحق على الباطل. الاتجاهاتُ الثابتة للشعوب. هذا الشعب يريد. صحوةٌ ليس بعدها سبات. قضيةٌ واحدة وأمة واحدة. الرسالةُ الإسلامية والضمان الاجتماعي[1].

وقد صرحَ سيِّد أثناءَ محاكمته أمامَ «جمال سالم» في ١٩٥٤/١١/٢٢م، بأنه أغلقَ جريدة الإخوان المسلمين باختيارِه، لأنه لم يستطعْ أن ينشرَ فيها ما يريدُ بسبب الرقابة[2].

ومن أعمالِه الإخوانية، إلقاؤه حديثَ الثلاثاء في المركز العام، وكان يحضرُ هذا الحديث آلافُ من الإخوان. وآخِرُ «حديث ثلاثاء» ألقاه في المركز، كان بعدَ عودةِ المرشد العام حسن الهضيبي من بلاد الشام بأسبوع[3].

ومن أعمالِهِ الإخوانية خارج مصر، إيفادُه إلى دمشق في ١٩٥٣/٣/٢م ليحضرَ مؤتمر «الدراسات الاجتماعية» فيها، حيثُ ألقى فيها بحثاً بعنوان ««التربية الخلقية كوسيلة لتحقيقِ التكامل الاجتماعي»».

وبعد المؤتمر التقى بقياداتِ الإخوان المسلمين في سوريا، وألقى محاضرةً مؤثرةً في جامعة دمشق، وصفَها مرافقُه ـ الأستاذ محمد الياسين ـ بأنها محاضرةٌ

---

(١) انظر «وسائل الإعلام المطبوعة في دعوة الإخوان المسلمين»، لمحمد فتحي شعير: ٣٩٠ ـ ٤٠٤.

(٢) انظر أقواله أمام المحكمة في مجلة «المجتمع» عدد: ٥٣٩. تاريخ ٢٥ أغسطس ٩٨١ صفحة: ٢٦.

(٣) المجتمع ـ السابق ـ صفحة: ٢٧.

رائعة، حلّق فيها سيّد خلال ساعتين من الزمان، وقدّم جوانبَ من جمالِ التعبيرِ القرآني وإعجازه، ولم يكن بين يديْه كِتابٌ ولا ورقة[1].

وحاولَ بعد المؤتمر زيارةَ الأردن ــ كما يروي الأستاذ يوسف العظم ــ ولكن السلطاتِ منعَتْه من الدخول بأمرٍ من «جلوب»[2].

ومن أعمالِه الإخوانيةِ خارج مصر، انتدابُ الإخوان له ليشاركَ في المؤتمر الإسلامي الذي نظّمه الإخوان المسلمون، ودعَوْا له قادةَ الرأي والفكر والعمل في العالم الإسلامي، والذي انعقد في بيت المقدس في شهر كانون أول ١٩٥٣م[3].

والتقى سيِّد قي هذا المؤتمر، قادةَ الرأي والفكر والعمل في العالم الإسلامي، وأُعجبوا به!!.

قال الأستاذُ «علي الطنطاوي»، عن سيِّد: «وصِرتُ أَلْقى على انفرادٍ من اصطفيتُ من أعضاءِ المؤتمر، فكانتْ لنا لقاءاتٌ مع الشهيد السعيد سيِّد قطب، كان يحضرُها عصام العطار وزهير الشاويش، ويحضرُها أحياناً أديب صالح، وكنا لا نفترقُ إلّا قليلاً، وأُخذتْ لهذه الجلسات صور، نُشِرَ بعضُها»[4].

وقال «علّال الفاسي» عن سيِّد في المؤتمر: «واجتمعْنا في المؤتمر الإسلامي الذي انعقدَ في القدس، برئاسةِ علّامة العراق المجاهدِ السيِّد أمجد الزهاوي، فرأيْتُ من «قطب» المناضل المتواضع، الذي لم يكن يتطلع لشيءٍ من المناصب أو الألقاب، بل يتأثَّرُ حينما يرى بعضَ أصدقائِه يتهافَتون عليها، ولقد عملْنا معاً في لجنة المؤتمر السياسية، التي كنت أترأسُها، وصَلّيْنا وأعضاءَ هذه اللجنة بأثرِ وشايةٍ من بعض شيوخ فلسطين المشهورين، ذوي الصلة بكلوب باشا..»[5].

---

(١) مجلة الشهاب. السنة الرابعة. العدد الحادي عشر. تاريخ ١٥/٨/١٩٧٠م. صفحة: ٩.
(٢) سيِّد قطب، للعظم: ٣٨.
(٣) سيِّد قطب، للعظم: ٣٨ ــ ٣٩.
(٤) ذكريات، لعلي الطنطاوي ٥: ١٤١.
(٥) سيِّد قطب بقلم طائفة من الكتاب: ١٥.

قصرُ مدَّتِه التنظيمية مع الإخوان:

معلومٌ أن مدةَ سيِّد التنظيمية مع الإخوان قصيرة، وهي المدةُ ما بين انضمامِه إلى الجماعة إلى وقوع المحنة الشديدة عليها. وهي الفترةُ من مارس ــ آذار ــ ١٩٥٣م إلى نوفمبر ــ تشرين ثاني ــ ١٩٥٤م. وبعضُهم يعتبرُ قِصَرَ هذه المدة مأْخَذاً يؤخذُ على «وضْع» سيِّد التنظيمي، ووثيقةَ اتهام ضدّه، فيجعلُ هذه المدةَ التنظيمية القصيرة، مانعاً يمنعُ سيِّد من الريادةِ الفكريةِ والدعويةِ والحركية للإخوان.

وصارتْ ترتفعُ بعضُ الأصوات من بعض الإخوان، تشيرُ إلى هذا. وكأنها ترفضُ الريادةَ والقيادة الحركية لسيِّدٍ، لأنه لم يعشْ في التنظيم مدةً طويلة، ولم يُمْضِ سنواتٍ كثيرةً مع الجماعة، ولم يتشرَّبْ منهاجَ وخطةَ وتصورَ الجماعة!

ويعتبرونَ سيِّد ــ لهذه المدة القصيرة ــ غيرَ مؤهَّل ليقودَ التنظيمَ الإخوانيَّ السريَّ في الستينيّات، وغيرَ مؤهَّل ليقدِّمَ أفكاره الدعويةَ والحركية للإخوان، وبخاصةٍ في «الظلال»، و «المعالم»، ويعتبرونَ سيِّد ــ نتيجةً لهذه المدة القصيرة ــ قد خالَفَ فهمَ الجماعة في العمل والدعوة، أكثرَ من مرة، في أكثر من موضع في الظلال والمعالم!!

وكأنهم يَدْعون ــ بطريق غيرِ مباشر ــ إلى طَرْحِ أفكار سيِّد الدعوية والحركية، وإلى تجاوُزِ مرحلتِه في فهمِ الدعوة، وتقديمِ فقهِها، وبيانِ معالمِ طريقها!

ممن كان يُلمِّحُ إلى هذا ــ ولا يصرِّحُ به ــ الأخُ الأستاذ «مصطفى مشهور» ــ نائبُ المرشد العام محمد حامد أبو النصر ــ بأكثرَ من مكان، عندما كانت المجلاتُ الإسلامية ــ وبخاصة المجتمع ــ تُجري لقاءاتٍ معه، وتسأَلُهُ عن الدعوة والحركة، ومن جملةِ ما تسألُه عنه: سيِّد قطب وفكرُه ومنهجُه في الدعوة.

من ذلك سؤالُ مجلة المجتمع له ــ ولبعضِ قادة العمل الإسلامي ــ عن «فكرِ سيِّد قطب ومنهجِ الحركة الإسلامية».

وقد وردَ في جوابِ الأستاذ مشهور قولُه: «الأستاذُ سيِّد ــ رحمه الله ــ لم يَمْضِ على انتمائه للإخوانِ والعملِ معهم ــ قبل دخولِه السجن ــ أكثرَ من ثلاثة أعوام تقريباً [وأقول بل أقَلَّ من عامَيْن]، وفي السجنِ رأى ولمسَ ما حدثَ من ظلمٍ وحربٍ

للإسلام، وقتلٍ للدعاة إلى الله، وتعذيبٍ غير عادي، فلا شكَّ أن كلَّ ذلك له أثرٌ في تفكيرِ الأستاذِ سيِّد، وتصوُّرِه لأسلوبِ التغيير..»[1].

صحيحٌ أنَّ مدةَ سيِّد التنظيمية مع الإخوان قبل السجن قصيرة، وصحيحٌ أن جوَّ السجن كان يمنعُ الاتصالَ التنظيمي، بين سيِّد وبين قيادة التنظيم الإخواني، وأنه لم تكنْ له صفةٌ قيادية تنظيمية في السجن!

لكن هذا كلَّه ليس مأخذاً ضدّه، ولا مطْعناً عليه!!

إننا نعرفُ أن «الدعوةَ لمن صدق، لا لمن سبق»!!

بمعنى أن الأقدارَ والمنازلَ للرجالِ الدعاةِ السائرين إلى الله، لا تتحدَّدُ بالأسبقية فقط ـ وإنْ كان السبقُ ملحوظاً ـ بل لا بدَّ أنْ يضافَ إلى السبق الزماني، الصدقُ الإيماني والعملي، ولا يجوزُ أن يُعتبَر التأخُّر الزماني، حائِلاً دون وصولِ الصادق إلى مقدمة المراكز، وأرفعِ المقامات!

ونشهدُ أن سيِّد كان صادقاً في انتمائِه الإخواني، صادقاً صدْقاً قولياً وإيمانياً، وعملياً وجهادياً، ودعوياً وحركياً تنظيمياً!

ثم إن سيِّد لم يأتِ للإخوان المسلمين مادةً «خاماً» بدائياً ساذِجاً، لينشئَهُ الإخوانُ من الأوَّليات، ويبدأوا معه من نقطة الصفر ـ كما يحصلُ مع بعض من يأتي للتنظيم ـ!

لقد جاءَ سيِّد للإخوان بعد أن أثبتَ وجودَه الحيَّ المؤثّر في عالَم الفكرِ والحركةِ والجهاد. جاء للإخوان، وهو مفكرٌ إسلاميٌ له العديدُ من الكتب الإسلامية، وله الجهودُ الملحوظةُ في الدعوة والإصلاح والتغيير، وله التصورُ الواضحُ الصحيح للعمل والدعوة!

وبعد المحنة أثبتَ صدقَه الإيمانيَّ والدعويَّ والتنظيميَّ عملياً، فوقفَ مواقفَ الرجال، ووفى وفاءَ الرجال، وصدق صدْقَ الرجال، في الوقت الذي تساقطَ فيه كثيرون ممَّنْ سبقوه في الانتماءِ التنظيمي للإخوان!!!

---

(١) مجلة المجتمع. السنة الثامنة. عدد: ٨٢١. تاريخ ١٦ يونيو ١٩٨١. صفحة: ٢١.

لا يجـوزُ أن نعتبرَ مـدَّتَهُ القصيـرة مع الإخـوان قبل السجن، مـأخذاً أو مـطعنـاً، أو ملْمزاً ضده، ويجبُ أن لا ننسى «أن الدعوةَ لمن صدق لا لمن سبق!!».

اتهامات لسيِّد بأعمال لم يقم بها

نسبَ بعضُ الباحثين والكاتبين أعمالاً إخوانيـةً لسيِّد في هـذه المرحلة، واتَّهمـوه بالقيامِ بها، مع أنه هو في التحقيق نفى قيامَه بها.

من هذه الاتهامات:

أنَّ الإخوانَ المسلمين انتدَبوا سيِّد قطب ليكون ممثِّلاً لهم لدى الحزب الشيوعي المصري ـ الذي كان يرأسُه الدكتور فؤاد مرسي ـ وذلـك بعد منتصفِ عـام ١٩٥٤م، للتنسيقِ بين الإخوان والشيوعيّين من أجلِ مقاومةِ حكْم عبدِ الناصر، والقضاء عليه!

ذكرَ ذلك الـدكتورُ عبـدُ العظيم رمضـان في كتابـه «الإخوان المسلمـون والتنظيم السري». وقال إنه نقلَ الخبرَ عن صحيفةِ الحزب الشيوعي السرية «راية الشعب».

وزعمت الصحيفـةُ أن سيِّد قـطب التقى مع منـدوب الحـزب الشيـوعي مـرتَيْن: الأولى في ١٦ يوليو ١٩٥٤م. والثانية في ٢٠ أغسطس ١٩٥٤م.!

ودارَ النقاش بين سيِّد ومنـدوبِ الحزب الشيـوعي، على كيفيةِ مقـاومةِ ومـواجهةِ رجـال الثورة، وإسقـاطِ الحكومـة، وكيفيةِ التنسيق بين الإخـوان والشيـوعيين في هـذا الخصوص!

ولكنَّ الاتصالاتِ بينهما لم توصلْ إلى اتفاق![(١)].

ومما يجعلُنا نرفضُ روايةَ الشيوعيين ولا نصدِّقُها، أنهم مغرِضـون محرِّفـون، غير مؤتَمَنين على التـاريخ، وأنهم كثيـراً ما حـرَّفوا وافتـروا في رواياتهم. ثم! إن الإخـوانَ لم يُشيروا إلى شيءٍ من هذا، وسيِّد قطب أيضاً لم يشرْ إليه عندما استجوبَهُ المحقِّقون، وحاكمه المحاكِمون، ونرى أن سيِّد كان يتصفُ بالصدق، ولو حصلَ هذا لذكره!.

---

(١) انظر كتاب «سيِّد قطب»، لعادل حمودة: ١١٨ ـ ١١٩. نقلاً عن «الإخوان المسلمـون والتنظيم السري»، للدكتور عبد العظيم رمضان: ١٩٩ ـ ٢٠٠.

ومن هـذه الاتهامـات: أن سيِّد كـان عضواً في التنـظيم السّري لـلإخوان، وأنـه أَوقَفَ جـريـدةَ «الإخـوان المسلمين» العلنيـة، وبـدأ ضـدَّ حكـومـةِ الثـورة «حـربَ المنشورات» السرية. ونُسِبَ له الإشرافُ على النشرةِ السريةِ التي كان يُصْدرها التنظيمُ السري «الإخوانُ في المعركة» والتي كان سيِّد يفضحُ فيها عبدَ الناصر، ويذكـرُ عمالتَـه للأمريكـان ولليهود، ويبيِّنُ أن عبـدَ الناصـر قد اتفقَ مـع اليهود أثنـاءَ حصارِهم لـه في «الفالوجا» في حرب فلسطين، وأنهم جنَّدوه من يومِها لمصلحتِهم! وأنَّ سيِّد انتقلَ سرّاً من القاهرة إلى «بني سويف»، ليوجِّهَ حربَ المنشورات السرية ضد الحكومة!

وقد وردَ في سجلِّ محاكمات الإخـوان عام ١٩٥٤م الـذي أصدرتْـهُ الحكومـة، وأشـرفَتْ عليه ــ ممـا يجعلُنا نشـكُّ في صحةِ تلك الأقـوال، وفي صدورِهـا فعْـلاً عن رجال الإخوان ــ أن المحكمةَ سألت الشهيـدَ «يوسف طلعت» ــ رئيسَ النـظام الخاص للإخوان ــ عمنْ كان يقومُ بتحريرِ الأخبارِ لنشرة «الإخوان في المعركة»؟

فقال: بأنه لا يذكرُه. ولما قيل: هل هو سيِّد قطب؟ قال: نعم![1].

ووردَ في السجـلِّ المذكـور، أن المحكمةَ استـدعتْ سيِّـد قـطب شـاهـداً أثنـاءَ محاكمةِ المرشد العام «حسن الهضيبـي».

وسأله وكيلُ النائب العـام: هل كلَّفَـكَ المرشـدُ أن تشتري آلـة «رونيو» لـطباعـةِ المنشورات؟

فأجابه سيِّد: لم يكلِّفْني أن أشتريَ أنا. ولكن حين أغلقْتُ الجـريدة ــ وأغلقتُهـا أنا باختياري، لأني لم أستطعْ أن أنشرَ فيها ما أُريد بسبب الرقابة ــ بقيتْ لديَّ تعليقاتٌ كثيرة لم يسمح الرقيبُ بها. شكوتُ إليه [المرشد العام] هذه الحالة، وأننـا لا نستطيـعُ أن نـوصِلَ صـوتَنا إلى الشعب، لا عن طـريقِ الصحف، ولا عن طـريقِ المنشـورات. فأخبرَني أن مكتبَ إداري القاهرة له إمكانيات، ويطبـعُ منشوراتِ الإخـوان، فيمكنُ أن يطبعَ هذه المقالات والتعليقات، التي تقفُ الرقابةُ دونَها.

فلمـا رجعتُ إلى رئيسِ مكتب إداري القـاهـرة، قـال: ليس لـديَّ إلاّ مـاكينــةٌ

(١) سيِّد قطب، لعادل حمودة: ١١٧ ــ ١١٨.

صغيرة. فبلَّغْتُ المرشد، فأمرني أن يُصرفَ ثمنُ ماكينة «رونيو» حديثة لهذا الغرض، ليس للمنشورات، ولكن لأعمالِ الطباعةِ بمكتب القاهرة أيضاً!»[1].

نوردُ هذه الأقوالَ من باب الأمانةِ، لأننا اطَّلَعْنا عليها، ولكننا نسكتُ عليها، ونتوقفُ فيها، لأننا لا نملكُ أدواتٍ يقينية، للحكم لها أو عليها. فاللَّهُ أعلم أيُّ ذلك كان، وكيف كان!!

وأمامَنا عبارةٌ لسيِّد ذاتُ دلالة كاشفة على هذا الموضوع. فقد قال للمحقِّقين عام ١٩٦٥م: «أما الأعمالُ الحركيةُ كلُّها فقد ظللْتُ بعيداً عنها.

ثم كانت حوادث ١٩٥٤م، فاعتقلتُ مع من اعتُقِلوا في يناير، وأُفرجَ عنهم في مارس. ثم اعتقلْتُ بعد حادث المنشية، في ٢٦ أكتوبر كذلك، واتُّهمتُ بأني في الجهاز السري، ورئيسٌ لقسم المنشورات به، ولم يكن شيءٌ من هذا كله صحيحاً!.

وأَرجو أن يُلاحَظَ أنني لا أقصدُ تبرئةَ نفسي، من عمل سُجنْتُ من أجله عشرَ سنوات، وانتهى أمْرُه، ولا قيمةَ لتبرئةِ نفسي منه الآن. وإنما هذا جانبٌ من الصورة التي لها دخْلٌ قويٌ في الوقائعِ الجديدة..»[2].

سيِّد مع الهضيبي ضد مخالفيه من الإخوان

وقعتْ خلافاتٌ خطيرة بين الإخوان المسلمين عام ١٩٥٣م، وقادتْ إلى فتنٍ شديدة بين صفوف الإخوان!.

ومن مظاهرِ هذه الفتنة، التجاوزاتُ الكثيرة التي كان يرتكبُها الأخ «عبد الرحمن السندي»، رئيسُ الجهاز الخاص للإخوان المسلمين.

وقد أدّى ذلك إلى اتخاذِ مكتب الإرشاد قراراً بفصْل السندي، مع ثلاثةٍ من كبار مساعديه ــ وهم: أحمد زكي، وأحمد عادل كمال ومحمود الصباغ ــ ونُشرَ هذا في الصحف، وكان القرارُ مساء يوم الأحد ١٩٥٣/١١/٢٢.

---

(١) مجلة المجتمع. عدد: ٥٣٩. تاريخ ٢٥ أغسطس ١٩٨١م. صفحة: ٢٧.
(٢) لماذا أعدموني: ١٢.

وقد حاولَ الإخـوةُ الأربعة المفصـولون التشـويشَ وبثَّ الفوضى، فقـام عددٌ من الإخوان ــ من مؤيديهم ــ بـاقتحامِ منـزل المرشـد العام «حسن الهضيبـي»، لإرغـامِه على الاستقالة من منصبه!

وكـان هناكَ ارتبـاطٌ وثيقٌ بين الإخوةِ الأربعـة المفصولين، وبين ثـلاثـةٍ من كبـار الإخوان المسلمين أعضاءِ الهيئة التأسيسيـة، وهم الإخوة: صـالح عشمـاوي، ومحمد الغزالي، وأحمد عبد العزيز جلال.

وهنـاك ارتباطٌ وثيقٌ بين هؤلاءِ الإخـوة المتمـرِّدين، الخـارجين على قيـادةِ مكتب الإرشاد، وبين عبد الناصر، حيث كـانوا يـرتِّبون معـه خطواتِهم، وينسِّقـون معه عمليـةَ عزل المرشـد العام الهضيبـي، لتعيين مـرشدٍ جـديد من طـرفهم وطرف عبـد الناصـر، ومكتبِ إرشادٍ جديد من الإخوان المتمردين، يكونُ مقبولاً عند عبد الناصر.

ولم يكنْ عددُ هؤلاء الإخوة المتمردين كبيراً، لكن كان تشويشُهم عالياً، مدعومـاً من قِبل الحكومة بزعامة عبد الناصر!

وكـان أن احتلتْ جمـوعٌ من المتمـردين المـركـزَ العـام مســاء يـوم الجمعــة ٢٧/١١/١٩٥٣م، وكان معهم الإخوةُ الثلاثة الكبار: عشماوي والغزالي وجلال، ومن هنـاك أَعلنوا حـلَّ مكتبَ الإرشاد، وعـزلَ المـرشـد الهضيبـي، وتكـوينَ مكتب إرشـاد جديد، وأَعلنوا عن تعيين الشيخ «سيِّد سابق» مرشداً جديداً، وصـالح عشمـاوي وكيلاً له.

وكان من بينِ الموجـودين في المركـز العام، اثنـان من مساعـدي «عبد الـرحمن السنـدي» هما الأَخَـوان «صلاح العـطار» و«سيِّد عيـد»، وكـانـا على ولائهمـا للقيـادة الشرعية للإخوان بقيادة الهضيبـي، فعملا بحكْمةٍ وفطْنة على إضعافِ موقف المتمرّدين المحتلّين للمـركز العـام، وصرْفِ كثيـرٍ منهم إلى بيـوتهم، إلى أن جـاءَ الأخ «صـلاح شادي»، بمجموعاتٍ من الإخوان المؤيِّدين للشرعية، وأنْهى احتلالَ الفـريق المخالف للمركز العام!!.

يهمُّنا موقفُ سيِّـد قطب من هـذه الفتنة الخـطيرة، التي أدمَتْ قلبَ كـلِّ أخٍ من

الإخوان المسلمين، وتركَتْ آثاراً سيئة على مسيرتِهم لسنواتٍ تالية!![1]

إن سيِّد كان يلمحُ الخيطَ الدقيقَ بين المتآمرين المتمردين وبين عبدِ الناصر، وحرْصِه على تفريقِ كلمة الإخوان، وعزلِ المرشد حسن الهضيبي الذي تصدّى لمؤامراتِ عبد الناصر، ووقفَ له برجولة وثبات!

يروي الأخ محمود عبد الحليم ــ وهو يؤرخُ لهذه الفترة الدامية الأليمة ــ عن الأخ «سيِّد عيد» ــ الذي كان له وللأخ صلاح العطار فضلٌ كبير في إنهاءِ احتلالِ المركز العام ــ قولَه:

«في أثناءِ انتظارِنا في ذلك المساء قرْبَ منزلِ المرشد العام، التقيْنا بالأخِ الأستاذ سيِّد قطب، وكان غاضِباً يردِّدُ: يا فرحةَ الصهيونيةِ والصليبية العالمية!

ويقول الأخُ سيِّد عيد: وعندما أتيحتْ لي فرصةُ الالتقاءِ بالأستاذ سيِّد قطب في السجن، سألتُه: ما دخْلُ الصهيونية والصليبيةِ العالمية بخلافٍ داخلي بين الإخوان؟

فقال لي: لقد اتَّصلَ بي الأستاذُ «علي أمين» في الساعة الثانية ظهرَ يومِ الحادث [الجمعة ٢٧/١١/١٩٥٣م] وقال لي: أين حاسَّةُ الصحفي عندك؟... الإخوان «قايمين» على بعض بالسلاح، وأنتَ قاعد في البيت؟

فقمتُ في الحال، وأخذتُ سيارةَ تاكسي، وذهبتُ إلى بيتِ المرشد فلم أجِدْ شيئاً غيرَ عادي.. وذهبتُ إلى المركز العام، فلم أجِدْ شيئاً ملفِتاً للنظر كذلك... ثم تَحْدُثُ بعدَها كلُّ الأمور التي حدثَتْ.. هذا ما جعَلَني أقطعُ بأن الأمرَ مدبَّر من أكثرَ من جهة!!»[2].

لقد كان سيِّد قطب مع القيادة الشرعية، مثلَ جموع الإخوان المسلمين، ففي يوم الأحد ٢٩/١١/١٩٥٣م حضرَتْ وفودٌ ضخمة من مختلفِ شعَب الإخوان في مصر

---

(١) انظر تفصيلات هذه الأحداث الأليمة في كتاب الإخوان المسلمون، لعبد الحليم ٣: ١٩٥ ــ ٢٥٤.

(٢) الإخوان المسلمون، لعبد الحليم ٣: ٢١٤.

إلى المركز العام، مُعلنةً تأييدَهـا للمرشـدِ الشرعي الهضيبـي. واجتمـعَ مكتبُ الإرشاد في المركز، وخطبَ في الوفود ـ كما قالتْ جريـدةُ المصري ـ كـلٌّ مِنْ: عبد الحكيم عابدين، ثم تلاه سيِّد قطب، ثم حسن دوح وعز الدين إبراهيم وسعيد رمضان وخميس حميدة، ثم تكلمَ المرشدُ الهضيبـي، وأثنى على المتكلمين والحاضرين![1].

* * *

(١) الإخوان المسلمون، لعبد الحليم ٣: ٢١٧.

الرابع

محنة سيِّد قطب الأولى في السجن

(١٩٥٤م ـ ١٩٦٤م)

اعتقال سيِّد الأول في مطلع عام ١٩٥٤م

تفاقمَ الخلافُ بين عبدِ الناصر وبين الإخوان المسلمين، وبيَّتَ عبد الناصر النيَّة لضرب الإخوان.

وفي ١٥ يناير ١٩٥٤م ـ وفي الساعة الواحدة إلَّا ربعاً من صباح ذلك اليوم ـ أصدرَ مجلسُ قيادة الثورة، أمراً بحلِّ جماعة الإخوان المسلمين، واعتبارها حزباً سياسيّاً، يجري عليها ما يجري على الأحزاب السياسية المنحلَّة!

وأذاعَ المجلس بياناً مطوَّلاً، أُذيعَ من الإذاعة، ونشرَ في الصحف، نُسِبَ فيه إلى الإخوان القيامَ بأعمالٍ خطيرة، تفرِّق الأمةَ، وتهدِّد الأمن، كما نُسبَ لهم الاتصال بالإنجليز، والتآمر معهم ضد الوطن[١].

وفي صبيحة هذا اليوم تمَّ اعتقالُ قادةِ الإخوان المسلمين، وعلى رأسهم المرشد العام حسن الهضيبي.

وكان سيِّد قطب في مقدمةِ الإخوان المعتقَلين.

ولعلَّ هذا هو أولُ اعتقال لسيِّد، وأولُ دخولٍ له إلى السجن! حيثُ لم يحصلْ له هذا طيلةَ حياته السابقة!!

ومما يشرفُه أن هذا الاعتقالَ كان في سبيل الله، وأنه أُدخلَ السجن مع ألوفِ الإخوان لأنهم يقولون ربُّنا الله، وأن الذين اعتقلوهم هم أعداءُ الدين والأمة، وأولياءُ الشيطانِ والأعداءِ والكفار!

---

(١) انظر البيان في كتاب محمود عبد الحليم «الإخوان المسلمون» ٣: ٢٥٩ ـ ٢٦٧.

وقد تطورتْ أحداثُ الصراع مع عبد الناصر، بينما كانت قياداتُ الإخوان في السجون.

فقد أقالَ عبدُ الناصر محمد نجيب من جميع مناصبه، في ٢٥ فبراير ١٩٥٤م.

وفي ٢٨ فبراير ١٩٥٤م، نظمَ الإخوان المسلمون مظاهرةً ضخمة حاشدة. وكان من نتيجتِها رضوخُ عبد الناصر لمطالبها، وإعادةُ محمد نجيب إلى الرئاسة، والإفراجُ عن جميع الإخوان المعتقلين!

وقد بدأَ الإفراجُ تِباعاً عن الإخوان المعتقَلين منذ مطلع شهر مارس، وأُفرجَ عن آخر دفعةٍ من الإخوان ـ ومنهم المرشد العام ـ في ٢٥ مارس.

المهمُّ أنَّ سيِّد أُفرجَ عنه في هذا الشهر، ولا نعرفُ في أيِّ يومٍ من أيام الشهر، ولا الدفعة الإخوانية التي أفرج عنه معها!![1].

اعتقال سيِّد الثاني في أكتوبر ١٩٥٤م

أقبلَ الإخوانُ على دعوتِهم وعملهم بعدَ الإفراج في شهر مارس، وزادتْ أعمالُ سيِّد قطب الإخوانية بعد هذا الإفراج، حيثُ أصدرَ جريدة الإخوان المسلمين، وأشرفَ على إعدادِ رسائلَ إسلامية، تصدرُ عن المركز العام، وقسمِ نشرِ الدعوة فيه.

ولما زادتْ شقةُ الخلاف بين الإخوان وعبد الناصر، صارَ الإخوان يصدرونَ نشراتٍ سرية، يوردونَ فيها الأخبار السرية لتلك الخلافات، والاحتكاكاتِ مع عبد الناصر، ويسجِّلون فيها الكثير من التحليلات والنظرات والتعليقات، وكان لسيِّد قطب دورٌ كبيرٌ في كتابةِ تلك التحليلات والتعليقات!

واستمرَّ سيِّد في عملِه هذا، من مطلع شهر أبريل، حتى كان حادثُ المنشية في ٢٦/١٠/١٩٥٤م!

حيثُ أُذيعَ في الساعة الثامنة من مساء هذا اليوم، أنَّ عبدَ الناصر قد نَجا من محاولةِ اغتياله، عندما أطلقَ الجاني عليه النارَ، وهو يخطبُ في دارِ هيئةِ التحرير، في المنشية، في الإسكندرية.

---

(١) انظر تفصيلات هذه الأحداث عند محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون ٣: ٢٦٨ ـ ٢٩١.

ونُسبت المؤامرةُ إلى الإخوان المسلمين، واتُّهم فيها «محمود عبد اللطيف»، عضو أسرةٍ من أسر «النظام الخاص» في القاهرة، نقيبُه فيها هو المحامي «هنداوي دوير».

وقامت الحكومةُ بحملةٍ مسعورة، ألقتْ فيها القبضَ على الألوف من الإخوان المسلمين، والزَّجِّ بهم في السجون![1].

وكان سيِّد في مقدمةِ المعتقلينَ من الإخوانِ، في نهاية شهر أكتوبر.

وباعتقالِ سيِّد، وإدخالِه السجن، تكونُ قد بدأتْ محنتُه الحقيقيةُ، التي صاحبَتْه حتى استشهادِه، والتي أكملَ باقي حياته فيها.

وفي ذلك يقول: «ثم كانت حوادثُ ١٩٥٤م. فاعتقلْتُ معَ من اعتُقِلوا في يناير، وأُفرجَ عنهم في مارس. ثم اعتقلْتُ بعد ذلك، في حادثِ المنشية في ٢٦ أكتوبر كذلك»[2].

التحقيق مع سيِّد

بعدَ أقل من شهرٍ من اعتقال سيِّد قطب، وقياداتِ وأعضاءِ جماعة الإخوان المسلمين، شُكِّلتْ لهم محاكمُ عسكرية، سميت «محكمة الثورة»، رؤساؤُها وقضاتُها هم ضباطُ الجيش.

وقد صُبَّ على الإخوان في السجون، صنوفٌ من الاضطهاد والتعذيب والأذى، لا توصَف، وقد واجَهَ الإخوانُ هذا التعذيب، وقابلوه بإيمانٍ وصبرٍ وثبات وعزة واحتساب.

وكان نصيبُ سيِّد من التعذيب كبيراً، وأدَّى إلى مضاعفةِ أمراضِه، المستوطنةِ في بدنه، وإصابتِه بأمراضٍ أخرى.

ومن المحاكم المشكَّلة لمحاكمة الإخوان، المحكمة الأولى، وكان يرأَسُها

---

(١) انظر تطورات الأحداث في المرجع السابق ٣: ٣٨٥ ـ ٣٩٨.

(٢) لماذا أعدموني: ١٢.

جمال سالم، وكانت بعضْوية: أنور السـادات وحسين الشافعي، وكـان الضباطُ الثـلاثة: أعضاء في مجلس قيادةِ الثورة.

وفي شهر نوفمبر ١٩٥٤م، حاكمت المحكمةُ المرشدَ العام «حسن الهضيبـي».

وفي مساء يوم الاثنين ٢٢ نوفمبر، استَدعت المحكمةُ سيِّدَ قطب، ليكونَ شاهداً في محاكمة الهضيبي.

وسألتْهُ المحكمة عدةَ أسئلة عن صلته بالهضيبي، أجابَ عليها بجـرأةٍ وصراحـة وشجـاعة. وكـان الكلام عن خـطةِ الإخوان في مقـاومة عبـد الناصـر، عـامي ١٩٥٣م و ١٩٥٤م، وعن التنسيقِ بينهم وبين الجيش، وعن المنشوراتِ التي كانوا يُصدرونهـا، وعن دورِ سيِّد فيها، وعن رأيِه في تلك الأحداث! [١].

سيِّد يُري القضاةَ آثار التعذيب

في إحدى محاكمـاتِ الإخوان، أمـامَ محكمة جمـال سالم عـام ١٩٥٤م، وبعدَ شهـرين من إحضـار سيِّـد من السجن إلى المحكمـة، شـاهـداً في محـاكمـة حسن الهضيبـي، استُدْعيَ سيِّد شاهداً مرةً أخرى.

وكـان خلالَ الشهـرين قد تعـرضَ لتعذيبٍ رهيب، بحيث أُصيبَ بنـزيفٍ رئـوي شديد.

ولما دخلَ قاعةَ المحكمة، دارَ بينه وبين رئيسِها جمال سالم الحوارَ التالي:

جمال سالم: يبدو عليكَ التعبُ يا أستاذ سيِّد. فهل أنت تعبان؟

سيِّد قـطب: نعمْ! لأنّي كنتُ واقفـاً على قـدميَّ ستَ سـاعـات! قبـلَ دخـولي المحكمة!

جمال سالم: وماذا يَعني هذا؟ كلُّنا نقفُ مُدَداً طويلة!

---

(١) انظر أقواله كشاهـد في هذه المحـاكمة. كمـا نقلتها مجلة المجتمـع. عدد: ٥٣٩. تـاريخ ٢٥ أغسطس ٨١. صفحات: ٢٦ ـ ٢٧.

سيِّد قطب: ولكنَّنا نحنُ الإخوان المسلمين تُطبَّقُ علينا في السجن مبادىءُ الثورة!!

ونزعَ سيِّد قطب رداءَه عن جسمه أمامَ الحضور، فظهرَتْ لهم على جسمهِ آثارُ التعذيب الشديد!!

فاضطرَّ جمال سالم إلى رفعِ الجلسة فَوْراً!!»[1].

إن هذه الحركةَ العجيبةَ المفاجئة من سيِّد، تدلُّ على جرأتِه وشجاعتِه، فهو لم يخشَ المحكمةَ العسكرية، ولا قضاتها الجلّادين. كما أنه أرادَ إطلاعَ الناسِ على بعضِ ما يجري للإخوان في السجون من تعذيبٍ واضطهاد! وأرادَ أن ينوبَ عن الإخوان في فضْحِ الحكّام والقضاة، وبيانِ حقيقة جورهم وظلمهم. علماً بأن مَنْ يجرؤُ على الإشارةِ للقضاة الجلادين عن التعذيبِ في السجون، كانوا يعيدونَه إلى الزبانية ليصبّوا عليه العذاب! ولَنا أن نتصوَّرَ العذابَ الذي صبّوه على سيِّد، عندما أعادوه إلى السجن، بعد رفعِ الجلسة!!

محاكمته السرية والحكم عليه

تأخرتْ محاكمةُ سيِّد قطب أمامَ محكمةِ جمال سالم قليلاً، بسببِ الأمراضِ التي أُصيبَ بها، والتي ضاعَفَ منها تعذيبُه المتواصل.

«وفي اليوم الثالث من شهر أيار سنة ١٩٥٥م، نُقلَ إلى المستشفى العسكري، للمعالجةِ مما أصابه من آثارِ التعذيب، والأمراضِ المختلفة التي خلَّفَها سجنُه الرهيب، في جسده الطاهر: مرضاً صدرياً، وأزمةً قلبية، و«روماتيزم» في معظمِ أعضاءِ جسمه المعذَّب المكدود.

وفي الثالث عشر من تموز سنة ١٩٥٥م، حكمتْ محكمةُ الشعب، أو قُلْ «مهزلة الشعب» على الرجل المبْتُلى، والعالِمِ الرباني، بالسجن لمدةِ خمسةَ عشرَ عاماً مع الأشغال الشاقة!

---

(١) مجلة المجتمع. عدد: ٥٣٩. تاريخ ٢٥ أغسطس ١٩٨١م. صفحة: ٢٧. وانظر مذابح الإخوان في سجون ناصر، لجابر رزق: ١١٣.

وكـان الحكمُ غيابيّـاً، لعدم استـطاعتِه حضـورَ الجلسة، من جـرّاءِ ما أصـابه من إعياءٍ ومرضٍ وتعذيب!»[1].

وكانتْ محاكمتُه سريَّة، لأنهم يخشونَ من جرأة سيِّد وشجاعته، وفضْـح جلاّديـه أمامَ الناس.

وتروي مجلةُ «الشهاب» أنه في اليوم الذي تقررتْ فيه محاكمـةُ سيِّد جـاءه مديـرُ السجن حمزة البسيوني. وقال له: لن نحاكمَكَ لأنك مَصْدور!

وعُرِفَ السبب بعدَ ذلك، لأنه كان من المقرَّر في ذلـك الوقت، حضـورُ مندوبٍ عن لجنة حقوق الإنسان الدولية، ويخشْونَ أَنْ يتحدث سيِّد أمامَه عن التعذيب!

وبعد ذهابِ المندوب قُدِّم سيِّد للمحاكمـة، وعندمـا سألـوه، خَلَعَ قميصَه ليُـري القضاةَ والمحامين والشهودَ، آثارَ التعذيبِ الوحشية.

ولما سمعَ الحكمَ بسجنه خمسةَ عشـر عامـاً، اعترضَ عليـه مستهزئـاً: إنَّها مـدةٌ قليلة، فأيْنَ حكمُ الإعدام؟»[2].

ويحكي سيِّد في تقـريره عن مـرضه قبـلَ المحاكمـة، من أنـه كـان في «السجن الحـربـي» تمهيداً لمحـاكمته، فلمـا مرِضَ نُقـلَ إلى مستشفى سجن «طُرَّة» ولمـا خفَّ مرضُه أُعيدَ إلى الحربـي للمحـاكمةِ أمـامَ جمال سـالم: «في ذلك الـوقت أنا كنتُ في «طُـرَّة» معتقَـلاً، ولم يَصـدُرْ عليَّ حكمٌ بعـد، ولم أُحـاكَم، وذلـك بسببِ «تمـزُّقٍ في الـرئتين ونـزيفٍ حـاد» اقتضى نقْلي من السجن الحـربـي في ٢٥ ينـايـر ١٩٥٥م، إلى مصحَّة ليمان طـرَّة للعلاج... وفي أبـريل كـانت حالتي قـد تحسنَتْ نوعـاً ما، وتقـررَ إعادتي للسجن الحربـي، لتقديمي للمحاكمة...»[3].

---

(١) سيِّد قطب، ليوسف العظم: ٣٩.
(٢) مجلة الشهاب اللبنانية. السنة السادسة. العدد التاسع. أيلول ١٩٧٢م. صفحة: ٢.
(٣) لماذا أعدموني: ٢٠.

سيِّد في «ليمان طُرَّة»

نُقِلَ سيِّد بعد الحكمِ عليه بالأشغال الشاقة خمسةَ عشر عاماً، إلى ليمان ــ أو سجن ــ طُرَّة، لقضاءِ مدة الحكم.

وسجنُ «طرة» بُنِيَ في منتصفِ القرنِ التاسع عشر، وأُعِدَّ من ذلك الوقت ليكون سجناً. وهو من أسوإِ سجون مصر، وأكثرِها قذارةً وإيذاء، وسيقَ الإخوانُ إليه لتحطَّم نفسياتُهم، ويُقضىٰ على آمالِهم، وتنخرَ الأمراضُ في أبدانهم![1]

ويروي سيِّد أن الإخوان المسجونين، كانوا موزَّعين على ثلاثةِ سجون رئيسة:

سجن طرة: وفيه حوالي أربعمائة من الإخوان، ضمنُهم أشهرُ قياداتِهم.

سجن مصر: وفيه حوالي هذا العدد.

السجن الحربي: وفيه حوالي ألفين من الإخوان الموقوفين.

وكان ضمنَ الإخوان في سجن «طرة» بعضُ الضباط، من أمثال: حسين حمودة، وفؤاد جاسر، وجمال ربيع.

كما كان ضمنَ قيادات الإخوان في سجن طرة: منير الدلة، وصالح أبو رقيق[2].

سيِّد يروي محاولة جمال ربيع لتهريب الإخوان من السجون

روى سيِّد في تقريرِه محاولةً للضابط السجين «جمال ربيع» لإخراجِ الإخوانِ من السجون الثلاثة: طرة ومصر والحربي. واستيلائِهم على أسلحة الحرس، ثم وصولِهم إلى القاهرة، واتفاقِهم مع وحدات من الجيش، وعملِ انقلاب!

وأن جمال ربيع بدأ يرسمُ هذه الخطةَ في ربيع عام ١٩٥٥م، وأنه عرضَها على فؤاد جاسر وحسين حمودة، فلم يوافِقا. وأنه عَرَضَها على صالح أبو رقيق «فشتمه وعنفه».

---

(١) انظر وصف سجن طرة في كتاب «الإخوان المسلمون، لمحمود عبد الحليم» ٣: ٤٩٤ ــ ٤٩٧. وفي كتاب «عندما غابت الشمس»، لعبد الحليم خفاجي: ١٨١ ــ ٢٠٠.

(٢) لماذا أعدموني: ١٩.

وعـرضَ جمال ربيـع الخطةَ على سيِّـد قطب قـائلاً: «إنـه لا يجـدُ في الإخـوان خمسين رجلاً، قلوبُهم حديـد، لتنفيذِ خـطته»، وعلّق سيِّـد عليها بقـوله: «ومـعَ عدمِ خبرتي بالمسائل العسكرية الفنية، فقد أحسسْتُ أنها محاولةٌ انتحاريـةٌ جنونيـة لا يجوزُ التفكيرُ فيها»!

ويروي سيِّد أن جمـالَ ربيع أراد مـوافقةَ الضـابط الإخواني «معـروف الحضري» السجين في السجن الحربـي، فلما نُقِلَ سيِّد إلى السجن الحربـي لمحاكمتِه في أبريل ١٩٥٥م، ألـحَّ جمالٌ على سيِّـد للاتصـال بـالحضـري بشـأن خـطة الخـروج، وأمـامَ إلحـاحِ جمال أخبـرَ سيِّد الحضـري بها، وقبـل أن يعـرفَ الحضـريُّ مَنْ هـو صـاحبُ الخطة، قال لسيِّد في عصبية: «دي دسيسـة لتدبيـرِ مذبحـةٍ كبرى لـلإخوانِ الـذينَ في السجون، والذينَ في الخارج جميعاً»، ولما عرف أن صاحبَ الخطة هو جمال ربيـع، طلبَ من سيِّد أن يقول له: «دي عمليةٌ انتحارية. ولا يجوزُ التفكيرُ فيها أصلاً!».

ويتابع سيِّد كلامَه عن خطة جمال ربيع، بأن ربيع نُقلَ من سجن طرة إلى سجنِ «الواحات»، مع قيادات الإخوان، وأنه بقيَ في الواحات يخططُ لتهريبِ الإخوان.

ومن روايـةِ سيِّد للحـادثـة، نفهمُ أنـه يتهم «جمـال ربيـع»، بـأن خـطتـه كـانت «دسيسة» من الحكومة، لتدبير مذبحـةٍ للإخـوان، ولا يلزم من هذا أنَّ ربيـع متآمـر مع الحكومة في ذلك، فقد يكونُ حسنَ النية، ولكنَّ الحكومةَ قدْ تستغلُّها لتحقيقِ ما تُريد، وترتيبِ مذبحة للإخوان[1].

وفي نفس الوقت يحكي سيِّد عن مؤامرةٍ أخرى تدبرُها الحكـومة لتـرتيبِ مذبحـةٍ للإخوان في السجون، وأن الطرفَ فيها هو الضابطُ «عبد البـاسط البنا» ــ شقيقُ الإمـام الشهيد حسن البنا، الذي كان قائدَ كتيبةِ سجن طرة ــ .

وكـان سيِّد مـريضاً في مستشفى سجن طـرة، ويَـروي أنـه جـاءَهُ إلى المستشفى الضـابطُ عبدُ البـاسط البنا ثـلاثَ مرات، وأنـه كان يحـدثُـه فيهـا عن ضـرورةِ تخليص الإخوانِ مما يعانونه في السجن!

---

(١) انظر تفصيل سيِّد لخطة جمال ربيع في «لماذا أعدموني»: ١٩ ــ ٢٣.

ويقول سيِّد عن عبد الباسط: «ومع معرفتي أنه لم يكنْ يوماً ما من الإخوان في حياةِ أخيه الشهيد حسن البنا. فقد سألْتُه: وكيف ذَلك؟ فقال: إنه كقائدٍ لكتيبةٍ، يضعُ نفسَه وأسلحةَ الكتيبة تحت تصرُّفِنا، لأنه لم يَعُد يطيق منظرَ طابور الإخوان في الجبل!»

وردَّ سيِّد على عرضِ عبد الباسط بشكْرِه على عواطفه ـ الظاهرة ـ نحوَ الإخوان، وقال له: «نحنُ نرىٰ أننا أَدَّيْنا واجبَنا، وانتهتْ مهمتُنا بدخولِ السجون، ولم نَعُدْ نستطيعُ عملَ شيء، فمن أرادَ أن يعملَ من غيرِنا فلْيعمل».

ولما رفضَ سيِّد عرضَ عبدِ الباسط انقطعتْ زيارتُه له في مستشفى السجن، ثم نقلَتْه الحكومةُ من هذا الموقعِ إلى موضع آخر![1]

حسين حمودة وجمال ربيع يصححان رواية سيِّد

روى الضابطُ الإخوانيُّ «حسين حمودة»، في الطبعة الثانية من كتابه «أسرارُ حركةِ الضباط الأحرار والإخوان المسلمون»، بعضَ التصحيحاتِ لروايةِ سيِّد، عن خطةِ جمال ربيع المشارِ إليها، وهذه التصحيحاتُ أوردَها حمودة وجمال ربيع.

وقد نفى حمودة وجودَ خطةٍ لتهريبِ الإخوانِ من السجون الثلاثة، واعتبرَ الخطةَ فاشلةَ، وأنَّ التفكيرَ فيها نوعٌ من الجنون.

وقال حمودة: «وللحقيقةِ والتاريخ، لم يَعرضْ عليَّ جمال ربيع إطلاقاً، خلال تواجُدي بليمان طرة، أيَّ مشروعٍ للهرب على الإطلاق!»

ويقررُ حمودة أن جمالَ ربيع لم يكن من الإخوانِ المسلمين، وكلُّ جريمتِه ـ التي عُذِّب من أجلها، وحُكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً ـ هي أنه كان يعملُ أركان حربٍ للكتيبة الفلسطينية، التي كان يرأسُها الضابطُ الإخواني الملتزم «عبد المنعم عبد الرؤوف»، وأرادَ عبدُ الناصر أنْ يكون جمال ربيع شاهداً ضدَّ قائدِه

(١) انظر رواية سيِّد لعرض عبد الباسط البنا في «لماذا أعدموني»: ٢١.

عبد الرؤوف، ولكن إيمانَه وصدقَه وخلُقَه ورجولتَه ودينَه، منعه من تلك العمليةِ القذرة، ووفى لقائده عبد الرؤوف، فدفعَ ثمنَ وفائِه غالياً!

وبينما نفى حسين حمودة قصةَ التفكيرِ في الهرب من السجون الثلاثة، فقد أقرَّ بخطةِ جمال ربيع، في تهريبِ الإخوان المسجونين في سجن الواحات!

وروى حمودةُ تفاصيلَ خطةِ ربيع لتهريبِ الإخوان، ومعهم بعضُ الرهائن، من مصر إلى السودان ـ عن طريق درب الأربعين البري ـ وهناك يطلبونَ حقَّ اللجوءِ السياسي، ويُحرجونَ نظام عبد الناصر، ويهزّونَه هزّاً عنيفاً، في الداخل والخارج.

وقررَ حمودة أن الخطةَ أوشكتْ أن توضَعَ موضعَ التنفيذ في سجن الواحات، لولا أنَّ عبدَ الناصر أرسلَ للضابط الأخِ حسين حمودة، بأنْ ينسى الإخوانُ ما جرى لهم، وأن يفتَحوا صفحةً جديدة، وأنهم على وشَكِ الإفراج عنهم، ثم تلاحقت الأحداثُ بعد ذلك من تأميمِ قناة السويس، إلى العدوانِ الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، وعندها أهملَ جمالُ ربيع خطتَه.

وقد قال حسين حمودة عن روايةِ سيِّد للخطة: «والشهيد سيِّد قطب عُذِّبَ تعذيباً شديداً قبلَ إعدامه. ولم يراعِ المجرمونَ الذين عذَّبوه، أنه كان مريضاً بالقلب والرئتين.

وفي أقواله المنشورة، ما يفيدُ أنه علم من صالح أبو رقيق، بمحاولةِ جمال ربيع إقناعَ الإخوان، بالهرب من سجنِ الواحات، الأمرُ الذي لم يقتنعْ به الأستاذُ صالح أبو رقيق. وهذا الجزءُ من أقوال الشهيد سيِّد قطب صحيح تماماً!

أما الجزءُ الخاصُّ بمحاولةِ جمال ربيع، الخروجَ بالقوة من السجون الثلاثة، فإني أستبعدُ تماماً أن يكونَ الشهيد سيِّد قطب قد أَدْلى بهذه الاعترافات. وإنَّ المحقِّق قد دسَّها عليه، لأن معظمَ هؤلاء المحقِّقين في عهدِ عبد الناصر، كانوا من معدومي الضمائِر، الذين يُزوِّرون الأقوالَ والاعترافات، لخدمةِ أسيادِهم الحكام..»

ولما عرضَ حسين حمودة كلامَ سيِّد قطب على جمال ربيع، ابتسم وقال: «سامحهم الله، وعلى أيِّ حال أنت تعرفُ الحقائق. ولكني ابتداءً أبرّيءُ أستاذي

الشهيد سيِّد قطب، منْ أنْ يكونَ قد وردَ على لسانه في التحقيق، أو في غيرِه، أيُّ شيء عن هذا الخيال الخاص، بما أسموهُ خطةَ الخروج من سجون القاهرة، وهو أمرٌ مضحك»[1].

إذن، حسين حمودة وجمال ربيع، يعترفان بخطةِ الهروب من سجن الواحات إلى السودان، ولكنهما ينفيانِ خطةَ الخروجِ المسلَّحِ من سجون القاهرة، ويعتبرانِها خطةً جنونية مضحكة!

وهما ينفيان أيضاً أن يكونَ سيِّد قطب قدْ أدْلى بهذا الكلام للمحقِّق عام ١٩٦٥م. ويؤكدان ـ كلاهما ـ أن هذه الفقرةَ مدسوسةٌ عليه، دسَّها المحقِّقون على اعترافه، وأضافوها له!!

والله أعلم بحقيقةِ الأمر كيفَ كان، فنحنُ نؤمنُ بصدْقِ الأَخَوَيْن حسين حمودة وجمال ربيع، ولا نستبعدُ تلاعبَ المحقِّقين باعترافِ سيِّد وتقريرِه، ولا ننفي احتمالَ إضافةِ أقوالٍ من عندهم، على كلام سيِّد الذي كتبه بخط يده!![1]

سيِّد يلخص مذبحة الإخوان في سجن طرة

وقعتْ مذبحةٌ للإخوان المسلمين المسجونين في سجن «طُرَّة»، وقدْ تمَّتْ بموافقةِ زكريا محيي الدين وزيرِ الداخلية وقتها، ورئيسِه عبد الناصر.

وقد روى رواياتِ خمسةِ شهودٍ من الإخوان، الذين كانوا في السجن، وتابَعوا أحداثَ المذبحة، ورَووا تفصيلاتها، روى شهاداتِ هؤلاء، جابر رزق رحمه الله، في كتابه «مذبحة الإخوان في ليمان طرة».

كان عددُ الإخوان المسجونين في طرة مائةً وثلاثة وثمانين أخاً، وكانوا موزَّعين على غرف السجن.

كان مديرُ السجن ـ وقت المذبحة ـ الضابط «سيِّد والي»، وكان ضباطُ

(١) انظر تصحيحات حسين حمودة وجمال ربيع لرواية سيِّد قطب في كتاب حمودة «أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون». الطبعة الثانية: ٢١١ ـ ٢١٨.

السجن: عبد العال سلومة، وعبد اللطيف رشدي، وعبد الله ماهر.

وسبق المذبحةَ تكديراتٌ متوالية، من ضباط السجن للإخوان، كان آخرَها تكديرُ الضابط عبد الله ماهر لأحد الإخوان ــ عبد الغفار السيد ــ عندما زارَهُ أهلُه، حيث مَنَعوا الزيارة، وأرسلوه مع بعضِ إخوانه للتأديب.

وأيقنَ الإخوانُ المسجونون وجودَ مؤامرةٍ يحيكُها ضباط السجن ــ بالتنسيق مع عبد الناصر، ووزارةِ الداخليةِ ــ لإبادةِ نزلاءِ سجن طرة، وذلك عندَما يذهبون للجبل ــ البعيدِ عن السجن ثلاثةَ كيلو مترات ــ ثم تصويرُ الأمر وكأنه محاولةٌ من الإخوان للهروب.

وقبيلَ المذبحة عمل ضباطُ السجن على تقييدِ الأخوان بسلاسلَ حديدية ليؤخذوا للجبل قسراً، وتُطلقَ عليهم النارُ هناك!

فاتفق الإخوانُ على الامتناعِ عن الذهاب للجبل، وطلبوا حضورَ النيابة للتحقيق، لأن حياتَهم معرضةٌ للخطر من قِبَل إدارة السجن، ولأنهم سيطلقونَ عليهم النارَ في الجبل، بزعم أنهم هاربون متمردون.

وفي صباحِ يوم السبت ١٩٥٧/٦/١م، حصلتْ مفاوضاتٌ بين إدارة السجن وبينَ الإخوانِ للخروج، وأصرَّ الإخوان فيها على طلبِ النيابة للتحقيقِ ولحمايتهم.

وعند الظهر حضرَ للسجن اللواء «إسماعيل همَّتْ» نائبُ مدير مصلحة السجون، ومعه كتيبةٌ مسلحة من الجيش. وبينما كان الإخوانُ في العنابر والممرات، أخذَ الجنود مواقعَهم في بناية السجن، ثم أصدرَ إسماعيل همَّتْ أوامرَه للجنود ببدءِ المعركة، قائلًا: «اضرب». وانطلقَ الرصاصُ على الإخوان في العنابر، فظنَّ أحدُ الإخوان أنها رصاصاتٌ فارغةٌ للتخويف، فقال: إنه «فشنك» ــ أي فارغ ــ فأصابتْه رصاصةٌ في جبهته فكان أولَ شهيد. فصاح أحدُ الإخوان: «إنه ضربٌ في المَلْيان» ادخلوا في الغرف وأغلقوها!

واستمرَّ إطلاقُ الرصاص، وسقطَ عدد من الشهداء والجرحى في الممرات، ثم هاجم الجنودُ الغرفَ المفتوحة، وأجْهزوا على مَنْ بِها من الإخوان، أما الغرفُ المغلقةُ فقد أنْجى اللَّهُ الإخوانَ داخلَها!..

وبعد انتهاءِ المعركة «المذبحة» كانتْ حصيلتُها سقوطَ واحدٍ وعشـرين شهيداً من الإخوان، وثلاثةٍ وعشرين جريحاً.

وجـاءَ «صلاح دسوقي الششتاوي» ــ سكرتيرُ مجلس الوزراء وقتَها، والمقرَّبُ من عبد الناصـر ــ للتحقيق، وخافَ الجنـودُ والضباطُ من المسؤوليـة ــ كما يـروي أحدُهم وهو الضابط محمد صبحي ــ ولكنَّ صلاحَ دسوقي قال لمدير السجن «سيِّد والي» مهنِّئاً له: أنـا قلت يـا أبو السيِّـد: «ما فيش شخص يقـدر يعملُ هـذا العمل العـظيم غيرَك، وليتَك خلَّصْتَنا من البقية».

وبكلمةِ صلاح دسوقي تحوَّلَ التحقيقُ وجهـةً أخرى، فبـدلَ أن ينظرُوا لـلإخوانِ باعتبارهم مجنيّاً عليهم، عاملوهم باعتبارهم جُناة، فعاقَبوهم!

وقـال ضابطُ المبـاحث «أحمد صـالح داوود» لأحـد الإخوان في السجن ــ بعـد المـذبحة: بـأن سببَها هـو أن الإخوانَ المسلمين بـالأردن، قد سـاعَـدوا على إفشـالِ انقلابٍ عسكري، قاده عميلُ عبد الناصـر «علي أبو نـوار» فعاقبَ عبـدُ الناصـر الإخوان في مصر، ورتَّبَ لهم هذه المذبحة في سجنِ طرَّة[1].

بعدَ هذا التلخيصِ الموجَزِ غايةَ الإيجـاز عن المذبحـة، نوردُ روايـةَ سيِّد قـطب لها:

«كان هناكَ ضابط اسمُه عبد الله ماهر، على علاقةٍ ظاهرةٍ بالخمسةِ الشبان اليهود المسجونين في حادثِ جاسوسية... ويحتفي بأختِ واحـدٍ منهم حفاوةً مكشوفة!

وبـدأ هذا الضـابطُ التحرشَ والاستفـزازَ للإخـوان بشكلٍ ظـاهر، ممـا أدّى شيئاً فشيئاً، إلى خَلْق جوٍّ مشحون بالتوتُّر بين إدارةِ الليمان وبين الإخوان.

واحتـكَّ ذلك الضـابطُ بمجموعـةٍ من الإخوانِ الشبـان المندفعين، وحصـل بينَـهُ وبينهم تماسُكٌ بالأيدي، انتهت المسألةُ بوضعهم في التأديب.

وظلتْ خطةُ الاستفزازِ وشحنِ الجو بالتوتُّر من جـانب عبد الله مـاهر، حتى جـاءَ

(١) انظر تفصيل المذبحة وشهادة شهودها في وثيقة جـابر رزق «مـذبحة الإخـوان في ليمـان طـرة». وانظر رواية الشهيد محمد يوسف هـواش لها في رسالته «مجزرة القرن العشرين».

يومٌ، علم الإخوانُ الذين يخرجونَ للجبل أن هناكَ خطةً لضربهم بالرَّصاص في الجبل، بحجةِ محاولتِهم التمرُّدَ أو الهرب، فرأَوْا ـ تفويتاً لهذه الخطة ـ أن يعتصِموا بالزنازين في اليوم التالي، ويطلُبوا حضورَ النيابة، لإخطارها بما وَصَلَ إلى أسماعهم، من تلك الخطة، التي تدبَّرُ لهم.

وهنا أُمرت الكتيبةُ بضربهم بالرصاصِ داخلَ عنابرهم، بل داخلَ الزنازين بالنسبةِ لعددٍ كبير منهم.

وقُتل ٢١، وجُرح حوالي ذلك...

إن هذا الإجراءَ الذي اتُّخذَ من إدارةِ السجن ـ وفي ظلِ ذلك الخيطِ المتسلسل من الحوادث ـ يدلُّ بوضوحٍ على أنها خطةُ مذبحةٍ متصلة، وراءَها يد مدبِّره! لا يهمني الآن تعيينُها!!

ولعله لم يكن من المصادَفات كذلك، أن يكونَ السيد صلاح دسوقي، هو المشرف على التحقيق في مذبحة طرة. وقد شاعَ بين الإخوان في ذلك الحين، أن التحقيقَ الذي تُجريه النيابةُ كان يتجهُ في أولِ الأمر إلى اعتبارهم مجنيّاً عليهم، وأنه بعدَ حضورِ السيد صلاح وحضورِ محقِّقٍ آخر، اتَّجَهَ التحقيقُ إلى اعتبارهم جناة...

وقد صرَّحَ سيِّد بأن مذبحةَ الإخوان في طرة ـ وما سبقها من محاولاتٍ من الحكومة لاستدراجِهم لقتلهم ـ جعلتْهُ يخرجُ بنتيجة: «ما تركَتْهُ هذه السلسلة من شعورٍ في نفسي عميق بأن حركةَ الإخوان المسلمين، مقصودٌ بالذات القضاءُ عليها، لصالحِ جهاتٍ أجنبية. وإنَّ شتّى التدبيراتِ تُتخَذ، وشتّى الوسائل، لتدمير أشخاصِها بالتعذيب، أو تذبيحهم، أو تخريبِ بيوتهم، للقضاءِ في النهاية على الاتجاهِ من أساسه!.»(١).

سيِّد يحاول حل لغز حادث المنشية

حادثُ المنشية هو الحادثُ الذي اتُّهم فيه الإخوان المسلمون بمحاولةِ اغتيال عبد الناصر، عندما نُسب لمحمود عبد اللطيف إطلاقُ الرصاص من مسدسه على

(١) لماذا أعدموني: ٢٣ ـ ٢٥ باختصار.

عبد الناصر، وهو يخطبُ في مبنى هيئة التحرير في المنشية بالإسكندرية، مساء ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤م. والذي أعقبهُ بطشُ عبد الناصر وتنكيله بالإخوان وتعذيبُهم.

لما استقرَّ بسيِّد قطب المقامُ في سجن طرَّة، صارَ يحاولُ حَلَّ لغْز حادثِ المنشية، ويفكرُ ويطيلُ التفكير، ويتساءلُ باستمرار، ويسألُ كلَّ مَنْ يقابله من الإخوانِ القياديّين في الجماعة، وفي التنظيم الخاص، ولم يخرجْ منهم بجوابٍ شافٍ مقنع، فالكلُّ لا يعرفُ حقيقةَ ما جرى.

وخرجَ سيِّد بنتيجة: إنَّ الحادثَ مفتعَلٌ مدبَّر، وإنَّ الإخوان ليسوا هم الذين حاوَلوا اغتيالَ الرئيس، وإنَّ هناك أيادي أجنبيَّةً وراءه، رَتَّبت الأمورَ حتى وصلت إلى ما وصلت إليه!!

وقد ربطَ سيِّد بين حادث المنشية وبين دورِ جمعيةِ الفلاح المصرية، ذاتِ العمالةِ الأمريكية، في توسيع شقةِ الخلاف بين الإخوانِ وعبد الناصر، منذ بداية الثورة.

يقولُ في تقريره عن الربطِ بين جمعيةِ الفلاح وبين حادث المنشية وعن محاولاته حلَّ اللغز: «منذُ أن وقعَ هذا الحادث، وأنا أشكُّ في تدبيره. لم أكنْ أعلمُ شيئاً يقينيّاً عن ذلك، ولكن كلُّ الظروف المحيطة، كانت تجعلُني أشكُّ في أنه ليس طبيعيّاً. كان شيءٌ ما يلحّ على تفكيري في أنه مدبَّر، لتكملةِ الخطة التي تنتهي بالتصادُم الضخم بين الثورة والإخوان، تحقيقاً لأهدافٍ أجنبية. أرجِّحُ ــ من استقراءِ الأحوال، ومن خطةِ الأستاذ فؤاد جلال وكيل جمعية الفلاح ــ أنها أمريكية!

وعندما كانَ السيد صلاح دسوقي يستجوبُني هنا في السجن الحربي عام ١٩٥٤م، صارحتْهُ برأيي في تدبير الحادث.. وقد انتفضَ وقتَها بشدة، وهو يقولُ لي: هل أنتَ كذلك ــ بكل ثقافتك ــ مِنَ الذين يقولون إنها تمثيلية؟!.

وقلت له: أنا لا أقولُ إنها تمثيلية، ولكني أقول: إنها مدبَّرة! لهدف معين، وإن أُصبعاً أجنبياً ذات دخْل فيها!

فقال لي وقتَها ــ وقد هدأ اضطرابُه ــ: جايز! ولكنَّ واحداً من الإخوان المسلمين هو الذي قامَ بالحادث!.

إنَّ شعوري وتقديري بأن حادثَ المنشية مدبَّر تدبيراً، جعلَ يملأُ نفسي رغبةً في معرفة الحقيقة!

غير أنني لم أجدْ أحَداً ممن التقيتُ بهم في سجن «طرة» عام ١٩٥٥م ــ وكانوا كثيرين قبلَ ترحيلِهم إلى الواحات ــ يدلُّني على هذه الحقيقة!

كلُّ مَنْ سألتُهم ــ ومنهم ناسٌ قريبون جدّاً من محمود عبد اللطيف، الذي انطلقت الرصاصاتُ من مسدَّسه، ومن هنداوي دوير كذلك ــ قالوا لي: المسألةُ غامضة «وموش عارفين الحكاية دي حصلت ازّاي» وبعضُهم قال: المسألةُ فيها سرٌّ لا يمكن الآن معرفتُه.. وكانت كلُ الأجوبة لا تملكُ أن تعطيني الحقيقة!!»[١].

وأحبُّ أن أُقرِّر هنا، أنه ثبتَ أن الحادثَ كان مدبَّراً، وأنَّ للمخابراتِ الأمريكية يداً في الحادث وتدبيره، وأنَّ لعبد الناصر وخاصةِ رجالِه يداً مباشِرة في هذا الحادث، وأنَّ الذي أطلق الرصاصَ ليس محمود عبد اللطيف بل أحدُ ضباط الشرطة، بترتيبٍ من رجال عبد الناصر! وأنَّ المقصودَ من كلِّ هذا البطشُ بالإخوان المسلمين، وضربُهم، والقضاءُ على دعوتهم. وأن هناك اتفَاقٌ بين عبدِ الناصر والمخابرات الأمريكية، على ضرْبِ الإخوان، وعلى تجميدِ حالةِ الحرب بينَه وبين إسرائيل لعشر سنوات ــ كما صرَّح بذلك السفيرُ الأمريكي في السعودية للسفيرِ السوري في السعودية وقتَها الأخ عمر بهاء الدين الأميري ــ[٢]!!

وقد وضحت الحقيقةُ بعد أن صارَ الصامتون يتكلَّمون. فقد صرَّح بهذه الحقيقة محمد نجيب، وحسن التهامي، وقادة الإخوان من أمثال صلاح شادي ومحمد حامد أبو النصر.

وقد جلَّى هذه الحقيقةَ بالإثباتاتِ والشهودِ والرواياتِ والتحقيقاتِ والمقابلاتِ، الأستاذ أحمد رائف في كتابه الوثيقة «سراديب الشيطان: صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين» الذي طبعه مؤخَّراً[٣].

---

(١) لماذا أعدموني: ١٤ ــ ١٥.

(٢) انظر وثيقة عمر الأميري في مجلة المجتمع عدد: ٧٥٨.

(٣) انظر كتاب أحمد رائف «سراديب الشيطان» الفصول من السادس حتى العاشر.

سيِّد في مستشفى سجن «طرة»

تضاعفتْ أمراضُ سيِّد قطب الجسمية، وكثيرٌ منها رافقَه منذُ شبابه قبل دخوله السجن، لكنَّ جوَّ السجن وبيئتَه ساعدا على تفاعُلِها وتضاعُفِها، وبعضُها أمراضٌ جديدة استوطنتْ جسمَه بسببِ طبيعةِ السجن وجوِّه.

وأمامَ تدهوُر حالتِه الصحية، كان لا بدَّ أن يُنقلَ إلى المستشفى، وبما أنه محكومٌ عليه بالسجن خمسة عشر عاماً، فقد رتَّبوا له وضعاً خاصاً استثنائيّاً، وهو أن يقيمَ في مستشفى سجن «طرة» أو مصحةِ طرّة كما يسمّيها سيِّد ــ وهو ليس مستشفى بالمعنى المعروف، ولكنه بناءٌ متواضع، داخلَ السورِ الكبيرِ المحيطِ بالسجن ــ .

وقد قدَّر اللَّهُ لسيد أن يَعيش في مستشفى السجن حوالي تسع سنوات.

إنَّ سيد في مستشفى السجن يَقضي مدة «محكوميَّته» ولذلك لم يتعرَّضْ فيه إلى تعذيب ــ لأن تعذيبَه البدنيَّ توقَّفَ بعد محاكمتِه والحكمِ عليه ــ . ووجودُه في المستشفى أحسنُ من وجودِه في العنابر والزنازين.

وقد كان السَّجّانون يحترمون سيِّد، لأنه بشخصيتِه وحياتِه وسلوكِه قد أَجبرهم ــ نفسيّاً ــ على احترامِه وتقديره. ولهذا كانوا يخفِّفون الرقابةَ عنه، ويتسامَحون في معاملته، فكان عندَه بعضُ الكتب والمراجع. ومن مستشفى السجن ألَّف كتباً إسلامية ناضجة، خرجَتْ أصولُها من السجن إلى المطبعة![1].

وجاءتْ عليه فترة، لم يكن بالسجن في طرة، ولا في مستشفاه إلَّا هو، واثنان من الإخوانِ المرضى، لأن باقي الإخوان نُقلوا إلى سجن الواحات وسجن القناطر وغيرهما: «وبعدَ مذبحة طرّة، لم يَعُدْ في الليمان أحدُ من الإخوان معي، إلَّا الأخ محمد يوسف هواش، والأخ محمد زهدي سلمان. وهذا الأخيرُ ــ بحكم ثقافته المحدودة ــ لا يتمكَّن من المشاركة في أيِّ تفكير من هذا النوع. فلم يبقَ معي إلَّا هوّاش»[2].

---

(١) انظر سيِّد قطب، لعادل حمودة: ١٣١.

(٢) لماذا أعدموني: ٢٧.

من أمراض سيِّد قطب

بمناسبةِ حديثِنا عن إقامةِ سيِّد في مستشفى سجن طرّة، بسبب أمراضه، نتوقَّفُ لنشيرَ إلى أهمّ هذه الأمراض:

هناك أمراضٌ استقرَّتْ في جسمه النّاحلِ منذ طفولته. منها أمراضٌ في معدتِه وأمعائِه.

ومنها أمراضٌ في رئتيْه، التي كانت تسبِّبُ له آلاماً حادة، في جهازه التنفُّسي، وتجعلُه طريحَ الفراش أياماً وأسابيع، يمنعُه الطبيبُ خلالها من الحركة، أو القيامِ بأيِّ مجهودٍ عضلي أو ذهني.

وهذا مثالٌ على أمراضِ جهازِه التنفُّسي، أخبرَنا به لمّا كان في الأربعين من عمره: «إلى الإسكندرية... لا بدَّ من تغييرِ الهواء في هذا العام... فها هي ذي أعصابي تعلنُ الثورة، وتعلنُها وتعلنها، ثم تملُّ من هذا الإعلان، فتُضربُ إضراباً تاماً وتنام!.. وها هو ذا الطبيب، والطبيب، والطبيب، لا يجدونَ في جعبتهم ـ بعد أن أتناوَلَ نصفَ ما في صيدلية حلوان من الأدوية: حَقْناً وتجرُّعاً وبلْعاً ـ إلاّ أَنْ يقولوا: غيِّرِ الهواء!..»(١).

ولما اعتُقل في نهاية عام ١٩٥٤م عُذِّب تعذيباً رهيباً بشعاً، ضاعفَ في أمراضِ رئتيْه وباقي جسمه، قال عنه محمد قطب «تعرَّضَ الأخُ سيِّد في اعتقالِه الأول لتعذيبٍ شديدٍ جداً. سبَّبَ إصابتَه بنزيفٍ رئويٍ شديد، مما اضطرَّ السلطاتِ إلى تأجيلِ محاكمته شهريْن كامليْن، وقد ذكرت الصحفُ المصريةُ ذلك، ثم حوكمَ محاكمةً سرية لم يحضرْها أحد»(٢).

وبعدَ حوالي خمسِ سنوات من إقامتِه في مستشفى سجن طرّة، تضاعَفَتْ أمراضُه، وساءَتْ حالتُه الصحية، بل تدهورت.

---

(١) الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٨١. تاريخ ٢٢ يوليو ١٩٤٦م. صفحة: ٧٩٦.

(٢) مجلة الغرباء. السنة الرابعة عشرة. العدد الثالث. سبتمبر ١٩٧٥م. صفحة: ١١.

يقـول عادل حمـودة عن أمراضِـه في هذه المـرحلة: «في نهـايـةِ سنـة ١٩٦٠م، ساءتْ حالةُ سيِّد قطب الصحية إلى حدٍّ كبير.

لم تكن إمكاناتُ العلاج في مستشفى ليمان طرة تناسب أمراضَه، ولم تكن قادرةً على وقْفِ تـدهْوُر صحتـه... فالـرئـةُ تتعـرضُ لحـالاتٍ من النـزيف المفـاجىء... والمَعِدةُ والأمعاءُ تتعرضُ لنوبات لا تتوقفُ من التقلُّصات... والقلبُ بدأَ يضـاعف من ضرباته إلى أَنْ وصل لمرحلةِ الأزمة...

وكـانَ أَنْ بُـذلتْ محـاولاتٌ عـديـدة من خـارج السجن، لنقلِه إلى مستشفى متخصِّصٍ للعلاج... لكنَّ كل هذه المحاولات لم يُكتبْ لها النجاح.

وكان ـ بعد حدٍ من التدهور ـ أَنْ قررت اللجنةُ الطبيةُ العليا لمصلحة السجون، نقلَه إلى مستشفى «المنيل» الجامعي...

وفي هـذا المستشفى، كشفت الأجهزةُ الـطبية الحـديثة، أنـه يقتـربُ من حـالـةِ «الـذبحة الصدرية».

وبعد ستةِ أشهر قَضاها في مستشفى المنيلِ الجـامعي، عادَ إلى مستشفى ليمـان طـرة.. وفي العامِ التـالي تدهـورتْ صحتُه من جـديد، فعـادَ إلى مستشفى «المنيـل» الجـامعي مرةً أخـرى، لمدةِ ستـةِ شهور أخـرى... رجعَ بعـدَهـا إلى مستشفى سجن طرة...»[1].

«وفي سنة ١٩٦٤م تعرَّض سيِّد قطب لانهيارٍ حادٍّ جديد في صحته، استدعىٰ نقلَه مرةً ثالثة إلى مستشفى «المنيل» الجامعي...

لكنه هذه المرة لم يُنقَل، لأنه أُفرجَ عنه إفراجاً صحيّاً...»[2].

خرجَ سيِّد من سجنه بعفوٍ صحي، بعد إصابتِه بـالذبـحة الصدرية، مع قائمـةٍ من الأمراضِ الأخرى في الكِلى والمعدةِ والأمعاء.

---

(١) سيِّد قطب، لحمودة: ١٥٩.

(٢) المرجع السابق: ٦٠، ولمـاذا أعدموني: ٨٤ ـ ٨٥.

وقـد أشارَ سيِّـد في تقريـرِه إلى شيءٍ من ذلك، حيث قـال: «وكنتُ قد خـرجتُ بعفوٍ صحي، بعد سـوءِ حالـةِ الذبحـة الصدريـة التي أُصبْتُ بها في السجن، مـع بقيةِ أمراضي الأخرى. . .»[1].

عـولِجَ سيِّـد ـ بعد الإفـراج عنـه ـ من أمـراضِـه عنـدَ أطبـاء مختصين، ولكنـه لم يشفَ منها.

وسيقَ إلى التعذيبِ الرهيب، بعد شهورٍ من الإفـراج عنه، وتضـاعفَتْ أمراضُـه، بمضـاعفةِ تعذيبه وقسوتِه وشدَّتِه، واستغلَّ المجرمون الجلاّدون أمراضَه لـزيادةِ تعـذيبه وإيلامه!

يـروي جابر رزق عن جرائمِهم اللاإنسانية معه:

«كان قد بلغَ الستِّين من عمره. . . ومصابٌ بالـذبحة الصدرية. . . بالإضافة إلى مرض الكِلى. . . وأمراضِ المعدة. . .

ولكن لم تشفعْ له سنُّه. . . ولم يشفعْ لـه مرضُـه. . . بل استغلّوا هـذه الأمراضَ جميعاً في نوع التعذيبِ الذي تعرَّض له. . .

لقد ربطوه في كرسي لمدةِ أربعةِ أيام، حرَموهُ فيها من الطعام والشراب، وحرَموه حتّى من الماء. . وكانوا يَسْكُبون الماءَ أمامَـه. . ومعروفٌ أن مـريضَ الكِلى يحتاجُ إلى كميّـاتٍ كبيرةٍ من المـاء. . ولقدْ وصـلَ الأمرُ بـالشهيدِ سيِّـد قطب أنـه أوشكَ أن يَفقـدَ بصره. .»[2].

ونظراً لتدهورِ حالتِه الصحية، فـإنهم وضَعوه ـ في الاعتقـال الثاني ـ في زنـزانةٍ غيرِ مغلقة ببـاب، ليصلَ إليـه الهواء. ، ولكنهم وضعـوا على الباب «بـطانية» لئـلاَّ يَرى أحداً، أو يراه أحد.

ورغمَ إصابتِه بالذبحـة الصدريـة الخطيـرة، إلاَّ أَنَّهم كانـوا يأمـرونَه بـالجري في عنابرِ السجن، والسياطُ تهوي منهم على ظهره. .

---

(١) لماذا أعدموني: ٣٧.

(٢) مذابح الإخوان المسلمون في سجون ناصر، لجابر رزق: ١١٤.

تروي زينب الغزالي عن هذا فتقول: «كان طبيبُ السجن ــ لخطورةِ مرض الشهيد سيِّد ــ قد نبَّهَ على الحرّاس، أنه إذا طُلبَ إلى المكاتب للتحقيق، فيتركوه يمشي على راحتِه لمرضِه.. ولكنَّ الجلادَيْن صفوت الروبي وحمزة البسيوني، أمرا الحرّاس أن يُحضروا سيِّد قطب بالخطوة السريعة!! ودفعَ الحراسُ الشهيدَ أمامَهم، وأخذوا يضربونَه بالكرباجِ على الأرض، حتى يضطروه للإسراع.. فجاءتْه أزمةٌ قلبية، استْدعيَ بسببها الطبيب، الذي ساءَلَ الحراس، فأخبروه بأنَّ صفوت الروبي وحمزة البسيوني أمراهم بذلك.. حدَثَ ذلك وأنا في زنزانتي أسمعُ الحوار..»[1].

ولم تمنعْ أمراضُ سيِّد الكثيرة جلّاديه من الحكمِ عليه بالإعدام، ومن تنفيذِ ذلك الحكمِ به!.

والأمرُ العجيبُ حقاً هو أن عمرَ سيِّد المتقدِّم، وجسمَه المريض، وصحتَه المتدهورة، لم تمنعْه من العملِ والحركةِ والدعوة والجهاد، فقادَ تنظيمَ الإخوانِ المسلمين وخطَّط له، وأشرفَ عليه!

كما أن صحةَ سيِّد المتدهورة لم تكن أداةَ ضغطٍ عليه من قِبلِ الطغاةِ الجلّادين، حيث واجَهَهُم بصبرٍ وصلابةٍ وشجاعة، فثبتَ على دعوته، واستعلى على آلامه وأمراضِه، وآثَرَ ما عند ربه، وثبتَ ثباتَ الرجال، وماتَ ميتة الأبطال! وصدقَ فيه قول الشاعر:

وَإذا كانَتِ النُّفوسُ كِباراً ... تَعِبَتْ في مُرادِها الأَجْسادُ

شخصية سيِّد في سجنه

وهبَ اللَّهُ سيِّد قطب شخصيةً قويةً مؤثِّرة، حيث كان يفرضُ احترامَه وتقديرَه على الآخرين، لما يجدونَه عنده من صفاتٍ وسمات.

وقد كان سيِّد في سجنه موضعَ احترامِ المسجونين ــ من الإخوانِ وغيرِهم ــ حتى إنَّ المسجونين العاديّين كانوا يقدِّرونه ويستشيرونَه، ويَقْبَلون رأيَه وحكمه!

(١) المرجع السابق: ١١٦.

وإذا وقعتْ مشكلةٌ في السجن بين المسجونين العاديين، كـانوا يقبلون الاحتكـامَ إلى سيِّد، ويرضونَ حكمه.

كذلك كان السجّانون يحترمـون سيِّد ويقـدِّرونه، ولـذلك كـانوا يتسـامَحون معـه أحياناً، ولا يُطبِّقون عليـه تعليماتِ ولوائح السجون بدقة وشدة.

وقد كانَ مديرُ السجن وطبيبُه يحبّان سيِّد، ولهذا عامَلاه معـاملةً حسنة، ووفَّـرا له ما يمكنُهما من أسبابِ الراحة.

وكان حولَه إخوانٌ يخدمونه، ويعملونَ على راحته.

كان سيِّد يعـامِلُ مَنْ معـه في السجن ـ ولو كـانوا سجَّـانين ـ بأخـلاقٍ إسلاميـة عظيمة، فمَلَكَ قلوبَهم، ولجأوا إليه كثيراً.

لقـد أطلقوا على سيِّـد لقبَ «قاضي السجن» بـل لقد قـال «الحلواني» ـ مـديـرُ السجن ـ: «إن المديرَ الفعليَّ للسجن هو سيِّد قطب!»[1].

يقـررُ هذه الحقيقـةَ الأخُ عبد الحليم خفـاجي، ويقول: إنـه لمّـا تقـرَّر تـرحيـلُ الإخوان المسجونين من سجن طرة إلى سجن الواحات عام ١٩٥٥م: «جاءَ سيِّد قـطب ليتعرفَ علينا، وليودِّعَنا بقامتِه الفارعة، وهـامَتِه الشـامخة، ومـلامِحِه الجـادّة الراضيـة، ونظراته الودودة النافذة.

وظنّي أن حضورَه إلينا هو الاستثناءُ الـوحيدُ من قـاعدة «التَّسليـك» ـ أي الدفـع للسّجـانين ـ لمـا يحْـظى بـه من احتـرامٍ وحبِّ جميعِ المسجـونين والسجـانـةِ على السواء»[2].

عامل سيِّد إخوانَـه المسجونين بكـرمٍ بالـغ، فعندمـا كان أهلُه يـزورونه، كـانوا يكرمونَه بدجاجةٍ أو «وزة» مشـويَّةٍ محمَّـرةٍ، ملفوفـةٍ بالأوراق، فكـان يتناولُهـا بيده كمـا هي، لم يفتحْها ولم يذقْ طعمَها، ويقفُ على شُرفة الدور، وينـادي إخوانَـه في الطابق الأسفل، ويعطيهم تلك الهدية ليتقاسموها فيما بينهم!

---

(١) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب.

(٢) عندما غابت الشمس، لخفاجي: ٢١٠.

وعندما أُدخلَ سيِّد الزنزانة عام ١٩٥٤م، كان شريكُه فيها الأخ «مصطفى العالم» وقد أصيبَ مصطفى العالم في الزنزانة بانفصالٍ غضرومي، والوسيلةُ الوحيدة لعلاجه هي أن يبقى مستلقياً على ظهره مدَّةً لا تقلُّ عن ستة أشهر. وفي هذه الفترة كان سيِّد قطب يقومُ على خدمةِ أخيه، ويُطيِّبُ خاطرَه لئلا يتضايق ــ كما يروي مصطفى العالم نفسُه ــ(١).

وشملَ كرمُه في سجنه الحيوانات، ويروون أنه كان عنده في السجن قطٌّ عجوز، وكان سيِّد يطعمُه ويعتني به، ولما سئِلَ عن سرِّ اهتمامِه به ــ وهو عجوز ذو منظرٍ منفِّر ــ قال: لا يليقُ بنا أن نأخذَ شبابَه ثم لا نرحمُه في شيخوختِه!!

سيِّد يؤلف الكتب في سجنه

كان سيِّد في سجنِه ظاهرةً عجيبةً حقاً، فهو لم ينزوِ على نفسه، ولم تشغلْه همومُه ومتاعبُه وأمراضُه وآلامُه، ولم يجلس وحدَه قلقاً بائساً معذَّباً!

لقد استعلى على كلِّ ما يواجهه بإيمانِه، وصبرَ على ذلك البلاء، ورضي بذلك القضاء!

لقد جمعَ في سجنه بين التأمل والتدبُّر، والبحث والتفكير والعمل والدعوة.

صار في سجنه يكتبُ الكتب، ويُعدُّ الأبحاث الجادة، وقد أصدرَ من سجنه أهمَّ كتبه، وأكثرَها جدِّيّة وحركيّة والتزاماً ومنهجية، بها صارَ رائدَ الفكر الإسلامي المعاصر.

أصدرَ من سجنه الكتبَ التالية: أكملَ تفسيرَه «في ظلال القرآن»، ثم أَعادَه في طبعته المنقَّحة، حيثُ وصلَ في تنقيحه إلى الجزء الثالث عشر. وكتاب هذا الدين، والمستقبل لهذا الدين، والإسلام ومشكلات الحضارة، وخصائص التصور الإسلامي، ومقومات التصور الإسلامي، ومعالم في الطريق.

لقد قدَّر اللَّهُ لفكر سيِّد أن ينتشر، فيسَّر له أسبابَ ذلك الانتشار، وذلَّلَ لذلك العقبات، وهيأ له الطرق.

ومن هذه الوسائل التي هيَّأَها اللَّهُ سبحانه: أن سيِّد كان ــ قبل سجنه ــ قد تعاقَد

(١) مجلة الشهاب. السنة السادسة. العدد التاسع. أيلول ١٩٧٢م. صفحة: ٨.

مع «دار إحياء الكتب العربية» على نشرِ الظلال، بحيثُ يقدِّمُ لها كلَّ شهريْن جـزءاً من الظلال. فلما سُجن سيِّد عجزَ عن ذلك، وكان قد أصدرَ ثمانيةَ عشر جزءاً من الظلال.

فرفعت الدارُ الناشرةُ دعوى على الحكومة تطالبُها بدفعِ تعويضٍ لها بقيمة عشرةِ آلاف جنيه، لأنها تضررَتْ من ذلك. وآثرت الحكومةُ السماحَ لسيِّد بإكمال الظلال في السجن، وعيَّنت الشيخَ محمد الغزالي رقيباً دينيّاً على الظلال، يقرأُه قبل طباعته!.

واستغلَّت الحكومةُ سماحَها لسيِّد بالكتابة والنشـر، لنفيِ ما كـان ينشرُه الإخـوان المسلمـون ــ في الداخـل والخارج ــ عن التعـذيبِ الرهيبِ الـذي يـواجهُـه الإخـوان المسجونون!.

وقد ذكرَ لي الأستاذُ محمد قطب واقعةً عجيبـة عن ذلك. قـال: زارَ عبدُ النـاصر باكستان في الخمسينيّات ــ وسيِّد نزيلُ سجن طرّة ــ وجاءه علماءُ باكستان يلومونه على سجن المفكِّر الإسلامي سيِّد قطب، ويطالبونَه برفْـعِ التعذيب عنـه، وإطلاق سـراحه! فأنكرَ عبدُ الناصر تعذيبَ سيِّد، ونفى أن يكونَ في السجن، وأخبرَهُمْ أن سيِّد في بيته، يتمتـعُ بكامـل حريَّتـه! بدليـل أنـه يَـطبـعُ كتبَـه الإسـلامية في القـاهـرة، وتصلُهم في باكستان!! فلا يُعقلُ أن يَنشرَ كتُباً لو كان سَجيناً!!!.

وصـدَّق بعضُهم افتراءات عبـد الناصـر، لكنَّ أحدَهم أرادَ أن يستـوثق من صحةِ كلام الرئيس عبد الناصر، فبعثَ برقيةً إلى شقيقِه محمد قطب يسأل عن سيِّد، وهل هو في السجن أو في بيته؟!! وكان محمد عاجزاً عن الردِّ عليها ــ كما أخبرني ــ!!!.

وأوصت الحكومةُ دبلوماسيِّيها في الخـارج باتبـاعِ طريقـةِ الرئيس عبـد الناصـر، عندما يُسألون عن سيِّد!!!

كان عندَه في السجن بعضُ الكتب القديمة والحديثة كمراجع، بعضُها من مكتبة السجن الـرسميّة، وبعضُهـا يُحضرُهـا له أهلُه عنـدما يـزورونَه، وكـان يوصي الإخـوان المَسـاجين بقراءةِ بعض هـذه الكتب «أَفتحُ لـه نافـذةً للتفكير من جـديد، والقـراءة في الكتب التي تساعدُه على هذا التصوّر، والتي كنتُ أسمّي له عدداً منهـا، وبعضُها كـان عندي في الليمان، ومن مكتبتِه..»[1].

---

(١) لماذا أعدموني: ٣٣.

إشارات لسيِّد في الظلال عن حياته في السجن

حياةُ السجن قاسيةٌ صعبةٌ بلا شك، وبخاصةٍ لمن كان مسجوناً ظلماً، وكان يلاقي فيه الإيذاء والتعذيب!!

ولكنَّ سيِّد قطب عرف كيفَ يستفيدُ من حياته في السجن، وكيف يعيشُها ويتعاملُ معها، وكيف يجعلُها وسيلةً لزيادةِ إيمانه وعلمه.

لقد جعلَ من سجنه «خَلوةً» يخلو فيها إلى القرآن، فيتلوه ويتدبَّرُه، ويفهمُ معانيه، ويعيشُ في ظلاله.

ومن سجنِه ألَّف تفسيرَه الرائدَ «في ظلال القرآن»، الذي عاشَه بكلِّ كيانِه ــ كما يقولُ الأستاذ محمد قطب ــ لفظةً لفظة، وجملةً جملة، وفكرةً فكرة..

عاشَ في سجنه نعمةَ الحياة في ظلال القرآن، وعبَّرَ عنها في مقدِّمة الظلال بقوله: «الحياةُ في ظلال القرآن نعمة. نعمةٌ لا يعرفُها إلا مَنْ ذاقَها.. نعمةٌ ترفعُ العمر وتباركُه وتزكِّيه..

والحمدُ لله.. لقد مَنَّ الله عليَّ بالحياةِ في ظلال القرآن، فترةً من الزمان. ذُقتُ فيها من نعمتِه ما لم أَذُقْ قطُّ في حياتي. وذقْتُ فيها هذه النعمة التي ترفعُ العمر وتباركُه وتزكِّيه..»[1].

صحيحٌ أنه كان في سجنه وحيداً، معزولاً عن الناس، ممنوعاً من الاتصالِ بالخارج، لكنه لم يكن وحيداً في الحقيقة، لم يكن حزيناً مع آلامِه وهمومِه، لم يكن مصاباً بالعُقَدِ النفسية، والأمراضِ العصبية ــ كما يريدُ بعضُهم أن يوهم الناس، ويزعمُ أنَّ نَتاجَه الفكريَّ في الظلال وغيره، هو نتاجُ هذيانٍ وعُقَدٍ وتشنُّجات ــ لكنه كان في سجنه في قمةِ السعادة والأُنسِ والطمأنينة، لأنه كان مع القرآن، يصاحبُ سورَ القرآن، ويعيشُ معها: «هكذا عدتُ أتصوَّرُ سورَ القرآن، وهكذا عدْتُ أُحِسُّها، وهكذا عدْتُ أَتَعامَلُ معها. بعد طولِ الصحبة، وطولِ الأُلفة، وطول التعامل مَع كلٍّ منها، وِفْقَ طِباعه واتجاهاتِه، وملامِحه وسماتِه!

---

(١) الظلال ١: ١١ المقدمة.

وأنا أجِدُ في سورِ القرآن ـ تَبعاً لهذا ـ وَفْـرَةً بسبب تنوُّع النمـاذج، وأُنْساً بسببِ التعـامل الشخصي الـوثيق، ومَتاعـاً بسببِ اختلافِ المـلامح والـطِّبـاع، والاتجـاهـاتِ والمطالع!

إنَّها أصدقـاء.. كلُّها صـديق.. كلُّها أليف.. وكلُّهـا حبيب.. وكلُّها ممتـع.. وكلُّها يجدُ القلبُ عندَه ألْواناً من الاهتماماتِ طريفة، وألواناً من المتاعِ جديدة، وألواناً من الإيقاعات، وألوانـاً من المؤثِّرات، تجعلُ لها مَذاقاً خاصاً، وجوّاً متفرِّداً..

ومصاحبةُ السورة من أوَّلها إلى آخرها رحلة.. رحلةٌ في عوالمَ ومشاهـد، ورؤى وحقـائق، وتقريـراتٍ وموحيـات، وغـوْصٌ في أعمـاقِ النفـوس، واستجـلاءٌ لمشـاهـدِ الوجود..»[1].

أشارَ سيِّد في الظلال أحياناً، إلى حياتِه في السجن:

(أ) **نعاسه في لحظة ضيق:**

لما فسَّرَ قوله تعالى: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ**﴾ [سورة الأنفال: آيـة ١١]، تكلَّم عن كونِ «النعاس» جنديّاً من الله للمسلمين في معركةِ بدر، وأثرِه في بثِّ الأمـان والطمأنينة في نفوسهم.

ثم أشـارَ إلى أثرِ النعـاسِ عليه في سجنـه، فقـال: «ولقـد كنتُ أمـرُّ على هـذه الآيات، وأقرأُ أخبار هذا النعاس. فأدركُـه كحادثٍ وقـع، يعلـمُ الله سرَّه، ويحكي لنـا خبرَه..

ثم إذا بـي أقـعُ في شدّة، وتمـرُّ عليَّ لحظاتٌ من الضيقِ المكتـوم، والتـوجُّسِ القلق، في سـاعـةِ غـروب.. ثم تـدركُني سنـةٌ من النـوم، لا تتعـدّى بضْـعَ دقـائق.. وأَصحو إنساناً جديداً غيرَ الذي كان.. سـاكنَ النفس، مطمئنَّ القلْب.. مستغـرقاً في الطمأنينـة الواثقـة العميقة.. كيف تمَّ هـذا؟ كيف وقعَ هـذا التحولُ المفـاجىء؟ لستُ أدري! ولكني بعدَها أُدركُ قصةَ بدر وأحد..»[2].

---

(١) الظلال ٣: ١٢٤٣.

(٢) الظلال ٣: ١٤٨٤.

(ب) **شعوره بقيمة الشمس بعد طول حجبه عنها:**

تكلَّم في تفسيرِ قوله تعالى: ﴿**وَقَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُور**﴾ [سورة سبأ: آية ١٣] عن نسيانِ كثيرٍ من الناس وغفلتِهم عن نعمِ الله عليهم، وعدمِ مقابلتها بالشكر..

ثم أشارَ إلى حادثةٍ جرتْ له ولإخوانه، عندما كانوا محرومين من أشعةِ الشمسِ في السجون: «وكنّا مرةً طويلةً محرومين من رؤيةِ الشمس، وكان شعاعٌ منها لا يتجاوزُ حجمُه حجمَ القرش، ينفذُ إلينا أحياناً. وإنَّ أحدَنا ليقفُ أمامَ هذا الشعاع، يمرِّرُه على وجههِ ويديهِ وصدرهِ وظهرِه وبطنِه وقدميه ما استطاع! ثم يُخَلّي مكانَه لأخيه ينالُ من هذه النعمةِ ما نال!!

ولستُ أَنسى أولَ يوم بعدَ ذلك وجدْنا فيه الشمس. لستُ أنسى الفرصةَ الغامرة، والنشوةَ الظاهرة، على وجْهِ أحدِنا، وفي جَوارِحِهِ كلِّها، وهو يقول في نغمةٍ عميقةٍ مديدة.. «الله! هذه هي الشمس! شمسُ ربّنا. وما تزال تطلع!! الحمد لله!!».

«فكَمْ نبعثرُ في كلِّ يومٍ من هذه الأشعةِ المحيية، ونحن نستحمُّ في الضوء والدفء. ونَسبَحُ ونغرقُ في نعمةِ الله؟ وكمْ نشكرُ هذا الفيض الغامر المتاح، المباح من غير ثمن ولا كدٍّ ولا معاناة.؟!..»[(١)].

(ح) **رحمة الله له تغيِّرُ نظرتَه لما حوله:**

عاش في سجنِه ومحنتِه في ظلالِ رحمةِ الله، وتذوَّقَ عملياً قولَه تعالى: ﴿**ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها، وما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِه**﴾. [سورة فاطر: آية ٢].

وأخبرَنا عن أثرِ رحمةِ الله عليه في تغييرِ نظْرتِه لما حوله: «ويبقى أَنْ أتوجَّهَ أنا بالحمدِ لله، على رحمةٍ منه خاصة، عرفْتُها منه في هذه الآية.

لقد واجهَتْني هذه اللحظة، وأنا في عُسْرٍ وجُهْدٍ وضيقٍ ومشقة، واجهَتني في لحظةِ جفافٍ روحي، وشقاءٍ نفسي، وضيقٍ بضائقة، وعسْرٍ من مشقة... واجهتني في ذاتِ اللحظة. ويسَّرَ اللَّهُ لي أن أَطَّلعَ منها على حقيقتها. وأن تسكبَ حقيقتَها في

---

(١) الظلال ٥: ٢٨٩٩.

روحي، كأنما هي رحيقٌ أرشفُه وأحسُّ سريانَه ودبيبَه في كياني. حقيقةٌ أذوقُها لا معنى أدركه. فكانتْ رحمةً بذاتها، تقدِّم نفسَها لي تفسيراً واقعياً لحقيقة الآية، التي تفتَّحَتْ لي تفتُّحَها هذا. وقد قرأْتُها من قبل كثيراً. ومررْتُ بها من قبلُ كثيراً. ولكنها اللحظةَ تسكبُ رحيقَها، وتحقِّقُ معناها، وتنزلُ بحقيقتِها المجرَّدة، وتقول: هأنذا.. نموذجاً من رحمةِ الله حين يفتحُها، فانظرْ كيفَ تكون!

إنه لم يتغيَّرْ شيءٌ مما حولي. ولكن لقد تغيَّرَ شيء في حسّي! إنها نعمةٌ ضخمة..»[1].

الإفراج عن سيِّد بوساطة عبد السلام عارف

في عام ١٩٦٤م، أصيبَ سيِّد بذبحةٍ صدرية حادَّة، وتدهورتْ حالتُه الصحية إلى درجة خطيرة، بحيث أصبحتْ حياتُه في السجن في خطر كبير، فإذا بقي فيه يُخْشى أن يَموت!.

وقد أمضى عام ١٩٦٤م أكثرَ من تسع سنوات في السجن، وبقي من مدةِ الحكْم حوالي ستِّ سنوات!

ورأت الحكومةُ أن تفرجَ عنه بعفوٍ صحي.

وفي هذا الوقت اتصلَ الإخوان المسلمون في العراق بالرئيس العراقي «عبد السلام عارف» ـ وكان مقرَّباً من عبد الناصر، وكلمتُه غالباً مقبولةٌ عنده ـ فطلبوا منه أن يقومَ بعملٍ طيب، يحفظُه له التاريخ، ويأجرُه الله عليه ـ كما أخبرني أحدُ الإخوان العراقيين ـ وهو أن يتوسَّط لدى عبد الناصر للإفراج عن سيِّد قطب، وإطلاقِ سراحه.

وطلب نفسَ الطلب من الرئيس عبد السلام عارف علماءُ العراق، وعلى رأسهم العلّامة المجاهد «أمجد الزهاوي».

ووافقَ عبدُ السلام عارف على القيام بالوساطة، ونجحتْ. وعن هذه الوساطة يقول سيِّد قطب: «تحدَّثَ فضيلةُ الأستاذ أمجد الزهاوي بشأني، مع سيادةِ الرئيس

---

(١) الظلال ٥: ٢٩٢٤.

عبد السلام عارف. ووجدَ عندَه كلَّ استعدادٍ للتوسط لدى عبد الناصر، بل إنه فكَّر في ذلك من نفسه. فقدْ كانَ كتابي «في ظلال القرآن» هو أنيسُه في فترةِ اعتقالِه أيامَ عبد الكريم قاسم!

وبالفعل قامَ بهذه الوساطة. ونجحتْ والحمد لله.».

وأُفرجَ عن سيِّد قطب بعفو صحي في مايو ــ أيار ــ ١٩٦٤م.

وبعدَ الإفراجِ عنه كلَّفَ عبدُ السلام عارف السفيرَ العراقي في القاهرة بزيارةِ سيِّد قطب في بيته، وإبلاغِه تحياتِ الرئيس عارف، وفرحَه بنجاحِ وساطتِه، وإطلاق سراح سيِّد، واستعدادَه لتلبيةِ كل ما يطلبُه منه سيِّد.

شكرَ سيِّدُ الرئيسَ العراقي على مساعيه، وقال للسفير: «إنه ليسَ لي طلبات، سوى أنه إذا رأى سيادتُه أن يواصِلَ مساعيه الحميدة لإنهاءِ قضيةِ الإخوان بجملتها، فلعلَّ اللَّهَ أن يوفقه إلى ذلك!».

وأثناءَ انعقادِ مؤتمرِ القمة العربي الأوَّل في القاهرة عام ١٩٦٤م، قَدِم عبدُ السلام عارف للقاهرة، وبعثَ لسيِّد هديةً مع السفير العراقي، فردَّ عليه سيِّد ببرقية شكر، وجلَّدَ له كتبَهُ كلَّها تجليداً فاخراً، وبعثها هدية له[١].

وبعد فترةٍ أصبحَ السفيرُ العراقي في القاهرة وزيراً للتربية والتعليم في العراق، فزارَ سيِّد في القاهرة، وعرضَ عليه وظيفةً في العراق ــ وهي أن يعملَ هناك خبيراً في التربية والتعليم ومناهجِهما ــ وأخبره أنه سيكونُ في العراق محلَّ حفاوةٍ وتقديرٍ وتكريم.

ولكن سيِّد اعتذرَ عن قبول المنصب، وبيَّن للوزيرِ أن مكانَه الطبيعيَّ هو في مصر، لأنه يقوم بواجبه فيها![٢]..

* * *

(١) انظر رواية سيِّد، لجهود عبد السلام عارف في «لماذا أعدموني»: ٧٢ ــ ٧٤.

(٢) سيِّد قطب، لعادل حمودة: ١٦١.

الخامس
سيِّد قطب قائد التنظيم الإخواني الجديد

محاولات لتجميع الإخوان المسلمين

لم يستسلم الإخوانُ المسلمون لحلِّ الجماعة عام ١٩٥٤م، ولم يعتبروها منحلةً لمجردِ إغلاق شُعَبها، واعتقال قادتها. بل اعتبروا الجماعةَ موجودة في عالم الواقع، وأن الحَظْرَ الرسميَّ عليها وعلى نشاطها، لا يُلغي وجوبَ التقاءِ أفرادِها وتجميعِهم وتنظيمِهم!!

وهذا مما يعطي الجماعة حياةً وحيوية، ويجعلُ لها استمراراً قويّاً، ووجوداً عمليّاً، وحضوراً مؤثِّراً في الحياة. وهذا من أسبابِ استعصاءِ الجماعة على كلِّ محاولات الإبادة والإفناء، وخروجِها من كل محنةٍ أقوى مما كانت!

لما أُفرجَ عن بعض القياديين من الإخوان، لم يرغبوا في القيامِ بمحاولاتٍ لتجميعِ الإخوان وتنظيمِهم. وكانوا يعتبرونَ الجماعةَ في حالةِ سكونٍ، في ذلك الوقت. ولذلكَ رفضوا بعضَ الدعوات الموجَّهة من الإخوان، لتجميعِ وتنظيم الإخوانِ من جديد. وكان ممن يرى هذا الرأي، الأَخوان فريد عبد الخالق ومنير دلة!

لكنَّ بعضَ الإخوان لم يكونوا على هذا الرأي، بل كانوا يرَوْنَ وجوبَ العملِ والحركةِ والتجميعِ والتنظيم. فقاموا بمحاولاتٍ متفرِّقة لتجميعِ الإخوان وتنظيمِهم.

لعلَّ من أولِ هذه المحاولات التنظيمية، ما قامَ به «محمد يوسف هواش» بعد محنة ١٩٥٤م مباشرة، من تنظيمِ مجموعةٍ من الشباب الإخوان، لمساعدةِ أُسَر الإخوان المسجونين وإعانتِها. لكنَّ تنظيمَه الصغيرَ كُشِفَ من قبل أجهزَةِ الأمن، واعتُقل هواش ومَنْ معه!

ومن هـذه المحاولات، مـا قام بـه الأخُ المهندس «مـراد الزيـات» بعد الإفـراجِ عنه.

ومنهـا ما قـامَ به الأخ «أحمـد عادل كمـال» الذي جمـعَ مجموعـةً من الإخوان، واستمرَّ تنظيمه حوالي سنتيْن. ثم أوقفَهُ عام ١٩٥٩م، لما شعر بمراقبةِ قوات الأمن له، وتتبُّعِها لخطواتِه.

ومنها تنظيمُ الأخ «عبد الفتاح حسين» في شبرا.

ومنهـا تجميـعُ الأخ «أحمـد رائف» بعضَ الإخـوان على منهـاجٍ فكـريٍ علميٍّ ثقافي.

والمـلاحَظُ أن كلَّ تلك المحـاولات، كانت جُهـوداً فرديـةً قـام بهـا أصحـابهـا، باجتهادٍ خاص منهم، ووَجدوا استجابةً من بعض الإخوان معهم!

كما يلاحَظُ أن تلكَ التنظيماتِ الجزئية الفرعية، بقيتْ تأخذُ ذلك الطابـعَ الفرديَّ الاجتهـادي، وأنَّ أيَّ واحدٍ منهـا لم يَكتسبْ صفةَ «الشـرعية التنـظيمية» لأن أصحـابَهـا لم يأخذوا في ذلك إذْناً من المرشد العام، أو مكتبِ الإرشاد!

ويلاحَظُ أن تلكَ التنظيماتِ الصغيرة، بقيتْ محدودةً ضيقة، ولم تستمرّ طويـلاً، إذ سرعانَ ما تلاشَتْ، أو انصهرتْ في تنظيماتٍ أخرى.

وقـد اعتُقَلَ أفـرادُ هذه التنـظيمات في مـذبحـةِ عـام ١٩٦٥م، وحـوكمـوا بسبب ما قاموا به![١]

أنجحُها تنظيم «عبد الفتاح إسماعيل»

كانتْ محاولةُ الشهيدِ عبد الفتاح إسماعيل، أنجحَ المحاولات الإخوانية لتجميعِ الإخوان وتنظيمِهم، وكان تنظيمُ عبد الفتاح إسماعيل هو أساسَ التنظيم الإخواني الذي اكتُشف عام ١٩٦٥م.

والأخُ عبدُ الفتاح إسماعيل من أخلصِ المريدين لـلإمام حسن البنـا، والمقرَّبين

(١) انظر «الموتى يتكلمون»، لسامي جوهرة: ٤٩ ــ ٥٠.

إلى قلبه، وقد اعتُقل عام ١٩٥٤م.

ولما أُفرج عنه عام ١٩٥٦م صمَّمَ على العملِ على إعادةِ جماعةِ الإخوان المسلمين، إلى عالم الوجودِ الفعليّ العمليّ الحيّ المؤثِّر!

وقد كان ــ رحمه الله ــ أمةً في رجل، ورجلاً يمثِّلُ جماعة، فقامَ بجهودٍ ضخمة، للاتصالِ بالإخوان، وإعادةِ تنظيمهم.

لقد طافَ مصر من الإسكندريةِ إلى جنوب الصعيد، وكان يُضْربُ به المثل في الإخلاصِ والتجردِ والعبادةِ والنشاطِ والحركة(١).

زينب الغزالي تروي

روتْ المجاهدةُ «زينب الغزالي» في كتابِها الوثيقة «أيّامٌ من حياتي» حقائقَ عن تنظيمِ عبد الفتاح إسماعيل للإخوان:

عرَّفَها عليه شقيقُها الشيخُ محمد الغزالي، عندما كانت تهمُّ بركوبِ الباخرة للحج عام ١٩٥٧م.

والتقتْ به عندَ الكعبة، بعد ركعتَي الطواف، خلْفَ زمزم، بالقرْبِ من مقامِ إبراهيم، واتَّفَقا على وجوبِ تنظيمِ صفوف الجماعة، وإعادةِ نشاطِها، وعلى الاتصالِ بالمرشدِ العام الهضيبي، لأخْذِ موافقتِه على العمل. لتكتسبَ جهودُهما صفةَ الشرعية التنظيمية!.

واعتبرا قرارَ عبدِ الناصر بحلِّ جماعة الإخوان باطلاً، لأنه يتعارضُ مع النصوصِ الصريحة في وجوب الدعوة إلى الله.

وقد التقت زينبُ الغزالي بالمرشد لتستأذنَه بالعملِ وتأخذَ موافقته، وبعدَ لقاءاتٍ عديدة، شرحَتْ فيها غايةَ التنظيم ومنهاجَه التربوي، أَذِنَ لَهْما بالعملِ والتنظيم.

وهكذا بدءَا العمل(٢).

---

(١) انظر طرفاً من حياة عبد الفتاح إسماعيل في «مذابح الإخوان في سجون ناصر»، لرزق: ١٢٧ ــ ١٣١.

(٢) انظر «أيام من حياتي»، لزينب الغزالي: ٣٠ ــ ٣٣.

عبد الفتاح إسماعيل ومخالفوه أمام المرشد العام

لم يـوافق كثيرٌ من الإخـوان على طريقـةِ عبد الفتـاح إسماعيـل في العمل، ولم يتَّفِقوا معه على تجميعِ وتنظيمِ الإخوان من جديد، واعتبروا أن الأفضلَ للجماعـة في هذا الظرف أن تكـونَ في حالـة «سكون»! وأنَّ أحسنَ صـورِ التنظيم في هـذه المرحلةِ هي عدمُ التنظيم!

واعتبـرَ هؤلاءِ جهـودَ عبـد الفتـاح إسمـاعيـل وإخـوانـه، سببـاً في إيقـاعِ الأَذى بالإخوان، وزيادةِ البطشِ بهم، وترتيبِ مذبحةٍ جديدة لهم.

وكان من هؤلاءِ الإخوان المتخوِّفين «محمد فريد عبد الخالق» و «منير دلة» اللذان ذهَبـا إلى المـرشـدِ العـام، وعـرَضـا عليـه رأيَهمـا وخـوَّفـاه من الضـررِ الـذي سيلحقُ بالجماعةِ، نتيجةً لتنظيم عبد الفتاح، وبيَّنا له بطشَ الحكومة القوي، وأنها لن تتسـامحَ مع خصومها. وذكَرا لـه أنَّ تجميعَ الإخـوان لن يُفيدَهم، وأن الحكـومةَ ستكشف هـذا التجميعَ والتنظيم، وستبطشُ بأفرادِه، وبكلِّ مَنْ له صلةٌ بالإخوان المسلمين!

فطمأَنهما المرشدُ ووعَدَهُما خيراً!

ثم التقى بالمرشـد «عبدُ الفتـاح إسماعيـل» وعرَضَ أمـامَه وجهـةَ نظره بحـرارة، وتكلَّمَ معه طويلاً، وبيَّن له إفسادَ أخلاقِ النـاس، نتيجةً لتغييبِ الجمـاعة، وحـذَّره من خطرِ وُثوبِ الشيوعيين على الحكم، كلُّ هذا والمرشد صامت!!

وفي آخرِ اللقاء قال له المرشد: اسمعْ يا شيـخُ عبد الفتـاح: تصرَّفْ على ضـوءِ قرارِ حلِّ جماعةِ الإخوان، الدي أصدرتْهُ الحكومةُ في يومٍ ما!.

واعتبـرَ الشيخُ عبـد الفتاح هـذه العبارة من المـرشد، إذْنـاً له بـالعمل والتجميـع والتنظيم!

وكان يقولُ للإخوان: «عندي تفويضٌ من المرشدِ العام لتجميع الإخوان»[1].

---

(١) انظر تفاصيل هذا في «البوابة السوداء» لأحمد رائف: ٢٣٥ ــ ٢٣٩.

القيادة الخماسية للتنظيم الجديد

نشطَ عبدُ الفتاح إسماعيل لدعوته، وجمعَ الإخوان في تنظيم جديد، ورتبَ لهم أُسَراً ولقاءات.

والتقى عبد الفتاح مع إخوانٍ في المدن المصرية يحاولونَ تجميعَ الإخوان، فنسَّقَ معهم، وجمَعَ بينهم. التقى بالأخ محمد عبد الفتاح الشريف الذي كان يجمعُ الإخوان في طنطا. والأخ عبد المجيد الشاذلي في الإسكندرية. والتقى بعلي عشماوي في القاهرة.

واجتمعَ الإخْوان، واتفقوا على اختيارِ قيادةٍ خماسيةٍ للتنظيم، عام ١٩٦٣م، وكانت القيادةُ الخماسيَّةُ مكونةً من:

١ ــ عبد الفتاح إسماعيل: مسؤولٌ عن الناحية الدينية والمالية، والاتصالاتِ الخارجية، وتنظيماتِ المنطقة الشرقية.

٢ ــ علي عشماوي: مسؤولٌ عن تنظيمات القاهرة.

٣ ــ مجدي عبد العزيز متولّي: عن الإسكندرية والبحيرة.

٤ ــ صبري عرفة الكومي: عن الدقهلية والغربية.

٥ ــ أحمد عبد المجيد عبد السميع: عن الصعيد[١].

مجلس القيادة يبحث عن قائد للتنظيم

بحكْمِ كونِ مجلس القيادةِ الخماسية للتنظيم من الشباب غيرِ المجرِّبين، فقد فكَّروا في رجلٍ كبيرٍ مجرِّبٍ، ليرأسَ المجلس ويقودَ التنظيم، على أن يكونَ شخصيةً كبيرة، واسماً لامعاً.

ووقعَ أولُ اختيارٍ لهم على «عبد العزيز علي» ــ وكانَ رجلاً صالحاً من غيرِ الإخوان، وكان أحدَ أبطالِ ثورة ١٩١٩م، وعضواً في الحزب الوطني قبل الثورة، ووزيراً في أولِ حكومةٍ بعد الثورة، ثم اختلفَ معَ عبد الناصر ــ وقابلَه عبدُ الفتاح في

(١) انظر «الموتى يتكلمون»: ١٠٤ ــ ١٠٥.

بيت زينب الغزالي، ثم قابلَه مع بعضٍ أعضاء القيادة، ولم تلتقِ أفكارُهم معاً، ولم يجدوا عنده ما يريدون. فانصرَفوا عنه، يبحثون عن قائد آخر![1]

وفكَّروا في الأخ «محمد فريد عبد الخالق». واتصلَ به عبد الفتاح إسماعيل ليقودهم، ولكنه رفضَ الفكرة، واعتبرَها مغامرة، واعتبرَ تجميعَ الإخوان مؤدِّياً إلى مذبحة لهم، واعتبرَ أن أحسن حالاتِ التنظيم في هذه المرحلة هي عدمُ التنظيم[2].

وزاد فريد عبد الخالق على رفْضِه، بأن شكاهم إلى المرشد العام، ولكنَّ عبد الفتاح قابلَ المرشد بعد ذلك، وأخذ منه موافقة!

وأخيراً استقرَّ رأيُهم على «سيِّد قطب»، الذي وافَقَ ولبّى الدعوة!!.

سيِّد قطب في السجن يفكر في تعليل الأحداث

لما استقرَّ المقامُ بسيِّد في سجن طرة، صار يستعرضُ شريطَ الأحداث الكئيبة المريرة، التي مرَّتْ به وبالإخوان المسلمين، وما لاقاهُ مع إخوانِه من إيذاءٍ وظلم واضطهاد وتعذيب.

وكان يرى أن للقوى العالميةِ المحاربة للإسلامِ ودعاتِه ــ من صليبيةٍ وصهيونيةٍ وإلحاد واستعمار ــ يداً في كل ذلك.

ويرى أن هذه القوى قد نجحتْ في تنفيذِ مخطَّطِها، بحلِّ جماعةِ الإخوان، وتعذيبِ أفرادها والحكم عليهم، بتهمٍ مزوَّرة ملفَّقة!

ويرى أن إيقافَ نشاط الجماعة وتغييبَ أفرادِها في السجون، فتْحٌ لأبوابِ الفسادِ أمامَ الشباب.

ويرى أنَّ الردَّ على كل ذلك هو في «إعادةِ نشاطِ وحياةِ الحركة الإسلامية، حتى ولو كانت الدولةُ ــ لسببٍ أو لأكثر ــ لا تريد!»

وقد استمرَّ تفكيرُه بالأحداث سبعَ سنوات تقريباً ــ من ١٩٥٥م إلى ١٩٦٢م ــ .

(١) البوابة السوداء: ٢٤٠ ــ ٢٤٢.
(٢) لماذا أعدموني: ٤٦.

وخرجَ من تفكيرِه بقناعةٍ مؤدَّاها: «ويستطيعُ الإنسانُ أن يلحظَ بسهولةٍ علاقةَ هذا الانحدار، بتدميرِ حركة الإخوان المسلمين، ومنعِ نشاطها، كما يستطيعُ أن يربطَ بين هذا التدميرِ، وبين الخططِ الصهيونية والصليبية الاستعمارية، بخصوصِ هذه الجماعة، وبخصوصِ المنطقة بجملتها.

هذه هي رؤيتي للموقف، التي انطلقَ منها التصميمُ على ضرورةِ العملِ لحركةٍ إسلامية، امتداداً لحركة الإخوان المسلمين المصادَرة الموقوفة، مع الانتفاعِ بالتجربة، وبالتجارب التي سبقَتْها.

وفيما بين عام ١٩٥٥م وعام ١٩٦٢م كان التفكيرُ في منهجِ الحركة وطريقةِ البدء بها»[١].

ورغم أن الحكومةَ منعتْ نشاطَ الإخوان وحاربَتْهم، وحاكمتْ كلَّ مَنْ عرفتْ عنه محاولةَ تجميعِهم من جديد، وإعادةَ العمل والتنظيم، إلاَّ أن سيِّد اتخذَ قراراً حازماً: «إن الحركةَ الإسلاميةَ يجب أن تستمرَّ. إن القضاءَ عليها في مثل تلك الأحوال، يُعَدُّ عملاً فظيعاً جداً، يصلُ إلى حدِّ الجريمة. إن الأخطاءَ يمكنُ أن تُستبعَد. ويمكنُ الاستفادةُ من التجربة في تجنُّبها»[٢].

تصور سيِّد لمنهج عمل الحركة الإسلامية

بعد وقفةِ مراجعةٍ وتفكيرٍ طويلة، دامتْ سبعَ سنوات ـ من ١٩٥٥م إلى ١٩٦٢م ـ خرجَ سيِّد بضرورةِ وجود حركةٍ إسلامية كحركة الإخوان المسلمين، وعدمِ توقفها!

ولم يكن عنده في سجن طرة إلاَّ اثنان من الإخوان: محمد يوسف هواش، ومحمد زهدي سلمان، وباقي الإخوان رُحِّلوا إلى سجن القناطر، وسجن الواحات.

وكانت ثقافة الأخ محمد زهدي محدودة، لذلك تدارَسَ سيِّد الأمرَ طويلاً مع

(١) لماذا أعدموني: ١٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٧.

محمد يوسف هواش، ودامت المدارسةُ بينهما هذه المدةَ الطويلة ـ حوالي سبع سنوات ـ وخرجا من ذلك بنتيجةٍ محدَّدة. قال عنها سيِّد في تقريره: «وبعد مراجعةٍ ودراسةٍ طويلة لحركة الإخوان المسلمين ومقارنتِها بالحركة الإسلامية الأولى للإسلام، أصبحَ واضحاً في تفكيري ـ وفي تفكيره كذلك ـ أن الحركةَ الإسلامية اليوم تواجِهُ حالةً شبيهةً بالحالة التي كانَتْ عليها المجتمعاتُ البشرية يومَ جاء الإسلام أول مرة، من ناحيةِ الجهلِ بحقيقةِ العقيدة الإسلامية، والبعدِ عن القيمِ والأخلاقِ الإسلامية ـ وليس فقط البعد عن النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية ـ وفي الوقتِ نفسه، توجَدُ معسكراتٌ صهيونيةٌ وصليبية استعمارية قوية، تحارب كلَّ محاولةٍ للدعوة الإسلامية، وتعملُ على تدميرِها، عن طريق الأنظمة والأجهزة المحلية، بتدبيرِ الدسائس والتوجيهات المؤدية لهذا الغرض.

ذلك بينما الحركاتُ الإسلاميةُ تشغلُ نفسها في أحيانٍ كثيرة بالاستغراق في الحركاتِ السياسية المحدودة المحلية. . .

كما أنها تشغلُ نفسَها بمطالبةِ الحكوماتِ بتطبيق النظامِ الإسلامي والشريعة الإسلامية، بينما المجتمعاتُ ذاتُها بجملتها قد بعدَتْ عن فهمِ مدلول العقيدة. . .

ولا بدَّ إذنْ أن تبدأَ الحركةُ الإسلامية من القاعدة. وهي إحياءُ مدلولِ العقيدة الإسلامية في القلوب والعقول. وتربيةُ من يَقبلُ هذه الدعوة، وهذه المفهوماتِ الصحيحة، تربيةً إسلامية صحيحة. وعدمُ إضاعةِ الوقتِ في الأحداث السياسية الجارية. وعدمُ محاولاتِ فرض النظام الإسلامي عن طريقِ الاستيلاء على الحكم، قبل أن تكونَ القاعدةُ المسلمةُ في المجتمعات هي التي تطلبُ النظام الإسلامي، لأنها عرفَتْه على حقيقته، وتريد أن تُحكَمَ به!

وفي الوقتِ نَفسِه، ومع المضيِّ في برنامجٍ تربوي كهذا، لا بدَّ مِنْ حمايةِ الحركة من الاعتداءِ عليها من الخارج. . كالذي حدث للإخوان سنة ١٩٤٨م، ثم سنة ١٩٥٧م. وكالذي حدثَ للجماعة الإسلامية في باكستان!

هذه الحمايةُ تتمُّ عن طريقِ وجود مجموعاتٍ مدرَّبة تدريباً فدائياً، بعد تمامِ تربيتِها الإسلامية، من قاعدةِ العقيدة ثم الخُلُق. . .

هـذه المجموعـات، لا تبدأُ هي اعتـداءً، ولا محـاولـةً لقلب نـظام الحكم، ولا مشاركةً في الأحداث السياسية المحلية.

وطـالما الحـركةُ آمنـة، ومستقرَّة في طـريقِ التعليم والتفهيم والتربيـة والتقـويم، وطالما الدعوةُ ممكَّنة، بغيرِ مصادرةٍ لها بالقوة.. فـإن هذه المجمـوعاتِ لا تتـدخلُ في الأحداث الجارية..

إن هذه المجموعـاتِ تتدخـلُ عند الاعتـداء على الحركـة والدعـوة والجماعـة، تتدخل لردِّ الاعتداء، وضربِ القوة المعتدية، بالقدرِ الذي يسمحُ للحركة أن تستمرَّ في طريقها.

إن تطبيقَ النظامِ الإسلامي ليس هَدَفاً عاجلاً، إنه لا يمكنُ تحقيقُه إلَّا بعدَ نقـلِ المجتمعـات ذاتِها، إلى الفهمِ الصحيـح للإسـلام، والتربيـةِ الصحيحـة عليـه، مهمـا اقتضى ذلك من الزمنِ الطويل، والمراحلِ البطيئة!

وأصبحتْ هـذه الصورةُ للحـركـة الإسـلاميـة واضحـةً في حسّي تمـامـاً ــ كمـا أصبحتْ واضحةً في حسِّ الأخ هواش ــ.

وبقيتْ مهمةُ نقلِها إلى أفـرادٍ ومجموعـاتٍ أخرى من الإخـوان بأيَّـةِ وسيلة، لبدءِ حركةٍ على أساسِها»[1].

إن تصـوُّرَ سيِّد لمنهـجِ سيرِ الحـركة الإسـلامية، يعيـدُ اعتبارَ أهميـةِ الـوضـوح التصـوُّري الفكري، من خـلالِ البدء بـالعقيدة والبيـان. ويعيدُ اعتبـارَ أهميـةِ العـامـل التربوي، الذي يقوم على المجاهدة، والأخذِ بالعزائم، والالتزامِ بـالسلوك والممارسـة العملية.

وهـو في تصوُّرِه للعمـل يستبعدُ الانشغـالَ السياسيَّ والنقـابـيَّ والمهني، تـوفيـراً للوقتِ والجهـد، وهـو يُلغي اللجـوءَ إلى الإرهـابِ والعنف، والتغلغـلَ في الجيش والأجهزةِ الحكومية، حتى لا تُؤْخَذَ الجماعةُ بالعنف والإرهابِ والتآمر على الحكم.

---

(١) لمـاذا أعدمـوني: ٢٦ ــ ٢٩ باختصـار. وانظر القـواعد الست لمنهجـه في «لماذا أعـدمـوني»: ٤٢ ــ ٤٥.

وهو يوقِنُ بـوجوبِ نقـل المجتمعاتِ إلى الفهمِ الصحيح للإسـلام، والمطالبـةِ الجادَّة بحكمِ الإسلام، ويعلمُ أن هذا طريقٌ طويل، ولكنْ هذا هو الطريق!!.

رسالة سيِّد للأستاذ عمر الأميري

بعد إدراكِنا لتصوُّرِ سيِّد لمنهجِ عمل الحركة الإسـلامية، نتـوقَّفُ لحظةً، لنـطَّلعَ على وثيقةٍ من سيِّد قطب أشارَ لها الأستاذ «عمـر بهاء الـدين الأميري»، عنـد لقاءِ مجلة المجتمع به عام ١٩٨٦م.

إنه بعدَ مذبحةِ الإخـوان في سجن ناصـر عام ١٩٦٥م، حـاولَ سيِّد قـطب حتى آخـر لحظة أن يـوقِفَ هذه المـذبحة، وأن يُنجيَ شبـابَ الإخوان ــ الـذين قـادَهُم في التنـظيم الجديـد ــ من الفَناء، وأن يعيـدَهم في المجتمع، لممـارسةِ واجبهم التـربوي والتعليمي والتثقيفي.

ولـذلك عـرضَ على عبد النـاصـر ــ عن طـريق وسـطاء ــ بـأنْ لا يقـاومَ نـظام عبد الناصر مقابلَ إعادة الأخيرِ الإخوان للإصلاح والتربية في المجتمع!

يقول الأستاذُ عمر الأميري: «عندما كان سيِّـد قطب ــ رحمه الله ــ في السجن، أرسـل لنا ــ الإخـوان في سوريـا ــ رسالتَيْن، واحـدة لم تصلْنا، أرسلَهـا مع الـدكتـور حمدي مسعود زوجِ حميدة قطب.

والرسالة التي وصلَتْنا يقول فيها: نرجو أن تكـونوا وسـطاء، للتفاوضِ بيننـا وبين جمـال عبد النـاصـر، ونحنُ على استعـداد، لأن نعـطيَ عهـداً، بـأَنْ لا نتصـدى لـه، ولا نقاومَه بشيء، وكلُّ ما نُسبَ إلينا من هذه الاتهاماتِ كذبٌ وباطل وملفَّق!

ونـطلبُ من عبد النـاصر لقـاءَ ذلك شيئـاً واحداً، وهـو: أن يُخْلِيَ سبيلَنـا، وأن لا يعوقَ أعمالَنـا ومساعينـا، في تتبُّعِ النشـاط الشيوعي، في اختـطافِ شبابِ الجـامعة وشبابِ البلد ومَرْكَسَتِهِمْ.

وكـل ما عـدا ذلك ليس لنـا وقتٌ له، لأننـا عندمـا ننهي مهمتَنا يكـون قد انتهى بـطبيعةِ الحـال، ويكون الـذين يعملُ لهم قـد صَعِدوا على كتفـه، ورَفسوه بـأرجلِهم، وانتهوا منه!

ونحن على ثقـةٍ بأنـه سينتهي تلقائيـاً، ونحن نريـدُ أن لا يُحالَ بيننـا وبين العمل على إنقاذِ شباب هذه الأمة من الشيوعية!»

بعد وصولِ الرسالة للأستاذ الأميري، جمعَ لها قـادة الإخوان في سـوريا، ورأوا أنَّ أنسبَ زعيمٍ عـربـي للوساطـة عند عبـد الناصـر، هو «هـواري بـومـدين»، وكلَّفـوا الأميري بنقْلِ الرسالة لبومدين، وكان ذلك أثناءَ انعقاد مؤتمر القمـة العربـي في الـدار البيضاء عام ١٩٦٥م.

قابل الأميريُّ «شريفَ بلقاسم» ــ لأن بومـدين كان مشغـولاً في المؤتمر ــ وكتبَ له خلاصةَ عرْضِ سيِّد قطب للتوسُّطِ لدى عبـد الناصـر، وأوصلَ بلقـاسم الرسـالة إلى بومدين، وقابلَ بـومدين عبدَ الناصر، وعرضَ عليه الأمر، ورفضَ عبـدُ النـاصـر عرضَ سيد.

وقال بومدين لبلقاسم: «إن عبدَ الناصر انتفض وتوتَّـر، وقال: كـلُّ شيء أقبل أن يُبحثَ فيه، إلَّا قضيةَ الإخـوان المسلمين، فهذه قضيـةٌ مفروغٌ منهـا، وبُتَّ فيها بصفـةٍ قطعية، ولا يمكنُ التساهلُ معهم!!»[1].

وقـد شكَّكَ بعضُهم في صحـةِ كلام الأميـري، وجـزمَ بـأن سيِّـد لم يُقـدِّم ذلـك العرض، ونسبَ للأميري تشويهَ فكرِ وموقفِ سيِّد قطب!

وفي الحقيقـة ــ وبعد معـرفةِ منهـج الحـركـة الإسـلاميـة كمـا يتصـورُه سيِّـد ــ لا نستبعدُ صدورَ ذلك عنه، بـل نرجِّـحُ أنه حـاولَ آخرَ محـاولة لعـودةِ شباب الإخـوان للإصلاح والتربية، ومقاومةِ الإلحاد والفساد في المجتمع!

ولكن عبدَ الناصر صمَّمَ على القضاء على الإخوان، وإزهاقِ روح سيِّد، وأراد له أسيادُه أعداءُ الإسلام محاربـةَ الإسلام وجنـودِه، وفتْحَ الأبـوابِ أمامَ الإلحـاد والفساد، ولذلك رفضَ الوساطة، وأعدم سيِّداً!!

---

(١) مجلة المجتمـع. السنة السـادسة عشـرة. عدد: ٧٥٨. تـاريـخ ١١ آذار ١٩٨٦م. صفحـات: ١٤ ــ ١٥.

سيِّد والتنظيم الإخواني في سجن القناطر

بعدما اتضحتْ لسيِّد قطب صورةُ العمل للحركة الإسلامية، أرادَ إيصالَ هذه الصورةِ للإخوان، ليعمَلوا معه على تطبيقِ هذا المنهج في عالَم الدعوة!

وقد بدأ اتصالَه بالإخوان حول هذا المنهج عام ١٩٦٢م[١].

ويمكنُ أن نلحظَ مرحلتيْن لقيادةِ سيِّد للتنظيم الإخواني:

المرحلةُ الأولى: قيادتُه مجموعاتٍ من الإخوان المسجونين في سجن القناطر، قَبِلوا منهجَه، ووافقوه على رأيه. وهذه المرحلةُ ما بين عام ١٩٦٢م وعام ١٩٦٤م، عندما أُفرجَ عنه.

المرحلة الثانية: قيادتُه التنظيمَ الإخوانيَّ خارجَ السجن، الذي أنشأَهُ عبدُ الفتاح إسماعيل وإخوانه، والذي كان بإذنٍ وموافقةٍ من المرشد العام، وكانت قيادتُه فكريةً توجيهية في مجملِها. وهذه المرحلة من مايو ١٩٦٤م إلى أغسطس ١٩٦٥م.

وسنوجزُ الكلامَ على المرحلة الأولى.

كان سيِّد في مستشفى سجن طرة، يلتقي بالإخوان المسجونين القادمين من السجون الأخرى للعلاج، ومعظمُهم من سجنِ القناطر، وكانت لقاءات سريعة خاطفة حسبَ طبيعةِ السجن[٢].

وقد بيَّن سيِّد وضعَه التنظيميَّ في هذه المرحلة، ونظرةَ الإخوان المسجونين له ولأفكاره، فقال: «أَنا إلى ذلك الوقت في محيطِ الإخوان المسلمين مجردُ أخ مسلم!

حقيقة إنَّ له من نفوسهم قيمتَه ومكانتَه الشخصية، بوصْفِه كاتِباً إسلاميّاً مفكراً، له خبرتُه وتجربتُه في المجالاتِ العامة.

ولكنه مع ذلك كلِّه ليست له صفةٌ حركيةٌ إداريةٌ في الجماعة، تعطي له الحقَّ الشرعيَّ في رسْمِ خطةٍ حركية، ولا في توجيهِ الإخوان إليها. لأن هذا الحق لمكتب

---

(١) لماذا أعدموني: ٢٩.

(٢) المرجع السابق: ٢٩ ــ ٣١.

الإرشاد وحده، ولمن يكلِّفُه بذلك. ولستُ من أعضاء المكتب، ولا مكلَّفاً منه بشيء..»[1].

كان سيِّد يوصي الإخوانَ القادمين من سجن القناطر بقراءةِ كُتُبٍ معيَّنة، ومناقشةِ أفكار محددة.

وتكونَتْ في سجنِ القناطر عام ١٩٦٢م أوَّلُ أسرةٍ إخوانية تتبنّى منهجَ سيِّد قطب، وكانت مكونةً من الإخوة: مصطفى كامل، ويوسف كمال، وسيد عيد.

وتزايدَ عددُ الإخوان المؤيِّدين لسيِّد في سجن القناطر، وكان هناك إخوانٌ في نفس السجن يعارِضُونَ فهمَ سيِّد وتأييدَ إخوانهم له، ويتهمونَه بمخالفةِ الخطِّ الحركيِّ للإخوان، لا سيما وأن فكرَه صادرٌ عن جهةٍ غيرِ شرعية.

وفي الفترة ما بين ١٩٦٢م و١٩٦٤م كان وضع الإخوان في سجن القناطر كما يلي:

حوالي خمسة وعشرين أخاً، ساروا على منهجِ سيِّد في الحركة الإسلامية.

حوالي ثلاثة وعشرين أخاً، يعارضون هذا المنهج بشدة.

حوالي خمسين أخاً، في طريقهم للالتزام بمنهج سيِّد المذكور.

كان من المؤيدين لسيِّد: مصطفى كامل، وسيد عيد، ورفعت الصياد، وفوزي نجم..

وكان من المعارضين: أمين صدقي، وعبد الرحمن البنان، ولطفي سليم، وعبد العزيز جلال[2].

أعضاء من مكتب الإرشاد يستوضحون ويوافقون سيِّد

تطوَّرَ الخلافُ بين المؤيِّدين لفهم سيِّد والمعارضين له في سجن القناطر، واتصل المعارضونَ بالإخوة أعضاء مكتب الإرشاد المسجونين في سجن الواحات، واشتكَوْا لهم على سيِّد، وعلى مَنْ معه، وصوروا لهم أفكارَ سيِّد على غيرِ حقيقَتِها.

---

(١) لماذا أعدموني: ٣١.

(٢) المرجع السابق: ٣١ ــ ٣٦.

قال سيِّد عن هذا الأمر: «وبعضُ هؤلاء أوصلوا إلى الأستاذ عبد العزيز عطية وغيرِه في الواحات صورةً مشوَّهة ومضخَّمة، عن الانقساماتِ الخطيرة التي وقعَتْ في مجموعةِ القناطر... وصورةً كذلك مشوهة عن أصلِ الأفكار، والمنهجِ الذي يدورُ حولَه الخلاف. مما جعلَهم في الواحات ينزعجونَ انزعاجاً شديداً، سواءً من الفكرة ذاتِها، أو من الخلافِ حولَها»[1].

وقد قابل سيِّد في مستشفى سجن طرة الأخُ «عبد الرؤوف أبو الوفا» قادماً من قِبَلِ مكتب الإرشاد في سجن الواحات، ونقل له انزعاجَ أعضاء المكتب من أفكار سيِّد. حيث قيل لهم إن سيِّد في أفكارِه الجديدة يكفِّر الناس.

وقد بيَّن سيِّد لأبـي الوفا حقيقةَ أفكاره، وأنه لم يكفِّرْ أحداً من المسلمين: «وقد قلتُ له: إننا لم نكفِّرِ الناس! وهذا نقلٌ مشوَّه، إنما نحن نقول: إنهم صاروا من ناحيةِ الجهل بحقيقةِ العقيدة، وعدمِ تصوُّرِ مدلولها الصحيح، والبعدِ عن الحياة الإسلامية، إلى حالٍ تشبهُ حالَ المجتمعات في الجاهلية.. وإنه من أجلِ هذا، لا تكونُ نقطةُ البدء في الحركة هي قضيةَ إقامةِ النظام الإسلامي، ولكن تكون: إعادةَ زرع العقيدةِ والتربية الأخلاقية الإسلامية.

فالمسألةُ تتعلَّقُ بمنهج الحركة الإسلامية، أكثرَ مما تتعلقُ بالحكم على الناس!»[2].

ونقلَ أبو الوفا توضيحَ سيِّد لأعضاء المكتب في الواحات، ولكن المعارضين له ظلّوا «يُلحّون على وجوبِ وقف ــ ما أسموه ــ الفتنة في صفوف الجماعة».

وقُبيلَ الإفراج عن سيِّد من سجن طرة، نُقلَ إلى مستشفى السجن «الأستاذان عبد العزيز عطية وعمر التلمساني من أعضاءِ مكتب الإرشاد الباقين في السجون، والْتَقيا بـي، وأفهمتُهما حقيقةَ المسألة، فاستراحا لها»[3].

وبعدَ الإفراجِ عن سيِّد، زار عضوَي المكتب في مستشفى طرة، الأَخَوان أمين صدقي

(١) لماذا أعدموني: ٣٦.
(٢) المرجع السابق: ٣٦ ــ ٣٧.
(٣) المرجع السابق: ٣٧.

وعبد الرحمن البنان ــ قائدا المعارضينَ لأفكار سيِّد ــ فحاولَ الأَخَوان عطية والتلمساني «إفهامَهما أنَّ الأمرَ ليس كما فهموا، ولكنهما ظلاَّ مصرِّين على موقِفهما، بعد عودتِهما إلى القناطر، هما والمجموعة التي معهما»(١).

ويهمُّنا هنا كلامُ سيِّد نفسِهِ أنه لم يكفِّر المسلمين، وأن الكلامَ يدورُ حولَ منهج الحركة الإسلامية في العمل، وليسَ في الحكم على الناس، وأنَّ الناسَ يجهلون معنى العقيدة الإسلامية الصحيح ــ وهذا لا يعني كفرَهم ــ وأن المطلوبَ هو تفهيمُ وتعليمُ المسلمين هذا.

يهمُّنا هذا، لأنَّ هذه المسألةَ قد تطورَتْ بعد استشهادِ سيِّد، إذ ظهرتْ مجموعاتٌ من الشباب المسلم تكفِّرُ المسلمين الآخرين، وتدَّعي نسبةَ هذا لسيِّد قطب نفسه.

كما يهمُّنا موقفُ الأَخَوين عطية والتلمساني من أفكارِ سيِّد ومنهجِه، وموافقتُهما له على مجملِ هذه الأفكار.

المرشد التلمساني ينصف سيِّد عام ١٩٨٥م

أثنى عمر التلمساني رحمه الله ــ المرشد الثالث للإخوان المسلمين ــ على سيِّد قطب، وأنصَفَه، وبرَّأَه من تهمةِ تكفير المسلمين، وأشارَ إلى ما رواه سيِّد ــ قبل قليل ــ عن لقائه بالتلمساني في مستشفى سجن طرة، للتوضيح والبيان، حول ما نَسَبَهُ المعارضون لسيِّد من اتهامات.

ومما جاء في ثنائه على سيِّد قولُه: «أذكُرُ أنَّ الشهيد سيِّد قطب له مؤلَّفات عدةٌ وجيدةٌ وعلى مستوى رفيع، منها «في ظلال القرآن» و«العدالة الاجتماعية» و «معالم في الطريق».

وتمتازُ هذه المؤلَّفاتُ بالنقمة على الظلمِ في كل مظاهرِه، والحرصِ على رفعِ المعاناة عن كل الطبقات، وأن تسودَ مصرَ الحرية..

(١) لماذا أعدموني: ٣٧.

وليس في «معالم في الطريق» جديدٌ في فكر سيِّد قطب، ولكن بما أنَّ الشهيدَ كتبه في السجن، بعدَ أنْ ذاقَ ألوانَ العذاب على مختلف قسوتِها ووحشيَّتها، فقد بدتْ نقمتُه على مخالفة الشرع أوضح وأظهر.

وما أرادَ الشهيد الأستاذ سيِّد قطب في يومٍ من الأيام أن يكفِّرَ مسلماً، لأنه من أعلمِ الناس، بأن رسول الله ـ ﷺ ـ قال في أكثر من حديث: إنَّ مَنْ قال لا إله إلا الله، مؤمناً بها قلبُه، لن يُخلَّدَ في النار. ونحن نعلمُ أنه لن يخلَّدَ في النار إلاّ الكافرون.

هذه واحدة، والثانية: إنَّ كثرةَ ترداده «للمجتمع الجاهلي» لم يقصِدْ بها تكفيرَ المجتمع، ولكن تشديدَ النكير على الظلمةِ والطغاةِ والمستغلّين والمشكّكين. وهو أسلوبٌ تعرفه اللغةُ العربية...

والذين يعرفونَ الشهيد سيِّد قطب، ودماثةَ خلقه، وجمَّ أدبِه، وتواضعَه، ورقةَ مشاعره، يعرفونَ أنه لا يكفرُ أحداً.

إنه داعيةٌ إسلامي، من عيونِ دعاة المسلمين، ظلمَهُ مَنْ أخذَ كلامَه على غيرِ مقاصده، ومَنْ هاجَموه متجنِّين، لما رأوهُ من عميقِ تأثيرِ كلماتِه وكتاباتِه على الشباب الطاهر النظيف.

هذا موجزٌ مقتضبٌ للمبادئِ التي قام عليها كتاب «معالم في الطريق» وقد كانَ لي شرفُ الاطلاعِ عليه قبلَ طبعه، ونحنُ في مستشفى ليمان طرة.

ولما أُفرج عن سيِّد قطب، أَرسلَ إليَّ ـ وأنا في السجن ـ يخبرُني أنَّ الجمهوريةَ العراقية طلبتْهُ ليعمل في مجالاتِ التعليم والتربية هناك. واستشارَني في الرفض والقبول. وكان رأيي أن يَقبل! لتخوُّفي مما كنتُ أتوقعُهُ بالنسبة له من رجال الانقلاب. ولكنه آثرَ البقاء في مصر، ليدافعَ عن رأيه، وهو قَدَرُ الله، الذي لا ينفَعُ معه احتياطٌ ولا حذَر!!»[1].

---

(١) ذكريات لا مذكرات، لعمر التلمساني: ٢٨٠ ـ ٢٨١.

مصير الإخوان المؤيدين لسيِّد بعد الإفراج عنه

بعدما أُفرجَ عن سيِّد في مايو ١٩٦٤م، لم يتَّصِل بالمجموعةِ المؤيِّدة لأفكاره داخلَ السجن إلاّ لماماً، ولم يرتبطْ معهم ارتباطاً تنظيمياً.

وقد فكَّرَ في أَنْ يرتبطوا تنظيمياً بصفِيِّهِ الشهيد «محمد يوسف هواش»، حيث كان يرشحُه في نفْسِه لذلك، ولكنه لم يُخبرْه ولم يفعل، وبقيَ الإخوانُ الخارجون من السجن، المؤيِّدون له، بدون ارتباطٍ تنظيمي.

أما سيِّد قطب، فإنه قد اتصلَ فورَ خروجه بالتنظيمِ الإخواني الرسميِّ الجديد، الذي أنشأه عبد الفتاح إسماعيل وإخوانه.

ويبينُ سيِّد أسبابَ عدمِ تنظيمِ هؤلاء الإخوة المؤيِّدين الخارجين:

١ ــ إن هذه المجموعةَ من الإخوان معتبرةٌ كبقيةِ الإخوان «في حالة سكون عن الحركة في الظروفِ الحاضرة، وليس لها وضعٌ مستقلٌ يربطُها بي إلاّ نوعَ التفكير. ولم أكن أريدُ أن أدخلَ في أية إشكالات كالتي أثارَتْها المجموعةُ المعارضة في القناطر».

٢ ــ إنني خرجتُ من السجن بعدَ عشرِ سنوات. وإنَّ الخارجَ من السجن بعد عشر سنوات يكونُ كالأعمى من ناحيةِ الرؤية الاجتماعية، ولا بدَّ أنْ تُترَكَ له فرصةٌ للتعرُّفِ على المجتمع، ولمعالجةِ أحواله وأوضاعه الاجتماعية. فضْلاً على أن تحركاتِه مراقبةٌ بشدة.

٣ ــ إن الجوَّ في الخارج غيرُه في السجن. ففي السجن تكونُ الطاقةُ حبيسةً ومتجمِّعةً، ومندفعةً في الاتجاه الذي دخلَ صاحبُ العقيدة من أجله السجن. أما وهو في الخارج فستستغرقُه مشاغلُ ومشكلاتٌ واهتماماتٌ متنوعة.. ولم يكن بدٌّ من ترْكِهم فترةً يتبيَّنُ فيها مَنْ تستغرقه الحياةُ الدنيا، ممَّنْ تبقى فيه بقيةٌ لعقيدتِه ودعوته!..»[1].

لم يلتقِ إلاّ ببعضِ هؤلاء الإخوة، وبخاصةٍ الأخ الطوخي ــ عندما استدعاه من الإسماعيلية ــ ليتعرَّف على وضْعِ الإخوان الخارجين من السجن!

---

(١) لماذا أعدموني: ٣٨ ــ ٣٩.

قادة التنظيم الجديد يتصلون بسيِّد في السجن

تمكَّنَ قادةُ التنظيم الإخوانيِّ الجديدِ من الوصولِ إلى سيِّد في السجن، والاتصالِ به هناك.

ويروي الأخ أحمد رائف في «البوابة السوداء» أنَّ الشهيدَ عبد الفتاح إسماعيل وصلَ إلى سيِّد في مستشفى السجن، وأنه طلبَ منه «أن يكون أباً روحياً لجماعةٍ من الإخوان، خارجَ السجن، تريدُ من يصححُ مفاهيمَها، ويهديها إلى الصراط المستقيم، وأنهم يتوسَّمون فيه هذه القدرة».

ووافقَ سيِّد على ذلك. وصارت كتاباتُه تأخُذ طريقَها إلى هذا التنظيم، قبل طبعِها أو بعدَه[1].

بينما تورِدُ المجاهدة «زينب الغزالي» روايةً أخرى عن اتِصالِ قادةِ التنظيم بسيِّد في سجنه، بأنَّ التنظيمَ الجديد قد استأذنَ من المرشدِ العام الهضيبي، للاتِصالِ بسيِّد، لأخْذِ رأيِه في بعض البحوث، وللاسترشادِ بتوجيهاتِه، فأذن لهم بذلك. فطلبَ عبدُ الفتاح إسماعيل من زينب الغزالي الموضوع. فتمَّ عن طريق «حميدة قطب».

وتروي زينب الغزالي أن حميدةَ أحضرتْ لهم من عند سيِّد «ملزمةً من كتاب. وقالت: إن سيِّد يُعِدُّه للطبع، واسمه «معالم في الطريق». وقالتْ: إذا فرغْتُم من قراءة هذه الصفحاتِ سآتيكم بغيرها»[2].

وكان هذا الاتصال عام ١٩٦٢م أي قبلَ سنتين من الإفراج عن سيِّد.

ولا تعارض بين الروايتيْن، فمن الممكن أن تكونَ البدايةُ في الاتصال عن طريق عبد الفتاح إسماعيل، وأن يكونَ قد أخذَ الإذْنَ من المرشد العام، ثم كانت حلقةَ الوصل بين سيِّد وبين التنظيم، شقيقتُه حميدة والحاجة زينب الغزالي!

استمرَّ سيِّد يمِدُّ التنظيمَ من سجنه بكتاباتِه في الظلال وفي فصول المعالم!

---

(١) البوابة السوداء: ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٢) أيام من حياتي: ٣٥ ـ ٣٦.

سيِّد يقود التنظيم الجديد

التقى الإخوةُ الخمسة ــ قادةُ التنظيمِ الإخواني الجديد ــ بسيِّد قطب بعدَ خروجِه من السجن عام ١٩٦٤م. وطلبوا منه أنْ يقودَ التنظيم!

ويسجلُ سيِّد معلوماتِه عن التنظيمِ الجديد لمّا طُلِبَ منه قيادتُه: «وعلمتُ منهم بعدَ لقاءاتٍ متعددة، أنهم مُكوِّنون بالفعل تنظيماً، يرجعُ تاريخُ العملِ فيه إلى حوالي أربع سنوات أو أكثر، وأنَّ أقليةً منهم ممن سبق اعتقالُهم من الإخوان، والأكثريةَ ممن لم يسبقْ اعتقالهم، أو ممّن لم يكونوا من الإخوان من قبل.

وأن هذا التنظيمَ تمَّ، بأنَّ كُلًّا منهم ــ على انفراد ــ فكَّر في وقت من الأوقات السابقة، في ضرورةِ العمل لإعادةِ حركة الإخوان المسلمين. وعدمِ الاكتفاءِ بالصورة القائمة لوجود الجماعة.

وأَنهم في أثناء تحرُّكهم ــ كلٌّ على حدة ــ لتنظيمِ أيِّ عددٍ من الإخوان الراغبين في الحركة، أو تحريكِهم، التقَوْا بعضهم ببعض، وبعد أن استوثقَ بعضهم من بعض، انضمّوا كلٌ بالمجموعة التي كانت قد انضمتْ إليه، وكوَّنوا هذا التنظيمَ الواحد.

وأنهم ــ وكلُّهم من الشبانِ القليلي الخبرة ــ ظلّوا يبحثونَ عن قيادةٍ لهم من الكبار المجرِّبين في الجماعة ــ مثل الأستاذ فريد عبد الخالق ــ فلم يَجدوا..»[١].

وقد أشارَ الإخوانُ الخمسةُ لسيِّد ــ عندما طلَبوا قيادتَه لهم ــ أنهم قبلَ أن يقرأوا كتاباتِه ويسمعوا لأحاديثه «كانوا يفكِّرون على أساس أن المسألةَ مسألةُ تنظيمِ مجموعةٍ فدائية، لإزالة الأوضاعِ والأشخاص، التي ضربتْ جماعةَ الإخوانَ المسلمين، وأوقفتْ دعوتَهم، وإقامةَ الجماعة، وإقامة النظام الإسلامي عن هذا الطريق..

أما الآن، فقد فهموا أن المسألةَ أوسعُ من ذلك بكثير، وأن طريقَ العمل طويل....».

وبيَّنوا لسيِّد حاجَتهم «إلى قيادةٍ تزوِّدُهم بالمزيد، وترشدُهم في التحرُّك، ليستطيعوا هم أن يؤثِّروا فيمن وراءَهم، ويوسِّعوا إدراكَهم، ويغيِّروا تصوراتِهم..»

---

(١) لماذا أعدموني: ٤٥ ــ ٤٦.

لما سمع سيِّد كلامَهم، وعرْضَهم عليه ليقودَهم، كان بين خيارَيْن:

«إمّا أنْ أرفضَ العمل معهم.. وهم لم يتكوَّنوا على النحو الذي أنا مقتنع به...

وإمّا أنْ أقبلَ العمل، على أساسِ تداركِ ما فاتهم من المنهج الذي أتصوَّره للحركة، وعلى أساسِ إمكانِ ضبْطِ حركاتِهم، بحيث لا يقعُ اندفاعُ في غير محلِّه ــ خصوصاً وبعضهم ينوي فعلاً ــ..

وقررتُ اختيارَ الطريق الثاني، والعملَ معهم، وقيادتَهم..»(١).

كانت قيادته بإذن من المرشد الهضيبي

يتصوَّرُ بعضُ الإخوان ــ وبعضُ الباحثين الآخرين ــ أن سيِّد بدأ يعمل ــ في السجنِ وخارجه ــ وحدَه في معزلٍ عن الإخوان، وأن طريقَه قد انفصلتْ عن طريقِ الإخوان، وأن التنظيمَ الجديد الذي قاده عام ١٩٦٤م، لم يكن تابعاً للإخوان، بل كان تابعاً له شخصياً، وأنه عمل على تأسيسِ حركةٍ إسلامية جديدة، منفصلةٍ عن حركة الإخوان!!

وهذا التصوُّر خاطىء يقوم على ظنون وأوهام!!

إن الإخوان الذين عملوا مع سيِّد يؤكِّدون أن قيادةَ سيِّد كانتْ بإذنٍ من المرشد، وأن سيِّد قد أخذَ موافقةَ المرشد على حركته.

تروي المجاهدةُ زينب الغزالي ــ وهي صادقةٌ في روايتها ــ أن المرشدَ قد «اطلعَ على ملازمِ كتاب المعالم، وصرَّح للشهيد سيِّد قطب بطبعه!».

كما تروي أنها قابلت المرشد، وأنها سألتْه عن سيِّد وعن المعالم، فقال لها: «على بركة الله... إن هذا الكتابَ قد حصرَ أملي كلَّه في سيِّد، ربُّنا يحفظه، لقد قرأتُه، وأعدتُ قراءَتَه، إن سيِّد قطب هو الأملُ المرتجى للدعوة الآن، إن شاء الله.

وأعطاني المرشدُ ملازمَ الكتاب، فقرأْتُها ــ فقد كانت عندَه لأخْذِ الإذن بطبعها ــ

---

(١) لماذا أعدموني: ٤٦ ــ ٤٧.

وقـد حبسْتُ نفسي في حجـرةِ بيت المـرشـد، حتى فـرغتُ من قـراءة «معـالم في الطريق»[1].

وتؤكدُ زينبُ الغزالي أنّ سيِّد قادَ التنـظيمَ الإخوانيَّ الجـديد، بـإذْنٍ من المرشـد العـام الهضيبـي: «فقد كـان الهضيبـي أوكلَ كـلَّ المسؤوليـاتِ لسيِّـد قـطب، وكـانت اتصالاتُنا كلُّها به حسبَ أمْرِ الهضيبـي، وكانَ علينا بعدَ اعتقـالِه أن نـرجعَ إلى المـرشد العام، نستأذنُه فيمن يتولّى المسؤوليةَ بدلاً من سيِّد»[2].

وقد كررتْ زينبُ الغـزالي هذه الحقيقـةَ في أكثر من منـاسبةٍ ومكـان، وبخاصـةٍ عندما كانت تتحدثُ لمندوبـي المجلات الإسلامية.

طبيعة قيادته للتنظيم الجديد

كانت القيادةُ العمليـةُ التنفيذيـة للتنظيم الجـديد للجنـةِ الخماسيـة ــ علي عشماوي وعبد الفتاح إسماعيل وأحمد عبد المجيد ومبارك عبد العظيم وصبري عرفة ــ وقد تـركَ سيِّد لهؤلاء الإخوان الخمسة تصريفَ أمور التنظيم العملية.

أما قيادةُ سيِّد، فكانتْ فكريةً ثقافيةً، تعليمية تربوية!

لـذلكَ قـال لهم عندمـا طَلَبوا منـه قيادتهم: «ولكنني كمـا تعلمونَ رجـلٌ مريضٌ بأمراضٍ مستعصية على الطبِّ حتى الآن، وخطيرة، والأجيالُ ــ نعم ــ بيد الله، ولكنَّ قدَرَ الله يتمُّ بأسبابٍ يوجدُها الله. .

لـذلك يجبُ أن تعتمـدوا على الله، وتحـاوِلـوا أن تكـونـوا أنتم قيـادة. ومهمّتي الحقيقية معكم هي بذْلُ كلِّ ما أملكُ لتوعيتِكم، وتكوينِكم العقلي، لتكونوا قيادة. .».

وكانت توجيهاتُه لهم تربويةً تعليميةً ثقافية سياسية عامة. !

وكانت اجتماعاتُه بهم «أحياناً مرةً كلَّ أسبوع، وأحيانـاً مرةً كـل أسبوعيْن. . وفي فتراتِ انشغالي مرةً كلَّ ثلاثة، أو كل شهر. .»[3].

---

(١) أيام من حياتي: ٣٦ ــ ٣٧.
(٢) المرجع السابق: ٤٠.
(٣) لماذا أعدموني: ٤٧.

كانت مدةُ قيادته للتنظيم «لا تزيدُ على ستة أشهـر، ولا تحتملُ أكثـر مما يتـراوح بين عشرة واثني عشر اجتماعاً. لا يتسنّى فيها إلّا القليل»[1].

نجح سيِّد في صرفِ أعضاءِ التنظيم عن فكرةِ الأخـذ بالثـأر ممن ضربـوا حركـةَ الإخوان «كنا قد اتفقْنا على استبعادِ استخدام القوة كوسيلةٍ لتغييرِ نظام الحكم، أو إقامةِ النظام الإسلامي»[1].

مكمن الخطأ في منهج سيِّد للحركة الإسلامية في رد الاعتداء

أَشرْنا من قبلُ إلى منهجِ سيِّد في الحركةِ والعمل والدعوة، وبيَّنّـا أنه يقـومُ على نقاطٍ ستة، نوجزُها هنا، لنعرفَ مكمنَ الخطأ فيها:

١ ـ وجوبُ البدْءِ مع الشباب المسلم ـ ومع الناس الآخرين ـ بالعقيـدة، وبيانِ معنى الإيمانِ والإسلامِ والعبوديةِ والتحاكمِ إلى الله.

٢ ـ تـربيـةُ الشبـابِ المسلم الفـاهمِ لـدينـه على الأسـاس السـابق، على الأخـلاق الإسـلامية، وتـوعيتُهم بما يجـري حولهم في المعسكـراتِ المحليّة والخـارجيـة المعادية.

٣ ـ عدمُ البدءِ بتنـظيمِ الأفراد، إلّا بعـدَ وصولهم إلى درجـةٍ عاليـة من فهم العقيدة، ومن الخلقِ والسلوك، ومن الوعي بكل ما يجري ويحدث.

٤ ـ نقطةُ البدءِ في الحـركةِ الإسلامية ليست في المـطالبةِ بـإقامـةِ النظام الإسـلامي، وإنما بنقْلِ المجتمعـات ـ أو قطاعـاتٍ مؤثّرة فيهـا ـ إلى الإسلام ـ وفقَ النقـاط السابقة ـ لتطالِبَ هي بتطبيق الإسلام.

٥ ـ لا يكونُ الوصـول إلى إقامـةِ النظام الإسـلامي، عن طريقِ انقـلاب في الحكم، يجيءُ من أعلى، ولكن عن طريق تغييرِ تصـوّراتِ المجتمع ـ أو قـطاعاتٍ مؤثّـرة فيـه ـ وقيمِه وأخلاقِه والتزامِه بـالإسلام، بحيثُ يعلم أفـرادُه أنَّ تطبيقَ الإسـلام فريضةٌ لا بدَّ منها.

---

(١) لماذا أعدموني: ٤٨.

٦ ـ في الوقت ذاته، تجب حمايةُ الحركة الإسلامية، وهي سائرةٌ في خطواتها السابقة، بحيث إذا اعْتُدِيَ عليها وعلى أفرادِها تردُّ الاعتداء. وما دامت هي لا تريدُ أن تعتديَ على غيرِها، ولا تريدُ أن تفرضَ نظامَ الله بالقوة من أعلى، فيجب أن تُترَكَ لتؤديَ واجبَها، وألّا يُعْتَدىٰ عليها وعلى أهلِها، فإذا وقعَ الاعتداءُ عليها كان الردُّ عليه من جانبها، بضرب القوة المعتدية، بالقدرِ الذي يسمحُ للحركة أن تستمرَّ في طريقها»[1].

ونرى أن النقاطَ الخمسةَ لا كلام عليها، وأنها صحيحةٌ ومقبولة.

لكننا نرى الخطأ في النقطةِ السادسة، وهي ردُّ الحركة الإسلامية لأيِّ اعتداءٍ عليها.

هل يتركون الحركة الإسلامية مع منهاجها التربوي؟

الخطأُ ـ أوّلاً ـ في تصوُّره إمكانية ترْكِ الأعداءِ الجاهليّين للحركة الإسلامية، لتطبيقِ منهجها التربويِّ التعليميِّ السابق، طالما أنها لا تريدُ تغييرَ نظام الحكم من أعلى بالقوة.

إن الجاهليّين لا يطيقونَ رؤيةَ الإسلاميين دعاة الحق، وإنهم يعتبرون مجردَ وجودِ الإسلاميين خطراً مباشراً عليهم، ولو لم يتدخَّلوا بهم، ولو انصرفوا عنهم إلى التربية، وإيجادِ أجيال للتغييرِ في المستقبل، ولهذا يتحرَّشُ الجاهليّون بهم، ويعتدون عليهم! وقد ركَّز سيِّد نفسُه على هذا المعنى في أكثرَ من موضع من الظِلال.

أَكتفي بذكْرِ تعليقِه في الظلال على قول شعيبٍ عليهِ السلام لقومه: **﴿وَإِنْ كانَ طائِفَةٌ مِنْكُمْ آمنَتْ بالّذي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنوا، فَاصْبِروا حَتّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنا، وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمين. قالَ المَلأُ الذينَ اسْتَكْبَروا مِنْ قَوْمِه: لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَالّذين آمَنوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا، أَوْ لَتَعودُنَّ في مِلَّتِنا﴾** [سورة الأعراف: الآيتان ٨٧ ـ ٨٨].

قال سيِّد: «لقد دَعاهُم إلى أعدلِ خطّة، ولقد وَقَفَ عندَ آخرِ نقطة، لا يملكُ أن

---

(١) لماذا أعدموني: ٤٢ ـ ٤٥.

يتراجعَ وراءَها خطوة. نقطةُ الانتظارِ والتريُّثِ والتعايشِ بغيرِ أذى، وترْكِ كلٍّ وما اعتنق من دين، حتى يحكمَ الله، وهو خير الحاكمين.

ولكن الطواغيتَ لا يُرضيهم أن يكونَ للإيمان في الأرض وجود، ممثلٌ في جماعة من الناس لا تَدينُ للطاغوت..

إنَّ وجودَ جماعةٍ مسلمة في الأرض، لا تَدينُ إلاّ لله، ولا تعترفُ بسلطانٍ إلاّ سلطانِه، ولا تُحكِّم في حياتها شرْعاً إلاّ شرعه، ولا تتَّبعُ في حياتها منهجاً إلاّ منهجه.. إنَّ وجودَ جماعةٍ مسلمةٍ كهذه يهدِّدُ سلطانَ الطواغيت، حتى لو انعزلتْ هذه الجماعةُ في نفسها، وتركت الطواغيتَ لحكم الله حين يأتي موعدُه.

إنَّ الطاغوتَ يفرضُ المعركةَ فرْضاً على الجماعة المسلمة ـ حتى لو آثَرَتْ هي أن لا تخوضَ المعركة معه ـ!

إنَّ وجودَ الحقِّ في ذاته يزعجُ الباطل. وهذا الوجودُ ذاتُه هو الذي يفرضُ عليه المعركةَ مع الباطل.. إنها سنةُ الله لا بدَّ أنْ تجري...»[1].

هذه هي طبيعةُ الصراع بينَ الحركة الإسلامية وبين أعدائِها، وهذا هو الحقُّ في هذه المسألة، فكيفَ يتصوَّرُ سيِّد ـ في النقطة السادسة السابقة ـ إمكانَ أنْ يَتْرُكَ أهلُ الباطل الحركةَ الإسلامية لتؤديَ واجبَها التربوي التعليمي، وإمكان أن لا يعتدوا عليها؟!

الخطأ في إقرار مبدأ رد الاعتداء

إن تصوُّرَ سيِّد إمكانيةَ تَرْكِ حركته الإسلامية مع منهاجِها التربوي التعليمي، جعَلَهُ يستبعدُ وقوعَ الاعتداء عليها من قِبَلِ النظام!

ومع ذلك فقد خصَّص نقطةً من نقاطِه المنهجية الستة، لإقرار مبدأ ردِّ الاعتداء عليها، إنْ وقعَ الاعتداءُ من قبل النظام!

ونعتقدُ أن هذا هو مكمن الخطأ في منهجه السابق.

---

(١) الظلال ٣: ١٣١٨.

وقد اعتمد هذا المبدأ مع القيادةِ الخماسية للتنظيم.

وبيَّن تصوُّرَه لمبرِّرات اعتماد هذا المبدأ، وكيفيةِ تطبيقه:

١ ـ هو حقُّ قررهُ الله للمسلمين ﴿**فمنِ اعْتدَى عَلَيْكُمْ فاعْتَـدوا عَلَيْهِ بِمِثْـلِ ما اعْتَـدَى عَلَيْكُمْ**﴾. [سورة البقرة: ١٩٤].

٢ ـ الاعتداءُ الغاشِمُ الذي أوقعَتْه الحكومةُ على الإخوان المسلمين في سنة ١٩٤٥م، وفي سنة ١٩٥٧م، بالاعتقالِ والتعذيبِ، وإهدارِ كلِّ كرامةٍ آدمية أثناءَ التعذيب، ثم بالقتل، وتخريبِ البيوت، وتشريدِ الأطفال والنساء».

٣ ـ تَرْكُ التفكير في الاعتداءِ السابق من الحكومة على الإخوان، وتَرْكُ أَخْذِ الثأر فيه، وإنما التخطيطُ لردِّ الاعتداءِ الذي سيقع.

٤ ـ عدمُ ردِّ الاعتداء بـالمثل تمـاماً، لتـوجيهاتِ وتعليمـاتِ الإسلام الأخـلاقية، «لأن الإسلامَ ذاتَه لا يبيحُ لمسلم أن يعذِّبَ أحداً، ولا أن يهدرَ كرامتَه الآدميـة، ولا أن يَترِكَ أطفالَه ونساءَه بالجوع».

٥ ـ الالتـزامُ بالـوسائـلِ التي يبيحُها الإسـلام، عند ردّ اعتـداءِ المعتدين. وهي قتـالُ المعتدين فقطْ وقتلُهم.

٦ ـ الهدفُ من ردِّ الاعتداء، يبدو في جانبيْن:

(أ) حتى لا يصبحَ الاعتداءُ على الحـركةِ الإسـلامية وأهلِهـا سهْلاً، يـزاولُه المعتدون في كلِّ وقت.

(ب) لمحـاولـةِ إنقـاذِ وإفـلاتِ أكبـرِ عـددٍ ممكنٍ من الشبـابِ المسـلم النـظيف..»[1].

ونـرى أن اعتمادَ هـذا المبدأ خـطأً، لأن ردَّ الاعتـداء سيقـودُ إلى اعتـداءٍ أكبـر وأخطر، بل سيقودُ إلى مذبحةٍ مدمِّرة!! وهذا مـا حصلَ عـام ١٩٦٥م و١٩٦٦م، حيث استغلت الحكـومةُ اعتمـادَ هذا المبـدأ للتنظيم، والتفكيـرَ في كيفيـةِ تـطبيقـه، لتبـطشَ بالتنظيمِ بطشةً رهيبة، لا نكادُ نجد لها مثيلاً في التاريخ البشري!

---

(١) لماذا أعدموني: ٥٣ ـ ٥٤.

ولقد أقرَّتْ مجموعةٌ من الإخوان المسلمين في سوريا في السبعينيّات اعتمادَ هذا المبدأ، في مواجهةِ حكمِ النصيريّين للبلاد، واضطرتْ قيادةُ الإخوان وقتَها إلى اعتمادِه وإقراره، وحدثتْ مواجهة رهيبة حادّة، بين الإخوان وبين السلطة، وأبلى الإخوانُ فيها بلاءً كبيراً، لكنها انتهت إلى سيطرةِ السلطة على الموقف، وإيقاعِها مذبحةً رهيبة بالإخوان وبالشعب المسكين، سقط فيها مئاتُ الشهداء، وآلافُ الجرحى والمعتقلين.

وتركتْ هذه التجربةُ جُرْحاً غائراً لم يندملْ في العملِ الإسلامي، وأثَّرَتْ لسنواتٍ قادمة على مسيرةِ الدعوة الإسلامية في سوريا وفي غيرها!!

إن مواجهةَ الحركة الإسلامية للنظام، مواجهةً مسلحة، بأفرادٍ أقوياءَ مدرَّبين، مغامرةٌ محكومٌ عليها بالفشل، حتى لو كان الأفرادُ مئاتٍ أو أُلوفاً، لأن النظامَ الحاكمَ يملكُ جيشاً نظاميّاً مدرَّباً مسلَّحاً، قادراً على سحْقِ أولئك الأفراد، وإن رموزَ النظامِ لا يرعَوُون عن سحقِ أيةِ قوةٍ أمامَهم، وعن إبادة الشعب المسكين!

إن الأوفقَ والأفضلَ للحركة الإسلامية، أن تسيرَ في مسيرتِها التربوية ــ كما أبرزَها سيِّد قطب في نقاطِها الخمسة ــ أمّا إذا قاوَمَها النظام واعتدى عليها ــ وهو واردٌ، بل لازمُ الوقوع ــ فعليها أن تواجِهَ المحنةَ بصبرٍ وجَلَد، وبثباتٍ وشجاعة، وباحتسابٍ لله، ولا مانعَ أن تدخلَ الزنازين والسجون، ولا مانعَ أن يُصَبَّ عليها من العذاب مما يعجزُ عنه الناس، ولا مانع أن تفقدَ الشهداء، وأن تسيلَ منها الدماء!! لكن عليها أن تصبرَ وأنْ تحتسب، وأن تنتظر الفرج والخلاص من الله، وأن تطلب منه أن يفتحَ بينَها وبين أعدائها بالحق، وهو خيرُ الفاتحين، وأن يحكمَ بينها وبينهم بالحق، وهو خير الحاكمين!!(١).

ثم إنَّ من مظاهرِ الخطأِ في اعتمادِ سيِّد لمبدأِ ردِّ الاعتداء، هو فتحُ البابِ أمام عملاءِ السلطة، ليندَسُّوا في التنظيم، ويسوِّغوا له مواجهةَ السلطة. ويورِّطوه بالبحثِ عن السلاح وشرائه وتخزينه، ويرسُموا المؤامرةَ الدقيقة في ذلك، ثم تواجِهُ السلطةُ هذا التنظيم، وتقاوِمُه، وتأخذُه بتهمةِ العنف والتخريب والقتل والاغتيال، وتشوِّهُ صورتَه أمام الناس!

(١) انظر الرسالة القيمة «مذهب ابن آدم الأول: أو العنف في العمل الإسلامي» للأستاذ جودت سعيد.

وهذا ما نرجِّحُ أنه حصل للتنظيم الإخواني عام ١٩٦٤م.

علي عشماوي يورِّط التنظيم في موضوع السلاح

علي عشماوي عضوٌ في القيادةِ الخماسية، ومسؤولٌ عن تنظيمِ إخوانِ القاهرة.

وقد لاحظَ علي عشماوي اعتمادَ سيِّد وإخوانِهِ في القيادة مبدأَ ردِّ الاعتداء المتوقَّع على التنظيم، وبحثَهم «في موضوعِ تدريبِ المجموعات. التي تقومُ بردِّ الاعتداء، وحمايةِ التنظيم منه، وموضوعِ الأسلحةِ اللازمة لهذا الغرض، وموضوعِ المال اللازم كذلك»[1].

فعمل علي عشماوي على توريطِ التنظيم بموضوع السلاح، والبحث عن مصادره، وكيفيةِ تأمينِه للتنظيم، وادَّعىٰ قدرتَهُ على ذلك، وتطوَّعَ لخدمة التنظيم في ذلك، وأسمعَ لجنةَ القيادة أخباراً وقصصاً عنه!!

وكان لحكايةِ علي عشماوي مع السلاح، أثرٌ مباشرٌ في بطش الحكومة المبكِّر بالتنظيم، قبل أن يستكملَ رسالتَه التربوية الحركية كما رآها سيِّد، بل قبل أن يتوصَّلَ إلى السلاح، ويحاولَ ردَّ اعتداءِ الحكومة عليه!!

من هو علي عشماوي؟ ومن كان وراءه؟

يرى كثيرٌ من الإخوان أن «علي عشماوي» لغزٌ محيِّر، وأنَّ هناك أسئلةً كثيرة محيِّرة مقلقة، بشأنه، وبشأنِ صلتِه مع الإخوان، وبشأن اتِّصالِه بسيِّد قطب، وبشأنِ قصته مع السلاح، وبشأن اعترافِه أمامَ المحققين، وغير ذلك!

أروي في ذلك هذه الفقرةَ من كتاب «الموتى يتكلمون»:

«لم تكن الحكومةُ تعلمُ شيئاً عن التنظيم حتى عام ١٩٦٥م، عندما كشفَ عنه أحدُ قادتِه، وهو «علي أحمد عبده عشماوي».. وكان يعملُ كاتبَ حسابات بالشركة المصرية العامة للأساسات..

وقد تضاربت الأقوالُ في حقيقةِ علي عشماوي:

---

(١) لماذا أعدموني: ٤٩.

البعضُ يؤكِّد أنه كان من المخلِصين لفكرةِ إحياءِ جماعة الإخوان المسلمين، وظلَّ كذلك، حتى تمَّ القبضُ عليه، وحوكم، وصدر ضدَّهُ حكمٌ بالإعدام، ثم خُفِّف للمؤبد.

والبعضُ يؤكِّد أنه كان «عميلاً لجهاز المباحث الجنائية العسكرية»، وعندما استشعرَ أن هناكَ نيةً للإطاحة بالإخوان المسلمين، سارعَ إلى تقديمِ خدماته لرجالِ المباحث الجنائية العسكرية، وحرَّر إقراراً مكوَّناً من تسعِ صفحات، يتضمَّنُ كلَّ المعلومات التي يعرفُها عن التنظيم...

ويؤكِّدُ الذين يردِّدون ذلك، أنَّ علي عشماوي لم يمكثْ في السجن طويلاً، ثم أُفرِجَ عنه، وهاجرَ إلى أمريكا، حيث يقيمُ بها حالياً»[1].

إننا لا نجزم بحقيقةِ علي عشماوي، ولا بهويَّتِه أو هدفِه، ولكننا نميلُ إلى الرأي الثاني، ونرجحُ أنه كان عميلاً ــ أو صنيعةً للمباحث ــ وأنه عملَ على توريطِ التنظيم بموضوع السلاح! ــ والله أعلم ــ.

ومما يرجحُ هذا الرأيَ أن «فؤاد الدجوي» لما حاكم سيِّد عام ٦٥م، واجههُ بأقوالِ علي عشماوي عنه، وأن سيد كذَّب عشماوي في أكثرَ من موضوع، وأن سيِّد دعا الدجوي إلى عدم قبولِ رواياتِ عشماوي عن سيِّد، إلّا إذا ذَكَرَ حضورَ الإخوةِ القياديِّين الأربعةِ معه[2].

ومما يرجحُ هذا الرأيَ في عشماوي، ما روَتْه «زينب الغزالي» عن إدخالِ الجلادين لعشماوي عليها، وهي تعذَّب في التحقيق: «وجاءَ علي عشماوي... كان يلبس «بيجامة» من الحرير المهفهف، نظيفة، أنيقة. شعرُه ممشّط، لا يبدو عليه أيُّ أثرٍ للتعذيب. فلما رأيتُه، واستعرضْتُ في ذهني حالةَ الآخرين، وحالتي، علمتُ ــ بل تيقَنْتُ ــ أنَّ هذا المخلوق خانَ أمانةَ الله، وشهدَ على إخوانه زوراً..»[3].

وفي موطنٍ آخرَ من مواطن التحقيقِ مع زينب الغزالي وتعذيبها، تروي كيف أن

---

(١) الموتى يتكلمون: ٥٠.

(٢) انظر المرجع السابق: ١٨٠ ــ ١٨٢.

(٣) انظر «أيام من حياتي»: ١١٨.

الجلادين أحضروا لها علي عشماوي ــ بحالته السابقة المنعَّمة ــ ليشهدَ عليها أمامَ شمس بدران، وأنها قالت لهم ما ذَهَبوا لإحضاره: «علي عشماوي كذّاب أشِر، وسأبصق في وجهه لأنه كذاب مأجور..».

وتروي أن شمس بدران خاطب علي عشماوي بمنتهى الرقَّة، وأنَّ علي عشماوي شهدَ عليها وعلى الهضيبي، فصرختْ فيه قائلة: «أنتَ كذّابٌ أشِر، وهيئتُك تفضحك، الإخوانُ على الأعواد، تقطَعُ السياط أجسادَهم، وتنهشهم الكلاب، ويتقلّبون في ألوانٍ من العذاب، وأنتَ على هذه الهيئة. أنتَ مأجورٌ رخيص!!»[1].

علي عشماوي يخبر سيِّد وحده بالسلاح

ومما يؤكِّدُ الظنونَ في علي عشماوي ويقوِّيها، ويرجِّح أنه كانَ صنيعةً من صنائع المخابرات، للإيقاع بالتنظيم الإخواني الجديد، أنَّ موضوعَ «السلاحَ» كان عندَه هو!

لم يكن أحدٌ من أعضاءِ القيادة الآخرين له علمٌ بالسلاح، ولا طلبَه، ولا رتَّبَ عمليةَ شرائه ولا إحضارِه!

وأنَّ الأعضاءَ الآخرين فوجِئوا بكلامِ علي عشماوي عنه، كما فوجيءَ سيِّد قطب نفسُه!

وأن علي عشماوي جاءَ إلى سيِّد ــ على غير مِيعاد ــ وفاجأَهُ بموضوعِ السلاح، وأخبرَه به وحدَه، في معزلٍ عن الإخوان الآخرين!!

لنستمعْ إلى روايةِ سيِّد بهذا الخصوص: «إنَّ علي عشماوي زارني على غير ميعاد، وأخبرَني أنه كان منذُ حوالي سنتين ــ قبل التقائنا ــ قد طلبَ من أخٍ في دولةٍ عربية، قِطَعاً من الأسلحة، حدَّدها له في كشف. ثم تَرَكَ الموضوعَ من وقتها. والآنَ جاءه خبرٌ منه أن هذه الأسلحة ستُرْسَل ــ وهي كمِّياتٌ كبيرة، حوالي عربية نقل ــ وأنها سترسَل عن طريق السودان، مع توقُّع وصولِها خلال شهرين.. وكان هذا قبلَ الاعتقال بمدَّة، ولم يكن في الجوِّ ما يُنذرُ بخطرٍ قريب.

ولما كان الخبرُ مفاجئاً، فلم يكن ممكناً البتُّ في شأنه، حتى نبحثه مع الباقين، فاتفقْنا على موعدٍ لبحثه معهم.

---

(١) انظر المرجع السابق: ١٤٩ ــ ١٥٠.

وفي اليوم التالي ــ على ما أتذكَّر ــ وقبلَ الموعد، جاءني الشيخ عبد الفتاح إسماعيل، وحدثَني في هذا الأمر، وفهمتُ أنه عرفَه طبعاً من علي، وكان يبدو متخوِّفاً منه، وغيرَ موافِقٍ عليه!!»[1].

ولدى نظرنا في رواية سيِّد، فسنراها تُثيرُ حولَ علي عشماوي أسئلةً خطيرةً حائرة:

لماذا لم يَعْلم بالأسلحة ولم يُرَتِّبْ طلبَها إلاّ علي عشماوي؟ ولماذا فوجىءَ عبدُ الفتاح إسماعيل بالخبر؟ ولو كان مصدرُ الأسلحةِ إخوانياً وترتيبُها إخوانياً، ألا يكون عندَ عبد الفتاح إسماعيل علمٌ بها ــ وهو «مهندسُ» التنظيم الإخوانيِّ الجديد ومؤسِّسُه! ــ ولماذا تخوَّفَ أعضاءُ القيادة من السلاح؟

ثم لماذا طالِبُ السلاحِ هو علي عشماوي وحدَه ــ قبل سنتين ــ؟ ومن هو مصدرُ السلاح؟ وهل يكفي التعريفُ عليه بأنه «أخ في دولة عربية»؟ وكيف سيدفعُ ثمنَ هذا السلاح؟ ومِنْ أين؟ ولماذا هذه الكميةُ الكبيرة التي لم يطلبْها علي عشماوي نفسُه ــ عربية نقل ــ؟

إن هذه التساؤلات الخطيرةَ الحائرةَ حول موضوع سلاح علي عشماوي، لتثيرُ الظُّنون فيه، وتجعلُنا نميلُ إلى اتِّهامِ علي عشماوي به، وإلى أنَّ السلاحَ ليس عن طريق الإخوان ــ لا في داخل مصر ولا خارجها ــ بل نرى أن قصةَ هذا السلاح مكيدةٌ مدبَّرَةٌ من المخابرات والمباحثِ المصريةِ للإيقاعِ بالتنظيم الإخواني الجديد، عن طريقِ ترتيبِ «شَرَكٍ» له، لتبريرِ البطش به والقضاءِ عليه، وأن المخابرات استخدموا صنيعتَهم علي عشماوي ــ الذي نجحَ في الوصولِ إلى مركزٍ قياديٍّ في التنظيم ــ للإيقاع بالإخوان. ونرى أن القصةَ كلَّها من ترتيبِ ورسمِ و«طَبْخِ» المخابرات!!

قيادة التنظيم تدرس رد الاعتداء

نجحَ علي عشماوي في توصيلِ خبر السلاح للجنة القيادة، ونجحَ في إشغالِها به، وبكيفيةِ تمويلِه وترتيبِ وصوله، وتأمينِ التدريب عليه، والتخطيطِ لردّ الاعتداء

(١) لماذا أعدموني: ٤٩ ــ ٥٠.

المتوقَّع على الإخوان، وضرْبِ رؤوس النظام المعتدي!

وقد أخذتْ هذه الأمورُ وقْتاً طويلاً من لجنةِ قيادة التنظيم، وكان علي عشماوي حاضراً تلك المناقشات والخطط، ولا نستبعدُ أنه كان يُطلعُ المباحثَ عليها أوَّلاً بأوّل!

وانطلت الحيلةُ على القيادةِ الإخوانية، ووقعوا في «فَخِّ» علي عشماوي!!

ولكن الإخوانَ ــ والحقُّ يُقال ــ كانوا كارهين لموضوع السلاح، ومتخوِّفين منه، وراغبين في إلغائِه ــ مع أنهم لم يطلبوه! ــ وكلَّما أوشكوا في إقْرارِ إلغائه، يثيرُ أمامَهم علي عشماوي إشكالاتٍ وقضايا حولَه، ويَنْجحُ في اعتمادِهم له، ورسْمِ خططِ استخدامه، والتدرُّبِ عليه، وضرْبِ الحكومة به!.

يروي سيِّد قطب أنَّ إخوانَه في القيادة، لما فوجئوا ــ جميعاً ــ بقصَّةِ السلاح، ودرسوا الأمر، أرادوا إلغاءَ الصفقة، وصَرفوا النظر عنها، وسَلَكوا طريقاً لذلك الإلغاء: «وفي موعدٍ آخر كان الخمسةُ عندي، وتقرَّرَ تكليفُ علي بوقفِ إرسالِ الأسلحة من هناك، حتى يتمَّ الاستعلامُ من مصدرها، وعن مصدر النقود التي اشتُريتْ بها... وطريقِ شرائها... وطريقةِ إرسالها... وبعد ذلك يُقالُ للأخ المرسل ألّا يرسلها حتى يُخْطَرَ بإرسالِها!!»

وكلَّفَ الإخوانُ علي عشماوي نفسَه بالسؤالِ والاستعلامِ والتأكُّد!! ــ وهم لم يكونوا شاكِّين فيه، وفي صِلاتِه المشبوهةِ بالمباحث ــ.

وبعدَ أكثرَ من شهرٍ جاء علي عشماوي لإخوانِ القيادة، بإجاباتٍ على تساؤلاتِهم حول السلاح ــ نرى أنَّ أسيادَه رتَّبوها له لتتمَّ خطةُ ضربِ الإخوان ــ فطمأَنَهم أنها اشتُرِيَتْ «بأموالٍ إخوانية من خاصةِ مالهم، وأنهم دفعوا فيها ما هُمْ في حاجةٍ إليه لحياتهم».

وقطع علي عشماوي الطريقَ أمامَ القيادة في محاولةِ إيقاف الأسلحة أو إلغائِها، أو حتى تأخيرِها، حيث أخبرَهم أن الأخَ ــ المجهول!! ــ أخبرهم «أن الشحنةَ أُرْسِلَتْ فعلاً، ولا يمكنُ وقْفُ وصولِها!!»[1].

---

(١) انظر لماذا أعدموني: ٥٠ ــ ٥٢.

وبهذا وضعَ علي عشماوي الإخوانَ أمامَ الأمر الواقع، واضطرهم إلى بحثِ أمرٍ لم يُخطِّطوا لـه ولم يُريدوه، وبحثِه وهم له كارهون، ومنه متخوِّفون!

وصار الإخوانُ يبحثونَ كيفيةَ ردِّ الاعتداء المتوقَّع عليهم، اعتماداً على السلاح الذي لم يستلموه، والذي طمْأَنَهم علي عشماوي به!

واقترحوا أن يكون «ردُّ الاعتداء عند وقوعِه بضربةٍ رادعةٍ، توقفُ الاعتداء، وتكفلُ سلامةَ أكبرِ عددٍ من الشباب المسلم»[1]، ولذلك اقترحوا أن تكون أعمالُهم «هي الرد فورَ وقوعِ اعتقالاتٍ لأعضاءِ التنظيم، بإزالةِ رؤوس، في مقدِّمتها رئيسُ الجمهورية. ورئيسُ الوزارة، ومديرُ مكتب المشير، ومديرُ المخابرات، ومديرُ البوليس الحربي..»[1].

وبما أنهم لا يملكونَ الإمكانياتِ اللازمة، فقد اتفقوا «على الإسراع في التدريب»!

ووافقَهُم سيِّد على ذلك الرأي مكرَهاً: «بعدَما كنتُ من قبلُ أرى تأجيلَه، ولا أتحمَّسُ له، باعتبارِه الخطوةَ الأخيرة في الحركة، وليس الخطوةَ الأولى»[2].

وأمام كثرةِ الإشاعات في البلادِ بقرْبِ ضربِ الحكومة للإخوان، وأمامَ تحذيرِ بعضِ قادة الإخوان لسيِّد، من عملِ التنظيم الإخواني الجديد ــ وبخاصةٍ الأَخَوانَ منير دلة وفريد عبد الخالق ــ وأمامَ خطورةِ الوضع، وتسخين الجو، فقد اتخذتْ لجنةُ القيادة قراراً بالإسراع في التدريب، مع عدمِ توفُّرِ الإمكانيات. وكان هذا هو آخرَ قرارٍ اتخذتْه، حيث لم تجتمعْ اجتماعاً منظَّماً بكاملِ أفرادها بعد ذلك:

«المهمُّ أنَّ هذه كلَّها كانت تنذرُ بقرْبِ ضربة، واعتداءٍ يقع على الإخوان ــ وعلى هذا التنظيم بشكلٍ خاص ــ فقرَّرْنا الإسراعَ في التدريب بقدر الإمكان، وانصرَفْنا على أنه ليس لديْنا الإمكانياتُ الآن!!

وأتذكَّرُ أن هذا كان آخرَ اجتماعٍ للمجموعة، فلم ألتقِ بعد ذلك إلا بالشيخ

---

(١) لماذا أعدموني: ٥٤.

(٢) المرجع السابق: ٥٥.

عبد الفتاح وبعلي عشماوي في رأس البر. .»[1].

سيِّد يوصي بإلغاء خطة رد الاعتداء

بعدما بدأت اعتقالاتُ الإخوان في صيف عام ١٩٦٥م، وقبلَ أن تصلَ الأسلحةُ للإخوان، وقبلَ أن يبدأوا التدريبَ الحقيقيَّ لردِّ الاعتداء. . . أوصى سيِّد قادةَ التنظيم بإلغاء ما أوصوا به من قبلُ واتفقوا عليه، وأوصلَ ذلك لعلي عشماوي، وكلَّفه أن يبلغَ إخوانَه به. .

ولكن علي عشماوي بدلَ أن يبلِّغ ذلك لإخوانه، عادَ واستوضح من سيِّد، هل هذا نهائي أم قابلٌ للتغيير؟ مما جعلَ سيِّد يستدركُ في وصيته!!. .

يقول سيِّد حول هذه النقطة: «أَرسلْتُ إليهم ــ عن طريق الحاجة زينب ــ في تعبيراتٍ ملفوفةٍ غير صريحة، أن يوقِفوا نهائياً عمليةَ السودان (أي الخاصة بالأسلحة بأيِّ شكل، وأن يُلْغوا كلَّ عمليةٍ أخرى (أي الخاصة برد الاعتداء).

فجاءَني استفهامٌ من الأخ علي ــ عن طريق الحاجة زينب كذلك ــ عمّا إذا كانت هذه تعليماتٍ نهائية، حتى لو وقعَ التنظيم؟ فأجبْتُه بأنه في هذه الحالة ــ فقط ــ وعند التأكُّدِ من إمكانِ أن تكونَ الضربةْ رادعة وشاملة، يُتَّخذُ إجراء. وإلَّا فصرْفُ النظر عن كل شيء!!.

وكنتُ أعلم أنْ ليس لديهم إمكانياتٌ بالفعل، وأنه لذلك لن يقعَ شيء!!»[2].

إن سيِّد يعلمُ أنَّ إخوانَه لن يفعلوا شيئاً، مما فكَّروا فيه نظريّاً، ومما أشاروا به في السابق، لأن أسلحةَ علي عشماوي لم تصلْهم، ولأنَّ التدريباتِ الفعلية لم تبدَأْ، ولذلك أبلَغهم بإيقاف كلِّ شيء. .

وإنَّ استدراكه لعلي عشماوي، استدراكٌ نظريٌّ، وهو يعلمُ أنه لن يتحقق، لأنهم لم يملكوا شيئاً!

---

(١) لماذا أعدموني: ٥٥.

(٢) المرجع السابق: ٥٩.

وفعلاً لم تقع حوادث:
أين أسلحة علي عشماوي؟

وتسارعت الأحداثُ بعد ذلك، وازدادتْ اعتقالاتُ الإخوان، واعتُقِلَ قادةُ التنظيم الجديد، واعتُقل سيِّد قطب، ولم تقع حوادث، ولم يقم التنظيم بردِّ الاعتداد الواقع من الدولة على أفراده!

ولم تصل الأسلحةُ التي أخبرَهم علي عشماوي بأنها في الطريق، ولم تُعلن الحكومةُ ـ بعد إلقاءِ القبض على الإخوان ـ اكتشافَ شيءٍ من تلك الأسلحة، أو مصادرتها!

إن هذه لثغرةٌ كبيرةٌ في موضوع الأسلحة، وفي حقيقةِ علي عشماوي، وصلتِه بالمخابرات!!

لقد أخبرَ عشماوي الإخوان أن الأسلحة قد شُحنتْ فعلاً من السودان، وأنهم توجَّهوا بها إلى قرية «دراو» عندَ أسوان، وكان هذا قبلَ فترةٍ طويلة من بدء الاعتقالات، تتجاوزُ عدةَ أشهر! ولو كان كلامُ علي عشماوي صحيحاً لوصلت الأسلحةُ فعلاً، ولو وصلت الأسلحةُ لاستلمها الإخوان، وحاوَلوا فعلَ شيءٍ بها! وهذا لم يحصل! ولو وصلتْ ووقعت في أيدي الحكومة وصادرَتْها، لأعلنت الحكومةُ ذلك، وشهَّرت بالإخوان، وأوردتْ صورَ الأسلحة في كل وسائلِ الإعلام! وذلك لم يحصل! إذن ماذا جرى لأسلحة علي عشماوي؟

إن هذا يدلُّ على أن حكايةَ الأسلحة، فخٌّ أو شَرَكٌ أو مِصْيَدَة، رتَّبَتْها المخابرات، عن طريقِ علي عشماوي، للإيقاع بالإخوان، ولما تمَّ لها ما أرادتْ، واعتقلتْ الإخوان، سكتتْ عن مصيرِ تلك الأسلحة.

لقد فاتَ مُعِدُّ مسرحيةِ «أسلحة علي عشماوي» أن يكملَ مسرحيَّته برسْمِ مصير تلك الأسلحة، لتكونَ المسرحيةُ كاملة، وفْقَ الأساليبِ والأصول الفنية، ولتكتملَ خطواتُ اللعبة!!.

سيِّد يُنهي رواية قصة التنظيم

انتهتْ قصةُ التنظيم الإخواني الجديد بإلقاءِ القبضِ على أفراده في صيف عام ١٩٦٥م، وبتقديمِ علي عشماوي ـ وكان أوَّل المعتقلين ـ كلَّ المعلومات عن التنظيم وأُسَرِه وأفرادِه.

وبدأتْ مذبحةُ الإخوان الجديدة عام ١٩٦٥م، وبدأ سيِّد قطب يعيش محنةً جديدةً رهيبة قاسية، انتهتْ باستشهاده!

وقد أنهى سيِّد روايةَ قصته مع هذا التنظيم بقوله عن خطةِ ردِّ الاعتداء، التي فكَّروا فيها ثم عدَلوا عنها:

«ولكنَّ الأمر في هذا كلِّه ـ سواء في القضاء على أشخاصٍ أو منشآت ـ لم يتعدَّ التفكيرَ النظري.. ذلك أنه إلى آخرِ لحظةٍ قبل اعتقالِنا، لم تكنْ لديهم إمكانياتٌ فعليَّة للعمل ـ كما أخبروني من قبل ـ وكانتْ تعليماتي لهم ألَّا يُقبلوا على أيِّ شيء، إلا إذا كانت لديهم الإمكانياتُ الواسعة...

وكانت هذه هي صورةَ الموقف إلى يوم اعتقالي، ولا أعلم بطبيعةِ الحال، ماذا حدَثَ بعد ذلك، إلا أنه واضحٌ أنه لم يقع شيءٌ أصلاً...

وقد كانت لديهم فرصةُ ثلاثةِ أسابيع على الأقل، لو كانوا يريدون القيامَ بأيِّ عمل..»[(١)].

وهذا استنتاجٌ سليمٌ من سيِّد، مما يدلّ على أن التنظيمَ لم يفكر جدِّياً في ردِّ الاعتداء، وفي القضاءِ على رؤوس الحكومة في مصر، فلو كانوا يريدون هذا عمليّاً وجدِّياً، لحاولوا، فأمامَهم ثلاثةُ أسابيع على الأقل، ولو حاولوا فقد ينجحون!.

إن عدمَ محاولتِهم الفعلية القضاءَ على المسؤولين، دليلٌ على أن الأمرَ لا يعدو أن يكون تفكيراً نظرياً، ردَّ به الإخوةُ في لجنةِ القيادة على عروضِ علي عشماوي لهم، أَوْ قُلْ استجابةً منهم لاستدراجِ المخابراتِ المتمثلِ في عروضِ علي عشماوي لهم!!!.

---

(١) لماذا أعدموني: ٦٠.

ومع ذلك عاملَتْهم الحكومةُ، وكأنهم انتقلوا من التفكيرِ النظريِّ السريع غيرِ الجاد، إلى الخطوة العملية التنفيذية، وكأنهم قاوموا فعلاً، وقتلوا المسؤولين فعلاً!!!.

زيارات لسيِّد خارج نطاق التنظيم

نبقى مع هذه الحلقةِ من حياة سيِّد قطب خارجَ السجن لحظة، لنتعرّف على زائريه، في البيتِ وفي «رأس البر» على شاطىءِ البحر، وعلى مَنْ كان يزورُهم هو.

لقد كان سيِّد، في الشهورِ القليلة التي عاشَها بعد الإفراج الصحي عنه، مِلْءَ سمْعِ الشبابِ الإسلامي وبصرِهم، كانوا يحبونَه من كل قلوبهم، ويتلقفون ما يصْدُر عنه من كتب، ويؤيِّدون ما يصدرُ عنه من آراء، وكان القادرون منهم على الوصول إليه، يحرصون على زيارتِه، والجلوس معه، وتبادُلِ الأفكار والآراء بينهم وبينه، والانتفاعِ بتجربتِه!.

وكان بيتُه «مزاراً» لهؤلاء، لا يكادُ يخلو منهم.

لقد جعلَ سيِّد في كلِّ يومِ جمعة، ندوةً أسبوعيةً مفتوحة في بيته: «لكثرةِ عددِ الزائرين في يوم الجمعة المفتوح للزيارة، كندوةٍ عامة، كان يعلقُ بذهني صورهم أكثر من أسمائهم..»[1].

زارهُ أفرادٌ من الإخوان المسلمين من خارج مصر، إمّا بصفةٍ رسميَّةٍ إخوانية، أو بصفةٍ شخصية، وزارَهُ إسلاميُّون من غير الإخوان من خارج مصر، وزارَهُ إسلاميُّون من غير الإخوان من داخل مصر..

زاره أخٌ مندوب عن الإخوان المسلمين في العراق ــ اسمه حازم أو عاصم ــ وتناقشَ معه في قضايا تنظيمية، وبيَّنَ له أنَّ الإخوانَ في العراق يوافقونه على منهجه في الحركة والدعوة[2].

وزاره أخ مندوب عن الإخوان المسلمين في الأردن ــ اسمه الدكتور

(١) الموتى يتكلمون: ١٤١.
(٢) لماذا أعدموني: ٦١ ــ ٦٢.

عبد الرحمن ـ واستشارَهُ في مسألةِ علاقة الإخوان في الأردن بمنظمة التحرير الفلسطينية وبأحمد الشقيري، وأبدى سيِّد مأخَذَه على إخوان الأردن: «لأني أعرفُ منذ سنة ١٩٥٣م، عندما كنتُ في الأردن، أَنَّ إخوان الأردن، منغَمِسون في الحركات السياسية المحلِّيَّة، فلا يمكنُ أن أنصحَ لهم بالانسحاب منها، وهم لا يستجيبونَ لهذا، بحسبِ ظروفِهم وتاريخِهم في الحركة»[1].

وزاره مندوبٌ عن الإخوان المسلمين في السودان، ونصحه بالاعتمادِ على القاعدةِ الصلبة، وعدمِ عقْدِ الآمال على الانتخابات والجماهير![2].

وزاره مندوب عن الإخوان المسلمين في ليبيا[3].

وزاره مندوب عن الإخوان المسلمين في سوريا. وأَبْدى له سيِّد اعتراضَه على شدَّةِ انْغِماسِ الإخوان في سوريا في السياسة، وقلَّةِ الْتفاتهم للتربية[4].

أما زائروه من غير الإخوان من الخارج، فقد ذَكَرَ منهم بنتَ أخي الشيخ العراقي أمجد الزهاوي. والسفيرَ العراقي في القاهرة، موفَداً من الرئيس العراقي عبد السلام عارف. والسيِّد «ضياء شيت خطاب» المستشار بمحكمة التمييز العراقية، وشقيق الكاتب محمود شيت خطّاب.

ولما عُقد في القاهرة مؤتمرٌ لعلماء المسلمين في مجمع البحوث الإسلامية، زارَهُ بعضُ العلماء المسلمين، واستنصحوه في بعض المسائل.

زاره مندوبُ العلماء المسلمين في الجزائر للمؤتمر.

وزارَهُ الشيخ «محمد علي الجوزو» مفتي جبل لبنان.

وأَرسلتْ له «ندوةُ العلماء» في الهند ـ التي يرأسُها أبو الحسن الندوي ـ رسالةَ تهنئة رقيقةٍ بمناسبة الإفراج عنه.

---

(١) لماذا أعدموني: ٦٤ ـ ٦٦.

(٢) المرجع نفسه: ٦٦ ـ ٦٧.

(٣) المرجع نفسه: ٦٧ ـ ٦٨.

(٤) المرجع نفسه: ٦٩ ـ ٧٠.

كما أَرسلتْ له الجماعة الإسلامية في باكستان رسالةَ تهنئةٍ مماثلة[1]!.

أما عن زيارة الإسلاميين في الداخل له، وزيارته لهم:

فقد زاره «محمد عبد العزيز عطية» وتدارسَ معه ما يجري في معسكراتِ الشباب في الاتحاد الاشتراكي من إفسادٍ شيوعي لعقول الشباب.

كما زاره أحدُ المعلِّمين المدرِّسين في معهد المعلمين في أسيوط، لهذا الموضوع.

وبيَّن سيِّد صلته بالحاج حسين صدقي، وتبادُلَ الزيارات بينهما وبين عائلتيهما.

ثم بين بدايةَ تعرُّفِه على زينب الغزالي، في بيتِ الحاج حسين صدقي.

وأشار إلى زياراته للشيخ المجاهد «محمد الأُودَنْ» مرةً مع حسين صدقي وأهلِ بيته، ومعهم محمد قطب وزينب الغزالي، ومرات زاره بمفرده، وسمعَ من الشيخ الأودن تحسُّرَه على ضياعِ الشباب المسلم في مصر، ولكن سيد طمأَنَه بوجودِ شبابٍ صالح[2].

وقد حصلتْ زياراتٌ متبادَلة بينه وبين المرشد العام حسن الهضيبي[3].

ومن هذه الزياراتِ الكثيرة، نطلعُ على صورةٍ من همَّةِ سيد الكبيرة، وطاقته الضخمة، وحركتِه الدائبة، وجهدِه المتواصل. حيث لم يقعُدْ به مرضُه المستعصي، وعمرُه المتقدم، عن العمل لله، وفي سبيل الله!.

* * *

(١) انظر لماذا أعدموني: ٧١ ـ ٧٩.

(٢) المرجع السابق: ٨٠ ـ ٩٠.

(٣) الموتى يتكلمون: ١٢٤.

السادس

محنة سيِّد قطب الثانية

اعتقاله والتحقيق معه

أعـدتِ القوى المعـاديـة لـلإخـوانِ المسلمين ولـلإسـلام، مـذبحـةً رهيبـة عـام ١٩٦٥م، كـانتْ من أعنفِ وأقسى وأخطرِ مـا وُوجِه بـه الإخـوان في مصـر، بـل كـان التعذيبُ فيها من أبشعِ وأقسى صورِ التعذيب في التاريخ!

وقد سجَّلَ بعضُ المعـذَّبين من الإخوان في هـذه المذبحـة كثيراً ممـا جرى لهم فيها من أهوالٍ وأخطار.

ومن أهمِّ هـذه الكتب: البوابـة السـوداء، لأحمـد رائف. وسـراديب الشيـطان، لأحمـد رائف أيضاً. وأيـام من حياتي، لـزينب الغزالي. ويـوميـات سجين في السجن الحربـي، لكمال فرماوي. ومذابح الإخوان في سجون ناصر، لجابر رزق.

وبالنسبةِ لسيِّد قطب، فقـد أُوذيَ ــ هو وعـائلته ــ في هـذه المحنة إيـذاءً رهيباً، حيثُ اعتُقل وحُقِّق معه تحقيقاً مطوَّلاً، وعُذِّب تعذيباً رهيباً، وحُـوكم محاكمـة ظالمـة، ثم حُكم عليه بالإعدام، ونُفِّذ فيه الحكم!

الجو العام قبيل المذبحة: التسلط الشيوعي

كـان للشيـوعيين دورٌ مبـاشـر في مـذبحـة الإخـوان عـام ١٩٦٥م. فقـد تغلغـلَ الشيـوعيـون في مختلف الـوزارات والمؤسسـات، وسيـطروا على الاتحـاد الاشتـراكي العربـي ومنظماته، وعلى وسائلِ الإعلام، من صحفٍ ومجلات وإذاعة وتلفاز!

كـانت السلطةُ بيـد الشيـوعي «علي صبـري» رئيسِ الـوزراء. وكـان الاتحـادُ الاشتراكي العربـي بيد الشيوعي «كمال رفعت»!

وقبيلَ المذبحة ـ في ٢٥ أبريل ١٩٦٥م ـ نَشرت الصحفُ المصرية بياناً مفاجئاً للحزب الشيوعيِّ المصري، أَعلن فيه إعجابه بتجربةِ حكم عبد الناصر، وبدوْرِ الاتحاد الاشتراكي العربي، كما أعلنَ فيه أنه حلَّ جهازه وتنظيمه، وأنه انخرطَ بأفرادِه ضمن جهاز الاتحاد الاشتراكي العربي، ليسارعَ في عملية التحولِ الاشتراكي في مصر. وبهذا سيطرَ الشيوعيون على «التنظيمِ الطليعي» للاتحاد الاشتراكي العربي!(١)

الصراع بين مراكز القوى في الدولة

يضافُ إلى التسلطِ الشيوعيِّ على أجهزة الدولة، الصراعُ المريرُ بين مراكزِ القُوى التي تحكم البلاد، فكل مركزٍ منها يريد أن يثبتَ نفسه وقوَّته على حساب المراكز الأخرى، بل ويمكُرُ المركز بالمراكز الأخرى، ويتقربُ إلى عبد الناصر بالاختلاق والكذب والتزوير!!

وقد اشتدَّ الصراعُ وازدادَ قبيلَ المذبحة بين المباحثِ العامة والمخابراتِ العامة، حيث مكرت المباحثُ العسكرية بالمخابراتِ العامة المدنية، وأوهمتْ عبدَ الناصر بأن جهازَ المخابرات العامة لا يقوم بواجبه، وقدَّمتْ له التقاريرَ المزوَّرَة الكاذبة، عن مؤامراتٍ يدبِّرُها الإخوان ضدَّ أَمن الدولة، وطالبتْ منه إطلاقَ يدِها ضد الإخوان والإسلاميين، حفاظاً على الأمن والنظام، وأعطاها عبد الناصر ما أرادت!

وكسبت المباحثُ الجنائيةُ العسكرية الجولة، وصبَّتْ عذابَها على الإخوان.

وقد روى وزيرُ الداخلية عام ١٩٦٥م السيد «عبد العظيم فهمي» طرَفاً من ذلك الصراع، وبيَّنَ كيف مكَرَ به جهازُ المباحث الجنائية العسكرية وأعضاءُ مكتب المشيرِ عبد الحكيم عامر، بل كيفَ مَكَرَ به عبدُ الحكيم عامر نفسُه.

فقد كان عبد العظيم فهمي مع الوزراء في الإسكندرية، في أغسطس ١٩٦٥م، لوداع عبدِ الناصر الذي كان سيسافرُ في اليوم التالي إلى جدة، للاجتماع بالملك فيصل.

---

(١) الموتى يتكلمون: ٣٠.

وروى عبدُ العظيم فهمي كلامَ عبد الحكيم عامر له: «ماذا تفعل في الإسكندرية، وقد كادت القاهرةُ تقعُ في يد انقلابٍ ينظمه الإخوانُ المسلمون؟» وأَمَره بالذهاب فوراً إلى القاهرة لتصفيةِ المؤامرة!

ولما نفى فهمي وجودَ مؤامرةٍ إخوانية، وأرادَ البقاءَ في الإسكندرية ليحافظَ على أمْن عبد الناصر، أَمَرَه عبدُ الحكيم عامر بالسفر إلى القاهرة فوراً. ولما نفَّذَ الأمر وسافر، قال عبدُ الحكيم لعبد الناصر: إن وزيرَ داخليتك ترَكَ الإسكندرية تزخر بخلايا الإخوان المسلمين المتربِّصين لاغتيالك، وسافر للقاهرة!![1]

أوحت المباحثُ العسكرية لعبد الناصر بأنها أنقذَتْه من مؤامرةٍ خطيرة من الإخوان لاغتياله، وبذلك تقرَّبَتْ منه، وأفهمته عدم استغنائِه عنها.

وفُتحتْ سجونُ المباحث العامة أمامَ الإخوان، ولاقى الإخوان فيها الأهوال، ومن أشهر هذه السجون: السجنُ الحربي الرهيب، وسجنُ القلعة، وسجن أبي زعبل.

ومن أشهرِ الضبّاط المجرمين الجلّادين، الذين أشرفوا على مذبحة الإخوان عام ١٩٦٥م في السجن الحربي وسجن القلعة وغيرهما: شمس بدران: مدير مكتب عبد الحكيم عامر. وسعد زغلول عبد الكريم: مدير المباحث العسكرية. وحمزة البسيوني: مدير السجن الحربي. وضباط التعذيب في السجن الحربي وعلى رأسهم: صفوت الروبي، ومختار صالح، وجلال الديب، ورياض إبراهيم، وحسن كفافي، وحسن خليل...[2]

إشاعات ومنشورات ضد الإخوان

سبقَ أحداثَ مذبحة عام ١٩٦٥م إشاعاتٌ مغرضة، أطلقَها الشيوعيونَ والنصارى والقوى المعادية الأخرى.

---

(١) انظر «مذابح الإخوان في سجون ناصر»: ٢٩ ــ ٣١. نقلاً عن كلام فهمي، لضياء الدين بيبرس.

(٢) انظر أسماء هؤلاء الجلادين عند جابر رزق «مذابح الإخوان في سجون ناصر»: ٢٧٧ ــ ٢٧٨.

وقد أشارَ سيِّد في تقريـره إلى بعضِ هذه الإشـاعات بقـوله: «أخـذَ الشيوعيـون ينشـرون الإشاعـاتِ في كل مكـان، بـأنَّ الإخـوانَ المسلمين يعيـدونَ تنـظيمَ أنفسهم، واختيـارَ قيادةٍ جـديدة لهم. وبلغَتْنَـا إشاعـة أن الشيوعيين وضَعـوا منشوراتٍ في نقـابـة الصحفيين، يبـدو فيها طـابَعُ الإخـوان للتحريض عليهم. ولم يكنْ هـذا غـريبـاً، فقـد سمعْنا من قبلُ أنه ضُبطتْ منشوراتٌ معدَّةٌ للتوزيع في حقيبَتَيْ رجلَيْن من رجـال الدين المسيحي مــاتــا في حـادثٍ منذ سنـوات، وعليها تـوقيعُ الإخـوان المسلمين، بقصـد الإيقاعِ بهم!»[1].

ووضعَ الشيوعيون مواد ناسفة متفجرة، في طريقِ الرئيس الصيني «شو إن لاي»، أثنـاءَ عـودتِـه من الإسكنـدريـة إلى القـاهــرة في ٢٨ يـونيــو ١٩٦٥م. ثم أبلغَ هؤلاء الشيـوعيون المبـاحثَ عنهـا قبـل مـرور الـرئيس الصيني، ونَسَبـوهـا طبعـاً لـلإخـوان، واتهموهم بوضْعها، للإيقاع بهم![2]

محمد قطب يروي بدءَ محنة الإخوان

لم تكنْ محنـة الإخوان عـام ١٩٦٥م من صنعِ محليٍّ مصـريّ، بل كـانت ثمرةً لتخطيطٍ أجنبـيٍّ عالمي ماكر، نُفِّذَ بأيـدٍ مصريـة محليَّة، وقـد شاركَ في هـذا التخطيط الشيوعيةُ العالمية، والصليبيةُ العالمية ممثلةً في أمريكا ومخابراتها، والصهيونيةُ العالمية أيضاً.

وقد روى الأستاذُ محمد قطب طرَفاً من هذه المؤامرة العـالمية، ممـا يُعتبرُ نقـطة البدء في محنة الإخوان.

قـال للأخ جـابر رزق ـ أثنـاءَ طوابيـرِ التعذيب الجمـاعي لـلإخـوان في السجن الحربـي ـ: «إنَّ أولَ إشارة للبدءِ في محنة الإخوان المسلمين، كانتْ مـا نشرتْـه إحدى المجلاتِ الأمريكية عن كتاب «جاهلية القرن العشرين» لمحمد قطب، وكتـاب «معالم في الـطريق» لسيِّـد قـطب. وقـد كتبتْ المجلةُ الأمـريكيـة تحـذِّر من الكتـابيْن، ومن الكاتبيْن، ووصفَتْهما بالتعصُّب!»[3]

---

(١) لماذا أعدموني: ٥٥.

(٢) الموتى يتكلمون: ٣١.

(٣) مذابح الإخوان في سجون: ٢٦.

سيِّد يتوقع الإعدام: حكاية الثعبان الأحمر

كان كلُّ ما في الجوِّ ينذرُ بمحنةٍ جديدة للإخوان المسلمين، ويوحي بأنَّ صيف ١٩٦٥م سيكونُ صيفاً حارّاً جدّاً بالنسبة لهم!

وكان الإخوان المسلمون يتوقَّعون أحداثاً خطيرة لهم، وينتظرونَ محنةً رهيبةً قادمة، وعاشتْ لجنةُ القيادة الخماسية تلكَ الأيام بحَذَرٍ وترقب، وذهبَ سيِّد قطب إلى مصيف «رأس البر» في الإسكندرية للعلاج، وأمضى هناك أياماً، قبل بدْءِ الاعتقالات.

وقد كان سيِّد يتوقعُ المحنةَ القادمة، ويتوقعُ أن يكون نصيبُه منها كبيراً، يتوقَّعُ السجنَ والتعذيبَ، بل يتوقعُ الموت!

فقد روى الصحفيُّ «محمود الركابي» حواراً عجيباً بينه وبين سيِّد، في منزل سيِّد قبيلَ اعتقاله.

قال الركابي: «قلت له: الحمدُ لله على السلامة. ما شاءَ الله. صحتك جيدة، ولم يبقَ إلَّا العروسة!

فضحك سيِّد جداً، ثم قال: أيةُ عروسةٍ تقصد؟

قلت: لكلتيهما خُلقْنا!

وتحدثْنا قليلاً. ثم سألني فجأة: هل لك في تأويلِ الأحلام؟ لقد رأيتُ البارحة كأن ثعباناً أحمر يلفُّ نفسه حولي، ثم يقترب. فاستيقظتُ من ساعَتِها ولم أنم!

قلت: اسمعْ يا سيدي. هذه هديةٌ سيقدِّمُها لك أحدُ المؤمنين، وهي ملفوفةٌ لفاتٍ بخيطٍ أحمر. وإن شئتَ أحضرتُها لك الآن: فخذها، واستأنف النوم!

قال: ولماذا لا يكونُ تفسيرُها أنْ أكونَ أنا الهدية المقدَّمة للمؤمنين؟!

قلت: أليسَ بقاءُ الصالحين أنفعَ للدعوة الإسلامية؟

قال: ليس دائماً. بل ربَّما كان ذهابُهم أنفع! وأنا لا أتعمَّدُ التهلكة، ولكن يجبُ أن نتعمَّدَ الثبات، مع علمنا أن في الثبات التهلكة!!

قلت: يا رجل لا تتشاءمْ هكذا. فالقومُ يسيرون نحو الاعتدال!

قال: ستعلم!!»[1].

اعتقال محمد قطب واحتجاج سيِّد

بدأت الأحداثُ الفعلية لمحنةِ الإخوان باعتقال الأستاذ محمد قطب، حيث كان اعتقاله في ٢٩ ــ أو ٣٠ ــ يوليو ١٩٦٥م.

وقدَّم سيِّد قطب رسالةَ احتجاجٍ للضابط «أحمد راسخ» بالمباحث العامة، حمَلها ابنُ أخته «رفعت بكر» رحمه الله للمباحث، احتجَّ فيها سيِّد على طريقة اعتقال محمد، وكوْنِ أهله لا يعرفون مكانَ اعتقاله.

وقارنَ سيِّد في رسالةِ الاحتجاج بين اعتقالِ الحكومةِ لمحمد قطب، وبين اعتقالِ الحكومة البريطانية للفيلسوفِ الإنجليزي «برتراند رسل» لمّا عارض سياستَها، حيث كان أهلُه يعرفون مكانه[2].

ولم يكن محمد قطب عضواً في التنظيمِ الإخواني الجديد ــ كما قرَّرَ سيِّد في التحقيق[3].

وبدءُ الاعتقالات بمحمد قطب غيرِ المنتظم رسمياً، يوحي بأمريْن:

الأول: أنَّ أجهزةَ أمن الدولة، لم تكن تعلم شيئاً عن التنظيم الإخواني حتى ذلك التاريخ، ولم تكنْ قد اكتشفتْ أُسَرَه وخلاياه، ولهذا بدأتْ برجلٍ غير منتمٍ له انتماءاً فعلياً.

الثاني: أن محمد قطب اعتُقِل لأفكاره الإسلامية التي أورَدَها في كتبه ومؤلَّفاته، فهو لم يلتقِ مع التنظيم الإخواني، ولم يخطِّط معه، ولم يفكِّرْ في القيام بأعمال ضدَّ النظام. ومع ذلك اعتُقل وعُذب، ولم يقدَّم للمحاكمة. وهذا يدلُّ على الأسبابِ الفكريةِ لمحنة الإخوان عام ١٩٦٥م، وأنها أُعدَّتْ للقضاء على أفكارِ الإخوان، ومفكريهم، بل الفكرِ الإسلامي بعامة. وهذا يشيرُ إلى الأيدي الخفيَّة ــ الشيوعية والصليبية والصهيونية ــ وراء المحنة!.

---

(١) الشهيد سيِّد قطب: ٦٤ ــ ٦٥. نقلاً عن ملحق جريدة النهار البيروتية. الأحد ١٨/٩/٦٦.

(٢) الموتى يتكلمون: ١٢٠ ــ ١٢١. (٣) المرجع السابق: ١٤٤.

اعتقال سيِّد قطب في ١٩٦٥/٨/٩م

أوقفَ سيِّد لقاءاتِه التنظيمية مع لجنةِ القيادة الخماسية في مايو ١٩٦٥م.

وفي ٥ يونيو سافرَ إلى مصيف «رأس البر» على شاطىءِ الإسكندرية واستأجَرَ «عشة» هناك، للإقامةِ فيها، هَرَباً من الحر وحرارةِ الهواء في القاهرة، التي كانت تضاعفُ الذبحةَ الصدرية عنده.

وفي ١٠ يونيو سافرَ مع عائلته إلى رأس البر.

وفي يوليو جاءه «علي عشماوي» وأقامَ عنده ثلاثةَ أيام، لأنه كان يقضي «شهر العسل»! كما زارَهُ عبد الفتاح إسماعيل، والتقى ثلاثتُهم في البيت!.

ولما اعتُقل محمد قطب في ٢٩ يوليو، فَتَّشت المباحث منزلَ سيِّد في حلوان، وبيتَه في رأس البر تفتيشاً دقيقاً، واحتجَّ سيِّد على الطريقة.

وبعد التفتيشِ بيومين زاره في رأس البر عبد الفتاح إسماعيل، فنصحَهُ سيِّد بالانصرافِ خشيةَ اعتقاله.

وفي ٢ أغسطس قدِم سيِّد للقاهرة، وقَدَّمَ احتجاجاً للمخابرات على اعتقالِ محمد. وبقي في القاهرة حتى ٥ أغسطس.

في ٤ أغسطس بعثَ سيِّد تعليماتِه الأخيرة، للجنة القيادة الخماسية يطلبُ منهم إيقافَ عمليةِ إحضارِ الأسلحة، وإلغاءَ تفكيرِهم في خطة ردِّ الاعتداء وضرب رؤوس النظام. وحملتْ رسالتَه الشفوية شقيقتُه حميدة، وأوصلَتْها لزينب الغزالي، التي أبلغَتْها لعلي عشماوي، ولا ندري ماذا فعل علي عشماوي مع إخوانه بعدها!

في ٦ أغسطس سافر سيِّد إلى رأس البر مرةً ثانية.

وفي ليلة الاثنين ١٩٦٥/٨/٩م داهمت المباحثُ منزلَ سيِّد في رأس البر قبلَ الفجر، وألقَت القبضَ عليه، وساقَتْه إلى السجن الحربي، حيث بقي فيه في التعذيبِ والتحقيقِ والمحاكمة، إلى أنْ تمَّ إعدامُه بعد سنة من هذا الاعتقال!![1].

---

(١) الموتى يتكلمون: ١٢٠ ــ ١٢١.

وحتى تاريخِ اعتقال سيِّد في ٨/٩ لم تكتشف الحكومةُ التنظيمَ الإخواني، ولم تعتقلْ أحداً منِ أفراده!

الحكومة تكتشف التنظيم قدراً!

كان اكتشافُ الحكومةِ للتنظيم الإخواني قَدَراً ــ ولا نقول مصادفة، لأنه لا مصادفةَ في أحداثِ هذه الدنيا، فكلُّ حدثٍ منها يحدثُ بقَدَر الله ــ!!

كانت الأجهزةُ الأمنيةُ قبل محنة الإخوان مشغولةً بقضية «حسين توفيق» ومجموعتِه، واعتقلت المهندسَ «سامي عبد القادر». واعترفَ بزيارته للسيد «يوسف القرش»، في قرية «سنفا» ــ وهو من الإخوان المسلمين القُدامى ــ ولم يجدوه في القرية، بل وجَدوهُ عند الأخ «حبيب عثمان» في القاهرة، فاعتُقل يوسف القرش وحبيب عثمان معاً!

وباعتقال حبيب عثمان تكونُ الأجهزةُ الأمنية قد وضعَتْ يَدَها على أولِ خيطٍ يوصِل للإخوان، لأن حبيب عثمان كان عضواً في أُسرةٍ إخوانيةٍ تابعةٍ للتنظيم الجديد.

واعترفَ «حبيب عثمان» ــ تحتَ وطأةِ التعذيب ــ على أعضاءِ أُسرته الإخوانية، واعتُقل أفرادُ الأسرة، واعترَفَ بعضهم على آخرين، وازدادت الاعتقالات.

كلُّ هذا ولم يُعتقَلْ أحدٌ من لجنة القيادة حتى يوم الجمعة ١٩٦٥/٨/٢٠م.

وكان من بين المعتقلين الأخ محمود فخري، الذي اعترفَ على الأخ «مرسي مصطفى مرسي» فداهمت المباحثُ شقَّةَ الأخ مرسي في أمبابة، واتخذَتْها فخّاً لاصطياد الإخوان.

وفي ليلةِ الجمعة ١٩٦٥/٨/٢٠م، كان الضابط «رياض إبراهيم» ــ من أعتى وأشرس ضباط الشرطة العسكرية ــ معَ رجالِه في الشقة.. وفي منتصف الليل طرَقَ بابَ الشقة ثلاثةٌ من أعضاء اللجنة الخماسية: عبد الفتاح إسماعيل، وعلي عشماوي، ومبارك عبد العظيم...

وساقَهم الضابط «رياض إبراهيم» إلى السجن الحربي، مزهُوّاً بصيدِه الثمين.

وفي صباحِ الجمعة ١٩٦٥/٨/٢٠م، حدثَتْ مفاجأتان في السجن الحربي:

الأولى: سقوطُ أوَّلِ شهيدٍ من شهداء الإخوان عام ١٩٦٥م من شدة التعـذيب، وهو الشهيد الشـاعر «محمـد عواد» الـذي أشرفَ شمس بـدران على تعذيبـهِ شخصيّاً، والذي حطَّمَ الجلادُ صفوت الـروبـي رأسُه أمـام بدران، وآثـرَ محمد عـواد أن يمـوت على أن يكشفَ سِرَّ التنظيم!

الثانية: اعترافُ عضوِ اللجنة الخماسية «علي عشماوي» بأسرار وخفايا التنـظيم، وتقديمِها للمباحث!!

وشتان شتان بين الموقفيْن: موقف الشهيد محمد عواد. وموقف علي عشماوي![1].

علي عشماوي يكشف أوراق التنظيم

كتب علي عشماوي إقرارَه الشامل صبيحةَ يوم الجمعة ١٩٦٥/٨/٢٠م، وكشفَ فيه كلَّ أوراقِ التنظيم الإخواني الجديد، تكلَّمَ عن نشـأتِه، وعن دورِ سيِّـد قطب فيـه، وعن موضوعِ السلاح وتفصيلاتِه، كما تكلَّمَ عن خيـوطِ التنظيم وخفـاياه، وقـدَّمَ قوائم كاملةً بأسماءِ المناطق والمجموعات والأسر، بنقبائِها وأفرادها...

«وكـان علي عشمـاوي هـو أهمَّ شخصٍ يعـرفُ خبـايـا التنـظيم على مسـتوى الجمهورية.. وكان ذا ذاكرةٍ حديديَّـة، قال أكثرَ مما يستـطيعُ شخصٌ آخـر أن يقولَـه. وكانت تلكَ الليلةُ عيداً لضباطِ الشرطة العسكرية..»[2]

وكان إقرارُ علي عشماوي مطوَّلاً، أكثرَ من ثماني صفحات[3].

وأخذت الشرطة العسكريـة الأسماءَ من علي عشمـاوي، وألْقَت القبضَ على كل الأفراد في فترة وجيزة!!

وامتلأَ السجنُ الحربـي بـالآلافِ من الإخوان المسلمين، وصُبَّ عليهمُ العـذابُ صبّاً!.

---

(١) انظر هذه القصة في «مذابح الإخوان في سجون ناصر»: ٣١ ــ ٣٩.

(٢) انظر «مذابح الإخوان»: ٣٦ ــ ٣٧.

(٣) انظر النص الكامل لتقرير علي عشماوي في «الموتى يتكلمون»: ٥٠ ــ ٥٩.

عبد الناصر يعلن من موسكو

سافرَ عبدُ الناصر إلى روسيا في ٢٧ أغسطس ١٩٦٥م، وفي يوم ١٩٦٥/٨/٢٩م اجتمع في موسكو بالطلبةِ العرب الدارسين هناك.

وأعلنَ أمامهم عن اكتشاف مؤامرةٍ، دبَّرها الإخوان المسلمون في مصر، لقلبِ نظام الحكم، وتخريبِ مؤسساته! [١].

واختيارُ عبدِ الناصر موسكو ــ عاصمةَ الإلحاد ــ ليعلنَ منها عن اكتشافِ مؤامرة الإخوان، يُعطي دلالةً هامةً على التخطيطِ والمكر الشيوعي ضدَّ الإخوان، وضد الإسلام، ويشيرُ إلى الأيدي الشيوعية الخفيَّة ــ داخل مصر وخارجَها ــ التي وراءَ هذه المؤامرة المزعومة.

كما أن اختيارَ عبدِ الناصر لموسكو وسيلة منه للتقرُّب إلى السوفييت، وكسبِ الكثير من مساعداتِهم، وإفهامِهم بأنه معهم، ومع شيوعيّيهم في مصر، فها هو يحاربُ الإسلام الذي يعادونَه، ويحاربُ الإخوانَ الذين يحاربونهم!

ومما يدلُّ على اليدِ الشيوعية في المسألة، أن الشيوعيّين المصريّين نظَّموا مظاهراتِ تأييدٍ لعبد الناصر ــ من خلال التنظيم الطليعي للاتحاد الاشتراكي العربي الذي تحكَّموا فيه ــ واصطَفّوا على جانبي الطريق من المطارِ إلى منزلِ عبد الناصر. ولما سارَ عبدُ الناصر في الطريق، هتَفوا له بهتافيْن: «ذبح. ذبح. يا جمال.. لا رجعيَّة ولا إخوان» و«شنِّق. شنِّق. يا جمال.. لا رجعيَّة ولا إسلام!» [٢].

كان أولُ إعلان عن مؤامرةِ الإخوانِ المزعومة في الصحف المصرية، يوم الثلاثاء ١٩٦٥/٩/٧م، أي بعد شهرٍ من اعتقال سيِّد قطب!

وكان العنوان الرئيسي لصحيفة «الأهرام» الثلاثاء ٩/٧:

ــ أولُ التفاصيل عن مؤامرة الإخوان المسلمين الأخيرة...

---

(١) انظر كلام عبد الناصر في «الموتى يتكلمون»: ٣٩.

(٢) المرجع السابق: ٤٠.

وتـابعت الصحفُ في الأيام التـالية الكـلامَ عن تفاصيـل هـذه المؤامـرة، ونشْـرِ الاتهامات والإشاعات حولها[1].

تقرير اللجنة القانونية لمجلس الأمة

أصدرَ عبدُ الناصر قـانونـاً استثنائيّـاً لمحاكمـةِ الإخوان المسلمين، سمِّي «قـانونُ فرعون» لما فيه من ظلمٍ وبطش وعدوان. وذلك في ١٩٦٥/١١/٩م، حيث فوَّضَ فيه المحـاكمَ العسكريـة بـالتحقيق في القضيـة، ومحـاكمـةِ المتهمين، وإصـدارِ الأحكـام عليهم، واعتبر قراراتِهم وأحكامَهم قطعية، غيرَ قابلة للطعن فيها![2].

وبهـذا أطلقَ يدَ المبـاحثِ العسكريـة بالإخـوان المسلمين، وتفنَّنَ الجلادون في تعـذيبِ الإخـوان، وعلى رأسهم شمس بـدران وحمـزة البسيـوني وصفـوت الـروبـي وغيرهم.

ومن بـابِ التمثيلِ والخـداع، أرادَ عبد النـاصر إضفـاءَ الثوب الـديمقراطي على قانونِه وإجراءاته، وذبْحَ الإخوان باسم الديمقراطيـة وممثِّلي الأمة، فتمتْ إحـالةُ قضيـةِ الإخـوان إلى «اللجنة القـانـونيـة» لمجلس الأمـة، بتـاريـخ ١٩٦٥/١٢/١٤م، وكتبت اللجنةُ تقريـرَها بتـاريخ ١٩٦٥/١٢/٢٠م، ومـلأتْ تقريـرَها بـالافتراءات والأكـاذيب، وأصدرتْ إدانتَها للإخوان المسلمين، ونسبتْ لهم كلَّ ما ردَّدَتْه الأجهزةُ الأمنية[3].

وقد نسبَ تقريرُ اللجنة إلى سيِّدِ قطب ادعاءَه النبوَّة!!.

«ادَّعى قطبُ هذه الجماعة النبوة! وقبلت الجماعةُ ادعاءَه!!».

«على أساسِ النبوةِ المزعومة، وضعتْ هذه الجماعة نفسَها، في موضع الوساطة بين الربّ والعبد»!!.

«وعلى أساسِ ادِّعاءِ النبـوة، دبَّرتْ هـذه الجماعـةُ لإحداثِ فتنـة دمويـة مدمـرة مخربة عمياء بين المسلمين»!!.

---

(١) المرجع السابق: ٧٣ ـ ٧٧.

(٢) انظر نص القانون في «الموتى يتكلمون»: ٨٢ ـ ٨٣.

(٣) انظر نص تقرير اللجنة في «الموتى يتكلمون»: ٨٤ ـ ٩٤.

«وعلى أساسِ ادِّعاءِ النبوة، والقدرةِ على التلقّي عن الله مباشرة، رفضتْ هذه الجماعة أن توضِّحَ أهدافَها من الانقلاب. . .»!![1].

وهل أبقت اللجنةُ القانونية شيئاً من الاتِّهامات، بعدما نَسبتْ لسيِّد قطب أنه ادَّعى النبوة؟؟.

١٣ بلاغاً من المباحث العسكرية للنيابة العامة

بعدَ تعذيبٍ رهيب للإخوانِ، في السجنِ الحربي وسجن القلعة وغيرهما، وبعدَ شهرٍ ونصف من اعتقالِهم، بدأت المباحثُ العامة العسكرية، إرسالَ البلاغاتِ المتوالية، إلى النيابة العامة، وذكرت في هذه البلاغات تفصيلاتٍ عن أُسَرِ وخلايا التنظيمِ الإخواني، وعن مؤامرتِهم المزعومة لقلْبِ نِظام الحكم. وهذه البلاغاتُ للنيابةِ العامة لتحقِّقَ مع المتهمين.

وكانت البلاغاتُ بتوقيعِ مدير المباحث الجنائية العسكرية «سعد زغلول عبد الكريم»

وكان أهمَّ بلاغٍ فيها هو البلاغ الأول، الذي كان حجمُه عشرَ أوراق، ورقمه ٧٤/٧/٢٥ بتاريخ ١٩٦٥/١٠/٣م. وفي هذا البلاغ أسماءُ أَفرادِ الأسرِ الإخوانية، وأسماءُ النقباء، والمسؤولين عن المجموعات في المناطق، ومهامٍّ اللجنة الخماسية للقيادة[2].

وهذا البلاغُ كُتب بناءً على تقرير «علي عشماوي»، الذي اعترفَ فيه بكل شيء ـ كما سبق أَنْ قلنا ـ .

وقد نَسَب البلاغُ لسيِّد قطب رئاسةَ التنظيم الإخواني، وجَعَل محمد يوسف هواش نائباً للرئيس، ثم ذكرَ أعضاءَ القيادة الخمسة!

وتتابعتْ بلاغاتُ المباحث العسكرية للنيابة العامة.

---

(١) انظر هذه العبارات في المرجع السابق: ٩٣.

(٢) انظر نص البلاغ الأول في «الموتى يتكلمون»: ١٠٣ ـ ١٠٧.

وكـان آخـرُ بـلاغٍ منهـا ـ وهـو الثـالث عشـر ـ قـد كُتبَ بتـاريـخ ٢٠/١٢/١٩٦٥م[1].

تقريـران لسيِّـد

كتبَ سيِّد تقريريْن، عن صلتِه بالإخوان عموماً، وعن صلتـه بالتنـظيمِ الإخواني الجـديد خصـوصاً، وذلـك بناءً على طلبِ المبـاحث العسكريـة في السجن الحربـي، وهذا قبلَ بدْءِ التحقيق معه.

* **التقرير الأول**: كتبهُ بعد اعتقاله، وكـان مختصَراً ومجمَـلاً وموجَـزاً، والسبب في إجمالِه واختصارِه، هو حرصُه على حماية الإخوان من التعذيب، لأنـه ظنَّ أنهم لم يُعتقلوا!.

* **التقرير الثاني**: وكان مفصَّلاً ومطوَّلاً وموسَّعاً، وقـد كتبه بعـدما علم بـاعتقالِ الإخوان، واعترافِهم بكل شيء، فقال فيه «كلمتَه الأخيرة» للمحققين وللتاريخ!.

وقد أَنهى سيِّد كتابةَ إقراره في السجن الحربـي في ٢٢/١٠/١٩٦٥م.

تكلَّمَ في تقـريرِه عن بـدءِ صلته بـالإخـوان المسلمين، بعـد قيـام الثـورة، وعن سجنه، وشهودِه لمذبحة طرة، وعن تصوُّرِه لمنهج عمل الحركة الإسلامية، وبـدئِها من القاعدة في العقيدة والتربية والأخلاق. وعن صلته بالتنظيمِ الإخواني الجديد، ولجنتـه الخماسية، وعن قصـةِ علي عشماوي والسـلاح، وعن خطة ردِّ الاعتـداء على الحركـة الإسـلامية، وعن إلغـائِها قبيـلَ المحنـة. كمـا تكلَّم فيـه عن زيـارةِ الإخـوان من غيـر المصريين له، وعن صِلاتِه بإسلاميين من غير الإخوان.

وقد رجَعْنا إلى هذا التقرير، وأَخَذْنا منه ما احتَجْنا إليه، في المباحث السابقة.

وقـد نُشِر هـذا التقـريـرُ، المـطوَّل في حَلقـات متتـابعـة في مجلة «المسلمـون» الدولية، ثم نَشَره ناشرو المجلة في كتابٍ خاص، جعلوا عنوانَه «لماذا أعدموني».

ورغم نشْـرِهم لذلـك التقريـر، إلاَّ أنهم أكَّدوا أنَّ مـا وصلهم إنمـا هـو بخطِّ يـد

(١) خلاصة تلك البلاغات في «الموتى يتكلمون»: ١٠٨ ـ ١٠٩.

سيِّـد قطب، كمـا أنهم أكَّدوا أنَّ التقـريرَ نـاقص، لأن أعوانَ النـظام أخفوا منـه أوراقـاً كثيرة، كتبَها سيِّد عن التعذيب الرهيب الذي صُبَّ عليه، فيما بين اعتقالِه وكتابة التقرير ــ من أغسطس إلى أكتوبر ١٩٦٥م ــ[١].

فما نُشرَ في رسالة «لماذا أعدموني» كلُّه بخط سيِّد، لكنـه ليس كلَّ مـا كتب سيِّد للمحققين!!

مقدمة تقريره الثاني

تحمَّلَ سيِّد مسؤوليـةَ أحداث ١٩٦٥م كـاملة، وهو يعلمُ أنـه بذلـك يدفـعُ رأسَه وحياتَه ثمن ذلك التنظيم الإخواني، وبيَّن هدفَه من كتابة التقرير الأول الموجَز!

ويطيبُ لي ذكرُ تلك المقدمة، لما فيها من أضواءَ كاشفة:

«لقد كتبتُ بيانـاً مجملاً قبـل هذا، تنقصُـه تفصيلاتٌ كثيـرة، كما تنقصُـه وقائـعُ وبياناتٌ كثيرة!

ولقد أسيءَ فهمُ موقفي، وتقديرُ دوافعي في كتابةِ ذلك البيان، على ذلك النحو، وأرجو أن يكونَ في هذا التقريرِ الجديد المفصَّل ما يفي بالمـطلوب، وما يجعـلُ موقفي مفهوماً على حقيقته.

واللَّهُ يعلمُ أنني لم أكن حريصاً على نفسي، ولا قصدتُ تخليصَ شخصي بذلك الإجمال!

ولكنني ــ ويجبُ أن أعترفُ بذلـك ــ كنتُ أحاولُ أوَّلاً وقبـل كل شيء، حمـايةَ مجموعةٍ من الشباب الذي عملَ معي في هذه الحـركة، بقـدْر ما أملك، لاعتقـادي أنَّ هـذا الشبابَ من خيـرةِ مَنْ تحملُ الأرض، في هـذا الجيل كلِّه، وأنـه ذخيرةٌ لـلإسلام ولـلإنسانيـة، حرامٌ أن تبـدَّدَ وتُهـدر!! وأنني مـطالبٌ ــ أمـام الله ــ أن أَبـذلَ مـا أملك لنجاتهم، وأن ذلكَ البيانَ المجمَل، الذي لا يحتوي كـلَّ التفاصيـل الدقيقـة، هو كـلُّ ما أملكه في الظرفِ الحاضر للتخفيفِ عنهم. وقد يشملُني هذا التخفيفُ ضمناً، ولكن اللَّهَ يعلمُ أن شخصي لم يكن في حسابـي!!

(١) انظر مقدمة الناشرين لرسالة «لماذا أعدموني»: ٣ ــ ٤.

وقد احتملتُ المسؤوليةَ كاملة، منذُ أولِ كلمة، وقلت:

إنه آنَ أن يقدِّمَ إنسانٌ مسلمٌ رأسَه، ثمناً لإعلان وجودِ حركـةٍ إسلاميـة، وتنظيمٍ غير مصرَّح به، قام أصلاً على أساسِ أنـه قاعـدةٌ لإقامـةِ النظام الإسـلامي، أياً كـانت الوسائـلُ التي سيستخدمُهـا لذلـك. وهذا في عُـرْف القوانينِ الأرضيـة جريمـةٌ تستحقُّ الإعدام!!

ويجبُ أن أبيِّن في هذه المقدمة القصيرة، أن تقديمي ذلك البيانَ الأولَ المجملَ بهذا القصد، هـو واجبـي كمسلم. فالأسيـرُ المسلمُ لا ينبغي له أن يَـدلَّ على ما وراءه من جند الإسلام، ولا يكشفَ مقاتلَ المسلمين وعوراتِهم ما أمكَنه!!

وقد كنتُ أؤدّي واجبـي بمفهومي الإسـلامي، متعامِـلاً فيه مـعَ الله، بغضِّ النظر عن نظرةِ القوانينِ والهيئات البشرية!!

ولكني الآن، وقـد بينتُ أن هذا الشبـابَ قد قـرَّرَ كلَّ تفـاصيلِ أدواره الخـاصـة والعامة، وأنني أنا لا أدلُّ عليهم بشيء، فقد ارتفَـعَ الحرج عن صـدري، في ذكْرِ كـلِّ التفاصيل، مع محاولةِ ترتيبِها ترتيباً زمنيًّاً بقدْر الإمكان!!...»[(١)].

كلمته الختامية لتقريره الثاني

ختمَ سيِّد تقريرَه بكلمةٍ ختامية، لخَّص فيهـا تصوُّرَه للعـلاقةِ بين الحكـومة وبين الإخوان المسلمين في نقاطٍ محدَّدَة مختصرة:

«١ ــ إن العنفَ الذي عوملَ به الإخوان سنة ١٩٥٤م وحدَهم، بناءً على حادث المنشية المدبَّـر لهم، حيثُ تضمَّن ذلك العنف القتـلَ والتشريـدَ وتخريبَ البيـوت... هذا العنفُ هو الذي أنشأ فكرةَ الردِّ على الاعتداء إذا تكرَّر بالقوة... ولـو كنّا نعلم أن الاعتقالَ مجردُ اعتقال ينتهي بمحاكمةٍ عادلـة، وعقوبـاتٍ قانـونية ــ حتى على أسـاسِ القوانينِ الوضعيـة المعمولِ بها ــ لما فكَّر أحدٌ في ردِّ «الاعتداء بالقوة».

وأنا أعرفُ أنه ليستْ هناكَ قيمةٌ عملية الآن لتقـرير هـذه الحقيقة، ولكنهـا حقيقةٌ يجبُ أن أسجلَها في كلماتي الأخيرة!!.

---

(١) لماذا أعدموني: ٧ ــ ٨.

٢ ــ إنَّـه مما لا شـكَّ فيه أن تـدميرَ حـركـةِ الإخـوان المسلمين ــ والحـركـاتِ الإسلامية المماثلة ــ في المنطقة، هدفٌ صهيونيٌّ وصليبـي استعماري. وهو وسيلةٌ من وسائلِ تدمير العقائد والأخلاق في المنطقة. وأنه تُبْذَلُ جهودٌ ومؤامراتٌ مستمرة، لتحقيق هذا الهدف.

وأنه لو استُخدمَ في معاملةِ حركةِ الإخـوان أسلوبٌ آخر، غيـرَ ما حـدث ــ سواء في سنـة ١٩٥٤م أو في هذه المـرة ــ لأمكنَ تدميـرُ المخططاتِ الصهيـونيـة والصليبيـة الاستعمارية في المنطقة، بدلاً من تدميرِ الحركة الإسلامية. . .

٣ ــ إنه أعقبَ ضربَ الإخوان في سنة ١٩٥٤م مـوجةٌ من الانحـلالِ الأخلاقي والاتجـاهِ الإلحـادي. وستعقبُ ضـربَهم الآن مـوجـةٌ أشـدّ، لا يعلمُ إلاَّ الله مــداهـا. فلحسابِ مَنْ هذا الانهيار؟ إنه قطعاً ليس لحسابِ هذا البلد، ولا حتّى لحسـابِ النظام القائم. . .

ومهمـا كـانتِ الآذانُ الآن غيـرَ مستعـدَّةٍ لسمـاع هـذا الكـلام، فـإنَّ من واجبـي إبلاغَه، وتبرئةَ ذمتي بقوله!!.

٤ ــ لقـد سمعتُ عـدةَ مــرات: وهـل أنتم وحــدَكُم المسلمـون؟ أَوَلا يكفيكم المؤتمرُ الإسلامي، وبرنامـجُ «نور على نـور»، والمساجـدُ تقام فيهـا الصلاة، والنـاسُ يذهبون إلى الحج؟؟.

ويجبُ أن أقـررَ أن الإسلامَ شيءٌ أكبـرُ من هذا كله. . . إنـه نظامُ حيـاةٍ كاملة، وإنه لا يقومُ إلا بتربيةٍ وتكوينٍ للشباب، إلاَّ بتحكيمِ شريعة الله. . .

وإن حركةَ الإخـوان المسلمين، كانت هي أنجـحَ تجربـةٍ للتربيـة والإعداد، وإنَّ أيَّ خطأٍ في الطريق لا يبررُ تدميرَها، وخصوصاً إذا كان الخطأُ منها، ناتجاً عن خطأ في معاملتِها!!.

ولقد أردتُ في سنة ١٩٥٢م القيامَ بتجربةٍ مثلِها، في هيئة شباب التحرير، وكان الاتجاهُ معي في أوَّلِ الأمر، ولكن في النهاية تغلَّبَ تـوجيهُ جمعيـةِ الفلاح الأمـريكية، وأَشْتـاتِ المنتفعين، الذين أرادوا هيئـةَ التحريـر بالصـورةِ المهلهلة التي وُجـدتْ بهـا، والتي تخالفُ كلَّ ما كنّا اتفقْنا عليه بشأنها.

وبقيتْ حركةُ الإخوان، هي وحدَها القائمة بهذا الواجب!

إن الإسـلامَ لا يقوم ولا يـوجَدُ في بلد ليس فيـه حركـةُ تـربيـة، ثم قيـامُ نـظامٍ إسلامي، يحكمُ بشريعةِ الله في النهاية!

هذه في النهايةِ كلماتُ رجل، يستقبلُ وجْـهَ الله، يخلِّصُ بها ضميـرَه، ويبلِّغُ بها دعوتَه إلى آخر لحظة!

والسلام على من اتبع الهدى!

السجن الحربـي في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٦٥م»[١].

صلاح نصار يحقق مع سيِّد

كان رئيسُ نيابةِ أمنِ الدولة، في تلك الفترة الحالكة المـظلمة من تـاريخ مصـر، هو «صلاح نصار».

«وبمجردِ وُصول أولِ بلاغٍ للنائب العام في يوم ٣ أكتوبر ١٩٦٥م، نَقَـلَ صلاحُ نصار رئيسُ نيابة أمن الدولة مكتبَه من مبنى سراي النيابة في محكمة «باب الخلق» إلى داخلِ السجن الحربـي. . . رغم مخالفةِ ذلك لقانـون الإجراءات الجنـائية. . . إلاَّ أنَّ صلاح نصار كان يحتمي وراء نصوص فرعون!»[٢].

وقد تولَّى رئيسُ النيابة صلاح نصار، التحقيقَ مـع الشخصياتِ القيـادية الهـامة، في التنـظيم الإخواني، بينمـا أَوكلَ لمعـاونيهِ من وكـلاء النيـابـة التحقيقَ مـع الإخـوان الآخرين.

وكان من الطبيعي أن يتولّى التحقيقَ مع قائد التنظيم سيِّد قطب.

وقـد كان سيِّـد حبيسَ زنزانـةٍ انفراديـة في السجن الحـربـي، منـذُ اعتقـالـه في ١٩٦٥/٨/٩م، مُنعَ من الخروجِ منها طيلةَ مائةٍ وثلاثين يوماً!

بدأَ صلاح نصار تحقيقَه مع سيِّد مساءَ يوم الأحد ١٩٦٥/١٢/٩م.

---

(١) لماذا أعدموني: ٩١ ــ ٩٤ باختصار.

(٢) الموتى يتكلمون: ١١٠.

وقد استمرَّ التحقيقُ مع سيِّد ثلاثةَ أيام متواليات:

الأحد ١٩/١٢/١٩٦٥م، من الساعة السادسة والنصف مساءً إلى العاشرة والنصف[١].

الاثنين ٢٠/١٢/١٩٦٥م، من الساعة الثالثة مساءً إلى الحادية عشرة مساءً[٢].

الثلاثاء ٢١/١٢/١٩٦٥م، من الساعة الواحدة مساءً[٣].

لقطات من «محضر التحقيق»

كان سيِّد قطب في التحقيقِ صريحاً صادقاً جريئاً شجاعاً، يجيبُ على أسئلةِ صلاح نصار بمنتهى الصدق والصراحة والجرأة والشجاعة، بدون خوفٍ أو جُبْن أو تزويرٍ أو كذب، كعادتِه في مواقفه مع أحبابه ومع أعدائِه، طيلةَ حياته ــ رحمه الله ــ.

وسنقدِّمُ بعضَ اللقطات من محضر التحقيق، الذي نشرهُ سامي جوهر رحمه الله في كتابه «الموتى يتكلمون»:

فُتحَ المحضرُ يوم الأحد ١٩/١٢/١٩٦٥م، من الساعة السادسة والنصف مساءً بالسجن الحربي.

نحن: صلاح نصار ــ رئيس النيابة.
مصطفى العسال ــ سكرتير التحقيق.

حيثُ دعوْنا سيِّد قطب بالآتي وقال:

اسمي سيِّد قطب إبراهيم. سني ٦٠ سنة. كاتب. مولود بحوشة مركز أسيوط. ومقيمٌ بحلوان: ٤٤ شارع حيدر.

كان السؤالُ الأول: ما قولُك فيما هو منسوبٌ إليك؟

---

(١) انظر محضر ذلك اليوم في «الموتى يتكلمون»: ١١٢ ــ ١١٩.
(٢) انظر محضر التحقيق في اليوم الثاني: ١٢٠ ــ ١٣١.
(٣) انظر محضر التحقيق في اليوم الثالث في «الموتى يتكلمون»: ١٣١ ــ ١٤٦.

فأجابَ سيِّد عليه إجابةً طويلة، استغرقتْ أكثرَ من عشرِ صفحات، تكلَّم فيها عن قصته بالتفصيل مع التنظيم الإخواني الجديد.

وسأله : هل كنتَ تحررُ رسائلَك داخل السجن؟

فأجاب : نعم. حررتُ بعض الرسائل التي فيها شرحٌ لبعض وجهات النظر الإسلامية. والفكرةُ الأساسيةُ فيها كانت أصولَ العقيدة، بما فيها: إن الحاكمية من الاعتقاد، وليس فقط من التنظيم... «وأقدر أقول»: إن ذاتَ الأفكار التي في الرسائل وُسِّعَتْ وصارت أفكارَ كتاب «معالم في الطريق»!

سؤال : هل اطلعَ حسن الهضيبي على رسائلك قبل خروجِك من السجن؟

جواب : أظنُّه اطَّلع عليها عن طريقِ بيته!

سؤال : هل تقابلتَ مع حسن الهضيبي بعدَ خروجك من السجن؟

جواب : نعم. ثلاثَ مرات. في بيتي. ولم يحضرْها أحدٌ غير أنا وهو!

سؤال : قرَّرَ بعضُ المتَّهمين أنهم يرون أن حسن الهضيبي ما زال مرشداً. فما رأيكَ أنت في هذا الموضوع؟

جواب : حقيقةُ الواقع في جماعة الإخوان المسلمين، أنهم يحسّون إحساساً عاماً ـ سواءٌ صرَّحوا به أو لم يصرِّحوا ـ أن الأوضاعَ التي كانت قائمةً قبل حلِّ الجماعة لا تزال قائمة، وإن لم تأخذْ أيَّ صورة تنفيذيةٍ أو حركية، ومتجمدَة على ما هي عليه قبلَ الحل، انتظاراً لأيِّ ظرفٍ يسمحُ بعودة الجماعة للوجود العلني... وهذا شعورٌ نفسيٌّ داخلي موجود في نفوسهم، وفي نفسي أيضاً شخصيّاً، فيما يختصُّ منه بإمكان عودةِ الجماعة للوجود العلني، ولكنْ مع منهجي الخاصِّ في إعادةِ التكوين الفردي التربوي والثقافي...

وأنا شخصيّاً أرى بالنسبةِ لحسن الهضيبي، أنه ما زال له وضْعُه كمرشد للجماعة!

سؤال : إنَّ تمويلَ هذا التنظيم من الخارج؟ ـ يعني من الإخوان في السعودية وغيرها ـ ؟

جواب : نعم من الخارج! ولكن في إحساسِنا اعتبارٌ عـام، أنَّ أيَّ أخ في أيِّ بلد هو مرتبطٌ بنا على أساس العقيدةِ والفكرة، لا على الأساسِ الإقليمي. وعنـدما تُذكَر «إخوان» لا نسألُ عن جنسياتهم من الناحية الإقليمية!!

سؤال : وهل الارتباطُ الذي تقرِّرُ وجودَه بين الإخوان المسلمين بمختلفِ جنسياتهم، يتفقُ مع الوطنية؟

جواب : أنا أَعتبرُ أن صلةَ العقيدة أكبرُ وأثبتُ من صلة المـواطَنة الإقليميـة. وأن هذه التفرقةَ بين المسلمين على أساس إقليميٍّ أثرٌ من آثـار الاستعمارِ الصليبـي والصهيوني، يجبُ أن يزول!!.

سؤال : ولكن قررتَ أن الصلةَ التي ترفعُها عن مستوى الوطنية هي الانتماءُ لجماعـة الإخوان المسلمين، دون الإسلام؟

جواب : الصفـةُ الظاهرةُ في الإخوان، هي صفةُ الإسلام في اعتقادي!

سؤال : هل ترىٰ أن هناك فرقاً بين المسلم المنتمي لجماعة الإخوان، وغيرِ المنتمي لتلك الجماعة؟

جواب : الذي يميِّزُ الإخوان: أنَّ لهم برنامجاً محـدَّدَاً في تحقيق الإسلام. فيكـونون مقَدَّمين في نظري على مَنْ ليس لهم برنامج محدَّد!.

سؤال : وهل تعتقدُ أن كلَّ مَنْ هو منتمٍ لجماعة الإخوان، إنما يعملُ في سبيل الله، دون مآربَ أخرى؟

جواب : أنا أعتبرُ أن العبرةَ في الجماعـة، بخطةِ الجمـاعة وأهـدافِها وبرامِجها، ولـو وُجدَ فيها أفرادٌ ليسوا على مستوى الجماعة، ولهم أخطاء!!

سؤال : فَلِمَ التميُّز إذن بين أفراد هـذه الجماعـة وبين المسلمين قاطبـةً، وهم جميعاً أصحاب عقيدة وأهداف وبرنامج؟

جواب : التمييز في رأيـي، ليس تمييز شخص على شخص، ولكـن فقط باعتبـار أن الجماعة ذات برنامج، وأن كل فرد فيها مرتبط بهذا البرنامج!

سؤال : هـل ترى أن سعيـدَ رمضان وكـامل الشـريف وفتحي هـلال وأسـامـة عـلام وعشماوي سليمان ــ وهم من جماعةِ الإخوان الهاربين ــ يمدّونَ أفراد هـذا

التنظيم بالمال والسلاح، لنصرةِ الإسلام؟

جواب : أرجو إعفائي من الإجابة على هذا السؤال!

سؤال : كيف السبيل للوصول للهدف النهائي؟ وما هو هذا الهدف فيما ترون؟

جواب : الهدفُ النهائي الذي اتفقْنا عليه، هو أن يقوم نظامٌ إسلامي، يحكمُ بشريعة الله، لا بالقوانينِ الوضعية، والسبيلُ التربيةُ الإسلاميةُ الطويلةُ المدى على نطاقٍ واسع!

سؤال : هل كان التنظيمُ سرّياً أم علنياً؟

جواب : كان سريّاً.

سؤال : وما الغرضُ من جعْله سرّيّاً إذا كان الهدفُ تربيةً دينيَّة أخلاقيَّة؟

جواب : عندنا اعتقاد، استقيْناه من كلِّ التجارب الماضية، ومن معرفتِنا بالخطط الصليبية والصهيونية والشيوعية في المنطقة، لمحاربةِ ومَنْعِ أيِّ تربيةٍ إسلامية حركية، تهدفُ لتحقيق مثلِ هذا الهدف، وإقامةِ حكم إسلامي!

سؤال : هل كنتمْ ترونَ أن وجودَ الأمة المسلمة قد انقطعَ منذُ مدةٍ طويلة، ولا بدَّ من إعادتها للوجود؟

جواب : لا بدَّ من تفسير مدلول كلمة الأمة المسلمة التي أَعْنيها، فالأمةُ المسلمة هي التي تَحْكُمُ كلَّ جانبٍ من جوانب حياتِها الفردية والعامة، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية ـ شريعةُ الله، ومنهجه.

وهي بهذا الوصف، غيرُ قائمة الآن في مصر، ولا في أيِّ مكانٍ في الأرض! وإنْ كانَ هذا لا يمنعُ من وجودِ الأفراد المسلمين. لأنه فيما يتعلّقُ بالفرد، الاحتكامُ إلى عقيدته وخُلُقه، وفيما يتعلقُ بالأمة، الاحتكامُ إلى نظامِ حياتها كلِّه!

سؤال : وهل ترى أن نظامَ الحكم القائمِ في البلاد نظامٌ جاهلي؟

جواب : أرى أنه نظامٌ غيرُ إسلاميّ!

سؤال : هل ترى أنَّ هناك مجتمعاتٍ جاهلية، ومجتمعاتٍ غيرَ إسلامية؟

جواب : لا. أنا لا أرى أنَّ هناكَ مجتمعاتٍ غيرَ إسلامية. وإنما المجتمع إمَّا جاهلي وإمَّا إسلامي!

سؤال : وما رأْيُكَ في نظام الحكمِ القائم، على هذا الضوء؟

جواب : أنا أراه نظاماً جاهليّاً!

سؤال : معنى ذلك أنك ترى ضرورةَ تغييرِ نظامِ الحكم القائم؟

جواب : أرى أنْ يتغيَّر، عندما تُوَفَّرُ أسسُ قيامِ النظام الإسلامي!

سؤال : ما معنى الطاغوت، فيما ذهبتَ إليه؟

جواب : الطاغوت في رأيي: هو كلُّ شريعةٍ غيرِ شريعة الله!

سؤال : وما رأيكَ في الوطنية؟ وهل تعترفُ بها أو تنكرُها؟

جواب : رأيي أن الوطنية، يجبُ أن تكونَ هي العقيدة لا الأرض. وأنه يجبُ تغييرُ المفهومِ الحالي ـ وهو الإقليمية ـ إلى هذا المفهوم الواسع!

سؤال : وما رأيكَ في القومية؟

جواب : رأيي فيها أنها رايةٌ فات أوانُها التاريخي العالمي، وأن العالم الآن يتجهُ إلى تكويناتٍ مذهبية، تقومُ على أساسِ فكرة وعقيدة. وأن الاتجاهَ إلى القومية الإسلامية يتفقُ مع طبيعةِ العصر الذي نعيش فيه، وطريقةِ تفكيره، أكثرَ من فكرة القومية!

سؤال : وما مدلولُ عبارة «الحاكمية لله» في رأيك؟

جواب : أن تكونَ شريعةُ الله هي قاعدة التشريع!

سؤال : ومتى نوديَ بهذه العبارة فيما تعرفُ؟

جواب : هذا تعبيرٌ استقيْتُهُ أنا من دِراسَتي للإسلام!

سؤال : ألا تعرفُ أن هذه كلمةٌ قالَها الخوارجُ قديماً، وقد قال عنها الإمام علي: «كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطل!»؟

جواب : أنا لا أتذكَّرُ موضعَها من هذا التاريخ. ولم أكنْ أعنيهِ عندما استعملْتُها. وإنما كنتُ أعني: أن تكونَ شريعةُ الله هي قاعدةَ التشريع، وبما أن اللَّهَ

سبحانه وتعالى لا ينزلُ بذاتِه للتحكيم، وإنما أَنزلَ شريعتَه ليُحكَمَ بها، فحاكميَّتُه سبحانه وتعالى تتحقَّقُ عن طريقِ تحكيم شريعته، كما تقولُ النصوصُ القرآنية بألفاظها!.

سؤال : ألم تَنقلْ هذه الأفكارَ من مؤلَّفاتِ أبي الأعلى المودودي؟

جواب : أنا انتفعْتُ بكتبِهِ وغيرِها من الكتب، أثناءَ دراستي للإسلام!

سؤال : وما الفرقُ بين ما تنادي به وما ينادي به المودودي؟

جواب : لا فرق!

سؤال : وما الغرضُ من تسليحِ التنظيم، وتدريبِ أفراده على الأمور العسكرية؟

جواب : ردُّ الاعتداء إذا وقَعَ عليه!

سؤال : وما هو الاعتداءُ المقصود؟ وممَّنْ سيقع؟

جواب : صورةُ الاعتداء في تصوُّري هي: الاعتقالُ للتعذيبِ والقتل، وإحداثُ العاهات المختلفة، قبلَ المحاكمة والحكم، كما وَقَع بالفعل سنة ١٩٥٤م.

سؤال : هل أفهم من ذلك أنكمْ قرَّرْتُم مقاومةَ السلطات عند كشفِ تنظيمِكم؟

جواب : السلطاتُ التي لا تتقيَّدُ بأيِّ قانون، ليستْ سلطاتٍ رسمية، ولا تُعَدُّ مقاومَتُها مقاومةً لسلطةٍ رسمية!!

سؤال : ألا تعرفُ أن في قيامِ هذا التنظيم، مخالفةً للقانون؟ ويعرِّضُك وجماعتَك لسلاحِه؟

جواب : أعرفُ أنه مخالفٌ للقانون، ولكني كنتُ مضطَراً إليه، باعتبارِه الوسيلةَ الناجحة للتربية الإسلامية، وإنْ مَنَعَها القانون!

سؤال : وكيف تكونُ مخالفةُ القانون وارتكابُ جرائم، وسيلةً للتربية؟ وهل ترضى الشريعةُ الإسلامية بذلك؟ ودينُ الدولة الرسمي هو الإسلام؟

جواب : إذا كان القانونُ يمنع قيامَ المسلم بواجبه الديني في إرشادِ الآخرين، فإنَّ العيبَ يكونُ عيبَ القانون ذاتِه، لمخالفتِه لأصْلٍ ديني!!

سؤال : وهل ترى في القوانين القائمة ما يمنعُ المسلمَ من القيام بـواجباتِـه الدينيـة وإرشاد الآخرين؟

جواب : أنـا أرى أنَّ في القـرارِ الخـاص بمنْـعِ النشـاط العلني لجمـاعــة الإخـوان المسلمين، وهي تؤدي واجباتِها الدينية، مخالفةً لأمْرٍ من أوامر الدين؟

سؤال : وما سببُ حلِّ جمـاعةِ الإخـوان المسلمين؟ وهل كـان بسببِ قيامِهـا بنشاطٍ ديني؟

جواب : أنا أرجحُ هذا.

سؤال : وما الظروفُ التاريخية التي تعرفُها عن حل الجماعة؟

جواب : أنا أعرفُ أن الجماعةَ انحلتْ بقرارٍ حكومي، لا أعرف الجهةَ التي أصدرَتْه، ولا نصُّه، ولا القانـونُ المنطبق عليـه! وأنا أعتقـدُ أنها حُلَّتْ بسببِ نشـاطها الديني، وبسببِ أنها حركةٌ إسـلامية، والقـوى المعاديـةُ للإسـلام ذاتُ ثقلٍ في تقْدير الـظروفِ المختلفة، وقـد تمكنَتْ بدسـائِسها من إحـداثِ التصادم بين الثورة وجماعة الإخوان!

سؤال : ولكن حُلَّتْ جماعةُ الإخوان بسببِ تنظيمِها السريّ الإرهابـيّ؟

جواب : الـذي أعرفـهُ أن جماعـةَ الإخوان المسلمين كـان لها تـنـظيمٌ سـري. وعلى مـا أعرفُ ليسَ هـو السببَ المبـاشـر في حـل الجمـاعـة، إنمـا السببُ هـو الدسائسُ الأجنبية التي تآمرَتْ، وأدّى ذلك لحلِّ الجماعة!

سؤال : هـل ترى أنـه كان من الممكنِ أن تسمـحَ الثورةُ بقيـام جماعـةٍ ذاتِ تـنـظيمٍ سرّيّ مسلحٍ داخلَ الدولة؟

جواب : طبعـاً لا تـرضى الـدولـة، ولكن كـانَ ممكنـاً حــلُّ هـذا التنـظيمِ السّـرّي بالتراضي، وإبقاءُ جماعةِ الإخوان كحركةٍ علنية!

سؤال : وهل ترى أن جماعةَ الإخوان وحدَها هي القائمةُ على أمور الـدين الإسلامي قاطبة، بحيث إذا منعت الدولةُ نشـاطَها تكـونُ قد منعت المسلمَ من القيـامِ بواجباته الدينية؟

جواب : أنا أرى أن حركةَ الإخوان المسلمين كانت هي أنجح تجربة في خلال القرونِ الأربعةِ الأخيرة، في كلِّ البلاد الإسلامية، فإهدارُها ـ بسببِ أخطاء جانبية، أنا أعرفُ أنها أخطاء ـ هو بدون شك، إهدارٌ لأكبر محاولةٍ في إقامة هذا الدين. ومن أجلِ هذا كنتُ أرى أنه من الممكنِ فصْلُ حركتها الإسلامية عن مسألةِ التنظيمِ السري!

سؤال : قرر قادةُ أعضاء التنظيم أنكَ أفهمْتَهُم أنهم هم الأمةُ المؤمنة، وسط مجتمعٍ جاهلي، وأنه لا يربطهُم بالدولةِ ولا بالمجتمع ولا بنظامِ الحكم القائم فيه أيُّ رابط، وأنهم كأمةٍ مسلمة عليهم أن يَعتبروا أنفسَهم في حالةِ حربٍ مع الدولة، وكنتَ تسمي لهم البلادَ بأنها دارُ حرب، طِبقاً للاصطلاح الإسلامي، وتَبني على ذلك أنَّ أيَّ عملياتِ قتل وتخريب، لا ضَيْرَ منها ولا عقاب عليها، بل بالعكس فيها مثوبة؟

جواب : في هذا الفهمِ أخطاءٌ كثيرة:

فهُمْ ـ أوَّلًا ـ مجردُ نواة، تُربّى وتُكوَّن، لتكونَ في مستوى الطليعة المؤمنة. وهذا ما كان مفهوماً بيني وبينهم بوضوح.

وثانياً: إن علاقةَ الأمة المؤمنة بدارِ الحرب ودار الإسلام، كان الحديثُ فيها كأحكامٍ نظرية، لبيانِ الأحكام في ذاتها، لا لأنها منطبقةٌ على أحدٍ في الوقت الحاضر، لأنه سبقَ تقريرُ أنَّ وجودَ الأمة المسلمة أمرٌ من أمور المستقبل، التي يقعُ النشاطُ وتقع الحركةُ لتحقيقها.

وهذه هي المفهوماتُ التي كنتُ أريدُ أن يفهموها!

ولكن ـ مع الأسف ـ فهموا عنّي خطأً كما أرى الآن!!!.

سؤال : وكيف يكونون قد أخطأوا في الفهم، خاصَّةً وقد قرَّرَ أحدُهم ـ وهو علي عشماوي ـ أنه عندَ الحديثِ عن القتل، ناقشَك في قتْلِ المسلم مع قولِه لا إله إلاَّ الله، وعن الحديثِ في ذلك، ونفيْتَ أنَّ كلَّ مَنْ قال لا إله إلاَّ الله حَرُمَ قتلُه، فقد أجزْتَ لهم قتلَ المسلم؟

جواب : أنا لا أتذكَّرُ هذه المناقشة! وإذا كانت حصلتْ، فلا بدَّ أنها كانت في معرضِ الدفاع عن النفس. وفي هذه الحالةِ يكونُ المعتدي هو الذي عليه الوِزرُ، لا من يَرُدّ!!

سؤال : وما الشروطُ التي يجب أن تتوفَّرَ للدفاعِ عن المسلم شرعاً، حتى يباحَ للمسلم قتلُ أخيه المسلم؟

جواب : أنْ يَعتديَ عليَّ ــ أو يحاولَ الاعتداء ــ بينما أنا أقومُ بعملٍ غير مضرٍّ، أو بنشاطي العادي!

سؤال : وهل ترى أن في استعمالِ الحاكم لمقرراتِه الشرعيةِ والقانونية ــ اعتداء، يُستباح معه القتلُ والتخريب؟

جواب : بهذه القيود ــ قيودِ استعمالِه لمقرراته الشرعية والقانونية ــ لا يجوز. ولكن في اعتدائِه خارجَ كلِّ القوانين، لا يكون في حدودِ مقرراته الشرعية والقانونية!!

سؤال : أَلا ترى أنَّ في قيامِ تنظيمٍ سرّيّ مسلَّحٍ بين المسلمين، ما يؤدّي إلى فتنة، يَأْباها الدينُ الإسلامي وينهى عنها؟

جواب : قد يؤدّي إلى فتنة، ولكنَّ الذي يكونُ عليه وِزْرُها، هو الذي يمنعُ النشاطَ العلني، فيضطرُّ الآخَرون للنشاطِ السري، ويمكن إنقاذُها بإباحةِ النشاط العلني!.

سؤال : ألا يوجبُ عليك دينُك الإسلامي أن تمنَعَ أيَّ فتنة قبلَ وقوعها، وتتجنَّبَ مقوِّمات وقوعِها؟

جواب : ضرورةُ القيامِ بالواجب الديني هو المفروض. والفتنةُ افتراض. فعلَيَّ أن أقومَ بواجبي الديني، وإذا وقعَ الافتراضُ ــ أي الفتنة ــ فإنَّ وِزْرَه على الذي اضطرَّني للسرّيَّة، وليس عليَّ أنا!!

سؤال : وما التناقضاتُ الموجودةُ بين نظامِ الحكمِ القائم، وبينَ النظامِ الذي تراه وتسعى من أجله؟

جواب : شريعةُ الله ليست هي قاعدةَ التشريع في الأوضاعِ القائمة. والمطلوبُ هو أن تكونَ شريعةُ الله هي قاعدة التشريع وهذا هو التناقض الأساسيُّ في رأيي، الذي تنشأُ عنه كلُّ التناقضات الفرعية!.

سؤال : قرَّرَ علي عشماوي أن الهدفَ فيما كنتَ تراه من القيامِ بهذه العمليات، هو قلبُ نظامِ الحكم القائم بالقوة، وانهيارُ النظامِ القائم في البلاد؟

جواب : أنا آسف أَنْ أقول: إنَّ هذا غيرُ اتجاهي تماماً، وغيرُ ما كنتُ أشرحه له!!.

سؤال : ولِمَ لَمْ تبلِّغ السلطاتِ بأمرِ هذا التنظيم فورَ اعتقالك؟

جواب : الاعتبارُ الأول: في حسّي كان دائماً عدمُ تعريضِ هذا الشبابِ لعملياتِ التعذيب القاتلة. وتوقُّعي أنهم لا يملكونَ التنفيذ، كان عاملاً من عوامل عدمِ التبليغ، اعتقاداً مني بأنهم مستورون فلا يقعُ عليهم اعتداء، ولا يردّون هم الاعتداء!

سؤال : هل يعرفُ محمد قطب تنظيمَك السري؟

جواب : لا.

سؤال : ولِمَ لَمْ تبلِّغْهُ به وهو يسايرُ أفكارَك في كتاباته؟

جواب : أنا أعرفُ من طبيعةِ محمد، عدمَ الميلِ إلى الاختلاطِ بأيَّة تجمعات! ومن ناحيةٍ أخرى: كنتُ حريصاً دائماً على ألَّا يعرفَ أحدٌ بأمر هذا التنظيم، ولو كانَ أقربَ الناس إليّ، لتضيقَ دائرةُ مَنْ يعرفونَ بذلك!»(١).

* * *

بهذا نُنهي هذه اللقطاتِ التي التقطناها من محضَرِ التحقيق حيث لم نوردْ كلَّ أسئلةِ صلاح نصّار وإجابةَ سيِّد عليها، وإنما انتقَيْنا من تلك الأسئلة والإجابات، ما يدلُّ على شخصيةِ سيِّد في التحقيق، وما اتَّصَفَ به من صدقٍ وصراحةٍ وجرأة وشجاعة ووضوح، حيث قدَّمَ للمحقق نصار المعلوماتِ التي يعرفُها، والأفكارَ التي يراها

---

(١) الموتى يتكلمون: ١١١ ــ ١٤٦. بانتقاء واختصار.

ويعتقدُها، ولو خالَفتْ فهمَ المسؤولين في الحكومة.

وقد أَوردْنا الأسئلةَ والإجاباتِ، بدون تعليق منّا عليها، حيثُ تركْنا التعليقَ للقارىء.

لكننا ننصحُ القارىءَ، بالوقوفِ طويلاً عند إجابات سيِّد، لأنَّ في بعضها تحديداً لموقفِ سيِّد من مسائلَ شائكة، وبياناً لرأْيِه في قضايا خطيرة، في منهجِ الحركة الإسلامية، وفي نظرتِه لحركةِ الإخوان المسلمين، وفي تصوُّرِه لموضوعاتِ الحاكميةِ والجاهليةِ والتكفير، وهي موضوعاتٌ أَشْغَلَتْ الحركةَ الإسلامية بعد استشهادِ سيِّد قطب، لظهور شبابٍ بأَفهامٍ خاطئة، ادَّعى نسبَتَها لسيِّد، مع أنَّ إجاباتِ سيِّدالسابقةَ تناقضُها!!.

* * *

السابع
محاكمة سيّد قطب واستشهاده

بين التحقيق مع سيِّد ومحاكمته

انتهى التحقيقُ مع سيِّد يومَ الثلاثاء ٢٠/١٢/٦٥. وشُكِّلت المحاكمُ لمحاكمتِه مع إخوانه، وبدأت المحكمةُ عملَها في ٩/٤/١٩٦٦م.

أيْ أن هناكَ أكثرَ من أربعةِ أشهرٍ بين التحقيق مع سيِّد وبين محاكمته.

وقد جرتْ قبلَ محاكمته أحداث، نشيرُ إلى بعضها في ما يلي:

شمس بدران يقتل رفعت بكر أمام خاله سيِّد

رفعتْ بكر شافع، هو ابنُ أخت سيد: «نفيسة قطب»، وكان في مقدِّمة المعتقلين ـ مع شقيقه عزمي بكر ـ في قضية الإخوان عام ١٩٦٥م. وقد كان سيِّد يحبُّ رفعت محبةً كبيرة، فكانَ أحبَّ أولاد أخته إلى قلبه.

وقد استُشهد رفعت بكر في السجنِ الحربي، من شدة التعذيب، ولم يعترفْ على خاله سيِّد بما يريدُ الزبانيةُ من زور وبهتان.

ونأخذُ روايةَ استشهاد رفعت، كما رواها أحدُ حضورها شخصياً، وهو المهندس «مصطفى راغب» ـ وكان متَّهماً في قضية «حسين توفيق»:

قال مصطفى راغب: «لقد استُدعيتُ لمواجهةِ الشهيد سيِّد قطب.. وبعد أنْ عذَّبوني أحضروا الشهيد سيِّد قطب.. وأَدخلوه الحجرة، ودخلَ بعده شاب، وبدأتْ عمليةُ التعذيب للشاب، وبدأ صوتُه يرتفعُ ويعلو. ثم بدأَ يخفتُ شيئاً فشيئاً.. وخفَتَ. ولا أدري ما الذي حدث.. واستَدْعوني.. واستقبلَني شمسُ بدران على

باب الحجرة، في حالةِ فزعٍ شديد، ولونُه مخطوف. . ولأوَّلِ مرة ـ على غيرِ عادته ـ أَجلسني على «الكنبة» ورأيتُ آثارَ دماءٍ في أرضية الحجرة، وسجادةً ملفوفةً بما فيها!

قال لي شمس بدران: ما حكم هذا القتيل الذي قُتِلَ في التعذيب؟

قلت: قالوا لك عني أَني مفتي؟!!

قال: هو يُعتبر إيه؟!

قلت: هو لقيَ ربَّه. . وربُّنا مطلعٌ على قلبه، ولا يعرفُ القلوبَ إلّا الله. .

وعلمتُ أن هذا الشابَّ هو ابن أختِ الشهيد سيِّد قطب، الذي استُشهد من التعذيب أمام خاله»[1].

زينب الغزالي تروي أربعةَ أخبار عن سيِّد في السجن

* **الأول**: لما ذهبتْ زينب إلى دورةِ المياه في السجن، مرَّتْ من أمامِ الزنزانة التي فيها سيِّد قطب. وكانت غيرَ مغلقةٍ بباب، لخطورة حالة سيِّد الصحية، ولذلك وضَعوا على بابها بطّانية، حتى لا يَرى أحداً، ولا يراه أحد!.

فلما مَّرتْ زينب، رفعَ الهواءُ طرفَ البطانية، فظنَّ الجلادون أنَّ سيِّد هو الذي رفعَ البطانية ليُعلِمَ زينب بوجوده، فصاروا يسبّونه ويلعنونه. ثم جاءَ صفوت الروبي وأوقفَ سيِّد، وصار يوجِّه له السبابَ والشتائم، ثم جاء حمزة البسيوني كذلك.

ولما عادتْ زينب من دورةِ المياه سمعتْ أصواتَ السياط تنهالُ على جسم سيِّد. وسمعتْ صوتَ سيِّد وهو يشرحُ للجلّادين الحقيقة!

* **الثاني**: نظراً لخطورةِ مرضِ سيِّد في السجن، فقد أوصى طبيبُ السجن الحربي ـ الدكتور ماجد حمادة ـ الحرّاسَ أن يتركوا سيِّد يمشي على راحته عند استدعائه لمكاتب التحقيق!

ولكنَّ حمزةَ البسيوني وصفوت الروبي أَمَرا بإحضار سيِّد بالخطوةِ السريعة!

---

(١) مذابح الإخوان، لرزق: ١١٤ ـ ١١٥.

ودفَعَ الحراسُ سيِّد أمامَهم، وأخذوا يضربونه بـالكرابيـج ليسرع، فجـاءتْه أزمـةٌ قلبية، واستُـدعيَ طبيبُ السجن، الذي استنكـرَ ذلك، وكنتُ في زنـزانتي أسمـعُ الحـوار بين الطبيب وبين الحراس!.

* **الثالث**: كـان الشهيـد سيِّـد قـطب ذا قلب كبيـر.. يحبُّ الإخـوانَ ويشفقُ عليهم.. ويحنو عليهم حنوَّ الأب.. حدثَ أثناءَ خروجنا للمحاكمة في أول يـوم.. أنْ أوقفونا نحن أفرادَ القضية الثانية أمام مكاتب التحقيق، ننتظرُ العربات، التي ستُقِلُّنا إلى المحكمة، وأحضروا الشهيد سيِّد قطب، وأجلسوهُ في حجـرةِ المكتب، ورأيتُ الشهيد سيِّد قطب يتفرَّسُ في وجوهنـا.. وتعرَّف علينـا.. ابتسمْنا جميعـاً للشهيد سيِّـد قطب، وأظهَرْنا له من الثبات والصبر والجلد ما تقرُّ به نفسُه.. فما كـان من الشهيد سيِّـد إلاّ أَنْ بكى، ورفَعَ يديه إلى السماء.. وأخذَ يدعو لنا.

* **الرابع**: عندما قُدِّمَت القضيةُ الأولى إلى المحكمة، كان الشهيد سيِّد قطب قد أخَذَ على عاتقه أن يتكلَّم عن التعذيب الذي تعرَّضَ له الإخوان، وهـو يعلمُ ماذا يمكن أن يحدثَ له بعد ذلك.. حتى لا يُعَرِّضَ الإخوان ــ إذا تكلَّموا عن التعذيب ــ لمـزيدٍ من التعذيب»![1].

قرارات الاتهام بالجملة

بعد انتهاءِ التحقيقات مع الإخوان، عقد وزيرُ العدل المصريّ مؤتمراً صحفياً يوم ٣ فبراير ١٩٦٦م.

وأعلنَ «صلاح نصار» رئيسُ نيابة أمن الـدولة في المؤتمر قرارَ اتهامِ المجموعـة الأولى من الإخوان، وهم القادةُ والمؤثِّرون في التنظيم الإخواني الجديد. وكان القـرارُ يشملُ ثلاثـةً وأربعين متَّهَماً، ثمـانيةٌ وثـلاثون معتقَلون، وثـلاثةٌ هـاربون في الخـارج، وامرأتان هما: زينب الغزالي وحميدة قطب!.

وقد أوردَ في القرار الأسماءَ الكاملة للإخوان المتهمين، وأعمارَهم وأعمالَهم.

---

(١) مذابح الإخوان، لرزق: ١١٥ ــ ١١٧.

وكان سيِّد قطب هو المتَّهمَ الأول[1].

ثم توالتْ قراراتُ الاتهام للمجموعات الأخرى بعد ذلك.

فؤاد الدجوي رئيس المحكمة

أصدرَ عبدُ الناصر قراراتٍ بتشكيلِ محاكِمَ عسكرية، لمحاكمة الإخوان، قضاتُها من ضباط الجيش الظالمين.

واختصت المحكمةُ الأولى بمحاكمة المتهمين في القضية الأولى، وهم قادةُ التنظيم الإخواني.

وكانت المحكمةُ برئاسةِ الفريق أوَّل «فؤاد الدجوي»!

ومن هو «فؤاد الدجوي»؟

إنهُ ضابطٌ جائرٌ غاشم، وسفيهٌ وبذيء، لم يتصفْ بخُلق ولا أدبٍ ولا شجاعة، وحياتُه الشخصية انحراف وفجور!

وهو جبانٌ في المعارك أمامَ الأعداء، فقد كانَ في قطاع غزة أثناءَ العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م، ولما دخلَ اليهودُ القطاعَ أخذوا فؤادَ الدجوي معهم، وتكلَّم من إذاعتهم، وشتمَ مصر وعبدَ الناصر[2].

فؤادُ الدجوي هذا بطلٌ شجاعٌ مغوار في محاكمة الإخوان، وقاضٍ عادلٌ نزيهٌ في إصدارِ الأحكام عليهم!!

لقد كانَ الفريقُ الدجوي في المحكمة متَّصفاً بالجهل والغباء، والسفهِ والبذاءة، يسخرُ من المتهمين، ويذمُّهم، ويشتمهم!

وكمثالٍ على سفهه وبذاءَته، ما جرى في محاكمته للشهيد محمد يوسف هواش.

---

(١) الموتى يتكلمون: ١٥١ ـ ١٥٤.

(٢) البوابة السوداء، لأحمد رائف: ٢٢٣.

فقد قال المحامي «طلعت عبد العظيم» في مرافعتِه عن هواش: «إن هـواشَ كان يرى في سيِّد قطب أستاذاً لا يفارقُ كتابُ الله عينيه، وقد سيـطرَ عليه سيِّـد قطب دينيـاً. . وكان سيِّد قطب محلَّ احترامِ الجميع في السجن!».

فزمجرَ القـاضي الأوحدُ الـدجوي وصـاح بالمحـامي: «وإيه عـرَّفَك يـا أستاذ. . احترامْ إيه. . ده مجرم مرتكب جريمة. . يحترموه ازّاي في السجن؟».

فيرد المحامي: «لمظاهرِ التقوى».

فيقاطعه الدجوي: «مين قال لك إنه كان محترماً في السجن؟».

فيتراجع المحامي: «معلش. . بلاش دي. نرجع لهواش»[1].

وقد جرى في محكمةِ «الدجوي» الكثيرُ من المهازل السخيفة!!

الدجوي يحاكم سيِّد

بدأ القاضي النزيهُ فؤاد الدجوي محـاكمةَ الإخـوان المتَّهمين في القضيةِ الأولى، يومَ السبت ٩/٤/١٩٦٦م.

وقد أَلقى كلمةَ الادعـاء، رئيسُ نيابـةِ أمن الدولـة «صلاح نصـار»، واتهمَ أعضاءَ التنظيم الإخواني بالاتهامات المعروفة.

وكـانت المحـاكمـةُ الأولى لسيِّـد قـطب، حيث بـدأتْ منـاقشتُـه يـوم الثـلاثــاء ١٢/٤/١٩٦٦م.

ومن الملهياتِ المبكياتِ في المحكمة، أنَّ رئيس نيابةِ أمْن الدولة «صلاح نصار» ومعهُ وكلاءُ النيابة «لم يفتئوا يلقِّبون سيِّد قطب بألقابِ السخرية والاستهزاء مثل «القطب الأغرّ»، و «القطب اللامع»، و «زعيمُ الإجرام».

ومن الملهياتِ المبكيات كذلك، أنَّ صـلاح نصار لمـا كان يُلقي المـرافعةَ ضـد سيِّد قـطب ــ قبـل البـدء بمنـاقشـةِ سيِّــد ومحـاكمتــه ــ وكـان هــذا يـوم الأحــد ١٠/٤/١٩٦٦م، قال فيها:

---

(١) الموتى يتكلمون: ١٥٩.

«لقد سألْنا المتهمَ عن رأيه في سعيد رمضان. فقـال: «اعفوني من الإجـابةِ على السؤال ده». وهذا حقُّه قانوناً، ولكن كنّا عايزين نعرف رأيَه في سعيـد رمضان، فقـال إنه لا يستـطيعُ أن يتكلَّم عنـه، لأن له فيـه رأياً معيَّنـاً، وسأَلْنـاه عن رأيه في محيـي الـدين هلال، رفضَ.. خاف.. لأنه جبان!!».

وتابعتْ جريدةُ «الأهرام» بتاريخ ١١/٤/١٩٦٦م روايتَها للحادثة، فقالت:

«وهنـا لاحظَ رئيسُ المحكمة أن سيِّـدَ قـطب يتمتمُ في قفصِ الاتهـام، ويهمسُ بشيءٍ إلى المتهم يوسف هواش الجـالسِ بجواره. فـالتفتَ إليه الفـريقُ أول الدجـوي ــ رئيس المحكمة ــ وقال:

«إيه.. فيه حاجة.. ما هي علنية؟ الجلسة علنية!».

وانتبـه الحاضـرونَ الذين لم يكـونوا رأوا سيِّـد قطب. واستـطردَ رئيسُ المحكمة موجِّهاً كلامَه لسيِّد:

«مـا هـو أنـا شـايفـك، بتكلِّم اللي جنبـك، ومن حـركـات فمـك بتقـول إنــه ما حصلش..! إسمعْني دلوقت.. علشـان الجلسة علنيـة، وخايف الكـلام ده يوصـل لسعيد رمضان، واللي في الخارج.. علشان الصحافة بتكتب.. تبقى أنت يعني، زي ما قال رئيس النيابة: خايف..».

ثم تابع صلاح نصار اتهامَ سيِّد بقوله «سيِّد قطب يخشى أن يـدليَ برأيـه.. وإذا كان مشْ جبان، يتكلم دلوقت في الجلسة.. يقول رأيه في سعيد رمضان!!»[١].

وقد عينت المحكمةُ المحامي «أحمد مختار قطب»، للدفاع عن سيِّد قطب، وقد يظنُّ بعضُهم أن المحاميَ قريبٌ لسيِّد قطب، وما هو بقريبٍ له، بل هو عميلٌ قديمٌ من عملاء المخابرات[٢].

---

(١) لماذا أعدم سيد قطب وإخوانه: ١٠ ــ ١٢ نقلاً عن الأهرام يوم ١١/٤/٦٦.

(٢) المرجع السابق: ٢٨.

سيِّد قطب يخيف الدجوي بنظراته

كان سيِّد قطب شجاعاً جريئاً في المحكمة، وكان الدجـوي يخشاه، ويحـذرُ أن تلتقيَ عينُه بعينه!

يروي الأخُ ممدوح الديري ـ الذي كان مـع سيِّد في قفص الاتهـام ـ «إنه كـان هناكَ كثيرٌ من النظرات المتبادلة بين الشهيد سيِّد قطب وبين الدجوي قاضي المحكمة، وكانت نظراتُ الشهيد سيِّد قطب تثيرُ غيظَ الدجوي، وتنرفزه. وكانَ أيُّ تصرُّف يحـدثُ في المحكمة من الدجوي، يكفي للرد عليه نظرةٌ من الشهيد سيِّد قطب للدجوي.

كان الشهيد سيِّد قطب، ينظرُ للدجوي باحتقارٍ واستهانة!

وكان الدجوي يضعُ يدَه على رقبته، كأنه يقول لسيِّد قطب: إننا سنعدمُك!»[1].

تكلمَ سيِّد أمام الدجوي: «رغم سنِّه ومرضِه، إلَّا أنه قال للدجوي مـا يعتقد... تكلمَ عن التعذيبِ الوحشيِّ الذي تعرَّضَ له المتَّهمون.. وكـان سيِّد يعـرفُ مصيره.. ويعرف أنهم سيقتلونه..»[2].

منظمةُ العفو الدولية تُدين المحاكمات المزيَّفة

لمّا بدأتْ محاكمةُ سيِّـد قطب وإخـوانِه أمـام المحاكم، كـان المراقبـونَ يعلمون ما في هذه المحاكم من تجاوزاتٍ وانحرافات!

وقد أزعجَ ذلك الأمرُ محامين عربـاً، فتـطوَّعوا للقـدوم إلى مصر، والـدفاعِ عن سيِّد قطب وإخـوانِه، ولكن الحكـومةَ منعتْهم: «لقـد منعت السلطاتُ الظالمـة يومـذاك عـدداً من المحامين العـرب، الذينَ تـطوَّعوا من السـودان والمغرب والأردن وغيـرهـا، للدفاعِ عن المتهمين!»[3].

وقـد حاولتْ «منـظمةُ العفـو الدوليـة» إرسالَ أحـد أعضائهـا المحـامين لحضـور المحاكماتِ، بصفة مراقب، لكنَّ الحكومةَ المصرية لم توافق.

---

(١) مذابح الأخوان في سجون ناصر: ١١٧.

(٢) البوابة السوداء، لأحمد رائف: ٢٢٢.

(٣) الشهيد سيد قطب، ليوسف العظم: ٥٩.

وقـد أذاعتْ المنظمـةُ بيانـاً للصحفِ والـرأيِ العـام العـالمي، بتـاريـخ ١٥/٤/١٩٦٦م، أدانتْ فيه المحاكماتِ المصرية.

ومما جاء في بيانها: إن المستر «بيتر آرشـر» عضوَ البـرلمان البـريطاني، وعضـوَ المجلس التنفيذي البريطاني للهيئة العالمية لرعاية المسجونين السيـاسيين، قد عـادَ من القاهرة، حيث قامَ بمهمةٍ استـطلاعية بشـأنِ محاكمـة ثلاثـةٍ وأربعين عضواً من جمـاعة الإخوان المسلمين.

وقد قام المستر «آرشر» بمهمتِـه بصفته رقيبـاً غيرَ رسميٍّ للهيئـة العالميـة لرعـاية المسجونين السياسيين. وذلك لأن الهيئة سبقتْ أنْ قـدمَتْ طلَباً رسميـاً للحصولِ على تأشيرةٍ للأستاذ المحامي «نيكولاس جاكوب»، ولكنَّ هذا الطلب لم يصـل عنه جـوابٌ للآن.

وقد قدَّم المستر «آرشر» تقريراً أبرزَ فيه النقاطَ التالية:

١ ـ إن محاكماتِ الإخوان المسلمين فُرِضَ عليها قانـونٌ استثنائي، صـدرَ بعد وقـوعِ الاعتقالات بأثرٍ رجعي.

٢ ـ المحـاكمُ التي حاكمتْ المعتقلين من الإخـوان المسلمين أخـذتْ صفـةَ محـاكمَ عسكرية ليس لسلطتها أيُّ حدود.

٣ ـ إن المحـاكمَ العسكريـة رفضتْ سماع أقـوالِ المتهمين عن التعذيبِ الـذي وقعَ عليهم. كما رفضتْ استماعَ أدلةٍ أو شهود، لإثباتِ وقوعِ التعذيب.

٤ ـ الأستـاذ سيِّد قـطب وزملاؤه من الإخـوان المسلمين، حُرِمـوا من حقهم الشـرعي والطبيعي، في اختيارِ محامين للدفاع عنهم.

٥ ـ إن السلطات المصرية طردتْ المحامين السـودانيّين الذين ذهبـوا للقاهـرة، بقصدِ الدفاع عن الإخوان المسلمين، وأبعدتْهم عن مصرَ بدون مبرّر

٦ ـ إن السلطاتِ المصرية خالفتْ قراراتِ مؤتمرِ المحامين العرب، الذي شاركتْ فيه نقابةُ المحامين في مصر، ووافقتْ على قرارِه بإعطاءِ المحامين العرب الحقَّ في المرافعةِ عن المتهمين السياسيين أمامَ القضاء المصري.

٧ ــ إن السلطاتِ المصرية منعت الجمهورَ والصحافةَ من حضور الجلسات، وفرضت الرقابةَ على أنباءِ المحاكمات والجلسات.

٨ ــ المنظمةُ نبهت السلطاتِ المصرية إلى ضرورةِ إقامة محاكماتِ عادلة، حرْصاً على سمعةِ القضاء المصري!!.

وحولَ النقطة الثالثة من النقاط السابقة، أوردت المنظمةُ في بيانها ما يلي: «تمسَّك المتهمون بوقوعِ تعذيبٍ عليهم، لانتزاعِ الاعترافات منهم. وقد وُجِّهَ هذا الاتهامُ إلى سلطات التحقيق، من جانب السيِّد قطب ــ وهو المتَّهمُ الرئيس في القضية الحالية ــ ولكنَّ رئيسَ المحكمة بادرَ فوراً إلى إسكاتِ المتهم، رافضاً أن يسمعَ منه الأدلةَ على هذه المسألة، معلِناً بأنَّ المتهمين يَكذِبون»[1].

سيِّد قطب: عملاق في محكمة الأقزام: لقطات من المحكمة!

كان سيِّد قطب عملاقاً في محكمةِ الأقزام! كان عملاقاً وهو في قفصِ الاتهام، بينما كان الفريقُ أول الدجوي ومَنْ معه أَقزاماً. كان سيِّد عملاقاً وهو مجرَّدٌ مِن كلِّ مظاهرِ القوى المادية، ولكنه كان قوّياً بالله، مستعلياً بإيمانه. بينما كان الدجوي ممكَّناً من القوى المادية، يملكُ الجاهَ والحكم والسلطان، ولكنه كان قَزَماً أمامَ سيِّد، لأنه فقدَ اتِّصالَه بالله، مالِك الملك، وواهبِ القوى.

وكما كان سيِّد أمامَ صلاح نصار في التحقيق، كان أمامَ الدجوي في المحاكمة. كان صادقاً صريحاً جريئاً، شجاعاً أبيّاً كريماً!

ونقدِّمُ فيما يلي لقطاتٍ من محاكمة سيِّد، حيث توجَّهَ له الدجوي بالأسئلة، وأجابَ هو عليها.

بدأتْ محاكمةُ سيِّد يوم الثلاثاء ١٢/٤/١٩٦٦م «ومَنْ كانَ يعرفُ سيِّد قطب.. ثم رآهُ في قفص الاتهام، يجزمُ أنَّ عمرَه زاد عشرَ سنوات على الأقل، نتيجةً لما تحمَّله من تعذيب!!

(١) انظر نص بيان منظمة العفو الدولية في كتاب «لماذا أُعدم سيد قطب وإخوانه»: ٣٥ ــ ٤١.

وبمجردِ عقْدِ الجلسة، نادى القاضي الأوحدُ «الدجوي» بصوته الجهوري: سيِّد قطب إبراهيم!

ووقفَ سيِّد في القفصِ وسْط إخوانه المتَّهمين.. ثم خرجَ من القفص، وسارَ أمامَ المنصة.

الدجوي: قُلْ لَنا معلوماتِكَ تفصيلاً عن التنظيم، وصلتِك به...

سيِّد : أنا...

الدجوي: «زعق شويّة».. علشان أنا بيني وبينك متر ونصف ومش سامع صوتك.. أنا عايز الكل يسمعك.. يا سيِّد.. يا قطب.

سيِّد : سأجتهدُ بقدرِ ما أستطيع.. صلتي الحقيقية بالتنظيم، ترجع إلى ما بعد خروجي من السجن، و...

الدجوي: لا.. وقف بقه.. أنت بتقول صلتك الحقيقية.. يعني في صلة غير حقيقية... قرر يوسف هواش وكيلك ونائبك وخليفتك أن أختك حميدة أبلغتك وأنت في السجن عن التنظيم!...

سيِّد : يُسألُ يوسف هواش في هذا!!..

الدجوي: ما يسألش ولا حاجة.. أنا باقول كل كلامه!..

سيِّد : أنا عرفتُ أن هناك شباباً يقرأ لي...

الدجوي: صلتك كانت إيه بالشباب ده؟.. رد بأه يا اخويا؟

سيِّد : حميدة أبلغتْني أن الحاجة زينب الغزالي تقول: إن هناك شباباً يقرأ لك، ويحب أن يستزيد، فهل هناك مانع من أن يقرأ هذا الشباب كتابَ معالم في الطريق قبل طباعته؟

الدجوي: مين اللي كان ياخذ مسودات الكتاب؟ حميدة!

سيِّد : لا أدري.

الدجوي: (بسخرية) هل حميدة بلغتْ درجةَ الأستاذية؟ وتقدر تاخذ من الكتب؟

سيِّد : (بحزم) هي تفهمها أحسن من كثير من المتعلمين!

الدجوي: ده وأنت في السجن سنة ٦٣م؟

سيِّد : هذه كانت كل الصلة بيني وبين هؤلاء الشبان، وأنا في السجن!

الدجوي: التنظيم يعني؟

سيِّد : أنا قلت الشبان!

الدجوي: شبان.. شبان.. ما فيش حاجة حاتنفعك!! ألم تعلم وأنت في السجن أن الشباب اللي عايز يقرأ لك مسلح؟

سيِّد : لم أعلم إلاّ أنه شباب مسلم!

الدجوي: عبد الفتاح إسماعيل استأذن مين علشان يزورك؟

سيِّد : استأذن محمد قطب.. وقال له إنه يريد أن يتزود...

الدجوي: (متظاهراً بخفة الدم) يتجوز مين؟

سيِّد : (بحسم) يتزود علم.. مش يتجوز!

الدجوي: آه.. وبعدين...

سيِّد : محمد قطب طلب مني أن أسمح بمقابلة الحاج عبد الفتاح... وزينب الغزالي أيَّدت كلامه...

الدجوي: يعني بيقابلوك بالواسطة.. الواسطة من محمد والتزكية من زينب!

سيِّد : أنا واضح جداً في تعبيري!!

الدجوي: (بتحفُّز).. يعني إيه؟ هو أنت شايف أني متعثر في الفهم؟

سيِّد : لأ.. أبداً...

الدجوي: وعبد الفتاح وعشماوي قابلوك فين؟

سيِّد : مش فاكر...

الدجوي: مش مهم تفتكر أو ما تفتكرش. . إحنا يهمنا مقابلة الخمسة الذين هم أعضاء!

سيِّد : أعضاء إيه؟

الدجوي: القيادة يا أخي . . .

سيِّد : كما تسميهم!! . . .

ودار حوارٌ بين سيِّد والدجوي عن التنظيم الإخواني، وكيف أن سيِّد لما خرجَ اجتمعَ بهم، ووجدَهم يريدون الانتقامَ لشهداء الإخوان عام ١٩٤٥م، وأن سيِّد بيَّن لهم أن أخطارَ هذا أكثرُ من فوائده، وأنَّه صرفهم عنه إلى المنهج التربوي.

سيِّد : وبدأتُ أفهِّم الجميع أن الانتقامَ هدف صغير؟

الدجوي: والهدفِ الكبير إيه؟

سيِّد : الهدف الكبير هو: إنشاءُ جيل من الشباب المسلم الفاهمِ لدينه. . الواعي لأمور المجتمع، ليكون نواةَ إقامةِ مجتمع مسلم. . .

الدجوي: والحكم؟

سيِّد : الحكم في رأيي كما أفهمتُهم وما هو في اعتقادي. . أن التغيير يأتي من القاعدة، وليس من القمة. . والقاعدةُ تكوين أجيال صاعدة. .

الدجوي: (بلغة الكمسارية) رأيك أنه يبدأ من القاعدة ليصل إلى إيه. . إلى القمة، أو لنصف السِّكَّة. . أنت قلت محطة القيام، ولسه محطة الوصول. .

سيِّد : إن هؤلاء يتكوَّنُ منهم حكم إسلامي.

الدجوي: يعني يتولون الحكم!

سيِّد : أنا أقررُ رأياً يسجَّل للتاريخ!!.

الدجوي: رأيك مالوش موضوع عندنا. . أنا عايز أعرف أنت قلت لهم إيه. . أنا بقالي ٢٥ دقيقة في ٤ سطور، ومستعد أقعد معك أربعة أيام.
. . بس يعني الإعداد يبدأ من القاعدة ليصل إلى الحكم.

سيِّد : هذا تعبير سيادتك!

الدجوي: طيب، وبتعبيرك أنت إيه؟

سيِّد : (بإصرار) تكوينُ جيل مسلم، ينشأُ عنه طبيعياً حكمٌ إسلامي!

الدجوي: بس ماتنساش إنك رحت لقيت المولود.. اللي هو التنظيم... موجود وفدائي للانتقام.

سيِّد : قالوا إنهم أصبحوا مقتنعين بهذا التصوُّر الجديد عليهم.. ولكن وراءهم مجموعات أخرى، لا تزال على التصور القديم، ومحتاجين للتصور الجديد، حتى تتغير عقليتهم!

الدجوي: (وقد أحس أن سيِّد قطب سيكسب منه الجولة) إنت عايز تخرجنا من نطاق الدعوى!!...

... محدش من أفراد قيادة التنظيم كان يتصل بك وحده؟

سيِّد : علي عشماوي!!

الدجوي: وقال لك إيه؟

سيِّد : عن أسلحة ستأتي من السعودية عن طريق السودان، وأن هذه الأسلحة كان قد طلبها هو (عشماوي) منذ سنوات، ثم نسي الموضوع، حتى جاءته رسالة أن الأسلحة شحنت بالفعل وستصل!!.

الدجوي: جايه ليه الأسلحة؟

سيِّد : سيادتك تطلب مني أن أقول ما قاله لي!

الدجوي: هو طلب الأسلحة ليه من السعودية؟

سيِّد : على أساس أغراض التنظيم السابقة!

الدجوي: يعني قبل أن تتولى أنت قيادة التنظيم؟

سيِّد : أنا يهمني ألفاظه!

الدجوي: (وقد بدأ عليه الضيق، لأنه لا يستطيع الوصول إلى هدفه) مش ده اللي حصل.. عايز تاكلني وآكلك في الكلام!

سيِّد : (بسخرية) مافيش داعي!!!.

الدجوي: أنت قلت أنك ستقول اللي حصل بالنص.. وبعدين أخفيت الحتة دي.. أو كنت ناسيها.. ولسه فيه حتة كمان عن التسليح وعلمك به!.

سيِّد : يمكن لو سيادتك تركتني أكمل تستغني عن سؤالي!!.

وابتلعَ الدجويُّ اللمسةَ الذكية من سيِّد قطب، لمقاطعته المستمرة له!.

وبعد حوارٍ بيْن سيِّد والدجوي حول السلاح الذي قال علي عشماوي إنه قادم من السودان، قال الدجوي: طبعاً يا سيِّد.. يا قطب.. يعني أنت مخطط، وواضع الرأي في تأمين التنظيم، وورود الأسلحة من دراو.. و...

سيِّد : بس...

الدجوي: متقاطعنيش... لما قلت لعشماوي استلم السلاح. كان ليه...

سيِّد : كان لحساب تأمين التنظيم؟

الدجوي: (بسعادة) خالصين يا عمّ سيِّد!

سيِّد : تسمح لي أكمل جوابي!

الدجوي: جوابك إيه؟

سيِّد : سيادتك تقول خالصين.. أنا كان يهمني قيامُ التنظيم بدون أسلحة!

الدجوي: أنا مش عاوز أسبق الحوادث.. هي الاغتيالات ستكون بالسلاح، أو بالطوب، والخنق بالبوتاجاز!

سيِّد : أجاوب!

الدجوي: أيوه جاوب.. أمال إيه.. قول يا سيِّد، يا قطب.. الاغتيال بسلاح أو من غير سلاح قول؟

سيِّد : لما يكون هناك اغتيالات، يكون بسلاح. ولكن التفكيرَ فيها لم يكن جدياً!!.

. . . ووصلَ الحوار بين سيِّد والدجوي، إلى عَرْض الإخوان القيادة على عبد العزيز علي وفريد عبد الخالق، قبل سيِّد.

فسأله الدجوي عن عدد الإخوان وقتها: عدد إيه؟

سيِّد : عدد من معهم.

الدجوي: يعني عدد أفراد التنظيم. . . مش مَنْ معهم!

سيِّد : متفرقش!

الدجوي: (ثائراً) قل لنفسك يا سيِّد متفرقش. . مش لي أنا!

سيِّد : (لا يلتفت له ويكمل كلامه) و. . . كان الخمسة مجتمعين. . .

الدجوي: إيه الخمسة دول. . صفتهم إيه؟

سيِّد : يقودون التنظيم. .

الدجوي: يعني مع قادة التنظيم، أو القيادة الفعلية كما قلت في التحقيق. ريحنا يا أخي. .

سيِّد : متفرقش عندي.

ولما تكلَّما عن مالية التنظيم لاحظ سيِّد أن هناك إضافاتٍ أضافتْها النيابة على أقواله!

الدجوي: أنت قلتَ في صفحة (١٢٥) إنك بعد قيادتك التنظيم أصبحت المبالغُ المرصودة لحماية التنظيم.

سيِّد : (متسائلاً باستنكار) أصبحت إيه؟

الدجوي: تصرف في أغراض التنظيم. . أما تصرف على ملابس من شيكوريل (أرقى محلات الأزياء في القاهرة)!

سيِّد : كلُّ هذه معلوماتٌ جديدة!

ثم تكلما عن اقتراحاتٍ باغتيال بعضِ رؤوس النظام قُدمتْ للجنة القيادة الخماسية:

سيِّد : قلتُ لهم كفاية. . (الأسماء المعروضة) هذا يعتبر نجاح.

الدجوي: ونحن نقول: لغاية كده يبقى كفاية!

سيِّد : لأ. ده يبقى زي «لا تقربوا الصلاة»!!. وأنا سألتُهم عن الإمكانيات، فقالوا: مافيش! وأصبح الاقتراحُ مجرد كلام، ليس وراءه تنفيذ!

الدجوي: ولما سئل عشماوي، قال: إنك أضفتَ أسماء مدير مكتب المشير، ومدير البوليس الحربي!

سيِّد : أنا أقررُ الحقيقة!

الدجوي: وعشماوي هل يقررُ الكذب؟!.

سيِّد : كانت مجردَ اقتراحات، لم تأخذ دوراً تنفيذياً، والذي يقترح يقترح!!

الدجوي: عدد أفراد التنظيم كام؟

سيِّد : قالوا: الصف الأول حوالي ٧٠، فيكون العدد ٢٠٠ أو ٣٠٠. وذلك بالاستنتاج!

الدجوي: مضبوط يا سيِّد. . بس إزاي الاستنتاج؟

سيِّد : إذا كان لهم ٥ سنوات في الشغل وتربية الأعضاء، فإن مجموعة سبعين شخصاً، تنتج حوالي ٣٠٠ في ٥ سنوات.

الدجوي: إزاي الحساب ده؟

سيِّد : أنا كنت مراقبَ بحوثٍ فنيَّة في وزارة التربية، وعندنا أن البشر فيهم خُمْسٌ متفوق، وخُمْسٌ تحت المستوى. . (ونطقها سيِّد بالإنجليزية)!!

الدجوي: (هازئاً) أنت رايح تتكلم إنجليزي.. يا سيِّد إحنا ناس مسلمين.. وكلِّمْني عربي يا سيِّد!

سيِّد : الإحصاءات على أساس أن ٤٠ ٪ أقل من المتوسط، و ٢٠ ٪ متفوق، و ٢٠ ٪ تحت المستوى!

الدجوي: وليه تتعب نفسك.. ليه ما سألتش سؤال صريح عن عدد الأعضاء؟

.. وعلي عشماوي قال: إنه أخبرك أن الصف الأول ٧٠ والتنظيم ٢٠٠. وأنت قلت إنهم أحسوا بقيادتك منذ اللقاء الأول.

سيِّد : (باستنكار) أنا قلت كده؟

وتكلَّما عن تدريبِ التنظيم الإخواني على الرياضة وعلى السلاح!

الدجوي: والهدف إيه من التدريب على السلاح؟

سيِّد : (وقد لاحظَ أن الدجويَّ يُلقي أسئلته بتهكم!) أرجو أن تستمع المحكمة بشيء من الصبر لبعضِ التفصيلات.. ولا يضيق صدركم..

الدجوي: صدري لا يضيق، ومستعد أسمع للصبح!

سيِّد : نحن اتفقنا على تحويل التنظيم إلى تنظيمٍ إسلامي تربوي، وفي نظرنا...

الدجوي (مقاطعاً): نظرنا.. مين يعني؟

سيِّد : أنا والخمسة أعضاء القيادة، قررنا أن التنظيمَ يجب أن يبقى لتخريج أكبر عدد من الشباب المثقف.. ولكن نشاط الجماعة ممنوع. ولا بد أن يبقى سراً، حتى لا يأتي خطر على وجوده.. ولما شعرنا بالخطر على التنظيم من أن ينكشف، ويُعذَّب أعضاؤه في السجن الحربي والقلعة، كما حدث سنة ١٩٥٤م وسنة ١٩٦٥م، ولم نظن أن النيابة ستشنق...

الدجوي: (وقد فقد كل أعصابه مقاطعاً) أنت كذاب فيما تقوله.. إن هذه هي السموم التي تنفثها فيمن حولك..

سيِّد : (بدون تأثر) التنظيم يتدرب على السلاح للدفاع عن نفسه!

الدجوي: أنت نغمتك في كلامك كله كده. . .

سيِّد : نحن. . .

الدجوي: (بعصبية) ما تتكلمش إلاَّ لما أنهي كلامي. . أنا مش قاعد معاك في قهوة!. . أنت تقول إن التدريب على السلاح للدفاع عن التنظيم.

سيِّد : (معاتباً) أنت وعدتني بسعة الصدر!

الدجوي: بس لا تتكلم خارج الموضوع!. .

وانتقلا للكلام عن علم المرشد العام الهضيبي بالتنظيم الإخواني الجديد، وصار الدجوي يسأل سيِّد قطب أسئلة عجيبة، فهم سيِّد منها أن الدجوي ـ لكثرةِ غبائه ـ لا يناقشه بأقواله هو في التحقيق، بل بأقوال متهمٍ آخر!.

الدجوي: أنت قلت إن المرشد وافق. . والتنظيم كان يحس بقيادتك من أول لقاء!

سيِّد : (بحزم) أخشى أن تكون هذه أقوال شخص آخر!.

الدجوي: (بتحدٍ) نعم يا أخويا؟؟. . لأ. . أنا باقول بالنمرة يا سيِّد يا قطب. . ومحاميك موجود، وإذا قال الكلام ده مالوش أصل نستبعده. . إنت زعلان ليه؟.

ويتفحَّصُ الدجوي الأوراقَ التي أمامه. . ويكتشف صدقَ ملاحظة سيِّد قطب، وأنه كان يناقشه من أقوال متهم آخر!!. . .

الدجوي: عندك تفصيلات أكثر عن التنظيم يا سيِّد؟

سيِّد : (بقرف) ليس عندي تفصيلات!

الدجوي: إنت أمرت بتدريب مجموعات فدائية؟

سيِّد : مجموعات رياضية!

الدجوي: قلت إيه يا سيِّد قطب عن المجتمع الحاضر. . بس اوعى تقول لي «معالم في الطريق» كله!

سيِّد : أين هو «معالم في الطريق»؟ لا معي.. ولا مع الناس!!.

الدجوي: إنت تعبت.. يعني أخليك تستريح. والاَّ تقدر تستحملنا ربع ساعة كمان.

سيِّد : أستريح أحسن!

ورفعَ الدجويُّ الجلسة للاستراحة، ثم أعادها بعد نصف ساعة!.

الدجوي: قرر علي عشماوي أنه بعد استعراضِ موضوع الاغتيالات بالأسماء، وافق سيِّد قطب عليها، وأضاف أنه يريد ضربَ مدير البوليس الحربي ومدير مكتب المشير!

سيِّد : علي عشماوي واحد من خمسة!

الدجوي: حصل ده؟

سيِّد : لا. لم يحصل!

الدجوي: أمال اللي حصل إنك وافقت على الاغتيالات ولم تضف أسماء!

سيِّد : الأمر انتهى على أنه لا إمكانيات لتنفيذ هذه الاقتراحات!

الدجوي: وقرر علي عشماوي أن الجماعة قالت لسيِّد قطب أن التنظيم حوالي ٢٠٠ والفلوس حوالي ٤٠٠٠ جنيه، والسلاح رشاشات ومسدسات!!

سيِّد : هل قال لي بمفردي أو أمام غيري؟

الدجوي: يستوي.. إذا قال لك بمفردك يكون كذاباً. وإن قال أمام المجموعة يكون صحيحاً وتقرّه؟.

سيِّد : نعم!!.

الدجوي: قرر عشماوي أنك قلت لهم: ينبغي أن تكون خططنا هجومية. ولا نلجأ للدفاع، لأننا لو لجأنا للدفاع نكون فشلنا.. إذن خطتك هي الهجوم.. ولو أن هذا لا يغير من الدعوى، سواء إذا كنت دفاعي أو هجومي.. ويعزز هذا ما قاله عشماوي من أنك قلت لهم: ينبغي أن نرتب ثلاث موجات.. إذا

فشلت الثانية تليها الثالثة.. والموجات لا تكون إلَّا في الهجوم، واسمها تحضيرات الخطة وتنسيق الهجوم. حصل يا سيِّد يا قطب؟

سيِّد : هذا الكلام لم يحصل بهذا الشكل؟

الدجوي: يعني حصل بشكل آخر؟

سيِّد : لم يكن الكلام...

الدجوي: (صائحاً) جاوب على السؤال؟

سيِّد : لم يحصل!!

الدجوي: لازم عشماوي مبيفهمش خالص.. لأنه برضه قال إنك يا سيِّد يا قطب قلت لهم: يجب أن ننشط لتنفيذ أهدافنا بالقوة، ونصطدم مع الحكومة في أي وقت في ساعة الصفر.. أخوك علي عشماوي اللي قال كده.. وقال إن لكم أهداف.. وإنت لغاية الآن ماقلتهاش.

سيِّد : الدفاع عن النفس!

الدجوي: وكل الكلام عن الهجوم وترتيب الموجات والتنفيذ عندما تحدد أنت عنصر المبادأة؟

سيِّد : فيه أربعة غير عشماوي!

الدجوي: كمان حميدة قطب قالت: إن أهداف التنظيم هي إسقاط الحكم الحاضر..
وأظن حميدة قطب دي ثقة...
إتفضل محلك!

سيِّد : تسمح لي بكلمة!

الدجوي: إن كان فيه حاجة قولها للأستاذ المحامي...[1]

وهكذا أنهى الدجويُّ محاكمةَ سيِّد، بأَنْ منَعَه من قولِ كلمته، لأنه كان سيكذِّب

---

(١) الموتى يتكلمون: ١٦٠ ـ ١٨٢ باختصار وانتقاء!

علي عشماوي في أقواله. وسيقرِّر التعـذيب الرهيب الـذي صُبَّ على الإخوان، وأنهم قالوا كلامَهم نتيجةَ التعذيب!

واستمـرَّ الـدجـوي ينـاقش المتهمين من الإخـوان حـوالي شهـر، وفي يـوم ١٨/٥/١٩٦٦م أعلن عن حجز القضية للحكم. .

وقـد وافقَ ذلـك يـومَ سفـر رئيس وزراء روسيـا «الكسـي كـوسيـجيـن» من القاهرة. . .[1]

سيِّد قطب ينتظر الحكم عليه

مضتْ أربعةُ أشهر بعدَ انتهاء محاكمة سيِّد، كان فيها ينتظرُ الحكم عليه.

وفي الحقيقـة كان سيِّـد يعـرفُ بمـاذا سيحكمـون عليـه، ويعـرفُ أنـه سيكـون الإعدام. فقد كان ينتظرُ الإعدام!

يروي الأستاذ «إبراهيم المصري» في مجلة «الشهاب» اللبنانية قائلاً: «وهنا لا بدَّ من كشفِ النقاب عن حديثٍ استكتمَـه سيِّد ــ رحمـه الله ورضي عنه ــ أحـدَ إخوانـه، قبلَ اعتقالِه بأسابيع. . كان الحديثُ يدور حول اليهودية العالمية، وخطرِها على العـالم أجمع، والمسلمين خاصة. .

يقول سيِّد: لقد وقفْتُ على مدى تغلغل الأصابـع اليهوديـة وخطرهـا، بعد بحثٍ وطول عناء، واليهود إذا علموا أنني أحيطُ بذلك فلا بد أنْ أُقتلَ!»[2].

أحمد رائف يروي عن سيِّد

بعد الانتهاءِ من محاكمة سيِّـد، وقبل الحكم عليـه، قابـل أحمد رائف سيِّـد في السجن، وروى تلك المقابلة قائلاً:

«في مرةٍ من المرات، أخذوني مع بعض الزملاءِ لنحضِّر الطعـامَ من المطبـخ. . وفي الطريق سنحتْ فرصةٌ للتحدث مع سيِّد قطب. .

---

(١) المرجع السابق: ١٩٣.

(٢) مجلة الشهاب. السنة الخامسة. العدد الحادي عشر. أيلول ١٩٧١م. صفحة: ٣.

قلتُ له ــ فيما قلت ــ : ماذا تنتظر؟.

فقال الرجل لي بابتسامةٍ واثقة، نابعةٍ من صدر هادىءٍ مطمئن: «أنتظرُ الوفودَ على ربّي»!

هذا كل ما كان ينتظره، أما ما قالَه في المحكمة، فكان يريدُ به ذكْرَ شيء للتاريخ...»[1]

لقد كان سيِّد ينتظرُ القدومَ على ربه، لأنه يشعرُ بأنه أدّى الواجبَ الذي عليه، وأنه لم يَخُن الأمانة، ولم يتَخَلَّ عن الدين والدعوة.. بل بلَّغَ دعوته إلى آخر لحظة...

وعلم سيِّد أن القومَ يريدون رأسَه هذه المرة. وقد نُقل عنه قولُه: «لقد عرفتُ أن الحكومةَ تريد رأسي هذه المرة. فلستُ نادماً لذلك، ولا متأسِّفاً لوفاتي. وإنما أنا سعيدٌ للموت في سبيل دعوتي. وسيقرِّرُ المؤرخون في المستقبل مَنْ كان على الحق، الإخوان أم نظام الحكم!»[2].

يعلم هذا، لأنه هو الذي يقول في تقريره: «إنه آنَ أن يقدِّمَ إنسانٌ مسلم رأسَه، ثمناً لإعلان وجودِ حركةٍ إسلامية..»[3].

ويَصْدُق في سيِّد قول الشاعر:

لَعَمْرُكَ إنّي أرى مَصْرَعي ... وَلَكِنْ أَغُذُّ إِلَيْهِ الخُطا
لَعَمْرُكَ هذا مَماتُ الرِّجالِ ... فَمَنْ رامَ مَوْتاً شَريفاً فَذا

كمال الدين حسين ينتصر لسيِّد

أثارتْ محاكماتُ الدجوي الظالمة، وتعذيبُ الجلادين الرهيب، المراقبين للأحداث، ومعظمُهم لاذَ بالصمت، إيثاراً للسلامة.

---

(١) البوابة السوداء: ٢٢٣.

(٢) الشهيد سيد قطب: ٥٦.

(٣) لماذا أعدموني: ٧.

وكان ممن أثارتهمْ المحاكماتُ، السيد «كمال الـدين حسين»، وكان عضـواً في مجلسِ قيادةِ الثورة، ووزيراً سابقاً للتربية والتعليم، ونائباً سابقاً لرئيس الجمهورية!

وقـد بعثَ رسالـةً للرئيس عبد النـاصر، وبعثَ صـورة منها لعبـدِ الحكيم عامـر، بصفتِه مسؤولاً عن جهازِ المباحث الجنائية العسكرية التي تقوم بالاعتقال والتعذيب.

وكان نصُّ رسالةِ كمال الدين حسين لعبد الناصر:

«بسم الله الرحمن الرحيم

السيد جمال عبد الناصر ــ رئيس الجمهورية

من كمال الدين حسين..

السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد...

لا خيرَ فيَّ إذا لم أقُلْها لك.. اتَّقِ الله...

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرا..﴾

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِه، وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرا..﴾.

اتقِ الله...

قـالها اللَّهُ سبحـانه وتعـالى لنبيه الكـريم: ﴿يـا أيُّهـا النَّبِـيُّ اتَّقِ اللَّهَ، وَلا تُـطِعِ الكافِرينَ وَالمُنافِقين﴾.

اتقِ الله.. ولا تكن ممن قال فيهم الله، سبحانه وتعالى: ﴿وَإذا قيـلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإثْمِ، فَحَسْبُهُ جَهَنَّم﴾.

اتق الله...

أمرَ اللَّهُ بها الرسولَ والمؤمنين... وأمرَ بها الرسولُ أصحـابَه المؤمنين.. وقـالها الخلفـاءُ والأئمة لبعضِهم ولـولاتهم وللمسلمين.. وقالَهـا المسلمـون للخلفـاء والأئمـة والولاة.. ولبعضهم بعضاً.

اتق الله...

قالتْها تلك الأمة التي أعزَّها الله بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّـاس، تَأْمُـرونَ بِالمَعْروفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَر، وَتُؤْمِنونَ بِالله . . ﴾.

وَسلامي على من اتبع الهدى. . »[1].

ووصلتْ الرسالةُ لعبد الناصر ــ ولعبد الحكيم ــ ولم يتَّقِ عبد الناصر الله، بل فقدَ أعصابه، واعتقلَ نائبه السابق كمال الدين حسين!!

ولم يتَّقِ عبد الناصر ربه، بل أمرَ بإعدامِ سيِّد قطب!!. .

رسالتان إيمانيتان عظيمتان لسيِّد

في هذه الفترةِ التي كان فيها سيِّد ينتظرُ حكمَ الإعدام، كان يعيشُ حـالةً إيمـانيةً عظيمة، كان في قمةِ السعادةِ والطمأنينة، والثقة والـرضا. . رغمَ قسـوةِ الحياةِ المـاديّة التي تُحيط به، حيثُ جوُّ السجن الحربي والتعذيب والزنازين!. .

وتجلَّتْ حالتُه الإيمانيةُ العظيمة الراضية، في رسالتَيْن إيمانيَّتيْن عظيمتيْن. بعثَهما سيِّـد في فترةِ انتـظارِه لحكم الإعدام، إلى صـديقِه الأديب السعـودي الأستـاذ «أحمـد عبد الغفور عطار».

قال الأستاذ «عطار» عن كيفيةِ وصولِ رسالتيْ سيِّـد له: «بلغَ الأمـرُ إلى أنَّ تأثيـرَ سيِّد قطب امتدَّ إلى حراسِه الأشدّاء في محاكمته الأخيرة!.

فتلقيتُ منه رسالتيْن في شهر صفر ١٣٨٦هـ يونيو ١٩٦٦م، وصلَتـا إليَّ بوسـاطةِ ضابطٍ في مخابراتِ عبد الناصر، على صلةٍ بأولئك الحرّاس. . »[2].

وقد نشرَ الأستاذُ نصَّ الرسالتين «بالزنكوغـراف» بخطِّ يدِ سيِّـد قطب، في العـددِ الثاني من مجلة «كلمة الحق» التي أصدرَها في مكة. ثم أعادَ نشرَهما في العدد الرابع ــ والأخيرِ ــ من المجلة.

---

(١) الموتى يتكلمون: ١٩٦ ــ ١٩٧.

(٢) مجلة «كلمة الحق». السنة الأولى. العدد الثاني. مايو ١٩٦٧. صفحة: ٤٠.

وقـد «شـطبَ» الأستـاذُ «عـطار» الأخبـارَ الشخصيـة في الـرسـالتيْن، التي تتعلق بأشخاص قريبين لسيِّد، أوصى صديقه عطار بهم خيراً.

وفيما يلي نصُّ الرسالتيْن:

الرسالة الأولى:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أخي أحمد:

سلامُ الله عليكَ ورحمتُه وبركاته. وبعد:

فقد أَنِستُ برسالتك بعد هذا المدى الطويل.. وإن كنتُ قد تألمتُ لما أصـابك هنـا وهناك. لـولا أنني أعلمُ أنك رجـلٌ عصـاميٌّ، وأنـك تستـطيـعُ أن تنشىءَ نفسـك ــ بعون الله ــ كما أنشأتَها مرةً ومرة، وأنَّ هذه العوارضَ الطارئة لن تفتَّ في عضـدك، ولن تحرمَكَ طمأنينةَ قلبك، وثباتَ خطواتك...

وأحبُّ أنْ أزيدَك...

أمّا أنا، فـأجدني خيـراً من أيِّ وقتٍ مضى، في عقيدتي وإيمـاني، وفي وضوحِ هـذه العقيدة وهـذا الإيمـان في نفسي.. وفي وضـوحِ إدراكي وتَصـوُّري لهـذا الأمـرِ ومقتضياتِه.. ووضوحِ الهدفِ والوسيلةِ والطريقِ والغاية...

وكلُّ هذا خيرٌ جزيلٌ جميل، يرجحُ كلَّ ما أديتُه ثمناً لـه، من راحتي وصحتي.. والحمد لله...

وإنّي لأرجو أن أظلَّ على اتصالٍ بك، عن هذا الطريق، الذي فتحَهُ الله لَنـا بعد الغيبةِ الطويلة...».

أما الرسالة الثانية، فهي أعجبُ وأعظمُ وأهمُّ من الرسالة الأولى:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أخي أحمد:

السلامُ عليك ورحمة الله.. وبعد..

فقد أبلَغني ابني . . . أنه كتبَ إليكم باسمي كما أوصيتُه، وأنك رددتَ عليه، بما أعهدُه فيك من أريحية نفس . . فهل أشكرك؟

أهمُّ من أَنْ أشكـرَك ــ فيما أعتقـد ــ أَنْ أطمئِنَـك عليّ، وأنـا في وضعي الـذي تعلمُه . . .

لقد وجدتُ اللَّهَ، كما لم أَجِدْهُ من قبلُ قط . . لقد عـرفْتُ منهجَه وطـريقَه، كمـا لم أعـرفْه من قبـلُ قط . . ولقد اطمـأننْتُ إلى رعايتـه، ووثقْتُ بوعـده للمؤمنين، كمـا لم أطمئِنّ من قبلُ قط . . .

وأنا بعد ذلك ــ على ما عهدتَني ــ مرفوعُ الرأس، لا أَحنيـهِ إلّا لله . . والله يفعلُ ما يشاء . . والله غالبٌ على أمره، ولكنَّ أكثرَ الناس لا يعلمون . . . »[1].

ونؤْثِر أن نتركَ الرسالتَيْن للقارىء، تقدِّمان له ــ وبخاصةٍ الثانية منهما ــ مـا يتلقّاه عنهما من دلالاتٍ وإيحاءاتٍ وعبـرٍ وعظات، وتتـرجمانِ عن الحـالة الإيمـانية العـظيمة لسيِّد، وتصوُّرِه لعظمة الله ومعيتِه وعنايتِه ورعايتِه . .

حقاً إن الإسلامَ يصنعُ الأعاجيب مع الرجال العظماء!!.

الدجوي ينطق بأحكام عبد الناصر

بعــدَ أربعـةِ أشهــر من محـاكمــةِ سيِّـد قــطب وإخـوانِـه، وفي يــوم الأحــد ٢١/٨/١٩٦٦م أصـــدرَ الفـريقُ أول «فؤاد الــدجـوي» الأحكــامَ في قضيـةِ التنــظيم الإخواني، على المتَّهمين الثلاثةِ والأربعين . .

بـل نقولُ نـطقَ الدجـويُّ بالأحكـام التي أصدرَهـا عبدُ النـاصر على سيِّـد قـطب وإخوانه!

وإذا أردْنا دقةً أكثر نقول: نطقَ الدجويُّ بالأحكـام التي أصدرَهـا أعداءُ الإسـلام ــ من صليبيّين وصهيونيّين وملحدين ــ على سيِّد قطب وإخوانه!

وكانت الأحكامُ قاسيةً جائرة عنيفة، حيث لم يُبرَّأْ منهم أحد!

---

(١) مجلة كلمة الحق. السنة الأولى. العدد الثاني. مايو ١٩٦٧. صفحة: ٤٠.

حكَم على سبعةٍ منهم بالإعدام، وعلى خمسةٍ وعشرين بالسجن المؤبـد. وعلى أحدَ عشرَ بالسجن من خمس عشرة إلى عشر سنوات.

والذين حكَمَ عليهم بالإعدام هم قادةُ التنظيم:

سيِّـد قطب، ومحمـد يوسف هـواش، وعبد الفتـاح إسماعيـل، وصبري عـرفة، وأحمد عبد المجيد، ومجدي عبد العزيز، وعلي عشماوي..[1].

أما «علي عشماوي» ــ الشخصيةُ المشبوهةُ الغريبة ــ فقد أفرجَتْ عنه الحكـومةُ بعد وقت قصير، وسهَّلتْ له السفرَ إلى أمريكا، حيث يعيشُ هناك!

وأمـا أحمد ومجـدي وصبري، فقـد خُففَ الحكمُ فيهم إلى المؤبد. وأمـا سيِّـد وعبد الفتاح وهواش، فقد نُفِّذَ فيهـم الحكم، وأُعدموا.

الديري يروي إسماع سيِّد للحكم بإعدامه

عنـدما أرادت المحكمـةُ النـطقَ بـالأحكـام على الإخـوان، وضعتْهُم جميعـاً في قفصِ الاتهـام، وكلُّ مَنْ أرادوا إسمـاعَه الحكمَ الخـاصَّ بـه، كـانـوا يخـرجـونَـه من القفص، إلى «حجرةٍ» خاصة بجانب القفص، فيسمعُ الحكم، ثم يُعادَ إلى إخوانه..

ويروي الأخُ «ممدوح الـديري» ــ الـذي كان ضمْنَ المحكـومين ــ إسماعَ سيِّـد للحكم بإعدامه، فيقول:

أخـذونا يـوم النطقِ بـالأحكام في سيـاراتِ الـدفـاع المـدني، وأَدخلونـا جميعـاً «القفص»، وكان هناكَ في نفسِ الحجـرة مهندس، يقـومُ بعمليةِ تسجيـلِ الأحكام في الحجرة التي كانت بجوارِ الحجرة التي فيها القفص..

نادَوْا على الأستاذ سيِّد.. وأخذوهُ إلى الحجرةِ المجاورةِ، حيث نَـطَقوا بـالحكم عليه.. فرأَيْنا المهندسَ الذي يسجل الأحكام يبكي.. فعرفْنا أنَّ الحكمَ هو الإعدام!

ويضيفُ ممـدوح: لقـد سمعتُ أن الشهيـدَ عنـدمـا سمـع الحكم، قـال: الحمد لله..»[2].

---

(١) الموتى يتكلمون: ١٩٤ ــ ١٩٥.

(٢) مذابح الإخوان: ١١٨.

زينب الغزالي تروي زيارة سيِّد الأخيرة لأخته حميدة

تروي «زينب الغزالي» ــ وكانتْ في زنزانةٍ واحدة مع حميدة قطب ــ خبرَ الزيارةِ الأخيرة التي قامَ بها سيِّد قطب لأخته السجينة حميدة في زنزانتِها:

«بعدَ الحكم بخمسةِ أيام، طُرق باب الزنزانة، وفُتح، ودخَلَ علينا الأخ سيِّد قطب، ومعه الضابطُ أركانُ حرب السجن ويدعى إبراهيم وصفوت الروبي. . . وانصرفَ الضابط وبقي صفوت والأخ سيِّد قطب. .

قلت: مرْحباً يا أخ سيِّد. هذه مفاجأةٌ سارة، وغاليةٌ علينا جداً. إنها لحظاتٌ من رضوان الله أَنْ تجلسَ إلينا!

وجلسَ يتحدثُ إلينا عن الآجال ومواعيدِها، وأَنَّها بيدِ الله، ولا أحد يتحكمُ فيها إلّا الله. . وأَمَرَنا بالرضا والتسليم. وكان الحديثُ عن الرضاء بقضاء الله. . .

وأَسرَّ إلى حميدةَ ببعض الكلمات، كما أسرَّ إليَّ ببعضِ كلمات أيضاً.

وهنا غضبَ صفوت الروبي وزمجر وأَنهى المقابلة. .

ونظرَ إلينا الإمام الشهيد وقال: ما علَيْنا، فلنوطِّنْ أنفسَنا على الصبر. . وانصرف. .»[1].

الملك فيصل يتوسط لعدم إعدام سيِّد

أثارَ الحكمُ على سيِّد قطب وأخويْه ــ محمد يوسف هواش وعبد الفتاح إسماعيل ــ الكثيرَ من الاحتجاجاتِ والمظاهراتِ، وحملاتِ الاستنكارِ والاستهجان، في كثيرٍ من البلاد العربية والإسلامية!

واتصلَ أناسٌ من الإخوان المسلمين ببعضِ المسؤولين في البلاد العربية، ليتوسَّطوا لدى عبد الناصر، حتى يخففَ عن سيِّد حكمَ الإعدام.

وكان ممن توسَّطَ لدى عبد الناصر، الملكُ فيصل بن عبد العزيز.

وقد روى قصةَ الملك فيصل مع عبد الناصر الأستاذ «أحمد رائف»، في كتابه

---

(١) أيام من حياتي: ١٨٢.

القيِّم الذي طُبعَ مؤخَّراً «سراديب الشيطان»، نقلاً عن أحد الوزراء عند عبد الناصر:

قال أحمد رائف تحت عنوان: «فيصل يتشفَّعُ في سيِّد قطب»:

وتذكَّرتُ قصةً حكاهـا لي مؤخَّراً، أحـدُ الوزراء في عهـد عبد النـاصر، والقصـةُ عشيةَ إعدام الشهيد سيِّد قطب.

كان هذا الوزيرُ يجلسُ مع عبد الناصر لمناقشةِ بعض الأمور الاقتصادية.

كان يحضرُ الجلسةَ أنور السادات وحسين الشافعي.

ودخـلَ سامي شـرف، وفي يده ورقـة، وحاولَ أن يهمسَ في أُذُن عبـد الناصـر، الذي رفعَ صوتَه محتدّاً:

ــ إيه؟ . . فيه إيه؟

وتمتمَ سامي شرف:

ــ يـا أفندم، هـذه برقيـةٌ من الملك فيصل، يلحُّ في الـرجـاء في عـدمِ إعـدام سيِّد قطب.

وبدا الغيظُ والضيقُ على وجْهِ عبدِ الناصر، وقال:

ــ أنا مش عارف، أولاد. . . دول مهتمين ليه بسيِّد زفت ده؟

ووقف سامي شرف مرتبكاً، وصرخَ فيه عبد الناصر. .

ــ انصراف!

وأسرع سامي شرف يغادرُ المكان.

واستوقفه عبدُ الناصر ثانية، وقال له:

ــ إسمع. . .

ــ أفندم. . .

وفكَّـر عبد النـاصر قليـلاً وقدر، فقُتـل كيفَ قـدَّر، ثم قُتـل كيفَ قـدّر، ثم أدبـر واستكبر، وقال:

ـ إعدموه في الفجر بكرة. واعرضْ عليَّ البرقية بتاعة سي فيصل بعـد الإعدام! ثم أَرسلْ برقيةَ اعتذارٍ له. . و «ينكتب» في الأهرام «تم الإعدام» في سطرين. .

والتفتَ إلى «الفردتَيْن» ـ نائبيه ـ وقال ضاحكاً ممازحاً:

مش كده، والاّ إيه؟

وشاركاه في الضحك، وانصرف سامي شرف.

وأُعدم سيِّد قطب مع الصبح. . . وأقيمت المآتمُ في البلاد الإسلامية. . .

ويتابع «أحمد رائف» روايته:

وجفَّ حلقي، وأنا أسألُ الوزير:

ـ وأنتَ ماذا قلت؟

وقال:

ـ أنتَ لا تعرفُ عبدَ النـاصر. . ليس هنـاكَ مَنْ يستطيـعُ مناقشتـه. . فما بـالُكَ بالاعتراض على حكمه. . .

وسألتُه واجماً:

ـ وبعد تنفيذِ حكم الإعدام، ألم يُظهرْ واحدٌ من الوزراء الألمَ أو الاحتجاج؟

ـ وقال الرجل:

بعد تنفيذ حكمِ الإعدام في الشهيد سيِّد قطب، كـان كلُّ وزيـرٍ يحرصُ على أن يُنقَلَ عنه للرئيس كلمة تدل على الفرحة والابتهاج!!

ويروي «أحمد رائف» أثرَ خبر الإعدام على الملك فيصل. .

«وتذكرتُ الحاج «صالح أوزجان» عندما قال لي:

ـ دخلتُ على الملك فيصـل رحمه الله، عنـدما أُعـدمَ سيِّد قـطب، ولـم أَعرفْ بالخبر بعد، ووجدْتُه حزيناً دامعَ العينين.

وتعجبت، ودُهشت، وسألتُه، فقال لي:

ـ عظَّمَ الله أجرَكَ في الشهيد سيِّد قطب، فقد لقِيَ ربَّه اليوم!

وتمتمت:

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال الملك فيصل:

ـ أَرسلتُ إليه، وتوسلْتُ أنْ يطلقَه حيّاً، ويطلبَ فيه ما يشاء! ولكنها إرادةُ الله، ولكلِ أجلٍ كتاب، ولا بد لهذه الأمةِ من شهداء!».

وما زلْنا مع «أحمد رائف» في روايته، حيث يقدمُ لنا أثرَ علم المسجونين بإعدامِ سيِّد قطب:

«وعدتُ بالذكرى إلى اليومِ الذي جاءنا فيه خبرُ إعدامِ الشهيد، وكنّا أيامَها، بمعتقلِ «أبي زعبل» السياسي. وكان الكلامُ حراماً وممنوعاً، والرعبُ يخيِّمُ على العنابر والزنازين.

وكانت رغم هذا أولُ صلاةِ جماعة في فناء المعتقل.. وكانت صلاةَ المغرب.. وقرأ الإمام قولَه تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالحَقِّ، إِذْ قَرَّبا قُرْباناً، فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما، وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخِرِ. قال: لأَقْتُلَنَّكَ! قال: إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ المُتَّقين﴾. [سورة المائدة: الآية ٢٧].

وضجَّ المعتقل بالبكاء!..»[١].

حميدة قطب تروي مساومات ليلة التنفيذ!

سووِمَ سيِّد قطب مساوماتٍ كثيرة، ليتخلّى عن دعوته، ويعتذر عن عمله مع الله، ويتبرأ من التنظيم الإخواني الجديد، وطُلِبَ منه أنْ يكتبَ سطراً أو جملةً للرئيس عبد الناصر، يسترحمُه ويعتذرُ له، وسوف يخرجُ من سجنه، ويُلغى حكمُ الإعدام فيه، وتفتحُ له الدنيا، فيأخذ منها ما شاء من المناصب والمراكز والوظائف والأموال..

واستمرت هذه المساوماتُ، حتى الليلة الأخيرة من حياته، واستخدمَ الطغاةُ

(١) سراديب الشيطان: ١٤٩ ـ ١٥٢.

أختَه المجاهدة «حميدة» لتضغط عليه، ليستجيبَ لهم.

ونستمعُ إلى حميدة تروي لنا مساوماتِ ليلة التنفيذ:

«استدعاني حمزة البسيوني ـ مديرُ السجن الحربي ـ إلى مكتبه. وأراني حكمَ الإعدام، والتصديقَ عليه.

ثم قال لي: إن الحكومة مستعدةٌ أن تخفِّفَ هذا الحكم، إذا كان شقيقي يجيبُهم إلى ما يطلبون!

وقال لي: إن شقيقَك خسارةٌ لمصر كلِّها، وليس لك وحدَك. إنني غيرُ متصوِّرٍ أن نفقدَ هذا الشخص بعد ساعات. إننا نريدُ أن ننقذَه من الإعدام بأيِّ شكلٍ وبأي وسيلة.

إن بضعَ كلمات يقولُها، ستخلِّصه من حكم الإعدام، ولا أحدَ يستطيعُ أو يؤثِّرَ عليه إلّا أنتِ. أنتِ وحدك مكلَّفة بأن تقولي له هذا. أنا مكلَّفٌ أنْ أبلِّغَه هذا، ولكنْ لا أَحَدَ أفضلُ منك في تبليغه هذا الأمر. بضعُ كلمات يقولُها، وينتهي كل شيء!

نريد أن يقول: إن هذه الحركةَ كانت على صلةٍ بجهةٍ ما. وبعد ذلك تنتهي القضيةُ بالنسبة لك. أما هو فيفرجُ عنه بعفوٍ صحي!

قلتُ له: ولكنك تعلم ـ كما يعلمُ عبد الناصر ـ أن هذه الحركة ليست على صلةٍ بأيِّ جهةٍ من الجهات!

قال حمزة البسيوني: أنا عارف. وكلُّنا عارفون أنكمْ الجهةُ الوحيدة في مصر التي تعمل من أجلِ العقيدة. نحن عارفونَ أنكمْ أحسنُ ناس في البلد، ولكننا نريدُ أن نخلصَ سيِّد قطب من الإعدام!

ونظر إلى صفوت الروبي، وقال: خذْها يا صفوت إلى أخيها..

وذهبتُ إلى شقيقي، وسلمتُ عليه، وبلغتُه ما يريدون منه.

فنظر إليَّ، ليرى أثرَ ذلك على وجهي، وكأنه يقول لي: أأنتِ تطلبين ذلك أمْ هم؟ واستطعتُ أن أُفهمهُ بالإشارة أنهم هم.

وهنا نظر إليَّ، وقال:

واللّهِ لو كان هذا الكلامُ صحيحاً لقلتُه، ولما استطاعتْ قوةٌ على وجْهِ الأرض أن تمنعني من قوله! ولكنه لم يحدث. وأنا لا أقولُ كذباً أبداً!!

وسأَله صفوت: «يعني ده رأيك؟»».

أجابَه سيِّد: نعم!

فتركنا صفوت. وقال: على العموم تقدروا تقعدوا مع بعض شوية!».

وأفهمتُ أخي الحكايةَ من أوَّلها. وقلتُ له: إن حمزةَ استدعاني. وأراني الإعدام. وطلبَ مني أن أطلبَ منك هذا الطلب!

سألني: وأنتِ ترضين بذلك؟

قلت: لا.

قال: إنهم لا يستطيعونَ لأنفسهم ضرراً ولا نفْعاً. إن الأعمارَ بيد الله. وهم لا يستطيعونَ التحكمَ في حياتي، ولا يستطيعونَ إطالةَ الأعمار، ولا تقصيرَها. كلُّ ذلك بيد الله.. واللّهُ من ورائهم محيط!»[1].

وكان هذا هو اللقاءَ الأخيرَ، بينَ المجاهدة «حميدة» وبين شقيقِها الشهيد!!.

كلمات لسيِّد في استعلائه على الضغوط

رويتْ عباراتٌ نسبتْ لسيِّد قطب، وأنهُ أطلَقَها في هذا الجو ــ جوِّ المساومات والضغوط والإغراءات ــ، وأنه رَدَّ بها على كل المحاولاتِ التي بُذلَتْ معه لزحزحتِه عن موقفه، وتخلّيه عن دعوته!

سألَهُ أحدُ إخوانه: لماذا كنتَ صريحاً كلَّ الصراحة في المحكمة التي تملكُ رقبتك؟ قال: لأنَّ التوريةَ لا تجوز في العقيدة، وليس للقائدِ أن يأخذَ بالرُّخَص!

ولما سمعَ الحكم عليه بالإعدام. قال: الحمد لله. لقد عملتُ خمسةَ عشر عاماً لنيل الشهادة.

---

(١) أيام من حياتي: ١٨٣ ــ ١٨٤.

وفي لقائِهِ معَ أختهِ حميدة قال لَها: إن رأيتِ الوالدَ المرشدَ ـ حسن الهضيبي ـ فبلِّغيه عني السلام. وقولي له: لقد تحمَّلَ سيِّد أَقْصى ما يحتمله بشر، حتى لا تُمَسَّ بأدنى سوء».

وعندما طُلبَ منه الاعتذار، مقابلَ إطلاقِ سراحه قال: لن أعتذرَ عن العملِ مع الله!

وعندما طُلبَ منه كتابة كلماتٍ يسترحمُ عبدَ الناصر قال: إن أُصبعَ السبابة الذي يشهدُ لله بالوحدانيةِ في الصلاة، ليرفضُ أن يكتبَ حرْفاً يقرُّ به حكمَ طاغية.

وقال رَدّاً على ذلك الطلب: لماذا أسترحم؟ إن سجنْتُ بحقّ فأنا أقبلُ حكمَ الحقّ! وإن سجنْتُ بباطل فأنا أكبرُ من أنْ أسترحمَ الباطل!!![1].

من هذه العباراتِ، يبدو لنا تثبيتُ الله لسيِّد على الحق، حتى آخر لحظةٍ من حياته، بحيث ينطبقُ عليه قولُ الله سبحانه: ﴿مِنَ المُؤْمِنينَ رِجالٌ صَدَقوا ما عاهَدوا اللَّهَ عَلَيْه. فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَه، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِر. وَما بُدَّلوا تَبْديلاً﴾.

[سورة الأحزاب: ٢٣].

كما ينطبقُ على استعلائِه على المساومات قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كادوا لَيَفْتِنونَكَ عَنِ الَّذي أَوْحَيْنا إِلَيْك، لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَه. وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَليلاً. وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَليلاً. إذاً لأَذَقْناكَ ضِعْفَ الحَياةِ وَضِعْفَ المَمات. ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصيراً﴾. [سورة الإسراء: ٧٣ ـ ٧٥].

وينطبقُ على استعلائه على المساومات، وثباتِه على الحق، قولُ الشاعر المجاهد جمال فوزي رحمه الله في ديوانِه «الصبر والثبات» عن شهيد الحق:

باعَ الحياةَ رخيصَةً   لله يرجو أَجْرَها
حتى طوتْهُ سجونُهم   دهراً وفي ظلماتِها
كم ساوَموه لكيْ يحيدَ   عن العهودِ بأسْرِها

(١) انظر «لماذا أُعدم سيِّد قطب وإخوانه»: ٢.

ولكيْ يخونَ كتائباً باعوا النفوسَ لربها
ولكي يُشوِّهَ ما أضاءَ الكونُ من صفحاتِها
ولكي يكونَ صنيعَةَ الشيطانِ بيْنَ صفوفِها
وأَبى الكريمُ مباهجَ الدنيا وطلَّقَ أمْرَها
ورأى السجونَ معاقلَ الأحرارِ رغْمَ قيودِها
وأصرَّ أَنْ يُعلي نداءَ الحقِّ في جنباتِها
فقضى السِّنينَ العَشْرَ عِمْلاقاً كشُمِّ جبالِها
وطوَتْهُ جدرانُ السجون لكي يَرى أهوالَها
كم مَزَّقَتْهُ سياطُهم وتلقَّفَتْهُ كلابُها
حتى ارتقَتْهُ شهادةً ليكونَ من أبرارِها
وهناكَ يلقى ربَّه ويُطلَّ من عليائِها[1]

عبد المتعال الجبري يروي عن ليلة الإعدام

يروي الأخُ الأستاذُ عبد المتعال الجبري عن إسراعِ الحكومة في إعدامِ سيِّد قطب وأخويْه: «إنَّ مَنْ يزيدُ سنُّه عن ستينَ سنة، يخفَّفُ عنه حكمُ الإعدام إلى المؤبد. لكن المسألةَ ليست مسألةَ قوانين...

... كنّا نائمين في السجن في ليلةٍ من الليالي، واستجابةً لغريزةِ حب الاستطلاع، كان بعضُ إخواننا ينظرونَ من ثقوبِ الزنازين.. فرأَوْا بعضَ السّجّانين مُدجَّجين بالسلاح، وقد أحضروا الشهيدَيْن «محمد هواش وعبد الفتاح إسماعيل» من السجن الصغير الذي كانا معزولَيْن فيه، بعد النطقِ بالحكم عليهما، ليأخذوا ملابسَهما من زنزانتيْهما اللتيْن كانا بها في السجن الحربي الكبير...

وفوجئْنا بتنفيذِ الإعدام بدون الإجراءات المعتادة، وحتّى بدون حبالٍ جديدة، وبدونِ أيِّ شيء من الإجراءات التقليدية..

فمثلاً: من لوائحِ السجون، قانونٌ يقضي بوزْنِ المحكوم عليه بالإعدام،

---

(١) ديوان «الصبر والثبات»، لجمال فوزي رحمه الله: ٣٤ ــ ٣٦.

وقيـاس نبْضِه وضغْـطِه، وإخْطارِ أهله، وإتـاحةِ الفـرصة لـه، لكتابـةِ وصيته، وتحقيقِ شهواتِه من الدنيا. .

كلُّ هذه الإجـراءات لم تتمّ، لأنَّ المسألـةَ عمليةُ عصـابة، تـريدُ أن تتخلصَ من رجال!!»[1].

ابتسامة سيِّد لفرحه بالشهادة

في ليلةِ تنفيذِ أحكام الإعدام في سيِّد قطب وأخويْه، تمَّ نقلُ الإخوان الثلاثـة من السجنِ الحربـي، إلى سجن «الاستئناف» ليتمَّ الإعدام.

وقد نَشَرَ التلفزيون في نشْرتِه الإخباريةِ المسائية مساءَ يوم الأحد ٢٨/٨/١٩٦٦م صورةً لسيِّد قـطب ولأخويْـه، لحظةَ خـروجِهم من السجن الحربـي، ليسْتَقلّوا السيـارةَ إلى سجن الاستئناف.

ورأَيْنا سيِّد قطب ــ وكنّا نتابعُ النشـرةَ التلفزيـونية ــ وهـو خارجٌ منتصبَ القـامة، رافعَ الرأس، مشرقَ الوجه، منبسطَ الأَسارير. وكان يَمُـدُّ يدَه لكـلِّ جنديٍّ وحـارسٍ أمام السجن الحربـي، ويسلمُ عليه مصافحاً، ويودعُه بابتسامةٍ مشرقة!!

ثمَّ رأَيْنا سيِّد قطب وقد ركبَ سيارةَ الجيش، والابتسامـةُ المشرقـةُ ما زالتْ تمـلأُ وجهه، ويدُهُ ترتفعُ لوداعِ الواقفين من الجنود والحراس، وتُحيِّيهم.

ولما همَّتْ السيارةُ بالسير، نظرَ سيِّد قـطب إلى الواقفين بجـانبِ شباك السيـارة، والابتسامةُ المشرقةُ كما هي.

والْتُقِطَتْ صورةُ هذه الابتسامة، ونُشِرَتْ في الصحف، وصـارتْ تُنشَرُ في الكتُب التي تتحدث عن الشهيد. وفي المجلاتِ التي تتكلمُ عنه بمناسبة استشهاده. . .

إن هذه الابتسامةَ الساحرةَ تعني الكثير، وتوحي بالكثير، وتدلُّ على الكثيـر، وقدْ قالَ سيِّد قطب من خلالِها الكثير، وحمَّلَها كلَّ ما يريد قولَه للأجيال القادمة!

---

(١) لماذا اغتيل الشهيد حسن البنا، لعبد المتعال الجبري: ١٠٩ ــ ١١٠.

إنها ابتسامةُ الفرح والرضا، ابتسامةُ السعادة والراحة، ابتسامةُ الطمأنينة واليقين، ابتسامةُ الظفر والفوز. .

وكأنَّ سيِّد لم يكنْ ذاهباً للموت، بل ذاهبٌ للعرس، وهو في الحقيقةِ ذاهبٌ للعرس، في جناتِ الفردوس ــ إن شاء الله ــ .

وصدقَ الشاعرُ في كلامه عن هذه الابتسامة:

يا شهيداً رفعَ اللَّهُ به ... جبهةَ الحق على طولِ المدى
سوفَ تبقى في الحنايا عَلَماً ... حادِياً للرَّكبِ رَمْزاً للفِدى
ما نَسينا أَنْتَ قد علَّمْتَنا ... بسمةَ المؤمنِ في وجْهِ الرَّدى[1]

سامي جوهر يروي لحظات الإعدام

نتركُ للصحفي سامي جوهر رحمه الله روايةَ اللحظاتِ الأخيرة من حياة الشهيد سيِّد قطب، حيث كانَ حاضراً لها، شاهدَاً عليها. .

قال: «. . . تلقَّى جميعُ رؤساءِ التحريرِ في الصحف، مكالمةً تلفونية من مكتب سامي شرف ــ سكرتيرِ الرئيس عبد الناصر للمعلومات. . . وأَمْلى سامي شرف خَبَراً لنشْرِهِ في الصفحةِ الأولى بالصحف التي تصْدُرُ صباحَ الاثنين ٢٩ أغسطس ــ أي اليوم التالي ــ وبدون عناوينَ بارزة، وعلى عمودٍ واحد. . وكان نصُّ الخبر. .

«تمَّ صباحُ اليوم تنفيذ حكمِ الإعدامِ في كلٍّ من: سيِّد قطب، وعبد الفتاح إسماعيل، ومحمد يوسف هواش. . قادةِ التنظيمِ الإرهابي للإخوان المسلمين!

وقد أصدرَ الرئيسُ جمال عبد الناصر قراراً بتخفيفِ عقوبة الإعدامِ، بالنسبة للأربعةِ الآخرين، مراعاةً لصغرِ سنِّهم، واستبدالِها بالأشغال الشاقةِ المؤبَّدة!»

وكان إملاءُ الخبر على الصحف في منتصفِ الليل. . ولم تستطعْ جريدةُ «الأخبار» أن تنشرَهُ في طبعتها الأولى، وكذلك جريدةُ «الجمهورية». . ولكنَّ «الأهرام» تمكنت من نشْره!

---

(١) لماذا أُعدم سيد قطب وإخوانه: ٣.

ومن المعلومِ أن الصحفَ تكـونُ في أيدي غـالبيـةِ القـراء ابتـداءً من الخـامسـةِ صباحاً. . ومعنى نشرِ الخبر هو أنَّ الإعدامَ تمَّ فعلاً قبل الخامسة صباحاً. .

وأَجريْتُ اتصالاتٍ لأعرفَ موعدَ تنفيذِ الحكْم لأحضـرَه، فدائمـاً أَحكامُ الإعـدام يسمـحُ بحضورِهـا للصحفيّين والمصوِّرين، ولم يكنْ لـدى أجهزةِ الأمن أيُّ فكـرةٍ عن الموعد.

باستثناءِ «شرطةِ النجدة». . فقد تلقَّتْ تكليفاً بأنْ تتوجَّهَ سيارَتا نجـدة في السـاعـة الواحدة والنصف بعدَ منتصفِ الليل إلى مبنى فِرَقِ الأمنِ «بالدَّرّاسَة» لمهمةٍ سرية.

وتوجهْتُ إلى منزل «عشماوي» الذي سينفِّذُ حكمَ الإعدام، ومنازلِ مساعديه. . وكـانت الإجابـةُ التي واجهتْني في كلٍّ من المنـازل الثـلاثـة، أنَّ سيـارةً حضـرتْ عنـد منتصفِ الليل تماماً، واصطحبَتْه في مهمة. . .

وأيقنْتُ أن الإعـدامَ سيتمُّ تنفيـذُه قبـل الصبـاح. . في الفجـر. . رغْمَ أنَّ العـادة جرتْ أن يتمَّ الإعدامُ في الثامنة صباحاً!!.

وتــوجْهتُ إلى مبنى سجنِ «الاستئنـاف» ــ في بــاب الخَلْق ــ حيثُ تتمُّ دائمـاً عملياتُ الإعدام. .

وفوجئْتُ بفرقةٍ من الصاعقة تحيطُ بمبنى السجن، والأنوارُ الكاشفةُ مسلطةً عليه. بينما كان ميْدانُ «باب الخلق» في الظلام.

وطرقْتُ بابَ السجن. . وكان معي الزميل المصوِّر «عبده خليل». . وفتحَ حارسُ البوابة «الكـوة» الضيقة، وطلبْتُ منـه إبلاغَ ممثِّـلِ النيابـة رغبتي في حضورِ التنفيـذ. . وتركَ الحارسُ «الكوةَ» الضيقةَ مفتوحة. . .

ومن خـلالها رأيْتُ مجمـوعَةً من جنـود الصاعقـة مصـطفّين في الفِـناء، يحملون الرشاشات!!.

وعـاد الحـارسُ بعـدَ دقـائق، وأغلقَ «الكــوة» ولم يُجِبْني على طلبـي. . وسـادَ صمتٌ رهيب!!

وفي تمامِ الساعةِ الرابعةِ والثُّلُث صباحاً. . فُتحَ بابُ السجن. . وخرجَتْ سيـارةٌ

سوداء، مخصصَةٌ لنقْلِ الموتى إلى المشرحة. . واندفعَتْ في طريقِ المقابر «بالإمام الشافعي» يتبَعُها ويسبِقُها مجموعةٌ من سياراتِ اللاسلكي، وراكِبي الموتوسيكلات. .

وقبلَ أَنْ يُغلقَ الباب، خرجَ شابٌّ طويلُ القامة. وسأل عني. . وتقدمْتُ إليه. . وقال بكلِّ رقة:

ــ حضرتك كنت عايز تحضر الإعدام. . يا خسارة، لم يبلِّغوني برغبتِك إلَّا الآن فقط. . خلاص كلُّ حاجة تمت. . والعربية خدت الجثث لدفنهم. .

وسألته:

ــ أين؟

ــ فأجاب ــ بنفس الهدوء: في المقابر طبعاً!

وأحسسْتُ أنه لا يريدُ أن يفصحَ عن شيء آخر!. .»[1].

سيِّد قطب الشهيد الحي: مات ليعيش!

في فجرِ ذلك اليوم الاثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦هـ الموافق ١٩٦٦/٨/٢٩م تقدَّم سيِّد قطب وأَخَواه ــ عبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف هواش ــ إلى حبْلِ المشنقة، بخُطاً وئيدةٍ ثابتة!. .

وتنفَّسَ الصبحُ على منظرِ الأبطالِ الشهداء الثلاثة، وقد عُلِّقت أجسادُهم بحبل المشنقة، بينما حَلَّقَتْ أرواحُهم في سماء العلياء. . ونزلتْ ملائكةُ السماء، لاصطحابِ هذه الأرواح الطاهرة، في رحلتِها إلى عالَم الخلود. . واصطَفَّ المؤمنون والشهداءُ لتحيةِ هذا الموكب الكريم. . وتزيَّنَتْ الحورُ العين لاستقبال أزواجِها. . وأُزلفت الجنةُ للوافدين الجدد!.

وأُسدلَ الستارُ على آخر صفحةٍ من حياةِ الرائد الشهيد في هذه الدنيا الفانية. . ليبدأَ عند الله حياتَه الحقيقية في جنات الخلود ــ إن شاء الله ــ.

---

(١) الموتى يتكلمون: ١٩٧ ــ ١٩٩.

وبهذه الخاتمةِ العظيمةِ لحياةِ الشهيد سيِّد قطب، نعرفُ فَضْلَ الله عليه، بـأَنْ مَنَّ عليه بنعمةِ الشهادة ــ إن شاء الله ــ.

إن الناسَ يعيشون ويموتون. لكنَّ الشهداء يعيشون ويعيشون! إن الناسَ يعيشـون ليموتوا. ولكنَّ الشهداء يموتون ليعيشوا.

لقد ماتَ سيِّد قطب شهيداً، ليعيشَ حياةَ الشهداء ــ إن شاء الله ــ.

وبهذا الاعتبارِ يصحُّ أن نطلقَ عليه اسم «الشهيد الحيّ»!

إنه شهيدٌ حيّ، بالمعنى الكبيرِ للشهادة والحياة!!

إن المعنى القريب للشهيد، هو الذي يموتُ في سبيل الله..

ولكن المعنى الحقيقيَّ للشهيد، أشملُ وأكبر من هذا.

إنَّ الشهيدَ يتخذُه الله، ويختارُه، ويستشهدُه، فيقدِّمُ الشهادةَ لله سبحانه.

قال الشهيد سيِّد في تفسير قوله تعـالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَـداء﴾. [آل عمران: ١٤٠].

«وهو تعبيرٌ عجيبٌ عن معنى عميق. إن الشهـداءَ لمختارون. يختـارُهُم اللَّهُ من بينِ المجاهدين، ويتخذُهم لنفسه ــ سبحانه ــ.

فمـا هي رَزِيَّةٌ إذن ولا خسـارة، أن يُسْتَشْهَدَ في سبيـل الله من يُستَشهـد.. إنمـا هـو اختيارٌ وانتقـاء. وتكريمٌ واختصـاص.. إن هؤلاءِ هم الـذينَ اختصَّهمُ الله ورزقَهُم الشهادة، ليستخلِصَهُم لنفسه ــ سبحانه ــ ويخصَّهُم بقربه.

ثم هم شهداءُ يتخذُهم الله، ويستشهِدُهُم على هذا الحق الذي بَعَثَ به للناس. يستشهِـدُهُم فيؤدّون الشهادة. يؤدّونَهـا أداءً لا شبهةَ فيـه. ولا مطعنَ عليـه، ولا جـدالَ حوله. يؤدّونَهـا بجهادِهم حتى المـوت في سبيلِ إحقـاقِ هذا الحق، وتقـريرِه في دنيـا الناس...»[1].

---

(١) الظلال ١: ٤٨١.

وما أجملَ تفسيرَ سيِّد قطب لمعنى «شهيد» جَواباً على سؤالِ الضابطِ له!!

يروي الأخُ «ممدوح الديري».. أنه أثناءَ محاكمة سيِّد قطب ــ وكان ممدوحُ هو وإخوانه معه في القفص ــ اقتربَ أحدُ الضباطِ منه، وسألَه عن معنى «شهيد». فردَّ عليه سيِّد قائلًا:

«شهيد: يعني أَنَّهُ شهدَ أنَّ شريعةَ الله أغلى عليه من حياته!!»(١).

أما حياةُ الشهيد، التي يخبرُنا عنها القرآن: ﴿وَلا تَقُولوا لِمَنْ يُقْتَلُ في سَبيلِ اللَّهِ أَمْوات. بَلْ أَحْياءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرون﴾. [البقرة: ١٥٤].

فيقولُ عنها سيِّد قطب «الشهيد الحي»:

«إنَّ هناكَ قتلى سيخرّونَ شهداء في معركةِ الحق.. شهداءَ في سبيل الله. قتلى أعزاءَ أحبّاء.. قتلى كراماً أزكياء..

هؤلاءِ الذين يُقْتَلون في سبيل الله ليسوا أَمْواتاً. إنهم أحياء. فلا يجوزُ أَنْ يُقالَ عنهم: أموات. لا يجوزُ أن يُعْتَبروا أمواتاً في الحسّ ولا في الشعور، ولا أَنْ يُقالَ عنهم أموات بالشَّفَةِ واللّسان. إنهم أحياءُ بشهادةِ الله سبحانه.. فهم لا بدَّ أحياء..

إنهم قُتِلوا في ظاهرِ الأمر، وحسْبَما ترى العين..

ولكنَّ حقيقةَ الموت وحقيقة الحياة، لا تقرِّرُهما هذه النظرة السطحية الظاهرة..

إن سمةَ الحياة الأولى هي: الفاعليةُ والنموُّ والامتداد. وسمةَ الموت الأولى هي: السلبيةُ والخمود والانقطاع..

وهؤلاءِ الذين يُقْتَلون في سبيل الله فاعليَّتُهم في نصرةِ الحق، الذي قُتِلوا من أجله، فاعلية مؤثرة. والفكرةُ التي مِنْ أجلِها قُتِلوا ترتوي بدمائِهم وتمتدُّ، وتأَثُّرُ الباقين وراءَهم باستشهادهم يقوىٰ ويمتدُّ.. فهم ما يزالونَ عنصراً فَعّالاً دافِعاً مؤثِّراً، في تكييفِ الحياةِ وتوجيهها..

---

(١) مذابح الإخوان في سجون ناصر: ١١٨.

وهـذه هي صفـةُ الحيـاة الأولى. . فهم أحيـاءُ بهـذا الاعتبـار الـواقعيِّ في دنيـا الناس!»[1]

هذا عن حياةِ الشهيد في دنيا النـاس. . أمّا عن حيـاةِ الشهيد عنـد الله في الجنة ــ ونـرجو أن يكـون سيِّد قـطب يحياهـا هناك ــ فنعتمـدُ فيها على حـديثٍ صحيحٍ عن رسول الله ﷺ.

روى الإمامُ مسلم عن عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ عن رسـولِ الله ﷺ قال عن الشهداء: «أَرواحُهُم في جوفِ طيرٍ خضر. لها قناديلُ معَلَّقـةٌ بالعـرش. تسْرَحُ من الجنة حيثُ شاءت، ثم تأوي إلى تلكَ القناديل.

فَاطَّلَعَ عَلَيْهِمْ ربُّهم إطْلاعَة. فقال: هل تَشْتَهون شيئاً؟ فقالوا: أَيُّ شيء نشتهي؟ ونحنُ نسرحُ من الجنة حيثُ شئْنا. ففعلَ ذلك بهم ثلاثَ مرات.

فلما رأوْا أنهم لَنْ يُتْرَكوا من أن يُسألوا. قالوا: يا ربِّ، نـريدُ أَنْ تَـرُدَّ أرواحَنا في أجسادِنا حتى نُقْتَلَ في سبيلِك مرة أخرى.

فلمّا رأى أَنْ ليس لهم حاجة، تُرِكوا»[2].

وباستشهاده عاشت أفكاره

لقد كسبَ سيِّد قطب باستشهـادِه الحياةَ الحقيقيَّـة، فهو «الشهيـد الحي» عند الله ــ إن شاء الله ــ!

كـذلكَ بـاستشهادِه عـاشَتْ أفكارُه، فـأصبحَتْ حية، وتمثَّلَهـا مؤمنـون دعـاةٌ في واقعِهم وحياتِهم وجهادهم.

قال رحمهُ الله عن «قوةِ الكلمة» وحياتِها وحيويَّتها:

---

(١) الظلال ١: ١٤٣.

(٢) صحيح مسلم. بعناية محمد فؤاد عبد الباقي. (٣٣) كتاب الإمارة بـاب بيان أن أرواح الشهـداء في الجنة. رقم الحديث: (١٨٨٧).

«إنه ليستْ كلُّ كلمةٍ تبلُغُ إلى قلوب الآخرين، فتحركُها وتجمعُها وتدفعُها. . إنها الكلماتُ التي تقطرُ دماء، لأنها تقْتاتُ قلْبَ إنسانٍ حي. .

كلُّ كلمةٍ عاشَتْ، قد اقتاتَتْ قلبَ إنسان!

إنَّ أصحابَ الأقلام يستطيعونَ أَنْ يَصْنَعوا شيئاً كثيراً، ولكنْ بشرطٍ واحد. . أَنْ يموتوا هُمْ لتعيشَ أفكارُهُم. أَنْ يُطْعِموا أفكارَهم من لحومِهم ودمائِهم. أنْ يقولوا ما يعتقدونَ أنَّه حق وَيقدِّموا دماءَهم فداءً لكلمة الحق!

إنَّ أفكارَنا وكلماتِنا تظلُّ جُثَثاً هامدة، حتى إذا مِتْنا في سبيلِها وغذَّيْناها بالدماء، انتفَضَتْ حية، وعاشَتْ بين الأحياء. .»[1].

رحمَ اللَّهُ الإمامَ الشهيد، والمفكِّرَ الرائد، والداعيةَ المجاهد «سيِّد قطب»، وتقبَّلَ اللَّهُ جهده وجهاده.

وإنهُ لينطبقُ عليه قولُ الله ــ إن شاء الله ــ ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللَّهِ أَمْواتاً، بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونْ﴾. [آل عمران: ١٦٩].

وقولُ الشاعر:

عُلُوٌّ في الحَياةِ وَفي المَمَاتِ لَحَقٌّ تِلْكَ إحْدى المَكْرُماتِ

* * *

(١) دراسات إسلامية: ١٣٩.

القسم الثالث

صفات سيد قطب وتراثه

(١)

ملامحه وصفاته وخصائصه

طبيعة نفسه

نتركُ لسيِّد قطب الأمر، ليحدثَنا عن طبيعةِ نفسه، ويقدِّم لها هذه الصورةَ التحليلية، فأَدْرى الناسِ بالنفس هو صاحبُها..

«نفسي خيِّرة محبّة، يغمُر الحنان جوانبَها.. تريد ــ لو استطاعت ــ أن تبسِم لكل شيء، وأن يبسِم لها كلُّ شيء.. وهي تعشقُ الرضا والهدوء، وتتلمسهما في كل ناحية، وفي كل مظهرٍ من مظاهر الحياة.. وتودُّ لو كانت الحياةُ منبسطة هادئة، لا عوجَ فيها ولا نتوء!

تصطدمُ هذه الطبيعة بالواقع، فتحارُ وتتألمُ وتشكو، وقد تغضب وقد تنفعل، وقد تسخرُ وتهدِّدُ بالانتقام..

ولكنها مع ذلك تحتفظُ بخيرِها وحنانِها، في أشدِّ ساعات الغضب والانفعال والسخرية..

وهي تودُّ ألّا تغضب، وألّا تنفعل، في يوم من الأيام.. حتى إذا انتهى ذلك الموقف، عاد إليها حنانُها، وعادتْ تبحثُ عن مظاهر الودّ والمحبة، بحثَ اللاهث المستزيد!

... هذه هي فلسفة شاعرنا في الصميم ــ يعني نفسه ــ وإنْ بدا للكثيرين كثيرَ الشكوى، دائمَ السخط، مدْمِناً للغضب، فذلك أثرُ التفاعلِ بين الحياة بقسوتها وتلوُّنها، وبين هذه النفس، التي تُفجع في هدوئها، وتُنكبُ في آمالها، فتكون الشكوى.

. . . هذا الحبُّ الذي يخفقُ به قلبُ شاعرنا، ليس مقصوراً على حبِّ المرأة، ولا حبِّ الأصدقاء، وما أردتُ ذلك فقط حين قلت: إنَّ نفسَه محبة. . وإنما قصدْتُ إلى معنى أشمل: هو معنى الحب العام، الذي يعمرُ النفوس، فلا يدَعُ فيها مكاناً للبغضاء أو الحقد. . يجعلُها نزّاعة أبداً إلى الاجتماع والعطف، وتَلقّي كلَّ مظهرٍ من مظاهر الحياة، بنوعٍ من القبول والرفق. .

فهو يودُّ لو يشملُ الكونَ جميعَه بالحنان، وأن يشملَهُ كلُّ شيء في الكون بالحنان كذلك، يكونُ بينهما تعاطفٌ وتراحم وتوادّ. . ».

وهذا التحليلُ النفسيُّ من سيِّد لنفسه، يكمِّلُه بهذه الأبيات:

هُوَ قَلْبٌ ما دَرى كَيْفَ الشُّرورْ ... لا وَلا كَيْفَ يُرائي أَوْ يَخونْ
يَحْفَظُ الوُدَّ وَحاشا أَنْ يَجورْ ... وَلَكَمْ يَبْكي لِمَرْأى البائِسينْ

وهذه الأبيات:

عَجِبْتُ لِنَفْسي لا تُراعُ مِنَ الأذى ... وَيَقْتُلُها خَطْبٌ يُنيخُ على غَيْري
وَيا رُبَّما أَبْكي لِمَنْ خِلْتُ بائِساً ... على حينِ يَقْضي لَيْلَهُ باسِمَ الثَّغْرِ[1]

أهم ملامحه وصفاته وخصائصه

وقفَ الكاتبونَ الذين كتبوا عن سيِّد قطب، مبيِّنين لأهمِّ ملامحِ شخصيتِه، ذاكرين أمثلةً وشواهدَ ونماذجَ لتلك الملامح، من حياةِ سيِّد، ومن نتاجه الأدبي والفكري.

ونذكرُ فيما يلي أهمَّ هذه الملامح التي ذكروها:

أهمُّ ملامحِ شخصيته كما سجَّلَها «محمد علي قطب» في كتابه عن الشهيد أربعة:

١ ــ العمق.

٢ ــ الحيوية.

(١) مجلة الأسبوع. المجلد الثالث. العدد السابع والثلاثون. تاريخ ١٩٣٤/٨/٨م. صفحة: ١١.

٣ ـ الشمول.

٤ ـ الثورية[١].

أما الأستاذ «زينُ العابدين الرِّكابي»، فقد جمعَ مجموعةَ مقالاتٍ لسيِّد في المجلات المختلفة في مطلع الخمسينيّات، سمّاها «معركتُنا مع اليهود» وقدَّم لها بمقدِّمة، ذكر فيها أهمَّ ملامحِ سيِّد وخصائصِ فكره. وما ذكره منها ثلاثة:

١ ـ الطهارة.

٢ ـ العزة.

٣ ـ وضوح الرؤية[٢].

وأما الأستاذ عبد الباقي محمد حسين، فقد استخلصَ أربعَ سماتٍ لفكر سيِّد قطب، وهي:

١ ـ الشمول.

٢ ـ العمق.

٣ ـ الوضوح.

٤ ـ الصدق[٣].

وإذا توجَّهْنا لسماتِ أسلوبِ سيِّد في الكتابة، فسنتوقفُ مع الدكتور «عبد الله خباص» في سماتِه التي جعلَها لأسلوب سيِّد قطب في كتابة «المقالة»، وهي سماتٌ فنية عامة لأسلوب سيِّد في الكتابة، بحيثُ ظهرتْ في مختلفِ ألوانِ نتاجه الأدبي والفكري:

والسماتُ التي سجَّلها الدكتور عبد الله الخباص هي:

١ ـ الدقة والوضوح.

٢ ـ الإطالة والتكرار.

---

(١) انظر سيد قطب، لمحمد علي قطب: ٢٣ ـ ٧٦.

(٢) انظر تقديم الركابي في «معركتنا مع اليهود»: ٥ ـ ١٧.

(٣) انظر «سيد قطب حياته وأدبه»، لعبد الباقي محمد حسين: ٣١٧ ـ ٣٣٣.

٣ ــ الانفعال.

٤ ــ التعليل.

٥ ــ العنف والجرأة.

٦ ــ السخرية[1].

ونتوقفُ أخيراً مع الأستاذ يوسف العظم، لنسجلَ من كتابه خصائصَ العطاءِ الفكري ومميزاتِه عند سيِّد قطب، كما استخلصها الأستاذ العظم.

لقد سجلَ يوسف العظم عشرين خصيصةً بارزة لعطاءِ سيِّد الفكري. وهي:

١ ــ الغزارة.

٢ ــ الشمول.

٣ ــ الإيمان بالفكرة، والصدق في التعبير عنها.

٤ ــ العمق.

٥ ــ الخلود والمستقبلية.

٦ ــ الإسلام هو الحضارة.

٧ ــ التفريق بين الإسلام والكهنوت.

٨ ــ الدعوة إلى استئناف الحياة الإسلامية.

٩ ــ العرض الإيجابي في غير دفاع ولا اتهام.

١٠ ــ كشف زيف الحضارة المادية.

١١ ــ تميز الإسلام وتفرده.

١٢ ــ الإشراق والعذوبة.

١٣ ــ القوة والتحدي.

١٤ ــ بلوغ القلوب والأفهام لدى الخاصة والعامة.

١٥ ــ طموح الأمة وآمال المستضعفين.

١٦ ــ صاحب مدرسة متفردة فكراً وأسلوباً.

١٧ ــ رائد حركة وداعية تنظيم.

---

(١) انظر «سيد قطب الأديب الناقد» للدكتور عبد الله الخباص: ٢٢٢ ــ ٢٢٤.

١٨ ــ الإقبال على عطائه بظمأ ورغبة وشوق.

١٩ ــ نقل عطائه وترجمته إلى لغات كثيرة وأمم شتى.

٢٠ ــ سعة الأفق وبعد النظر[1].

ولا ننسى ما سجلَه الدكتورُ طه حسين من صفتيْن لسيِّد قطب، وأعلنَهما في حفلِ تكريم سيِّد في نادي الضباط، وهما:

١ ــ المثالية المثالية.

٢ ــ العناد.

وقد اكتفيْنا بذكر ما سجَّله الباحثون من سماتٍ لفكر سيِّد وملامح لشخصيته، ونُحيلُ على شرحهم لتلك الملامح، وبيانِهم لتلك السمات.

وما أجملَ ما وصفَ به الأستاذُ محمد قطب، أسلوبَ شقيقِه الشهيد من حيثُ الإشراق والسيولة والتأثير!

أوردَ ذلك، وهو يقدِّم لكتاب الشهيد «مقومات التصور الإسلامي» الذي طُبع لأول مرة عام ١٩٨٦م؛ بعد عشرين سنة من استشهاد سيِّد!

إن محمد قطب يصفُ أسلوبَ شقيقِه سيِّد في التعبير عن الموضوعات العقيدية بقوله:

«ولستُ أبلغُ مستوى الشَّقيق، وخاصةً في هذا الكتابِ بالذات، الذي أَوْدَعه عُصارةَ تجربته الإيمانية، كما بلغَ فيه قمتَه التعبيرية، التي تعبِّرُ عن قضايا غايةً في العمق، في سيولةٍ متدَفِّقة، كأنها «نشيدٌ» يُنْشَد، لا «فكرةٌ» تُصاغ!

إن هذه القضايا حين تتناولها الفلسفة، تحيلُها تجريدات ذهنيةٍ باردة، تنطلقُ في الذهن، أو تتعثرُ بداخله، ولكنها تظلُّ في برودِها هناك ــ في داخل الذهن ــ لا تنبضُ بالحياة الحقيقية، التي تحوِّلُها إلى تجربةٍ نفسيةٍ متكاملة، يعيشُها الإنسانُ بكيانه كلِّه، لا بذهنه فحسب..

(١) انظر «رائد الفكر الإسلامي المعاصر»، ليوسف العظم: ١٩٣ ــ ٢٠١.

وحينَ يتناولُها الوجدان، يحيلُها رفرفاتٍ روحيةٍ طائرة، تـأنسُ الروحُ لهـا لحظة، ولكنها تذهبُ مع إشراقةِ الروح الموقوتـة ولا يتبقّى منها شيءٌ يمسكُـه الإنسانُ بفكـره، ليعودَ إليه فيتدبره ويتملاه، فكأنما هي تجربةُ لحظةٍ عابرة، ليسَ لها استمرارٌ محسـوسٌ في داخل النفس.

أما تناولُ هذه القضايـا في صورة، يمكنُ أن يمسكَهـا الفكر ليتـدبَّرَهـا ويتملاهـا حين يـريد، في ذاتِ اللحـظة التي تنطلق بهـا الروحُ في رفـرفتها الشفيفـةِ، فتلك قمةٌ نفسيةٌ وقمةٌ تعبيرية في ذات الوقت، لا يقْدرُ عليها إلاّ مَنْ فتحَ الله عليه بنورٍ من عنـده، فبلغَ غايةَ إشراقِه الذهني، وإشراقِهِ الروحي في آنٍ واحد. . .

وهو فضْلُ الله، يؤتيه مَنْ يشاء، في الوقتِ الذي يشاء، وبالقَدَر الذي يشاء!

وقد أفاضَ اللَّهُ منه على الشَّقيق، بالقدر الذي يلمُسه مَنْ يقرأُ هذا الكتاب!»[1].

وقد سجلتُ أنا في كتابي «سيِّد قطب الشهيد الحي»، ملامحَه وسماتِه التالية:

١ ـ الصدق.
٢ ـ الجدية.
٣ ـ الحركية.
٤ ـ العصامية.
٥ ـ العزة.
٦ ـ الشجاعة.
٧ ـ الكرم.
٨ ـ التواضع.
٩ ـ النزاهة.
١٠ ـ الاستعلاء بالإيمان[2].

---

(١) مقومات التصور الإسلامي، لسيد قطب. بتقديم محمد قطب: ٧ ـ ٨.
(٢) سيد قطب الشهيد الحي: ١٧٦ ـ ١٨٩.

قبضة أخبار تدل على صفاته

مجموعُ صفاتِه، وملامحُ شخصيته، وخصائصُ فكره، التي أوردْناها من كلام الباحثين، والكاتبين، لا تحتاجُ منّا إلى إيرادِ الشواهد لها مِنْ حياته، ولا إلى ذكْرِ الأمثلة عليها من سيرته، لكثرةِ هذه الشواهد والأمثلة في حياته.

وكلُّ مَنْ قرأَ في كتابنا هذا، واطَّلع على ما سجَّلْناه فيه من مشاهد حياته الأدبيةِ والإسلامية، والوظيفيةِ والعادية، العامةِ والخاصة، في المجتمع وداخلَ السجن، سيجدُ فيها الكثيرَ على كل صفةٍ من صفاته وسمةٍ من سماته، فلا داعيَ لذكرها هنا، وقد تفرَّقَتْ في صفحاتِ الكتاب!

ولكنني أقدِّمُ فيما يلي، هذه القبضةَ من الأخبار المتعلقة بسيِّد ـ والتي لم أوردْها في الصفحات السابقة من هذا الكتاب ـ وهي ذاتُ دلالاتٍ واضحة، على صفاتِ سيِّد وملامحه وسماته.

(أ) تبرعه بأثاث منزله لصديقه العروس!

روى لي الأستاذ «أحمد عبد الغفور عطار» ـ عندما قابلْتُه في بيته في مكة المكرمة عام ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ـ هذه الحادثة، عن كرمِ وسخاءِ وجودِ سيِّد قطب عليه رحمة الله.

كان «عطار» يزورُ سيِّد في منزله في حلوان كثيراً ـ وهذا في الأربعينيّات ـ وكانَ أثاثُ غرفةِ الاستقبال متواضعاً، لأن حالةَ سيِّد المادية لم تكنْ تسمح بتحسينه. .

وزاره عطار ذاتَ يوم فوجد عندَه أثاثاً جميلاً جديداً، فسُرَّ بذلك!

ثم زارَه مرةً أخرى بعدَ أيام، فوجدَ الأثاثَ القديم، فاستغرب مما رأى، وألحَّ على سيِّد في معرفة مصير الأثاث الجديد.

وأمام إلحاحه أخبره سيِّد أنه باعَ الأثاثَ الجديد، وقدَّمَ ثمنَه مساعدةً لأحدِ إخوانه، ليتمِّم مصروفاتِ زواجِه!!

(ب) تبرعه ببدلته الجديدة لطالب الجامعة!

يَروي الأستاذُ «علي عبد العزيز حسين» في مقالِه «شاهد وشهيد» الذي نشرهُ في

مجلة المجتمع، عن صهره الـذي كان طـالباً في كليـة دار العلوم، وكـان سيِّـد قـطب محاضِراً غَيرَ متفرِّغٍ فيها ــ ولعلَّ هذا كان بعد عودته من أمريكا عام ١٩٥٠م ــ.

«حـدثَني صهري يـوماً، عنـدما كـان طالِبـاً في دار العلوم، وكان شهيـدُنا أستـاذَ الأدب العربـي فيها. .

فقد لاحظَ عليه الأستاذُ حضورَه في بداية العام الدراسي ببـدلتِه القـديمة ــ على غيـرِ المعهود من أَتْـرابه الـطلبة ــ فـإنَّ الكل يتبـارى في إظهارِ الـزيِّ الجديـد في هذا اليوم. .

وفوجِىءَ صهري باستدعاءِ الأستاذ سيِّد له إلى مكتبه. وعندمـا دخل فـوجِىءَ أكثرَ بخلعِ الأستاذ بدلتَه الجديدة، وطلبِه منـه أَنْ يرتـديها! ويـأخُذ هـو بدلَتَـهُ القديمـة. . . وبدونِ كثيرِ حوارٍ تمَّ ما أراد!! وعـادَ صهري إلى البيت، على غيـرِ الصورة التي خـرجَ بها منه، لتكونَ المفاجأةَ الأكثر للأسرة، بالزيِّ الجديد!»[١].

(ح) استعلاؤه على الأموال رغم حاجته إليها

حدَّثني الأستاذ «أحمد عبد الغفور عطار» هذه الحادثةَ التي رآها من سيِّـد بعيْنيه، وعاشها بكيانه، وهي أغربُ من الخيال.

قـال: اتَّصلَ بـي سيِّـد قطب تلفـونياً ذاتَ يـوم، وطلبَ مني أن آتيَ إلى منـزلـه سريعاً. وطلبَ مني ــ باستحياء ــ أَنْ أُحْضرَ معي بضعةَ عشرَ جنيهاً قَرْضاً، ليشتريَ بها دواء، وهو مريضٌ ولا يملكُ ثمنَ الدواء!!

فذهبتُ إلى المنزلِ سريعاً، ومعي المبلغُ المطلوب. .

ولما دخلْتُ غرفةَ الاستقبال، رأيتُ مشهداً عجيباً، أقسمُ لقد دهشتُ مما رأيت!

كان يجلسُ في الغرفة، موظفٌ دبلوماسيٌّ في سفارةِ دولةٍ عربية بتروليـة، وأمامَـه حقيبةٌ مليئةٌ بالأوراق الماليةِ من مختلفِ الأرقام والفئات، تبلغُ في مجموعِها عدة آلافٍ من الجنيهات!!

---

(١) مجلة المجتمع. عدد: ٨٣٢. تاريخ ١/٩/١٩٨٧م.

وهو يرجو سيِّد قطب بإلحاحٍ ورجاءٍ وحرارةٍ أَنْ يأخذَ الحقيبة، بما فيها من الأموال، فهي هديةٌ من دولتِه له، لأنها تعرفُ منزلتَه ومسؤولياته، وتريدُ منه أن يستعينَ بها على أعباءِ حياته، وتمويلِ مشروعاته الأدبية والفكرية، وكان سيِّد وقتَها بصددِ إصدارِ مجلةٍ أدبيةٍ وفكرية إصلاحية ــ لعلّها العالم العربي أو الفكر الجديد ــ.

فنظرْتُ إلى سيِّد قطب الذي كان جالساً مريضاً، فإذا به حزين..

ثم ردَّ هدية الرجل بحزم، وبدا عليه الغضبُ والحدةُ، وهو يخاطبُه قائلاً: إنني لا أبيعُ نفسي وفكري بأموالِ الدنيا، فأَعِدْ أموالَكَ إلى حقيبتك!!!

ثم التفتَ سيِّد إليَّ، وقال لي: هل أحضرْتَ ما طلبتُه منك؟ فقلت له: نعم، وناولْتُه المبلغ، وأنا في غاية الدهشة والاستغراب والانفعال!!

ولما عرفَ الدبلوماسيُّ قصةَ هذا المبلغ، وأن سيِّدَ يومَها معدمٌ فقير لا يملكُ ثمن الدواء، ومع ذلك استعلى على آلاف الجنيهات، ورفَضَها، وردَّها مع حاجتِه الماسة إلى بعضها.. خرجَ محتاراً متعجِّباً!!».

هذه الحادثة أُثبتُها، وأَسوقُها بدون تعليق.. وأقدمُها هديةً لمَنْ يتناولونَ حياةَ سيِّد قطب وفكره وآراءه الحركية ومواقفه الجهادية، بالتخطئةِ والنقدِ والاتهام والتجهيل.. وهم يعيشونَ في ترفٍ ظاهر، ويلهثونَ وراءَ المال، ويرتبطونَ الارتباطات المشبوهة، ويتَّصلونَ الاتصالات المريبة، ويمدّون أيديهم لهنا وهناك!! وأقولُ لهم: قليلاً يا هؤلاء! ورحمَ الله امرءاً عرف قدْر نفسه فوقفَ عندها!! وأين أنتم من هذا الإمام الزاهد المتجرد الشهيد؟!!!

(د) الندوي والعظم يرويان عن «سيِّد المحاضر»:

كان سيِّد قطب موهوباً في فنِّ «المحاضرة» والتأثيرِ في المستمعين، سواءٌ في محاضراتِه الأدبية والنقدية، التي كان يُلقيها في المجامعِ والمنتديات الأدبية، أو في محاضراتِه الإصلاحية التي كان يلقيها بعد توجُّهه الإصلاحي والإسلامي.

وقد حضرَ الأستاذُ أبو الحسن الندوي ــ لما زارَ القاهرة عام ١٩٥١م ــ محاضرةً لسيِّد قطب، تكلمَ فيها عن فرنسا، وجرائِمها في بلاد المغرب العربي، وعملائِها في مصر والعالم العربي.

وروى النَّدْوي طرفاً من تأثيرها، فقال: «وقد قرأ سيِّد قطب كلمةً بمناسبةِ الحفلة (استنكار اعتداء فرنسا على المغرب العربي عام ١٩٥١م)، كانت موجَّهةً إلى عبيدِ فرنسا. وكانت كلمةً أدبيةً تهكَّم فيها بهؤلاءِ العبيد الذين يسبِّحون بحمدِ فرنسا بُكرة وأصيلاً.

وكانت كلمةُ سيِّد تقاطَع بهتافاتٍ صارخة، وتصفيقاتٍ حارة..»[1].

ويَروي الأستاذُ يوسف العظم طريقةَ ولهجةَ سيِّد قطب في محاضراته ــ وطالَما سمعَ منه محاضراتٍ عديدة في القاهرة ــ: «وحديثُ الشهيد ــ يرحمه الله ــ حين يقابلُ جمهورَه، كان يبدأُ هادئاً، ولكن في ثقة، بسيطاً ولكن في عمق، سلسَ العبارة ولكن في غير سوقيةٍ ولا تبذُّل، وقد يهاجمُ الأستاذُ خصومَه، ويُبكِّتُ المنحرفين عن الحق، ولكن في أدبٍ وعفةِ مقال.

ومن أروعِ ما عُرِفَ عن أستاذنا، وما لَمَسْناه منه، قدرتُه الفائقة، على مهاجمةِ الحاكم الظالم، وكشفِ مخازيه، بصورةٍ تثيرُ الجمهور، وتحركُ فيه كوامنَ السخطِ والغضبِ على الطغيان.. دون أن يؤْخَذَ على المتحدث مآخذَ من سبابٍ أو شتيمة، أو خروجٍ على حدود اللياقة والذوق.

والذينَ استمعوا لأستاذنا سيِّد قطب عليه الرحمة، وهو يتحدثُ على مدرجِ الجامعة، أو دارِ العلوم، أو في المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة، أو في اللقاءاتِ والمؤتمراتِ يُجمِعونَ على أن لدى الرجل حجةً قوية، وأسلوباً منطقياً، ونبرةُ صوته مؤثرةٌ معبرة، تأخذُ بالألباب، وتسيطرُ على السامع!»[2].

وقد وصفتْ مجلةُ «الدعوة» ندوةً لسيِّد قطب، عُقدتْ في قاعةِ المحاضرات في «الجامعة الشعبية»، في القاهرة في ١١/٤/١٩٥٣م، وكانتْ حولَ «الصحافة والرأي العام، أيُّهما يوجِّه الآخر؟» وقد اشتركَ معه فيها «فكري أباظة» مدافِعاً عن الصحافة، و«حافظ محمود» منتقداً انتقاداً ليِّناً، و«توفيق دياب» الذي وقفَ بين بين.

---

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي، للندوي: ١٢١.

(٢) سيد قطب ليوسف العظم: ٢٣٣ ــ ٢٣٤.

أما سيِّد فقد هاجمَ الصحافةَ هجوماً عنيفاً، لأنها يجبُ أن تضحّي، ولا تتعاملَ بحسابِ الربح والخسارة. وأشارَ إلى أنَّها دائماً مع العهد القائم، وأنها تقومُ بتضليلِ الرأي العام لا توجيهِه، وانتقد الانحدارَ الأخلاقي في المقالاتِ والتحقيقاتِ الصحفية. وعزا السببَ في هذا كلِّه إلى أنَّ دَخْلَ الصحافة من الإعلانات أوَّلاً، ومن المصروفاتِ غير المنظورة من أصحابِ الملايين، هو الذي يوقعُها في هذا المأزق.. فهي تُعطي أهلَ الملاليم بمقدارِ ملاليمِهم، وأهلَ الملايين بمقدارِ ملايينهم!!

ثم أجابَ سيِّد قطب بعد ذلك على أسئلةِ الحاضرين، بنفسِ الصراحة التي انتقدَ فيها الصحافة..[1].

(هـ) **تحليلات سياسية رفيعة لسيِّد قطب!**

لسيِّد قطب تحليلاتٌ سياسيةٌ رفيعة وصادقة، وهي ناتجةٌ عن فطنةٍ ووعيٍ وذكاء، وفراسةٍ إيمانية، وميزانٍ قرآني، وتوفيقٍ رباني!

من تحليلاتِه عن أمريكا مثلاً، وبيانِه ما لَها وما عليها، قوله ـ في رسالته لعباس خضر ـ «أمريكا تصلحُ أن تكونَ «ورشةَ العالم»، فتؤدي وظيفتَها على خيرِ ما يكون، أمّا أنْ يكونَ العالم كلُّه أمريكا، فتلكَ هي كارثةُ الإنسانية بكل تأكيد.».

ومنها قولُه عن أمريكا ـ في رسالتِه لزميله الأستاذ محمد جبر ـ: «إنَّ أمريكا هي أكبرُ أكذوبةٍ عرفها العالم!

نستطيعُ أن نُفيدَ من أمريكا في البعثاتِ العلمية البحتة: الميكانيكا والكهرباء والكيمياء وما إليها.. فأما حين نحاولُ أن نستفيدَ من أمريكا في الدراسات النظرية ـ ومنها طرق التدريس ـ فأحسبُ أننا نخطىءُ أشدَّ الخطأ، وننساقُ مع الطريقةِ الأمريكية في الإعلان!

... أما أولئكَ الذين يتحدثون عن أمريكا كما يتحدثونَ عن الأعاجيب السبع، فهم يحاولونَ أن يستمدّوا لهم قيمةً جديدةً لأنفسهم، من وراءِ هذا التهويل!».

---

(١) مجلة الدعوة. عدد: ١١٢. تاريخ ١٦/٤/١٩٥٣م. صفحة: ٣.

ويسجلُ سيِّد ملاحظةً سياسية إيمانية عظيمة، صدَّقَتْها الأحداث السياسية اللاحقة، إنَّ أمريكا الآنَ هي أقوى دولةٍ في العالم، وإن البشريةَ في هذه الأيام قد آلَتْ قيادتُها إلى الهيمنةِ الأمريكية. . فماذا نتج عن قيادةِ أمريكا للعالم؟

الجوابُ يعرفُهُ كلُّ مطَّلع على الأحداثِ السياسية المحليّة والعالمية، التي تخططُ لها أمريكا، أو يكونُ لها دوْرٌ مباشرٌ لها!!

ونستصحبُ هذا المعنى، ونحن نقرأُ هذه الفراسةَ الصائبةَ لسيِّد: «كنتُ دائمَ الشعور «باسْتِخْسارِ» هذا الشعب، الذي يصنعُ المعجزات، في عالَم الصناعةِ والعلم والبحث، ألَّا يكونَ له رصيدٌ من القيمِ الإنسانية الأخرى!!

وأنا شديدُ الإشفاقِ على الإنسانية أنْ تَؤولَ قيادتُها إلى هذا الشعب، وهو فقيرٌ من تِلكَ القيمِ الإنسانية جميعاً!!!».

أما عن دورِ أمريكا في العالَم العربي، وترتيبِ الأحداثِ فيه وفقَ مصلحتِها، وصُنْعِها لقادتِه وزعمائه، فيقولُ للأخ «حافظ الشيخ» رئيسِ اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، والعضوِ في «جبهةِ الميثاقِ الإسلامي»، وهو الآن من قياديّي «الجبهةِ الوطنية الإسلامية» التي يرأسُها الدكتور «حسن الترابي».

جاء «حافظ الشيخ» إلى سيِّد قطب، وزاره في منزله بحلوان مهنِّئاً له بالإفراج عنه. وكان من جملةِ ما قاله له: «إنَّ الشيوعيةَ لا يمكن أن تنتصرَ من الطريقِ الديمقراطي، لأنه ليستْ لها جذورٌ في السودان، ولكنَّ الخطرَ أنْ يلجأَ الشيوعيون إلى نظامِ حكمٍ شيوعي بالقوة، فالخطر في الجيش!

ولكن حتّى إذا أفلحَ الجيشُ في القيام بانقلاب، ووصلَ الشيوعيون إلى الحكم، وأقاموا نظامَهم، فإنه لن يستمرَّ طويلاً!

لأن الأمريكانَ حريصونَ ألَّا يقومَ في الشرق العربي نظامٌ شيوعي. . وهم أصحابُ النفوذِ في هذه المنطقة.

ثم ضربَ مثالاً بسوريا، فقال: إنَّ سوريا كادتْ أن تصبحَ شيوعية، فدبَّروا لها الوحدة، مع أنها تتنافى مع المخطَّطِ الصهيوني في المنطقة العربية!! فتمَّت الوحدة

بين مصر وسوريا لغَرَضٍ معين، وهو القضاءُ على الشيوعية، وانتهتْ بمجردِ أدائها الغرض. . .

ثم قال: إن الخطرَ الحقيقي، هو خطرُ الصهيونية والأمريكان، وهم الذين يبسطونَ نفوذَهُم على منطقة الشرق»[1].

ومن أعمقِ تحليلاتِ سيِّد قطب السياسية المتعلقة بالقضية الفلسطينية، ما رواه لأحدِ الإخوان الفلسطينيين، عندما ووفق على إنشاءِ «منظمة التحرير الفلسطينية» وتعيينِ «أحمد الشقيري» رئيساً لها.

لقد روى ذلك الأخُ الفلسطينيُ لمجلة «الغرباء» التي تصدرُ في لندن أن سيِّد قال له: «إن منظمة التحرير الفلسطينية، هي المسمارُ الأخير في نَعشِ القضيةِ الفلسطينية!!.

وإن العربَ أنشأوا المنظمة، ليسَ لأجلِ تحرير فلسطين من اليهود ــ كما يبدو في الظاهر ــ ولكن لمفاوضةِ اليهود ومهادنتِهم، وإجراءِ الحل السلمي معهم، والتوقيعِ على وثيقةِ الصلح مع اليهود، والتنازلِ لهم عن معظمِ الأراضي الفلسطينية»!!!

وإن المتابعَ لأحداثِ القضيةِ الفلسطينية في هذه الأيام، ولدورِ منظمةِ التحرير الفلسطينية في الحلِّ السلميّ مع اليهود، ليرى صدقَ هذا التحليلِ السياسي العميق من سيِّد قطب، حيث جاءت الأحداثُ بعدَ ربعِ قرنٍ منه تصدقُه وتشهدُ له!!

إنَّ السر في صحةِ وصدقِ تحليلات سيِّد قطب السياسية، هو نظرةُ في أحداثِ العالم العامة، وأحداثِ المنطقة المحلية، على ضوء حقائق القرآن، ووزْنُها بالميزان القرآني الدقيق، والتعامُل مع ما حوله على أساسِ السنن الربانية التي بيَّنها القرآن!.

* * *

---

(١) الشهيد سيد قطب: ٩١ ــ ٩٢. نقلاً عن حديث حافظ الشيخ لمجلة الميثاق الإسلامي في السودان. عدد: ٣٢٤. تاريخ ١٦/٩/١٩٦٦م.

(٢)

تراثه الأدبي والفكري

تنوُّع ألوان نتاجه

كان سيِّد قطب منهوماً نَهِماً عجيباً للبحثِ والدراسة والمطالعة، منذ طفولته إلى شبابه إلى شيخوخته.

لقد ملأت المطالعةُ والدراسةُ والبحث عليه وقتَه، واستوعبتْ ساعاتِه وهواياتِه.

كان توجُّهه في أولِ الأمر للألوانِ الأدبية والنقدية، في عالَم الأدب والنقد والشعر، عن طريقِ المقالةِ والقصيدة والقصة والندوة والمحاضرة. فكانَ نتاجُه في هذه المرحلة نتاجاً أدبيّاً نقديّاً ــ كما بيّنّا في القسم الأول من هذه الدراسة ــ.

ثم توجَّهَ للدراسةِ الإسلامية، فبحثَ وطالعَ في المجالات الإسلامية، وجاءَ نتاجُه إسلامياً في هذه المرحلة ــ كما بينا في القسم الثاني من هذه الدراسة ــ.

وقد كان نتاجُهُ المتنوعُ الألوان كثيراً غزيراً.

لقد امتدَّ نتاجُه الأدبيُّ الغزير، حوالي عشرين عاماً ــ من ١٩٢٥م إلى ١٩٤٥م ــ وكان معظمُه على صورةِ مقالاتٍ في الصحف والمجلات.

أما نتاجُه الإسلامي فقد امتد حوالي عشرين عاماً ــ من ١٩٤٥م إلى ١٩٦٥م ــ منه ما هو مقالاتٌ في المجلات، كما بدا في مقالاته الإسلامية في مجلات الرسالة والدعوة والاشتراكية والمسلمون وغيرها. ومنه ما هو كتبٌ وأبحاثٌ ودراسات.

يقول سيِّد عن قراءاته: «إنه إنسانٌ عاشَ يقرأ أربعين سنةً كاملة. كان عملُه الأول فيها هو القراءةَ والاطلاعَ في مختلف حقولِ المعرفة الإنسانية. ما هو مِنْ تخصُّصِه، وما هو من هواياته.. ثم عادَ إلى مصادرِ عقيدته وتصوُّره، فإذا هو يجدُ كلَّ ما قرأه

ضئيلاً، إلى جانبِ ذلك الرصيدِ الضخم. . وما هو بنادمٍ على ما قضى فيه أربعينَ سنة من عمره. . فإنما عرفَ الجاهليةَ على حقيقتِها، وعلى انحرافِها، وعلى ضآلتِها، وعلى قزامتِها، وعلى جعجعتِها وانتفاشِها، وعلى غرورِها وادعائِها كذلك . »[١].

كان يُمضي عدةَ ساعات يومياً، في البحث والاطلاع «ولقد بلغَ مجموعُ ساعاتِ مطالعاته في اليوم، عشرَ ساعات، كحدٍّ أدنى للبحث والاطلاع»[٢]

تأنّيه في البحث

كان سيِّد باحثاً بحق، وكان متأنّياً في أبحاثه ودراساتِه، لم يتعجَّلْ إتمامَها، ولم يسْلُقْها سَلْقاً، وإنما كان يضعُها على «نار هادئة» لتنضجَ عليها!! ــ كما يقولون ــ .

عندما نشر بحثَه «المرأة لغز بسيط» على ستِّ حَلَقاتٍ في مجلةِ الأسبوع عام ١٩٣٤م قال: «ولقد عنيتُ منذُ عشرِ سنوات تقريباً، في أَنْ أدرسَ هذا الموضوع، بمقدارِ ما تهيِّىءُ الظروفُ لشاب، وحاولْتُ أن أجدَ اللغز فيمَنْ عرفْتُهن، أو عرفهُنَّ أصدقائي، وفيمنْ قرأْتُ عنهن، أو قرأْتُ لهن، فكان بحثي عن اللغزِ هو اللغزَ نفسَه!»[٣].

وعندما أعدَّ بحثَه عن «الصورِ والظلالِ في الشعر العربي» قال: «رجعْتُ فيه إلى كلِّ ما يملكُ فردٌ أن يرجعَ إليه من مصادرِ الشعر العربي»[٤].

ويخبرُنا عن بعضِ جهودِهِ واطلاعاتِه ومراجعه لكتابةِ بعض مقالاته النقدية فيقول عن الناقد: «وإنه لينفقُ من الجهدِ ــ ليقولَ شيئاً ذا قيمة ــ أكثرَ مما ينفقُه في أيِّ فنٍّ آخرَ من الفنون الأدبية. فكتابةُ مقال توجب عليه على الأقل قراءةَ كتاب، أو عشرةَ كتب، أو عشرينَ في بعض الأحيان!. .

---

(١) معالم في الطريق: ١٧٥ ــ ١٧٦.
(٢) الشهيد سيد قطب: ٢٧.
(٣) مجلة «الأسبوع»، المجلد الثاني. عدد: ٤٥. تاريخ ١٩٣٤/١٠/٣. صفحة: ٩.
(٤) مجلة الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٧٠٤. تاريخ ١٩٤٦/١٢/٣٠م. صفحة: ١٤٥٧.

لقد صنعْتُها حينما كتبتُ في الرسالة منذ عام أربعةَ فصول عن: الدكتور طه حسين ومدرسةِ الأسلوب التصويري. والأستاذ توفيق الحكيم ومدرسةِ التنسيق الفني. والأستاذ المازني وطريقةِ الحركة الحيوية. والأستاذِ العقاد ومدرسةِ المنطق الحيوي..

ولقد كلفَتْني كلُّ مقالة، قراءةَ كلِّ كتابٍ لهؤلاء الأربعة، ومعظمِ ما كتبوه من مقالات!. ولم أكنْ لأزيدَ على هذا الجهد شيئاً لو اعتزمْتُ أنْ أؤلِّفَ عنهم كتاباً..»[1].

وعندما أعدَّ بحثَه عن «المدارس الأدبية المعاصرة» اعتذَرَ عن الوقتِ الطويل الذي استغرقهُ هذا البحث، فقال: «ومنذُ عامين لديَّ كتابٌ عن «المدارس الأدبية المعاصرة» وما يؤخرُني عن كتابته إلَّا استيفاءُ بعضِ الدراسات الشخصية عن أبطاله، وقد استطعْتُ أن أجمعَ عن كتبٍ، معظمَ ما أُريدُ جمعَه عن العقاد وتوفيق الحكيم، وشيئاً مما أُريدُ جمعَه عن طه حسين والمازني، وقليلاً عن المنفلوطي والزيات، ومتفرقاتٍ عن تيمور وحقي ولاشين وآخرين..

وبعدما أَستوفي هذه الدراسات ـ لا قبلَه ـ سآخذُ في الحديثِ عن المدارس الأدبية المعاصرة، ولو صرفْتُ عامين آخرين. فأنا أُقَدِّرُ قيمةَ هذا العمل، وأعرفُ ما هو مطلوبٌ مني إزاءه..»[2].

ومن مظاهرِ تأنّيه في البحث، واهتمامِه بأبحاثِه ودراساته، لجوؤه إلى وسيلةٍ عجيبة، ما أظنُّ باحثاً لجأَ إليها!

فعندما أعدَّ بحثيْن عن «الشعر المعاصر» و«القصة الحديثة» استوفى البحثَ في نَتاج الأدباءِ المصريّين، ولكنْ كيفَ يطلعُ على نتاج الأدباء العرب في باقي البلاد العربية؟

---

(١) مجلة الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٥. تاريخ ٢٧/١١/١٩٤٤م. صفحة: ١٠٤٥.

(٢) مجلة الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٥٩٧. تاريخ ١١/١٢/١٩٤٤م. صفحة: ١٠٨٨.

لقد نشرَ إعلاناً فريداً في مجلةِ الرسالة، موجَّهاً إلى الأدباء العرب، قال لهم فيه:

«إلى أدباءِ البلاد العربية... لم تبقَ إلاَّ هذه الوسيلة!

إنَّ لديَّ بحثيْن معطَّلين عن «شعر الشباب»، وعن «القصة الحديثة»، لأنني لا أستطيعُ الحصولَ على أعمال المعاصرين من الشعراء والقصاص، في البلاد العربية.. ولا أُحبُّ أن أَقْصُرَ بحثي على أعمالِ الأدباء المصريين..

فرجائي إلى كلِّ شاعر وكلّ قاص في البلاد العربية، أنْ يتفضَّل فيرسلَ إليَّ بأعماله في هذيْن البابيْن، محوِّلاً بثمنهما على البريد!»[1].

ماذا كانت نتيجةُ هذا الإعلان؟

يقول عنها سيِّد: «حدثَ أَنْ تفضَّلَ بعضُ الشعراء والأدباء في فلسطين والعراق والحجاز، بإهداءِ بعضِ دواوينهم وقصصهم إليَّ. ولكنَّ البقيةَ لم تصِلْني. كما أن سوريا ولبنان لم يَسْمعا النداء!!»[2].

وبسببِ تأنّيه في البحث، وحرْصِه على أن يقدِّمَ للقراء الجديدَ المفيدَ، تأخَّر في نشر الكتب: «... ثمَّ جاءَ دوري... جاء دوري في أنْ أنشرَ كُتُباً، بعد أَنْ كنتُ أنشرُ بحوثاً ومقالات وقصائد.

لقد جاءَ دوري في نشر الكتب متأخِّراً كثيراً، لأنني آثَرْتُ ألاَّ أطْلَعَ المئذنة من غير سلَّم، وأن أتريثَ في نشر كتب مسجَّلة، حتى أُحِسَّ شيئاً من النضجِ الحقيقي، يسمحُ لي أن أظهَرَ في أسواق الناشرين..»[3]

ولما توجَّه إلى البحوث والدراسات القرآنيةِ والإسلامية، بقيَ على طريقته المتأنيةِ الواعيةِ في البحث والاطلاع..

---

(١) مجلة الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٧٧. تاريخ ٢٤/٦/١٩٤٦م. صفحة: ١٧٠٥.

(٢) مجلة الرسالة. السنة الرابعة عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٦٩٨. تاريخ ١٨/١١/١٩٤٦م. صفحة: ١٢٧٩.

(٣) مجلة الثقافة. السنة الثالثة عشرة. عدد: ٦٦٣. تاريخ ١٠/١٢/١٩٥١م. صفحة: ٨.

عاشَ مع القرآن حوالي ربعَ قرن ــ من ١٩٤٠م إلى ١٩٦٥م ــ متأمِّلاً متدبِّراً باحثاً مطَّلعاً، وقال: «إنَّ الذي يكتبُ هذه الكلمات، قضى ــ ولله الحمدُ والمنَّة ــ في الصحبةِ الواعيةِ الدراسة لهذا الكتاب، خمسةً وعشرين عاماً. . يجولُ في جنباتِ الحقائقِ الموضوعية لهذا الكتاب، في شتّى حقولِ المعرفة الإنسانية ــ ما طرَقَتْهُ معارفُ البشر وما لم تطرُقْه ــ ويقرأُ في الوقت ذاتِه ما يحاوله البشر من بعضِ هذه الجوانب. . ويَرى. . يَرى ذلك الفيضَ الغامرَ المنفسحَ الواسعَ في هذا القرآن، وإلى جانبِهِ تلكَ البحيراتُ المنعزلة، وتلك النُّقَرُ الصغيرة. .»[(١)].

وكدليلٍ على تأنّيه في بحوثه ودراساته الإسلامية، الفترةُ الطويلةُ التي أَمضاها، وهو يبحث لإعدادِ بحثه «خصائص التصوُّر الإسلامي». حيثُ أَمْضى أكثرَ من عشرِ سنوات في البحث. . إذْ بدأَ البحثَ فيه في مطلع الخمسينيات، ولم يُصدرْهُ إلاَّ عام ١٩٦٢م.

أما كتاب «نحو مجتمع إسلامي» فقد بدأَ إعدادَه في مطلع الخمسينيّات، واستُشهد عام ١٩٦٦م ولم يتمّه!!.

رائد في الأبحاث الأدبية والنقدية

بدأَ سيِّد أبحاثَه في الموضوعاتِ الأدبيَّة والنقدية، فكتبَ مقالاتٍ وكُتباً في الأدبِ والنقد، في النثر والشعر والقصة والتحليل. . وله في هذه الفنونِ نتاجٌ غزير، تمثَّلَ في مقالاتِه العديدة في الصحف والمجلات المختلفة.

استمرَّ سيِّد يَرتقي في الأبحاث الأدبية حتى وصلَ إلى القمة والريادة، فكانَ أديباً وشاعراً وكاتباً ومحلّلاً وناقداً، في طليعةِ الأدباء والنقاد.

كانت بدايتُه الأدبية والنقدية في مدرسةِ العقاد الأدبية، نصيراً للمعاني على الألفاظ، وخصْماً للَّفظيين أتباعِ مصطفى الرافعي.

ولكنه لم يستمرَّ في مدرسة العقاد، بل بدأَ يخرجُ منها وعلَيْها تدريجيّاً، وما أَن انتصفت الأربعينيّات حتى رأَيْناه خارجاً على مدرسة العقاد الأدبية والنقدية، واستقلَّ بفهمٍ جديدٍ في الأدب والنقد.

---

(١) الظلال ٣: ١٤٢٢.

انتهى به المطافُ الأدبـيُّ والنقديُّ إلى الريـادة، صاحبَ مـدرسة مستقلة، يمكنُ أن نسميها مدرسةَ «الصور والـظلال» الأدبية، فـلا هوَ مـع اللفظيّين الأسلوبيّين، أنصـارِ الألفاظ في معركتها مع المعاني ــ مثل الرافعي وأحمد شوقي ــ ، ولا هو مع المعنويّين أنصـارِ المعاني في المعـركة ــ مثـل العقاد وأتبـاعِه ــ ولكنَّـه أخذَ حسنـاتِ الفـريقيْن، وتلافى أخطاءَهم ومبالغاتِهم!!

في مدرسةِ «الصور والظلال» اعتبرَ البلاغـةَ: للألفـاظِ، وللمعاني، ولـلأسلوب، وللصور، وللظلال، وللموسيقى والإيقاع!.

ولـو تابـعَ سيِّد عملَه في مـدرسته الأدبيـةِ الرائـدة «الصـور والـظلال» لأَتى فيهـا بالجديدِ الفريد الممتع!

ولكنه تركَ الدراساتِ الأدبية ــ بعدَ وصولِه للريـادة فيها ــ ليبـدأَ جولـةً جديـدة، ومجالاً جديداً، حيثُ بدأَ من جديد، ومن الصفر، وما زال يَـرتقي فيه حتى وصـل إلى عالمِ الريادة، حيث كانَ رائداً في البحوث الإسلامية. . .

وقاعدةُ مدرستِه الأدبية والنقديـة ــ مدرسـةِ الصور والـظلال ــ في كتابيْن: الأول «التصوير الفني في القرآن». والثاني «النقد الأدبـي: أصوله ومناهجه».

ورائد في البحوث الإسلامية

بدأَ سيِّد سيرَه في البحوث الإسلامية من خـلال دراسته الفنيـة الجماليـة للقرآن، التي تـرتبطُ بمـدرسته الأدبيـة «الصـور والـظلال». . ثم ارتقى في هـذه الـدراسـات، للجانبِ الفكري الإسـلامي العام. . ثم تـابعَ ارتقـاءَه حتى وصل للدراسـاتِ الحركيـة الإسلامية، وارتقى فيها إلى الريادة!

إنَّ سيِّد قطب رائـدٌ في الدراسـاتِ الفنيةِ الجمـاليةِ البيـانية القـرآنية، من خـلال كتابيه: «التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن».

ورائدٌ في الدراساتِ الإسلامية الفكريـة العامـة، من خلال «العـدالة الاجتمـاعية في الإسلام» و«السلام العالمي والإسلام».

ورائـدٌ في الدراسـات الإسلاميـة الحركيـة، من خلال «الـظلال» و«هذا الـدين» و«المستقبل لهذا الدين» و«معالم في الطريق». .

ويصدُقُ عليه في هذه الريادةِ المتقدمة قولُ الشاعر:

عَجَباً بِأَنَّكَ سالِمٌ مِنْ وَحْشَةٍ   في غايَةٍ ما زِلْتَ فيها مُفْرِداً

أهمية نشر نتاجه كله

لسيِّد قطب نتاجٌ غزيرٌ في مسيرتِه العلمية والأدبية، التي زادتْ على أربعين عاماً. .

وكثيرٌ من هذا النتاجِ الأدبي والفكري كان مقالات، وهذه المقالاتُ نشرتْ في صحفٍ ومجلات مختلفة، لفترةٍ استمرتْ أكثرَ من خمسةٍ وعشرين عاماً.

وإننا نرى ضرورةَ وأهميةَ إخراجِ هذا التراث الأدبي والفكري، من بينِ أوراقِ تلك الصحف والمجلات، المحفوظةِ في دور الكتب ومكتبات الجامعات. . إننا نرى وجوبَ نشرَ هذا التراث، خدمةً للأدب والأدباء، وتعريفاً بأفكارِ وآراءِ سيِّد الأدبية والاجتماعية المختلفة.

وإذا كانَ أدباءُ كبار ــ مثل العقاد وطه حسين ــ قد وَجَدوا من تلاميذِهم مَنْ يدرسُ نتاجَهم الأدبي، ويجمعُ مقالاتِهم المختلفة، من بطونِ المجلات القديمة، فإنني أعتقدُ أَنَّ سيِّد قطب ــ وهو يوازي هؤلاء الرواد ــ بحاجةٍ إلى مَنْ يخدمُ تراثَه هذه الخدمة، ويقومُ بهذه المهمة.

لا يوجدُ في حياةِ سيِّد قطب ما يُخجِل، كما لا يوجَدُ في تراثه الأدبي والفكري ما يُسْتَحْيا من نشره، حتى ولو كانَ فيه اتجاهاتٌ جاهلية، غريبةٌ عن التصوُّر الإسلامي، لأنَّنا بهذا نعرفُ التطورَ في أفكار الرجل، وفضْلَ الله عليه، في هدايتِه للطريق الصحيح الذي لقي اللَّهَ عليه!!.

رفض دعوى إلغاء تراثه الأدبي السابق

ظهرتْ دعوى غريبة ــ بحسن نية ــ من بعضِ الإسلاميّين، يدْعون فيها إلى إلغاءِ كلِّ تراثِ سيِّد قطب الأدبي، الذي سبقَ اتجاهَه الإسلاميَّ المحدد!

ويعلِّلونَ لهذه الدعوة، بأنَّ اهتماماتِ سيِّد في تلك المرحلة، كانت اهتماماتٍ

أدبيةً، وكأنَّها ــ بالقياس إلى اهتماماته الإسلامية الجادة ــ لهوٌ وتسلية، ولا يجوزُ أن يُضيَّعَ الوقتُ فيها!

وهذه الدعوى نرفضُها ــ رغم احترامِنا لأصحابها، وتقديرِنا لحسن نيتهم فيها ــ ونطالبُ بنشرِ كلِّ تراثِهِ الأدبيّ السابق..

إنَّ هذا التراثَ الأدبيَّ ــ الذي يدعو الداعون إلى إهماله ــ قد أخذَ من وقتِ سيِّد قطب الكثير، واستغرقَ من عمره سنواتٍ عديدةً مديدة! زادت على خمسٍ وعشرين سنة.

وإذا أسقطنا ما قدمه في هذه السنوات، واكتفينا بما وصل إليه من فكر إسلامي ناضج، فإن سنوات عديدة ستُطْوى وتُمْحى من سجلِّ حياتِه، عاشها سيِّد، وتفاعلَ معها، ولا بدَّ أَنْ نتعرفَ عليه فيها..

غيرُ مقبولٍ أنْ نقفَ مع سيِّد على القمة الفكرية التي وَصل إليها، دون أن نتعرفَ على الرحلةِ التي قطعها حتى وصل للقمة، ولا عقباتِ الطريقِ التي سلكها إليها!! وفي تراثِه الأدبيِّ السابق وصفٌ لطريق السير.

صحيحٌ أنَّ في بعض هذا التراث الأدبي اتجاهاتٌ جاهلية، مخالفةٌ للتصور الإسلامي، ولكنَّ هذا لا يعني أخْذَه واعتمادَه، بل التعرُّفَ على سير سيِّد قطب حتى وصل لقمة الريادة الإسلامية الحركية!

إن المؤرِّخين المسلمين السابقين لم يكتفُوا بذكْرِ سِيَرِ الصحابة الإسلامية، ولم يهملوا حياتَهم الجاهلية الأولى، حفاظاً على صورتِهم الوضيئةِ المشرقةِ عند المسلمين، بل ذكَروا كلَّ ما وصل إليهم من صور حياتهم الجاهلية، واعتبروا ذكرَها ضرورياً لبيان فضْلِ الإسلام الذي نقلَهُم هذه النقلة البعيدة!

أفَلا نقتدي بهؤلاء المؤرِّخين الباحثين، في دراسةِ حياةِ سيِّد قطب الأولى وما خلَّف فيها من تراثٍ أدبي غزير؟!

ولا تعني دعوتُنا إلى نشْرِ تراثِه الأدبي كلِّه، أَننا نعتقدُ أَنَّ كلَّ فقرةٍ منه تصلحُ زاداً للدُّعاةِ العاملين، ولكنه زادٌ للأدباءِ والباحثين، وكشفٌ لجوانبَ خفيةٍ من مواهب سيِّد وحياته وأفكاره.

ويجبُ أن نبيِّن أوجُهَ المخالفةِ بين بعضِ ذلك التراث الأدبي، وبين التصور الإسلامي، ونرفضُ تلك الجوانب المخالفة، لكنْ بعدَ معرفتِنا بها واطِّلاعنا عليها!!

ثم إن معرفةَ حياتهِ الأدبية الأولى، والاطلاعَ على تراثِه الأدبيِّ الضخم، ضروريان لمعرفةِ خلفيتِه الأدبية والفكرية، ولكشْفِ مواهبه.. وهذا تمهيدٌ ضروريٌ لمعرفةِ نتاجه الفكري الإسلامي: «فلولا تكوينُ سيِّد الأدبي في سابق حياتِه، وتحلِّيه بقوةِ عارضة، ورصانةِ لغة، وفكْرٍ مفتوح على آفاق المعرفة، وتعمُّقٍ في الفهم... لما وصل سيِّد إلى قوةِ هذا العطاء، وإلى هذا الفكر الناضج..

إنَّ تكوينَهُ السابقَ لدخوله إلى ميدان الدعوة الإسلامية، كان فاتحةَ عملٍ عظيم.. وقدرةٍ معطاءة..»[1].

هل تخلّى سيِّد عن كتبه السابقة؟

قلنا إن المرحلةَ الأخيرة الناضجة، في العطاء الفكري الإسلامي لسيِّد، هي العطاءُ الحركي الإسلامي.. وهذه المرحلة بدأت عنده منذ محنةِ السجن عام ١٩٥٤م، وتعمَّقَتْ عنده بعد مذبحةِ ليمان طرة عام ١٩٥٧م ونضجتْ في آخرِ الخمسينيات..

والكتبُ الإسلامية الحركية الناضجة التي تمثِّلُ هذه المرحلة، هي آخرُ نتاجه الإسلامي: الظلال ــ في طبعته المنقحة ــ وهذا الدين، والمستقبل لهذا الدين، وخصائص التصور الإسلامي، والإسلام ومشكلات الحضارة، ومعالم في الطريق.. وأخيراً مقومات التصور الإسلامي..

وهناك مقولةٌ يردِّدُها بعضُ الإسلاميّين ــ وينسبونها للأستاذ محمد قطب ــ مفادها أنَّ سيِّد قطب في آخرِ أيامه، تخلّى عن نتاجه الأدبي كلِّه، شعراً أو قصةً أو مقالة أو كتاباً، كما تخلّى عن كتبه الإسلامية الفكرية العامة، مثل التصوير الفني، ومشاهد القيامة، والعدالة الاجتماعية، والسلام العالمي، ومعركة الإسلام والرأسمالية، ودراسات إسلامية...

---

(١) مجلة المجتمع. عدد: ١٦٦. تاريخ ١٩٧٣/٩/٤. صفحة: ٢٨.

وتُزَهِّدُ هذه المقولة في هذه الكتب، وتدعو الإسلاميين إلى عدمِ قراءتها، وعدمِ إضاعة الوقْت فيها. وتدعوهم إلى الاكتفاءِ بكتبِهِ الإسلامية الحركية!

فالأستاذُ عبد الله العقيل يقول: «إن سيِّداً قد بعثَ لإخوانه في مصر والعالم العربي، أنه لا يعتمد سوى ستةِ مؤلَّفات له. وهي: هذا الدين. والمستقبل لهذا الدين. والإسلام ومشكلات الحضارة. وخصائص التصور الإسلامي. وفي ظلال القرآن. ومعالم في الطريق..»(١)

والناشرُ اللبنانيُّ للظلال، قالَ عن كتبِ سيِّد المعتمدة لديه: «نكتفي في القائمةِ التالية بالكتب المتداوَلَة، دون الكتب التي نفدَتْ، وليسَ في النية إعادةُ طبعها، للشعور بأنها قد أَدَّتْ دورَها في حينها، ولم يَعُدْ لَها إلَّا الاعتبارُ التاريخي.. وبعضُها مما يحتوي آراء أو اتجاهاتٍ للمؤلف، تبيَّنَ له خطؤُها، فعدَل عنها..»

والكتبُ المعتمدةُ التي أوردها ستة عشر كتاباً.. عشرةٌ منها إسلامية، وستةٌ منها أدبية. وأَتبعَها بثمانيةِ أبحاث كان سيِّد يُعِدُّها ولم يكملها.(٢)

ولا ندري دليلَ الناشر على كلامه هذا، والمصدرَ الذي استندَ إليه، في اعتمادِ سيِّد لتلك القائمة، ونرجِّحُ ـ مع الدكتور عبد الله الخباص ـ: «أنه ـ إنْ صحَّتْ نسبةُ هذا التخلي لسيِّد قطب ـ لا بد من مؤثِّرٍ معيَّن، أو حالةٍ نفسية، أَمْلَتْ على سيِّد أن يصرِّحَ أو يعلن ذلك الإعلان، الذي يرفضُ أَنْ يَعتبرَ مؤلَّفاتِه الأدبية تمثلُ وجهةَ نظر صاحبها. ولعلَّ ذاكَ المؤثرَ أو تلكَ الحالةِ النفسية، كانت نتيجةَ السجن الذي تعرضَ له سيِّد...

ولكننا نخالفُ مخالفةً جذرية، مَنْ يقول تخلّى سيِّد عن بعضِ كتبه، ككتابِ التصوير الفني ومشاهد القيامة، أو بعض كتبه الفكرية الأخرى. لأن سيِّداً يحيلُ القارئَ في كثيرٍ من مواضعِ كتبه التي تمثِّلُه، إلى تلكَ الكتب، ليعودَ القارئُ إليها.. فهل يعقلُ أنْ يطلبَ من القارئِ أن يعودَ إليها، وهو لا يؤمنُ بها؟!

---

(١) المجتمع. العدد: ١١٢. تاريخ ١٩٧٢/٨/٨م. صفحة: ٢٢.

(٢) الظلال ـ الطبعة السابعة ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت. نهاية المجلد الثامن.

وسواءٌ صحَّتْ هذه القضيةُ في نسبتِها لسيِّد ـ أم لم تصحّ ـ فلسْنا مع دعاتِها، المروِّجين لها، بل ننكرُ عليهم صنيعَهم هذا..»[1].

إننا ندعو إلى نشْرِ كلِّ كتبِ سيِّد الأدبية والإسلامية العامة، ولا ندْعو إلى إلغاءِ ـ أو إعدامِ ـ واحدٍ منها، وإنْ كان في بعضِها اتجاهاتٌ سابقة لسيِّد، مخالفةٌ للتصور الإسلامي..

وحتى لا يقعَ القرّاءُ في إشكال، في ترتيبِ أفكارِ سيِّد حسب صدورِ كتبه، وحتى لا تلتبسَ عليهم المراحلُ المتطورةُ التي مرَّ بها سيِّد، إلى أن استقرَّ رائداً للفكرِ الحركي الإسلامي، فإننا نعتمد هذه الملاحظةَ الجيدةَ التي أَبْداها الأستاذُ يوسف العظم: «وأَرى في هذا المقام أَنْ يقومَ المنصفون من الكتّاب أو الناشرين أو المحقِّقين، حين يطبعونَ للشهيد كتاباً، أَنْ يُشيروا إلى تاريخِ نشْرِ كلِّ كتابٍ من كتبه، وإلى تاريخِ الطبعةِ الأولى من الكتاب، وإيرادِ ملاحظةٍ في أُولى صفحاتِ الكتاب، تُبيِّنُ المرحلةَ التاريخية التي قَدَّمَ فيها الشهيد عطاءه.. ذلكَ ليعرفَ القارىءُ ماذا يقرأُ للشهيد..»[2].

محاربة الطغاة لكتبه وفكره

بعدَ محنةِ سيِّد قطب الثانية، التي أدَّتْ إلى استشهاده، أرادَ الطغاة في مصر محْوَ اسمِ سيِّد قطب من عالمِ البحث والدراسة والفكر، وإعدامِ كل كتبه ومؤلَّفاته، والقضاءَ على كل تراثِه الأدبي والفكري...

وقد أشارَ إلى هذه الحربِ «الفكرية» التي شنَّها الطغاةُ على مؤلَّفاتِ وفكرِ سيِّد، الأستاذُ «عبد الباقي محمد حسين» بمناسبةِ اشتغالِه بتراثه في رسالة الماجستير. وجاءتْ إشارتُه تلك في مقابلةِ مندوبِ مجلةِ «المسلمون» معه عام ١٩٨٢م.

قال الأستاذ عبد الباقي: «صدرَ الأمرُ بمنعِ كتبِ سيِّد، صدرَ بتاريخ

---

(١) سيد قطب الأديب الناقد، للدكتور الخباص: ١٢٤.

(٢) سيد قطب، ليوسف العظم: ٣١٨ ــ ٣١٩.

٢/١٠/١٩٦٥م، في الخطاب السري رقم ٢٠٢[١]، حيث منعَ كلَّ مؤلَّفات سيِّد، وعُممَ على المكتبات ودور الطباعة والنشر، بإعدام كلِّ ما لديها من كتبٍ ومؤلفاتٍ لسيِّد، وكلُّ مَنْ يحتفظُ بواحد منها يُعتبرُ مروِّجاً لأفكارٍ ضدَّ الدولة. فاقتناءُ أيٍّ واحدٍ منها جريمةٌ تعرِّضُ صاحبَها للإدانة..».

وقد جمعتْ كتُبُ سيِّد ـ بموجبِ هذا الخطابِ السريّ ـ من المكتباتِ العامة وأُتلفتْ، كما جُمعتْ هذه الكتب من المكتباتِ العلميةِ التابعة للجامعات، ووُضعتْ في صناديق، وحُفظتْ في سجن القلعة.

وأشارَ عبدُ الباقي إلى طرَفٍ من معاناته، وهو يبحثُ عن تراث سيِّد لإعداد رسالته.. «فعندما سألَ عن كتبِ سيِّد في دار الكتب المصرية، قالوا إنها قد جُمعتْ، ووُضعتْ في صندوقٍ كبير، ثم أُرسلتْ إلى سجن القلعة، حيث النيابة العسكرية..

وقد تردَّدَ عبد الباقي كثيراً على سجن القلعة للاطلاعِ على تلك المؤلَّفات دون جدوى.. وفي المرةِ الأخيرة، أخبروه أنَّهم عثروا على ذلك الصندوق، ولم يجدوا فيه من مؤلَّفاتِ سيِّد إلاَّ القليلَ الممزَّق، وهو ما تبقَّى من عبث المخابرات..»[٢].

والعجيبُ أن الباحثَ عبدَ الباقي لم يجدْ مؤلَّفات سيِّد قطب إلاَّ في مكتبة «الجامعة الأمريكية بالقاهرة»، ابتداءً من ديوانه المفقود «الشاطىءِ المجهول» وانتهاء بكتابِهِ الأخير «معالم في الطريق»[٣]. ويبدو أنَّ مكتبةَ «الجامعة الأمريكية» كانت مستثناةً من التعميم في الخطاب السريّ، لأنها تابعةٌ للجامعة الأمريكية، وليستْ تابعةً لمصر!!.

وممّا يدلُّ على محاربةِ الطغاةِ لكتب سيِّد، خبرٌ رواه الأستاذُ محمد قطب، وأوردْتُه في مقدمةِ كتابي «مدخل إلى ظلال القرآن» أُوردُه هنا لمناسبتِه له:

---

(١) الخطاب السري محفوظ في السجل رقم (٦) بمكتبة كلية دار العلوم بالقاهرة. انظر سيد قطب لعبد الباقي: ١١٤.

(٢) مجلة المسلمون. عدد: ١١. تاريخ ٨ / ٢/١٩٨٢م. صفحة: ١٢.

(٣) سيد قطب لعبد الباقي: ١١٦.

«كان السيد عبدُ الحميد جودة السحار مشتركاً مع سيِّد قطب، في كتابةِ سلسلة قصصية للأطفال، هي «القصص الديني». وقد نفذتْ هذه السلسلةُ من الأسواق، ودَعَت الحاجةُ إلى إعادةِ طبعها.. فذهبَ السحار إلى «شمس بدران» ـ مدير مكتب المشير عامر، والحاكمِ الفعلي لمصرَ وقتَها ـ ليأخذَ منه إذْناً بإعادةِ الطبع ـ في الوقْتِ الذي اشتدَّتْ فيه المحنة على سيِّد قطب في السجن عام ١٩٦٥م ـ فوافقَ بدران على السماحِ بإعادةِ الطبع على شرط: أن يُسقطَ من كتبِ السلسلة اسمَ سيِّد قطب، شريكِ السحار في التأليف!!.

فاستغربَ السحار من هذا الشرط، وقال لبدران: كأنكم حريصون على محْوِ اسمِ سيِّد قطب وفكره؟!

فما كان من بدران إلَّا أَنْ قال: نعم! نحنُ حريصون على ذلك وجادّون في تحقيقه!!»[1].

وحاولَ الطغاةُ القضاءَ على مؤلَّفات سيِّد قطب، وبذلوا كلَّ ما يقْدرونَ عليه من أساليبَ ووسائل!

ولكن، ماذا كانت النتيجة، بعدَ أكثرَ من ثلاثين عاماً من كلام شمس بدران السابق؟ هل نجحَ هؤلاءِ في مَسْعاهم؟ وهل أَعْدموا كتبَ سيِّد ومؤلفاتِه وفكره، كما أَعدموا جثته؟

إنَّ أيَّ مطَّلِعٍ أو مراقب، ليَرى فضْلَ الله على سيِّد، حيثُ رزقُه الشهادة، وحيث كتبَ لفكرِهِ وكتبه النُبول والتأثير.. فبينما ذهبَ الطغاة من أمثالِ عبدِ الناصر وشمس بدران، مشَيَّعين باللعنةِ والذمّ، ويجرّونَ أذيالَ الهزيمة، فقد انتشرتْ كتبُ سيِّد الإسلاميةِ الرائدة في بلاد المسلمين، ووصَلَتْ إلى بيوتِ هؤلاء المسلمين، وملأَتْ أسواقَ المسلمين!

* * *

(١) مدخل إلى ظلال القرآن: ٧ ـ ٨.

(٣)
نتاجه ثلاثة أقسام

يمكنُ أن نقسِّمَ تراثَ سيِّد قطب الأدبي والفكري أقساماً ثلاثة:

- الأول: مقالاتُه العديدة في الصحف والمجلات.
- الثاني: كتبُه ومؤلَّفاته المطبوعة.
- الثالث: بحوثٌ له لم تنشر.

القسم الأول

مقالاته في الصحف والمجلات

مقالاتُ سيِّد في الصحفِ والمجلاتِ كثيرة ومنوَّعة. «ولم يُنتجْ سيِّد قطب في فنٍّ أدبيّ، أكثرَ مما أنتجَ في فنِّ المقالة»[1].

استغرقتْ مقالاتُه في الصحف حوالي ثلاثينَ سنة ـ من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٤م ـ. وكتبَ في مجلاتٍ عديدة، حزبيةٍ وإسلاميةٍ وأدبية وسياسية واجتماعية. وقد أَشرْنا إلى بعضِ المجلات التي كتبَ فيها، أَثناءَ حديثنا عن كتابتِه في الصحفِ والمجلات في القسم الأول من هذا الكتاب.

وكانت مقالاته في تلك الصحف والمجلات منوَّعة، منها المقالاتُ الأدبية والنقدية، والمقالاتُ الاجتماعية، والفنية، والإصلاحية، والسياسية، والإسلامية... وغير ذلك.

وهذه المقالاتُ تحتاجُ إلى مَنْ يجمَعُها، ويصنِّفُها على أساس موضوعاتِها، وينسِّقُ بينَها، وينشرُها على الأدباءِ والمثقَّفين، لأنه لا يقْدِر كلُّ مثقفٍ على العثور على تلك المجلاّتِ القديمة، والاطلاعِ على مقالات سيِّد فيها!

وقد جمعَ سيِّد قطب بعضَ مقالاتِه ونشرَها في كتب:

جمعَ بعضَ مقالاته النقدية في كتابه «كتب وشخصيات»، وكان ينوي إصدارَ حلقةٍ ثانيةٍ من هذا الكتاب.

وجمعَ بعضَ خواطره في كتاب «الأطياف الأربعة» بالاشتراكِ مع إخوته.

وجمعَ بعضَ مقالاتِه الإسلامية في كتاب «دراسات إسلامية» وكأنه بهذا يفتحُ الطريقَ أمامَ الباحثين، ويدعوهم إلى جمعِ مقالاته وإخراجها...

(١) سيد قطب، لعبد الباقي: ٢٦٤.

قائمة الدكتور الخباص لمقالات وقصائد سيِّد

وقد اطلعَ أساتذةٌ باحثـونَ على بعضِ مقالاتِ سيِّـد المختلفة وأَعـدُّوا لها قـوائم «بيبليوغرافيا» فنية.

من هؤلاءِ الـدكتـور عبـد الله الخبـاص، الـذي جعـلَ قـائمـةَ مقـالاتِـه ملحَقـاً لكتابه «سيِّد قطب الأديب الناقد» ـ الذي نال به الماجستيـر في الأدب من كليةِ الأداب بالجامعـة الأردنية عام ١٩٨٢م ـ.

وكانتْ قائمةُ الدكتور الخباص جيـدةً وقيمةً، ونـافعة وكبيـرة، وزادتْ عن ثمانين صفحة، بحيث تستحقُّ أَنْ تُفردَ في رسالةٍ خاصة.

وجعلَ الدكتورُ الخباص قائمتَه قسمين:

القسم الأول: وهـو الذي يهمُّنـا هنا، وقـد خصَّصَه لتـراثِ سيِّد قـطب، ونتاجِـه الأدبـي والفكري.

ويشملُ هذا القسم مؤلفات سيِّد المطبوعة، وبحوثَـه التي لم ينشرْهـا، والرسـائلَ التي ظهرت بعدَ استشهاده، واقْتُطعتْ من كتبه أو مقالاتِه.

كمـا يشمـلُ هـذا القسمُ مـا نشـرُه سيِّـد، من قصـائـدَ ومقـالاتٍ في الصحف والمجلات، والمقدماتِ التي كتبها لبعض المؤلفات.

القسم الثـاني: خصَّصَه لمـا كتبـه الكـاتبـون عن سيِّـد من مؤلفـاتٍ مـطبـوعـة، أو رسائلَ جامعية، أو مقالاتٍ في الحديثِ عنه أو عن فكره.

وقد نشرَ الدكتور الخباص في قائمته كلَّ ما تمكَّن من الوقوف عليه، وهـو يعترفُ بـأنه لم يستـوعبْ كـلَّ المقـالات، ولم يـطَّلعْ على كـلِّ المجـلّات التي نَشـرَتْ لسيِّـد أو كَتبتْ عنه.

ووعـدَ أن يَنشـرَ في المستقبـل، قصـائـدَ سيِّـد في كتـاب، ومقـالاتِــه في كتبٍ أخرى... وإنّا لمنتظرون!...

وبلغَ عددُ القصائد التي فهرسَها وصنَّفَها في قائمته «ثمانياً وثمانين» قصيدة.

---

(١) انظر سيد قطب الأديب الناقد: ٣٥١ ـ ٤٣٧.

بينما بلغَ عددُ مقالات سيِّد التي فهرسَها وصنَّفَها «ثلاثمائةٍ وأربعَ عشرة» مقالة . . .

قائمة عبد الباقي محمد حسين لمقالات وقصائد سيِّد

قدَّمَ الباحثُ المصري «عبد الباقي محمد حسين» رسالةً للحصول على الماجستير في الآداب من كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة، وكانت بعنوان «سيِّد قطب حياته وأدبه». وقد نال بها الماجستير عام ١٩٨٢م.

وقد أعدَّ السيد عبد الباقي قائمةَ «بيبليوغرافيا» لمقالاتِ وقصائد سيِّد المختلفة، التي نشرَها في حياتِه الأدبية والإسلامية.

وكان مجموعُ القصائدِ والمقالات التي فهرسَها وصنَّفَها، أربعَمائة وخمساً وخمسين قصيدة ومقالة. أيْ أكثرَ من قائمة الدكتور الخباص السابقة بأكثرَ من خمسين مقالة وقصيدة. والسرُّ في هذه الزيادة، هو أنَّ السيدَ عبد الباقي قد اطَّلعَ على مجلاتٍ أكثرَ مما اطَّلعَ عليه الخباص، بحكْمِ وجودِه في القاهرة، وتردُّدِه على دُورِ الكتبِ فيها . . .

وقد رتَّبَ السيِّد عبد الباقي قائمتَه ترتيباً تاريخيّاً، حسبَ صدورِ الصحف والمجلات.

ولم يستقصِ السيدُ عبد الباقي جميع الصحف والمجلات، ولم يطَّلعْ عليها كلِّها، لأنه لم يجدْها كلَّها، ولذلك لم يصنِّفْ كلَّ مقالاتِ وقصائد سيِّد قطب(١).

وقد وعدَ السيِّدُ عبد الباقي جمعَ مقالاتِ سيِّد، والتنسيقَ بينها، وإصدارَها في دراسةٍ قادمة، كما وعدَ بذلكَ ناشرُ كتابه ـ «دار الوفاء» ـ وإنّا لمنتظرون(٢) . . .

ونحبُّ أن نشيرَ إلى أنه بعدَ استشهاد سيِّد قطب، صارت المجلاتُ الأدبية والإسلامية، تنشرُ بعضَ تلك المقالات، بمناسبةِ مرور ذكرى استشهاده.

وقد قمتُ بجمعِ مقالاتِ سيِّد التي كتبَها عن أمريكا، ونسَّقْتُ لها، ومهَّدْتُ لها بدراسة، ونشرْتُها في كتاب «أمريكا من الداخل بمنظارِ سيِّد قطب» ـ والحمد لله!.

* * *

(١) سيد قطب، لعبد الباقي: ٤٠١ ـ ٤٤٤.

(٢) المرجع السابق: ٢٦٩.

القسم الثاني

كتبه المطبوعة

سنقومُ فيما يلي بترتيبِ كتبِ سيِّد قطب المطبوعة، حسْبَ صدورها في طبعاتِها الأولى.

إننا نرى أنه على كل مَنْ أرادَ أن يتعرَّفَ على تطوُّرِ فكرِ سيِّد، ومظاهرِ هذا التطور، أن يرتِّبَ كتبَهُ المطبوعة على أساسِ تاريخِ صدورها.

فالكلُّ يعرفُ أن سيِّد كان يراجعُ فكرَه ورأيه، ويعيدُ تشكيلَ مقرراتِه على أساسِ معلوماتِه الجديدة، التي حصَّلَها من بحثه العلمي الدؤوب. فإذا لم نعرفْ ترتيبَ كتبه، وإذا لم نصنِّفْها على أساسِ صدورها، فقد ننسب له رأياً رآه ثم تخلّى عنه، وبذلك نظلمُه، قد يرى سيِّد رأياً ما، ويسجلُه في كتابٍ له، ثمَّ يظهرُ له خطأُ هذا الرأي، فيتخلَّى عنه في كتابٍ لاحق، ولذلك لا بدَّ أن نعرفَ الكتابَ السابق والكتابَ اللاحق!

وسبقَ أنْ أوْصَيْنا ــ مع الأستاذ يوسف العظم ــ كلَّ ناشر يريدُ نشرَ كتبِ سيِّد، أَنْ يذكرَ الطبعةَ الأولى للكتاب الذي ينشرُه، وهي الطبعةُ الصادرة في حياةِ سيِّد، ثم يذكرُ سنةَ طبعته هو!

وعلى الباحثينَ الذين يورِدونَ أسماءَ كتبِ سيِّد المطبوعة، أَنْ يُسَلْسِلوها على أساسِ تاريخِ صدورها.

تأخُّر سيِّد في نشر الكتب

تأخَّر سيِّد في تأليفِ الكتب ونشْرِها، حيثُ أَمْضى حوالي عشرين سنة من حياتِه الأدبية، يكتبُ المقالاتِ والقصائد. وبعد أَنْ آنَسَ من فكره نضجاً صار ينشُرُ الكتب.

قال للدكتور أحمد أمين: «لقد كنتُ مريداً ــ بكلِّ معنى كلمةِ المريد ــ لرجلٍ

من جيلِكم، تعرفونه عن يقين [يعني العقاد] ولقد كنتُ صديقاً أو ودوداً مع الآخرين من جيلكم كذلك.

لقد كتبتُ عنكم جميعاً بلا استثناء، شـرحْتُ آراءَكم، وعرضتُ كتبَكُم، وحلَّلْتُ أعمالَكم بقدر ما كنتُ أستطيع. . .

ثم جاءَ دوري. . جاء دوري في أنْ أنشرَ كُتُباً، بعد أن كنتُ أنشرُ بحوثاً ومقالاتٍ وقصائد. لقد جاءَ دوري في نشر الكتب متأخِّراً جداً، لأنني آثرْتُ ألَّا أطلعَ المئذنة من غيـر سلَّم، وأَنْ أتـريَّثَ في نشْـر كتبٍ مسجَّلة حتى أُحِسَّ شيئاً من النضـج الحقيقي، يسمحُ لي أَنْ أظهرَ في أَسواقِ الناشرين»[1].

قـرَّرَ سيِّد أَنْ يبـدأَ تـأليفَ الكتب عـام ١٩٤٥م، وقـد قـارَبَ الأربعين من عمـره ـ سنَّ النضجِ والرشد ـ والكتبُ التي أصدرها قبلَ تلك السنة ليست كتباً في الأصل. فكتابُ «مهمة الشاعر في الحياة» محاضرةٌ نقدية أساساً. و«الشاطىء المجهول» قصائدُ شعرية سبقَ له نشرُها في المجلات. و«نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر» مقالةٌ نقدية مطوَّلة نشرها في مجلةِ دار العلوم.

وهكذا نرى أنَّ سيِّد قرَّرَ دخولَ عالم التـأليف والنشر عـام ١٩٤٥م، وهو في سنِّ الأربعين. . .

وخـلالَ خمسِ سنوات ـ من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٠م ـ أصـدرَ ثـلاثـةَ عشـرَ كتـابـاً ورسالة، وهذا يدلُّ على غزارةِ نتاجه، وسيولةِ قلمه. . .

ويبدو أَنَّ كبارَ الأدباء «نَفَسوا» على سيِّـد مؤلفاتِـه، وحسدوهُ على نتـاجِهِ الغـزير، فلم يُقَرِّظوه ولم يُثْنوا عليه، بل تجاهلوا هذا النتاجَ الأدبـيَّ والفكري. . .

وقـد تركَ هـذا الموقفُ من كبـارِ الأدباء أَلَمـاً وحسرةً في نفس سيِّـد. وفي ذلـك يقول للدكتور أحمد أمين: «فماذا كانَ موقفُ أستاذي [العقّاد] وماذا كان مـوقفُ جيلِكم كلِّه؟ مـاذا كان مـوقفُ جيلِ الشيـوخ، لا من هذا الكتـابِ وحده [التصـويـر الفني في القرآن] ولكن من الكتبِ العشرةِ التي نشرْتُها حتى الآن؟»[1].

---

(١) مجلة الثقافة. السنة الثالثة عشرة. عدد: ٦٦٣. تاريخ ١٠/١٢/١٩٥١م. صفحة: ٨.

كتبُه ستةٌ وعشرون كتاباً فقط

الكتبُ التي أعـدَّها سيِّـد ونشرَهـا، ستةٌ وعشـرون كتابـاً، خمسةٌ وعشرون منهـا طُبعتْ في حيـاته. والسـادس والعشرون بعـد استشهادِه بعشـرين سنة ــ وهـو مقومـات التصور الإسلامي ــ وفي قمةِ كتبه موسوعتُه التفسيرية «في ظلال القـرآن» الذي أصـدرَهُ في ثـلاثين جزءاً، كـلُّ جزءٍ في كتـابٍ خاص ــ وكـأنَّ الظلال ليس كتـاباً واحـداً، بل ثلاثين كتاباً! ــ .

وكتبهُ المطبوعة قسمان:

* **الأول**: كتبٌ أدبية. وهي ثلاثةَ عشر كتاباً.

* **الثاني**: كتبٌ إسلامية. وهي ثلاثة عشر كتاباً أيضاً!.

وفيما يلي نقدِّم قائمةً بكتبه المطبوعة حسب صدور طبعاتها الأولى:

١ ــ مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر

أعدَّهُ في الأَصْل محاضرةً نقدية، ألقاها في مدرجِ كليةِ العلوم، عندما كان طالِباً في السنة الثالثة فيها.

وقدَّمه إلى الحضور أستاذُه «محمد مهدي عـلاّم» كما قـدَّم الكتابَ نفسَـه عندمـا دفعه سيِّد إلى المطبعة.

وقدْ أثنى أستاذُه «علاّم» عليه، وبيَّنَ اعتزازَه بأنْ يكـون أستاذاً لـه، وقررَ بـأنه لـو لم يكن له تلميذٌ إلاَّ سيِّد لكفاه ذلك سروراً. كما بيَّن أستاذُه في التقديم إعجابَـه بجرأةِ سيِّد الرشيدة، واستقلالِه بالرأي، وعصبيَّتِه البصيرة، واعتبرَه مفخرةً من مفاخـر كلية دار العلوم[(١)]!

وقال سيِّد في تقديمه للكتاب: «هذا مجهودٌ ضئيلُ الحجم، أُعِدَّ ليكونَ محاضرةً فحسب، فلا يحتاج إلى مقـدِّمة تبيِّنُ أغـراضَه، وتـوضِّحُ اتجـاهه، فهـو ذاتُه يصـح أن يكونَ مقدِّمةَ لمبحثٍ كامل في موضـوعه هـذا «مهمة الشـاعر في الحيـاة وشعر الجيـل الحاضر»، وسيكون»[(٢)].

---

(١) انظر تقديم محمد مهدي علام للكتاب: ٩ ــ ١٠.

(٢) مهمة الشاعر في الحياة: ٨.

وهو أولُ مؤلَّفاته، وهو كتابٌ نقدي، وكونُ أولِ مؤلفاتِه كتاباً في النقـدِ الأدبـي، له دلالةٌ خاصة على تفتُّحِ مواهبه النقدية مبكِّراً.

وقد طُبعَ الكتابُ عام ١٩٣٣م كما يبدو من تاريخ مقدِّمته[١].

٢ ــ الشاطىء المجهول

وهـو أولُ ديوانٍ شعـري مطبـوعٍ لسيد، كمـا أنه الأخيـر! إذْ لم يَطْبـع غيـرَه من دواوينه التي أعلن أنها تحت الطبع!!

وقد طُبع في ١/١/١٩٣٥م.

وقد طَبع سيِّد من هذا الديوان ألفاً وخمسمائة نسخة، وبلغ عددُ صفحاتـه مائتين وثماني صفحات.

وسمـاه «الشاطىء المجهـول» باسم قصيـدةٍ من قصائـده، نظَمَهـا وهو في رحلة الضياعِ التي تحدثْنا عنها فيما سبق.. وهو يعني بالشاطىء المجهول شاطىء الحيـاة، الذي وَقَف عليه، وحاول معرفةَ سرِّ الحياة المجهول، ولكنه لم يهتدِ إليه.

وقد أهدى ديـوانه إلى شقيقـه «محمد» الـذي كان وقْتَهـا في السادسـة عشرة من عمره، واعتبره امتداداً له.

وهو الكتابُ الوحيد لسيِّد الذي لم يُطْبَعْ إلَّا طبعةً واحدة، حيث لم تُعَـدْ طباعتُـه لا في حياةِ سيِّد ولا بعدَ استشهاده، ولهـذا أصبحَ الحصـولُ على نسخة منـه أمراً عـزيزَ المنال!

ولعلَّ سبب عدم إعادةِ طبع سيِّد لديوانه ما في بعضِ قصائده من تصوراتٍ تخالفُ التصورَ الإسلامي، حيث صاغَها أثناءَ رحلةِ ضياعه.

وقد كتبَ سيِّد نفسُه مقدمـةً لديـوانه، انتقـدَ بعضَ قصائـده، وأخذَ عليهـا بعضَ المآخذ، وأثنى على قصائدَ أخرى[١].

---

(١) سيد قطب للخباص: ٢٣٢ ــ ٢٣٤.

(٢) المرجع السابق: ١٣٠ ــ ١٣٥.

وجميلٌ أن ينقدَ سيِّدُ قطب الناقد سيِّدَ قطب الشاعر!

ولا توجَدُ نسخٌ من هذا الديوانِ الآن إلاَّ في بعضِ مكتباتِ الجامعات؛ فالسيد عبد الباقي محمد حسين، وجدَ بعدَ بحثٍ دائب وجهدٍ مضْنٍ نسخةً من الديوان في مكتبة الجامعة الأمريكية في القاهرة.

والدكتور عبد الله الخباص لم يجدْ إلاَّ نسخةً من الديوان في مكتبةِ جامعة «لندن»! فصوَّرَ عنها نسخةً له، كما صوَّرَ عنها نسخة لي، جزاه الله خيراً.

٣ ـ نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر

أصدرَ الدكتورُ طه حسين عام ١٩٣٨م كتابَه «مستقبل الثقافة في مصر». وقد قامَتْ حول الكتاب ضجةٌ كبيرة.. لأن طه حسين دعا في كتابه إلى أَنْ تكونَ مصرُ جزءاً من العالم الغربيّ، كما دعا إلى الأخْذِ بالحضارة الغربية، والثقافة الغربية، بحلوِها ومرِّها، وخيرِها وشرِّها.

وقد قام الأدباءُ والمفكرون بنقدِ هذا الكتاب، فمنهم من قَبِلَه وتبنّاه، ومنهم من رفَضَه وأظهرَ زيفه.

وكان سيِّد قطب في طليعةِ الأدباء الذين نقدوا الكتاب.

ولم يكن سيِّد مع طه حسين دائماً، كما أنه لم يكن ضدَّه دائماً، بل كان يوافقُه على بعضِ آرائه، ويخالفُه في بعض آرائه: «وفي هذا الكتابِ ما نوافقُ الدكتورَ فيه أشدَّ الموافقة، وفيه ما نخالفُه فيه أشدَّ المخالفة، وفيه ما يَحتملُ الأخذَ والردَّ والزيادةَ والنقصان...»[1].

وكان نقْد سيِّد لكتابِ طه حسين من منطلقٍ أدبيٍ ونقدي وثقافي وتعليمي، ولذلك قبِل بعضَ آرائه، ورفضَ بعضها الآخر. ولم يكن نقدُه له من منطلقٍ إسلامي، لأنه لم يكن لسيِّد في ذلك الوقت (عام ١٩٣٨م) اتجاهٌ إسلاميّ محدَّد. ولو نقدَهُ من منطلق إسلامي فلربما لم يوافقْه في رأيٍ واحد!

---

(١) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر: ٨.

وقد ظنَّ بعضُ الباحثين خطأ ــ وأنا منهم في كتابي «سيِّد قطب الشهيد الحي» ــ أنَّ سيِّد نشر نقدَه لكتاب مستقبل الثقافة في مصر، في حلقاتٍ مسلسلة في صحيفةِ «دار العلوم»[1]. وسببُ وقوعنا في هذا الخطأ، هو صنيعُ ناشرِ الكتاب عام ١٩٦٩م ــ وهو الدارُ السعودية للنشر والتوزيع ــ حيث قال في هامش الصفحةِ الخامسة من الكتاب «نُشِرَ البحثُ تباعاً في صحيفةِ دار العلوم بُعَيْدَ صدور كتاب طه حسين. . . »[2].

وقد لفتَ نظري إلى وقوعي في هذا الخطأ، أخي الدكتور عبد الله الخباص ــ جزاه الله خيراً ــ وأخبرني أنَّ سيِّد قطب نشرَ نقده في عددٍ واحدٍ من أعداد صحيفة دار العلوم. وهو العدد الرابع، من السنة الخامسة، الصادر عام ١٩٣٩م، ونُشِرَ نقدُ سيِّد في الصفحات من ٢٨ إلى ٧٩[3].

لكنَّ الدكتور الخباص يصرُّ في أكثر من موضعٍ من كتابه[4] على أنَّ سيِّد قطب لم يَطبعْ هذا النقدَ في كتابٍ مستقل طيلةَ حياته. وإنما ظهرت الطبعةُ الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٦٩م، حيث استلَّتْهُ «الدار السعودية للنشر والتوزيع» من صحيفةِ دار العلوم!

ولا أدري ما سببُ إصرار الدكتور الخباص على ذلك!

إن الثابتَ أن الكتابَ طُبعَ في نفسِ السنة التي نُشِرَ فيها في العدد الرابع من صحيفة دار العلوم. أيْ ظهرت طبعتُه الأولى عام ١٩٣٩م.

لو ألقيْنا نظرةً على أيِّ كتابٍ لسيِّد قطب صدرَ في الأربعينيات أو الخمسينيات، وقرأْنا قائمةَ كتبِ المؤلف في آخره، لوجدْنا ضمنَ هذه القائمة «نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر». وأُحيلُ الدكتورَ الخباص على تلك القائمة في كتاب «التصوير الفني في القرآن»، أو «كتب وشخصيات»، أو «النقد الأدبي»، الصادرة في الأربعينيات.

---

(١) سيد قطب الشهيد الحي: ٢٢٤ ــ ٢٢٥.

(٢) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر: ٥ هامش.

(٣) سيد قطب، للخباص: ٢٣٤.

(٤) المرجع السابق: ٢٣٤ ــ ٣٦٦.

وبين يديَّ كتاب «في ظلال القرآن» ـ الطبعة الأولى، التي صدرتْ عن «دار إحياء الكتب العربية» بمصر عام ١٩٥٤ . . .

ففي القائمةِ التي في آخر الجزء الأول بأسماءِ كتب المؤلف، كتابُ «نقد كتاب مستقبل الثقافة»، وقد أخذَ رقم (١٦) ضمن القائمة، وبجانبه موضوعه، وأنه كتابُ «نقد»، ثم ملاحظةُ أنه «نفد»[١].

٤ ـ التصوير الفني في القرآن

وهو أولُ كتاب إسلامي له، حيثُ أصدرَه في شهر «أبريل» ـ نيسان ـ ١٩٤٥م[٢]. عن دار المعارف بمصر.

وكان أصلُ الكتاب مقالتيْن نشرهُما سيِّد في مجلة «المقتطف» عن «التصوير الفني في القرآن الكريم» عام ١٩٣٩م.

واعتبرَ سيِّد كتابَه هذا أساساً لمشروعٍ علميّ أدبيّ، أسماه «مكتبة القرآن الجديدة» أرادَ منه تقديمَ دراسةٍ أدبية بيانية للقرآن الكريم.

واعتبرَ المحقِّقون من العلماء والباحثين هذا الكتاب كشفاً لا تأليفاً، كما اعتبروهُ «مفْتاحاً» ادَّخره الله لسيِّد، فتحَ به كنوزَ القرآنِ الجماليةِ المذخورة فيه.

هذا المفتاحُ الجماليُّ القرآني، يقومُ على تقريرِ القاعدةِ العامة المطردةِ للتعبير القرآني، وهي قاعدةُ «التصوير الفني».

وهذا الكتابُ يقوم على تفصيلِ وبيانِ هذه الحقيقة، التي لاحظَها سيِّد في التعبير القرآني المعجز: إن التصويرَ الفنيَّ هو القاعدةُ العامة للتعبير القرآني، حيث يستخدمُ القرآنُ طريقةَ التصوير في مختلف موضوعاته وأغراضه، وثلاثةُ أرباعِ آياتِ القرآن معروضةٌ بطريقة التصوير!.

وقد أثَّرَ هذا الكتابُ «التصوير الفني» في الدراساتِ البيانية الجمالية للقرآن، التي ظهرتْ بعده.

---

(١) الظلال ـ الطبعة الأولى. نهاية الجزء الأول.

(٢) سيد قطب، للخباص: ٣٦١.

وقد خصَّصْنا لهذا الكتاب دراسةً خاصة هي «نظريةُ التصوير الفني عند سيِّد قطب». فنكتفي هنا بهذا التعريف.

٥ ــ الأطياف الأربعة

صدرَ هذا الكتاب عن «لجنةِ النشر للجامعيين» وطبعتْه مكتبةُ مصر عام ١٩٤٥م(١).

وقد اشتركَ في تحريرِ الكتاب، مع إخوتِه الثلاثة: حميدة ومحمد وأمينة.

ابتدأت الكتابَ حميدةُ ــ الطيف الأول ــ بمجموعةٍ من خواطرها وتأمُّلاتها.

وتبعتْها أمينة، ثم محمد، كلٌّ منهما بتأمُّلاتٍ نفسية، وخواطرَ شاعرية.

وختم الكتاب سيِّد ـ الطيف الرابع ــ ببعضِ تأمُّلاته ومقالاته ذات السمة النفسية والشعورية.

والحقُّ ــ كما يقولُ الأستاذُ «وديع فلسطين» في تعريفه بالكتاب ــ «أنَّ كتابَ الأطيافِ الأربعة ممتع، يلتذُّ القارىء بقراءته حتى ليكاد يستعيد بعضَ فصولِه مرات ومرات، فإن الصورَ الخاطفة التي ساقَها مؤلفوه، والمشاعرَ السامية التي أودعوها صفحاتِه، دلَّت على قدرةٍ مشاعَةٍ بين إخوة أربعة، وفطنةٍ مشتركة بينهم، ولباقةٍ أدبية يتميَّزون بها..»(٢).

٦ ــ طفل من القرية

صدر الكتاب عن لجنة النشر للجامعيين عام ١٩٤٦م(٣).

وأهدى سيِّد كتابَه إلى الدكتور طه حسين، حيث كانَ معجَباً بكتابه «الأيام» وبكتابِ توفيق الحكيم «يوميات نائب في الأرياف»!

---

(١) سيد قطب للخباص: ٣٦١.

(٢) مجلة الرسالة. السنة الثالثة عشرة. المجلد الأول. عدد: ٦١٨. تاريخ ١٩٤٥/٥/٧م. صفحة: ٤٩٠.

(٣) مجلة الكتاب. السنة الأولى. المجلد الثاني. عدد: ٩. تاريخ يوليو ١٩٤٦م. صفحة: ٤٦٥.

وفي كتابه صورٌ ريفية وعاها، وحفِظَها خيالُه وعقلُه وهو طفل صغير في قريته «موشى»، قال عنها في المقدمة: «هذه صورٌ من حياة القرية، عاصرتْ طفولَتي منذُ ربع قرن من الزمان، لم أُنَمِّقْ فيها شيئاً، ولم أَصنعْ أكثرَ من نقلِها من صفحةِ الذاكرة إلى صفحة القرطاس»(١).

وفي الكتاب تسجيلٌ لحياته في القرية، من حيثُ أسرتُه ووضعُها الاجتماعي والاقتصادي، والروابطُ والصِّلاتُ بين أفرادها، ومن حيثُ دراستُه في القرية، واهتماماتُه الدراسية والثقافية منذ طفولته، ومن حيثُ مشاركاتُه الاجتماعية والثقافية والسياسية فيها..

وهو في الكلامِ عن حياته في القرية، لم يرتِّب الحوادث ترتيباً تاريخياً، وإنما اتَّبعَ الطريقةَ التصويرية، فكان فيها أقربَ إلى الرسّام المصوِّر منه إلى الكاتب المؤرخ.

ولا يستغني عن هذا الكتاب أيُّ باحثٍ يريدُ أن يتعرفَ على نشأة سيِّد وطفولتِه في قريته.

وقد وقف بنا عند مغادرتِه القرية إلى القاهرة للدراسةِ فيها، كما بدا في فصلِ «الرحيل» آخرِ فصول الكتاب.

وأكثرُ الفصول تسجيلاً لحياته في القرية هي: «المدرسة المقدسة»، و «العفاريت»، و «حركة ثقافية»، و «أحزان الريف».

٧ ــ المدينة المسحورة

هي قصةٌ خياليةٌ أسطورية، استوحاها من قصص ألف ليلة وليلة. وقد أصدرَتْها دارُ المعارف ضمن سلسلة «إقرأ» سنة ١٩٤٦م(٢).

حدَّثنا سيِّد في بدايةِ مدينته المسحورة عن أَرَقِ الملك «شهريار» في الليلة المائة بعد الألف، بعد أنْ ضاقَ بأحاديث زوجته «شهرزاد» التي أحسَّتْ منه ذلك، فاستأذنَتْه،

(١) طفل من القرية: ٥.

(٢) انظر «سيد قطب»، للخباص: ٢٨١ ــ ٢٨٦.

وانقطعتْ عنه تسعاً وتسعين ليلة، فأرقَ شهريار، وذهبَ إلى مخدع شهرزاد، وطلب منها مواصلةَ حديثها عن قصصها.

فبدأتْ عليه قصةَ «المدينة المسحورة»، وقد استمرَّتْ عشرَ ليالٍ في قَصِّها عليه، ابتدأَتْها في الليلة الواحدة بعد المائة.

تدورُ القصةُ الأسطورية الخيالية، عن ملك شاب «تاسو»، رفضَ الزواج من ابنة عمه النبيلة الشريفة «تيتي»، ووقع في حبِّ فتاةٍ ريفية راعيةِ غنم «ساسو». . وتنتقم الأميرةُ «تيتي»، وتذهبُ للساحرة، فتسحرُ المدينة، وتتتابعُ الأحداثُ في تلك المدينة المسحورة. .

وبهذا أقامَ سيِّد قصتَهُ على الحب والانتقام والسحر والكهانة. .[1].

وقد تأثَر سيِّد في مدينتِه المسحورة بينابيع ثلاثة:

١ ــ كتاب ألف ليلة وليلة.

٢ ــ القصص الفرعوني، الذي يركزُ على السحر والكهانة والبخّور والمغارات.

٣ ــ قصة أصحاب الكهف في سورة الكهف، الذين بقوا أحياءَ نِياماً في كهفهم ثلاثمائة وتسع سنوات. وسيِّد أَبقى أهلَ مدينته مسحورين ألف سنة، ثم صوَّرهم وقد دبَّت فيهم الحياةُ بعد ذلك[2].

وكانت شخوصُ القصة تتحركُ وتتكلم، وكان سيِّد يختفي خلفَ المسرح، وبيدِه الخيطُ الدقيق، يحرِّكُ به هذه الشخوص، ويهمس لها، بما يريدُ تلقينَها من معانٍ وأفكار وآراء، لتنطقَ بها أمامَ الجمهور.

ولكن سيِّد كان يَظهرُ أحياناً، وكأنه واقفٌ أمامَ النظّارة، ليُسمعهم بعضَ آرائه وأفكاره!

وذلك مثلُ قوله: «كم يفقدُ الإنسان حينما يفقدُ الأحلام! إن هذا العالَم ضيّقٌ ضيّق،

(١) سيِّد قطب، للخباص: ٢٨٧ ــ ٢٩٢.
(٢) سيط قطب، للعظم: ٩٨.

تافه تافه، حقير حقير.. إنَّ ما تبلغُه الحواسُّ لهو أمدٌ قصير، وإنَّ ما يبلغُه الوعي لهو أفقٌ قريب.. وإنَّ الخيالَ والأحلامَ ليبلغان بهذا المخلوقِ الإنسانيِّ المحدود، أبعدَ الآماد وأوسعَ الحدود!.. ألا ما أشقى الإنسانَ الذي لا يملك من هذا العالم إلّا ما تُبصره عيناه!»[1].

٨ ـ كتب وشخصيات

هو ثالثُ كتابٍ أصدره عام ١٩٤٦م، إذْ سبقَه كتابان، هما «طفل من القرية»، و«المدينة المسحورة».

والكتاب مقالاتٌ نقديةٌ نشرَها سيِّد في المجلات، نقدَ فيها كتباً لأدباءَ وباحثين.

حيث كان يكتبُ بعضَ مقالاته النقدية، تحت عنوان: «كتب وشخصيات»، منذ عام ١٩٤٢م، حين نشرَ ثلاثَ مقالاتٍ تحت هذا العنوان، في مجلة الرسالة، ثم توقَّف عن النشر فيها فترة، بعد أنْ وعدَ بالحديثِ عن توفيقِ الحكيم في عدد قادم، مما جعلَ أحدَ قرّاء مجلةِ «الثقافة» يتساءلُ عن سبب التوقُّف، مطالباً إياه بالوفاء بوعده، فردَّ عليه سيِّد بأنَّ السببَ هو الجفوةُ التي وقعتْ بين الحكيم وبين الرسالة!

ثم عادَ سيِّد ينشرُ مقالاتٍ نقدية، تحت نفس العنوان، على صفحاتِ «الرسالة» و«المقتطف» و«الكتاب» و«الكاتب المصري».

فالكتابُ إذن بعضُ المقالات النقدية، التي نشرَها بين عامي ١٩٤٢م ـ ١٩٤٦م.

وقد أهدى سيِّد كتابَه إلى «هذا الملأ من الأدباءِ والشعراء والقُصاص والباحثين، الذين أَوحوا إليَّ بهذه الفصول، نقْداً لأعمالهم الأدبية» وبيَّن لهمَ أن كتابَه هذا «مرآة» يرفعُها أمامَهم ليرى كلٌّ منهم صفحتَيْ وجهه..

وعلَّلَ سببَ التسمية بقوله: «لأنني حاولْتُ أن أصوِّرَ شخصيةَ كلِّ أديب، تناولْتُ أحد كتبِه بالنقد، فالكتابُ وصاحبُه في هذا الكتاب موصوفان مرسومان مميَّزان..

---

(١) المدينة المسحورة: ٧.

وقد تحدَّثَ في بدايةِ كتابه عن «أصول النقد»، من خلال كلامه عن «النقد والفن»، و «طريقه الأداء في الفن»، و «الصور والظلال في الفن».

ثم قسَّم كتابَه خمسةَ أقسام: الأول: في عالم الشعر. والثاني: في عالم القصة والرواية. والثالث: في النفسِ والعالم. والرابع: في البحوثِ والدراسات. والخامس: في التراجم والتاريخ[1].

ونشرَ على الغلافِ الأخير للكتاب قائمةً بالكتب التي أصدرَها، وأخرى بالبحوثِ التي قيْد الإعداد. وثالثةً بالبحوث التي قيد التحرير...

وبلغتْ تلك الكتبُ والبحوثُ ثلاثةً وعشرين.

٩ ــ أشواك:

هي قصةُ حبٍّ حقيقية، عاشَها سيِّد نفسُه مع خطيبته، التي تكلَّمنا عنها أثناءَ كلامِنا عن «المرأة في حياته» في القسم الأول من هذه الدراسة.

وقد أهداها لخطيبتِه ــ التي أسماها في القصةِ سميرة، وأَسمى نفسَه سامي ــ وقال في الإهداء: «إلى التي خاضتْ معي في الأشواك، فدُميَتْ ودُميتُ، وشَقيَتْ وشَقيْتُ.. ثم سارتْ في طريق، وسرت في طريق: جريحين بعد المعركة. لا نفسها إلى قرار، ولا نفسي إلى استقرار.»[2].

إنَّ أساسَ القصة واقعي حقيقي، ولكنه أضافَ إليها ما أَوحاهُ إليه به خيالُه، بأسلوبٍ أدبيٍ تصويري رفيع.

وقد بيَّن الأستاذُ «وديع فلسطين» التشابهَ بين قصةِ أشواك وبين قصةِ «سارة» للعقاد: «فالقصَّتان على ما يتضحُ من سياقهما مستمدَّتان من حياةِ كاتبيْهما، وموضوعُ كلٍّ منهما يكادُ يكون واحداً. محورُهُ أنَّ شاباً يحبُّ فتاة، فتبدي له الفتاةُ من التدلُّه والصدِّ ما يقطعُ الصلةَ بين العاشقيْن».

ثم ختم كلامه بقوله: «ولا أريدُ أنْ يُؤخَذَ كلامي على أنَّ الأستاذ قطب نقَلَ من

---

(١) انظر «سيد قطب» للخباص: ٢٣٦ ــ ٢٣٨.

(٢) أشواك: ٥.

الأستاذ العقاد، فلكل منهما طريقتُه الخاصةُ في الكتابة، وفي معالجةِ تجربةِ الحياة التي عرضتْ له»[1].

وقد أصدرَ سيِّد قصته «أشواك» في شهر مايو ــ أيار ــ عام ١٩٤٧م، عن دار سعد مصر بالقاهرة[2].

١٠ ــ مشاهد القيامة في القرآن

أصدرَ سيِّد كتابَه هذا في أبريل «نيسان» ١٩٤٧م عن دار سعد مصر بالقاهرة[3].

وهو الكتابُ الثاني من «مكتبة القرآن الجديدة»، التي كان ينوي إصدارَها.

والكتابُ متمِّمٌ ومكمِّلٌ لكتابِه القرآنيِّ الأول «التصوير الفني في القرآن»، إذ هو شرحٌ وبيانٌ للتصوير في أُفُقٍ من آفاق التعبير القرآني، وهو «مشاهد القيامة».

فعندما أصدر كتابَه «التصوير الفني» عام ١٩٤٥م، تحدَّثَ فيه عن آفاقِ ومجالاتِ هذا التصويرِ في التعبير القرآني، ومن ضمنِها التصويرُ في مشاهد القيامة.

ولما تحدَّثَ عنها في ذلك الكتاب، قال: «ومشاهدُ القيامة هي أكثرُ المشاهِدِ تنوُّعاً في القرآن، حتى همـمتُ أنْ أُفردَ لها فصلاً خاصاً، لولا تضخُّمُ الكتاب»[4].

ثم أفردَ لها هذا الكتابَ بعد سنتيْن من كتابه الأول.

ومشاهدُ القيامة التي عرَضَها، هي التي تتفقُ مع تعريفه للمشهد «وهو الذي تتوافرُ فيه الصورةُ والحركةُ والإيقاع. أما المواضعُ التي وردَ فيها ذكْرُ اليوم الآخر مجرَّداً، أو ذكْرُ الجنةِ تجري من تحتها الأنهار، أو ذكْرُ العذابِ الأليم، أو المُهين، فلم أتعرَّضْ لها، وهي كثيرةٌ جداً، فلا تكادُ سورةٌ واحدةٌ من سور القرآن تخلو من ذكْرِ إشارة أو تلميح . . وكذلكَ أغفلْتُ القليلَ من المشاهد القصيرة»[5].

---

(١) مجلة المقتطف. المجلد: ١١٠. الجزء: ٥. سنة ١٩٤٧م.
(٢) انظر «سيد قطب»، للخباص: ٢٩٢ ــ ٣٠١.
(٣) مجلة الكتاب ٥: ١٦٨.
(٤) التصوير الفني في القرآن: ١١١.
(٥) مشاهد القيامة في القرآن: ٨.

والمشاهدُ التي عرَضَها مائةٌ وخمسون مشهداً، موزعةً في ثمانين سورة[1].

ومهَّدَ لتلك المشاهدِ بالحديث عن «العالم الآخر في الضمير البشري» عند الجاهلياتِ والأمم القديمة. ثم «العالمُ الآخر في القرآن».

وكانت طريقتُه في استعراضِ المشاهد «الطريقَ الاستعراضيَّ، مراعياً الترتيبَ التاريخي ــ على قَدْرِ الإمكان ــ لورودها، فعرضْتُها بترتيبِ السور التي وردَتْ فيها. ورتبتُ هذه السور حسَبَ نزولها. وذلك عملٌ تقريبي لا جزْمَ فيه..»[2]. وقد عدَلَ عن هذه الطريقةِ في تفسير «الظلال».

١١ ــ روضة الطفل

روضةُ الطفل عبارةٌ عن سلسلةٍ قصصية للأطفال، أَصدرَها بالاشتراك مع «أمينة السعيد» و «يوسف مراد».

وقد أصدروا من هذه الروضة حلقتيْن فقط:

الأولى: «أرنبو والكنز».

والثانية: «كتكت المدهش»

وصدرت الحلقتان عن دارِ المعارف بمصر، عام ١٩٤٧م.

والحلقتان من القصص المسَلِّية للأطفال.

وذكرت مجلة «الكاتب المصري»، أن الحلقتين قد نالَتا إعجابَ الأطفال.

والحلقتان مفقودتان الآن. ولهذا لم أتمكَّنْ من العثورِ على نسخةٍ منهما، رغمَ ما بذلتُ من جهد. وكذلك الباحثونَ الآخرونَ لم يعثُروا على نسخة منهما[3].

١٢ ــ القصص الديني للأطفال

أصدرَ عام ١٩٤٧م مع السيد عبد الحميد جودة السحار الحلقة الأولى من سلسلةِ «القصص الديني للأطفال» وصدرتْ عن مكتبةِ سعد مصر بالقاهرة.

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن: ٨.
(٢) المرجع السابق: ٩.
(٣) سيد قطب، للخباص: ٢٧٩.

وقد جعَلا عنوانَ الحلقة الأولى: «قصص الأنبياء».

وضمَّتْ هذه الحلقةُ ثماني عشرة قصة، وهي: آدم، سفينة نوح، إرمَ ذات العماد، ناقة صالح، إبراهيم يبحث عن الله، فداء إسماعيل، حلم يوسف، يوسف الصديق، مدين وشعيب، موسى والعصا، موسى والألواح، موسى والرجل الصالح، داوود، سليمان وبلقيس، عيسى بن مريم، أهل الكهف، قدرة الله.

وتتكوَّن كل قصة من هذه القصص من ستَ عشرةَ إلى عشرين صفحة. وكل قصةٍ ظهرتْ مستقلةً في رسالةٍ خاصة.

ولا أَدري هل شاركَ سيِّد الأستاذَ السحار في كتابة قصص الأنبياء الثماني عشرة، أم أنه شاركهُ في تأليفِ القصص الأولى منها!

المهمُّ أن السحارَ استقلَّ بإصدار ثلاثِ حلقات بعد ذلك: الثانية «قصص السيرة». والثالثة: «قصص الخلفاء الراشدين». والرابعة: «العرب في أوروبا»[1].

وقد أَشرْنا من قبل إلى الموقفِ العظيم لعبدِ الحميد السحار أمام شمس بدران، عندما ساوَمه بدران على طمْسِ وإلغاءِ اسم سيِّد قطب عن حلقات «القصص الديني»، مقابلَ إعطائه إذْناً بإعادةِ طباعتها، ورفْضِ السحار لذلك!

وبيَّن المؤلفانِ منهجَهُما في كتابةِ هذه القصص، وهدفَهما منها. بقولِهما في المقدمة: إنهما راعَيا اعتبارَيْن اثنَيْن في كتابة الحلقة:

«الأول: أن تكونَ النصوصُ القرآنية هي المصدرَ الأول لما نكتب، إذْ أنّا نعتقدُ أن للقرآنِ في هذه الناحية فكرةً تهذيبيةً معيَّنة.

الثاني: أن نحقِّقَ السردَ الفنيَّ للقصص، بما يربّي في الطفل الشعورَ الديني، ويقوّي الحاسَّةَ الفنية، وينمّي الذوقَ الأدبي»[2].

(١) سيد قطب للخباص: ٢٧٩.

(٢) المرجع السابق: ٢٧٩ ــ ٢٨٠.

١٣ ــ الجديد في اللغة العربية

١٤ ــ الجديد في المحفوظات

هما كتابان منهجيّان لطلبةِ مدارسِ وزارةِ المعارف. ألَّفهما مع آخرين من رجال المناهج في الوزارة.

الأول: احتوى على فقراتِ منهاج مادة اللغة العربية.

والثاني: احتوى على فقراتِ منهاج مادة المحفوظات.

وقد أصدرت الكتابيْن دارُ المعارف بمصر[1].

وكان هذان الكتابان مقرَّرَيْن على مدارس الوزارة، حتى بعدَ محنة سيِّد الأولى عام ١٩٥٤م، ومحاكمته والحكم عليه.

ولم يُلغَ هذان الكتابان إلاّ عند محنة سيِّد الثانية عام ١٩٦٥م.

يقول السيِّد عادل حمودة: «في ذلكَ الوقت ــ أيْ بعد الثورة ــ كانت كتاباتُ سيِّد ومؤلفاتُه توزَّعُ على المدارس التابعة للوزارة.. كما أنَّ أناشيدَه الوطنية كانت تُدَرَّسُ للتلاميذ في دروس المطالعة..

ولذلك قال عبد الحكيم عامر، عام ١٩٦٥م لكمال الدين حسين ــ عندما لامَه عبد الناصر بسبب محنة سيِّد ــ: «أيريدُ سيِّد قطب الذي كنتَ توزِّعُ كتبَه، أنْ يصنعَ من نفسه نبياً، ينزلُ عليه الوحي؟!».

وقد ظلَّتْ مؤلفاتُ وأناشيدُ سيِّد قطب في المدارس الحكومية، حتى بعدَ القبض عليه سنة ١٩٥٤م.. ولم يبدأ التخلصُ منها إلاّ بعدَ عشر سنوات، بعد أحداث ١٩٦٥م.

وقد قامتْ «دارُ المعارف» ــ التي كانت تنشرُ كتبَ سيِّد ــ بجمْعِ ما في مخازِنها

(١) المرجع السابق: ٣٦١. وانظر «في ظلال القرآن» قائمة كتب سيد في آخر المجلد الثامن من الطبعات اللبنانية.

ومكتباتِها من نسخٍ لمؤلَّفات سيِّد. . وأحرقَتْها. . وكان تصرُّفُها هذا شاذاً وغريباً. .»[1].

١٥ ــ النقد الأدبي: أصوله ومناهجه

أصدر سيِّد كتابه «النقد الأدبي أصوله ومناهجه» في شهر يونيو ــ حزيران ــ عام ١٩٤٨م[2].

وهو الكتابُ النقديُّ الرابع والأخير له.

وقد أهدى سيِّد كتابَه إلى روحِ الإمام عبد القاهر الجرجاني: «روحِ الإمام عبد القاهر، أولِ ناقدٍ عربيّ، أقامَ النقدَ الأدبيَّ على أسسٍ علميّة نظريّة. ولم يطمسْ بذلك روحَه الأدبيةَ الفنية»[3].

وقد بشَّرَ في كتابه هذا بنظريةٍ جديدة في النقد الأدبي، هي «نظريةُ الصور والظلال» في العمل الأدبي. وقد كان هو صاحبَ النظرية ورائدَها، وكان متوقَّعاً أَنْ يدعَمها بالمزيدِ من دراساتِه ونظراتِه وتحليلاتِه، لولا أنه انصرفَ إلى الفكرِ الإسلامي.

قسَّم سيِّد كتابه إلى قسمين:

القسم الأول: خصصَه للحديث عن أصولِ النقد الأدبي، حيث بيَّن فيه صلةَ العملِ الأدبي بالحياة. ثم تحدثَ فيه عن القيمِ الشعورية والقيم التعبيرية في العمل الأدبي، وبيَّن أنه لا انفصالَ بينهما، وأنهما مرحلَتان متعاقبتان:

القيمُ الشعوريةُ تحدثُ أوَّلاً في النفس، وتَنتجُ عن تجربةٍ شعورية، ومعاناةٍ حقيقية.

ثم تليها القيمُ التعبيرية، حيث يعبِّر الأديبُ وهو في حالة شعورية متوهِّجة، عمّا عاناه وأحسَّ به، فتكون هذه التعابيرُ صادقةً في الدلالةِ على شعورِ صاحبها.

---

(١) سيد قطب لعادل حمودة: ١١١ بتصرف واختصار.

(٢) مجلة الكتاب ٦: ٢٨٨.

(٣) النقد الأدبي: ٣.

وقد تحدَّثَ في القيمِ التعبيرية عن الألفاظ، وكيفيةِ دلالتِها على المعاني الذهنية أوَّلاً. ثم على الصورِ والظلالِ المصاحبةِ لها..

وبيَّن كيفَ يستخدمُ الأديبُ ـ الناجحُ الصادق ـ الألفاظَ للدلالةِ على تجاربه الشعورية.

وقد استفادَ سيِّد في كلامِه عن القيم الشعورية والقيم التعبيرية، من طريقة القرآن في التعبير، وهي التصوير الفني.

ثم تحدَّث عن فنون العمل الأدبي، وهي: الشعر والقصة، والأقصوصة، والتمثيلية، والترجمة، والسيرة، والخاطرة، والمقالة، والبحث.

والقسمُ الثاني من الكتاب، خصَّصهُ للحديث عن مناهج النقد الأدبي. والمناهجُ التي عرَضها أربعة هي: المنهج الفني، والمنهج التاريخي، والمنهج النفسي، والمنهج المتكامل.

وهو ـ وإن كان يميلُ إلى المنهج الفني ـ إلّا أنه دعا إلى الأخْذ بالمنهجِ المتكاملِ، لأنه يجمعُ بين المناهج كلِّها، ويتلافى المآخذَ التي عليها..[1].

١٦ ـ العدالة الاجتماعية في الإسلام

أَنهى سيِّد تأليفَ كتابه قبلَ سفرِه إلى أمريكا عام ١٩٤٨م. وعهِدَ إلى شقيقِه محمد بطبعه. وظهرَ في أبريل ـ نيسان ـ عام ١٩٤٩م[2].

وهو أولُ مؤلَّفاته في الفكرِ الإسلامي.

فقد سبقَ أنْ أصدرَ كتابيْن في الدراسة البيانية للقرآن ـ التصوير الفني ومشاهد القيامة ـ وكان ينوي الاستمرارَ في الدراسة البيانية للقرآن، وإصْدارَ كتب تبيِّنُها وتفصِّلُها.

---

(١) انظر «سيد قطب»، للخباص: ٢٣٨ ـ ٢٤١.

(٢) مجلة الكتاب ٧: ٧٥٦.

ولكنه فوجىءَ بوجودِ قواعدَ ومناهجَ في هذا القرآن، تصلحُ أَساساً لإنشاءِ مجتمعات، فنظرَ فيها، ودَرَسها، وقدَّمها للناس.

وقد اختارَ ميدانَ الإصلاح الاجتماعي ليكتبَ فيه، ويُبينَ منهجَ القرآن في إقرارِ العدالة الاجتماعية، لأنَّ مصرَ كانتْ تعيشُ ظروفاً اجتماعيةً واقتصاديةً حرجة، وبخاصةٍ بعد الحرب العالمية الثانية، وظهرت الفوارقُ بينَ فئاتِ المجتمع وطبقاتِه بصورةٍ حادَّة بارزة، وبرزَ أغنياءُ الحرب المستغلّون والمنتفعون، بينما ازدادتْ غالبيةُ الشعب المصري فقراً وجوعاً وحرماناً.

وفي هذه الظروفِ الحرجة نشطَ الشيوعيونَ في الدعايةِ لمذهبهم الشيوعي، فانتشروا في أوساطِ المحرومين والمُعْدَمين.

وكان سيِّد يعيشُ هذه المأساة، ويزعجُه ما يراه من مظاهرها الشائهة. فحاوَلَ القيام بالإصلاح الاجتماعي والاقتصادي، فأنشأَ مجلةَ «الفكر الجديد» لهذا الإصلاح، وهي لم تدُمْ طويلاً. ونشرَ الكثيرَ من المقالاتِ الإصلاحية..

أمعنَ النظر في القرآن، وفي آياتِه التي تدْعو إلى الإصلاحِ الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي والسياسي. وسجَّلَ ما تلقّاه عنها من إيحاءات.

وهو أوَّلُ مَنْ أطلقَ هذا المصطلح «العدالة الاجتماعية» حيثُ صارَ يستعملُه الباحثون والكاتبون بعدَ ذلك بدلَ مصطلح «الاشتراكية».

بدأَ سيِّد كتابَه ببيانِ الفرْق بين نظرة المسيحية ونظرة الإسلام، لكلٍ مِنَ الدين والمجتمع. وركَّز على البُعدِ الاجتماعي للإسلام.

ثم تحدَّثَ عن طبيعةِ العدالة الاجتماعية في الإسلام، وأَنَّها تقومُ على أسسٍ ثلاثة:

١ ــ التحررُ الوجداني المطلق.

٢ ــ المساواةُ الإنسانية الكاملة.

٣ ــ التكافلُ الاجتماعي الوثيق.

وتحدَّثَ عن وسائل الإسلام في تحقيقِ عدالته الاجتماعية، وأنَّ مجملَها في وسيلتيْن هما: التشريع والتوجيه.

ثم انتقل للحديث عن كل من «سياسة الحكم» و «سياسة المال» في الإسلام، حديثاً مفصَّلاً.

ووقفَ طويلاً عند أمريْن هما: «الملكية الفردية» و «الزكاة».

واستعرضَ بإيجاز «الواقعَ التاريخي» للمسلمين، ولاحظَ مدى قُربِهم أو بُعدِهم في تاريخهم عن العدالة الاجتماعية، بقسميْها «سياسة الحكم» و «سياسة المال».

وختم كتابَه باستشرافِ حاضرِ الإسلام ومستقبلِه المشرق، ودعا الأمةَ التي تعيشُ على «مفترق الطرق»، إلى إقرارِ العدالة الاجتماعية، والإصلاحِ المالي والسياسي في حياتها، على أساس الإسلام.

وقد أشرْنا سابقاً إلى إهدائِه كتابَه لفتيةٍ، توقَّعَ قدومَهم لإقرار العدالة الاجتماعية، وأنَّه لم يقصِدْ بهم ــ في طبعة الكتاب الأولى ــ شبابَ الإخوان المسلمين، ولكنَّ الحكومةَ ظنتْ ذلك، فحاربت الكتاب.

وأشرْنا إلى أثرِ الكتاب في مختلفِ الأوساط: الحكومية والشيوعية والإخوانية، وأنَّ سيِّد اقتربَ بكتابه هذا كثيراً من الإخوان المسلمين، إلى أَنْ ربطَ مصيرَه بمصيرهم بعد ذلك.

وقد اتهمَ محمود شاكر سيِّدَ قطب في العدالة بإساءتِه القولَ في حقِّ الصحابة، وتهجُّمِه على معاوية بن أبي سفيان، ومَنْ معه من الصحابة، وانتقادِه للخليفة الراشد عثمان بن عفان.

وقد طُبِعَ الكتاب عدةَ طبعات في حياةِ سيِّد، كانت آخرَها الطبعةُ السادسة التي أصدرتْها «دار إحياء الكتب العربية» عام ١٩٦٤م. وهي طبعةٌ منقَّحة، حيث حذفَ منها العباراتِ التي أخذَها عليه محمود شاكر وغيرُه، والمتعلقة بعثمان ومعاوية ــ رضي الله عنهما ــ. وأضافَ لها فصلَ «التصور الإسلامي والثقافة» أحدَ فصول «معالم في الطريق».

أيْ أنَّ سيِّد أضافَ لكتاب العدالة الاجتماعية عام ١٩٦٤م، أفكارَه الحركية الإسلامية، ودعوتَه إلى بعثٍ إسلاميٍّ طليعي، واستئنافِ الحياة الإسلامية على أساسِ مبادىء الإسلام.

وبهذا نعرفُ أن سيِّد لم يتخلَّ عن كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، بل بقيَ يقولُ بما فيه من مبادئَ وأسسٍ وأفكارٍ حتى محنته عام ١٩٦٥م[1].

١٧ ــ معركة الإسلام والرأسمالية

انقطعَ سيِّد عن الكتابةِ والتأليف مدةَ سنتين، من ١٩٤٨م إلى ١٩٥٠م، أثناء وجوده في أمريكا.

ولما عادَ إلى مصر، وجدَ الأوضاعَ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فيها تزدادُ سوءاً، ووجد أنَّ الرأسماليين والمستغِلّين والقصرَ وأغنياء الحرب، هم المسؤولون عن ذلك.

فألَّف كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية»، الذي صدر عن دارِ الكتاب العربي بمصر، في شهر فبراير «شباط» عام ١٩٥١م[2].

وبما أنهُ يتحدث فيه عن المعركةِ بين الإسلام والرأسمالية، فقد كتبهُ بأسلوبِ المعركة، أسلوبِ القوة والحدة والثورة، وكأنه فيه يُصدرُ بلاغاتٍ عن سيرِ تلك المعركة!

أطلقَ في الفصلِ الأول «صيحةَ النذير» في وجوه المتحكِّمين: إن الوضعَ الاجتماعيَّ السيِّىء في البلاد لا بدَّ أنْ يتغيَّر، ولا بدَّ من حدوثِ هزَّةٍ، تزلزلُ البنيةَ الاجتماعيةَ بكاملها.

وفي الفصلِ الثاني «إني أَتهم» توجَّهَ بأصابعِ الاتهام إلى القائمين على الأوضاعِ الاجتماعية والسياسية. لأنهم يشلّون قوى الأمة عن العمل والإنتاج، ويُهدرونَ كرامة الشعب، ويُشيعونَ الفساد في المجتمع، ويدفعونَ الناس للارتماءِ في أَحضان الشيوعية دفعاً.

وفي فصل «في الإسلام خلاص»، بيَّن ــ وبوضوح ــ أن الإسلامَ وحده

---

(١) انظر مقالنا «العدالة الاجتماعية في الإسلام هل تخلى عنه سيد قطب؟» في مجلة «المجتمع». السنة الحادية عشرة. عدد: ٥٣٢. سنة ١٩٨١م. صفحات: ٢١ ــ ٢٣.

(٢) مجلة الكتاب ١٠ : ٤٥٠.

هو القادر على علاج كافة المشكلات الاجتماعية الخطيرة، وذلك عندما يتسلَّمُ قيادةَ وتوجيهَ الأمة.

وفي فصل «شبهات حول حكم الإسلام» رصدَ بعضَ الشبهات التي يُثيرُها أعداءُ الحل الإسلامي حول حكمِ الإسلام، وفنَّدها وأبطَلها، مثل «بدائية الحكم»، و«حكم المشايخ والدراويش»، و«طغيان الحكم»، و«غموض النصوص»، و«الحريم»، و«الأقليات».

وفي الفصل الأخير «عداوات حول حكم الإسلام» كشفَ عن أهمِّ العداواتِ لحكم الإسلام وبواعثِها وأشخاصِها، وأظهرَ خفاياها، وأبانَ عن خطرها، وهذه العداوات هي: «عداوات الصليبيين»، و«عداوات المستعمرين»، و«عداوات المستغلين والطغاة»، و«عداوات المحترفين من رجال الدين»، و«عداوات الشيوعية والشيوعيين».

وقد عرَّف بالكتاب غيرُ واحد من الباحثين، فامتدحوه، وأَثنوا عليه وعلى صاحبه. ومن الذين أشادوا به «إبراهيم الوائلي» و«محمد صادق رستم»، وذلك في مجلة الرسالة[1].

وكان الكتابُ صيحةً قويةً عاليةً، جريئة صادقة، أطلقَها سيِّد في وجْه المسؤولين عن الأوضاعِ الشائهة في البلاد.

١٨ ــ السلام العالمي والإسلام

بعدَ بضعةِ شهور من كتاب «معركة الإسلام والرأسمالية»، ظهر سيِّد على الناس بكتابٍ ثوريٍّ إصلاحيٍّ آخرَ هو «السلام العالمي والإسلام»، حيث صدرَ عن دارِ الكتاب العربي في أكتوبر «تشرين أول» عام ١٩٥١م[2].

وقد أَلَّفَ كتابَه في فترةِ اضطرابٍ عالمي، اضطرابٍ في أَوضاعِ العالم

(١) انظر «سيد قطب»، للخباص: ٣١٨ ــ ٣١٩.
(٢) مجلة الكتاب ١٠: ٩٣٠.

السياسية، وتغيُّرِ مراكز القوى والثِّقل فيه، وبخاصةٍ بعد الحرب العالمية الثانية، وظهورِ أمريكا قوةً جديدة، وارثةً للقوى الأوروبية الاستعمارية، وبخاصةٍ الإنجليزية والفرنسية. وظهورِ الأسلحة الذرية النووية، وتهديدِ السلام العالمي بالرعب النووي. . وعيشِ الناس في العالم في قلق وهلع ورعب، من جراءِ ذلك.

لقد لاحظَ سيِّد أن ما نتجَ عن الحرب الثانية من قوى جديدة، وأسلحةٍ جديدة، لم يحقِّق السلامَ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والنفسي في العالم. بل قادَ إلى عكسِ ذلك السلام المأمول!

ووازنَ سيِّد بين هذا الاضطرابِ العالمي، وبين السلام العالمي الذي يقررُه الإسلام ويدعو إليه، ويحققُه عندما يتولَّى القيادة والتوجيه. فقدمَ ملامحَ هذا السلام العالمي الإسلامي.

لقد أدارَ كتابَه على سؤال: «مشكلةُ السلام العالمي: هل للإسلام فيها رأي؟ ولها عنده حلّ؟ هذا الكتابُ كلُّه هو الإجابةُ التفصيلية على هذا السؤال!»[1].

عرضَ في كتابه بالتفصيل، أربعة مجالات للسلام في الإسلام: سلام الضمير. سلام البيت. سلام المجتمع. سلام العالم.

وكان يقارنُ بين السلامِ كما يقررُه الإسلام، والاضطرابِ والقلق والعقد والأمراض التي تنتجُها المجتمعاتُ الجاهلية المعاصرة، وبخاصةٍ المجتمعَ الأمريكي، قائدَها ورائدَها.

وبيَّن في كتابه، أن التكتلاتِ والمعسكرات العالمية الآن، هي المستفيدةُ من الحروبِ والقلقِ والفساد في هذا العالم، ولذلك هي تحاربُ الإسلام بعنف، كي تحجبَ نورَه عن العالم، ولئلا يحقِّقَ مبادئه في السلام العالمي.

وقدْ عقدَ في آخر الطبعةِ الأولى من الكتاب فصلًا، بعنوان «الآن» تحدثَ فيه عن السياسةِ الاستعماريةِ الأمريكية في المنطقة، وكشفَ زيفَ الادعاءاتِ الأمريكية، حول المعوناتِ المالية والاقتصادية الأمريكية، لدولِ العالم الثالث النامية.

(١) السلام العالمي والإسلام: ١٢.

وقد ضاقَتْ المخابراتُ الأمريكية بهـذه التحليلات الصـائبة لسيِّـد، فأوصتْ إلى السلطاتِ المصرية بحذف هذا الفصل «الآن»، من الطبعاتِ اللاحقة للكتاب![1]

١٩ ــ في ظلال القرآن

في ظلال القرآن، من أشهرِ كتبِ سيِّد قطب. وهو تفسيرٌ كامـل للقرآن، أصـدرهُ سيِّد في ثلاثين جزءاً ــ بعددِ أجزاء القرآن ــ .

وسجـلَ فيه آراءه وأفكـارَه، وتصوُّرَه لـلإسـلام والـدعـوة والحـركـة والمـواجهـة والتغيير.

قال عنه الأستاذُ محمد قطب: «الكتابُ الذي عاشهُ صاحبهُ بروحهِ وفكره وشعوره وكيانه كله. .

وعاشه لحظةً لحظة، وفكرةً فكرة، ولفظةً لفظة. .

وأودعَهُ خلاصةَ تجربتهِ الحية في عالَم الإيمان. . »[2].

وقد كتب اللّهُ للظلال القبولَ والذيوعَ والانتشارَ بين الناس، ويبدو أن السببَ في ذلك ــ كما يقول أستاذُنا الدكتور أحمد حسن فرحات ــ هو أنَّ سيِّد قطب كتبَ الظلال مرتيْن: مرةً بِمدادِ العالِم، ومرة بدماءِ الشهيد!

وقد تعاملْتُ مع الظلال كثيراً وطويلاً، والحمدُ لله. وكانت رسالتي للدكتوراة عنه «في ظلال القرآن دراسة وتقويم»، حيثُ أصدرْتُها بعـد ذلك في ثـلاثةِ كتب: «مـدخل إلى ظـلال القـرآن» و «المنهـج الحـركي في ظـلال القـرآن» و «في ظـلال القـرآن في الميزان».

وقد أشرتُ في تمهيدِ الكتاب الأول «مدخل إلى ظلال القرآن» إلى قصة سيِّد مع الظلال، والمراحلِ الأربعة التي مـرَّ بها الـظلال، وأُوجزُ هنـا خلاصـةً موجـزةً لكلامي هناك. .

---

(١) انظر «سيد قطب» للخباص: ٣١٩ ــ ٣٢٠.

(٢) الظلال ــ طبعة الشروق ــ ١ : ٩.

. . . كانتْ إحدى أماني سيِّد ــ بعدَ اكتشافه نظريةَ التصوير الفني في القرآن ــ أن يعرضَ القرآنَ على أساسها، وأَنْ يبيِّنَ ما في آياتـه من خصائص وسمـات التصويـر الفني بالتفصيل. وحقَّقَ بعضَ هذه الأمنية في الظلال.

وقد مرَّ الظلال بأربعِ مراحل:

* **المرحلةُ الأولى**: الظلال في مجلة «المسلمون»:

لمّا أصدَرَ سعيد رمضان مجلة «المسلمـون»، في نهايـة عام ١٩٥١م، طلبَ من سيِّد قطب أنْ يشاركَ فيها بمقـال دائم. فاختـارَ أن يبدأَ الكتـابة في تفسير القرآن، تحتَ عنوانٍ جديدٍ مثير، هو «في ظلال القرآن».

وبهذا تكونُ قد ظهرتْ الحلقةُ الأولى من «الظلال» في العـدد الثالث من المجلة الذي ظهر في شهر فبراير «شباط» عام ١٩٥٢م.

واستمـرت المجلة تنشرُ حلقـاتِ الظلال في أعـدادها الـلاحقة بـالتتـابـع، حيثُ نشرتْ سبعَ حلقات، انتهت الحلقةُ السابعة عند الآية (١٠٣) من سورة البقرة.

* **المرحلة الثانية**: الظلالُ قبيْلَ اعتقال سيِّد قطب:

أعلنَ سيِّد في نهايةِ الحلقة السابعة من الـظلال في «المسلمون» عن تـوقُّفِ نشرِ الظلال في المجلة ابتداءً من عددها القـادم ــ العاشـر ــ حيث سينشرُ فيهـا حلقاتٍ من بحث جديد، هو «نحو مجتمع إسلامي».

أما الظلالُ فسوف يظهرُ في كتب مستقلة، على عدد أجزاءِ القرآن، كلُّ جزءٍ من القرآن في جزء من الظلال، وسوف يُصدرُ في كل شهريْن جزءاً منها.

وفعلاً ظهرَ الجزءُ الأول من الظلال في شهر أكتوبـر «تشرين أول» عـام ١٩٥٢م، عن دارِ إحياءِ الكتب العربية بالقاهرة.

ووفَّى سيِّـد في تعهُّدِه للقـراء، فكان يُصـدرُ كلَّ شهـريْن جزءاً من الـظلال، فيه تفسيرُ جزءٍ من القرآن!

وفي الفتـرةِ ما بين أكتـوبر «تشـرين أول» ١٩٥٢م إلى ينايـر «كانـون ثاني» عـام ١٩٥٤م، أصدرَ ستة عشر جزءاً من الظلال.

* **المرحلة الثالثة**: سيِّد قطب يكملُ الظلالَ في السجن:

قُدِّم سيِّد للمحاكمة، ثم حُكِمَ عليه بالسجن خمسة عشر عاماً.

في الفترةِ الأولى من سجنه لم يُصدرْ أجزاءً جديدة من الظلال، بسبب العذاب الرهيب الذي صُبَّ عليه.. ولكن لما استقرَّ في سجن «طرة» وتوقف العذاب عنه، وأُدخلَ مستشفى سجن طرة بسبب أمراضِه العديدة، انصرفَ إلى إكمالِ الظلال من هناك.

وقد يسَّرَ الله لسيِّد الكتابةَ في السجن، وللناشرِ طبعَ الظلال، رغمَ أن لوائحَ السجون تمنعُ الكتابةِ داخلَها، ولا تسمحُ للسجين امتلاكَ أدواتِ الكتابة، وتعاقبُه إنْ ضُبطتْ في حوزته.

وذلكَ أن سيِّد كان قد تعاقدَ مع الناشر ـ دار إحياء الكتب العربية ـ على كتابةِ تفسيرٍ كامل للقرآن.. فلما منعتْهُ الحكومةُ من الكتابةِ داخلَ السجن، رفع الناشرُ على الحكومة دعوى، يطالبُها فيها بدفعِ آلافِ الجنيهات، تعويضاً له عن الضررِ الذي وقع به بسبب ذلك. واختارت الحكومةُ السماحَ لسيِّد بالكتابة، بدلَ دفعِ التعويض للناشر.

وادَّعى عبدُ الناصر للعلماءِ الباكستانيين أنَّ سيِّد ليسَ سجيناً، بل هو حرٌ طليق، بدليل نشْر الظلال في القاهرة! وصارَ الموظفونَ الرسميّون في الخارج يُجيبونَ بجوابِ الرئيس إذا سُئلوا عن سيِّد قطب!

وقد عينت الحكومةُ الشيخَ محمد الغزالي رقيباً دينياً على الظلال، يطَّلعُ على أصوله قبل صدورها من المطبعة، وقد أجازَ الغزالي كلَّ أجزاءِ وملازمِ الظلال في طبعتِه الأولى. ولم يَحذفْ منها إلَّا تعقيبَ سيِّد على سورة البروج، الذي نشره بعد ذلك في فصل «هذا هو الطريق» من كتاب «معالم في الطريق».

وقد أكملَ سيِّد الظلالَ في السجن في نهاية الخمسينيات...

* **المرحلة الرابعة**: الطبعة المنقحة للظلال:

كان تفسير سيِّد في الطبعةِ الأولى من الظلال لا يعدو أنْ يكونَ تسجيلاً لخواطره

المتنوِّعة حول الآيات، وبياناً لما فيها من جمالٍ وفنٍّ وتصوير، وعَرْضاً لبعضِ ما تضمنتْهُ من مبادىءَ ومناهجَ.

ولكنه في سجنه طالتْ حياتُه مع القرآن، وتفكيرُه في الأحداثِ المتوالية، والمحنِ المتتابعة، التي مرتْ به وبالإخوان المسلمين، وتعليلُه سرَّ هذه الأحداث، ونظرُه في منهج الحركة الإسلامية، في الدعوة والتربية والإصلاح والجهاد والتغيير.

وقدْ هداهُ الله إلى إدراكِ المفتاح الحركي الذي فتح به كنوزَ القرآن الحركية، ووقفَ به على المنهجِ الحركي في الدعوة والحركة، وعلى الطبيعةِ الحركية للقرآن الكريم!

وقف على ذلك وهو يفسِّرُ الأجزاءَ الثلاثة الأخيرة من الظلال. فسجلَ في تلك الأجزاء بعضَ مفهوماته الحركية الجديدة. وكان هذا في أواخرِ الخمسينيّات كما قلنا.

ولذلك دعت الحاجةُ إلى أَنْ يُعيدَ تفسيرَ القرآن على أساسِ هذا المنهج الحركي الجديد، وأَنْ يُعيدَ كتابَه الظلال ليضمِّنَه هذه المعاني الجديدة.

وهكذا جاءت الطبعةُ المنقَّحة من الظلال، والتي أصدرَ الجزءَ الأول منها في مطلع عام ١٩٦٠م، عن دار إحياء الكتب العربية..

وإذا كان كتابُ «التصوير الفني في القرآن» بياناً للمفتاحِ الجمالي، الذي فتحَ به سيِّد كنوزَ القرآن الجمالية، فإن الطبعة الجديدةَ المنقَّحة من الظلال هي «المفتاح الحركي»، الذي فتحَ به سيِّد كنوزَ القرآن الحركية المذخورة فيه.

وإنَّ سيِّد قطب في الظلال، يُعتبرُ «مجدِّداً» في عالم التفسير لما أضافَه من معانٍ وأفكار حركيةٍ وتربوية على التفاسير السابقة، كما أن سيِّد في الظلال يُعتبرُ مؤسِّساً لمدرسةٍ جديدة في التفسير، هي «مدرسة التفسير الحركي»!!

كتب سيِّد الأجزاءَ العشرةَ الأولى من الطبعة المنقحة، على ضوءِ منهجه الحركي الجديد، في فهمِ القرآن وتفسيره، وكان يسهبُ القولَ فيها، ويطيلُ النَّفَس، ويُكثِّرُ من التفسير. وكانت أطولُ وأعمقُ وقفاته، تلك التي تتعلَّقُ بقضايا: العقيدة والدعوة والحركة والجهاد والتشريع والجاهلية...

وكان الجزءان السابع والثامن ـ اللذان ضمَّا تفسيرَه لسورة الأنعام ـ هما أكثر الأجزاء تركيزاً، وأنضجَها فكراً، وأوضحَها دلالةً على منهجه الحركي الجديد.

ولما أُفرجَ عنه بعفوٍ صحي عام ١٩٦٤م، تابع كتابةَ الأجزاء، فنشرَ الأجزاء الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر.

وبذلك يكونُ قد وصلَ في الطبعة المنقحة من الظلال إلى آخرِ الجزء الثالث عشر، الذي تنتهي به سورة إبراهيم عليه السلام.

وكان سيِّد يريدُ أن يُكمِلَ كتابةَ باقي الأجزاء من الرابع عشر حتى السابع والعشرين على أساسِ منهجه الحركي الجديد في التفسير.

ولكنَّ الطغاة عجّلوا باعتقالِه ثم محاكمتِه ثم إعدامِه، قبل تحقيق أمنيته!

هذه هي قصةُ الظلال في حياة سيِّد، بمنتهى الإيجاز.

وبعد استشهاد سيِّد عام ١٩٦٦م صارتْ دورُ النشر في لبنان تتسابقُ وتتبارى في نشرِ الظلال، وكتبِ سيِّد الأخرى، فظهرَ الظلالُ في طبعاتٍ مسروقة في ثمانية مجلدات، ثم طُبعَ أخيراً طبعةً قانونية مشروعة بإذن من الأستاذ محمد قطب، حيث أصدرتْهُ دارُ الشروق في ستة مجلدات.

ومعظمُ الذينَ كتبوا عن سيِّد كُتباً أو مقالات، تكلَّموا عن الظلال، وعن مزاياه.

من هؤلاء «محمد توفيق بركات»، في كتابه «سيِّد قطب: خلاصة حياته. ومنهجه في الحركة. والنقد الموجه إليه».

والأستاذُ يوسف العظم، في كتابه «رائد الفكر الإسلامي المعاصر سيِّد قطب».

والدكتور فضل عباس، في رسالتِه للدكتوراة «تيارات التفسير في العصر الحديث».

والدكتور إسماعيل نواهضة، في رسالتِه للماجستير «سيِّد قطب ومنهجه في التفسير».

والدكتور محمد لطفي الصباغ، في كتابه «لمحات في التفسير وعلوم القرآن».

والدكتور عدنان زرزور، في فصْلِه الجيد «الظلال بين كتب التفسير» من كتابه «علوم القرآن».

والدكتور أحمد حسن فرحات، في كتابِه الذي جمعَه من الظلال «فقه الدعوة».

والسيد أحمد فايز، في دراساته الثلاث: «طريق الدعوة في ظلال القرآن»، و «اليوم الآخر في ظلال القرآن»، و «دستور الأسرة في ظلال القرآن»

وأصدرَ السيد محمد علي قطب «فهارسَ في ظلال القرآن»، كما أصدر السيد محمد يوسف عباس فهارسَ أخرى، سماها «مفتاحُ كنوز في ظلال القرآن».

وتُرْجِمَ الظلالُ إلى العديد من اللغات الأجنبية، مثل الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية والأوردية والأندونيسية وغيرها.

وكان الظلالُ من أكثرِ الكتب الإسلامية انتشاراً في هذا القرن!![1].

٢٠ ــ دراسات إسلامية

أصدرَ سيِّد كتابَه هذا عام ١٩٥٣م، حيث نشرتْهُ له مكتبةُ لجنة الشباب المسلم.

والكتابُ عبارةٌ عن خمسٍ وثلاثين مقالةً إسلامية، نشرَها سيِّد في المجلاتِ الأدبية، والإسلامية قبيلَ الثورة، وبعدَ قيامِها مباشرة، مثل مجلات: الرسالة، والدعوة، والاشتراكية، واللواء الجديد، وغيرها.

وصاغَ سيِّد كتابَه ــ أو مقالاته ــ بأسلوبٍ قوي جريء صريحٍ حاد، هاجمَ به مظاهرَ الفسادِ والانحراف والظلم في المجتمع.

وقدَّم الكتاب ــ في طبعته الأولى ــ السيدُ «محب الدين الخطيب»، وأطلقَ على سيِّد لقب «لسان الدين»، واعتبرَ أنَّ أهمَّ مميزات أدب سيِّد، هي القوة. وأطلقَ على أدبه لقب «أدب القوة»، وبيَّن في المقدمة كيف أنَّ قوةَ كلمات سيِّد، كانت تزعجُ قوى الظلم والطغيان في البلاد.

---

(١) انظر هذه المعلومات عن الظلال مفصلة في كتابنا «مدخل إلى ظلال القرآن»: ٤٠ ــ ٥٥.

وتمنّى على سيِّد لو يصدرُ كتاباً مثلَه كلَّ عام، يتحفُ به القراءَ والمثقَّفين والعاملين.

وقد حُذفتْ مقدمةُ محب الدين الخطيب من طبعاتِ الكتاب اللاحقة[1].

٢١ ــ هذا الديِّن

أصدرَ سيِّد كتابه «هذا الدِّين» من السجن، وطبعتْه دارُ القلم بالقاهرة عام ١٩٦٠م.

وسببُ تأليف الكتاب هو ما لاحظَهُ سيِّد على وجوهِ إخوانه من بعضِ شباب الإخوان المسلمين، حيثُ زُجَّ بهم في سجونِ عبد الناصر، لاقوا فيها ما لاقوا من صنوفِ التعذيب والأذى، وبذلك فُجعوا في آمالهم وأمانيهم، فتزعزعَتْ ثقةُ بعضِهم بنفسه، وبقدرةِ هذا الدين على مواجهةِ الجاهلية، وعلى إمكانيةِ تحقيقِ أهدافِ الحركة الإسلامية العملية.

فكَّرَ سيِّد في ما يعيشُه بعضُ إخوانه.. وفكَّر في تعليلِ ما مرَّ به وبالإخوان من أحداث. وفكَّرَ في طبيعةِ هذا الدين.. وفي منهجه في العمل والدعوة.. فكان كتابُه «هذا الدين».

في كتاب «هذا الدين» بيانٌ لطبيعةِ هذا الدين وخصائصِه، وأنه منهجٌ للبشر، لا يعملُ وينتصرُ بطريقةٍ سحرية غيبية، وإنما وفقَ سننٍ مطَّردة، وأسبابٍ مادية، وبجهودِ البشر أنفسِهم.

وأنه منهجٌ ميسَّر، لا عسْرَ فيه ولا مشقة، ويسهُلُ على النفوس الجادة حملُه والنهوضُ بتكاليفه.

وأنه منهجٌ متفرد، لا يماثلُه منهجٌ آخر من المناهج الأرضية.

وأنه منهج مؤثِّر، يؤثِّرُ في النفوس والمجتمعات، عندما تقبلُ عليه.

---

(١) انظر مقدمة محب الدين الخطيب للكتاب في كتاب محمد علي قطب «سيد قطب أو ثورة الفكر الإسلامي»: ١١٢ ــ ٦١٥.

وبيَّن في هـذا الكتـاب أن لهـذا الـدين رصيـداً من النجـاح والتحقُّق في عـالم الواقع.

ويتمثلُ هذا الرصيد في: رصيدِ الفطرة، ورصيدِ التجربة.

إنَّ كتابَ «هذا الـدين» يُعتبرُ ممثّـلاً لمرحلةٍ جـديدة في فكْـر سيِّد، وهي مـرحلةُ «الفكر الحـركي الإسلامي»...

وقد عرَّفتْ بالكتاب مجلةُ «حضارة الإسلام» الـدمشقية، وأثنَتْ عليـه. وذلك في عددها الثالث لعام ١٩٦١م[1].

٢٢ ــ المستقبل لهذا الدين:

أصدره بعد «هذا الدين» مباشرة، ونشرتْهُ له مكتبةُ «وهبة» في القاهرة.

وهـو مكمِّلٌ ومتمِّمٌ لكتـاب «هذا الـدين» حيثُ بيَّن فيه كيفَ أن المستقبـلَ لهـذا الدين، وقدَّم فيه تثبيتاً لشبابِ الإخوان بأنَّ المستقبلَ لهم ولدعوتهم ولإسلامهم.

بيَّنَ فيه كيفَ أن الإسلامَ منهاجُ حياةٍ كـامل شـاملٍ، يستـوعبُ مختلفَ شؤونِها، ويقيمُهـا على أسسِه ومبـادئِه. ويلبّـي حـاجـاتِ الإنسـانيـة كـافـة. ولا يـوجـدُ أيُّ دينٍ أو نظام، أو مبدأ، يؤدّي هذه المهمة. ولذلك كانَ المستقبلُ لهذا الدين!

وتحدَّثَ في كتابه عن الفصام النكد بين الديـانة النصـرانية المحـرَّفة وبين العلم الحديث في أوروبا، وأنه لا يمكنُ وقوعُ مثلِ هذا في الإسلام.

كما بيَّنَ فيه أنـهُ قد انتهى دورُ الـرجل الأبيض في قيـادةِ البشريـة، لأنَّ الحضارة الغربية قد استنفدَتْ أغراضَها.

وسجَّلَ فيه بعضَ صيحاتِ التحذير والخطر، التي أطلقَها علماءُ غـربيّون هنـاك، والتي أعلَنوا فيها قربَ اندثارِ تلك الماديةِ الغربيـة لخواءِ الروحِ عندهم.

وقررَ أنه لا بدَّ من مخَلِّص، وأنهُ لا يكونُ إلّا الإسلام.

---

(١) انظر «سيد قطب»، للخباص: ٣٢٣ ــ ٣٢٤.

وفي الحقيقةِ، فإن في الكتابيْن «هذا الدين» و «المستقبل لهذا الدين» عواملَ كثيرةً من التشجيعِ والتثبيتِ والطمأنينة، وقدْ أَدَّيا دَوْرَهما في نفوسِ شبابِ الإخوان وغيرِهم من دعاةِ الإسلام.

وقد انتشرَ الكتابان في بِقاعِ العالَم الإسلامي، بل العالم أجمع، وتُرجِما إلى العديدِ من لغاتِ العالم[1].

٢٣ ــ خصائص التصور الإسلامي

خصَّصَ سيِّد كتابَه عن خصائصِ العقيدة الإسلامية وطبيعتها. وقد أعلنَ عنه سابقاً تحت عنوان «فكرةُ الإسلام عن الله والكون والحياة والإنسان». ولكنه عدلَ أخيراً عن ذلك العنوان، واختارَ هذا العنوان.

وقد صدرَ عن دارِ إحياء الكتب العربية عام ١٩٦٢م، تحتَ عنوان «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته»، مع أنه لم يبيِّن في الكتاب إلّا خصائصَ التصور الإسلامي. أما «مقومات التصور الإسلامي»، فقد خصَّصَ له كتاباً آخر، صدر مؤخراً ــ كما سنعرف بعد قليل ــ.

وهذا الكتابُ من أعمقِ كتب سيِّد، فموضوعُه هو العقيدة وطبيعتُها وخصائصُها، ولكنه صاغه بأسلوبِه المعهود، من حيثُ السلاسةُ والوضوحُ والجاذبية. ولا شكَّ أنه استفادَ من أسلوبِ القرآن في عرْض العقيدة.

ولقدْ أَمْضىٰ سيِّد وقتاً طويلاً وهو يبحثُ ويدرسُ ويفكِّرُ، حتى جمعَ أفكارَ الكتاب وعاشَها. وقد استغرقَ ذلك منه أكثرَ من عشر سنوات. في الفترة ما بين ١٩٥٠م إلى ١٩٦١م.

مهَّد لكتابه بتمهيدٍ ضروري، أسماه «كلمة في المنهج»، بيَّن فيه المنهجَ الصحيحَ المأمون في فهمِ القرآن وتفسيره، واستخراجِ معانيه ومقرَّراتِه.. وبيَّن المنهجَ الصحيحَ المأمون في إدراكِ خصائص التصور الإسلامي، ومعرفةِ العقيدة

(١) انظر «سيد قطب»، للخباص: ٣٢٤ ــ ٣٢٥.

الإسلامية، وعرْضِ موضوعاتِها ومباحثِها. وحاربَ بشدة عرضَ العقيدة بقوالبَ فكريةٍ بشرية، كالقالب الفلسفي والخِلافي، ولذلك دعَا إلى اطّراح مباحثِ «التوحيد وعلم الكلام» المعروفةِ في التاريخ الإسلامي، وطالبَ بالعودةِ إلى النبعِ الأصيل في فهم العقيدة وعرضها، ألا وهو القرآنُ الكريم.

وخصَّص فصلاً في الكتاب، وهو «تيه وركام»، استعرضَ فيه بإيجاز الأخطاءَ في فهمِ الألوهيةِ والربوبيةِ، في التصوُّراتِ والعقائد والأديان الأرضية مثل البوذية، والسماويةِ المحرفة مثل اليهودية والنصرانية.

ثم تكلَّم عن خصائصِ التصور الإسلامي. والخصائصُ التي عرضها سبعة.

وهي: الربانية، والثبات، والشمول، والتوازن، والإيجابية، والواقعية، والتوحيد.

والكتابُ مرجعٌ أساسيٌّ من مراجع العقيدة الإسلامية، لا يَسْتَغني عنه أيُّ دارسٍ للعقيدة.

٢٤ ـ الإسلام ومشكلات الحضارة

أصدر سيِّد كتابه هذا في نفس العام، حيث نشرتْه دارُ إحياء الكتب العربية عام ١٩٦٢م.

ويقومُ الكتاب على استعراضِ مشكلات الحضارة، التي أنتجتْها قيادةُ العالِم الغربي للبشرية في العصر الحديث، ثم تقديمِ حلِّ الإسلام لهذه المشكلات.

فمعلومٌ أن الحضارةَ المادية الغربية، التي تسلمتْ قيادةَ البشرية في هذا العصر، جاهلية، يقودُها شياطين الإنس، ويدْعونَ البشريةَ إليهم، وبذلك يوصِلونَها إلى الهاوية، وهي تسيرُ معهم كالقطيع، الذي لا يَدري أينَ يذهبُ به صاحبُه...

وقد أنتجتْ هذه القيادةُ الجاهلية مشكلاتٍ إنسانية، وصارَ العلماءُ والمفكِّرون والمصلحون يحاولون حلَّ تلك المشكلات، ولكنهم عجزوا عن تقديمِ الحلول الناجعة لها.

وقدَّمَ سيِّد قطب هذا الكتاب، ليعطي البشريةَ علاجَ مشكلاتِها كما يقرره

الإسلام، ويدْعوها إلى الإقبالِ على الإسلام وإقصاءِ الجاهليين عن قيادتِها، لتحلَّ مشكلاتها.

وكان في الكتاب يشخِّصُ المشكلة، ويبيِّنُ بُعْدَها وخطرَها وآثارَها، ويستشهدُ لها بكلامِ علماء ومفكِّرين من هناك، ثم بعدَ هذا يصفُ الدواء. وهو يشخِّصُ المشكلةَ بأسلوب الخبير، ويقدِّمُ الحلَّ الإسلامي لها بطريقةِ العالم المفكر.

تحدَّث في بدايةِ كتابه عن «تدميرِ الإنسان» في الحضارةِ المعاصرة، وتحويلِه إلى آلة، وهذا أَهمُّ وأخطرُ مشكلاتِها، فماذا يَبقى لها عندما تُدمِّرُ إنسانَها؟

ثم تكلمَ عن «الإنسان ذلك المجهول» ــ وهو عنوانُ كتابٍ للدكتور «ألكسيس كاريل»، اعتمدَ عليه سيِّد كثيراً ــ وأشارَ إلى التخبُّطِ والاضطراب الذي تقعُ فيه تلك الحضارة في تعامُلِها مع الإنسان المجهول لديها!

وأشارَ إلى تخبُّطِ هذه الحضارة في «المرأة والعلاقات بين الجنسين»، وإلى نشرِ الانحلال والفساد ومن ثم الدمار والفناء، عن طريقِ العلاقاتِ بين الجنسيْن.

ولم ينسَ سيِّد أن يستشهدَ لما يقول، عن خطرِ مشكلاتِ الحضارة، بكلامِ العلماء والمفكرين والمصلحين الغربيين.

كما أنه لم ينسَ أن يذكُرَ بعضَ مشاهداتِه في أمريكا، ويوظِّفَها أمثلةً ودلائلَ ونماذجَ، شاهدةً على مدى خطرِ الحضارة الغربية على البشرية.

٢٥ ــ معالم في الطريق

هذا هو آخرُ كتابٍ صدرَ في حياةِ سيِّد. وقد أصدرتْهُ مكتبةُ «وهبة» عام ١٩٦٤م[١].

وألَّفَ سيِّد كتابَه ليكونَ بَياناً لمنهجِ عملِ الحركة الإسلامية، وتوضيحاً لمعالمِ طريقِها في الدعوة إلى الله.

وأساسُ الكتاب فصولٌ كتبَها سيِّد من سجنه في «طرة»، ثم أوصلَها ــ بوساطة

(١) انظر «سيد قطب»، للخباص: ٣٢٢ ــ ٣٢٣.

أخته حميدة والمجاهدةِ زينب الغزالي ـ إلى التنظيم الإخواني الجديد، الذي كان يعملُ خارجَ السجون، ثم خرجَ سيِّد من السجن، وأشرفَ عليه، وقادَه.

وبما أنَّ سيِّد قادَ التنظيمَ الإخواني بإذنٍ من المرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي رحمه الله، وبما أنَّ كتابَ «معالم في الطريق» هو منهاجُ عمل التنظيم الجديد، لذلك يؤكِّدُ المطَّلعون على أنَّ حسنَ الهضيبي قد اطلعَ على أصول الكتاب قبل طباعتِه، وأنه قد سُرَّ به، وأَذِن بطباعتِه، واعتمادِه في منهاج العمل الإخواني.

لقد سبقَ أنْ نقلْنا روايةَ المجاهدة «زينب الغزالي» بهذا الخصوص، وكيف أن «حسن الهضيبي» ناوَلَها أصولَ كتاب «معالم في الطريق» وأثنى عليها، وقال لها: إنَّ أَمَلي كلَّه الآن في سيِّد قطب! وكيف أنها أخذتْ الأصولَ وقرأَتْها كلَّها في جلسةٍ واحدة في بيت الهضيبي..

هذه الحقيقةُ يحاولُ بعضُ الإخوان المسلمين في هذه الأيام أنْ يخفيَها، ويدَّعي أن سيِّد ليس مفكِّراً إخوانياً، وأنَّ كتبَهُ الحركية ليستْ معتَمدَة عند الإخوان، وأنه خرجَ عن منهج الإخوان في الظلال وفي المعالم، ويحاول أن يتبرأ من أفكار كتاب المعالم.

وأرى أن هذه محاولاتٍ فاشلة، فسيِّد مفكرٌ في طليعة مفكري الإخوان المسلمين، وكتبُهُ معتمدةٌ عندَ الإخوان المسلمين، ويعلمُ الإخوانُ المنتظمون في الأُسَرِ والتنظيمات الإخوانية، أن الظلالَ والمعالم وخصائص التصور وهذا الدين والمستقبل لهذا الدين، هي كتبٌ مقررةٌ عليهم في منهاج الأسر.

وحولَ هذا الموضوع، يَطيبُ لي أن أوردَ قولَ الأخ الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس ـ وهو من قادةِ الإخوان المسلمين في الأردن ـ لمجلة المجتمع: «أُؤكِدُ على أن سيِّدَ قطب نشأ وماتَ وهو من الإخوان. وفيما أعلمُ أنَّ كتابَه الشهير «معالم في الطريق»، كان بعلمِ الإخوان واطِّلاعِهم..»(١).

كانت مقدمةُ الكتاب بعنوان «معالم في الطريق»، بيَّن فيها إفلاسَ القيادات الجاهلية للبشرية، وأنَّ الإسلام هو الذي سيحكمُ البشرية، ولكنَّ الإسلامَ لا يستلم

---

(١) مجلة المجتمع. عدد: ٨٢١. تاريخ ١٦/٦/١٩٨٧م. صفحة: ٢٣.

الحكم والقيادة والتوجيه، إلّا إذا حملتْه جماعةٌ إسلاميةٌ صادقة، وواجهتْ به الجاهلية، وعرفتْ معالمَ طريقها في الدعوة، وهذه المعالمُ لا بدَّ أن تؤخذَ من القرآن الكريم.

«لهذه الطليعةِ المرجوةِ المرتقبة كتبْتُ «معالم في الطريق»، منها أربعةُ فصول مستخرَجَة من كتاب «في ظلال القرآن»، مع تعديلاتٍ وإضافاتٍ مناسبةٍ لموضوع كتاب المعالم ــ وهي: طبيعةُ المنهج القرآني، والتصورُ الإسلامي والثقافة، والجهادُ في سبيل الله، ونشأةُ المجتمع المسلم وخصائصه ــ ومنها ثمانيةُ فصول ــ غيرُ هذه التقدمة ــ مكتوبةٌ في فترات، حسبما أوحَتْ به اللفتاتُ المتواليةُ إلى المنهج الرباني، الممثَّلِ في القرآن الكريم..

وكلُّها يجمعها ــ على تفرُّقها ــ أنها «معالم في الطريق»، كما هو الشأنُ في كلِّ معالم طريق.

وهي في مجموعها تمثِّلُ المجموعةَ الأولى من هذه «المعالم» والتي أَرجو أنْ تتبَعَها مجموعةٌ أخرى، أو مجموعات.. كلَّما هداني الله إلى معالم هذا الطريق»[1].

وفصولُ الكتاب هي: جيل قرآني فريد، طبيعةُ المنهج القرآني، نشأة المجتمع المسلم وخصائصه، الجهاد في سبيل الله، لا إله إلا الله منهج حياة، شريعة كونية، الإسلام هو الحضارة، التصور الإسلامي والثقافة، جنسية المسلم عقيدته، نقلة بعيدة، استعلاء الإيمان، هذا هو الطريق.

والفصلُ الأخير في الكتاب «هذا هو الطريق»، كان في الأصْلِ تعقيباً من سيِّد قطب على قصةِ أصحاب الأخدود في سورة البروج، كتبهُ في نهايةِ تفسيره لتلك السورة، ليُنْشَر في «الظلال» ــ الجزء الأخير ــ ولكن الرقيب ــ الشيخ محمد الغزالي ــ لم يوافِقْ على نشرِه في الظلال ــ كما أخبرني الأستاذ محمد قطب ــ فأبْقاهُ سيِّد، لينشرَه بعد ذلك في المعالم.

وقد قيلَ إنَّ الرقابةَ صادرت الكتابَ من المطبعة قبلَ نشره، وجعلتْهُ ضمنَ الكتب الممنوعة، ولكن عبدَ الناصر أَذِنَ بنشرِ الكتاب شخصيّاً[2] ــ وهو لم يأذَنْ بذلك

(١) معالِم في الطريق: ١١ ــ ١٢ طبعة دار دمشق.
(٢) «سيد قطب»، لعادل حمودة: ١٦٠.

لوجْه الله ولنشر الفكر الإسلامي، بل لإدانةِ سيِّد قطب، وجعْلِ كتابِه شاهداً له على إعدامه ــ.

وقد أثارَ كتابُ «معالم في الطريق» ضجةً واسعة فورَ صدوره، حيث تناوَلَهُ كُتّاب السلطة، وشيوخُها الرسميون، حتى قبلَ إعدام سيِّد قطب. ومنهم شيخُ الأزهر ــ وقتها ــ حسن مأمون، وعبد اللطيف السبكي، ومحمد المدني وغيرهم. وأَصدروا فتاويهم بتجهيلِ سيِّد وتخطئتِه وتضليلِه، بل وتكفيره عند بعضهم، بسبب الكتاب!!

وكان الجلاّدون في التحقيقِ والمحاكمات يناقشونَ الإخوانَ المتَّهمين بأَفكار الكتاب، ويسألونَهم عن قراءته، وتزدادُ العقوبة على من اعتنقَ الأفكارَ التي فيه.

ويُجمعُ المراقبون ــ من الإخوان وغيرِهم ــ على أنَّ منْ أهمِّ أسباب الحكمِ على سيِّد قطب بالإعدام، وتنفيذِه فيه عام ١٩٦٦م، هو كتابُ المعالم، ولذلك صدقَ محررُ جريدةِ المنار الأردنية عندما قال عن المعالم: «الكتاب الذي حكمَ على صاحبه بالإعدام»!

وبعدَ إعدام سيِّد قطب، بقي كتاب المعالم في المناهجِ التربوية للإخوان المسلمين، واعتُمد في أُسرهم وتشكيلاتهم التنظيمية، وتبنّى أفكارَ الكتاب بعضُ الإخوان المسلمين، وعارضَها آخرون من الإخوان، بحجةِ أن تلكَ الأفكار انعزاليةٌ، لا تتفقُ مع الخطِ الانفتاحي الجماهيري الذي تبنّتْهُ قيادةُ الإخوان في الثمانينيّات!!.

وقد قرأَ في المعالم ــ وفي الظلال ــ فصائلُ أخرى من العاملين للإسلام، مثل «جماعة المسلمين» ــ التي أسَّسَها شكري مصطفى رحمه الله ــ وجماعة «الجهاد» ــ التي قَتلَ أفرادُ منها الرئيسَ المصريَّ أنور السادات ــ وخرجوا من المعالمِ بأقوالٍ غريبة، وأفهامٍ خاطئة، وتأويلاتٍ باطلة، وتبنّوها، وجعلوها مناهجَ لهم في الدعوة والعمل، ونَسَبوها إلى سيِّد قطب، واعتبروهُ صاحبَها الأول! من مثل: تكفيرِ المسلم الذي لم ينتظمْ مع الجماعة، وحرمةِ العمل في مؤسَّساتِ المجتمع، ووجوبِ العزلة الحسية المادية لأفراد الجماعة، وتركِ مساجد المسلمين لأنها مساجدُ الضرار.. وغيرِ ذلك.

علماً بأن سيِّد لا يقولُ بهذا الهراء، ولو ادَّعَوْا وجوده في كتاب «المعالم»!!

وقد استغربَ سيِّد نفسُه هذه الأفهامَ الخاطئة لكلامه في كتابه، وشجبَه وتبرأَ منه!

فعندما صارحَتْهُ زينب الغزالي بما يُشيعه أناس، من أنَّ سيِّد يكفرُ أفرادَ المجتمع المسلمين من غير جماعته، قال لها: إن هذا فهمٌ خاطىءُ لما كتبَه، وأنه سيوضحُ هذا في الجزءِ الثاني من المعالم. ولكنه استُشهِد قبلَ توضيحه[1].

ويروي الأخ «عبد الحليم خفاجي» في كتابه «عندما غابت الشمس»، أنهم لمّا كانوا مسجونين في سجون عبد الناصر ــ في الواحات والمحاريق وجناح وغيرها ــ نبَتَتْ فكرةُ التكفير لأفراد المجتمع، وتبنّاها بعضُ شباب الإخوان المسجونين المتهوِّرين، وصارَ الإخوان يناقشونهم وهم مصرّون عليها، ويدَّعونَ نسبتَها لسيِّد قطب ــ الذي كان وقتَها في مستشفى سجن طرة ــ.

قال خفاجي: «وحمَّلْنا الأخَ «إبراهيم الطناني» المرحَّلَ إلى سجن طرة للعلاج، رسائلَ للأستاذ سيِّد قطب، بتفاصيلِ تفكيرِ وسلوكِ هؤلاء الإخوة.

فأرسلَ منكِراً عليهم ذلك قائلاً: إنهمْ قد فَهموني خطأ.

وفي مرةٍ ثانية، قال سيِّد قطب غاضباً: لقدْ وضَعْتُ حَمْلي على حِصانٍ أعرج!!»[2].

وقد ناقشَ هؤلاء الذين فهموا كتاب «معالم في الطريق» فهماً خاطئاً باحثونَ ثقاتٌ من الإخوان.

ومن أجودِ المناقشات ما سجَّله الأخ المستشار «سالم البهنساوي» في كتابه «الحكم وقضية تكفير المسلم».

وقد أصدرَ البهنساوي مؤخَّراً طبعةً من كتاب «معالم في الطريق»، وقد علَّقَ تعليقاتٍ نافعة، أبانَ ما في بعضِ العبارات من إبهامٍ وتعميم[3].

---

(١) انظر كتابنا «في ظلال القرآن: في الميزان»: ٢٠٥ ــ ٢٣٣.

(٢) عندما غابت الشمس: ٤٤٦ ــ ٤٤٧.

(٣) هو كتاب «أضواء على معالِم في الطريق» الصادر عن دار البحوث العلمية في الكويت عام ١٩٨٥م.

٢٦ ــ مقومات التصور الإسلامي

مقوِّماتُ التصور الإسلامي، هو القسمُ الثاني الذي أعلنَ عنه في كتاب «خصائص التصور الإسلامي»، وهو مكمِّلٌ له، ومتمِّمٌ لموضوعه، فالكتابان يبحثانِ في العقيدة الإسلامية، من حيثُ خصائصُها ومقوماتها.

وهو الكتابُ الوحيدُ، الذي طُبعَ بعد استشهادِ صاحبه بعشرين عاماً!

فقد صدرت الطبعةُ الأولى من الكتاب عن دار الشروق، عام ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م.

وكتبَ مقدمةَ الكتاب الأستاذ محمد قطب.

ومما قاله الأستاذ محمد في المقدمة: «تأخَّرَ هذا الكتابُ كثيراً عن موعده الذي قدَّرْناه له، والذي توقَّعَه كثير من الناس، الذين علموا بوجودِ مخطوطته.. حتى شاءَ الله له أنْ يصدر، في اللحظةِ التي قدَّرها ــ سبحانه ــ لصدوره.

كان الشقيقُ الشهيدُ قد انتهى من كتابته، في الأيام الأخيرة من وجوده في السجن، قبلَ تنفيذِ الحكم عليه، من قِبَلِ الطغاة..»[1].

وكشفَ الأستاذ محمد قطب النقاب عن أمرٍ عجيب، يدلُّ على همةِ وعزيمة وجديةِ الشهيد سيِّد، ففي الأيامِ الأخيرة من حياته في السجن، كتبَ الفصولَ الأخيرةَ من الكتاب، وعلى وَرَقِ الادِّعاءِ الذي قُدِّمَ له من المحكمة: «هذا الكتاب الذي نقدِّمه اليوم، والذي انتهى منه صاحبُه في الأيامِ الأخيرة في السجن، قبلَ تنفيذِ الحكم، وكتبَ القسمَ الأخير منه على أوراقِ الادعاء، التي أعطيَتْ له قبلَ المحاكمة»[2].

وقد عرَّفَ الأستاذ محمد قطب بفصولِ كتابِ شقيقه الشهيد: «المقدِّمة بعنوان «وجهة البحث»، ثم فصْلٌ بعنوان «مقومات التصور الإسلامي»، وفصلٌ بعنوان «ألوهية وعبودية»، وفصلٌ بعنوان «حقيقة الألوهية»، وفصلٌ بعنوان «حقيقة الكون».. ثم فصلان بعنوان «حقيقة الحياة»، و «حقيقة الإنسان».

(١) مقومات التصور الإسلامي: ٥.

(٢) المرجع السابق: ٧.

ولكن الذي وصَلَنا هو المقدمة، والفصولُ الأربعةُ الأولى. أمّا الفصلان الأخيران «حقيقة الحياة» و«حقيقة الإنسان»، فهما مفقودان!

ولقد ظَلَلْنا فترةً طويلة امتدتْ إلى سنوات، نبحثُ عن الفصلَيْن الضائعين، أو ننتظرُ أن يَعثرَ عليهما أحدُ الأصدقاء في أيِّ مكان، فيرسلَهما إلينا، ليكتملَ الكتاب.. ولكنَّ انتظارَنا طالَ بلا جدوى..

فرأيْنا آخرَ الأمر أن نَنْشرَهُ في صورته الراهنة ــ بدون الفصلَيْن الأخيرَيْن ــ على أن نعيدَ نشرَهُ في صورته الكاملة في أيةِ لحظة نعثرُ فيها على بقيةِ الكتاب.. إنْ كانَ ذلك في قدرِ الله!..»[1].

وبيَّن الأستاذ محمد قطب في مقدمته أهمَّ فصولِ الكتاب بقوله: «إن فصلَ «ألوهية وعبودية»، هو في الحقيقة محورُ الكتابِ كلِّه، المحتوي على الفكرةِ الشاملة فيه. وفيه الخطوطُ العريضة للفصول التالية جميعاً... فالفصلُ بعنوان «حقيقة الألوهية»، والفصل بعنوان «حقيقة الكون»، هما في الحقيقة شرحٌ مفصَّل لما جاء عن موضوعهما من خطوط عريضة في فصل «ألوهية وعبودية».. وكذلكَ نستطيعُ أن نتصوَّرَ محتوى الفصلَيْن المفقودَيْن، على ضوءِ ما ورد من خطوط عريضة، عن موضوع كلٍّ منهما، في الفصلِ الأساسي «ألوهية وعبودية»[2].

ورغمَ أنَّ الفصلَيْن الأخيرَيْن من الكتاب «حقيقية الحياة» و«حقيقة الإنسان» لم يُعْثَر عليهما، إلّا أنَّ الأستاذ محمد قطب، وجَدَ بين يديه، «المخطَّط» الموجَز، الذي وضعه سيِّد لهما، وسجَّلَ فيه الآياتِ والنقاط الرئيسية التي سيبحثها فيهما.. فقرَّرَ الأستاذ محمد نشْرَ ذلك المخطَّط الموجَز للفصلَيْن في آخرِ الكتاب.

وهو بعملِهِ هذا أطلَعَنا على طريقةِ سيِّد قطب، في إعدادِ وتجهيزِ أبحاثه وكتبه، وجمْعِ المادةِ لفصولِ تلك الكتب، ووضْعِ المخطَّط لها قبل البدءِ بالصياغة والكتابة!!

---

(١) المرجع السابق: ١٤.
(٢) المرجع السابق: ٣٥٧ ــ ٣٧٦.

وقد وصفَ الأستاذُ محمد أسلوبَ شقيقه الشهيد في صياغةِ كتاب المقومات بـأنه يُعبِّرُ عن قمة سيِّد التعبيرية، وكأنه ينشدُ نشيـداً لا يصوغُ فكـرة. . «هذا الكتـابُ الذي أودَعَهُ عصارةَ تجربتهِ الإيمانية، كما بلغَ فيه قمتَهُ التعبيرية، التي تعبِّرُ عن قضايا، غـايةٍ في العمْق، في سيولةٍ متدفِّقة، كأنما هي «نشيدٌ» يُنْشَد، لا «فكرةٌ» تُصاغ!».

وفتحَ الله على سيِّد قطب، فمنحهُ في صياغةِ الكتاب «قمةً نفسيةً، وقمةً تعبيـريةً في ذات الوقت. . فبلغَ في الكتابِ غايةَ إشراقِه الذهني، وغايةَ إشراقـه الروحي في آنٍ واحد. . وهو فضْلُ الله يؤتيه مَنْ يشاء. .»[1].

* * *

---

(١) المرجع السابق: ٨.

ما انتهى إليه سيّد قطب في مناهج البحث

أقفُ الآنَ ــ في نهايةِ كلامي على أبحاثِ وكتبِ سيِّد قطب المطبوعة ــ لأُبيِّنَ ما انتهى إليه سيِّد في مناهجِ البحث والدراسة.

لقد أمضى سيِّد أكثرَ من أربعين سنة من عمره في البحثِ والتأليف، والاطلاعِ والمعرفةِ والثقافة، وجاوزَ مراحلَ متفاوتةً متدرجة، في أبحاثِه وكتاباته.

فقدْ بدأَ حياتَه العلمية باحِثاً في عالم الأدب والشعر والنقد. ثم صارَ باحثاً في الدراسات البيانية الجمالية الفنية للقرآن الكريم. ثم صارَ باحثاً في الفكرِ الإسلامي العام. ثم صارَ باحثاً في الفكر الإسلامي الحركي العملي التغييري!!

وقد أشارَ إلى منهجِه في التعامل الحركي مع القرآن، وفي فهمِه وتفسيره، في مواطنَ عديدة من الظلال، وفي مقدِّمة كتاب «خصائص التصور الإسلامي»، التي جعل عنوانَها «كلمة في المنهج»[1].

ولن أقفَ عند كلامه في هذه المواضع، فقد أَشرتُ إليها بإيجازٍ في كِتابي «مفاتيح للتعامل مع القرآن»[2].

ولكنني سأقفُ مع القراءِ الكرام مع بيانِه لمنهجه في البحث. الذي انتهى إليه واستقرَّ عليه في كتابِه الأخير «مقوِّمات التصور الإسلامي»، وبيَّنه في مقدمته التي أسماها «وجهة البحث».

(١) انظر «خصائص التصور الإسلامي»: ٥ ــ ٢٥.

(٢) انظر «مفاتيح للتعامل مع القرآن»: ٥٢ ــ ٦٠.

إنه لا يريدُ من كتابه المعرفةَ الذهنيةَ فقط، ولا الثقافةَ العقلية النظرية، ولكنه يريدُ من القارىء أن ينتقلَ به إلى الحركة العملية الواقعية، الحركةِ في المجتمع، لإقامةِ المجتمعِ الإسلامي من جديد:

«. . . ومن هنا تلكَ الأهميةُ البالغة التي نعلِّقُها على بيان «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته». . إنها الأهميةُ النابعةُ من استهدافِ التغييرِ الكلّيّ الأصيل للحياة البشرية. . . باعتبارِ أَنَّ إنشاءَ واقعٍ جديد، رفيعٍ كريم، نامٍ، متجدِّد، للحياةِ البشرية، لا بد أَنْ يسبقَهُ إنشاءُ تصوُّرٍ جديد، يتَّسمُ بهذه السمات. . ونحن ــ بحمد الله ــ لا نحتاجُ أَنْ ننشىءَ اليوم هذا التصوُّر، فقدْ أنشأهُ الله، ولكننا نحتاجُ إلى استحياءِ مقومات هذا التصور، في ضميرِ العصبة المؤمنة في الأرض، وتحويلِه إلى حركةٍ إيجابيةٍ دافعة، لا إلى معرفةٍ ثقافية باردة!!

إن طبيعةَ هذا الدين، ترفضُ اختزال المعارفِ الباردة في ثلاّجاتِ الأذهانِ الجامدة!!. .

إنَّ «المعرفةَ» في هذا الدين، تتحوَّلُ لتوِّها إلى «حركةٍ»، وإلَّا فهي ليستْ من جنسِ هذا الدين!. .

. . . إنَّنا لا نهدفُ ــ كما قلنا مراراً ــ إلى الاستزادةِ من قوالبِ الثقافةِ الدينية المثلَّجة! كلا! إنما نحنُ نريدُ إبرازَ المسافةِ الهائلة، بينَ التصوُّر الإسلامي للحياة، وسائرِ التصوراتِ الأخرى الجاهلية التي تسودُ الأرضَ كلها. . وذلكَ لإبرازِ المسافةِ الهائلة بين الواقعِ الإسلامي المرجوّ، وكلِّ واقعٍ للبشرية اليوم. . لكيْ يقومَ على أساسِ هذا الوضوح المطلق كلُّ تفكيرٍ في إعادةِ إنشاءِ الواقع البشري على منهجٍ قويم. . .»[1].

وسيِّد قطب في كتابه «المقوِّمات» كان يستلهمُ القرآنَ ــ المصدرَ الربانيَّ للتصور الإسلامي ــ ويطيلُ الوقفةَ أمامَ الآيات. ويوردُ هذه الآيات الطويلةَ في البحث. . وهو لم يكن يورد هذه الآيات للاستشهادِ بها ــ كما يفعلُ بعض الباحثين والكاتبين ــ وإنما

(١) مقومات التصور الإسلامي: ٢٤ ــ ٢٥ باختصار.

يوردُها باعتبارها الأصلَ في البحث، وما كلامُـه حولَهـا، وتعليقُه عليهـا إلاّ توصيـلُ منه القارىءَ إليها، ليتعامَلَ معها مباشرة.

يقولُ سيِّد عن منهجِه في استلهامِ نصوص القرآن، والتعاملِ معه، وإيرادِ آياته: «إننا لم نكتبْ هذا البحثَ إلاّ لأنَّ الناسَ قد بَعُدوا عن التعاملِ المباشر مع القرآن، في أمورِ دينهم ودنياهم ـــ كما كانت الجماعةُ المسلمةُ الأولى تتعامل ـــ وبَعُدوا عن الحيـاةِ في مثل الجوِّ الـذي تنزَّلَ فيـه القرآنُ أولَ مـرة، جوِّ نشـأة الدعـوة، ثم نشأةِ المجتمـع والدولة.. ومن ثمَّ بَعُدوا عن تذوُّقِ هـذا القرآن، والاعتمـادِ عليه مبـاشرة، في استقـاءِ الحقائق..

.. أصبحَ الناسُ في حـاجةٍ إلى مَنْ يحـدثُهُم عن «خصائص التصـور الإسلامي ومقوماته» بعبارةٍ بشرية، تقرِّبُ إليهم هذه الخصائص والمقوّمات كما هي في مصـدرها الرباني.. في القرآن الكريم.

غيرَ أنَّنا نعلم ـــ علمَ التـذوُّق واليقين ـــ أن العبارةَ البشـريةَ كـائنةً مـا كانت، وأنَّ طـرائقَ العرضِ البشـرية في هـذا الباب كـائنةً مـا كانت؛ لن تبلغَ شيئـاً ممّا تبلغُ إليـه العبارةُ القرآنية، والمنهجُ القرآني، وطريقةُ العرض القرآني..

وهي ليستْ قاصرةً عنْ أنْ تبلغَ شيئـاً مما يبلغُـه القرآن فحسب، بـل ربَّما كـانت مبعِدَةً من الحقيقة ـــ كما هي في صورتِها القرآنية الفريدة البهيجة ـــ مهما بلغَ الكاتب، من تحرّي المنهجِ القرآني، وإدراكِ خصائصه..

هـذا يقين، نستمدُّه من طـولِ الصحبةِ لهـذا القرآن، وطـولِ الصحبـةِ كـذلـك للمحـاولاتِ البشريـةِ في البيان، وطـولِ المزاولـةِ الشخصيةِ للكتـابة، فتـرةً من العمر طويلة!!.

وهذا اليقينُ يدفَعُنا دفْعاً ـــ لا نملكُ له ردّاً ـــ إلى محاولةِ تركِ النصـوص القرآنيـة تتحـدَّث... ولو كـانَ الخيـارُ لي لجمعْتُ الآيـات التي تتحـدثُ عن هـذه الحقـائق، ونسَّقْتُها، وتركْتُها تتحدث ـــ وحدَها وبذاتها ـــ حديثَها الفريدَ البهيج!

وتـوفيقاً بينَ الـرغبة الملحَّـة، النابعـةِ من التـذوُّق والتجـربـة واليـقين في تـركِ

النصوص القرآنية وحدَها تتحدث بالحقائق. . . وبين الضرورةِ الملحَّة في مساعدةِ الناس على تذوُّق المنهج القرآني، بشُروحٍ من البيانِ البشري والعباراتِ البشرية. .

توفيقاً بين تلكَ الرغبة وهذه الضرورة، سلكْتُ منهجاً قدْ يكونُ غريباً بعضَ الشيء على القارىء الحديث، الذي تعوَّدَ ــ حتى في البحوث الإسلامية الخالصة ــ أَنْ يرى الآياتِ القرآنية تُساقُ لمجردِ الاستشهاد في مواضعَ من البحث، على القضيةِ التي يقرِّرُها الكاتبُ بعبارته. . ولا يتجاوزُ دورُ الآيات القرآنية دورَ الاستشهاد على الحقيقة، التي يكونُ الكاتبُ قد قرَّرَها بأسلوبه البشري، وعبارته البشرية!

المنهجُ الذي سلكْناه هنا على النقيضِ من هذا. .

منهجُنا يحاولُ أنْ يجعلَ النصَّ القرآنيَّ هو الأصلَ، الذي يتولّى تقريرَ الحقائق، التي يتولَّد منها البحث، وأن يجعلَ عبارتَنا البشرية مجردَ عاملٍ مساعد، يجعلُ النصَّ القرآني مفهوماً ــ بقدْر الإمكان ــ للقارىء.

إننا نريدُ أن نعقِدَ الألفةَ بين قارىءِ هذا البحث وبين القرآن ذاتِه، في النهاية!.

نريدُ لهذا القارىء أن يتعوَّدَ التعاملَ مع القرآن ذاتِه، تعامُلاً مباشراً، كلَّما أعوزَتْه حقيقةٌ في شأنٍ من شؤون الحياة كلِّها، وأرادَ أن يصلَ فيها إلى الحق. .

نريدُ له أن يشعرَ ــ كما نشعرُ ــ أنَّ في هذا القرآنِ غناءً كاملاً شامِلاً، في كل حقيقةٍ من حقائقِ الوجود الأساسية. . وأَنْ ليسَ وراءَه إلَّا البحوثُ العلمية البحتة، التي تتناولُ الأمورَ التجريبية وتطبيقاتِها العملية!

. . . ومن ثَمَّ فقارىءُ هذا البحث، لا بدَّ له أَنْ يدرسَ النصوصَ القرآنيةَ المطوَّلة فيه، باعتبارِها هي الأصل. . .

إنها لم تجىءْ هنا للاستشهاد. . إنما جاءتْ لتتحدثَ هي بذاتِها عن الحقيقة. . وعبارتُنا حولَها هي العنصرُ الإضافي!!

ولا بدَّ أن يصبرَ على تملّي هذه النصوص. . كلمةً كلمة. فلا يتخطّاها ــ حتى لو كانَ ممنْ يحفظونَ القرآن من قبل! ــ إنها هنا تمثِّلُ شيئاً آخر. . إنها تمثلُ كيفَ

يتحدثُ القرآنُ عن موضوعاتٍ كاملة، لا يحتاجُ القارئُ فيها إلى شيءٍ بعده!!..»[1].

وهكـذا نرى أن هـذا الكتابَ الفـريدَ النفيس ـ «مقـومات التصـور الإسلامي» ـ يُعتبرُ أصدقَ كتابٍ من كتبِ سيِّد قطب، في الدلالـةِ على منهجه في البحثِ والاطـلاع والدراسة، الذي استقرَّ عليه في آخر حياته، والدلالةِ على أسلوبهِ السلسِ المشرق في التعبير، الذي بلغَ القمة النفسية والتعبيرية، والغايةَ في إشراقِهِ الذهنيِّ والروحي، وكأنه نشيدٌ يُنْشَد، لا فكرةٌ تُصاغ!.

ومن هـذا الكتـابِ، نتعـرفُ على مـا انتهى إليـه سيِّـد قـطب، في عـالَم البحث والاطلاع، وعلى نظرَتِه إلى القرآن، ومنهجِه في التعامـل معه، وطـريقتِه في استلهـامِ نصـوصـه، وهـدفِـه من دراسـاتِـه القـرآنيـة التي قَـدَّمَهـا في آخـر عمـره ـ عليـه رحمة الله ـ ...

* * *

(١) مقومات التصور الإسلامي: ٣٧ ـ ٣٩ باختصار.

حقيقة كتيِّبات مستقلة
لسيِّد قطب

بعدَ استشهادِ سيِّد قطب، وانتشارِ كتبه في العالَمِ العربي والإسلامي، وازديادِ الطلب عليها في الأسواقِ والمكتبات، بحيثُ تنفدُ نسخُ الكتابِ المطبوعِ في فترة وجيزة. بعد كلِّ هذا اتخذَ بعضُ الناشرين كتبَ سيِّد ونشرَها وسيلةً للكسبِ التجاري، والربحِ المادي، فصارَ ينشرُ كتبَ سيِّد بدونِ حقوقٍ لورثته ـ إخوته ـ!

وفكَّرَ آخرون في نشر كتبٍ أو كتيباتٍ لسيِّد، تحملُ اسمه لتنتشر، فهداهُم تفكيرُهم وحاسَّتُهم التجارية إلى التفتيشِ في المجلاتِ التي كتبَ فيها سيِّد، واستخراجِ مقالاتٍ له منها، ونشرِها في كتيِّبات مستقلة، تحملُ اسمَه. كما أن بعضَهم ذهب إلى «الظلال»، واستلَّ منه صفحات، نشرَها بعنوان جديد!

وكان القراءُ يفاجَأُون بهذه الكتيّباتِ والرسائل، ويظنّونَها كتباً خاصة، كتبَها سيِّد على هذه الصورة، فيتلقَّفونها ويقتنونها ويحرصونَ عليها!

وبذلكَ تضخمتْ مكتبةُ سيِّد قطب، التي تضمُّ كتبَه المستقلة، في أذهان القراء، وارتفعتْ أرقامُ قائمةِ كتبه المنشورة، وزادَتْ على الستةِ والعشرين كتاباً التي كتَبَها، وعرَّفْنا بها قبلَ قليل!

وأَقفُ هنا لأبيِّنَ حقيقةَ بعضِ تلك الكتيِّبات، ومصدرها الأول الذي أُخذتْ منه، حتى لا تضيعَ الحقيقةُ العلميةُ وسطَ الرغبة التجارية في الربح الفاحش!

١ ـ أفراحُ الروح

هي مجموعةٌ من الخواطِر والتأمُّلاتِ والأفكارِ الخاصة، خطرَتْ لسيِّد، وهو في أمريكا ما بين ١٩٤٨م ـ ١٩٥٠م، ثم سجَّلَها في رسائل «إخوانيةٍ» شخصية، بعثَها إلى

أخيهِ وأختيْه وأصدقائِه، في مصر والبلادِ العربية وفي فرنسا وإنجلترا كذلك.

وتحدَّثَ عن شعوره أثناءَ كتابتها بقوله: «وكنتُ أجدني أَقربَ إلى حقيقتي وأنا أكتبه، إلى حدِّ أَنْ أَعيشَ هذه الأفكار والخواطر، وأُترجمَها شعوراً وسلوكاً، لحظةً بعدَ لحظة، ويوماً بعد يوم، وكنتُ أجدُ من الصَّفاء الروحي والرضا النفسي، بسبب عيشتي لهذِه الأفكار، ما يملأ حياتي غبطة، أَنْ لا أجدَ ما يخجلُني أمامَ نفسي من عزلةٍ بينَ ما أقولُهُ للناس، وما أزاولُه في الحياة».

ثم خطرَ له أن هذه الرسائلَ الخاصة تصلحُ للنشر، فجمعَ طائفة منها، وأرسلَها إلى السيد «عادل الغضبان» رئيسِ تحرير مجلَّةِ «الكتاب» التي كان سيِّد ينشرُ فيها أحياناً، وكان الغضبانُ يستحثُّ سيِّد على أن يكتبَ للمجلة. ولكنَّ الغضبان لم ينشرْ تلك المختارات من الرسائل!!

ولما عادَ سيِّد للقاهرة، وقابلَ عادل الغضبان قال: «وحينَ عدتُ إلى مصر التقيْنا، ففتحَ مكتبَه، وسلَّمني وُرَيْقاتٍ بخطي، وقال: إنها خواطرُ قيمة، ولكني أرجأْتُ نشرها لأجلكَ أنت، لقد خفتُ أن يحسبكَ القراء قد أفلسْتَ، فلجأْتَ إلى مختاراتٍ من رسائلك!»

وقد أعادَ سيِّد نشرَ بعضِ فقراتٍ من تلك الرسائل في مقاله «في الأدب والحياة» الذي نشرَه في مجلة الكتاب عدد شهر أبريل ١٩٥١م[١].

وكان قد نشرَ مقالاً في مجلة الكتاب ــ وهو في أمريكا ــ بعنوان «أضواء من بعيد» حيثُ نشرتْهُ المجلة في عدد فبراير ١٩٥٠م[٢].

ولما وقعتْ محنةُ سيِّد الأولى عام ١٩٥٤م، وقفتْ مجلةُ «الفكر» التونسية على المقالَيْن: «أضواء من بعيد» و «في الأدب والحياة»، فنشرتْ فقراتٍ منهما تحت عنوان «أضواء من بعيد»[٣].

---

(١) مجلة الكتاب. المجلد العاشر. الجزء الرابع. شهر أبريل ١٩٥١م. صفحات: ٣٨٩ ــ ٣٩٣.
(٢) مجلة الكتاب. المجلد التاسع. الجزء الثاني. شهر فبراير ١٩٥٠م. صفحات: ١٤٣ ــ ١٤٥.
(٣) مجلة الفكر التونسية. السنة الرابعة. العدد السادس. شهر آذار ١٩٥٩م.

وفي عـام ١٩٧١م وقفت «الـدارُ العلميـة» في بيـروت على مقـالِ مجلةِ الفكـر التونسية المذكور، فنشرتْهُ تحتَ عنـوان «أفراح الـروح» وكان العنـوانُ من اختيارِ الـدار العلمية.

ولما كانت العبارةُ الأولى من الكتيب «أُختي الحبيبة: هذه الخواطر مهداةٌ إليـك» ظنَّ بعضُهم، أنها رسالةٌ بعثها سيِّد من سجنه، إلى أختِه أمينة قطب!!!

٢ ـ نحو مجتمع إسلامي

توقَّفَ سيِّد عن نشرِ حلقاتٍ من «في ظـلال القرآن» في مجلة المسلمـون، وبدأَ نشرَ حلقاتٍ جديدة في المجلة، تحتَ عنوان «نحو مجتمع إسلامي».

نشرَ الفصلَ الأول «المستقبل للإسلام» في ثلاثِ حلقات من المجلة:

* **الأولى** في العدد العاشر من السنة الأولى.
* **الثـانية** في العدد الأول من السنة الثانية.
* **الثـالثة** في العدد الثاني من السنة الثانية.

ونشـرَ الفصلَ الثـاني «كيف نستوحي الإسـلام» تحتَ نفس العنـوان. في العـدد الثالث من السنة الثانية.

ونشرَ الفصلَ الثالث «طبيعة المجتمع الإسلامي» في حلقتين:

* **الأولى**: في العدد الرابع من السنة الثانية.
* **الثانية**: في العدد الخامس من السنة الثانية.

ونشرَ الفصل الرابع «مجتمع عالمي» تحتَ نفس العنوان، في أربعِ حلقـات في الأعداد: السادس والسابع والثامن والتاسع من السنة الثانية.

ونشـرَ الفصـلَ الخـامس «نـظام ربـاني» تحتَ نفسِ العنـوان، في حلقتين: في العددين: الأول والثاني من السنة الثالثة[١].

(١) انظر قائمة الدكتور الخباص لمقالات سيد في كتابه «سيد قطب»: ٣٩٦ ـ ٣٩٨.

وكان قد أعلنَ عن بحثٍ له يعدُّه تحت هذا العنوان «نحو مجتمع إسلامي» وذلك قبلَ أن ينشرَ تلك الحلقات في المجلة.

وعندما أصدرَ كتابه «الإسلام ومشكلات الحضارة» عام ١٩٦٢م، أشارَ في فصل «طريق الخلاص» إلى هذا البحث بقوله: «وفي حدودِ جُهدي الخاص: لقد أعددْتُ لهذا [ملامح المجتمع الإسلامي وخصائصه] بحثاً ضخماً مفصَّلاً، تحت عنوان: نحو مجتمع إسلامي»[1].

وتصريحُ سيِّد هنا بأن بحثَهُ ضخمٌ مفصَّل، يدل على أنَّ البحثَ كبير. وقد قضى في إعدادِه حوالي أربعةَ عشر عاماً، مما يدلُّ على أنه أَوْلاه عنايةً خاصة.

وقد استُشهد سيِّد عام ١٩٦٦م، ولم ينشرْ كتابَه، ويبدو أن السلطاتِ الغاشمة أتلفت أصول البحث.

وبعد استشهادِه تسابقَ التجارُ إلى نشرِ كتب سيِّد، والاتِّجارِ بها، كما تسابقوا في نشرِ مقالاته في كتيِّبات ورسائلَ مستقلة!

وشاركتْ «مكتبةُ الأقصى» بعمان في هذا السباق التجاري، فأخذتْ مقالاتِ سيِّد السابقة، التي نشرَها في مجلة المسلمون، ونشرتْها في كتاب عام ١٩٦٩م، تحت عنوان «نحو مجتمع إسلامي».

وظنَّ القراء أن هذا الكتيبَ الذي أصدرتْه مكتبةُ الأقصى، هو نفسُه البحث الذي أعلنَ عنه سيِّد «نحو مجتمع إسلامي»، ووصَفَه بأنه بحثٌ ضخمٌ مفصَّل!!

وكانَ على «مكتبة الأقصى» أَنْ تُشيرَ إلى أصْلِ ما نشرتْه، وأَنْ تُبيِّن أنها أخذتْه من مقالاتِ مجلة المسلمون، حتى لا يقعَ اللبس، ولا تضيعَ الحقيقةُ العلمية، وسْطَ الرغبة التجارية في تحقيق الربحِ المالي، والكسبِ المادي!!!.

---

(١) الإسلام ومشكلات الحضارة: ١٨٥.

٣ ــ في التاريخ فكرة ومنهاج

نشرَ سيِّد موضوعاً بعنوان: «في التاريخ فكرة ومنهاج» على حلقتيْن في العددين الأول والثاني من السنة الأولى من مجلة المسلمون ــ شهري سبتمبر وأكتوبر عام ١٩٥١م ــ.

وبعدَ استشهادِ سيِّد، أخذت الدارُ السعوديةُ للنشر هذين المقاليْن من مجلة المسلمون، وأضافتْ لَهُما مقاليْن آخرين لسيِّد، عن «التصور الإسلامي والأدب»، ونشرتْها في كتيِّبٍ يحملُ هذا العنوان، دونَ أن تشيرَ إلى أصْله.

٤ ــ معركتنا مع اليهود

مجموعةُ مقالاتٍ نشرها سيِّد في مجلة «الدعوة» في مطلع الخمسينيات، وقد جمعَ هذه المقالات الأستاذ «زين العابدين الركابي»، وقدَّم لها مقدمةً عن ملامحِ شخصية سيِّد قطب، وخصائصِ فكره وأسلوبه، ونَشَرت الكتيّب «الدارُ السعودية للنشر».

وقد أحسنَ الأستاذ الركابي صُنعاً، عندما جَمَع المقالات، حيث كانَ يشيرُ عند أولِ كلِّ مقالة إلى أصْلها، والمجلةِ التي نشرتْها أولَ مرة. وكان من المستحسنِ أَن يُشيرَ في أوَّلِ الكتيب إلى أصْله، حتى يَعرفَ القارىءُ ذلك لأول وهلة!

٥ ــ تفسير سورة الشورى

اقتطعت «الدارُ السعودية للنشر» تفسيرَ سورة الشورى من تفسير «في ظلال القرآن» ونشرتْهُ في كتابٍ مستقل.

وظن قرّاءٌ أنَّ سيِّد خصَّ تفسيرَ هذه السورة بكتابٍ خاصٍ مستقل، بالإضافة إلى تفسيرِه لها في الظلال!

لماذا أخذت الدارُ السعودية هذا الجزءَ، وطبعتْه في كتابٍ خاص؟ ولماذا سورةُ الشورى بالذات؟ وماذا يميزُ تفسيره لها عن تفسيرهِ لباقي السور؟

لا سببَ لهذا، إلَّا الرغبةُ في تحقيقِ الكسبِ المادي عن أيِّ طريقٍ كان، ولو على حسابِ الحقيقة العلمية!!.

٦ ــ تفسير آيات الربا

فعلت الـدارُ السعوديـة للنشرِ بهـذا الكتاب، مـا فعلتْه بـالكتـابِ السـابق. حيثُ استلَّتْ من تفسيرِ الظلال، تفسيرَ سيِّد لآياتِ الربا، في سورتي البقرة وآل عمران.

٧ ــ الجهاد في سبيل الله

كتيِّبٌ نشرهُ الاتحادُ الإسلامي للمنظمات الطلابية عام ١٩٦٩م، وهـو لثلاثـةٍ من أعلام الفكر والدعوة: حسن البنا، وسيِّد قطب، وأبو الأعلى المودودي.

ونصيبُ سيِّد من الكتيب هو فصلُ «الجهاد في سبيل الله» الذي أثبتـه في «معالم في الطريق».

٨ ــ سيناء بين أَطماعِ الاستعماريين والصهيونيين

كتيِّبٌ أصدرهُ الإخوانُ المسلمـون عام ١٩٦٧م، وبيَّنـوا فيه الأخـطارَ التي تُحدِق بسيناء. ونشروا فيه كَلاماً لكلٍ مِنْ حسن البنا، وسيِّد قطب، وكامل الشريف.

ونصيبُ سيِّد من الكتيب، مقالةٌ نشرها سابقاً في مجلة الرسالة عام ١٩٥٢م، ثم جعلَهـا فصلاً في كتـاب «دراسـات إسـلاميـة»، وهي مقـالـة «إلى النـائمين في العـالم الإسلامي».

٩ ــ لحـن الكفاح

مجمـوعةٌ شعـريةٌ تضمُّ قصيـدتيْن نُسِبتا لسيِّـد، وهمـا: «أخي»، و«هبـل»، مـع قصيدتيْن للشاعرِ الإسلامي: هاشم الرفاعي.

١٠ ــ رسائل استُلَّتْ من الظلال

أقبـلَ بعضُ التجار على الـظّلال، واستلّوا منه صفحـات، ونشرُوهـا في رسـائـلَ وكتيِّباتٍ مستقلة، اختاروا لها عناوينَ من عنـدهم، وتلقَّفَها قـرّاءٌ وهم يظنّـون أنها كتبٌ خاصة، ألَّفها سيِّد على هذه الصورة!

ومن هذه الرسائل والنشرات:

ــ قصةُ الدعوة.

ـ إسلامٌ أو لا إسلام.
ـ إلى المتثاقلين عن الجهاد.
ـ رسالةُ الصلاة.
ـ استعلاءُ الإيمان ومعالم الطريق إلى الله.

ولا أَدري إذا جازَ أن نُجَزِّأَ تفسيرَ الظلال ـ الموسوعة الضخمة ـ إلى رسائلَ ونشراتٍ وكتيبات، كم سنصدِرُ منها، وإلى أينَ ستصلُ أرقامُ وعناوينُ كتبِ سيِّد قطب!!

وأيْنَ سيجدُ قرَّاءُ الأجيالِ القادمةِ الحقيقةَ العلميةَ عن الكتبِ التي ألَّفَها سيِّد قطب، وكيفَ سيعْثُرون عليها وسْطَ هذا «الكمِّ» من النشراتِ المستلَّةِ من الظلال، أَوْ مِنْ مقالاتِ سيِّد السابقة في المجلات!!.

* * *

القسم الثالث

بحوث له لم تنشر

كـان سيِّد ينتقـلُ كثيراً من بحثٍ إلى بحث، فمـا يكادُ يقـطعُ مـرحلةً طـويلةً من البحث، ويقاربُ على نهايته، حتى يتولَّدَ في ذهنه بحثُ جديد، يـراهُ أَوْلى بالبحثِ من الذي بيْنَ يديـه، فيتركُ البحثَ الـذي قاربَ على الإنجـاز، ويضعُهُ جـانباً، ليبـدأَ سَيْراً جديداً مع البحث الجديد. . وهكذا!.

ولا أدري هلْ هذهِ حسنةٌ تُسجَّلُ له، أَو مأْخَذٌ يُؤخذُ عليه!!.

والـذي يدرسُ آثـارَ سيِّد، ويـطَّلعُ على مقالاتِـه في الصحف والمجـلات، يقفُ على أخبارٍ له عن عددٍ من البحوث كانَ ينوي تأليفَها ونشرَها.

والبحوثُ التي اطلعْتُ على إشاراتِه لها، والتي لم يقَدِّرْ لها اللَّهُ أنْ تُنْشَـرَ، والتي ضاعتْ فيما ضاعَ من تراثه، وأُتلفَتْ فيما أُتلفَ من نَتاجه، بعد محنتِه الأولى، والثـانية مع الظالمين، هذه البحوثُ هي:

١ ــ مهمة الشاعر في الحياة

بحثٌ ضخمٌ، كان ينوي تأليفَه. واعتبَـرَ الكتابَ المـطبوعَ بهـذا العنوان، مقـدِّمةً لذلك البحث[١].

٢ ــ دراسة عن شوقي

كان ينوي إعـدادَ هذه الـدراسة الشـاملة عن أحمد شـوقي، يَستوفي فيهـا دراسةَ قصائدِه وأشعارِه، لتكونَ أحكامُه عليه صادقة، وصادرةً عن خبرةٍ ومعرفةٍ واطلاع.

---

(١) مهمة الشاعر في الحياة: ٧.

وقد وعدَ بهذه الدراسةِ، وهو يُعقِّبُ على ملاحظاتِ أستاذه محمد مهـدي علّام، التي انتقَدَ فيها أحكامَ سيِّد النقدية على أحمد شوقي[1].

٣ ــ المراهقة أخطارها وعلاجها

كتابٌ في التربية ومشكلات الشباب. قال عنه: «أنا على وَشَكِ إخراجِ كتابٍ في التربية عن «المراهقة: أخطارها وعلاجها»[2]، ممـا يدلُّ على أنـه كان شبـهَ جاهـزٍ بين يديه.

٤ ــ المرأة لغز بسيط

بحثٌ قام بإعداده مدةَ عشر سنوات، ونشرَ خلاصةً له في عـدةِ حلقات في مجلةِ «الأسبوع» عام ١٩٣٤م[3].

٥ ــ المرأة في قصص توفيق الحكيم

وعَدَ أن يكتبَ هذا البحث، وأعلنَ ذلك في مجلة الأسبوع[4].

٦ ــ أصداء الزمن

ديوانُه الشعريُّ الثاني، بعـد «الشاطىءِ المجهـول». وكان قـدْ قدَّمـه للمطبعـة، ووعَدَ أَنْ يصدرَ في مطلع عام ١٩٣٧م، ولكنه عدلَ عن ذلك في آخر لحظة[5].

٧ ــ الكأس المسمومة

ديوانُه الثالث الذي أعلن عن قرب نشره، ولم ينشره[6].

---

(١) المرجع السابق: ١١.

(٢) مجلة الأسبوع. السنة الأولى. عدد: ٢٦. تاريخ ٢٣/٥/١٩٣٤م. صفحة: ١٤.

(٣) مجلة الأسبوع. المجلد الرابع. عدد: ٤٥. تاريخ ٣/١٠/١٩٣٤م. صفحة: ٩.

(٤) مجلة الأسبوع ــ نفس المرجع السابق ــ.

(٥) مجلة دار العلوم. السنة الرابعة. عدد: ٢. أكتوبر ١٩٣٧م. صفحة: ١٤٤.

(٦) الغلاف الأخير الخارجي من كتاب «كتب وشخصيات». طبعة دار الكتب العربية بدمشق.

٨ ـ قافلة الرقيق

ديوانه الرابع الذي أعلن عنه[١].

٩ ـ حلم الفجر

ديوانه الخامس، وحلَّ به ما حلَّ بالدواوين السابقة[٢].

١٠ ـ القطط الضالة

قصةٌ مصوَّرة، أعلن أنها تحت الطبع[٣].

١١ ـ من أعماق الوادي

قصة أخرى، أعلن عنها أنها قيدُ التحرير[٤].

١٢ ـ المذاهب الفنية المعاصرة

بحثٌ نقدي من سلسلةِ بحوثه النقدية، أعلنَ أنه تحت الطبع[٥]. وقد أشارَ إليه في موطنٍ آخر باسم «المدارس الأدبية المعاصرة»[٦].

١٣ ـ الصور والظلال في الشعر العربي

بحثٌ آخر من بحوثه النقدية[٧].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) قائمة كتب سيد، المنشورة في آخر كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية» الطبعة الثانية ١٩٥٢م. نشر دار الإخوان للصحافة.

(٣) الغلاف الأخير الخارجي لكتاب «كتب وشخصيات».

(٤) الغلاف الأخير من كتاب «كتب وشخصيات».

(٥) المرجع السابق.

(٦) مجلة الرسالة. السنة الثانية عشرة. المجلد الثاني. عدد: ٥٩٧. تاريخ ١٩٤٤/١٢/١١م. صفحة: ٨٨.

(٧) الغلاف الأخير من «كتب وشخصيات».

١٤ ــ القصة في الأدب العربـي

بحثٌ نقدي آخر له، أعلن أنه قيد البحث[١].

١٥ ــ شعراء الشباب

أشارَ إليه في موطن آخر باسم «الشعر المعاصر»[٢].

١٦ ــ القصة الحديثة

بحثٌ نقديٌّ آخر له[٣].

١٧ ــ عرابـي المفترى عليه

بحث أعـدَّه لدراسـةِ قائـدِ الثورة العـرابية «أحمـد عرابـي» وتـرجمةِ حيـاته، وردٍّ المفتريات عنه[٤].

١٨ ــ الشريف الرضي

أعدَّه لدراسةِ الشريف الرضي، وترجمة حياته[٥].

١٩ ــ القصةُ بين التوراة والقرآن

٢٠ ــ النماذج الإنسانية في القرآن

٢١ ــ المنطق الوجداني في القرآن

٢٢ ــ أساليب العرض الفني في القرآن

أشار إلى هذه البحوث الأربعة في نهاية كتابه «كتب وشخصيات».

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق. وانظر الـرسالـة. السنة الـرابعة عشـرة. المجلد الثاني. عـدد: ٦٩٨. تاريـخ ١٨/١١/١٩٤٦م. صفحة: ١٢٨٧.

(٣) الغلاف الأخير من «كتب وشخصيات».

(٤) المرجع السابق.

(٥) الغلاف الأخير لكتاب «كتب وشخصيات».

كما أشارَ لها في مقدمةِ كتاب «مشاهد القيامة في القرآن»[1]، على اعتبارِ أنها حلقاتٌ من «مكتبة القرآن الجديدة» التي كانَ ينوي إصدارها. ولم يُصْدرْ منها إلّا كتابَيْ «التصوير الفني» و «مشاهد القيامة».

٢٣ ــ لحظات مع الخالدين

بحثٌ أخبر به الأستاذَ أبا الحسن الندوي، لما قابلَهُ عام ١٩٥١م في منزله في حلوان. وأخبرُه أنَّ من هؤلاءِ الذين سيعيشُ معهم لحظات، ويجعلُنا نعيشُ معهم، الشاعر «محمد إقبال»[2].

٢٤ ــ أمريكا التي رأيت

بحثٌ سجَّل فيه دراستَه العميقةَ الفاحصة للحياة الأمريكية، نتيجةَ مكوثه فيها سنتيْن ــ من عام ١٩٤٨م إلى ١٩٥٠م ــ. وكان ينوي إصدارَهُ ضمنَ سلسلة «إقرأ» التي تُصدرها دارُ المعارف. وكان جاهزاً بين يديْه.

ولما بدأتْ محنةُ سيِّد عام ١٩٥٤م، وقبيلَ اعتقالِه، خشيَ أن يتلفَ الطغاةُ أصولَ البحث، فعهدَ بتلك الأصول إلى أحدِ معارفِه، ليحتفظَ به أمانة، ريثما تستقرُّ الأحداث، وتنتهي الأزمة.

ولكنَّ هذا الشخص لم تكنْ عنده الشجاعةُ للاحتفاظ بأصولِ الكتاب، وبخاصةٍ عندما اشتدَّتْ وطأةُ الاعتقالات ضد الإخوان، فأحرقَ تلك الأصول الأمانة[3].

وقد نشرَ سيِّد ــ قبل المحنةِ ــ ثلاثَ حلقاتٍ مختصرة في مجلةِ «الرسالة» بعنوان «في ميزان القيم الإنسانية: أمريكا التي رأيت».

كما ذكَرَ بعضَ مشاهداتِه في أمريكا، في كتاب «الإسلام ومشكلات الحضارة». وأشارَ في «الظلال» إشاراتٍ متفرِّقة إلى ما شاهدَهُ هناك في أمريكا..

وقد أعانني الله ــ ولله الحمد ــ على جمعِ ما كتبَهُ عن أمريكا، في مجلة

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن: ٧. والغلاف الأخير لكتاب «كتب وشخصيات».

(٢) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي: ١٥٣. وقائمة كتبه في «معركة الإسلام والرأسمالية» عام ١٩٥٢م.

(٣) أخبرني بهذا الأستاذ محمد قطب ــ جزاه الله خيراً.

الرسالة، وفي غيرِها من المجلات الأخرى، وعلى استخراجِ إشاراتِه عن أمـريكا، من الـظلال وغيره من كتبـه، ثم التنسيق بين هذه المـادة المجموعـة، وإعدادِ دراسـةٍ لها، ونشْرِ ذلك في كتاب «أمريكا من الداخل بمنظار سيِّد قطب» الذي صدرَتْ طبعتُه الأولى عن دار المنارة بجدة عام ١٩٨٥م.

٢٥ ــ معالم في الطريق: المجموعة الثانية

٢٦ ــ في ظلال السيرة

٢٧ ــ في موكب الإيمان

٢٨ ــ أوَّليّات في هذا لدين

٢٩ ــ تصويباتٌ في الفكر الإسلامي المعاصر

٣٠ ــ نحو مجتمعٍ إسلامي

٣١ ــ هذا القرآن

وقد أعلنَ عن هذه البحوث في قائمة كتبِه التي أثبتَها في نهاية الجزء الثالث عشر من الظلال ــ الطبعة المنقحة ــ الصادر عام ١٩٦٤[١].

وقد أتلفَ الطغاةُ أصولَ هذه البحوث، فلم يبقَ منها الآن شيء!!!

* * *

(١) انظر نهاية المجلد الثامن من الطبعات اللبنانية للظلال.

الخاتمة

بهذا ينتهي ما قدَّر اللَّهُ لَنا إيرادَه، من أخبارٍ ومعلوماتٍ عن حياة الرائدِ الشهيدِ سيِّد قطب ــ عليه رحمة الله ــ.

وقد أتمَمْنا هذه الدراسةَ عن المجاهد الشهيد، بعون الله وحوله وقوته سبحانه، فجاءتْ في تمهيدٍ وثلاثةِ أقسام:

● **التمهيد: عن نشأةِ سيِّد قطب:**

تكلمتُ فيه عن قريتِه، وأصلِه، وأسرتِه.

● **القسم الأول: عن مسيرةِ سيِّد قطب في حياته الأدبية:**

وقد وقفْتُ فيه عندَ عشرة مشاهد: حياتُه في القرية، دراستُه في القاهرة، وظيفتُه في وزارة المعارف، مقالاتُه في الصحف والمجلات، صِلاتُه بالأدباء والمفكرين، سيِّد قطب وعباس محمود العقاد، معاركُه الأدبية والنقدية، إيفادُه إلى أمريكا، معه في رحلةِ ضياعه، المرأةُ في حياته.

● **القسم الثاني: عن مسيرة حياته الإسلامية:**

وقد تكلَّمْتُ فيه عن النقلةِ البعيدة التي نقلَهُ الله فيها إلى عالم الإيمان والالتزام، والدعوة والجهاد.

ثم بينْتُ فيه مراحلَ حياتِه الإسلامية الثلاثة.

ووقفتُ عند سبعةِ مشاهد من حياته الإسلامية: سيِّد قطب مع رجال الثورة، وسيِّد قطب في طريقه إلى الإخوان المسلمين، وسيِّد قطب مع الإخوان المسلمين،

ومحنة سيِّد قطب الأولى في السجن، وقيادته للتنظيم الإِخواني الجديد، ومحنته الثانية عام ١٩٦٥م، ثم محاكمته واستشهاده.

● **القسم الثالث: صفات سيِّد قطب وتراثه:**

تكلمتُ فيه عن أهمِّ صفاته التي لاحظَها الدارسون لشخصيتِه وفكره. وأوردتُ بعضَ الأخبار التي تشهدُ لتلك الصفات.

أمّا تراثُه، فقد تكلمْتُ فيه عن أهميةِ نشره ــ وبخاصةٍ مقالاتِه في الصحف والمجلات ــ ورددْتُ على مَنْ زعمَ أنَّ سيِّد قطب قد تخلّى في أُخرياتِ أيامه عن بعض كتبه السابقة.

ثم عرَّفْتُ بكتبِهِ المطبوعة، ورتبْتُها حسبَ صدورها. وبيَّنْتُ حقيقةَ كتيِّباتٍ ظهرتْ مستقلة لسيِّد قطب. وأشرْتُ إلى بحوثٍ له لم تُنْشَرْ...

وأَرجو أَنْ أَكونَ قد قدَّمْتُ للقراء الكرام صورةً واضحةً، للرائد الشهيد سيِّد قطب في مختلفِ مراحل حياته، وأَنْ يكونوا قد تعرَّفوا على مسيرةِ حياته، التي قاربتْ على الستين عاماً.

إن حياتَهُ كلَّها جادَّة، وقد أَمْضاها بجدٍّ وهمةٍ وعصامية. وإن حياتَه معطاءة، فكم قدَّمَ فيها! وكم أعطى! سواءٌ في عالم الأدب، أو في عالم الفكر، أو في عالم الدعوة والجهاد!

ولقد كانَ رائداً ــ والرُّواد في تاريخ البشرية دائماً قليلون ــ كان رائداً في عالَم الأدبِ والنقد، وصار رائداً في الفكر الإِسلامي، ثم رائداً في الدعوةِ والمواجهةِ والجهاد، وأخيراً ختمَ حياته رائداً في الثَّبات والاستشهاد.

لقد كانَ لهُ من اسمه نصيبٌ عمليٌّ واقعيٌّ كبير، حيثُ تطابقَ اسمُه مع حياتِه، وهذا من تقديرِ المولى الكريم سبحانه.

فهو سيِّد قطب.

ولقدْ عاشَ حايتَه سيِّداً، في كلِّ مراحلها، فلمْ يكن يوماً ذَليلاً أَو جباناً أو نكرةً

مهمَـلاً، ولقد غـادرَ حياتَـه الدنيـا، سيِّداً رافعـاً رأسَه. . وهـو الـذي يقـول في نشيـده «أخي»:

أخـي فَـامْضِ لا تَـلْتَـفِـتْ لِـلْوَراءْ   طَـريـقُـكَ قَـدْ خَـضَّبَتْـهُ الـدِّمـاءْ
وَلا تَـلْتَـفِـتْ هـا هُـنـا أَوْهُـنـاك   وَلا تَـتَـطَلَّعْ لِـغَـيْـرِ الـسَّـنـاءْ

ولقد عاشَ حياتَه قطباً، قطبٌ وحولَه المعجَبون والتلاميذُ والدارسون، قـطبٌ في الأدب والنقد، وقطبٌ في الفكر والوعي، والمهمُّ أنه قطبٌ في الدعوة والحركة والجهاد والاستشهاد!!

لقد كانَ فضْـلُ الله عليه كبيـراً، ونِعمُ الله عليه كـانتْ غامـرة، ومِنَنُ الله وعطايـاه وفيوضاتُه كانت عميمة. . إنَّ للّهِ الفضلَ الأوَّلَ والأخير، في ما كـانَ من سيِّد قـطب في حياتِه الإسلامية.

فلولا اللَّهُ لَما وقفَ هذه المواقف، ولولا اللَّهُ لما أَعْطى هـذا العطاء، ولـولا اللَّهُ لما انتهتْ حياتُه على الدنيا هذه النهايةَ العظيمة التي يتمنّاها كـلُّ مسلمٍ صادق. . لقـد علمَ اللَّهُ منه الصدق، فَمَنَّ عليه بنعمةِ الشهادة، التي جاءتْه تسعى إليه في سجنه!

إنَّ انتصارَ سيِّد في حياته الإسلامية، وتقـديمَه مـا قدَّم، هـو شهادةُ فخـرٍ واعتزازٍ للإسلام العظيم، القادرِ على تحويلِ الـرجال من حـالٍ إلى حال، وإخـراجهِم بصبغةٍ جديدة، وشخصيةٍ جديدة. . وفعلاً «الناسُ معادِن. . خيارُهم في الجاهلية، خيارُهم في الإسلام إذا فَقُهوا». وكـان سيِّد من أنفسِ المعـادن في حياتِـه الأولى ــ التي يمكنُ أن نطلقَ عليها وصْفَ الجاهلية ــ وقد ازداد نفاسَةً في حياتِه الإسلامية الكريمة!

وصدَقَ في سيِّد قولُ الشاعر:

وَإذا كـانَـتِ الـنُّـفـوسُ عِـظامـاً   تَـعِـبَـتْ فـي مُـرادِهـا الأَجْـسـادُ

وقولُ الشاعر الآخر:

عُـلُوٌّ فـي الـحَـيـاةِ وَفـي الـمَـمـاتِ   لَـحَـقٌّ تِـلْكَ إحْـدى الـمَـكْـرُمـات

وكمْ حرصتُ أَنْ تكونَ هذه الدراسة «لائقةً» بشخصيةِ سيِّد قطب وحياتِـه وفكرِه،

وصادقةً في تقديمِ هذه الشخصية للقارىءِ الكريم، وللأجيالِ القادمة ــ التي ستبحثُ عن معلوماتٍ، تتعرَّفُ منها على شخصيةِ السيِّد قطب! ــ.

فإنْ نجحْتُ في تحقيقِ ذلك، فهذا فضْلُ الله وحدَه، فله الحمد والشكر. وإنْ أَخْفقْتُ أو قصَّرْتُ، فأستغفرُ اللَّهَ من ذلك. وأَعوذُ بالله من فتنةِ القول وفتنة العمل.

والحمدُ لله الذي بنعمتِه تتمُّ الصالحات.

وصلى الله على سيِّدنا محمد، النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

ثبت المراجع

١ ـ **الإخوان المسلمون.**
د. ريتشارد ميتشل. ترجمة د. محمود أبو السعود.
الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢ ـ **الإخوان المسلمون: رؤية من الداخل. أحداث صنعت التاريخ.**
محمود عبد الحليم.
دار الدعوة ـ الإسكندرية ـ الطبعة الأولى: ١٩٧٩م.

٣ ـ **أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون.**
حسين محمد أحمد حمودة.
دار الزهراء للإعلام العربي ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

٤ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة.**
ابن حجر العسقلاني.
تصوير مؤسسة الرسالة عن الطبعة المصرية.

٥ ـ **أضواء على «معالم في الطريق».**
سالم علي البهنساوي.
دار البحوث العلمية الكويت. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٦ ـ **الأطياف الأربعة.**
سيِّد قطب وإخوته.
بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٦٧م. بدون اسم الناشر.

٧ ـ **أمريكا من الداخل: بمنظار سيِّد قطب.**
الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي.
دار المنارة ـ جدة ـ الطبعة الأولى ١٠٤٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٨ ــ **أيام من حياتي.**
زينب الغزالي.
دار الشروق ــ بدون تاريخ.

٩ ــ **البوابة السوداء: صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين.**
أحمد رائف.
الزهراء للإعلام العربي ــ القاهرة. الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م.

١٠ ــ **التصوير الفني في القرآن.**
سيِّد قطب.
دار الشروق ــ بدون تاريخ.

١١ ــ **حقيقة الخلاف بين «الإخوان المسلمون» وعبد الناصر.**
يرويها محمد حامد أبو النصر ــ المرشد العام للإخوان المسلمين.
طبعة عام ١٩٨٧ ــ بدون ناشر.

١٢ ــ **خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث.**
أنور الجندي.
دار الاعتصام ــ القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٧٥م.

١٣ ــ **خصائص التصور الإسلامي.**
سيِّد قطب.
دار الشروق ــ بدون تاريخ.

١٤ ــ **الخطط المقريزية «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار».**
أحمد بن علي المقريزي.
دار العرفان ــ بيروت. بدون تاريخ.

١٥ ــ **دراسات إسلامية.**
سيِّد قطب.
دار الشروق ــ بدون تاريخ.

١٦ ــ **دراسة عن القصيمي.**
الدكتور صلاح الدين المنجد.
دار الكتاب الجديد ــ بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧٢.

١٧ ــ **ذكريات: الحلقة الخامسة.**
علي الطنطاوي.
دار المنارة ــ جدة. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م.

١٨ ــ **ذكريات لا مذكرات.**
عمر التلمساني ــ المرشد الثالث للإخوان المسلمين.
دار الطباعة والنشر الإسلامية ــ القاهرة ١٩٨٥م.

١٩ ــ **رائد الفكر الإسلامي المعاصر: الشهيد سيِّد قطب.**
يوسف العظم.
دار القلم. الطبعة الأولى ١٩٨٠م ــ ١٤٠٠هـ.

٢٠ ــ **رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر.**
يوسف العظم.
الدار السعودية للنشر ــ جدة. الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م.

٢١ ــ **رسائل إلى الشهيد.**
أمينة قطب.
دار الفرقان ــ عمان. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.

٢٢ ــ **سخريات صغيرة.**
محمد قطب. بتقديم سيِّد قطب.
لجنة النشر للجامعين ــ القاهرة. الطبعة الأولى: ١٩٤٧م.

٢٣ ــ **سراديب الشيطان: صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين.**
أحمد رائف.
الزهراء للإعلام العربي ــ القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م.

٢٤ ــ **السلام العالمي والإسلام.**
سيِّد قطب.
دار الشروق.

٢٥ ــ **سيِّد قطب الأديب الناقد.**
الدكتور عبد الله عوض الخباص.
مكتبة المنار ــ الزرقاء ــ الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

٢٦ ــ **سيِّد قطب أو ثورة الفكر الإسلامي.**
محمد علي قطب.
دار الحديث ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م.

٢٧ ــ **سيِّد قطب: حياته وأدبه.**
عبد الباقي محمد حسين.
دار الوفاء ــ المنصورة ــ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م.

٢٨ ــ **سيِّد قطب: خلاصة حياته. منهجه في الحركة. النقد الموجه إليه.**
محمد توفيق بركات.
دار الدعوة ــ بيروت ــ بدون تاريخ.

٢٩ ــ **سيِّد قطب الشهيد الحيّ.**
الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي.
مكتبة الأقصى ــ عمان. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.

٣٠ ــ **سيِّد قطب من القرية إلى المشنقة.**
عادل حمودة.
سينا للنشر ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٩٨٧.

٣١ ــ **الشاطىء المجهول ــ ديوان شعر ــ.**
سيِّد قطب.
مصورة عن نسخة في جامعة لندن ــ بدون ناشر.

٣٢ ــ **الشهيد سيِّد قطب.**
جماعة أصدقاء الشهيد سيِّد قطب.
بدون ناشر أو تاريخ.

٣٣ ــ **الصبر والثبات ــ ديوان شعر ــ.**
جمال فوزي. تقديم عمر التلمساني.
دار الأنصار ــ القاهرة ١٩٧٨.

٣٤ ــ **صحيح مسلم.**
بعناية محمد فؤاد عبد الباقي.
دار الفكر ــ بيروت ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

٣٥ ـ **صفحات من التاريخ ـ حصاد العمر ـ .**
صلاح شادي .
دار الشعاع ـ الكويت ـ الطبعة الأولى ١٩٨١م .

٣٦ ـ **طفل من القرية .**
سيِّد قطب .
الدار السعودية للنشر ـ جدة ـ بدون تاريخ .

٣٧ ـ **العدالة الاجتماعية في الإسلام.**
سيِّد قطب .
دار الشروق ـ ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .

٣٨ ـ **عندما غابت الشمس .**
عبد الحليم خفاجي .
مكتبة الفلاح ـ الكويت . الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٣٩ ـ **في تيار الحياة .**
أمينة قطب .
دار مصر للطباعة ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

٤٠ ـ **في ظلال القرآن . ستَّة مجلدات .**
سيِّد قطب .
دار الشروق ـ الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

٤١ ـ **في ظلال القرآن . ثمانية مجلدات .**
سيِّد قطب .
دار الكتاب العربي ـ بيروت . الطبعة السابعة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م .

٤٢ ـ **في ظلال القرآن في الميزان .**
الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي .
دار المنارة ـ جدة ـ الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٤٣ ـ **كتب وشخصيات .**
سيِّد قطب .
دار الكتب العربية ـ بيروت ـ بدون تاريخ .

٤٤ ــ **لماذا أعدم سيِّد قطب وإخوانه؟**
بدون تاريخ أو ناشر.

٤٥ ــ **لماذا أعدموني؟**
سيِّد قطب.

الشركة السعودية للأبحاث والتسويق ــ بدون تاريخ نشر.

وهــو الإقـرار الــذي كتبه سيِّـد قــطب بخط يــده في السجن الحـربـي بتــاريــخ ٢٢/١٠/١٩٦٥م. ومحفوظ لدى محكمة أمن الدولة، في ملف القضية رقم ١٢ لسنة ١٩٦٥م أمن دولة عليا، والقضية رقم ٤٨٤ مصر لسنة ١٩٦٥م.

٤٦ ــ **لماذا اغتيل الشهيد حسن البنا؟**
عبد المتعال الجبري.
دار الاعتصام ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م.

٤٧ ــ **مدخل إلى ظلال القرآن.**
الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي.
دار المنارة ــ جدة ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م.

٤٨ ــ **المدينة المسحورة.**
سيِّد قطب.
دار الشروق ــ بدون تاريخ.

٤٩ ــ **مذابح الإخوان في سجون ناصر. جزءان.**
جابر رزق.
توزيع دار الوفاء ــ طبعة عام ١٩٨٦م.

٥٠ ــ **مذبحة الإخوان في ليمان طرة.**
جابر رزق.
دار الاعتصام ــ الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م.

٥١ ــ **مذكرات سائح في الشرق العربي.**
أبو الحسن الندوي.
مؤسسة الرسالة ــ بيروت. الطبعة الثانية ١٩٧٥م.

٥٢ ــ **مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف «أرغمت فاروق على التنازل عن العرش».**
عبد المنعم عبد الرؤوف.
الزهراء للإعلام العربي ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

٥٣ ــ **المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة.**
أنور الجندي.
دار المعرفة ــ مصر ــ بدون تاريخ.

٥٤ ــ **مشاهد القيامة في القرآن.**
سيِّد قطب.
دار الشروق ــ بدون تاريخ.

٥٥ ــ **معالم في الطريق.**
سيِّد قطب.
دار دمشق ــ بدون تاريخ.

٥٦ ــ **معركة الإسلام والرأسمالية.**
سيِّد قطب.
الدار السعودية للنشر. الطبعة الرابعة ١٩٦٩م.

٥٧ ــ **معركتنا مع اليهود.**
سيِّد قطب. بتقديم زين العابدين الركابي.
دار الشروق ــ الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م.

٥٨ ــ **مفاتيح للتعامل مع القرآن.**
الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي.
مكتبة المنار ــ الزرقاء. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.

٥٩ ــ **مقومات التصور الإسلامي.**
سيِّد قطب. بتقديم محمد قطب.
دار الشروق ــ الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م.

٦٠ ــ **منهج الفن الإسلامي.**
محمد قطب.
دار الشروق ــ بدون تاريخ.

٦١ ــ **مهمة الشاعر في الحياة.**
سيِّد قطب.
دار الشروق ــ بدون تاريخ.

٦٢ ــ **الموتى يتكلمون.**
سامي جوهر.
المكتب المصري الحديث ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

٦٣ ــ **نظرية التصوير الفني عند سيِّد قطب.**
الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي.
دار الفرقان ــ عمان. الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

٦٤ ــ **النقد الأدبي: أصوله ومناهجه.**
سيِّد قطب.
دار الشروق ــ بدون تاريخ.

٦٥ ــ **نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر.**
سيِّد قطب.
الدار السعودية ــ جدة. الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

٦٦ ــ **وسائل الإعلام المطبوعة في دعوة الإخوان المسلمين.**
محمد فتحي شعير.
دار المجتمع ــ جدة. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.

٦٧ ــ **يوميات الشهيد محمد يوسف هواش.**
دار الأنصار ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٨م.

* * *

المحتوى

تمهيد
في نشأة سيِّد قطب

الموضوع	الصفحة

القسم الأول

مع سيِّد قطب في حياته الأدبية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

القسم الثاني
مع سيِّد قطب في مسيرة حياته الإسلامية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

القسم الثالث
صفات سيِّد قطب وتراثه

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

● ● ●

كتب للمؤلف

١ ــ سيد قطب الشهيد الحي.
٢ ــ نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.
٣ ــ أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب.
٤ ــ مدخل إلى ظلال القرآن.
٥ ــ المنهج الحركي في ظلال القرآن.
٦ ــ في ظلال القرآن: في الميزان.
٧ ــ مفاتيح للتعامل مع القرآن.
٨ ــ في ظلال الإيمان.
٩ ــ الشخصية اليهودية من خلال القرآن.
١٠ ــ تصويبات في فهم بعض الآيات.
١١ ــ مع قصص السابقين في القرآن (١ ــ ٣).
١٢ ــ البيان في إعجاز القرآن.
١٣ ــ ثوابت للمسلم المعاصر.
١٤ ــ إسرائيليات معاصرة.
١٥ ــ سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد.
١٦ ــ لطائف قرآنية.
١٧ ــ هذا القرآن.
١٨ ــ حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية.

كتب تحت الطبع:

تفسير الطبري: تقريب وتهذيب.

